

سليم حسن

مصر القديمة

الجزء الرابع عشر

مصر القديمة
الجزء الرابع عشر



2000

مهرجان القراءة للجميع عشر سنوات



موسوعة مصر القديمة
الجزء الرابع عشر

الجزء الرابع عشر

صورة الغلاف

قناع الملك توت عنخ آمون

لقطة جانبية لقناع توت عنخ آمون الجنائزى، وهو من الذهب الخالص، وكان يغطى رأس مومياء الملك وهو من الدقة بمكان، وبه من التجريد والجمال ما يفوق الخيال، ولم يكن القناع يمثل سوى منظر الملك فى حد ذاته، وهو تحفة فنية نادرة خالدة على مر العصور بالمتحف المصرى.

محمود الهندى

موسوعة مصر القديمة

الجزء الرابع عشر

الإسكندر الأكبر وبداية عهد البطالمة في مصر

سليم حسن



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٠

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(موسوعة مصر القديمة)

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

والمجموعة الثقافية المصرية

موسوعة مصر القديمة

الجزء الرابع عشر

سليم حسن

الغلاف

والإشراف الفني:

الفنان : محمود الهندي

المشرف العام :

د . سمير سرحان

على سبيل التقديم

«كتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة، تلك الصنيحة التي أطلقتها المواطنة المصرية النبيلة «سوزان مبارك» في مشروعها الرائع «مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة، والذي فجر ينباع الرغبة الجارفة للثقافة والمعرفة لشعب مصر الذي كانت الثقافة والابداع محور حياته منذ فجر التاريخ.

وفي مناسبة مرور عشر سنوات على انطلاق المشروع الثقافي الكبير وسبع سنوات من بدء مكتبة الأسرة التي أصدرت في سنواتها الست السابقة ١٧٠٠٠، عنواناً في حوالى ٣٠٠ مليون نسخة لاقت نجاحاً واقبالاً جماهيرياً منقطع النظير بمعدلات وصلت إلى ٣٠٠٠ ألف نسخة من بعض إصداراتها.

وتنطلق مكتبة الأسرة هذا العام إلى آفاق الموسوعات الكبرى فتبدأ بإصدار موسوعة «مصر القديمة، للعلامة الاثرى الكبير «سليم حسن» فى ١٦٠ جزءاً إلى جانب السلاسل الراسخة «الابداعية والفكرية والعلمية والروائع وامهات الكتب والدينية والشباب، لتحاول أن تحقق ذلك الحلم النبيل الذى تقوده السيدة: سوزان مبارك نحو مصر الأعظم والأجمل.

د. هدير مرجان

تمهيد

دخلت أرض الكنانة فى طور جديد من أطوار حياتها الطويلة عندما فتحتها الاسكندر وحكمها بعده ملوك البطالمة الذين دام ملكهم بالاضافة الى ملك الاسكندر ثلاثة قرون كاملة (٣٣٣ - ٣١ ق.م.) ؛ غير أن عهد هؤلاء الملوك لم يؤثر فى حالة أهل البلاد التأثير الذى ظن بعض المؤرخين أنه كان عظيما عميقا لدرجة كبيرة . والواقع أنه من أعجب الظواهر التى تلفت النظر وتنبه الفكر فى تاريخ أرض الكنانة منذ فجر تاريخ حضارتها حتى يومنا هذا ان الأمم التى حاولت استيطان أرضها سواء أكان ذلك بالغزو أم بالهجرة ، لم تصل واحدة منها الى انتزاع شخصيتها أو تؤثر على سكانها بصورة محسنة تمكن المؤرخ المدقق الواسع الاطلاع على ماضيها أن يلمسه أو يحسه بصورة جلية ، لا لبس فيها ولا ابهام . وهذه الحالة قد بقيت على مر الأيام وتعاقب الأجيال الى أن جاء الفتح الاسلامى فكان أثره ظاهرا بعض الشيء فى تغير حياة الشعب المصرى من حيث اللغة والدين ، ومع ذلك فأنا نجد أن بعض المعتقدات الدينية والعادات المصرية القديمة قد أثرت بدورها فى المعتقدات الاسلامية فصبغتها بالصبغة المصرية القديمة . ولولا قوة تأثير القرآن وهو شريعة الاسلام وحافظ اللغة التى أنزل بها لظلت مصر على ما كانت عليه من تقاليد ومعتقدات متوارثة الى يومنا هذا . ولعمر الحق فان معظم العادات والتقاليد المصرية القديمة التى تضرب باعراقها الى عهود ما قبل الأسرات ، لا يزال بعضها باقيا يتوارثه الأبناء عن الآباء جيلا بعد جيل ، وذلك على الرغم من محاربتها بشتى الطرق والامكانيات ، وعلى الرغم من تسلط المدنية الحديثة وانتشارها فى أرجاء البلاد . ومن أجل ذلك نجد أنه مما تلفت النظر بصورة واضحة جلية أن أولئك الذين يتصفحون تاريخ مصر فى

عهد البطالة دون أن يكون لهم دراية تامة بماضى تاريخ مصر قبل هذه الفترة يرون أن كل شيء قد تغير منذ فتح الاسكندر لمصر وحكم البطالة ومن بعدهم الرومان فالعرب ، فيرى القارىء العادى أن مصر كانت تنتقل من مرحلة لمرحلة أخرى من مراحل تاريخها وأنه قد أصبح فى بيئة أخرى غير التى كان يعيش فيها قدماء المصريين . والواقع أن مثل هذا القارىء يعد واحدا فى زعمه ، خاطئا فى حكمه بعيدا عن الحقيقة كل البعد. حقا نجد تغيرا فى أحوال البلاد عند الانتقال من يد حكومة الى أخرى ، ولكنه كان تغيرا

سطحيا لا يمس جوهر كنه البلاد وطبائع أهلها . وأظهر ما يكون هذا التغير عادة فى مسميات المؤسسات والبلدان وذلك تمشيا مع الأحوال السياسية والدينية والاجتماعية فقد تجد تبعا لميول الحكام ان اسم البلدة الواحدة قد تغير مرات عدة ، ولكن سكانها وما فطروا عليه من عادات وأخلاق ولغة قد ظلوا على ما كانوا عليه منذ فجر التاريخ ، ولنضرب لذلك مثلا بمدينة الفيوم فقد تسمت بأسماء مختلفة فى خلال العهد المصرى القديم والعهد المتأخر تمشيا مع ميول الحكام ورغباتهم وسياساتهم . وكما حدث تغير فى أسماء البلدان نجد كذلك تغيرا فى مسائل الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فقد اختفى بعضها وحل محلها غيرها . ومن ثم نرى أن القوى التى كانت تسيطر على تطور المجتمع على حسب مقتضيات الأحوال عامة تندمج فى عناصر جديدة وتلبس ثوبا قشيبا يتناسب مع مجرى الأمور . مثال ذلك أننا نشاهد أنه بعد دخول الاسكندر الأكبر البلاد المصرية والسيطرة عليها بأعوانه وحكوماته الجديدة قد اختفى من البلاد عنصر طبقة الاشراف وهم عظماء رجال الاقطاع الذين كان فى قبضتهم معظم الثروة فى البلاد فى عهد الفراعنة ، والمطلع على تاريخ مصر القديمة يعلم تمام العلم مما جاء فى تراجم هؤلاء الاشراف أنهم كانوا يلعبون الدور الأول فى بناء المجتمع المصرى فى معظم فترات التاريخ الفرعونى منذ نهاية الدولة القديمة .

وعلى أية حال نجد بعد فتح الاسكندر لمصر أن طبقة الاشراف وحكام المقاطعات قد أخرجوا لسانهم واختفوا عن الأنظار مدة الى أن سنحت لهم الفرصة فظهروا ثانية لمدة وهكذا دواليك . والآن يتساءل المرء بعد هذه الايضاحات التى أوردناها هنا . أحقا أن كل شئ قد تغير فى مصر على أثر دخول الاسكندر وأتباعه ؟ وهل فقدت مثلا المعابد المصرية سلطانها وتفوذها على أهل البلاد ، وبخاصة عندما نعلم أن هذا التفوذ كان أمضى سلاح فى يد الكهنة المصريين فى كل عصور التاريخ المصرى القديم ؟ والواقع على أية حال أن كل ما تفهمه مما لدينا من وثائق اغريقية ان عامة الشعب المصرى كان يؤلف كتلة نكرة من البشر ليس لديهم ما يميزهم وذلك على حسب ما تركه الاغريق الأقدمون فى كتاباتهم أو فى ما كشف عنه من أوراق بردية الى أن كشف عن سجلات «زينون» منذ زمن قريب ، فقدمت لنا صفحة جديدة منقطعة القرن بالنسبة لحالة الشعب المصرى وبخاصة الطبقة الدنيا منه وعلاقتها بالحكام الاغريق كما سنفصل القول فى ذلك فى مكانه .

وعلى أية حال فانه مع كل ما لدينا من معلومات تاريخية مما كتبه الاقدمون وما استنبط من أوراق البردى عن الفترة التى تلت فتح الاسكندر تعتبر الى حد ما غامضة لدرجة أن الباحث قد أصبح فى مقدوره أن يتعرف على الكثير من أحوال المصريين الذين عاشوا فى القرن الخامس قبل الميلاد مما كتبه هردوت وغيره ممن زاروا مصر فى هذه الفترة واتصلوا بأهلها ، أكثر مما فى استطاعته أن يعرفه عن أرض الكنانة من أولئك الكتاب الذين عاشوا فى أواخر القرن الرابع والقرن الثالث قبل الميلاد ، وذلك على الرغم من أن الوثائق التى جادت بها تربة مصر خاصة بهذا العهد الأخير كثيرة العدد ومما يدهش الباحث أن المؤرخ «ديدور الصقلى» قد نقل لنا عن غيره الكثير مما هو ثمين أو غث من تاريخ العهد الفرعونى ؛ غير أنه بكل أسف لم يذكر لنا شيئا له قيمة على وجه التقريب عن مؤلفى عصره أى عصر البطالمة فى مصر

بوجه عام . والمفهوم اذا أنه منذ بداية القرن الثالث قبل الميلاد كان رجال الاحتلال الاغريقى وغيرهم فى مصر لا يكتبون ولا يفكرون الا بالاغريقية . ومن ثم نجد أن طبقات الشعب من فلاحين وصناع وتجار لم يعرف لهم تاريخ قائم بذاته فى هذا العهد بالذات . ومن أجل ذلك تفرض المصادر التى فى متناولنا عن تاريخ الشعب المصرى الأصيل على المؤرخ الذى يريد أن يكتب عن شعب مصر فى عهد البطالمة ، أن يلقى بقلمه ويفسح المجال لمن يريد الكتابة فى هذه الفترة من تاريخ البلاد لمؤرخ غيره متخصص فى العصر الهيلانىستىكى والواقع أن تغيير المؤلف يكاد يزيد فى حقيقة وجهة النظر التى يحتمها هذا التغير المفاجئ فى طبيعة المصادر التى بين أيدينا عن تاريخ مصر . فمما لا جدال فيه أن المؤرخين الذين كتبوا عن مصر فى هذه الفترة قد ميزوا بين مراحل الحياة فى الديار المصرية التى امتازت بالانقلابات العجيبة ، غير أن هؤلاء المؤرخين لم يروا حقيقة الأمر قط بعين فاحصة بما فيه الكفاية الوصول الى كنه هذه الانقلابات التى لا تلبث أن تتكشف للمؤرخ المدقق بأنها ليست الا خدعة أو سرايا خلايا لا يرتكز على حقائق عميقة تضرب بأصولها فى صميم تاريخ أرض الكنانة . وقد كتب فى هذا الموضوع بعض المؤرخين فأصروا فى بحوثهم على أن نظم الحكم الادارى فى عهد البطالمة قد استمر بحالة واحدة حتى العهد الرومانى . ولكن نرى لزوما علينا أن نلفت النظر هنا أن المؤرخ اذا حاول أن يكتب تاريخ أية بلاد محتلة بلغة القوم المحتلين ، وتجاهل ما كتب عن تلك البلاد بلغتها الأصلية فإنه لا محالة يضل السبيل وبذلك ينتقل فى كتابة تاريخ هذه البلاد من مرحلة الى الأخرى دون أن يصل الى الحقائق الجوهرية التى تنطوى عليها أحوال أهل هذه البلاد ، وبذلك يكون ما كتبه هذا المؤرخ لايمس كنه أحوال هذه البلاد من حيث الاجتماع والدين والأخلاق ، والثقافة الوطنية .

هذا وقد دلت كل البحوث العميقة على أن المدينة المصرية على الرغم من تعاقب الفاتحين والمحتلين لها كانت سلسلة مستمرة الحلقات لم يتورها تغير جوهرى ، ومن ثم يمكن التعرف عليها وتصورها فى خطوطها العريضة ، وان كانت تفاصيلها بكل أسف مجهولة لدينا كلية . وعلى أية حال يغفل للفرد الذى لا يعرف تاريخ مصر القديمة معرفة اكيدة قبل عهد الاسكندر ، ان تلك البلاد كانت تعيش تحت الأرض منذ ان دخلها الاسكندر فانحا ، لدرجة أنه أصبح من الصعب الكشف عن أصول هذه المدينة القديمة ، وبخاصة عندما نعلم أنه حتى فى اللغة الديموطيقية التى كان يتحدث بها الشعب المصرى وقتئذ لم يكن فى امكان الباحثين أن يصلوا فى بحوثهم الى أصل كل المسيحيات التى تقرأها الآن فى اللغة القبطية التى حلت محلها لامتزاج الواحدة بالأخرى ، وعلى أية حال فان هذا المظهر الخداع لا يمكن ان يكون عائقا فى ان مصر كانت مستمرة فى مصريتها وانه لا ينبغي ان تقطع اسبابها عن أصولها بسبب هذه التغيرات السطحية التى طرات عليها دون أن تمس جوهرها .. والواقع انه لدينا أدلة وحجج كثيرة قوية متينة تبرهن على انه لم يطرأ اى طارئ سياسى هدم مدينة البلاد الأصلية بدخول الاغريق فاتحين وبذلك غيرها تغييرا اساسيا عميقا . وآية ذلك ان التطور المحتوم الذى كان لا بد من حدوثه فى المدينة المصرية تحت ظل النفوذ الاغريقى كان يسير أحيانا حثيثا وأحيانا أخرى على مهل ، وذلك على حسب ما كان لهؤلاء الفزاة الجدد من سيادة وسلطان تبعا لممتلكاتهم فنجد ان هذه المدينة لم يعترضها عائق كما انها لم تتوقف عن سيرها الطبيعى الخاص بها ، ومن ثم نجد ان الحقوق الشخصية قد دخلت فى بداية العهد الساوى فى طور تكوين الشخصية الفردية وهو الطور الثالث فى التاريخ الذى خطه الانسان لنفسه بكفاحه فى سبيل تطوره منذ نهاية عصر ما قبل الأسرات فى مصر . وعلى أية حال فان هذا التطور لم

يكتمل في مصر الا بعد ان دخل العرب واستتب حكمهم في وادى النيل
وربما كان من الأمور المصطنعة المتكلفة ان نضع خطا فاصلا أو علامة
بارزة لتمييز دخول الاغريق مصر . والواقع ان الاحداث التاريخية لاتوحى
بذلك فانتصار الرومان في موقعة اكيثوم عام ٣١ ق.م. وسياسة أباطرة
الرومان القوية قد أوقفت تقدم التطور اللامركزي الذي وضعه أحد ملوك
البطالة في القرن الثاني قبل الميلاد . ولكن الرومان في خلال حكمهم للبلاد
المصرية لم يتعمقوا في تغيير نظم القوى الاجتماعية مما أدى بعد مضي ثلاثة
قرون على حكمهم الى رجوع البلاد الى نظام الحكم الاقطاعي . وهكذا
نرى في نظام السياسة الخارجية ان اشتراك مصر في مجتمع دول البحر
الأبيض المتوسط . وهو بلا نزاع كان يعد أعظم نتيجة محسنة لفتوح
الأسكندر - كان يعتبر فعلا مع عدة تغيرات وقعت الفرض الذي كان
يرمى اليه أواخر فراغته مصر الوطنيين وهو قيام دولة مصرية صاحبة سيادة.
ولكن اذا كان أباطرة الرومان قد وضعوا حدا لسياسة التوازن الدولي
المخزية التي ابتدعها قواد الاسكندر الذين خلفوه في حكم الامبراطورية -
لانه كان امرا لا مناص منه اذ كانت قد اصبحت سياسة عديمة الجدوى.
في امبراطوريتهم - فان ضعفهم المالي من جهة أخرى قد امتص دماء
المصريين على غرار ما كان يفعله البطالة ، وذلك لما كان لهم من سيطرة تامة
على العالم المتمدين . وقد كان هذا الضغط المالي مستمرا في مدة حكمهم .
ومع كل ذلك لم نجد من جهة أخرى أى تغيير في السير قدما في بناء المعابد
الضخمة في انحاء القطر المصرى كما انه لم يحدث اى تغيير في اسلوب حياة
الشعب المصرى الأصيل ينبىء بحلول العهد الاغريقى، بل تدل كل شواهد
الأحوال على ان البطالة قد خلفوا نقتانب الثانى في حكم مصر دون ان
يحدثوا أى تصادم مع الأهلين ، وبعد ذلك حل الرومان محل الاغريق وحالة
الشعب المصرى كما هى لم تتغير فنجد في كلا الحالتين مثلا ان الكتبه الذين

كانوا في خدمة المعابد لا يزالون متشبعين بنفس روح التعاليم التي ورثوها عن اجدادهم منذ عهد «مينا» عام ٣٢٠ ق.م. وكذلك نرى ان الحياة بين المصريين انفسهم رتيبة لا تغير فيها قط .

وقبل ان نشرع في ترتيب الخيوط التي في متناولنا خاصة بحياة الشعب المصرى وهى التى ستقودنا وترشدنا خلال عهد المدنية الهيلانية فى مصر منذ نهاية العهد الفرعونى حتى نهاية العهد الرومانى ، وذلك بما نعلمه من تقاليد سياسية عن الحياة المصرية التى ظلت ثابتة لم يصبها أى تغير ، يجدر بنا أن نقف متسائلين أولا : كيف حدث أن قوما قد استمروا يمارسون حياتهم القومية فى ظل قانونهم الخاص بهم وقيمون معابدهم على حسب قواعدهم وعاداتهم وتقاليدهم — ظلوا قادرين بعد مرور نحو من ألف سنة تحت ظل الحكم الاغريقى الرومانى على المحافظة على مدينتهم القومية؟ والواقع ان الباحثين فى تاريخ مصر لم يقدموا لنا جوابا شافيا على هذا السؤال اللهم الا عناصر قليلة جدا لا تشفى غلة . وعلى الرغم من تتبع المؤرخين هذا الموضوع بكل دقة وعلى الرغم من وجود نقص بين المصادر التى فى متناولنا عن حياة المصريين الأصليين فى العهد الهيلانتيكى فانه لابد من وجود تفسير شاف لهذه المسألة من صميم حياة المصريين انفسهم وما يحيط بها من مظاهر خاصة تميزهم .

وأول ما يجب ملاحظته فى تبرير قلة المعلومات التى كانت لدى المؤرخين القدامى الذين كتبوا فى تاريخ ارض الكنانة فى عهد البطالة هو ان مصر لم يكن لديها أداة ايضاح صالحة تهيم لها مخاطبة العالم خارج حدودها مباشرة والسبب فى ذلك يرجع الى ان الكتابة المصرية القديمة وبخاصة اللغة الديموطيقية لم تكن بالبساطة التى تسمح لها ان تكون لغة عالمية . ومن ثم نرى انه على الرغم من ان كثيرا من الراء المصرية وبخاصة الدينية بالاضافة الى المؤسسات العدة التى كان لها علاقة بالاوامر الملكية التى كان لها مكانة

فى العالم ، فانها لم تصل الينا فى صورتها الاصلية التى دوت بها قط . ومن ثم نجد أن مصير المدنية المصرية كان متوقعا على عدم كفاية اللغة المصرية فى أن تفهم دون ترجمان . وقد يرجع السبب فى ذلك الى الصورة المغلفة التى امتازت بها لغة مصر وكتابتها . ومما لا جدال فيه انه لو كان الاصلاح الذى ادخل على الكتابة القبطية قد تم قبل التاريخ الذى حدث فيه بنحو ستمائة سنة لكان لصوت الفكر المصرى رنين أكبر وانتشار أعظم وعمر أطول مما وصل اليه ، ولكن مما يلفت النظر هنا ان مصر كانت على جانب عظيم من المدنية بالنسبة لما يحيطها من الممالك الأخرى فى هذه العصور يضاف الى ذلك ان اهلها كانوا يعرفون اكثر مما يجب عن ماضى بلادهم بالنسبة لغيرهم من الأمم ومن ثم حافظوا على قديمهم كمادتهم اعتزازا بقوميتهم وبذلك بقوا فى معزل عن العالم

واذا كان صمت مصر منذ القدم سببه الى حد كبير صعوبة لغتها فان هذه الحقيقة نفسها هى التى حدثت فى أيامنا التى نعيش فيها الآن الى دفن حضارتها حتى كادت تكون فى عالم النسيان فيما يخص المهددين الاغريقى والرومانى .

وعندما نقول ان موضوع تاريخ مصر فى هذه الفترة لا يمثل تاريخ الشعب المصرى فى المدة التى رسخت فيها أقدام الاغريق والمقدونيين فى وادى النيل ، فان ذلك يرجع سببه الى أن المصادر التى فى متناول المؤرخ لا تتكلم قط عن الشعب المصرى العريق فى القدم ، بل يرجع الى ان المؤرخين ليس بين أيديهم الا عدد قليل من الوثائق المصرية البحتة تقدم لهم معلومات عن حياة هذا الشعب وحضارته . وتفسير ذلك ان المصادر التى فى متناولنا تنحصر فى الأوراق الديموطيقية وهى كثيرة العدد وان كانت تتضاءل فى عددها بالنسبة للأوراق الاغريقية التى كشف عنها فى هذه الفترة . وعلى ذلك فان المعضلة الكبرى فى عدم الوصول الى درس تاريخ مصر هو النقص

القاحش في مصر في عدد العلماء الذين في استطاعتهم الآن حل رموز اللغة الديموطيقية وهي التي كانت تعتبر لغة الشعب المصري وقتئذ . وقد كانت اللغة الديموطيقية لغة الشعب كما يدل على ذلك اسمها ، كما كانت اللغة الهيروغليفية هي ، اللغة المقدسة التي كانت تستعمل بوجه خاص في نقوش المعابد واللوحات التذكارية والكتب المقدسة والصلوات . وبعبارة أخرى كانت اللغة المصرية القديمة تقابل عندنا اللغة العربية الفصحى واللغة الديموطيقية تقابل اللغة العامية ، ومما لا جدال فيه ان حل رموز اللغة الديموطيقية (لغة الشعب) يعد في عصرنا الحالي من أعقد الأمور وأصعبها عند علماء الآثار المصرية . ومن أجل ذلك لم يصل اليها مترجما من وثائقها حتى الآن مما كشف عنه في تربة أرض الكنانة الا عدد محدود جدا وذلك كما قلنا لصعوبة حل رموزها وقلة المشتغلين بها في مصر بوجه خاص . فقد يحدث غالبا أثناء عمليات الحفر التي يكشف فيها عن أوراق بردى اغريقية وأخرى ديموطيقية في وقت واحد فيتخطف العلماء الأوراق الاغريقية ويحلون رموزها ويعلقون على محتوياتها بأسرع ما يمكن وذلك لسهولة حلها ، في حين ان الأوراق الديموطيقية التي تكشف عنها في نفس الحفائر توضع جانبا وتبقى منبوذة في زوايا النسيان وذلك لأنه ليس هناك من يحل رموزها ويقف على أسرار محتوياتها

وهكذا نجد أنه قد مر ما يقرب من مائة سنة على طبع أول بردية اغريقية من أوراق «سريوم منف» في حين انه كان علينا ان نتظر بعد ذلك حتى عام ١٩٤١ حتى نظهر ترجمة بعض الوثائق الديموطيقية من هذا الكنز العلمي العظيم ، اذ الواقع اننا عرفنا من هذه الأوراق شيئا كثيرا عن الحياة المصرية البحتة لا الحياة الهيلانستكية في السريوم ، يضاف الى ذلك أنه توجد بالمتحف البريطاني أوراق ديموطيقية اشترت في مصر عام ١٨٤٣ وظلت في مستودعاتها لم تترجم بعد . والحقيقة هي اننا لو استثنينا بعض

المتون الديموطيقية التي قام بفحصها وحل رموزها الرعيل الأول من الاثريين الذين وهبوا حياتهم لدرس اللغة المصرية واثارها امثال بركش وجرفت وريخ وسيجلبرج وهربرت تومسون فانه كان لزاما علينا أن نتتظر بعدهم حتى عام ١٩٣٩ ميلادية لنرى أول مؤلف علمى جمع تراجم عدة أوراق ديموطيقية من الطراز الأول وضعه العالم الانجليزى جلاقتيل ، ومتون هذا المؤلف محفوظة بالمتحف البريطانى . ولحسن الحظ نجد نهضة جديدة فى دراسة هذه اللغة وحل نصوصها مما يزيد الأمل فى كشف النقاب عن اسرار تاريخ المصريين فى عهد البطلمة بوجه خاص من بين هؤلاء العلماء المشتغلين بالديموطيقية بصورة جدية فى عصرنا الحالى الاثرى ادجرتون الذى حل كثيرا من النصوص وكذلك الأثرى زيدل الذى أخذ فى جمع كل النصوص القانونية فى خلال العهد البطلمى وقد ظهر المجلد الأول من أعماله . ولكن مما يؤسف له جدالأسف أنه فى حفائر «تونه الجبل» التى بدأت منذ عام ١٩٣٠ قد عثر على عدد من البرديات الديموطيقية ونخص بالذكر من بينها بردية عن القانون المصرى الأهلى غير انها لم تنشر بعد على الرغم من انه قد مضى أكثر من ربع قرن على الكشف عنها وليس هناك أمل كبير فى الفراغ من حل رموزها لأسباب مادية وأنا نأمل أن تنصف هذه البردية ويفك عقالها باغداق المال على المشتغل بحلها اذا كان المال هو السبب الحقيقى فى تأخر ظهورها ومن كل ما سبق نرى ان صعوبة حل الرموز الديموطيقية وقلة عدد المشتغلين بهذه اللغة قد اصبح من أخطر العقبات التى تحول بيننا وبين الوصول الى معرفة تاريخ الشعب المصرى فى عهد البطلمة بوجه خاص . ومن ثم نرى مما سبق أن تاريخ الشعب المصرى قد ظل مجهولا للعالم بصورة بينة اذا ما قرن بما نعرفه عن تاريخ مصر الهيلانستىكية . ولا غرابة فى ذلك فقد أصبح فى أيدي لباحثين فى تاريخ مصر الهيلانستىكية أكثر من ثلاثين ألف بردية أغريقية خاصة بتاريخ الاغريق فى الديار المصرية فى تلك الفترة

فى حين ان ما لدينا من الاوراق الديموطيقية المكشوفة حتى الآن لا يتعدى
الفين وخمسمائة بردية وهذا العدد وان كان فى ظاهره قليلا بالنسبة لعدد
الأوراق الاغريقية الا انه فى الواقع يعتبر متناسبا مع ما كان للحكام
الاغريق من قوة وسلطان فى البلاد ، وما كان عليه أهل البلاد من ضعف
واستكانة وانزواء وعدم مشاركتهم الاغريق فى حكم البلاد بصورة قوية
ولكن لحسن الحظ لم تكن الأوراق الديموطيقية هى المصدر الوحيد الذى
تستقى منه المعلومات عن مصر التقليدية فى المهددين البطلمى والرومانى ؛ اذ
لدينا على الاقل ثلاثة مصادر أخرى استمر فيها تمثيل المؤسسات المصرية
القديمة والمثل العليا التى كانت سائدة فى العهد الفرعونى . وهذه المصادر
تنحصر فى ثلاثة عناصر بارزة فى حياة البلاد المصرية وهى اولا الحياة المصرية
التي حفظت فى المعابد المصرية وما حولها وثانيا علاقة نظام الحكم الملكى
البطلمى بالحكم الفرعونى القديم . وثالثا تربة مصر بوصفها مأوى الفلاحين
زراع الأرض منذ أقدم العهود . أما عن العنصر الأول وهو مصر ذات
المعابد فليس من المستطاع معرفة شئ يذكر عنها الا ما ورد فى المتون
الديموطيقية وما نقش على جدران المعابد من متون دينية ترجع باصولها
الى اقدم العهود ، اما المصدران الآخريان وهما نظم الحكم وحياة الفلاح
المصرى واعماله فقد جاء عنهما الكثير فى الأوراق الاغريقية وذلك لاتصالهما
بمصلحة البطالة مباشرة من حيث نظام الحكم وثروة البلاد الزراعة التى
كانت ترتكز عليها قوة البطالة طوال مدة حكمهم .

وتدل شواهد الاحوال على ان مصر صاحبة المعابد هى التى جاء اليها
منها الأوراق البردية الديموطيقية التى نستنبط منها شيئا عن احوال البلاد
الاجتماعية والدينية فى عهد البطالة هذا فضلا عن النقوش الدينية التى
وجلت على جدران هذه المعابد وهى التى تضع أمامنا صورة واضحة عن
الحياة الدينية فى داخل المعابد . وهذه الصورة متوارثة عن أقدم العهود

وتمتاز بأنها كاملة . وقد وصلت إلينا سليمة ولذلك تعتبر منقطعة النظير في كل التاريخ المصرى . والواقع ان الكهنة قد عمدوا أن تكون كاملة وغير مفهومة في نقوشها الا لأنفسهم ليحفظوا بذلك مكاتهم الدينية في أعين الشعب والحكام في وقت واحد

اما الأوراق البردية الديموطيقية التى كشف عنها حتى الآن حول هذه المعابد فيتألف معظمها من سجلات أسر مصرية متصلة بخدمة المعابد واقامة الشعائر الدينية فيها .. ولحسن الحظ وجد ان هذه السجلات ترجع أحيانا الى أجيال في تاريخ الأسرة . وابرز مثال لدينا في هذا الصدد مجموعة الأوراق الديموطيقية المحفوظ منها جزء الآن بالمتحف البريطانى والجزء الآخر بمتحف فيلادلفيا بالولايات المتحدة . وقد نشر منها الأستاذ جلافيل الاثرى المعروف الجزء الموجود بالمتحف البريطانى اما الجزء المحفوظ بمتحف فيلادلفيا فقد تناول بالبحث جزءا منه الأستاذ «ريخ» وفحص الجزء الباقي الأستاذ مصطفى الأمير بجامعة الاسكندرية وهو الآن تحت الطبع وهو عمل مشرف لمصر ، ويتساءل الانسان هل وصلت إلينا هذه المتون الديموطيقية الكهنية عن طريق الصدفة اثناء اعمال الحفر العلمى التى كانت تجرى بوجه خاص في حرم المعابد وفي الجبانات الأثرية ؟ نعم كان معظم هذه الأوراق يعثر عليها في حرم المعابد وفي الجبانات غير أننا وجدنا في أماكن أخرى غير تلك كتابات ديموطيقية مثلة في اضمادات تحوى على ايصالات كانت تدون باللغتين الاغريقية والديموطيقية خاصة بالعمال والحرفيين والمزارعين كالتى وجدت بين اوراق زينون الذى كان يدير صيعة الوزير ابولونيوس في فيلادلفيا من أعمال الفيوم وهذا الوزير عاصر كلا من بطليموس الثانى والثالث كما سئرى بعد .

ولا غرابة في ان نجد هذه الاضمادات مدونة باللغتين الاغريقية والديموطيقية وذلك لان المصريين كانوا يتكلمون الديموطيقية اى اللغة

العامة في غير الأوساط الكهنية ، ولكن مع ذلك كانت الاغلبية العظمى بينهم لا يعرفون ا لكتابة الاغريقية كما كانوا يجهلون كتابة لغتهم الاصلية التى كانت على جانب عظيم من الصعوبة والتعقيد وبخاصة عندما نعلم ان تكاليف الحياة القاسية في ظل الحكم البطلمى لم تكن تسمح للطبقة الدنيا من المصريين ان يتعلموا القراءة والكتابة . والواقع اننا وجدنا في حالة واحدة فردا مصرية لا يعرف الاغريقية قد وقع باسمه في اسفل ترجمة بالديموطيقية على عقد بيع اجراه مع آخر بالاغريقية

وتدل الظواهر مما سبق على ان المعابد المصرية كانت تعتبر الاماكن الوحيدة لحفظ تراث المدينة المصرية كما كانت في الوقت نفسه الاماكن المختارة الممتازة التى استمر فيها تعليم الكتابة الوطنية والعلوم المصرية المتوارثة منذ اقدم العهود ، ومن ثم يمكن القول مع التجاوز عن بعض الاستثناءات أن الأوراق البردية الديموطيقية هى المنبع الاصلى الممتاز لمعرفة التاريخ المصرى القومى فى عهد البطلمة . وهذه الأوراق كما ذكرنا وجدت حول المعابد وفى الجبانات المجاورة لها والواقع ان المعابد وحرما كانت تؤلف دنيا مصرية مصفرة تمثل مصر الكبرى فى أوج عظمتها وسلطانها فى العهود الفرعونية . وتدل شواهد الاحوال على انه عندما سيطر الغزاة الفاتحون على مصر العظمى بقيت الحياة فى المعابد بعيدة عن ايدي الفاتحين وحافظت على كل مظاهرها وممتلكاتها وبقيت سليمة لم تدنسها أيد أجنبية كما انه لم يتعد على حقوقها وتقاليدها أى فاتح أجنبى بوجه عام . حتى جاءت المسيحية ومحت الديانة المصرية أو الوثنية كما زعم المسيحيون .

وتدل البحوث على أن الأوراق البردية الديموطيقية التى حلت روموزها حتى لآن على أنها قد وصلت إلينا من سجلات أسرية مما يدل على ان هذه الأسرات قد ظلت أمينة على المحافظة على نمط معيشتها

وتقاليدها المصرية العتيقة من جيل الى جيل كما كانت تحافظ على حقوق ملكياتها ، ومن ثم كانت تعتنى بالمحافظة والحرص على الوثائق التى لها علاقة بهذه الحقوق والملكيات . ومن الجائز كذلك ان هذه الوثائق أو بعبارة أخرى السجلات الأسرية كانت من مخلفات الأزمان الغابرة عندما كانت لم تنظم بعد كما نظمت فى عهد البطالمة بطرف شتى . ومن ثم نجد ان معظم العقود الاغريقية التى وصلت الينا من عهد البطالمة كان عبارة عن مسودات لعقود أصلية أو نسخ من سجلات محفوظة فى ادارة التسجيل هذا وكانت الملفات الأسرية النادرة التى كتبت بالاغريقية قد عثر عليها فى بيوت مصرية غير انها كانت تكتب باللغتين الديموطيقية والاغريقية .

ولا نزاع فى ان هذه السجلات الأسرية تعد شاهدا عادلا على استمرار لتقليد قديم لم يضايق مجيء الاغريق فى شىء . هذا وكان الاغريق يعرفون تمام المعرفة ما كان للكهنة من نفوذ على الشعب المصرى ولذلك نجد انهم لم يمسوا ممتلكاتهم وحياتهم الخاصة الا بقدر معلوم ؛ ومن ثم كانت كل حرايتهم وتصرفاتهم فى املاكهم محفوظة لهم . وقد دل الفحص على ان صيغ باجور رجال الدين وهى التى كان يتكون منها نوع من الدخل الوراثى لا نعرف عنها شيئا الا من الوثائق الديموطيقية بالاضافة الى بعض وثائق اغريقية خاصة بذلك ، ولكن تدل شواهد الاحوال مع ذلك على انها مترجمة من الديموطيقية اى ترجع الى اصل مصرى . هذا ويمكن ان نضرب مثالا آخر بالوثائق الخاصة بالعبادات والولائم الدينية والشعائر التى كانت تؤدى على شرف الآلهة فقد وجدت كلها مدونة بالديموطيقية الا وثيقة واحدة بالاغريقية ومن ثم نفهم ان الوثائق الديموطيقية هى التى حفظت لنا هذه العبادات وهذه الشعائر . وأخيرا نجد ان نظام القضاء الاهلى قد بقى حيا تماما فى عهد التسلط البطلمى . وقد كان من الجائز الا نعرف عنه شيئا قط لولا غثور الباحثين على وثيقتين ديموطيقتين فقد عرفنا منهما بعض

- ش -

اجراءات كانت تتبع فى هذه المحاكم . يضاف الى ذلك انه قبل حلول العهد الرومانى كانت الادارة المالية تحتم فرض برنامج سنوى على ادارة المعابد ، ونحن لا نعرف ذلك الا من بعض الاوراق الديموطيقية .

ولا نزاع فى ان هذه المؤسسات القضائية كانت مرتبطة بحياة المعابد . التى كانت تؤلف فى ذاتها عالما منفردا ، قائما بذاته . والواقع أن مصر التى تتمثل فى المعابد هى الوحيدة التى حدثنا عنها « هردوت » ومن ثم عرف عنها الاغريق الذين وفدوا على مصر مثل الاسكندر بعض المعلومات فقد مثل هذا المؤرخ للاغريق حضارة الشعب المصرى بكل ما فيها من سمو وعظمة ، ومع ذلك نجد ان الاغريق الذين وفدوا على أرض الكنانة مع البطالة لم يكتبوا لنا عنها الا أشياء قليلة جدا . ومن ذلك تفهم ان المصادر التى يجب ان يعتمد عليها بعد « هرودت » هى المصادر الديموطيقية لا الوثائق الاغريقية التى من اوساط غير الاوساط المصرية البحتة . ولا نزاع فى ان قلة الاوراق البردية الاغريقية الخاصة بالاوساط الكهنية قد ظهرت فى الحقيقة التالية : وذلك ان الحقائق التى قدمها لنا المشتغلون بعلوم النجوم فى عهد الامبراطورية المتأخر ترجع فى اصولها الى ما دون فى المعابد المصرية . هذا ولا نجد فى معظم الاحيان وثائق اغريقية مماثلة تعزها وعلى اية حال فان المعابد المصرية تتمثل أمامنا فى الواقع فى صورة مستودع مدنية سليم لم يكد الاغريق يمسونه ، وذلك انه حتى عندما يعبر عن هذه المدينة بالاغريقية فى وثائق مترجمة عن المصرية أو منقولة عن نموذج مصرى فانها مع ذلك تبقى مصرية لحما ودما ، غير ان محافظة هذه المدينة على عبقريتها وتقاليدها كانت سببا فى القضاء عليها شيئا فشيئا والواقع ان ما بقى من هذه المدينة هو الذى قد أخذ يتغير بالاستعمال ويتمثل فيما نقله الاغريق عن المصريين ونخص بالذكر هنا الرموز الفلسفية ذات الضبغة العالمية من جهة وكل ما كان يدخل تحت الحكم الملكى ونظمه من جهة أخرى

والمفهوم ان ما حملته المدينة المصرية للمدينة الهيلانستىكية فى وادى النيل عظيم جدا ، ولكن المؤرخ يعتمد فى هذا الباب على المصادر الاغريقية لاضاءة السبيل أمامه . والمحصل العلمى الذى أخذ عن مصر ظاهر جدا واساسى جدا ويكفى ان نشير هنا الى بعض سماته المميزة وأول ما يتندر الى الذهن هو الفلسفات المؤسسة على فكرة نظام العالم التى نستقها المفكرون فى الاسكندرية مقتفين فى ذلك خطوات فلسفة افلاطون ، وهى الفلسفة التى كانت تعتمد فى اصولها على اسس سياسية دينية مصرية الأصل . يضاف الى ذلك ان الصلوات التى كان يتقرب بها القوم الى الالهة ازيس والاله سيراييس والاحفال السرية الخاصة بهذين الالهيين وهى التى كانت تسحر خيال الأتقياء وتنتشر حتى أقاصى الامبراطورية المصرية المثل الأعلى للرحمة والنظام والعدل ، وكانت منذ أجيال طويلة قد نشأت فى مصر ثم أخذوها الاغريق وصبغوها بالصبغة الهيلانستىكية . هذا ولا يعيب عن دهننا فى هذا الصدد أن اهتمام مؤرخ مثل «بلوتارخ» بالعبادة المصرية القديمة وما بذله من مجهودات فى تأويل تعاليمها لبرهان على سلطان هذه الديانة بين العلماء الاغريق . ولا ادل على ذلك من القربات التى كان يقربها للالهة المصريين الوافدون الأول من الاغريق الذين استوطنوا وادى النيل فهى تكشف لنا عن نفوذ هذه الديانة وعلو شأنها بين الخاشعين الاتقياء

هذا ونجد أن كل ما فى المدينة الهيلانستىكية المصرية من نظم ملكية يرجع فى اصوله الى مصر القديمة الا شواذ قليلة وذلك لأن سمات الحكم المقدونى الملكى لم يظهر منها الا النذر اليسير فى النظام الملكى البطلمى . غير ان كل النظم المصرية قد عبر عنها جميعا بالاغريقية ولم يدون منها شئ بالديموطيقية . ويكفى للبرهنة على أنها مصرية ما نجده من أوجه شبه كبيرة بين التعاليم التى كان يصدرها الملك البطلمى لوزيره عند توليه ادارة البلاد وما كان يصدره الفرعون لوزيره من تعاليم عند اعتلاء عرش الملك

فى عهد الدولة الحديثة بل وما قبلها . فالأشياء المادية فى كليهما واحدة كما ان الاعتبارات الخلقية والقضائية لهذه الادارة كانت متشابهة أيضا . يضاف الى ذلك ان عمليات مسح الاراضى وتقويم ثمنها وهى المعروفة تماما فى الاوراق البردية وبخاصة الاوراق التى عثر عليها فى تبتيس ، نجد فيها بصورة واضحة نفس طرق تحديد الأراضى ومساحتها التى اتبعت فى الادارة الملكية الفرعونية كما يدل على ذلك الكشف الحديث . وفى الزراعة نشاهد كذلك ان الطرق الاصلية قد بقيت مصرية ، وذلك على الرغم من ان الاعتبارات الخلقية والقضائية لهذه الادارة كانت متشابهة أيضا . يضاف من الفلاح المصرى مجهودا اكثر يتفق مع مشروعاتهم الجبارة لتنمية ثروة البلاد على حسب نظام موضوع . هذا ونجد ان نظام زرع الضياع الشاسعة التى كان يهبها الملك لصاحب الخطوة لديه كانت تسير على نط الضياع التى كان يهبها فراغة مصر للمقرين منه . وعلى الرغم من ان هذه الضياع البطلمية كانت تدار بطرق علمية وذوق سليم اختص به الاغريق فان ضيعة ابوللونيوس التى وهبها اياه الملك «بطليموس الثانى» فى القيوم كانت ضيعة مصرية : اذ كانت فى الواقع مثل الضياع التى تقرأ عنها فى المتون الفرعونية من صنع الملك وكانت تشمل عدة قرى ومساحتها مثل مساحة الضياع الفرعونية فى العهد الذى كان يهب فيه الفراغة للمقرين منهم عن سخاء . وضیعة «ابوللونيوس» كانت مثل الضياع المصرية القديمة مستقلة فى ادارتها . واذا كان الاغريق الذين يديرون هذه الضيعة ينظرون اليها بأنها مصدر كسب كبير ، فان المصريين الذين كانوا يزرعونها كانوا يفهمون جيدا انهم يسبقون عليها صيغة مصرية تقليدية ويصرحون بذلك . وذلك أنه فى هذه الضيعة التى ليس لدينا عنها مصادر الا ما جاء فى سجلات زينون الاغريقية - ومن أجل ذلك تبيل الأراء التى اعتبارها موطنا للهيلانستىكية - ، نجد ان اللغة التى كان يتحدث بها الناس فى ربوعها

بصفة أهم هي المصرية لا الاغريقية ، وذلك لأن آلاف المصريين كانوا يشتغلون فيها بفلاحة الأرض . ولا نزاع في ذلك فان الاسماء المصرية البحتة في أوراق « زينون » كانت تفوق في العدد الأسماء الاغريقية هذا فضلا عن ان فلاحه الارض كانت وقفا على المصريين . وأخيرا يجب ان نذكر هنا ان مصر صاحبة المعابد ، ومصر الملكية ليستا بالعنصرين الوحيدين الذين يجب أن نبحث فيهما عن التأثير على المدينة الهيلانستية اذ الواقع أن هناك عنصرا آخر هاما . ولكن ما قدمه هذا العنصر للمدينة الهيلانستية كان أقل ظهورا من العنصرين السابقين ، ولكنه في الواقع عنصر يؤلف الاساس الثابت لكل الحضارة في وادي النيل وأعنى بهذا العنصر طبقة الفلاحين الكادحين ، الذين يطلق عليهم الاغريق اسم « لاوى » أى الطبقة الدنيا أو الطبقة الكادحة .

وهذه الطبقة المغلوبة على أمرها من المصريين كان لا يعرف أفرادها الكتابة .. حقا كانوا يتكلمون المصرية ولكنهم كانوا لا يعرفون الديموطيقية ولا الاغريقية كما تشهد بذلك المواقف العدة التى تدل على انهم على جهل تام حتى بتوقيع اسمائهم على العقود . وعندما كان هؤلاء الفلاحون يضطرون الى من يكتب بدلا عنهم ، فان ذلك كان في معظم الاحيان بالاغريقية ، وقد كانوا مجبرين على ذلك على حسب قواعد ادارية موضوعة أو عندما كان الفرد منهم له مصلحة ملحة تضطره للاتصال باصحاب السلطة في البلاد وهكذا يظهر أمامنا رجل الحقل فقط عندما كان يناضل عن حقه كتابة . وعندئذ كان يلجأ لكاتب اغريقى عليم بالأحوال الادارية وكتابة العرائض والشكاوى لذوى الشأن لشرح لهم فيها ظلمات أصحاب الحاجات وليعرض عليهم سوء الادارة الاغريقية في معاملة الفلاحين

والآن يتساءل الانسان هل كان هذا التذمر الذى يرجع أصله الى سخط الفلاحين وسوء معاملتهم ، والذي كان في الواقع يتألف منه نسيج التاريخ

المصرى فى عهد البطالمة ثم الرومان من بعدهم يعتبر مصدرا من مصادر تاريخ المدنية المصرية ؟ والجواب على ذلك سهل ميسور : حقا كان هذا مصدرا وموردا نستقى منه بعض المعلومات ولكنه ليس موردا ايجابيا ، ومع ذلك فان القوم الذين نسعى لسماع اصواتهم وتعرف على احوالهم قد عرفنا عنهم مما خلفوه لنا من الوثائق التى بثوا فيها شكايهم وظلاماتهم ، أنهم كانوا لا يزالون محافظين على طرق حياتهم التقليدية وما فطروا عليه من طباع واخلاق وبخاصة عندما نجد فى هذه الوثائق من جديد تلك السمات التى عرفناها فى الفلاح المصرى منذ أقدم العهود التاريخية . وهكذا نرى انه منذ اقدم عهود مصر الفرعونية حتى العهد القبطى انه على الرغم من صبغة البلاد بالصبغة الأجنبية على حسب مقتضيات الأحوال وعلى حسب الميل اليها عند غير المصريين ، يوجد فى البلاد حلقات اتصال مستمرة منذ الماضى السحيق تربط أبناء الشعب بعضهم ببعض من حيث العادات والأخلاق والمحافظة على القديم ومن ثم يجب على المؤرخ الذى يريد أن يكتب تاريخ الشعب المصرى الحقيقى ان يبحث عنها قبل كل شئ ويضع يده عليها فى وسط تلك الكتلة المظلمة المتراكمة من هذه الوثائق التى فى متناولنا كما يتحتم الطبيب فى وسط انسجة الجسم المتناسكة مكان الوريد المختفى عن النظر هذا ما كان من شأن تاريخ مصر فى عهد البطالمة والصعوبات التى يصادفها المؤرخ الذى يريد ان يكتب عنه من الوجهة المصرية . أما تاريخ البلاد المصرية من الوجهة الاغريقية فالبحث فيه ينقلنا الى ميدان آخر غريب لا شرقى وان كان هذا الميدان الغربى قد استقى معلوماته الأولى من الشرق وبخاصة من مصر . والمصادر لدينا عنه كثيرة غزيرة كشف عنها فى تربة مصر ، ولكن منبعها يرجع الى أصل اغريقى . وبخاصة فى العلوم والمعارف والآداب والفلسفة وما الى ذلك . فكيف حدث ذلك ؟

الواقع أن تاريخ العلوم الاغريقية على الرغم من أنه يكون نهضة مستمرة فانه يمكن تقسيمه بسهولة اربع مراحل كل منها منفصلة عن الأخرى .
المرحلة الأولى هي الأيونية والثانية هي المرحلة الأثينية والمرحلة الثالثة هي المرحلة الاسكندرية والهيلانستكية وأخيرا المرحلة الرومانية .

تشغل المرحلة الايونية القرن السادس قبل الميلاد وما قبله بقليل . وفي هذه المرحلة ولد العلم الاغريقى فى الاماكن التى كانت تتأثر بالمدينيات القديمة بدرجة عظيمة جدا وبخاصة عن طريق طلاب العلم من الاغريق الذين زاروا مصر فى تلك الفترة امثال «تاليس» وفيثاغور وغيرهما وتعلموا هناك فى المدارس المصرية ونقلوا علوم مصر الى بلادهم وبخاصة العلوم الكونية مما سنفصل فيه القول بعض الشيء فى هذا المؤلف .

والمرحلة الثانية تشغل ما بين عامى ٤٨٠ الى ٣٣٠ ق.م. وفى خلال هذه المدة وصلت الثقافة الاغريقية قمته فى السمو من حيث الديموقراطيه الأثينية غير ان هذا السمو كان بداية السقوط اذ أخذ الاغريق بعد ذلك يهدمون ما بنوه بالحروب الداخلية فيما بينهم وفى هذا العهد أخذ اهتمام الفلاسفة ينتقل من تفسير العالم المادى الى تفسير طبيعة الانسان وواجباته الاجتماعية وهذا العهد هو المعروف بعهد سقراط وافلاطون وارسطو . ويعد فى نظر الباحثين أعلى نقطة وصلت اليها الحكمة الاغريقية . أما المرحلة الثالثة وهى التى تدخل فى صميم موضوعنا من حيث الثقافة الاغريقية فقد اطلق عليها العلماء المرحلة الهيلانستكية وقد بدأت على اثر انحطاط المدن الاغريقية وحكوماتها . وفقدتها استقلالها على يد الامبراطوريات القارية الجديدة التى تألفت من أمبراطورية الاسكندر الاكبر بعد مماته . ومما لا نزاع فيه ان امبراطورية الاسكندر الاكبر قد ربطت العالم الاغريقى مرة أخرى برباط مباشر مع مصادر الثقافات الشرقية القديمة حتى بلاد الهند . ومنذ ذلك العهد اصبحت الاسكندرية موطننا جديدا للعلوم حيث نجد المرة

الأولى في تاريخ العالم انه قد أسست دار للعلم على اساس مكين وأعنى بذلك تأسيس الميوزيون أو بعبارة أخرى أكاديمية العلوم التي أسسها بطليموس الاول . وقد كان من نتائج ذلك النمو العظيم في علوم الرياضة والميكانيكا والفلك والطب وهى العلوم التي يقرن بها اسماء عظماء الرجال امثال اقليدس وارشميدس و «هباركوس» . هذا ولا بد ان نلاحظ انه في تاريخ العلوم بوصفه مميذا عن تاريخ الفلسفة كانت هذه المرحلة الثالثة هى اهم من المراحل السابقة وذلك لأنه في خلالها كان قد اقيم في مصر للمرة الأولى هيكل العلم الصحيح بوصفه وحدة متماسكة تركز على حقائق ثابتة . وعلى الرغم من ضياع اشياء كثيرة منه في القرون المظلمة التي تلت فانه قد بقى لنا من هذا العلم ما كان كافيا للنهوض بالعلوم كرة أخرى بعد تلك المرحلة بالف سنة . وهكذا يرى القارئ ان الدور الذي لعبته مصر في تاريخ علوم العالم كان هو الأساس الذي بنى عليه الاغريق علومهم التي مرجعها المنطق والعقل وعلى اساس ما بقى من هذه العلوم والمعارف بنى العالم الحديث علومه ومدنيته ، هذا ولم يكن نشاط البطالمة قاصرا على تنمية العلوم والمعارف في مصر او بعبارة أخرى في مصر الهيلانسيكية بل تخطاه الى الاقتصاد والتجارة والزراعة ولكن كل ذلك كان على حساب الفلاحين والصناع المصريين . والواقع انهم ابتكروا طرق اقتصاد وتجارة جعلتهم في الصف الأول بين رجال الاقتصاد في العالم فهم الذين اصلحوا الاراضى البور وجلبوا الأنواع العدة من النباتات المثمرة الى الاراضى المصرية . أما في ميدان الاقتصاد فقد ضرب فيه بطليموس الثانى بسهم صائب حتى أصبح مضرب الامثال وبخاصة في الاحتكارات وتأسيس المصارف وصرب العملة والتجارة الخارجية والداخلية مما جعل بلاده اغنى بلاد العالم في زمنه . اما في ميدان السياسة فسنرى ان كلا من بطليموس الاول والثانى قد حاول تأسيس امبراطورية مترامية الاطراف يسيطر سلطانه على البلاد

(غ)

المجاورة لمصر التي كان لا بد من الاستيلاء عليها لحفظ حدود بلاده وعدم الاغارة عليها وذلك وفقا للسياسة التي كان يسير عليها فراعنة مصر من قبل وقد كان هذا يستلزم بناء اسطول ضخم وتكوين جيش عظيم مقاومة مناهضه من الممالك العظيمة التي نشأت على سواحل البحر الابيض المتوسط في زمنه . وقد كانت كل هذه الاعمال توجب قيام الطمأنينة والسكينة في داخل البلاد وقد عمل كل من هذين العاهلين للوصول الى هذا الهدف . وسرى ان بطليموس الأول حاول ارضاء الشعب المصرى الأصيل وبخاصة رجال الدين فوحد بين المعبود المصرى أوزير أبيس والمعبود الاغريقى سراييس (بلوتو لاغريقى) كما اتبع ابنه بطليموس الثانى سنة القراعنة عند تولى عرش الملك بان جعل نفسه ابن آمون وتزوج من أخته على سنة القراعنة ليحفظ الدم الملكى . ولكن مع كل ذلك نجد ان الناحية الاقتصادية قد طغت على ملوك البطالمة ، فقد كان جل هم الملك ان يجمع المال لتنفيذ مشروعاته الاستعمارية والصرف منها على شهواته التي كانت تنطوى على مظاهر الابهة والعظمة امام ملوك العالم الهيلانستىكى . وقد كان ذلك يستلزم ارهاق الشعب المصرى نفسه بفرض الضرائب العدة بما لم يسمع عنه في تاريخ العالم .

هذا مع العلم أن المستعمرين من الاغريق سواء أكانوا مديين أو جنودا مرتزقة قد تمتعوا برغد العيش والطمأنينة وحتى الجاليات غير الاغريق كانوا في بحبوحة من العيش لاختلاطهم بالاغريق والتحدث بلغتهم ومسايرتهم في طريق حياتهم وبخاصة اليهود الذين كانوا يلبسون لكل حالة لبوسها . اما المصريين كما سرى في هذا المؤلف فكانوا بعيدين عن كل مظاهر الفنى والنعم لانهم كانوا يعدون في نظر الاغريق القثة التي عليها ان تقوم بفلاحة الارض وزرعها وبالصناعات الحقيرة التي لا تكاد تجلب لهم مايسد رمقهم . ومن أجل ذلك قد خصصت هنا ثلاثة فصول هامة عن حالة الطبقة

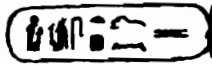
الدنيا من المصريين فى عهد البطلمة ، وعلاقاتهم برجال الادارة الاغريق الذين كانوا يقبضون على زمام الحكم فى البلاد . وقد جادت الكشوف الحديثة بعدد عظيم من الأوراق البردية تعرف «بسجلات زينون» روى عددها على القى بردية عثر عليها فى خرابة جرزة من اعمال القيسوم وهى تلقى ضوءا ساطعا على حالة الفلاح فى خلال القرن الثالث قبل الميلاد . ولولا العثور على هذه السجلات لبقينا فى ظلام دامس بالنسبة لما كانت تنطوى عليه حال الفلاح والصانع المصرى فى هذه الفترة من تاريخ البلاد . اما الفصل الثانى فقد خصصته لمعاملة الاغريقى لزميله الاغريقى وماكان يظهره نحوه من ساحة ومعاملة ومن ثم يمكن القارىء الموازنة بين معاملة الاغريقى الحاكم للمصرى الفلاح وبين معاملته لمواطنه الاغريقى

والفصل الثالث خصصته للجالية اليهودية فى مصر فى تلك الفترة من حكم البطلمة وما بعدها حتى نهاية عهدهم . وسيرى القارىء كيف امكنهم ان يتدخلوا فى شئون البلاد الحيوية بطرقهم الخاصة التى امتازوا بها وسيكون هذا الفصل هو آخر المطاف فى هذا المؤلف وستكون بداية الجزء الذى يليه ان شاء الله التحدث عن الآثار التى خلفها بطليموس الثانى فى طول البلاد وعرضها من معابد وتمائيل ولوحات وأوراق بردية دونت فى عهده ثم تناولها بالبحث والتحليل من الوجهة المصرية البحتة والله الموفق لما فيه خير مصر وعزتها

ولا يفوتنى هنا أن أقدم عظيم شكرى للاستاذ محمد النجار مدير مكتب السيد وكيل وزارة التربية والتعليم على ما بذله من قراءة جزء عظيم من فصول هذا المؤلف كما اقدم وافر شكرى لتلميذى النشط كمال فهمى المفتش بمصلحة الآثار على ما بذله من مجهود جبار فى نسخ اصول هذا

الكتاب وقراءة تجاربه ومباشره طبعه بكل همة لا تعرف الكلل ، وكذلك أشكره على عمل المصورات الجغرافية التي يختويها هذا المؤلف . ولايفوتني ان اشكر الاستاذ محمد نصر المدرس بالمدارس الثانوية بالخرطوم على قراءته بعض فصول هذا الكتاب ومراجعة بعض التجارب . وأخيرا أرى لزاما على أن أذكر أن ابني الدكتور محمد صلاح الدين المدرس بكلية طب عين شمس قد راجع معي التجارب الأخيرة بكل دقة وعناية وبمين فاحصة .

الاسكندر ومصر البطلمية في مصر



ستب - نى رع - مرى امن

الكسندرس

مَقَرَّة

الاسكندر الاكبر ومصر :

وصل بنا المطاف في الجزء الثالث عشر من « مصر القديمة » الى استيلاء «الاسكندر الأكبر» المقدوني على أرض الكنانة جملة من يد شطربة القرس « مازاكس » الذى سلمه البلاد دون قتال (راجع مصر القديمة الجزء الثالث عشر صفحة ٣٤٧ .) وكان ذلك في خريف عام ٣٣٣ وربيع عام ٣٣١ ق.م. لم يطل مكث « الأسكندر » في مصر أكثر من بضعة أشهر ثم غادرها ليقوم بمتابعة فتوحه التى بدأها في دولة الفرس التى كانت وقتئذ أعظم دولة صاحبه بطش وسلطان في العالم القديم .

ولكن على الرغم من أن « الأسكندر » لم يمكث في مصر الا أشهراً قلائل فانه في خلال تلك المدة القصيرة تمكن من وضع أساس مملكة مقدونية اغريقية كانت غريبة في ظاهرها مصرية في أصولها . وقد استمرت دولة البطلمة ثابتة الأركان قوية الدعائم ثلاثة قرون كاملة . وفي خلال تلك المدة الطويلة نهضت مصر نهضة جبارة من حيث العلوم والمعارف والاقتصاد والتجارة والصناعة وازدياد عدد السكان بما يذكرنا بمجد مصر في عهد الدولة الحديثة الفرعونية ، غير أنه ما يؤسف له جد الأسف أن هذه النهضة لم تكن مصرية أصيلة بل كانت في مظاهرها اغريقية مقدونية ، ومن أجل ذلك

لبست فوق ثوبها المصرى الأصيل ثوبا جديدا اغريقى المسحة غطى كثيرا على الثوب المصرى الوطنى، ومع هذا لم يكن فى مقدور حكام البطالمة ومن احتل مصر معهم من اغريق ومقدونيين أن يبلوا هذا الثوب المصرى العريق فى متانتة . والواقع أن هذا الثوب المصرى قد ظل بلحمته وسداه يقرض الثوب الاغريقى البراق كلما وجد الى ذلك سبيلا حتى تلاشى هذا الأخير فيه . ويرجع الفضل فى ذلك للشعب المصرى الأصيل الذى أخذ يكافح الشعب الاغريقى الحاكم بكل ما أوتى من قوة حتى تغلب فى نهاية الأمر وأظهر شخصيته على الأجانب المستعمرين . ولا غرابة فى ذلك فإن الشعب المصرى القديم كان لا يزال على الرغم من تدهوره شعبا أصيلا لم يتمكن شعب آخر أو حاكم أجنبى مهما بلغ سلطانه أو قوته أن يتغلب عليه أو يغير من عاداته وأخلاقه التى طبع عليها منذ القدم ، ويرجع السبب فى ذلك الى أنه كان شعبا محافظا الى أقصى حدود المحافظة ، ومن أجل ذلك كانت عنده القدرة على أن يهضم أى شعب يفزوه حتى يجعله جزءا منه . يضاف الى ذلك أن الشعب المصرى كان يعتبر فى نظر الأقوام والشعوب المجاورة له والنائية عنه أعرق شعوب العالم من حيث العلوم والمعارف والدين . ولا نزاع فى أنه كان يعد الشعب المختار الذى نهلت من حياض عرفانه كل ممالك الشرق القديم وبخاصة بلاد اليونان التى كانت على اتصال وثيق به طول معظم المهود القديمة . وقد دلت البحوث العلمية الحديثة والكشوف الأثرية على أن الشعب الاغريقى قد أخذ كل مبادئ علومه التى امتاز بها عن سائر العالم عن مصر . ولقد كانت الروابط وثيقة بين الشعب المصرى والشعب الاغريقى فى خلال بضعة القرون التى سبقت فتح الاسكندر لمصر ، ولا عجب اذا أن نرى الاسكندر عندما دخل مصر فاتحا ملما بعلومها وديانتها ومكائنها فى العالم القديم ، وبخاصة عندما نعلم أنه تلقى علومه وتربيته على يد فلاسفة اغريق . وقبل أن يتحدث عن آثار « الاسكندر الأكبر » فى مصر يطيب لنا أن نلقى نظرة خاطفة على

الأحوال العالمية قبل قيام « الاسكندر » بفتحته العظيم الذى شمل وقتئذ
معظم العالم القديم المتمدين وبخاصة بلاد الفرس التى كانت هدفه الأول .

.

الحالة الدولية فى العالم عند تولي الاسكندر

مملكة مقدونيا وبلاد الأفريق

على أثر موت «فليب» المقدونى خلفه ابنه الاسكندر على عرش مقدونيا، وكانت تهدده الأخطار من كل النواحي فى داخل البلاد وخارجها . وكان أول ما وجه همه اليه هو بلاد اليونان التى قابلت موت والده «فليب» بهتافات الفرح والسرور لأنه سلبها حريتها ، ولقد بلغ بأهلها الفرح الى أنهم أصعدوا منشورا ينص على تعظيم قاتل والده « فليب الثانى » أخذا باقتراح الخطيب اليونانى المقوه « دموستين » . ولا غرابة فى أن نرى على أثر اعلان موت « فليب » - أن المدن اليونانية واحدة بعد أخرى تطرد الحاميات المقدونية من أراضيها وتنفض عن نفسها عبء نير حكم الأسرة المقدونية التى كان على رأسها وقتئذ الاسكندر . غير أن الأخير أخذ يهاجم المدن المنشقة مدينة بعد أخرى حتى أخضعها لسلطانها وأعاد فيها النظام والأمن الى نصابها ، وبعد أن تم له النصر وهدأت الأحوال انتخبته المدن الاغريقية قائدا عاما عليها ليقود جيوشها لمحاربة بلاد الفرس التى كان والده قد بدأ فعلا فى غزوها . ولقد كان مرمى آمال الاسكندر ومنتهى ما تطمع اليه نفسه عندما قرر الزحف على بلاد الفرس أن يصبح فى نهاية امره على رأس بلاد «هلاس» بوصفه بطلا من نسل البطل الاغريقى « أشيل » وأن يصبح خليفته مفضلا ذلك على لقبه «ملك مقدونيا» ، ولكن صادفته صواب كثيرة على الرغم من أن المدن الاغريقية المغلوبة على أمرها قد أمدته بفرق من جنودها كما جعلته قائدها الأعلى ، ولكن كثيرا من هذه المدن لم تكن جادة فى ولائها له . وسرى أن الحلف الذى كونه الاسكندر من مجموع هذه المدن كان فى الواقع مقدمة حسنة ساعدت على انتشار الحضارة الهلانية التى شاءت الأقدار أن

يكون انتشارها على يد الاسكندر الأكبر ، ومن ثم كانت المدن الاغريقية تعرف به رسميا بوصفه المثل للشعب الاغريقى بكل معنى الكلمة .

متاعب الاسكندر العائلية :

على أن الاسكندر الأكبر كان لديه مشاكل ومتاعب أخرى من جهة أسرته، وكان لا بد من التغلب عليها قبل أن يغادر وطنه لفتح بلاد الفرس . وتنحصر هذه المشاكل فى الدسائس والأحقاد التى تنجب عن موت والده «فليب الثانى» وخلاصة القول فى ذلك أن «فليب الثانى» ملك مقدونيا بعد أن وحد سلطانه على بلاد الاغريق ألف منها حلفاء جديدا وكانت استعدادات هذا الحلف لغزو بلاد الفرس توشك أن تتم، وكان «فليب» قد أرسل فعلا قوة حربية فى المقدمة بقيادة « بارمينو » (Parmenio) وضباطا آخرين ليؤمنوا له معبر الدردنيل « هلسبونت » وليضمنوا لجيشه بذلك مواطىء أقدامهم فى اقليم « طروادة » و اقليم « بيشينيا » (Bithynia) ، وبعد ذلك كان على سائر الجيش أن يزحف بقيادة « فليب » نفسه لغزو الامبراطورية الفارسية ، غير أن بيت « فليب » كان مملوءا بالاحقاد والضغائن . فقد كان « فليب » غير مخلص لزوجته « أوليمبياس » والدة «الاسكندر» ، وكانت هى صاحبة شتم وكبرياء وقد ضاقت نفسها وثار ثأرها مما كان يرتكبه زوجها من خيانة علنية تجرح شعورها وتحط من كرامتها وكبريائها ، على أن مسلكها هى لم تعلمه الشبهات، وان كانت قد توصف بأنها امرأة سلسلة القياد الى حد القول بأن «الاسكندر» لم ينحدر من صلب زوجها « فليب » . وتأزمت الأمور بين « فليب » و « أوليمبياس » حتى وصل الخلاف الى قمة عند ما وقع « فليب » فى حب فتاة مقدونية من علية القوم فى مقدونيا ولم تكن الأحوال تسمح له بأن يتخذها مجرد خلية . وهذه الفتاة هى « كليوبترا » ابنة أخت القائد « أталوس » (Attalus) ولم يكن فى مقدور « فليب » أن يكبح جماح

شهوته فاستسلم لها ، ومن أجل ذلك هجر زوجته « أوليمبياس » والسدة «الاسكندر» وأقام حفلا عظيما أعلن فيه رباط الزوجية بينه وبين «كليوبترا»، غير أنه في أثناء حفل الزواج طلب القائد « أنالوس » الى الأشراف أن يدعوا الله مخلصين أن يرزق العروسين ابنا شرعيا ليكون وارث عرش مقدونيا ، وعندما سمع « الأسكندر » هذه العبارة هب من مكانه وقذف كأس شرابه في وجه الرجل الذي نال من شرف أمه ، وفي الحال انتفض « فليب » من مقعده والخر تلعب في رأسه وهو يكاد يتميز من الفيظ شاهرا سيفه ليطن به ابنه «الاسكندر» ، ولكنه من شدة السكر ترنح وسقط على الأرض . وعندئذ صاح « الأسكندر » هازئا : « تأملوا الرجل الذي يريد أن يعبر من « أوربا » الى « آسيا » وهو يسقط على الأرض عندما أراد أن ينتقل من مقعد الى مقعد ! » . وعلى أثر هذا المشهد المشين لم تعد پلا (Pella) عاصمة مقدونيا صالحة لتكون مستقرا « للاسكندر » ، فقد صاحب الملكة والدته المطلقة الى « أبيروس » مقر شقيقتها واعتزل العالم في جبال « لينسيستيس » (Lyncistis) وظل هناك الى أن دعاه والده للعودة الى مقدونيا ، غير أن « كليوبترا » زوج والده كانت قد وضعت غلاما ما جعل خلافة « الاسكندر » لوالده محفوفة بالخطر . وفي هذا الوقت كان أهم ما يحرص عليه « فليب » هو تحاشي قطع العلاقات بينه وبين ملك « أبيروس » القوى شقيق « أوليمبياس » التي حط « فليب » من كرامتها وأسقط هيبتها ، ومن أجل تحسين الموقف قدم له ابنته لتكون زوجته (١) . واعد لذلك مهرجانا فخما في « پلا » ، وكان ذلك في مساء اليوم الذي سيسافر فيه « فليب » الى ساحة القتال في « آسيا » لمحاربة الفرس . ولما كانت « أوليمبياس » المجروحة في كرامتها قد سويت من طينة ملؤها الانتقام ولا تتردد في ارتكاب أية جريمة ، فانها قد وجدت الفرصة سانحة للقضاء

على « فليب » وكانت لديها الآلة لتنفيذ جريمتها . وذلك أن شخصا نكره مضمور الذكر يدعى « بوزالياس » وهو لا يمتاز بأية موهبة كان قد أساء اليه « أتانوس » اساءة فاحشة ، وكان في الوقت نفسه نائرا على « فليب » الى حد الجنون بسبب أنه لم يقض له بحقه من غريم له . أضف الى ذلك تحريض « أوليمبياس » واغراء هذا المجرم على ارتكاب فعلته . وعلى حين غفلة ظهر « بوزالياس » هذا في يوم حفل الزواج أمام « فليب » عندما كان داخلا في موكب مهيب الى مكان الحفل متقدما حرسه بخطوات قليلة ، وهجم عليه بخنجر وطمعه طمعة كانت هي القاضية . وعلى أثر ذلك فبض على الجاني وقتل في الحال غير أن الأئيم الحقيقي لم يكن في الواقع سوى « أوليمبياس » والدة الاسكندر .

آل الملك بعد « فليب » الى ابنه « الاسكندر » ، وكان أول عمل داخلى قام به بين أفراد أسرته هو أنه تخلص بالاشتراك مع والدته من زوج أبيه « كليوبترا » ومن والدها وابنها . فقد أمر بقتل « أتانوس » في آسيا ولكن الاسكندر لم يكن المسئول عن قتل « كليوبترا » وابنها الطفل اذ أن ذلك كان من عمل « أوليمبياس » والدته التى كانت تمعش الى الانتقام ، فاعزت بذبح الطفل في حجر أمه وأجبرت « كليوبترا » على أن تموت مخنوقة بحزامها .

بعد أن تخلص الاسكندر من متاعبه الأسرية أخذ يتطلع الى ماحوله من مؤامرات في مقدونيا ومدن الاغريق ، ولكنه لم يمض طويل زمن حتى قضى على كل الثورات والاضطرابات في كل أنحاء مملكته وكذلك أصبحت كل بلاد الاغريق تدين له بالطاعة ، غير أنها لم تكن طاعة عن حب وولاء بل عن خوف ورهبة . ولما استتب له الأمر أخذ يعد المدة لغزو بلاد القرس التى كان والده قد أتم المدة لغزوها . وقد صرف الاسكندر شتاء عام ٣٣٤ ق.م. في عمل الاستعدادات الحربية وتنظيم أحوال بلاده مدة غيابه الذى

كان منتظرا أن يطول في ساحة القتال . ومن أجل ذلك كان عليه قبل مغادرته مقدونيا أن يترك فيها جزءا عظيما من جيشه بقيادة وزير والده « انتيباتر » (Antipater) ويقال ان الاسكندر قبل مغادرته بلاده الى ساحة القتال قسم كل ضياعه الملكية وغاباته ودخله بين أصدقائه ، وعندما سأله القائد « برديكاس » : ما الذى تركه لنفسك أجابه الاسكندر قائلا : « الأمل » . وعندئذ لم يسع « برديكاس » الا أن يرفض بدوره ما تركه الاسكندر وصاح قائلا : « ونحن أولئك الذين يخرجون للقتال معك في حاجة الى أن نشاطرك في أملك » .

زحف « الاسكندر الأكبر » بعد ذلك بجيشه في ربيع عام ٣٣٤ ق.م لغزو بلاد الفرس وكان غرضه فتح فارس وانزال عاهلها العظيم عن عرشه ليعتليه هو . وقد كانت مراحل فتحه ثلاثا : الأولى فتح « آسيا الصغرى » والثانية فتح « سوريا » و « مصر » ، وهذان القتخان كانا مقدمة لفتحه الثالث وهو الاستيلاء على « بابل » و « سوس » . وسرى أن أطاعه لم تقف عند هذا الحد .

والواقع أن بداية فتوح « الاسكندر » المنقطعة القرين كانت نهاية عهد قديم وبداية فصل جديد في تاريخ العالم ، وذلك أن غزو بلاد الاغريق على يد « اكزركس » قد فتح مرحلة جديدة في النضال العالمى بين الشرق والغرب في حين أن فتح « الاسكندر الأكبر » للامبراطورية الفارسية كان فيه القضاء على هذه المرحلة في هذه التمثيلية التاريخية . والواقع أن الجائحة التى نزلت بالامبراطورية الفارسية على يد الاسكندر كانت تعمى وتضم . ولاغربة في ذلك فقد كانت مملكة الفرس كما شرحنا في الجزء الثالث عشر من هذه الموسوعة غاية في الضعف والوهن والانحلال (راجع مصر القديمة الجزء الثالث عشر ص ٦٨٦ - ٦٩٤) . وقد زحف الاسكندر على رأس جيش قوامه ثلاثون ألف راجل وخمسة آلاف فارس . بدأ الاسكندر بفتح « آسيا

الصفري « التي كان يدافع عنها الفرس بجيش عظيم يبلغ نحو أربعين ألف مقاتل فاكسح الاسكندر الجيش الفارسي أمامه واستولى على بلاد « آسيا الصفري » الواحدة تلو الأخرى ، ووضع في أقاليمها النظام . وتوجت انتصارات الاسكندر بفوزه الساحق في موقعة « أسوس » التي كان من نتائجها أن بدأ « دارا » في مفاوضة الاسكندر في شروط صلح بعد أن أخذ أمه وزوجه أسيرتين ، ولكن الاسكندر لم يقبل منه الا التسليم التام دون قيد أو شرط . ولقد كان في استطاعة الاسكندر أن يتابع زحفه أثر « دارا » الى قلب بلاد الفرس نفسها ويقضى عليه قبل أن يؤلف جيشا آخر لمحاربته ، ولكن الاسكندر أظهر عظمته في اتباع خطة أخرى تنطوي على حسن روية وتدبر وبعد نظر ، وذلك لأن أسطوله لم يكن قويا بدرجة كافية وثانيا أنه من بادىء الأمر رأى أن يخضع أولا « آسيا الصفري » ثم يتبع ذلك فتح سوريا ومصر . وهانحن نراه الآن يعد من الحنكة وسداد الرأي أن يستولى على سوريا ومصر قبل أن يسعى الى فتح بلاد « ما بين النهرين » كان أعظم هدف له في سوريا هو الاستيلاء على بلاد فينقيا وبخاصة مدن « صور » و « صيدا » و « أرادوس » وقد خضعت « صيدا » للاسكندر دون عناء كبير ، ولكن « صور » قاومت جيوش الاسكندر مقاومة عنيفة والواقع أن الحصار الذي ضربه الاسكندر على هذه المدينة كان أصعب عمل حربي قاوم عبقرية الاسكندر طوال مدة حروبه . وبسقوط هذه المدينة أصبحت « سوريا » و « مصر » وكذلك السيادة البحرية في شرفى البحر الأبيض المتوسط في متناول « الاسكندر » . ولا ريب في أنه لم يقابل أية مقاومة في زحفه جنوبا نحو مصر الى أن وصل الى « غزة » التي كانت ترابط فيها حامية قوية ضخمة . وكان حاكم هذه المدينة وقائد حاميتها من قبل « دارا » هو خصى يدعى « باتيس » وكان على غير المألوف خصيا قويا عنيدا . فهاجم الاسكندر غزة من كل جهاتها بالمنجنيق والألغام والمقذوفات

قتلتم الجدران في مواضع عدة ومع ذلك فان المدافعين عن الحصن كانوا باستمرار يصلحون ما أفسده المهاجمون. وقد حاول الاسكندر مهاجمة هذا الحصن ثلاث مرات متتالية ورد على أعقابها في كل محاولة منها بما أظهره أهل « غزة » من بطولة فادرة وشجاعة فائقة ، وفي نهاية الأمر بعد أن ثلثت جدران المدينة للمرة الرابعة جدد الاسكندر هجومه على الحصن فقاوم جنوده الشجعان بروح متقد وبسالة جبارة حتى آخر قطرة من دمائهم ، وخوا صرعى كلهم في أماكن دفاعهم ولم يبق منهم من يقع في ذل الأسر الا واحد وهو أمير البلد الخصى « باتيس » وقد أتى به الى الاسكندر جريحا لا تزال تتردد فيه أنفاس الحياة فألقى عليه الاسكندر نظرة ملؤها الحنق والنقمة لما لاقاه منه من عنت وعناء وشدة ومقاومة والواقع أن الاسكندر قد تثبت في حصار هذه المدينة ، وصمم على الاستيلاء عليها ليرهن للعالم أنه يتغلب على صعب وأهوال لا قبل لغيره بها . ولا نزاع في أن جيش الاسكندر قد تكبد خلال حصار هذه المدينة خسائر فادحة ، هذا فضلا عن أنه أمضى مدة طويلة في حصارها تحمل خلالها متاعب كثيرة قبل أن ينظر بالتغلب على حصونها . ولا نزاع في أن اكليل النصر في حصار هذه المدينة التي غلبت في النهاية على أمرها كان لا بد أن يكون من نصيب الأقلية المغلوبة لامن نصيب الحشود العظيمة المنتصرة بكثرتها . يضاف الى ذلك أن الخذلان المتكرر الذي أصاب جيش الاسكندر في أثناء هجماته كان من غير شك قد وخز الاسكندر في أرق موضع من مشاعره ، وبخاصة أنه نفسه قد جرح جرحا بليغا أثناء الهجوم ، هذا فضلا عن أنه نجا بأعجوبة من خنجر عربي ادعى أنه هارب من معسكر العدو . وكان من جراء كل هذه الأحداث الفاجعة مجتمعة أن اشتد غضب الاسكندر الى أقصى حد على الخصى « باتيس » الأسود الغليظ الجسم عندما مثل بين يديه وهو ملطخ بالدماء والأوساخ . وماذا هو فاعل به الآن هو وأهل المدينة العزل ؟. شفى الاسكندر غلته بعد سقوط

المدينة بقتل الألفين من الجنود الذين بموا على قيد الحياة في داخل الأسوار أما بلدة «غزة» نفسها فلم يكن أمامه على قيد الحياة فيها من يصب عليه نار عذابه والتنكيل به الا « باتيس » فأذاقه من العذاب أشد أنواعه ، ومثل به أقطع تمثيل ، لم يسمع بمثله الا عند ملوك آشور غلاظ القلوب ، والواقع أنه كان أشد منهم قسوة ؛ فقد أمر أولا بحرق قدميه ثم وضع حلقات من النحاس عليها ، وبعد ذلك شد جسم هذا الرجل الشجاع الذى كان لا يزال حيا بحبال فى مؤخرة عربة كان يسوقها الاسكندر بنفسه وانطلق بها بأقصى

سرعة بين صيحات الهازئين وهتافات رجال الجيش المتصرين (راجع Curtius IV, 6, 25-3; Dionys. Hal. De Comp. Verdor, P. 123 - 125.

Grote, History of Greece. Vol. XII, P. 84.

ولابد أن نلاحظ هنا أن الاسكندر الذى كان يتنافس حتى وهو فى طفولته فى أعمال بطولة جده الأسطورى « أشيل » ، قد أخذ يقلد فى الوقت نفسه المعاملة الدينية القاسية التى وصفت لنا فى الاليادة كما مثلت على جسم « هكتور » بعد موته (راجع Arrian, VII, 14, 7) ولا نزاع فى أن هذه الجريمة الشنعاء التى ارتكبها « الاسكندر » فى « غزة » قد فاقت حدود ماوقع فى الأزمان القديمة من وحشية وفضاعة وغلظة . أما سائر سلسلةفظائمه التى ارتكبها مع أهالى « غزة » فقد كانت على حسب العرف الجارى فى زمانه . فنجده قد باع زوجات وأولاد أهل « غزة » عبيدا وسمح لسكان جدد من الجهات المجاورة باحتلال المدينة ، ثم وضع فيها حامية من أجناده (Arrian, VII, 14, 7) وتدل شواهد الأحوال على أن الحصارين اللذين نصبهما الاسكندر حول « صور » و « غزة » قد استغرقا مدة تسعة أشهر ، وأن الحرب التى دارت رحاها حولهما تعتبر أقسى حروب عرفها الاسكندر طوال مدة حياته .

الزحف على مصر : ولا نزاع فى أن الزحف على مصر المسالمة بعد خوض حروب طاحنة كحصار « صور » و « غزة » لم يكن الا بمثابة نزهة نصر

لجنوده . وعندما بدأ زحفه على مصر حوالى أكتوبر سنة ٣٣٢ ق.م كان « مازاكس » شطربة الفرس على مصر لا يملك تحت قيادته الا عددا قليلا من الجنود الفرس هذا بالاضافة الى أهل مصر الذين كانوا ساخطين على الحكم الفارسي فى أواخر أيامهم ومن أجل ذلك لم يكن « مازاكس » مستعدا لمقاومة غزو الاسكندر الذى كان على الأجواب . زحف الاسكندر بجيشه من « غزة » على مصر فوصل الى الحدود المصرية بعد مسيرة سبعة أيام وعسكر فى « بلوز » (الفرما) حيث الحامية المصرية التى تقع على الحدود وتشرف على الفرع الشرقى للنيل وكان أسطوله قد وصل عند مصبه بقيادة أمير البحر « هفاستيون » (Hephaestion) ومن المدهش أن الاسكندر عندما وصل الى مصر لم يجد أبوابها مفتوحة له وحسب بل رأى حشودا من المصريين قد تجمعوا ليرحبوا به بقدومه (راجع : Arrian, III, 1, 3; Curtius, IV, 3, 1, 2; Diodorus, XVII, 49).

وكان أول عمل قام به الاسكندر فى أرض الكنانة أنه وضع حامية من جنوده فى « بلوز » وأمر أسطوله بالصعود فى النيل الى « منف » وزحف الاسكندر بجيشه البرى كذلك اليها . وهناك سلم الشطربة « مازاكس » نفسه كما سلم كل ما فى المدينة من كنوز ومتاع . فاستولى الاسكندر على ثمانمائة تالنتا من الذهب وعدد كبير من الأثاث الفاخر . أمضى الاسكندر بعد ذلك بعض الوقت فى « منف » حيث توج ملكا على مصر فى احتفال عظيم قدم فى خلاله ضحايا فاخرة للآلهة عامة كما قدم قربانا للعجل « أيس » وأقام مباريات رياضية وموسيقية هناك ، وأحضر من بلاد الاغريق أشهر المغنين لهذه المباريات بمناسبة عيد تتويجه فرعوناً على مصر ، وبذلك أظهر الاسكندر نفسه فى دور السياسى الذى يرغب فى التقريب بين الشرق والغرب ولا عجب فى أن يقيم احتفال تتويجه فى « منف » فقد كانت منذ أقدم العهود المكان المختار لتتويج فراعنة مصر وقد ظلت كذلك حتى نهاية العهد الفرعونى

وبعد الاحتفال بتتويجه انحدر الاسكندر من « منف » في أقصى فروع النيل وهو الفرع الكانوبى حتى مصبه ومن هناك أقلع في اتجاه غربى على الشاطئ لبشاهد كلا من جزيرة « فاروس » ، التى اشتهرت فى شعر « هومر » وبحيرة مريوط

تأسيس مدينة الاسكندرية : ولقد لفت الاسكندر أثناء مسيره فى فرع النيل هذا قرية « راکوتيس » (راقوده) (١) الصغيرة المشهورة وقتئذ بصيد الأسماك . وقد وجد بعض الأثريين فى موقع هذه القرية بقايا مباني ميناء قديم على زعمهم ، غير أن فريقا آخر من الأثريين قد دحض هذا الاستنباط وعلى أية حال فإنه لم يكن فى هذه البقعة ما يجذب نظر السائح العادى فى خلال القرن الرابع قبل الميلاد عندما فكر الاسكندر فى انشاء ميناء بحرى فيها ، اذ كانت عبارة عن ساحل منخفض عليه جزيرة صغيرة بعيدة عنه أقيم عليها قرية لا أهمية لها يسكن فيها جماعة من صائدى الأسماك . والواقع أنه لم يكن فى منظرها ما يوحى بقيام مدينة عظيمة كالاسكندرية بعد فترة قصيرة من الزمن . ومع ذلك فإن هذا الموقع هو الذى اختلوه الاسكندر ليكون البقعة التى عزم على أن يؤسس فيها المدينة الهائلة التى أقامها على ثرى مصر . وقد كان يشعر أنه بعمله هذا كما يقول بعضهم سيقوم برسالة خاصة لبلاده ، وهى نشر الثقافة الاغريقية فى بلاد الشرق ، وقد يكون من السهل أن نستنبط مثل هذا رأى لأن الاسكندر كان من أعظم عبقریات التاريخ كما كانت الاسكندرية تعد من أعظم مدن العالم القديم وأهمها موقعا من حيث التجارة البحرية . والواقع أن نجاح انشاء هذه المدينة يرجع الفضل فيه أولا وآخرا الى ذكاء هذا الرجل الفذ فى آرائه وتصميماته ، وأنه لمن السهل كذلك على أولئك الذين لا يهتئون الا اذا عارضوا فكرة أجمعت

(١) وكانت « راقوده » هذه اكبر القرى الصغيرة التى حولها عددها ست عشرة قرية .

الآراء على صحتها ، وأعنى بذلك الذين يجادلون بالقول من السهل عليهم أن يدعوا أن أهمية تأسيس الاسكندر لهذه المدينة جاء نتيجة لأسباب لم تخطر على بال الاسكندر قط . ولكن الاسكندر على الرغم من حزمه وشدة اندفاعه كان صاحب حكم صائب هادى ونظرة ثاقبة لا يضارعه فيها الا قليل من رجال السياسة والحكم . ونحن على يقين من أنه قد اختار موقع مدينته الجديدة لأسباب كافية . وأول ما يتبادر للذهن أنه قد تأثر (كما قيل حديثا) ببعض أوجه الشبه بين موقع الاسكندرية وموقع « صور » من حيث الدور الذى تقوم به هذه المدينة الأخيرة من الوجهتين التجارية والبحرية فى البحر الأبيض المتوسط (راجع

B. A. Van. Gorigen, à propos de La Fondation d'Alexandrie, in *Rac-calta de Scritti in Onori di Giacomo*, 200-211.

هذا ويقول بعض المؤرخين القدامى ان خيال الاسكندر كان ميالا للتأثر بكل المؤثرات التى جاءت فى أقوال الشاعر الاغريقى « هومر » وكان كذلك يحلم بتأسيس ميناء على البحر الأبيض المتوسط المصرى وأن اختياره قد وقع أولا على جزيرة « فاروس » بوصفها المكان اللائق للمدينة التى أراد اقامتها (راجع Curtius, IV, 8, 1-4 ; Plutarch Alexand. 26)

غير أنه رأى بثاقب بصيرته فى الحال أن هذه الجزيرة الصغيرة ليست كافية وحدها لاقامة مدينة عظيمة عليها ، ومن أجل ذلك أضاف إليها جزءا كبيرا من اليابسة المجاورة لها ، هذا وقد استشيرت الآلهة فى صلاحية هذا الموقع وكانت اجابتهم مرضية مشجعة له على زعمهم ، وعلى ذلك وضع الاسكندر بنفسه تخطيط المدينة ، فوضع محيط دائرة جدرانها واتجاه شوارعها الرئيسية ومواقع المعابد العدة لعبادة الآلهة الاغريقية والمصرية (راجع Arrian III, 1, 8; Curtius IV. 8, 2-6 ; Diod. XVII, 52, Grote, Vol. 12. P. 82.

غير أن الاسكندرية في موقعها الحالي كان لها فوائد أكثر قيمة مما سبق ذكره ، وذلك أن الموانئ الرائعة ذات الشهرة العظيمة في الأزمان الهيلانية والاغريقية أصبح وجودها ممكنا بفضل انشاء المباني الضخمة ، ولكن ساحل الاسكندرية والجزيرة القريبة من الشاطئ قد سهلا قيام ميناء لا تحتاج الى مبان . وذلك لأن بحيرة « مريوط » المتصلة بالنيل والواقعة خلف الموقع المختار للميناء قد هيأت انشاء ميناء مأوها عذب ويمكن الوصول اليها من البحر ومن النيل . يضاف الى ذلك أن التيار في البحر الأبيض المتوسط المتجه نحو الشرق جعل الموانئ الأخرى الساحلية قابلة لأن تطم بفرين النيل ولا تؤدي الوظيفة التي من أجلها أقيمت . وعلى العكس نجد موقع الاسكندرية خاليا من هذا العيب . ومن المحتمل أن هذه الحقيقة الهامة كان قد عرفها « الاسكندر » عن طريق اغريق مدينة « ققراش » ومن الجائز أنه كان في ذهن « الاسكندر » سبب سياسى دفعه الى بناء هذا الميناء . وذلك أن « راقودة » لم تكن لها علاقات خاصة أو امتياز معين لأهلها ، ومن ثم رأى « الاسكندر » أن قيام مؤسسة هيلانية في هذا المكان يمكن أن تشب وتترعرع فيه ثقافة هيلانية بعيدة عن التقاليد المصرية المتوارثة . غير أن هذا الرأى يتضارب مع آراء « الاسكندر » التي عرفت عنه فيما بعد فقد كانت سياسته عدم التفرقة بين العناصر كما سنرى بعد . وعلى أية حال فان الاسكندر كان يقصد باقامة مؤسسته الجديدة أن يجعلها تمثل مكانة ميناء « صور » غير أن جوريجن (Op. cit. P. 210 FF) يذهب الى أن آراء الاسكندر في هذا الموضوع قد تغيرت فيما بعد ، وعلى ذلك فمن المحتمل أنه لو عاش لأصلح ميناء « صور » وأعاده الى حالته القديمة ، ومن ثم فان موت الاسكندر في واقع الأمر هو السبب الوحيد الذى ضمن للاسكندرية بقاءها وشهرتها الفاتكة التي وصلت اليها في عهد البطالة الذين خلفوه على عرش أرض الكنانة ، وهذا الرأى قد يكون ممكنا غير أنه قبل

كل شيء فكرة فحسب .

وعلى الرغم من أننا وجدنا الاسكندر الأكبر عام ٣٣١ ق.م كان يشعر بضرورة وجود الوحدة بين الشرق والغرب ، فانه كان في فرة نفسه قبل كل شيء مقدونيا لحما ودما ، كما كان في الوقت نفسه القائد الأعلى للشعب الاغريقي وبطل أوروبا المناهض لآسيا . ولكن لما كانت فتوحه قد امتدت بعيدا في قلب الشرق فانه على أغلب الظن أخذ يشعر في أعماق قلبه أنه هو خليفة الملك العظيم عاهل الفرس ، وأن بلاد الاغريق ومقدونيا لم تكن الا جزءا صغيرا من ممتلكاته المترامية الأطراف ، ومن أجل ذلك فطن الى أن وجود ميناء على البحر الأبيض المتوسط تربط مباشرة بين أجزاء أملاكه الآسيوية والأوروبية مثل « صور » ، يمكن أن يكون أكثر فائدة من ميناء آخر بعد جدا مثل الاسكندرية . والواقع أنه عندما لاقى الاسكندر حتفه عام ٣٢٣ ق.م كانت الاسكندرية الميناء الذي قدر له الحظ أن يكون خلفا لميناء « صور » من حيث السيادة التجارية في شرقي البحر الأبيض المتوسط . وستسنع لنا الفرص للتحدث عن الاسكندرية في أماكن عدة فيما بعد .

زيارة الاسكندر الأكبر لواحة سيوة والغرض منها :

تعد رحلة الاسكندر الأكبر الى واحة سيوة لزيارة معبد « أمون » ثاني حدث عظيم وقع في مصر في أثناء مكثه فيها . وتدل شواهد الأحوال على أن الاله « أمون » في واحة سيوة لم يكن له شأن يذكر في العهد المتأخر من تاريخ مصر الى أن جاء الملك « أوكوريس » وأخذ في أحياء عبادة هذا الاله ، وهذا الملك يعد أول ملك مصري ظهر اسمه في النقوش المصرية على معبد هذه الواحة ، فمنذ زمن أعيد بناء معبد « أغورمي » الذي لم يكن في الواقع على الطراز المصري ومنذ عهد « أوكوريس » أصبح ذا طابع مصري راجع ولم يكن زحف « أوكوريس » (A.Z. 69, P. 1 FF, P. 7 FF & P. 21 F).

على الجزء الغربى من بلاده الا سياسة خارجية اذ لانزاع فى أن واحة « آمون » هذه لم يكن لها معنى وقتئذ لدى مصر والمصريين فقد قال أحد المؤرخين (راجع مصر القديمة الجزء ١٣ ص ١٦٧) أن واحة « آمون » ليس لها على ما يظهر علاقة بأمون المصرى ولكن كانت مكاتته ثانوية اذ قد حل محله بوساطة الفنيقيين الهمم المسمى « بعل هامون » وهذا الاله قد طوى فى عالم النسيان (أقرن كتابة واحة « آمون » بتشديد الميم بكتابة « آمون » المصرى بميم غير مشددة) والواقع أن واحة « آمون » كانت بالنسبة للمصريين عند قرن الهما « بأمون » طيبة شيئا لا يذكر ، ولكن من جهة أخرى كانت لها قيمتها عند المصريين من الوجهة السياسية العالمية ، وبخاصة أن « آمون » الصحراء الذى كان على الطريق الموصل الى « كرنيقا » منذ القرنين السادس والخامس ، على جانب عظيم من الأهمية البالغة فقد طلب اليه « كروسوس » المشورة قبل هجومه على « كورش » (راجع Herod. I, 46) وقد وفر على « قمبيز » كما قيل نصرا يستحق الذكر . هذا وقد أهدى الشاعر الاغريقى « بندر » « آمون » اللوبى أنشودة (راجع Frag. 36 (Schroeder; (Cf. Pind. IX, 89; Pausanias, IX, 16, 1) وكذلك أرسل « كيمون » الاغريقى قبل ذلك بقليل (٤٥٠ - ٤٤٩ ق.م) الى « آمون » رسولا لاستشارته (راجع Plut. Kimn., 18) كما سعى « ليسندر » لغرض فى نفسه ليجعل « آمون » فى خدمته (راجع Diod. XIV, 13,5) وقد كان من جراء اهتمام الفرعون « أوكوريس » وحمايته لهذا الاله أن علا نفوذه فى كل العالم الاغريقى . ومن ثم تفهم أهميه زيارة الاسكندر لهذا الاله ، فانه كان قبلة الملوك والشعراء من الاغريق وغيرهم ، كما كان يعد عند المصريين أعظم الآلهة وأرفعها قدرا فأراد الاسكندر أن يجعله سلما يرقى فيه لما تصبو اليه نفسه من مجد وفخار . والواقع أن أعماله العظيمة التى أتمها فى مدة ثلاث السنوات الأخيرة قد

فاقت ما يمكن أن يصل اليه فرد من البشر ، ولا شك في أن الآلهة على زعم الأقدمين قد حابته بحسن حظ متلاحق حتى أنه شل قوة أعدائه وقضى على آمالهم لدرجة أنهم نظروا الى شخصيته على أنها فوق شخصيات البشر ، وكان هذا هو التفسير الطبيعي لمثل حياة الاسكندر التي تخطت حدود حياة البشر (راجع Diod. XVIII, 36) . ومن ثم أخذ الاسكندر يرجع بصره للأساطير التي كانت تنطوى على ضروب البطولة وبخاصة سلفيه «برسيوس» (Perseus) و « هيراكليس » ليجد لنفسه نظيرا يلائمه في حياة الآلهة ، وذلك بعد أن أخذه الفرور بنفسه (راجع Arrian III, 3, 2) . وتدل شواهد الأحوال على أنه صار ابن « زيوس » مثلها وأنه لا فرق بينه وبينهما الا أنه خلق من طينة بشرية اسما ، ومن أجل ذلك وطد العزم على أن يذهب ويؤكد هذه الحقيقة باستشارة وحى « زيوس آمون » . وقد أكد لنا المؤرخ « كاليستينيس » الذى كان يرافق الاسكندر ضمن حاشيته وقتئذ أن فكرة استشارة هذين البطلين لوحى « آمون » قبل شروعاتهما فى أعمالها العظيمة كانت من الأسباب الرئيسية التى حثت الاسكندر على القيام برحلته لواحة « آمون » فى « سيوه » (راجع Strabo. XVII, 814) وقد كان فى الواقع يقصد من هذه الزيارة كما سنرى أن يكون فرعون مصر والهها حتى تخضع له مصر كما خضعت للفراغة الذين سبقوه .

وقد استعرض كل من المؤرخين « أريان » و « استرابون » بصورة حسنة على حسب ما ذكره المؤرخ « كاليستينيس » ، الدوافع التى جمعت الاسكندر يصمم على الوقوف أمام وحى « لوبيا » . وكان قد مثل أمامه من قبل كل من «برسيوس» و «هيراكليس» . وتقول تقاليد سلالة الاسكندر أنه منحدر من نسلهما فى آن واحد ، وكلاهما ابن « زيوس » وامرأة من البشر . وكان جده الذى زاره على غرار أجداده أنصاف الآلهة (راجع

Callisthenes, Frag. dans Muller-Diot. Scriptones rerum Alexandrie Magni, P. 26-27; (Cf. Strabo, XVI, 1, § 43, P. 813; & Arrian Anabase III, § 2).

وقد كانت واحة سيوة يحتلها المصريون خلال العهد الطيبي ، وكان مثلها كمثل كل المستعمرات الطيبية يحميها نفس حامى العاصمة أى « آمون » أو « آمون رع » (راجع . (A.Z. 1877. P. 14-17) والواقع أنه لو كانت رغبة الاسكندر فى أن يكون ابن الاله « آمون » وحسب لكان فى امكانه أن يحصل على ذلك من كهنة الكرنك بدلا من قيامه بالرحلة الشاقة التى كانت تكنفها المخاطر فى الصحراء وذلك برحلة نيلية ممتعة ، ولكن « آمون طيبة » لم يكن معروفا خارج دائرته الا من القليل وعلى ذلك لن يكون لرحلة الاسكندر نفس الصدى الذى يريد أن يحدثه فى ذهن العالم الاغريقى وغيره وقتئذ وذلك لأنه كما ذكرنا سابقا كان اله الواحة موضع استشارة الاغريق منذ قرون مضت وقد تغنى بمدائحه شعراؤهم وتمدح بمناقبه مؤرخوهم ، واذا كان هذا الاله قد ظل يحمل اسم « آمون » عند المصريين فانه كان يسمى فى الممالك الأخرى التى على ساحل البحر الأبيض المتوسط باسم « زيوس » ، وذلك لأن الاله « زيوس » الذى أصبح مرادفا لامون كان فى مقدوره أن يتحدث الى البلاد الهيلانية وهى من ناحيتها تصفى اليه ولقد كان من واجب « آمون » أن يرشد « الاسكندر » الى نفس الطريق التى يصل بها الى تأليه كما وصل الفراعنة من قبل ذلك . ونحن نعلم بصورة عامة مما وصل اليها من كثير من الكتاب معاصرى « الاسكندر » مثل « كاليستيس » و « بطليموس بن لاجوس » ومن المحتمل كذلك « ارستوبوليس » الذين رافقوه فى رحلته .

فقد تحدث كثيرا « بطليموس الأول » عن حوادث هذه الرحلة الى واحة « سيوة » ووصفها لنا . ومن بين القصص الغريبة فى ظاهرها أسطورة مقابلة

رجال الرحلة الثعبانين اللذين أرشدا المقدونيين الى الطريق السوى بعد أن ضلت الرحلة السبيل في مجاهل الصحراء . وكذلك يعزو « كاليستينس » ارشاد حملة الاسكندر الى السبيل الصحيحة الى غرايين ، وقد عزز فوله هذا ما ذكره لنا «ارستوبول» وغيره (راجع Callisthenes, Frag. 27 in Muller Scriptones rerum Alexandri Magni. P 26-27.)

والواقع أنه لا يوجد كثير من بين القدماء أو الأحداث ممن يفهمون كيف يمكن لانسان من طراز « بطليموس » أن يصدق مثل هذه الأعجوبة . وقد حاولوا أن يفسروا أمثال هذه الظواهر بوسائل عليا فوق طاقة فهم البشر . وقد كان الأجدر بهم أن يفحصوا عن صحة هذا الحادث وأن الصورة المبالغ فيها وهى التى رواها المؤرخون الذين جاءوا فيما بعد تخفى فى طياتها حقيقة بسيطة فى الأصل . فقد قص علينا أحد الأوروبيين من القلائل الذين اخترقوا الصحراء فى أيامنا قاصدين واحة « آمون » كيف أنه ذات ليلة قد واصل مرشده السير لمدة من الزمن وبعد ذلك رأى غرايين يحلقان فى الفضاء لمدة قصيرة ثم طارا نحو الجنوب الغربى أى فى اتجاه واحة « آمون » .

وقد أضاف هذا السائح قوله : اذا كنا قد عشنا فى عصر الأساطير لكان فى مقدورنا أن نرى فى ذلك علامة كافية للطريق السوى وتبعنا هذين المرشدين الخيرين . ومن يدري فقد يكونان من الغربان المتناسلة من تلك التى دلت الاسكندر الى واحة « آمون » وخلصته من أهوال عزلة لا سبيل فيها . والواقع أننا كنا لا نضل الطريق لو اقتفينا أثر الغرايين ولكننا فضلنا ألا نستسلم للخيال وانتظرنا عودة البدوى مرشدنا (راجع Balyle Saint John, Adventures in Libyan Desert and the Oasis of Jupiter Ammon, P 69) .

هذا وكان على جيش من الفرسان يقطعون الصحراء بطبيعة الحال أن يطلقوا حيوانا من كل نوع وكانت هذه طريقة على ما يظهر لارشادهم

وكان يكفى ظهور غرايين أو ثعبانين أو هما معا لارشاد الحرس الى الطريق التى قدوها ليحمل الاغريق دون انقطاع يرصدون الاشارات الضئيلة التى تكشف لهم عن تدخل الآلهة فى أحوال البشر ، وهى اعتبار هذه الأشياء بمثابة رسل أرسلها « آمون » الى ابنه « الاسكندر » . أما المصريون واللوبيون الذين كانوا يقدر « الاسكندر » ورجاله فانهم كانوا على معرفة تامة بهذه الأساطير الخاصة بالحيوانات التى تساعد البشر والتى كانت تنقلهم الى عالم الآخرة . وكان المصريون ينسبون ذلك على الأقل الى ست من الحشرات أو الطيور (وهى الزنبور والجرادة وفرس النى والأوزة وبنت البحر والصقر) وكان عليها أن ترشد الأرواح على رمال لوبيا حتى الأقطار التى تسكنها الأموات الأوزيرية (راجع Lefebure, Etude sur Abydos in Proceedings of the Society of Biblical Archeology, 1892-1893, Vol. X. P. 135-151.)

على أنه فى أيامنا هذه نجد أن الجمل يتجه نحو المكان الذى فيه الماء فى الصحراء على مسيرة عشرة أيام . ومن ثم نرى أن دهشة القدامى والأحداث لا مبرر لها ، اذ الواقع أن زحف الثعابين وطير الطيور أمام الجيش كان أمرا عاديا فى حد ذاته ، ولا بد أن « بطليموس الأول » كان متعمقا جدا فى أراء زمنه لدرجة أنه لم يقبل عن طيب خاطر التدخل الإلهى الذى نسب لأمون فى هذا الحادث . والواقع أن التفاصيل الغريبة التى نسجها خيال الكتاب حول هذا الحادث قد ظهرت له غير محتملة الوقوع ولم يذكر لنا «بطليموس» الا عبارة قصيرة عن استقبال الفاتح . وقد أظهر الاسكندر نفسه فى صورة الرجل الحازم واقتصر على أن قرر أن الآله قد منحه الجواب الذى يرغب فيه وحسب (راجع Arrian Anabase. III, IV § 5) (١) وقد ذكر لنا

(١) فيلسوف ومؤرخ اغريقى عاش فى القرن الثانى الميلادى ولد فى «نيكومديا» من أعمال « بثنيا » كتب تاريخ الاسكندر الأكبر وسماه « اناباس » (Anabase) وقد أصبح قنصلا وقد كتب كذلك كتاب

« كاليستينيس » عن هذه الرحلة أكثر مما ذكره « أريان » واليه يرجع الفضل في أنه أصبح في امكاننا أن نتصور على وجه التقريب المقابلة التي كانت بين « أمون » و « الاسكندر » . ولا شك في ان الحفل كان غريبا في نظر الاغريق الذين زاروا المعبد مع « الاسكندر » . وذلك لأن تمثال الآله « أمون » الذي نصب في قدس الأقداس كان كتلة من الزمرد وكثير من أنواع الأحجار نصف الكريمة الأخرى ، هذا الى أن الطريقة التي كان يستشار بها وحى « أمون » كانت غريبة ، فقد كان يقعد التمثال في وسط قارب كبير مذهب يكلف بحمله ثمانون كاهنا على أكتافهم عند مغادره الآله المحراب ، وكان التمثال عند مخاطبته يوميء الى حامله بإشارة برأسه الى الطريق التي يريد أن يسلكها ، وكان يرافقه جم غفير من النساء والمغازي على طول الطريق منشدين الأناشيد بلغة أمهاتهم . ولم يسمح الكاهن الأعظم الا للاسكندر وحده بالدخول في المعبد بملابسه العادية أما أتباعه فقد حتم عليهم أن يغيروا ملابسهم ويقفوا خارج المحراب ، في حين أن سيدهم قد دخل المحراب ليسمع مصيره . وعندما وقف الاسكندر أمام الباب قابله وحياء قائلا : « يا بني » . وقد قيل له أن هذه التحية جاءت من قبل الآله . وقد أجاب الاسكندر بقوله : « اني أقبل هذا القلب ياوالدى ، ومنذ هذه اللحظة سأدعو نفسي « ابنك » . فهل تمنحني أن أملك الأرض قاطبة ؟ » ثم دخل الكاهن في المحراب وأدخله فيه معه . أما الرجال الذين كانوا يحملون القارب المقدس فأخذوا يتحركون بإشارة من الآله وبكلمة منه . والظاهر أن « آمون » في معظم الأحيان لم يكن يعبر عن ارادته بالكلام مثل ما يفعل « أبولون دلفي » أو « أبولون براخيدس » ، ولكن مثل زيوس « دودوني » (Dodone) (وهي قرية قديمة في « أيروس » بالقرب من قرية « دراستي » الحالية وكان فيها معبد للاله « جوبيتر » بالقرب من غابة بلوط وكان يؤدي فيها الوحي)^(١)

VII Fragm : وكان يجب على الأسئلة التي توضع له بإيماءات برأسه أو بإشارات متفق عليها . ولا نزاع في أن الكاهن (خادم الاله) كان هو الذى يقوم بدور المترجم . ولكن في هذه المرة تكرم الاله بالكلام . وعندما خاطب الكاهن الأكبر التمثال ووضع له السؤال أعلن التمثال بقوة أنه منحه مايرجوه ؛ فسأل « الاسكندر » : اذا كان هناك فرد من قتلة والده قد أفلت من العقاب فصاح الكاهن : لا تسب الدين قط لأنه لا يمكن لبشر أن يأتى شيئا ضد والدك ، وعلى أثر ذلك غير صورة السؤال الذى وضعه أولا وقال : هل كل قتلة « فليب » قد لاقوا عقابهم ؟ . فأكد له الاله أنهم كلهم قد لاقوا جزاءهم ، ثم أضاف أن النصر سيكون له حليفا أمينيا في المستقبل ، كما كان في الماضى . وكان الاسكندر مرتاح البال راضيا بكل ما قيل له ؛ ومن أجل ذلك أغدق على الاله وكهنته هبات فاخرة (راجع مختصرا لهذه القصة في (Strabo XVI, 1, § 43. P. 813)

ولا نزاع في أن هذا المنظر يعبر عن حقيقة أخاذة لأولئك الذين اعتادوا المناظر الدينية المصرية . اذ الواقع أن الحفل والخطاب كلاهما يتفق مع الشعائر المصرية التي كانت تقام في المعابد ، ويمكن الانسان أن يتتبع تطور هذا الموضوع مرحلة مرحلة في المناظر المصرية القديمة وفي النقوش الهيروغليفية أيضا .

والقليل الذى بقى لنا من خرائب معبد واحة « سيوة » يعطينا فكرة واضحة جدا عن معبد يشبه معبد الواحة الطيبة الكبرى ، وهي التي وصل اليها عنها أوصاف مفصلة كثيرة ومعلومات دقيقة (١) . ولا بد من أن نلاحظ هنا أن متن الواحة الخارجة هو المتن الذى يقدم

(١) Cailliaud, Voyage à L'Oasis de Thebes, 1822-1860, راجع
Hoskins, A visit to the Great Oasis of the Libyan Desert ; Brugsch,
Reise nach der Grossen Oase, El Kharga, 1878.

لنا بصفة تامة صورة مفهومة عن عبادة « آمون » في الواحة . ولابد من أن معابد الواحة كانت قد أصلحت وزيد فيها في العهد الفارسي وما بعده كما ذكرنا آنفا . ولما كان « آمون » هو نفس الاله الذى كان يعبد هناك في كل بقعة فان التصميم العام لمعبد « آمون » وترتيب أجزائه هنا كان واحدا . فقد كان « آمون » يعيش في ظلام دامس في آخر حجرة بالمعبد أى في « قدس الأقداس » . وكان قاربه موضوعا على مذبح أو بعبارة أخرى على قاعدة من الحجر أو من الخشب مكعبة الشكل في وسط « قدس الأقداس » .

وهذا التمثال كان يصنع من الذهب أو على حسب التعبير الكلاسيكى من الخشب المغشى بالذهب (راجع Diod. XVII, 50, § 6) . وكان لابد من أن يكون طوله أقل من طول الحجرة التى تحتويه بمتريين أو ثلاثة . ومن أراد أن يرى هذا التمثال مصورا فما عليه الا أن يرى صورته في معبد الأقصر أو في معبد الكرنك بكل تفاصيلها ومعها التعابير التى استعملها « كاليستيس » في وصف التمثال ، وقد جاءت غاية في الدقة . فقد قال انه كتلة من الزمرد والأحجار الأخرى الثمينة ، ومن ثم يجب أن تتصوره كما تتصور أحد تلك الأصنام المركبة التى أتى ذكرها في متون دندرة مثلا فكان جسمه يحتوى على قطع من مواد مختلفة ركبت على أصل من الخشب أو البرونز ، ولا أدل على ذلك مما جاء في أحد متون « دندرة » من تعداد المواد المعدنية وبخاصة الأربعة عشر جزءا التى يصنع منها جسم . أوزير » (راجع Mariette Dendarah, P. 127, & t. IV, Pl. 36, 1. 54, 599, t. III, Pl. 30 C. I. 6-73.

والزمرد الذى كان شائع الاستعمال وقتئذ لم يكن على وجه التأكيد الزمرد الحقيقى الحديث بل كان من « الفلدسبات الأخضر » المصرى . وقد كانت تماثيل الوحي تصنع بطريقة تجعلها تجيب بعدة حركات كهز الرأس وتحريك الذراعين أو اليدين وفى العادة كانت التماثيل تجيب عن الأسئلة برفع الرأس

أو بجعله ينحنى بثقل مرتين . وكان يراد من التمثال أن يجيب في حالة الإثبات بكلمة « نعم » ولكن عند النفي كان التمثال يبقى دون حركة . وكان التمثال يتكلم أحيانا ، ولكن ذلك كان نادرا ، وبخاصة عندما كان يخاطبه ملك . وعندئذ كان يسمع صوته يدوى في نهاية المحراب . هذا وكان هناك كاهن يشد الحبل الذى يجعل الرأس أو الذراعين تتحركان إشارة الى ما يريده الوحي . وقد كان كل واحد يعرف تلك الحيل التى يقوم بها الكاهن ومع ذلك لم يكن هناك من يتهم هذا الكاهن بالغش أو بسوء النية، زعما بأنه آلة للاله ولكنه آلة مسيرة لا مخيرة ولا تمى شيئا ، وكان الكهنة يزعمون أن الروح الأعلى يسكن الكاهن فى اللحظة المرغوب فيها الاجابة وعندئذ كان يهز الخيوط أو يحرك شفتيه . ومن ثم فانه كان يحرك يديه أو يتكلم ، ولكنه هو الاله الذى كان يملأ عليه هذه الاشارات أو يوحى اليه بالكلمات (راجع Maspero Etudes de Methol. I. P. 81-91).

راجع كذلك مصر القديمة الجزء التاسع ص ٤٤٩ حيث تجد كلاما مفصلا عن الوحي منذ بدايته . وبعد تقرير كل ماسبق هنا يمكن الانسان أن يفحص عن كل الحفل على ضوء الأصول المصرية القديمة التى كانت متبعة . فاذا كان الاسكندر فعلا فرعوننا حقيقيا قد تعلم منذ نعومة اظفاره واجبات الفرعون وامتيازاته التقليدية فى هذه المناسبة فانه كان عليه أن يذهب مباشرة الى المعبد ويقوم بشعائر احتفال التتويج كما وردت لنا مثلا فى لوحة بيبنخى وهاك النص حرفيا : « ثم سار (أى الملك) الى « تل الرمال » فى « عين شمس » وهناك قرب قرايين عظيمة على تل الرمال فى « عين شمس » فى حضرة « رع » عند طلوعه وتحتوى (أى القرايين) على ثيران بيضاء ولبن وعطور وبخور وكل خشب ذى رائحة جميلة . وحضر متجها الى بيت « رع » . ودخل المعبد بدعاء عظيم ، وتضرع الكاهن رئيس المرتلين للاله أن يصد الثوار عن الملك . ثم زار قاعة الصباح لأجل أن يرتدى لباس « سدب » (وهو

لباس (يتنطق به الملك) ، وطهر بالبخور والماء ، وقدمت له أكاليل لأجل بيت
لهرم الصغير ، وكذلك أحضرت له الأزهار . وصعد السلم الى النافذة العظيمة
ليشاهد « رع » فى بيت « بن بن » (الهرم الصغير) وقد وقف الملك نفسه
منفردا وكسر المزلاج حين فتح المصراعين وشاهد الوالد « رع » فى بيت
« بن بن » الفاخر وسفينة الصباح الخاصة بـ « رع » وسفينة المساء الخاصة
بـ « أتوم » ، ثم أوصد المصراعين ووضع عليهما الطين وختمهما بخاتم الملك
نفسه وكلف الكهنة المصريين (قائلًا) لقد فحصت الخاتم ولن يسمح لأى
فرد آخر أن يدخله الخ (راجع مصر القديمة الجزء الحادى عشر ص
٢٧ - ٢٨) .

ولكن الاسكندر لم يكن يعرف شيئا من كل ذلك وقد فطن الكهنة الى
ذلك ورأوا أنه من غير الضرورى أن يقوم بهذه الشعائر الطويلة الدقيقة بل
عاملوه معاملة حاج عادى ، فضلا عن ذلك لم يطالبوه بشميرة الطهور
المعتادة التى كان يقوم بها الأفراد العاديون ، ولكنهم فرضوها على رفاقه ،
وزيادة على ذلك طبقوا عليهم قاعدة تحريم الاقتراب من حجرات المحراب ،
وهى التى كانت محرمة على الاغريق والأجانب وعلى ذلك دخل الاسكندر
وحده مع قائده المقدس (الكاهن) ، وعند أسكفة المبد ألقى الكاهن الخطبة
القصيرة التى يلقيها الآله على كل الملوك . وهى : تعال يابنى من صلبى ،
الذى أحبه حتى أمنحك أبدية « رع » وملك « حور » . أو كانت تلقى
صيغة أخرى تبتدىء بنفس الألفاظ السابقة ، ومثل هذه الصيغ نجد رواياتها
المختلفة على جدران المعابد . ومن المحتمل أن هذه الصيغة كانت قد أُلقيت
بالمصرية ثم ترجمت للاسكندر باللغة اليونانية على ما يظن ، وذلك لأن
العلاقات بين الواحة ولوبيا والبلاد الهيلانية قد جعلت هذه اللغة متداولة
عند أهل هذه الجهة .

ومهما تكن طريقة التعبير فان الصيغة كانت مصرية ولا تشمل الا التعبيرات

العادية الخاصة بالعقيدة والتي كانت تسمى كل ملك في زمنه « الابن المحبوب من كل الآلهة » . وبعد القاء شعيرة السلام كان الكاهن يقدم ضيفه أمام الآلهة . هذا ولم يكن الآلهة ينتظر الزيارة في المحراب بل كان يخرج أمام الملك وذلك على حسب العادة المتبعة عندما كان يستشار في مسألة دقيقة خاصة بالسياسة أو القضاء .

هذا ويلحظ أن الرقم الثمانين الذى أورده « كاليستينيس » دالا على عدد حاملى القارب المقدس مبالغ فيه ، وذلك أن قوارب المعابد الطيبية كان

بحملها اثنا عشر أو عشرون أو ستة وعشرون أو أربعون (راجع L. D. III, 14, 143, 189 a; Descrip. de l'Egypte, A.T. III, Pls. 2-3.)

وإذا كان عدد الكهنة الذين حملوا قارب الآلهة في معبد الواحة صحيحا فلا بد أنهم لم يكونوا كلهم يحملون القارب في وقت واحد بل كانوا يتناوبون حمل القارب وبخاصة عندما تكون المسافة طويلة . هذا ويجب أن نتصور أن القارب كان يقف عند نقطة معينة في المعبد أمام الملك المنتظر ثم يسأل الملك التمثال الذى فى النواوس . وقد كان مثل هذا الحفل يعمل فى الكرنك على رقعة أرض فى المعبد تدعى « رقعة الفضة » ، ومن المحتمل أنه كان يوجد فى كل المحاريب الأخرى ما يشبه « رقعة الفضة » هذه بما فى ذلك معبد آمون بسبوة . هذا ولدينا نقش تاريخى يرجع عهده للأسرة الواحدة والعشرين فى حكم « مينوزم الثانى » قد اتهم فيه موظف كبير بالاختلاس وقد طلب أمام الآلهة آمون فى قاربه وقد سئل الآلهة فيما إذا كان الموظف مذنباً أو غير مذنب وقد أصدر الآلهة حكمه بإشارة برأسه (راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٧٤٩ - ٧٦٦ حيث يوجد هذا الحادث الهام مفصلاً) والواقع أن نفس الطريقة التى أجريت لاختيار الاسكندر فرعوناً قد تمت بهذه الطريقة . فقد أوقفه الكاهن أمام قارب آمون وسأله أن يضع بنفسه السؤال ولكن الآلهة أجاب بصوت جهورى لا بالإشارة . وقد كان التأثير الذى سببته الإشارة

الى قاتل « فليب » والد الاسكندر ، يفهم منها - اذا ظن الانسان الملك هو ابن الاله - أن والده قد قتل فان ذلك يذكرنا بالجريمة الكبرى التي عكرت فيما مضى صفو السماء المصرية وأعنى بذلك قتل « ست » أخاه أوزير . أما من حيث وعد الاله « الاسكندر » بالنصر فانا نجد هذه التعبيرات مذكورة مرات لا عدد لها في خطابات الآلهة مثل « انى أعطيتك الشجاعة ، الى أمنحك السيطرة على كل البلاد وكل الأقطار الأجنبية تحت نعليك الخ ... » .

وهكذا فان كل شيء كان يتفق مع الحفل المصرى ، وعلى ذلك فان كل الأمور تظهر أنها حقيقية مما وصل الينا من المناظر التى نشاهدها رأى العين فى المعابد والوثائق المصرية القديمة . وقد أصبح « الاسكندر » بحق الفتح فرعوننا ، وقد استقبله الاله « آمون رع » بنفس الطريقة التى كان يستقبل بها لفراغة الشرعيين ، وعامله الاله بوصفه ابنه واعترف بأنه والده كما اعترف لذلك لكل الفراغة الذين سبقوه . ولكن يتساءل المرء هل فهم المقدونيون والاسكندر قيمة هذه الأحفال التى نفذت أمامهم « والواقع أنه من المحتمل أن هؤلاء لم يكلفوا أنفسهم مثونة التعمق فى فهم ذلك ، بل اقتصروا على تدوين النتيجة وهى الاعتراف بالأبوية الالهية التى أتوا يبحثون عنها ، وقد ترجموها على حسب الآراء الجارية بالنسبة لهذا الموضوع فى العالم الاغرقى ومن المحتمل جدا أنهم اعتقدوا أن الرغبة فى تملق السيد الجديد قد ألهم كهنة الواحة ، وهذه العاطفة لها قيمتها فى السهولة التى استقبل بها الاسكندر بوصفه « ابن الآله » ، ولكن التحمس الدينى كان له الجزء الأعظم فى سلوكه فى هذا الموضوع ، ويظهر لنا أن هذا الاجراء مهزلة سياسية ، ولكنه من المعتقدات اللاهوتية الطيبية المسلم بها بل أنه أمر مفروض أن يعمل كل فرعون . فقد كان الاله « آمون » منذ قرون فى طيبة وفى المستعمرات المصرية الاله الأعلى وكذلك الجد الذى يجب أن ينحدر منه كل فرعون حتى يصبح الملك

الحقيقى لمصر . ومن البديهي أن هذا الامتياز الذى خص به « آمون » لم يكن وقفا عليه فى الأصل بل اغتصبه من اله الشمس « رع » اله الدولة الأصلى ، ولا نزاع فى أن هذا الحفل كان يعقد فى الأصل فى « هليوبوليس » عند تولية كل فرعون من الأسرة الخامسة فصاعدا الى أن ظهرت « طيبة » على « هليوبوليس » وأصبح الهما « آمون » اله الدولة ، وأطلق عليه اسم « آمون رع » وبذلك أصبح يشارك « رع » فى هذا الاحتفال ، غير أننا لا نعرف على وجه التأكيد فى أى تاريخ حدث ذلك .

وقد كان كل الملوك بوصفهم أولاد « رع » يجرى فى عروقهم دم « رع » أو اذا كانوا طبيين فان دم « آمون رع » كان يجرى فى عروقهم ، وكان على الذين ارتقوا عرش الملك من عامة الشعب أن يعوضوا ضعة أصولهم بأن يخترعوا لأنفسهم أنسابا خارقة لحد المألوف تربطهم بالدوحة الشمسية أو كانوا يتبعون طريقة أحسن من ذلك وهى أن الطامع فى العرش كان يتزوج من احدى الأميرات التى يجرى فى عروقها دم « رع » من اللائى ينسب الى الملك السابق مباشرة . وهؤلاء النسوة عندما كن يصبحن أمهات كان أطفالهن يأخذون عنهن الدم الالهى الذى كان ينقص آبائهم وبذلك كانوا يربطون من جديد سلسلة الأنساب التى انقطعت لمدة . ويظهر أن من تولى من غير الأسرة المالكة عرش مصر كان يعد بداية أسرة جديدة ، وكان هذا المؤسس الجديد يعمل على تثبيت ملكه بزواجه كما قلنا من احدى قريبات الملك السابق أى من الدم الملكى الحقيقى ، وقد كانت التقاليد أو القانون المتبع يقضى بأن تكون الأحقية فى الملك على حسب النظام التالى :

١ - أن يكون الوارث للعرش ابن ملك ولد من زواج ملك بأخته وكلاهما من الدم الملكى الخالص .

٢ - أن يكون الوارث ابن ملك ولد من زواج ملك ليس من الدم الملكى الخالص بآبنة ملك من الدم الملكى الخالص .

٣ - أن يكون الوارث للعرش رجلا قويا تزوج من ابنة ملك من دم ملكي خالص .

ومما سبق نفهم أن تولية العرش في مصر لم تكن من الأمور الهينة (راجع مصر القديمة الجزء الأول ص ٢٩٥) . وعندما يتزوج رجل قوى من امرأة من الدم الملكي كان لا يقوم بهام الملك الا بوصفه زوج الملكة ، ومن ثم يصبح فرعوناً ، غير أن أطفالهما لم يكونوا في نظر الشعب من دم ملكي خالص ، ولكن الكهنة بما لديهم من حيل رأوا حلاً لهذا المشكل وهو أن يتدخل الاله شخصياً وعملوا على أن يكون الطفل الذي سينول اليه الملك من هذا الزواج ابن الاله « آمون رع » مباشرة ، ومن أجل ذلك كان الاله « آمون رع » يتفضل بالنزول على الأرض ويأخذ صورة الملك ويجتمع بالملكة فعلاً . وعلى ذلك فإن الطفل الذي ينتج من هذا الاتصال المباشر الخارق لحد المألوفه يكون الغسل الطاهر من الاله « آمون » أو من الاله « رع » . والآثار الباقية تقدم لنا أمثلة من هذا النوع من الزواج نذكر منها صور الدير البحري وولادة « حتشبسوت » (راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٣١٦) وولادة الملك « منحوتب الثالث » (راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ٥٣-٥٤) . ولدينا مثال آخر كان مصورا الى عهد قريب على جدران معبد « أرمنت » قبل أن تستعمل أحجاره في اقامة معمل السكر في بلدة « أرمنت » (١) . وهذا المنظر يمثل ولادة « قيصرون » بن « كليوبترا » و « يوليوس » قيصر ، ونحن نعلم كيف أن « كليوبترا » قد تزوجت من يوليوس قيصر وأنجبت منه قيصرون ، ولأجل ألا ينكر أحد أبوة « قيصرون » هذا مثلت « كليوبترا » منظر اجتماع « آمون » بها . والغريب أن هذا العمل الجريء لم يشتمز منه أهل الاسكندرية من الاغريق . ولقد كان أمراً ضروريا على ما يظهر أن

المسألة قد مثلت أمامهم بمثابة قضية منطقية غاية في البساطة . وذلك أنه كان لا يمكن أن يكون في مصر ملوك شرعيون الا اذا كانوا من أسرة « رع » أو أولاد « آمون » مباشرين أو غير مباشرين . والواقع أن « الاسكندر » هو الملك الشرعى لمصر ، وذلك لأن الآلهة قد سمحوا له أن يستولى عليها بعد أن قهر الفرس بأعجوبة ، ومن ثم فإن « الاسكندر » بطريقة أو بأخرى كان ينتسب الى أسرة « رع » ، وأنه ابن أمون رع ولا يقل في ذلك عن الملوك الذين سبقوه . وقد يقال بلا شك أنه في كل الأمثلة التى أقتبست كان الآباء الأرضيون للملك الذين يدعون أبوة « أمون رع » هم من أعضاء الأسرة الحاكمة وأنه لا فرق بينهم الا في نسبة الدم الالهى ، في حين أن والد الاسكندر وأمه كانا أجنبيين عن أية أسرة من الأسر الملكية المصرية ، وحتى عن مصر نفسها . ولكن فطنة الكهنة الطيبين التى كانت قادرة على حل المشاكل قد توقعت حدوث مثل هذه النظرية التى يكون فيها الملك المؤسس للأسرة الجديدة وزوجه ليس لهما أية صلة بالملوك السابقين ، وعلى ذلك أجابوا بنجاح على الاعتراضات التى تقف في وجه هذه النظرية وذلك أن تاريخ مصر الحقيقى لا يقدم لنا حتى الآن أية حالة من هذا النوع ، غير أن هناك أسطورة تحدثنا بصورة واضحة عما سكنت عنه الآثار ، ولا أدل على ذلك مما قيل عن أصل ملوك الأسرة الخامسة فقد قيل عنهم أنهم لا يتصلون بأية حال من الأحوال بملوك الأسرة الرابعة كما جاء في أسطورة ورقة فستكار ، وان كانت الكشف الحديثة الصلة بينهما . وعلى أية حال قيل عن ملوك الأسرة الرابعة أنهم من والد وأم من البشر ، ولكن « رع » قد أتى الى الأم واجتمع بها وبذلك أصبح أولادها الذين أنجبته من نسل « رع » (راجع كتاب الأدب المصرى القديم الجزء الأول ص ٧٤) . والواقع أن هذه القصة كان الغرض من كتابتها أن تعبر في هذا الموقف كما هى الحال في أى زمان عن الأفكار المتداولة في الزمن الذى كتبت فيه فتظهر بوضوح أن الآله

كان في قدرته ان يحدد سلالاته بوساطة امرأة من عامة الشعب وليس لها علاقة باحدى الأسر المالكة . هذا وكان الاسكندر الأكبر مثله كمثل الملوك الثلاثة الذين وردوا في الأسطورة السالفة فلم تكن أمه أميرة يجرى في عروقتها الدم الملكي على أن ذلك لم يمنعه مثلهم أن يكون والده هو الاله الذي يجب أن يكون كل ملوك مصر من صلبه ، وعلى ذلك يكون له الحق في أن يصبح الفرعون الشرعى .

ومن ثم فان أصل « أوليمبياس » الهيلانى لم يكن عقبة في أن يجتمع « آمون » بها ، على أن مجرد كون « الاسكندر » يتربع على عرش « حور الأحياء » هو برهان كاف لدى الكهنة يؤكد وقوع هذا الاجتماع ، وان ابن « فليب » الذى ليس من صلبه كان في الحقيقة ابن « أوليمبياس » و« آمون ».

فهل ياترى كان هؤلاء الكهنة قد علموا بالشائعات الغريبة التى كانت منتشرة عن ولادة هذا البطل وأفادوا منها ليحاولوا تفسير التفاصيل العدة التى بقيت غامضة في هذه القصة ؟ والواقع أن الشعب المصرى الذى اعتاد فكرة هذا الزواج الالهى قد قبل دون تردد حكم كهنة « آمون » ، وعلى ذلك أخذ الأصل الخارق للحد المؤلف للاسكندر ليكون موضوع قصة حشرت في الرواية التى وضعت على لسان « كاليستينس » حوالى القرن الثالث بعد الميلاد . وتدل شواهد الأحوال على أن القصة لم تكن في أغلب الظن في الأصل الا صورة من المناظر التقليدية التى مثلت على جدران معبد الأقصر مثلاً ، وقد اقتضت على أن تظهر لنا كيف أن الاله « آمون » عندما أراد أن يخلص بلاده كلها من الفرس الأجانب الذين ساموها الظلم والخسف ، قد أنى ليلاً واجتمع بأوليمبياس . وقد بقى هذا المبدأ سليماً لمن أراد أن يكون الملك من سلالة الهية ، وقد عزى النعرة الوطنية في هزيمتها أن توهمت أن مصر هى التى فازت بهذا الوضع وذلك لأن مصرى هو الذى أخضعها ثم

فتح بعد ذلك العالم (راجع Pseudo Callisthenes, II 27 ed. Muller-Diclot, P. 24).

ومما يطيب ذكره هنا هو أن سكان الاسكندرية كانوا خليطاً من الوطنيين والاغريق وكانوا أقل تموداً على تلك الأفكار الصيانية في نظرهم بالنسبة للاهوت الطبيعى ، ومن أجل ذلك أخذوا يشككون في هذا الاله الذى قام في وسطهم في رابعة نهار التاريخ وسمح لنفسه أن يفرى أصحاب العقول الساذجة كما كانت الحال في زمان « هومر » .

وقد كانت عقيدة افهمير (Evhemere) التى تقول بأنه من الممكن أن الفرد العادى يصبح الها قد دب ديبها في نفوس القوم ، فبدلاً من التسليم بأن « آمون » قد نزل الى مخدع ملكة ، وهو قول لا يحتمل التصديق ، يمكن أن تحل فكرة أخرى محل ذلك وهى أن رجلاً عالماً كان يتمثل بما أوتى من مهارة في علم السحر في صورة « آمون » لمدة . ولما كان من الضروري أن تصبح الخرافة مقبولة فإن هذا الرجل كان لابد أن يكون مصرطاً ومن سلالة فرعونية ، ولذلك فكر في أن يكون هذا الرجل هو آخر الفراغنة الوطنيين الذين حكموا مصر وهو الملك « ققطاب الثانى » الذى كان صاحب شهرة في فن السحر ، وقد كان من المعلوم أنه هرب الى خارج بلاده (١) بعد هزيمته على يد القرس واستيلائهم على مصر ، وتؤكد المصادر التاريخية أنه كان قد فر الى بلاد « كوش » واحتسب فيها ، غير أن التاريخ قد أخطأ في هذه المسألة كما أخطأ في كثير غيرها على زعمهم فقد أرسل الملك المخلوع الى « مقدونيا » لأجل أن يصير فيما بعد والد « الاسكندر » . وقد كانت الشائعة عن علمه بالغيب قد وصلت الى أذن « أوليمبياس » ، وقد استشارته وقد وقع في غرامها عندما رأى محياها الفتان ، وقد أخبرها أن القدر قد جعل من

(١) راجع مصر القديمة ، الجزء الثالث عشر ص ٣٣٨ .

نصيبها شرف الاجتماع باله لتنجب منه ابنا ثم ءُضاف قائلا أن هذا الاله هو « آمون لوبيا » صاحب الشعر واللحية الذهبين وذو القرن الذهبى : « أعدى نفسك لاستقباله يا أيتها الملكة لأنك ستترين هذا اليوم نفسه هذا الاله يأتى اليك فى حلم » . وقد أرسله لها حقا بالطرق السحرية التى كانت فى متناوله فى منام رأت فيه الاله بين ذراعيها ، وقد أعلنها هذا الاله بولادة ابن يفوق البشر . ولما كانت الملكة قد اقتنعت بهذه الرؤيا الكاذبة ، رضيت بأن تستعد للزواج الالهى ، ولكنها سألت عن العلامات التى تتعرف بها على حضور العاشق السماوى . فقال لها عندما ترين ثعبانا يدخل فى حجرتك ويصل زاحفا نحوك مرى بأن يخرج كل مساعديك، ثم اضطجعى على سريرك الملكى وانظرى اذا كنت تتعرفين على الوجه الذى رأيته فى حلمك ، ثم حصل « قطاناب » على جزء كبش له قرون مذهبة وعلى صولجان من الأبنوس وعلى جلباب أبيض وبما أوتيته من مهارة فى علم السحر ظهر بمظهر ثعبان هائل ، وعندما جاء الليل دخل حجرة النوم التى كانت « أوليمبياس » تنتظره فيها مبرقة ممتدة على سريرها ، وعندما لمحت فى ضوء المصباح لم تخفه قط بل لاحظته بدهشة من طرف عينيها ، ثم وضع الخيال صولجانه واتخذ له مكانا وأتم الزواج بها وبعد ذلك ضغط بيديه على يد الملكة قائلا : « افرحى أيتها المرأة، لأنك حملت منى فى ذكر سينتقم لك وسيكون ملكا سيدا على العالم » (راجع Pseu do Callisthenes, IV — XXII. ed muller Didot, p. 4-12.

وبعد ذلك أخذ صولجانه واختفى ، ولكنه عاد فى الليالى التالية كلما رغبت فى لقائه . وليس من المهم أن نذكر هنا المعجزات التى ساعد بها « قطاناب » الملكة « أوليمبياس » على أن تجعل « فليب » يقبل حقيقة هذا الزواج الالهى وبراءته . وقد كان الساحر يوم الوضع بجوار الملكة يفحص السماء ، وقد أجبرها مرتين متتاليتين على أن تؤخر الوضع الى أن يرى لحظة يكون فيها تقابل النجوم يؤكد للطفل ملك العالم قاطبة .

ومما سبق نفهم أن البداية كانت قصة سحر وضعت لتفسر اختلاس « ققطاب » وكل ما فيها يتفق مع الآراء والشعائر المصرية الخاصة بالعصر. فنجد فيها الفرعون يمارس عملية السحر الخاصة بالحب على حسب الصيغة الأكثر فاعلية فكان يصنع تمثالا صغيرا لمرأة من الشمع ثم يكتب عليه اسم الملكة ويجعله ينام على نموذج سرير صنع خاصة لهذا الغرض ، وبعد ذلك يشعل بالقرب منه المصابيح السحرية ، ثم يصب على عيني التمثال الصغير عصارة نباتات مختلفة قوية المفعول نشأت عنها أحلام، وبعد ذلك يتلو تمويذة جبارة تجعل الملكة تنام وتخضع في منامها لكل الأعمال التي دونها على تمثاله الصغير (راجع Ibid. V ed. Muller-Didot. P. 5-6).

ونفس هذه الطريقة كانت مستعملة منذ أزمان بعيدة عند قدماء المصريين ، ولا أدل على ذلك مما حدث في عهد الفرعون رمسيس الثالث (راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٥٥٦) هذا وهناك تعاويذ سحرية أخرى خاصة بالحب .

أما الثعبان الذي قمصه « ققطاب » فلم يكن شكله معروفا في اليهود الفرعونية ولكنه كان عاديا جدا عند أهالي الاسكندرية (راجع Pseudo-Callisthenes I, XII, ed. Muller-Didot, P. 34.

حيث نجد التقاليد الخاصة بالثعبانين (Agathodemon d'Alexandri) في عصر كانت عبادة الثعبان « أجاتوديمون » قد أصبحت مهيمنة على كل وادي النيل ، وحيث نجد الآلهة المحليين كان يصاحبها ثعبان رأسه رأس الحيوان المقدس لكل من هذه الآلهة .

هذا وقد فكر من تقل عن « كاليستيس » هنا أن الثعبان « أجاتوديمون » هو الاله « آمون » أي ثعبان برأس كبش يلبس نوعا من العباءات أبيض اللون ، وحاملا على جسده صولجانا برأس كوكوفا (Koukoupha) كما نشاهده

ممثلا على كثير من الآثار . وهذه الفكرة كان وحيها بطبيعة الحال مستمدا من الشائعات الخفية التي كانت منتشرة منذ البداية عن « أوليمبياس » وعن الألفة التي أظهرتها للشعابين . وتدل شواهد الأحوال على أن منظر الزواج الالهى قد نقل حرفيا عن أصل مصرى . والواقع أننا اذا فحصنا مناظر الأقصر لوجدنا فيها «أمون رع» سيد الكرنك يأتى مسلحاً بصولجانه ومحلى بشارات الاهيته لينضم الى الملكة «موت أمويا» أم «أمنحوتب الثالث» وبعد ذلك بلحظة نجد الاله والملكة على السرير وقد التفت الساق على الساق ، والأقدام تسندهما كل من الالهتين « نيت » و « سلكت » وهما الالهتان اللتان تشرفان على الزواج .

ويقول أحد النقوش التى تتبع الصورتين أن آمون قد تقصص صورة تحتس الرابع زوج الملكة وأنه قد وجدها نائمة فى قصرها وقد استيقظت على عطور الاله وأنها أعجبت بجلالته ، وقد جاء ليجد متعته معها ، وأنه قد ظهر لها فى صورته الالهية وعندما وقف أمامها بهره جمالها وذلك لأن حب الاله قد استولى على كل أعضائها وغير الاله وكذلك أنفاسه كانت معطرة ببخور « بنت » . وعندما عادت الى رشدها قالت الزوجة الملكية «موت أمويا» لحلالة هذا الاله « آمون رع » رب الكرنك فلتصر أرواحك عظيمة فى جلالتي « ولتكن تصميماتك التى أنفذتها كاملة ، وليكن اجتماعك معى جميلا ، ولتكن نطفتك الالهية فى كل أعضائى بوصفك أمير طيبة وبعد أن أتم الاله كل ما رغب فيه قال لها : أن أمنحوتب أمير سيكون اسم الابن الذى سيخرج من فرجك ، وهى نفس الجملة التى خرجت من فيك وأنه سيحكم هذه المملكة الخيرة على الأرض قاطبة وذلك لأن روحى هى له وكذلك تاجى ، لأجل أن يحكم على الأرضين مثل « رع » أبديا (راجع

وهذه الكلمات هى نفس كلام « تقطانف » ، واذا تأملنا معنى هذه النقوش رأينا أن الملك لأسباب تجهلها قد مثل على حين غفلة أمام الملكة وقد لبس لهذه المناسبة صورة « آمون » حتى يبقى أميناً لأسطورة الزواج الالهى : فقد كان الزوج السماوى هو الذى أتم الزواج فى صورة الزوج الأرضى . فلم يكن كما نرى تنكر « تقطانف » فى صورة « زيوس » - « آمون » الا تحقيقاً مادياً لما جاء فى الشعائر الخاصة بالزواج الالهى الفرعونى .

وعلى ذلك فإن القصة التى وردت تقلاً عن « كاليستيس » ليست الا تطوراً طبيعياً للفكرة القائلة أن « الاسكندر الأكبر ملك مصر يجب أن يكون ابن الاله الذى تناسل منه كل الملوك . فاذا اعترف بمبدأ هذا الأصل الشمس ، فإن الخيال الشعبى قد حققه بالطرق التى كانت فى متناوله ، وأنه قد كرر للاسكندر و « أوليمبياس » ما جاء فى اللاهوت المصرى القديم عن الملوك الذين يجب أن يكون تدخل الاله الأعلى فى انجابهم مباشراً لأجل أن يمنحوا طهارة الدم الشمسى .

وخلاصة القول أن « الاسكندر » قد أصبح الها فى مصر بطبيعة الحال وبدون مجهود ، وذلك بالسير على حسب الأنظمة المصرية وبفضل المعتقدات الخاصة بالبلاد وحدها . ومجرد دخول الاسكندر وادى النيل والاعتراف به فيه فرعوناً لم يجعل فى مقدوره أن يتخلص من ضرورة الحصول على أب الهى ، وأن يعلن أنه ابن « آمون » وابن « رع » وابن أولئك الآلهة كبارهم أو صغارهم ممن سيخاطبهم ، ولم تخلصه صفته الهيلانية من هذا المصير ، اذ الواقع أن مصر كان لها كثير من الحكام الأجانب وكان عليها أن تطبق نظريتها الخاصة بالملكية الشمسية تحقيقاً لتاريخها ، ولذلك فإن الطرق التى استخدمها الفرعانة الذين من أصل مصرى قد استعملها منذ زمن بعيداً الفرعانة الذين هم من سلالة أجنبية فهنا كان الاسكندر يعلم كل ذلك عندما خاطب

الوحي ؟ والشئ الأكيد الذى نعلمه هو أن الاسكندر قد دخل أفريقيا مجرد انسان من البشر بوصفه ابن « فليب » ، وخرج منها بوصفه الاله الكامل ابن « أمون » راضيا أو كارها وهذه الموازنة التى أوردناها فيما سبق بين أقوال المؤرخين من الاغريق وبين ما جاء فى النقوش المصرية القديمة دليل على أن « كاليستينيس » الاغريقى كانت له دراية بسير الأمور فى مصر أو أنه قد قرأ كثيرا عن مصر ومعتقداتها ، ويرجع الفضل فى ذلك الى « مسبرو » فى الموازنة ، ولكن التعصب الفكرى الأوروبى لا يقبل كثيرا مما أوردناه هنا على الرغم من البراهين القاطعة التى تعززه (راجع

Maspero, Comment Alexander Devint Dieu En Egypte, Etudes De Mythol. & D'Archeol. Egypt. VI. P. 263 FF.

وقد كان الاسكندر الأكبر يرتاح كثيرا عندما ينادى بابن « زيوس » (أمون) وان لم يكن يجبر الناس على ندائه بهذا اللقب ، غير أنه مع ذلك كان يغضب من المتشككين والهازيين الذين ينكرون عليه وحي « أمون » . هذا وقد ارتأى المؤرخ « بلوتارخ » غير هذا الزعم فذهب الى أن هذا المظهر الدينى من جانب الاسكندر لم يكن الا تدييرا سياسيا يراد منه ادخال الرهبة فى قلوب السكان غير الهيلانيين الذين كان بمعوتهم يمكن أن يوسع أطراف امبراطوريته . (راجع P. 28 Plutarch Alexander وكذلك

يميل المؤرخ « أريان » الى هذا رأى بعينه (راجع Arrian, VIII, 29, 6) ولكن تدل شواهد الأحوال على أن هذا الايمان من جانب الاسكندر بأنه ابن الاله كان ايمانا خالصا مصدره المبالغة فى غروره المفرط الذى سيطر على نفسه منذ البداية . ولا نزاع فى أن ادعاءه بأنه ابن لاله كان يمد اهانة موجهة بصورة خاصة الى ذكرى والده فليب ، وقد كان هذا الموضوع الذى يتحدث عنه الاغريق دائما فى أوقات غضبهم عن الاسكندر . ومن الأمور التى أحفظت لموس قواده بدرجة عظيمة أمثال « بارمينو » و « فيلوتاس » (Philotas)

و « كليتوس » (Kleitus) وغيرهم من عظماء القواد وقاحة الاسكندر بانكاره أبوة « فليب » ووضع نفسه فوق مستوى البشر . وعلى أية حال فان الخوف من الاسكندر واعجاب المقدونيين والاغريق به قد أجبرهم على قبول الواقع والرضا به .

والآن يتساءل المرء لماذا اختار « الاسكندر » ان يسمى نفسه ابن الاله وبالذات ابن الاله « آمون » ؟ والجواب عن ذلك يرجع الى سبين رئيسين أساسهما أرض الكنانة نفسها ومكاتها في العالم القديم وتأثيرها على ماكان بحيط بها من أمم مختلفة من حيث الدين والعلوم وبسطة السلطان ، ولأجل أن تفهم ذلك لا بد لنا من أن نرجع الى الوراء بعيدا قبل فتح الاسكندر لمصر لنرى ماكان لمصر من فضل ومكانة بين الأمم وبخاصة بلاد الاغريق وما أخذته الأخيرة عن مصر منذ فجر التاريخ .

أثر الحضارة المصرية القديمة في الحضارة الأفريقية

من الظواهر الطبيعية العجيبة في الخلق الانساني أنه عندما ترسخ فكر في الأذهان البشرية بصورة قوية سواء أكانت هذه الفكرة عقلية أم خلقية أم أدبية وتكون نشأتها ناتجة عن تقليد قديم خاص بأحوال العالم الدنيوى فان الانسان لا يبحث بعد السير على مقتضاها أجيالا طويلة فيما اذا كانت هذه الفكرة منطقية أو غير منطقية ، وبخاصة عندما تصبح هذه الفكرة ضمن دائرة الأفكار والآراء المرعية المسلم بها ، ومن ثم يفرضها الانسان على نفسه بأنها عقيدة لا محل لمناقشتها أو الشك فيها .

ولا أدل على ذلك من أن كثيرا من رجال الفكر وأساطين العلم والفلسفة وكبار الكتاب المفكرين قد أعلنوا آراء وأفكار عن أصول المدنية الهيلانية لا تقبل الشك أو الجدل حتى أن أخطاءهم فيها قد أدهشت عقول الذين أخذوا في درس الحضارة الاغريقية ولم يكونوا على علم بتلك الآراء الخاطئة

التي وقع فيها من سبقهم ممن درسوا تلك الحضارة على ضوء الكشف الحديثة .

ومن أفدح الأخطاء الشائعة في عصرنا هذا ما روى عن الحضارة الاغريقية من أنها أم الحضارات الغربية وأنه لم تكن في حاجة الى غيرها من المدينيات التي سبقتها ، وأنها على ذلك لم تخضع في أصولها وفي أزمان تطورها فيما بعد على وجه التقريب لأى تأثير وفد عليها من خارج تربتها . والقول السائد الذى يردده حتى الآن السواد الأعظم من رجال العلم أن بلاد الاغريق هي تربة الشعب الذى استقى منه كل العالم جميع عجائب ما أنتجه الفن والأدب والعلم والفلسفة ، ولذلك فإنها كانت تعد نسيج وحدها . وما نرمى اليه الآن في هذا الفصل هو أن نبرهن بصورة مختصرة ، على أن هذه الفكرة خاطئة من أساسها وأن بلاد الاغريق كغيرها من كثير من البلاد الأخرى كانت من حيث أصول الفلسفة بوجه خاص مدينة لمصر بدرجة عظيمة . حقا ستكون براهيننا على صحة هذا الرأي ناقصة بعض الشيء ، فلا تبلغ حد الكمال الذى كنا نأمل أن نصل اليه، ومن ثم هذا الموضوع لا يمكن حله بأكمله في هذه العجالة وقد يكون من الخير أن نوضح هنا المقدمات التى لا تعد الا حجرا واحدا في البناء الذى سيقميه عالما أولئك الذين سيتناولون هذا الموضوع عندما تكشف أرض مصر عما في جوفها ، وبذلك يتقدم علم الآثار التقدم المأمول فيه نحو هذا الاتجاه من حيث الكشف .

ومما لا نزاع فيه أن الشعوب التى أسهمت في تقدم المدنية البشرية منذ نشأتها هي الشعب المصرى والشعب الكلدانى ثم الشعب الهيلانى المبكر . وليس من شك في أن الثقافة الاغريقية الحقيقية مرتبطة بثقافة الشعبين المصرى والكلدانى ارتباطا وثيقا لا لبس فيه ولا ابهام . والواقع أن مصر قد لعبت دورا هاما عظيما في الثقافة الهيلانية القديمة وبخاصة في ثقافة القوم الذين

كانوا قبل الشعب الهيلاني وهم الذين ورث عنهم الاغريق حضارتهم وأعنى بذلك اغريق الجزر اليونانية وبلاد الاغريق الكلاسيكية. وتؤكد أعمال الحفر المثمرة التي عملت في جزيرة « كريت » وفي « البليونيز » وفي آسيا الصغرى في موقع اقليم « طرواده » على وجود مدنيات رفيعة ترجع الى عهد سحيق في القدم أى الى الألف الثالثة والألف الثانية قبل المسيح . وهذه المدنيات المكشوفة تبرهن على تأثير بارز جاء عن البلاد المجاورة وبخاصة مصر .

وتدل شواهد الأحوال على أنه كانت هناك اتصالات غاية في النشاط بين المصريين والعالم الايجي قبل أن يظهر الشعب الاغريقى بصورة واضحة على مسرح التاريخ . فقد كانت كريت متصلة بمصر اتصالا وثيقا قد يسفر عن اشتراك في الدم . فقد وجدت أشياء مصرية في قصور « كريت » كما وجدت أشياء كريتية في مقابر مصرية (راجع C.A.H. Vol. of Plates, i, 104-5 وعلى أية حال فانه في العصر الذى جاء بعد خلاص مصر من يد «الهكسوس» العاشمين أى بحلول الأسرة الثامنة عشرة قد أصبحت العلاقات بين البلدين وطيدة جدا . وحوالى نهاية القرن الخامس عشر قبل الميلاد حلت بكريت كارثة طاحنة قبل أن تصل الجزيرة الى العهد المنوى المتأخر الثانى . وقد كانت مصر « وكريت » قبل هذه الكارثة على اتصال تام . ومن الواضح أن بداية العلاقات بين مصر وبلاد الاغريق نفسها وجزرها يتفق مع سقوط الحكومة المنواتية فى كريت والقضاء على أهميتها السياسية والتجارية (راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ١٨٨ - ٣٤٤) .

وقد كان المصريون يسمون سكان بحر ايجة وسكان بلاد الاغريق نفسها « أقوام الجزر التى فى وسط البحر » وذلك لأنهم كانوا لا يعرفون الا القليل عن أرض الاغريق الرئيسية وقد ظنوا أن كل الأقوام المجاورة قد أتوا من بعض الجزر وكانوا خاضعين لكريت .

وقد عزيت الكارثة التي حلت بجزيرة « كريت » على وجه عام الى رجال بلاد الاعريق أنفسهم وهم الذين خربوا مدنها وأحرقوها في غارة قاموا بها ويمزو السير « أرثر ايفانز » سقوط « كنوسوس » على الأفل الى زلزال (راجع Evans Palace of Minos, Vol. II, I, P. 320 راجع مصر القديمة الجزء الثاني عشر ص ٥٢٠ — ٥٢٤) .

ويقول « بندلبرى » أن هذه الكارثة كان سببها مجهودا منظما لأنه في هذا الوقت لم يكن تبدو على كريت علامات ضعف (راجع J.E.A. Vol. XVI, P. 90

أما أهل البحار الذين تحدثنا عنهم كثيرا في غير هذا المكان (راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٧٥ — ٨٢) وهم الذين كانوا يسكنون بعيدا عن « كريت » فلم يكن المصريون يعرفون عنهم شيئا فقد أتوا الى مصر مباشرة مع أمتعتهم وكان كريت لم تكن موجودة وقد بقيت العلاقات بينهما في سلام لمدة قرن ونصف قرن من الزمان ، ولكن في عهد الملك « مرنبتاح » هددت مصر بلاد لوبيا كما هدها حلف من أقوام البحار (راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٧٥ — ٨٢) . وقد قضت مصر على هذه الغزوات وبقيت بعد ذلك هادئة . قد تركت هذه الغزوات أثرا في الشعور المصرى وحالته من ناحية الأجانب بدرجة لا يمكن تقديرها ، وكانت من عوامل عزلتهم التي تحدث عنها الكتاب القدامى .

حقا لقد ظل أقوام البحار مع مصر في سلام ورعاية لحق الجوار مدة تقرب من قرنين ، ومن ثم فإن العداوة التي أظهرها أقوام « ايجه » لا يمكن تفسيرها ، وكانت وبالا عليها الى أقصى حد لأن معظم كسبهم كان من التجارة . وبعد أن أفلتت مصر من هذا الخطر الخفى انكششت في غمر دارها ولم تعد هناك مبادلات تجارية ، وقد أغلقت مصر نتيجة لذلك موانئها لدرجة أن

ظهور الأشرعة في الأفق كان نذيرا بحملة حربية (راجع J.E.A., XVI. 92)
وتعتبر هذه الغارات نهاية عهد في تاريخ البحر الأبيض المتوسط ، ولكن
على الرغم من أن مصر قد نجت من خطر الفتح ، فإن القوة الحربية التي كان
يمتاز بها الجنود المصريون الوطنيون قد اضمحلت وأصبح كل جنودها
المحاربين من الجنود المرتزقة بوجه عام ، ومن ثم أخذت قوة مصر تنحط
بسرعة وتتابع عليها الغزو الأثيوبي فالآشوري . الى أن جاءت « الأسرة
الساوية » وأجلت الأثيوبيين عن مصر ثم قضت على سلطان الآشوريين
جملة وطردتهم من وادي النيل . وفي خلال العهد الساوي تمتعت مصر
 باستقلالها لمدة قرن ونصف قرن من الزمان ، وفي خلال حكم « بسمتيك
الأول » مؤسس هذه الأسرة أخذت مصر تتصل من جديد بالعالم الغربي
وبخاصة ببلاد الاغريق .

ويمكن تلخيص تغير موقف المصريين بالنسبة للاغريق حتى عهد « هردوت »
في المراحل التالية :

أولا : العداء لكل الأجانب (راجع Strabo, 17, 1, 6, P. 792) ،
وتجنب العادات الاجنبية (Herod. II, 41, 7, 91, 1)
ثانيا : حاجة مصر للمساعدة في عهد الملوك الساويين أى في خلال الأسرة
السادسة والعشرين وقد أدى ذلك الى السعى في التأثير على الاغريق بما
لثقافة المصرية من مكانة رفيعة في العالم .

ثالثا : ظهر اتحاد سياسى بين المصريين والاغريق كان سببه عداوتهما
المشتركة للفرس .

رابعا : السعى للبرهنة على وجود علاقات قديمة بين بلاد الاغريق ومصر
أو بعبارة أخرى ما أخذه الاغريق عن مصر في ميادين العلم . ومستحدث هنا
عن هذه المراحل :

خامسا : ما أخذه الاغريق عن المصريين فى العصر الساوى .

١ - أما عن المرحلة الأولى فقد تحدث عنها « هردوت » فى كتابه عن مصر عندما تحدث عن العادات المصرية ومناقضتها العادات الاغريقية (راجع Herod. VI, 35, 25 eq.)

ولكن مما يجدر ملاحظته هنا أن « هردوت » قد بالغ فى مواضع كثيرة عند قرنه العادات المصرية بالعادات الاغريقية لأنه ارتكن احيانا على قول الأدلاء وأقاصيصهم .

٢ - كانت مصر فى العهد « الساوى » فى حاجة الى مساعدة الاغريق . حقا كانت مصر مغلفة فى وجه الزائرين الاغريق عدة قرون وذلك منذ أن كانت مصر مهددة بغزو اقوام البحار لها ، ولكن كانت أرض الدلتا على الأقل معروفة للعالم الاغريقى . فقد ذكر فنار اسكندرية المستقبل فى أودسى هومر (راجع Od. IV, 355) ، فقد كان هناك « أمام مصر » حيث ربط « منيلاوس » (Menelaos) سفينته وأجبر « بروتىوس » المصرى على أن يعلن له طريقه الى وطنه . وكذلك نجد ذكر « طيبة » وبوابات معبدها التى بلغت المائة ، فى « الالياذة » وفى « الاوديسى » (راجع Illiad IX, 381, Od. IV, 126) وكان يسكن هناك الفرعون « بوليبيوس » (Polybos) عندما غمرت « ألكاندرا » (Alkandra) زوجة « منيلاوس » بالهدايا .

وفى الأزمان التاريخية الأكثر وضوحا نجد الميليزين الاغريق على الرغم مما بينهم وبين المصريين من خلافات فى طرق الحياة وكرهم للأجانب ، فانهم قد أفلحوا فى خلال النصف الثانى من القرن السابع ، أى فى عهد الفرعون « بسمتيك الأول » فى الحصول على مواطىء قدم فى مصر ، وهناك أسسوا محطة تجارية وهى التى تدعى « الجدار الميلىزى » . ولم يمض طويل زمن حتى أوغلوا بسفنهم فى المقاطعة « الساوية » وأسسوا هناك « نقراتيس »

(قراش) الواقعة على أحد فروع النيل الغربية (راجع مصر القديمة الجزء ١٢ ص ٧٣) وقد قصت الأحوال وبخاصة وجود الأشوريين في مصر بأن يؤتى بجنود مرتزقة الى مصر من بلاد الاغريق (راجع مصر القديمة الجزء ١٢ ص ٦٨) ومن هذا الوقت أخذت العلاقات التجارية والحرية تزداد زيادة كبيرة في عهد ملوك الأسرة السادسة والعشرين وبخاصة في عهد الملك « أحسن الثاني » كما فصلنا القول في ذلك في مصر القديمة (راجع مصر القديمة جزء ١٢ ص ٤٠٩ - ٤١٣) .

٣ - وفي أثناء اختلاط الاغريق بالمصريين اختلاطاً محسناً في عهد الأسرة السادسة والعشرين بدأ الاغريق الذين وفدوا على مصر يحسون مكانتها العلمية بالنسبة لهم وقد كانت « قراش » و « دفنة » هما المركزان اللذان وصل منهما تأثير الثقافة المصرية الى بلاد الاغريق ، وقد كان وجود هذين البلدين يعنى أن مصر كانت معروفة لا للساح ، بل كاتنا سكناً لجماعة من الاغريق من مدن مختلفة . ففى عهد الملك « أمسيس » كان كثير من الاغريق ينتقلون ذهاباً وإياباً بين « قراش » ومدنهم في بلاد الاغريق . ولا بد أن تأثير هذا الاتصال كان عظيماً فمن ذلك ما نجده من قبل عهد الفتح الفارسي آثاراً مصورة على أكروبول أثينا (راجع G. Dickins, Catalogue of the Acropolis Museum, I, 167, on Nos. 144, 146)

منها صورنا كاتين يلبسان ملابس اغريقية مقلدة عن اللباس المصري . وهناك نواة للحقيقة القائلة بأن الاغريق قد أخذوا فلسفتهم عن المصريين وستحدث عن ذلك فيما يلي :

هذا ونعلم أن « برياندر » المواطن الكورنثي قد سعى ابن أخيه وخليفته « بسمتيك » حياً في « بسمتيك الأول » مؤسس الأسرة السادسة والعشرين ، وتدل شواهد الأحوال على أن الاغريق قد وصل اليهم عن طريق « قراش »

هدايا ثمينة وبخاصة البردى الذى قدم لهم مادة خفيفة رخيصة لكتابة مؤلفاتهم .

ولا يفوتنا أن نذكر أن رجال الحكمة والفلسفة فى بلاد اليونان مثل «بيتاجوراس» (فيثاغور) و «صولون» قد زاروا مصر وأخذوا عن علمائها ونرى مما كتبه « هردوت » وما تركه لنا سلفه « هيكاته » (٥٥٠ ق.م.) نتيجة لسياحتهما فى مصر قبل الثورة الأيونية ، مقدار الأثر الذى تركه المصريون فى نفوس الاغريق عندما علموا مقدار ايفال تاريخ مصر فى القدم بالنسبة لبلادهم (راجع هيكاته Early Ionian Historians, Oxford, PP. 25 Sq. & PP. 81, on Egypt)

ولقد كان من جراء الحروب الفارسية أنها قضت على كل الاتصالات السلمية بين بلاد الاغريق وأرض الفراعنة القديمة لمدة من الزمن . وعلى أثر انتهاء هذه الحروب بالقضاء على ثورة الأمراء المصريين المحليين أخذت البلاد المصرية من جديد تفتح أبوابها للزائرين من الاغريق ، فقد زار الفيلسوف «أناكراجوراس» (Anaxagoras) القطن المصرى وفحص فيضان النيل وهبوطه.

وتدل شواهد الأحوال على أن هلانيكوس (Hellanikos)

المؤرخ الاغريقى وهو معاصر لهردوت قد زار مصر قبله على ما يظهر (راجع Ibid. P. 152, and Especially P. 199) ، ولكن يرجع الفضل

الأكبر فيما كتبه المؤرخ « هردوت » (حوالى ٤٥٠ ق.م) الى معرفة مجهودات المصريين وتأثيرها فى الاغريق مما جعله يثبت أن الثقافة المصرية كانت أعلى من ثقافتهم . ولكنه على الرغم من رغبته فى قبول تقدير المصريين لثقافتهم هم الا أنه بقى اغريقيا قحا فى تفسيره لمصر بعبارات تدل على العقلية الاغريقية . وعلى الرغم من أنه كان مستعدا لأن يعترف بأسبقية ثقافات أخرى وباعتبار الأنظمة الاغريقية مأخوذة عن المصرية ، فانه أراد أن يفسر كل ما هو أجنبى بالروح الاغريقية التى كان يعدها معيارا للبشرية عامة فى التعبير.

والواقع أن مصرى عهد « هردوت » كانوا يظهرون بحق نحو الروح الاغريقية شعور التفوق على الاغريق بل الاحتقار لهم ولا غرابة في أن يكون هذا موقفهم لأن مدينتهم كانت تضرب بأعراقها الى الماضى البعيد بالنسبة لمدينة الاغريق الحديثة التى لم تكن قد وقتت على قدميها بعد فى العلوم والمعرفة - وقد كان المصريون فى تلك الفترة يعلمون بماضيهم القديم الذى لم يطرأ عليه أى تغيير من حيث حاصلات البلاد أو موارد نهر النيل (Herod. II, 177) . وقد كان « هردوت » عليا بهذا الكبرياء المصرى بالنسبة لمجد أجدادهم كما أوضح لنا ذلك خلال محادثته مع كهنة « آمون » طيبة فى معبد الكرنك (Herod. Ibid. 143) فقد حدثنا كيف أنه عندما تتبع « هيكلاته » المليزى الاغريقى الذى زار مصر قبل « هردوت » نسب أجداده الى أن وصل الى آله فى الجيل السادس عشر ، قاده الكهنة الى داخل المعبد وأطلعوه على ثلاثائة وأربعة وأربعين تمثالا منصوبة هناك لأفراد وكان كل واحد منها ابنا لما يليه فى سلسلة متصلة حتى آخر واحد منها دون أن يصلوا فى النهاية الى اله ، وعلى الرغم من الثلاثائة والخمسة وأربعين جيلا فان الرجل الأول كان يريد أن يدلل على أنه رجل نبيل المولد وحسب. وقد عرف « هردوت » طرفا من تفاخر المصرى بماضيه ورهوه بتفوق سلالاته على باقى سلالات العالم. هذا ولدينا مثال آخر فى المحادثة الشهيرة التى جرت بين . صولون « وكاهن مصرى مسن (راجع Plato. tim. 226, Cf. Joseph, Cont. Ap. I, 7 ، فتحدث عن الاغريق بأنهم أطفال لأنه ليس لهم ماضى سحيق فى القدم وقال : « انكم ستظلون أطفالا الى الأبد اذ ليس فى بلاد الاغريق رجل مسن » .

والمرحلة التالية فى العلاقات الاغريقية المصرية تظهر تغيرا ثابتا لما هو حسن . فقد قام بين الأمتين تعاون سياسى بسبب العداوة التى كانت بينهما

وبين الفرس وهذا التعاون يفسر الترحاب الذى أظهره المصريون للاسكندر عند دخوله مصر فاتحا .

والواقع أن الأسرة السادسة والعشرين لم تكن الا الأولى من عدد من الفواصل من سلسلة ملوك أجنبى بدءوا منذ عام ٧٠٠ ق.م. يسيطرون على مصر حتى جاءت الثورة الحالية التى أعادت للبلاد مجدها القديم . وقد كان عهد هذه الأسرة بمثابة ولادة جديدة وذلك عندما قامت المدينة المصرية القديمة من رقادها الطويل وأعادت لمصر تقاليدھا القديمة التى كانت تفخر بها على كل العالم . وأهم شخصية بارزة فى ملوك هذه الأسرة بالنسبة لعلاقته مع الاغريق هو «أحمس الثانى» الذى اشتهر بحبه للاغريق وتوثيق روابط الألفة معهم .

وقد ظهر ذلك فى منحه اياهم «نقراش» ، وتكوين حرسه من «الأيونيين» «والكارينين» وزواجه من سيدة اغريقية من «سيرنى» ، وكذلك عقد معاهدة صداقة مع «بوليكراطيس» حاكم «ساموس» (راجع : Herod. II, 39-40) يضاف الى ذلك أن قوة «أحمس» البحرية كانت هى الأساس للقوة البحرية التى جعلت مصر فيما بعد فى عهد البطالمة المسيطرة على البحر الأبيض المتوسط . هذا وقد قطعت العلاقات بين مصر وبلاد الاغريق فجأة لفتح «الفرس» لمصر . وقد قيل أن «الفرس» أهانوا المعبودات المصرية فى أثناء سيطرتهم على البلاد ، ولكن هذا الزعم باطل كما سيظهر ذلك فيما بعد ، وحتى اذا كان ذلك قد حدث فى آخر عهدهم فانه لم يحدث كما قال «هردوت» فى أول أمرهم ؛ ويطيب أن نذكر هنا أن الأخطاء الماسة بالدين لم يرتكب مثلها الاغريق ، لأن الاغريق كانوا يظهرون دائما كما أكد ذلك «هردوت» أنهم يرون آلهتهم فى الآلهة المصرية لما بين آلهة البلدين من تشابه كبير وذلك ما فسر لنا فيما بعد النجاح العظيم الذى أحرزه الاغريق

في معاملتهم مع المصريين . وقد نالت مصر استقلالها المرة الأخيرة بمساعدة الاغريق لها عندما طرد الفرس من مصر عام ٤٠٤ ق.م. غير أن مصر على الرغم من قيامها بنهضة جبارة في خلال الأسرتين التاسعة والعشرين والثلاثين بمساعدة الاغريق لها فانه في النهاية فقدت استقلالها عام ٣٤٢ ق.م. ومنذ ذلك العهد لم نعرف عنها شيئا مؤكدا الى أن دخلها الاسكندر الأكبر عام ٣٣٢ ق.م. وذلك لقلة المصادر الأكيدة .

ه - نجد أن بلاد الاغريق قد أخذت كثيرا عن مصر وبخاصة في العهد « الساوى » .

فقد ذكر لنا « هردوت » أن المصريين كانوا قوما يحسبون زمنهم بالسنين التي تحتوى كل منها على اثني عشر شهرا . أما في المحيط الدينى فنجد أن المصريين هم أول قوم استعملوا تسميات الاثني عشر الها وهذه التسمية (اقتبسها الاغريق عنهم فيما بعد) وكذلك عزى الى المصريين أنهم هم أول قوم خصوا لآلهتهم العديدين مذابحهم وصورهم ومعابدهم ، وأول من حفر الأشكال على الحجر (راجع Herod. II, 4 ويقول « هردوت » أن اسم « هيراكليس » قد أتى من مصر الى بلاد « هيلاس » ، وذلك لأنه كان الها قديما في مصر وقد اعتبر واحدا من بين الاثني عشر الها وذلك منذ سبعة عشرة ألف سنة قبل حكم « احمس » (Herod. II, 43) وهذا قول مبالغ فيه .

يضاف الى ذلك ان تعاليم ديانة « ديونيسوس » (Dionysos) قد أتت بطريق غير مباشرة من مصر (راجع Herod. II, 49) والواقع أن كل أسماء الآلهة تقريبا قد أتت الى « هيلاس » من مصر الا أسماء الآلهة « پوزيدون (١) » (Poseidon) و « ديوسكورى (٢) » (Dioscuri)

(١) اله البحر الابيض المتوسط أو اله العنصر السائل

(٢) اولاد « زيوس »

و « هيرا » (١) (Hera) و « هستيا » (٢) (Hestia) و « تيمس » (٣) (Themis) و « الجريس » (٤) (Graces) و « النريدس » (٥) (Nereides)
(راجع Ibid. 50)

هذا ولم يتعلم الاغريق عملية التنبؤ من الحيوانات المضحاة من مصر وحسب بل كذلك أقاموا جميعات مقدسة ومواكب وصلوات ، والبرهان على ذلك هو أن الأحفال المصرية قديمة جدا في حين أن الأحفال الاغريقية من عهد غير بعيد (Ibid. 58) وفضلا عن ذلك فإن العقيدة القائلة بأن الروح الانسانية خالدة وأن تقمص الأرواح جاءت من صنع المصريين ثم نقلت بواسطة بعض الاغريق في وقت مبكر أو متأخر الى بلاد اليونان (Ibid. 123) وقد تعلم « بيتاجوراس » في مصر ضمن ماتعلمه تقمص الروح في كل مخلوق وتعلم الاغريق علم مسح الأرض من المصريين ومنها تطور علم الهندسة الذي برع فيه الاغريق (راجع J.E.A., Vol. XII, 1926, P. 242 f.) وقد أخذ « صولون » الاثيني قانون « احمس » الذي يقول فيه أنه يجب على كل مصرى أن يعلن سنويا موارده التي يعيش منها لحاكم مديريته واذا عجز عن ذلك أو عجز عن أن يبرهن على أنه يعيش عيشة شريفة عوقب بالموت . وقد قال « هردوت » أن هذا قانون لاغبار عليه (في هذا مغالطة تاريخية لأن « أحمس » كان ملكا على مصر حوالي عام ٥٢٩ ق.م. في حين

(١) زوج « زيوس » أو أكبر أولاد « كرونوس » و « ريا »

(٢) الهة الموقد أو النار التي في الموقد

(٣) ابنة « اورانوس » (Uranus) تزوجت من « زيوس » (موحدة بالنظام وحاكمة جماعات الناس)

(٤) أخوات الاله وهن تعتبرن مانحات الجمال والرشاقة وقد مثلن بصور غاية في الابداع وهن ثلاث من حيث العدد

(٥) « تيريوس » تعتبرن جنيات البحر الابيض المتوسط

أن « صولون » كان حاكما على ما يظن في أثينا حوالي عام ٥٩٤ - ٥٩٣ ق.م (هذا ونعلم مما كتبه « ديودور » أن « صولون » قد أخذ بعض القوانين عن مصر (راجع Diod, Lix, Lxxvii, xcvi, xcvi) على أن ما نسبته « هردوت » من علوم أخذ عنها الاغريق يعد في نظر العلماء الأحداث مغالاة من جانبه ، وأنه كان يحقر الاغريق ويميل عليهم ميلا شديدة في تقدمه .

ولكن العلم المصرى كان عظيم الانتشار في كل البلاد ، هذا فضلا عن طبقة الكهنة الذين احتكروا العلوم والأدب ولا أدل على ذلك من أنه كان هناك عدد عظيم من الكتاب يعملون موظفين في الدولة ويمثلون العنصر المثقف من الشعب وقد كان في كل مدينة عظيمة مدرسة أو أكثر تابعة للمعبد وكانت تؤلف كليات لاهوتية وقد كان أعظم علماء الاغريق وفلاسفتهم يفتدون الى هذه المدن الشهيرة كما تحدثنا بذلك التقاليد وأهم هذه المدن هي « سايس » و « بوبسطة » و « تانيس » و « هليوبوليس » و « منف » و « الأشمونين » و « ابيدوس » « العرابية المدفونة » و « طيبة » . والواقع أنه كان لكلية عين شمس اللاهوتية شهرة عالمية . وأشهر كبار الهيلانيين الذين أتوا لينهلوا بعض علومها قد دلوا « استرابون » كما يقول شمليون « فيجاك » على الكلية التي تعلم فيها كل من « ايدوكس » (Eudoxe) و « أفلاطون » في « هليوبوليس » .

ويقول نفس المؤلف أن « فيثاغور » قد تعلم في مصر كل ما أمكنه تعلمه في أثناء مكثه فيها ، فقد عاش على ما يقال في أرض الكنانة حوالي عشرين عاما وكذلك تعلم كل من « صولون » و « تاليس » المليزي في مصر ونقل كل ماتعلماه الى بلاد الاغريق . وكذلك نعرف المعلمين المصريين الذين تلقى عليهم « أفلاطون » المقدس (راجع Champollion-Figeac, L'Egypte Ancienne, P. 120-121).

هذا وقد ذكر لنا « شبلليون فيجاك » أسماء معلمين كثيرين من المصريين
تقلا عن بروكلوس (Procius) ، والواقع أنه في عهد الأسرة السادسة
والعشرين كان في مقدور الاغريق أن يزوروا وادى النيل وقيموا فيه في
أحسن حال ، وحتى فيما بعد في عهد الفرس لم يكن هناك عائق يملع
السائحين والمؤرخين ورجال السياسة من أن يجوسوا خلال الديار المصرية
بطمأنينة ويتعلموا عاداتهم وفنونهم ومعتقداتهم الدينية . وأكبر برهان على
ذلك المؤرخ « هردوت » . والواقع أن كل الاغريق الذين أوتوا حظا عظيما
من الذكاء كانوا على استعداد لأن يذهبوا الى منبع الحكمة المصرية .
وقد كان من الطبيعي أنهم أغروا على ذلك بما كان للمدنية المصرية من
شهرة طبقت الآفاق .

وبعد أن أظهرنا حقيقة العلاقات العقلية بين المصريين والاغريق بقى علينا
أن نحدد طبيعة هذه العلاقات فمن المفهوم تماما أن ما بحثناه هنا لا شأن له
اطلاقا بوضع صلة مباشرة بين أفكار مصرية معلومة وبين تصورات الفلاسفة
الاغريق الأول ، اذ الواقع أنه لا يمكن بأية حال من الأحوال أن تفكر في ذلك
في الحالة الراهنة للمسألة بل نريد أن نبرهن على أن الفكر المصرى لا بد قد
ترك بعض التأثير في الفكر الاغريقى ، وعندما نقول العلم المصرى والمعرفة
المصرية يجب أن نفهم أن هذه التعابير لا يقصد منها الا معنى عام جدا وألا
نرى فيها قط ما يقصد به من معنى لهذه التعابير في أيامنا . فلا نفهم من عبارة
العلم المصرى المعلومات الفنية والعلمية والرياضية والفلكية وحسب ، بل
كذلك مجموع آراء دينية وفلسفية مضافة الى عقائد وتجارب سحرية . والواقع
أن هؤلاء العلماء الذين حضروا الى مصر وتعلموا فيها ترك كل منهم أثره في
علوم الاغريق وعقائدهم بدرجة محسنة فمثلا قد استعمل الاغريق بدون
شك عقائد مصرية مسلما بها خاصة بمصير الانسان في عالم الآخرة . ويجب أن

يتبعها في حياته الدنيوية وفي موضوع نهاية العالم الذى يمشى فيه نجد الاغريق كالمصريين كانوا يعتقدون فى وجود الروح المجنحة وخلودها فنشاهد على الآثار المصرية وفى المقابر أن الروح مثلت فى صورة طائر برأس انسان . وكذلك نجد الاغريق قد أخذوا فكرة حقول الاليزية (الجنة) الخاصة بالمصريين فى مملكة الأموات التى كان يترجع على عرشها أوزير ، والكلمة الاغريقية نفسها « ايليزة » تذكرنا بصورة غريبة بالكلمة المصرية « يالو » أو « أيلو » (حقول الجنة) ، وكذلك نجد أن النيل والقنوات التى وضعها الخيال فى عالم الآخرة ان هى الا تقليد للنيل الحقيقى والقنوات الدنيوية قد استخدمت نماذج للنهر النارية التى ذكرها الاغريق فى أساطيرهم والأصل المصرى للكلمة الاغريقية « رادا منت » = تقابل التعبير المصرى « رع ام انت » أى الاله رع فى الغرب (وكلمة انتى معناها الغرب أو عالم الآخرة) ، وكذلك الكلمة الاغريقية « كارون » التى تعنى « نواتى » الجحيم مشتقة من الكلمة المصرية « كارو » التى تعنى القارب أو المرشد فى اللغة المصرية . هذا الى أن محاكمة الأموات أمام محكمة أوزير وكذلك تمثيل المحاكمة فى عالم الآخرة ، قد نقل الى العقائد الاغريقية الماثلة وكذلك وزن الروح الذى كان له قيمة كبيرة فى شعر « هومر » مأخوذ برمته عن العقائد

المصرية (راجع Eliade Chant VIII, vers 68-74)

ونرى مما سبق أن الاغريق قد أخذوا كثيرا عن قدماء المصريين ثم هذبوه على طريقتهم ووضعوه فى قالب جديد علمى عقلى وقد قام بذلك سلسلة فلاسفة وعلماء جاءوا الى مصر قبل عهد سقراط . وهؤلاء يرتبون ترتيبا تاريخيا ما بين القرن السابع ونهاية القرن الخامس قبل الميلاد تقريبا . والواقع أن تاريخ الفلسفة اليونانية القديمة يحتوى على ثلاثة عهود رئيسية وهى عهد لتكوين وعهد النضج ثم عهد الشيخوخة . وينقسم عهد التكوين بدوره

الى عهدين أولهما يمتد من أول الفيلسوف « تاليس » (Thales) حتى عهد
السفسطائيين وسقراط وهذا هو عهد الفلاسفة الذين أتوا قبل سقراط ،
وهو العصر الذى كان فيه العلم والفلسفة موحدتين تماما ويشغل حوالى
قرنين من الزمان ، والعصر الثانى شغل جميعه تعاليم « سقراط »
والسفسطائيين ويعنينا من هذين القسمين الثانويين القسم الأول فقط وذلك
لأنه يشمل طلائع الفلاسفة الذين قبل « سقراط » وهم الذين زاروا مصر
للدروس والتعلم .

وفلاسفة هذه الفترة قد كونوا مدارس فلسفية وهى مدرسة « أيونى »
ومدرسة « ايطاليا » ومدرسة « الى » (Elee) ومدرسة « أبديرى »
(Abdiri) ، ويضاف الى هذه المدارس أولئك المفكرون الذين
يعدون شبه منعزلين مثل الفيلسوف « أناجازجوراس » وكذلك أصحاب
الأذهان ذوو النزعات المصلحة والمكونة مثل «أمبيدوكليز» الذى سعى فى
أن يصب فى نظام واحد أصل المذاهب « الأيونية » و « الهيراكلىة » و
« الايلية » و « البيثاجورية » . وفلاسفة هذه المدارس وغيرهم ممن جاء
قبل سقراط قد زاروا مصر وتأثروا بتعاليم مدارسها وكهاتها ونقلوا كل
ما تعلموه الى بلاد الاغريق فتأثرت بذلك العلوم الاغريقية أيما تأثير وقد
أصبح من المؤكد أن فلسفة اليونان وعلومهم فى عهودهم الأولى ترجع الى
أصل مصرى بحت . وسنحاول هنا أن نذكر كلمة عابرة عن كل من نظريات
هؤلاء الفلاسفة ومقدار تأثيرهم بالعلم المصرى والفلسفة المصرية وقصدنا من
ذلك اظهار الرابطة المتصلة الحلقات التى كانت بين مصر وبلاد اليونان
حتى عهد الاسكندر والبطلمة .

١ - تاليس (Thales) : يعد « تاليس (١) » مؤسس مدرسة

« ميليتيس » وهى أول مدرسة أسست فى بلاد اليونان للفلسفة .

ولد « تاليس » فى ميليتيس « عام ٤٦٠ ق.م. ويعتبر أقدم ممثل للعلم الاغريقى وكذلك مؤسس العلم المبني على البراهين العقلية . وفى زمنه كان العلم هو الفلسفة والفلسفة هى العلم وكان هو أول من فرق بين الاثنين وقد طاف فى «كلديا» وفى مصر (١) وتعلم منها عناصر العلم وقد عاش فى مصر زمنا طويلا وقد تعلم عن الكهنة المصريين كل ما أمكنه وعاد الى بلاده يحمل أفكار المصريين عن الرياضه والحساب والهندسة . وكان تأثير المصريين فيه ظاهرا فى مجال الفلسفة . والظاهر أنه أول من شغل نفسه بموضوع المادة التى يتكون منها العالم . فكان يعتقد أن كل الأشياء مصنوعة من الماء الذى يدخل فى تركيب كل شيء ، وهذا رأى مأخوذ مباشرة من فكرة أصل تكوين العالم عند مدرسة هليوبوليس الدينية. وهى التى تقول أنه فى البداية كان « رع » اله الشمس قد خرج من الماء الأزلى « نون » الذى سكن فيه بلا حراك أبديا . والمهم هنا أن نضع فى ذاكرتنا أن « رع » اله الشمس قد خرج من الماء الأزلى « نون » وقد دلت البحوث الدقيقة أن « نون » المصرى يقابل بالضبط عند الاغريق « كايوس » التى تعنى الماء الذى لاقرار له ، ومن ثم نرى أن التأثير المصرى واضح تماما فى « تاليس » وأنه نقل الفكرة عن مصر (٢) .

٢ - أناكزيماندر (Anaximander) : كان « أناكزيماندر » تلميذ « تاليس » . ولد فى «ميليتيس» حوالى عام ٦١٠ وقد عزي اليه اختراع الساعة الشمسية . وكان يعتقد أن المادة الأولية هى اللانهائية (٣) وأن أصول

Diels, Ibid. I, A II.

Diels Ibid. 1, A 3, I A II.

Diels Ibid, 2, A I A9, — 7, A 92 — 2, A 10.

— 2, A II — 2, A 13 — 2 A 15, 34, 37, — 2, A 17.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

الأشياء كانت اللانهائية ، وأن اللانهائية تنتعش بحركة أبدية وتخلق كل الأشياء . وكان يعتقد أن اللانهائية الهة ولا تقنى، ومنها تأخذ كل المخلوقات مادتها وخواصها . ويلعب الماء فى النظام الذى اعتنقه « أنا كزيماندر » دورا ثانويا ومع ذلك فإن الدور الذى يقوم به الماء هام جدا وذلك لأن الماء هو عنصر من العناصر التى تتكون منها الأجسام .

وعلى أية حال فإنه يجب ألا يغيب عن الذهن هنا أن « أنا كزيماندر » ومن قبله « تاليس » لا بد أن كانا قد تأثرا بالفكرة المصرية التى كونها عن الأرض والآلهة وبخاصة الفكرة الخاصة بطريقة توالد الحيوان وذلك بسبب أن الحيوانات التى تعيش فى الطينة السوداء، الراسبة من فيضان النيل عند انحساره قد لقت نظر المصريين وقد ظهر منها سلسلة بحوث وتفسيرات ويكفى أن نعطى مثلا واحدا هنا هو الآلهة « ساتيس » التى كانت زوج الآله « خنوم » اله الشلال ، وقد كانت تمثل فى صورة ضفدعة وقد ظن المصريون أنها تولد من نفسها من غرين النيل الذى تخلف من فيضان النيل دون تلقيح آخر (Sayce, The Religion of the Ancient Egypt) وهذه هى نفس نظرية « أنا كزيماندر » .

٣ — أنا كزيمين^(١) (Anaximene) الملىزى « وديوجنيس » الابولينى (Diogones) . وهذان الفيلسوفان فكرا فى أن أصل الأشياء هو الهواء بدلا من الماء ومن اللانهائية عند « تاليس » و « أنا كزيماندر » على التوالى . وتدل شواهد الأحوال على أن هذه الفكرة مأخوذة عن فكرة المصرى فى أن أصل الحياة هو النفس الذى يعبر عنه المصرى « بنفس الحياة » وبدونه لا توجد حياة . وقد كان نفس الحياة منتهى أمنية يلتسمها المصرى من الفرعون ومن الآله .

(١) راجع J. Albert Faure, L'Egypte et les Présocratiques, P. 13 f.

٤- بيتوجوراس (Pythagoras) فثياغور

ولد « بيتوجوراس » في أوائل القرن السادس قبل الميلاد والمحتمل جدا التي كانت تسمى باسمه في بلاد اليونان . ولا نزاع في أن سياحة أنه زار مصر ومكث فيها حوالي عشرين عاما وأخذ علومه هناك عن الكهنة « بيتاجوراس » واقامته في مصر كان لهما فائدة عظيمة . اذ الواقع أن أوجه الشبه التي توجد بين بعض العقائد المصرية ونعاليم « بيتاجوراس » عن انتقال الأرواح من مخلوق لآخر لم تكن غفو خاطر . وقد أورد « هردوت » البراهين على أن هذه الفكرة مأخوذة عن المصريين . هذا ولدينا في كتاب الموتى الأمثلة العدة الدالة على تقمص الأرواح . والنتيجة التي وصلت اليها البحوث الدقيقة المقارنة في أن انتقال الأرواح من مخلوق لآخر قد أخذت عن المصرية وأنها قد تكونت شيئا فشيئا في مصر ثم انتهت بأن أصبحت تدرس في مدارس اللاهوت الاغريقية تقلا عن مصر .

٥- هيراكليتوس (Heraclitus)

تحدث فلسفة « هيراكليتوس » كذلك عن مسائل الروح والعلم والله ولد الفيلسوف في « أفيسوس » حوالي منتصف القرن السادس وفلسفته مبنية على أن النار هي أصل كل شيء . وهذه النار تبرز نفسها في كل الظواهر المادية وفي كل الأشكال التي تقع تحت الحس « أمام النار تغير كل الأشياء نفسها وأمام كل شيء النار ، كما تتغير الثروات أمام الذهب والذهب أمام الثروات » ويقول كذلك : « ان تغيرات النار هي أولا البحر وتغيرات البحر هي نصف أرض ، والى نصف مادة نارية » . ومن ثم نرى أن أهم خواص صفات فلسفة « هيراكليتوس » هي اتحاد المتناقضات . ومن ثم يقول أن المكروه ، نافع ، ولهذا يتألف من المتناقضات

أجبل الانسجام والكل يكون نفسه بالخصام وكلمة العدل لا تعرف الا اذا كان هناك ظلم . وهذه الأمثلة كانت ضرورية لأجل أن تقدم عناصر الموازنة بين أفكار « هيراكليتوس » الخاصة والفكرة المصرية . فمما لا نزاع فيه أولا أنه من المستحيل عدم التعرف على التأثير المصرى فى الدور الذى نسبته « هيراكليتوس » للنار . والواقع أن شمس هيراكليتوس لم تفسر بأنها أحسن مظهر مادى وظاهر للنار وحسب، بل كذلك تفسر بأنها النار الخفية المفكرة وبصورة ما تفسر بالنار الروحية التى تعتبر النار المادية صورة منها ، فيقول فى ذلك « أن الشمس ليست جديدة كل يوم فقط بل فى الواقع أنها دائما جديدة دون انقطاع وفى ذلك ما يكفى لىذكرنا بأسطورة الشمس المصرية التى تشرق ، أو بعبارة أخرى تولد كل يوم فى شرقى أفق السماء باسم « حور أختى » وتغيب أو تموت كل ليلة فى الغرب باسم « أتوم » . غير أن هذا الموت ليس الا أمرا ظاهرا وحسب .

٦ - اكرنوفون الكلوفونى (Xenophon of Colophon) :

يعد « اكرنوفون » مؤسس مدرسة الى (Elee) الفلسفية . ولد فى المدة التى تقع ما بين سنة ٦٢٠ و ٦٠٠ ق.م، وكان معاصرا للفيلسوفين «أناكزيماندر» و « بيتاجوراس » . ويمكن أن نتعرف فى أفكاره على بعض الآراء التى توجد فى العقائد التى كانت متبعة فى وادى النيل ، غير الأفكار الظاهرة التى تنقدها . فنجد مثلا أنه يحارب ويرفض فكرة تعدد الآلهة . وذلك أن « اكرنوفون » كان يعتقد بوجود اله واحد . والتوحيد عنده هو عبارة عن وجود الاله فى كل شئ ، ويقابل ذلك عند المصريين الاله « رع » الذى هو عبارة عن مظهر للشمس أو « لآمون رع » ، والواقع أن الاله المصرى له كل الصفات وبخاصة الصفات الخلقية التى تعرف المفكرون الاغريق عليها فى كينوته السامية . ومن ثم فان فكرة « اكرنوفون » مأخوذة عن مصر مباشرة.

٧ - أمبيدوكليز (Empydocles)

ولد الفيلسوف « أمبيدوكليز » في « أجريجت » حوالي عام ٤٨٤ ق.م. وكان طبيبا وكاهنا وخطيبا وشاعرا وفيلسوبا وساحرا . وأساس عقيدته تنحصر في أنه كان أول من وضع نظرية تكوين العالم من العناصر الأربعة الأرض والماء والهواء والنار ، وهذه العناصر في نظره موحدة وأبدية . وفي رأيه أن العناصر تتجمع سويا وتنفصل بعضها عن بعض وذلك بسبب قوتين خارجيتين عنها وهاتان القوتان هما الأساسان المتضادان اللتان يسميهما « أمبيدوكليز » الحب والبغض . وهذان العنصران لا يحسان ولا يريان . وهذه الفكرة تتفق مع فكرة الثنائية عند المصريين وقد كانت في بدايتها مادية غير أنها أصبحت فيما بعد خلقية . وأسطورة « أوزير » تقدم لنا مثالا ممتازا، فقد كانت في أول الأمر ظاهرة طبيعية أى الحرب بين « حور » و « ست » ثم تدرجت الى أن أصبحت الحرب بين الطيب والخبيث ، وبين النور الذي يضيء أى الروح والظلام الذي يجعلها مظلمة ومصر كانت أول أمة استعملت الثنائية الخلقية وعنها أخذ اليونان على يد « أمبيدوكليز » هذه الفكرة .

٨ - أناجزاجوراس

ولد هذا الفيلسوف في « كلازومنيس » حوالي عام ٥٠٠ ق.م ومات حوالي عام ٤٢٨ ق.م ، وقد جاء فيما كتبه مؤلفو الاغريق أنه ذهب هو و « أفلاطون » الى مصر وتعلم فيها علوم اللاهوت والعلوم الطبيعية . ويعتقد « أناجزاجوراس » في أبدية المادة ولكنه بدلا من فكرة تكوين العالم من العناصر الأربعة التي نادى بها « أمبيدوكليز » رأى أن كل شيء يحتوى على ذرات صغيرة لا حصر لها وهى موحدة في طبيعتها بالأشياء التي تكونها وكل واحدة تشابه الأخرى وعناصر كل شيء تتدخل في تكوين الجسم .

ويقول هذا الفيلسوف أنه في البداية كانت العناصر ممتزجة وكانت

الأشياء فى حالة فوضى ثم خرج فجأة العقل أى الروح . وقد قسم العقل العناصر وأدخل الحركة فى العالم ووضع فيه الجمال والتناسق (أى أن العقل قد وضع النظام فى كل شىء وبالاختصار قام العقل بدور خالق نظم العالم) . والواقع أنه عندما تفحص نظرية علم نظام العالم وقوانينه عند قدماء المصريين بصورة عامة نجد فيها ما يشابه نظرية «أناجازوراس» فما لاشك فيه أن « نون » (الماء الأزلى) لا بد كان يحتوى فى نفسه على قوة خفية دفعته لخلق الكائن « أتوم - رع » بواسطة خبر رع (اله الوجود) الذى يمكن أن يدل عن هذه القوة نفسها وهى تعمل . وعلى ذلك يكون لدينا فى علم ما وراء الطبيعة المصرى ما يمكن قرنه بالفعل عند « أناجازوراس » والقلب عند قدماء المصريين هو الفهم أو العقل .

٩ - « لوسيبى » (Loucippe) و « ديموكريتوس »

يعتبر « لوسيبى » المؤسس لمدرسة « أبديرى » التى تبحث فى الذرة ، والواقع أنه فى مدرسة أبديرى يلحظ أن جميع العناصر وانفصالها ليس نتيجة لتأثيرين أساسيين مضادين هما الحب والبغض كما صرح بذلك «امبيدوكليز» أو عقل متحرك كما تصور «أناجازوراس» ولكنها نتيجة لحركة الذرة الأبدية . والمهم هنا أن نجد أية صلة بين هذه الفكرة وبين العقيدة المصرية . ومهما يكن الدور الذى لعبه « لوسيبى » فإن أعظم مثل لنظرية الذرة هو « ديموكريتوس » الذى خلفه .

عاش هذا الفيلسوف مدة طويلة فى الخارج وزار خلالها مصر وكلدنيا وقد حدثنا أنه غادر بلاده الى مصر ليكون على مقربة من الكهنة ليتعلم الهندسة . والواقع أنه أمضى عدة سنين تعلم فى خلالها شعائر هؤلاء القوم ، وقد كان بحرا فياضا فى معلوماته فقد حوى فى صدره كل المعلومات الانسانية فى عهده . ويمعد هو و«بيتاجوراس» و«أفلاطون» و«أرسطوطل» من

أعظم المعجزات العالمية ، فقد تعلم التاريخ الطبيعي والطبيعة والفلك والرياضيات وكلها بنجاح متعادل والواقع أنه مدين بجزء من علمه لمصر والشرق . ولا بد أن نشير هنا الى أن «ديموكرتوس» كان تلميذ المصريين في علم الكيمياء المصرية وذلك لأن مصر كانت موطن علم «الكيمياء» وعلى ذلك يمكننا أن نؤكد أن «ديموكرتوس» من حيث العلم كان قد تأثر بالأفكار المصرية والعلم المصرى ، وليس بغريب أن تكون فكرة الذرة جاءت من تعلمه الكيمياء هناك وهذا ما يتفق مع الآراء الحديثة بمض الشيء . فتحويل المعادن الذى كان يجرى وراءه المصريون بوساطة الكيمياء يعد من أهم ما تكشف عنه الحوث الذرية فى عصرنا .

والخلاصة من الاستعراض الذى سبق يمكن القول صراحة أن مصر قد أثرت فى العلوم اليونانية تأثيرا أساسيا ويمكن تلخيص هذا التأثير فيما يأتى: يمكن أن تساءل الانسان أولا : هل من الممكن ألا تترك حضارة لامعة - كالحضارة المصرية التى ظلت مزدهرة عدة قرون أى تأثير على قوم مثل الاغريق الذين كانوا ، بفضل موقعهم البحرى ، لديهم كل تسهيلات للاقلاع فى عرض البحار للبحث فى البلاد النائية - وبخاصة مصر - عن غذائهم المادى والذهنى ، وكذلك مواردهم المادية ؟ وسنضطر أن نجيب على هذا السؤال الذى فرض علينا فرضا . لقد ذكرنا فيما سبق لعدم كفاية البراهين القاطعة - اقتراحات هى فى نظرنا كافية لتخلق فى نفس القارىء تأكيدا أدبيا . وعلى أية حال فان الفكرة القائلة أن بلاد اليونان قد تطورت بذاتها وحدها ولا تدين بشئ للحضارات التى سبقتها لا بد أن تيجى كلية .

ولقد كانت مهمتنا فى كشف النقاب عما أخذته بلاد اليونان عن مصر تعتمد بقدر الامكان على الأمثلة التى برهنت على أن مصر تركت تأثيراتها العلمية والفلسفية فى بلاد الاغريق كما وضحنا ، وكذلك كيف أن أول نظرات للهيلانيين ألقتهما على العالم فيما يخص الله والروح والمادة والفهم كانت تحمل

في طياتها الطابع المصرى دون أن نتقص من عظمة ذكاء الاغريق وعبقريتهم
وفي الوقت نفسه فانتا على النقيض من رأى معترف به بوجه عام لأنه خاطئ
من أساسه ، وذلك أنه يوجد فاصل كبير بين الروح المصرية فى البحث وهى
روح تجريبى وبدهى، وبين الروح الاغريقية التى تنطوى على التعقل والمنطق،
وعلى ذلك فان الأولى أمكنها أن تؤثر على الثانية . حقا ان الأعمال التى
أنت بها العبقرية الاغريقية والتى خطت للفكر العالمى العام اتجاها جديدا
أسفر عما نسميه بحق المعجزة الاغريقية ، تبرز نجاحا عظيما بالنسبة الى
ما أوضحه لنا المفكر الشرقى ، ولكن على الرغم من ذلك فانه من الممكن
باتخاذ مصر مثالا يحتذى به فى أن المدنية الشرقية قد احتوت على العناصر التى
استعملها الاغريق فى بناء نظامهم عن أصل العالم وتنظيمه ونهايته ، وكذلك
عن طبيعة الانسان ومصيره .

وعلى أية حال فانه على الرغم من أن العلم الشرقى يوصف بأنه وصفى
وحسب فانه قد بذلت مجهودات فى ترتيب المخلوقات الى أنواع وفصائل كما
يبرهن على ذلك ما كشف من بحوث فى مكتبة « آشور بنيال » تثبت ذلك .
ومن جهة أخرى فان الفلسفة الشرقية على الرغم من أنها مرتبطة ارتباطا
وثيقا بالمعتقدات الدينية والأساطير الخاصة بتناسل الآلهة وعلى الرغم من أنه
ليس لها علاقة بالعلم ، وعلى ذلك فانها ليست بالفلسفة بالمعنى الأوروبى ، فانها
بصرف النظر عن كل ذلك تتجه نحو تفسير صحيح للأشياء وبذلك تستحق
اسم « ما قبل الفلسفة » . وعلى ذلك فان النتائج من كل ما سبق هى أن العلوم
الشرقية والفلسفة الشرقية وبخاصة العلم والفلسفة المصريين يعتبران الموجدتين
الأوليين للعلوم العالمية وليس هناك من يعارض فى أن المدنية المصرية قد لعبت دورا
عظيما فى أصول الفكر الاغريقى ، فى عهد كانت مصر وبلاد الاغريق لهما
علاقات سياسية وتجارية معا . ومن ثم فان « الاسكندر » عندما دخل مصر
كان يعلم أن علوم الاغريق يرجع نبعها الأصيل الى مصر ، ولهذا كانت مصر

نمد مهد العلوم والحكمة والدين في كل العالم وبخاصة العالم الاغريقى الأول ولا غرابة فان « أفلاطون » الذى علم « ارسطو » معلم « الاسكندر » كان قد حضر الى مصر وأخذ من علمائها ما أفاد بلاد الاغريق والحضارة الاغريقية ، تلك الحضارة التى عادت ثانية لتبنى لنفسها مجدا جديدا فى عصر البطالمة فى أرض النيل التى أخذت عنها فى بادىء نشأتها مبادئ علومها ودينها وفلسفتها .

ومن جهة أخرى نجد أن المصريين قد تأثروا بالمدينة الاغريقية وبخاصة دياتتها (راجع

Alan Row, Discovery of the Famous Temple Enclosure of Serapis at Alexandria. P. 45).

عودة الاسكندر من واحة سيوة

بعد أن عاد الاسكندر الأكبر من واحة « سيوة » وهو يحمل لقب فرعون بكل معانى الكلمة أمضى الشهر الأخير من اقامته فى مصر فى مدينة « منف » . وقد كانت أول مهمة قام بها هى تنظيم أحوال البلاد وتميين موظفين مختلفين ليقوموا بإدارة الحكومة . وفى هذه الفترة زاره رئيس اسطوله المسمى « هجلوكس » (Hegelochus) وكان معه أسرى « أريستونيكوس » مبتننا (Aristonikus of Mythymna) وغيره من مختلف ملوك مدن الأغريق . فأمر الاسكندر أن يسلموا هؤلاء الى مدنهم وأن يعاملهم السكان كما شاءوا ، باستثناء « شيان أبو اللونيدس » (Chian Apollonides) الذى أرسل الى القتين ليسجن هناك . والظاهر أن هؤلاء المستبدين قد ارتكبوا فظائع كبيرة فى معظم المدن لدرجة أنهم لما سلموا الى بلادهم عذبوا حتى الموت (راجع

Cartius, IV, 10, 3; Arrian III, 261 ; Curtius VI, 18, 8.

ويلحظ أن الاسكندر منذ اللحظة التى توج فيها ملكا على مصر أصبح يدعى ابن الاله ووارثه ملك القطرين ، وبعبارة أخرى كان يعد فى نظر المصريين

الها . ولكن الاغريق في مصر لم يكونوا ينظرون الى هذا الحدث كما كان ينظر اليه المصريون ، بل كانوا ينظرون اليه بأنه اجراء سياسى ولم يأخذوه بصورة رسمية وذلك في العالم الاغريقى الذى اللهه بهذه الصورة . وقد كانت رغبة الاسكندر في تأليهه عند الاغريق ليثبت قدمه في المدن الاغريقية وينشر سلطانه عليها . وقد اعتقد بعض الاغريق في الالهة الاسكندر وعبادته في مدة حياته ، وذلك عندما بدأت المدن تتعبد لأخلافه وذلك لأن هؤلاء رحبوا بالفائدة السياسية التى مستكود عليهم كما عادت عليه ، فقد عبد كل من « أتيجونوس الأول » و « ديمتريوس الأول » و « ليزيماكوس » و « سيلوكوس » و « بطليموس الأول » وكلهم من قواده ، وكذلك عبدت « كاسندر » في مدن مختلفة ، غير أنه لم يصبح واحد منهم الها رسميا مدة حياته . وقد نجا ثلاثة من الاغريق في مصر من الخطر لأنهم عظموا « بطليموس الأول » وزوجته « برنيكى » بوصفه الاله المخلص (راجع 1. Archiv V, 156, No. 1) غير أن ذلك لم يكن تأليها رسميا . وعلى أية حال عبد « الاسكندر » في الاسكندرية بوصفه مؤسس المدينة (راجع 77. Plaumann Archiv VI) . كما كان يعبد مؤسسو مدن أخرى في الغالب ، وبعد وفاته عبد « ايمينيس » وجيشه المقدونى ومن المحتمل أنه كانت هناك عبادة رسمية « للاسكندر » كما توحى بذلك النقود في مملكة « ليزيماكوس » .

ولكن العبادة التى كانت تعد حقا مفاجأة للعالم كانت العبادة الرسمية للملك وهى التى أسسها « بطليموس الثانى » كما سنتحدث عن ذلك بعد ، ويحتمل أن ذلك قد حدث بعد أن توج ملكا على مصر . وبعد ذلك أسس « بطليموس » الثانى عام ٢٨٠ ق.م. في الاسكندرية عيدا عظيما لوالده « بطليموس » الأول وقد حذا حذوه « انتيوكوس » فاله « سيلوكوس » بوصفه « زيوس نيكاتور » ، وبعد ذلك أصبح كل ملك على هذا المبدأ يؤله رسميا بعد موته مثل الاسكندر .

ومن المحتمل أن « بطليموس الثانى » هو الذى اتخذ الخطوة الحاسمة فى هذا الصدد ، وذلك أن أخته « أرسنوى الثانية » قد ألهمت رسميا قبل موتها بوصفها الالهة « فيلادلفس » ومعها « بطليموس الثانى » (الذى لم يدع قط فيلادلفس) الذى أصبح كذلك الها فى مدة حياته اذ كان يعبد معها أو بفردة ، وبعد ذلك أصبح كل ملك يحكم مصر يدعى الها بطبيعة الحال ، ويأخذ مكاته فى العبادة الرسمية ، وقد كان على رأس هذه العبادة « الاسكندر الأكبر » الذى يقوم بالكهانة له أعظم من فى مصر (راجع Bibliography: C.A.H. Vol. VI, 598, add.—L.R. Taylor J.H.S, (1927) 5 ; Tarn J.H.S. (1928), P. 206.

هذا ما كان من أمر الاغريق بالنسبة للاسكندر أما المصريون أهل البلاد فكان « الاسكندر » فى نظرهم ابن « آمون » ، واله يعبد بوصفه فرعون مصر . وقد كانت القاعدة المتبعة أن يحمل كل فرعون خمسة أسماء كبار — يختارها لنفسه وتكون خاصة به وتنقش على الآثار ، وقد كانت هذه هى العادة المتبعة منذ الدولة القديمة . وهذه الأسماء هى :

(١) « الاسم الحورى » أو اسم «القرين» ويمثل الملك بوصفه المثل الأرضى للاله القديم الذى كان يمثل فى صورة الصقر «حور» الذى أصبح فى الأزمان القديمة جدا اله مصر الأسرى وبهذه الصفة وحد باله الشمس «رع» نفسه وهذا الاسم كان يكتب عادة فى اطار مستطيل وفى أسفله رسم باب وهمى كما شاهد ذلك فى مقابر الدولة القديمة المصرية . وعلى قمة هذا المستطيل يشاهد الصقر الذى يمثل حور والظاهر أن هذا المستطيل والباب الوهمى الذى فى أسفله يمثل القصر الملكى .

(٢) الاسم الثانى هو « نبتى » ومعناه السيدتان ويظهر الملك بوصفه موحدًا فى شخصه الالهتين الرئيسيتين للبلاد فى العهد الذى سبق الأسرة الأولى مباشرة عندما كانت مصر لا تزال مقسمة مملكتين وهاتان الالهتان هما

العقاب « نخبث » الهة الوجه القبلى فى مدينة الكاب والالهة « واجيت » (اچو) وتمثل فى صورة حية للوجه البحرى ومقرها مدينة « دب » وهاتان المدينتان كانتا تجاوران مباشرة العاصمتين « نخث » (هيراكليو پوليس) و « پ » على التوالى . وهذا هو السبب فى شهرة هاتين الالهتين .

(٣) الاسم « حور الذهبى » ومعناه فى أول الأمر « حور المصنوع من الذهب » ثم قصده فى العصر المتأخر حور المنتصر على « ست » . وبعد ذكر نعت حور الذهبى يأتى الاسم الذى كان يصف هذا النعت .

(٤) لقب الملك وهو الذى يسبق اللقب « نسوت بيتى » (أى الخاص بنبات البردى أو الحلقا والنحلة وذلك أن النبات « سوت » كان يمثل الوجه القبلى والنحلة تمثل الوجه البحرى ، ومعنى اللقب (نسوت بيتى) ملك الوجه القبلى والبحرى ويكتب اللقب الذى يأتى بعد ذلك فى طغراء .

(٥) اسم الملك ويقدم بالنعت « ابن رع » أى ابن (اله الشمس) « رع » والاسم الذى يكون فى طغراء بعد عبارة « ابن رع » هو الاسم الذى كان ينادى به الملك مثل الاسكندر أو بطليموس أو « تحتمس » الخ .

ومما يؤسف له جد الأسف أنه لم يصلنا من الأسماء الكبيرة الخمسة للاسكندر الا ثلاثة أسماء نذكر منها اسمه المصنوع من الذهب أو « حور القاهر ست » : وهو الأمير الشجاع الذى استولى على البلاد الأجنبية وحامى مصر . وفى هذا اللقب ما يشعر بما كانت تطمح اليه نفس الاسكندر الأكبر .

حكومة مصر فى عهد الاسكندر

وقبل أن يغادر الاسكندر أرض مصر لشن الغارة على ملك القرص و انتزاع ملكه منه نهائيا ، منح مصر حكما ذاتيا ثابت الأركان ، فكان يدير حكومة البلاد حاكمان أحدهما مصرى الأصل وهو (بتيزى) (عطبة اريس) والثانى يدعى « دولواسپيس » (Doloaspis) ويقال أنه كان أناضوليا أو

فارسي المنبت ولكن يظهر لى أنه كان مصرًا أيضا وقد قسمت ادارة البلاد بينهما ، وعلى أية حال فان هذا الحاكم الأخير قد اعتزل الحكم بعد توليه مباشرة . والواقع أن « بتيزى » لم يكن فى يده من السلطان الا وزارة الداخلية . هذا وقد عين الاسكندر قوادا لحامياته المقدونية فى الديار المصرية وهم القائد (بنتايون) (Panataleon) من أهالى « بيدنا » (Pvdna) الذى عين فى « منف » والقائد « بوليمو » (Polemo) مواطن « بلا » (Pella) فى مدينة « بلوز » (القرما) وعين قائدا للجنود المرتزقة واسمه لوسيداس الابنولى (Lucidas the Aetolian) ونصب ايجنوستوس (Eugnostus) ابن اكرنوفاتتوس (Xenophantus) سكرتيرا للجنود المرتزقة وكان أحد سمار الاسكندر . ثم نصب عليهم مشرفا (Episkopoi) اسلكس وكذلك أفييوس (Ehippus) من أهالى « كالسيس » (Chalcis) ونصب أبوللونىوس (Apollonius) النقراشى الأصل حاكما على بلاد لوبيا المجاورة لمصر ، وكانت قد سلمت له دون قيد ولا شرط ، ثم ولى كليومنيس (Cleomenes) على مقاطعة العرب الواقعة حوالى مدينة « هيرونبوليس » (Heroonpolis) وقد أمره أن يسمح للحكام الوطنيين للمقاطعات بأن يديروا شئون مقاطعاتهم على حسب القواعد القديمة المقررة فى البلاد على أن تجمع منهم الضرائب المفروضة عليهم . هذا ونصب الاسكندر فضلا عن ذلك اثنين من أشرف رجال مقدونيا قائدين للجيش الذى تركه فى مصر وهما « بوسستاس » (Peucestas) و « بلاكروس » (Balacrus) كما نصب أمير للبحر القائد « ترامنيس » (Theramenes)

ويقال أن السبب الذى من أجله وضع الاسكندر حكومة مصر فى أيد عدة هو أنه كان مندهشا من قوة البلاد الحربية (راجع Arrian III, 5) غير أن النظام الذى ذكرناه هنا لم يدم طويلا . والواقع أن النظام الذى وضعه الاسكندر هو ما أملت طبعه وهداه اليه تفكيره ، ولكن ذلك لم يكن يلائم

أفكار « كليومنيس » النقراشى الذى جمع كل السلطة فى يده ، ومن ثم فإن النظام الذى وضعه الاسكندر لا بد أن فقد فاعليته ان لم يكن قد محى ، وما لا ريب فيه على أية حال أنه فى عام ٣٢٣ ق . م عندما توفى الاسكندر لم تكن مصر الا مديرية من مديريات الامبراطورية المقدونية أو بعبارة أخرى شطرية يحكمها « كليومنيس » . وهكذا نجد أن مصر التى كانت تسمى منذ قرون الى أن تصبح قوة عظيمة على ساحل البحر الأبيض المتوسط قائمة بذاتها قد جعلها الاسكندر تدخل فى نظام الممالك التى تتجه نحو بلاد « ايجيه » ولا نزاع فى أنه منذ عام ٣٣٢ ق.م. كان مصير مصر مرتبطا بذلك العالم الجديد الذى خلقه الاسكندر الأكبر وهو ذلك العالم الذى أخذ يتحول شيئا فشيئا نحو الغرب ، وقد ظلت الرابطة التى كانت تربط مصر بالغرب لاتنقسم عراها حتى فجر القرون الوسطى عندما أخذ الاسلام بفتوحه يفصل لمدة طويلة بلاد الشرق الواقعة على البحر الأبيض المتوسط عن بلاد الغرب التى كانت غارقة فى بحار الجهالة والضلالة .

وتفهم بقدر ما يسمح به الوصف الذى تركه لنا المؤرخ « أريان » أن مبدأ نظام الحكم فى مصر كان ينطوى على شل يد الحكام فيها بفعل بعضهم البعض بطريقة تنطوى على الحزم والحكمة فوجد مثلا أن القيادة الحريية العليا كانت مقسمة بين قائدين كما ذكرنا آتقا . وكان « كليومنيس » موكلا بتسلم الضرائب غير أن جمعها كان فى أيدي حكام الاقطاع المصريين ، والواقع أن سياسة « الاسكندر » كانت على جانب عظيم من الفطنة وحسن السياسة فى تنظيم ادارة البلاد ، فقد نصب وطنين لحكم سطرى القطر أحدهما للوجه البحرى . وهذه السياسة التى أرست أبناء الشعب المصريين لم يتبعها ملوك البطالمة الأول ، غير أنهم فى نهاية حكمهم اضطروا الى الرجوع اليها عندما أخذ أهل البلاد الأصليين يشورون عليهم مطالبين بحقوقهم التى اغتصبها

الاغريق الأجانب الذين كان يحاييهم الملك ، ومع ذلك فإن السلطة التي كانت في أيديهما لم تكن الا سلطة اسمية ، وذلك لأن « كليومنيس » رئيس المالية المصرية كان على جانب عظيم من المهارة في الافادة من سلطته لدرجة أنه جمع كل السلطة الحقيقية في يده . وقد كان صاحب سمعة سيئة في العالم الاغريق لما اتصف به من ابتزاز الأموال من الأهلين هذا فضلا عن أنه كان مكروها في « أثينا » لما قام به من تصرفات في مصر أدت الى رفع أثمان الغلال في « أثينا » التي كانت تعتمد على مصر في تصدير القمح لها . وقد ورد عنه بعض وقائع ان صحت فانها تدل على أنه كان رجلا عاتيا جبارا ، فاستمع لما قيل عنه من تصرفات تدل على منتهى الخبث والظلم : لقد منع « كليومنيس » المواطن الاسكندري وشطربة مصر عندما حدث قحط شديد في الممالك المجاورة - وكان خفيف الوطأة في مصر - تصدير القمح ، ولكن عندما شكا اليه حكام المقاطعات انهم غير قادرين على دفع جزبتهم بسبب القانون الذي سنه ، سمح لهم بتصدير الغلال ، غير أنه وضع ضريبة عالية على التصدير لدرجة أنه كان يدفع في مقابل تصدير كمية صغيرة مبلغ عظيم من المال ، هذا فضلا عن أنه تخلص من العذر الذي قدمه حكام المقاطعات . يضاف الى ذلك أنه عندما كان يسير في النيل في المقاطعة التي كان يؤله فيها التمساح ، التهم تمساح أحد عبيده وكان من جراء ذلك أنه جمع الكهنة وأخبرهم بأنه لا بد أن ينتقم من هذا الهجوم الفاشم الذي آتاه التمساح وأمر بأن يصطاد تمساح في الحال ، وعندئذ لم ير الكهنة تقاديا من أن يصير الهمم موضع سخرة واحتقار الا أن يجمعوا كل ما أمكنهم من ذهب وقدموه له وبذلك هدأ ثأره . وما يذكر عنه كذلك أن الاسكندر عندما وجهه لتأسيس مدينة « فارس » (أى مدينة الاسكندرية) ويحول سوق كانوب الى هناك فانه ذهب الى « كانوب » أولا وأخبر كل الكهنة الأغنياء أنه قد أتى ليطردهم من هذا المكان ، وعلى ذلك جمعوا له مبلغا عظيما من المال وسلموه له لأجل

أن يبقى على سوقهم ، ثم غادرهم ولكن بعد فترة قصيرة عندما كان كل شيء قد أعد لبداية بناء المدينة الجديدة جاء ثانية وطلب اليهم مبلغا أكبر من السابق معلنا بأنه قدر فرق إقامة السوق هناك أو في الاسكندرية بهذا المبلغ وعندما أظهروا عدم قدرتهم على دفع المبلغ نقلهم الى الاسكندرية ... ومما يحكى أنه في فرصة كان يباع فيها القمح بسعر عشرة درخمت (Medimnus) جمع الفلاحين وأخبرهم بالشروط التى يقبلون بها معاملته ، فأجابوه أنهم سيبيعون له بنفس السعر كل ما تبقى عندهم ولكنه حدد ثمن القمح بواقع اثنين وثلاثين دراهمة وباع بهذا السعر (وهذا يعنى أنه على ما يظهر تخلص من الرجل المتوسط وجمع كل الفائدة للتاج) .

وكذلك حكى عنه أنه جمع الكهنة وأخبرهم أن مصاريف الشئون الدينية في البلاد باهظة وأنه لابد من إلغاء عدد خاص من المعابد والكهنة . وعلى أثر ذلك قدم له الكهنة أموالا من ممتلكاتهم الخاصة ومن مالية المعبد أيضا . وذلك عندما ظنوا أنه كان في طريقه فعلا الى انتقاص أملاكهم والاستغناء عن بعضهم ، وقد كان كل منهم يحرص على معبده وكذلك على وظيفته الكهانية، وهذا التصرف من جانب « كليومنيس » يدل دلالة واضحة على أنه كان عنيما بخبايا الكهنة وأسرارهم ، وما كان لديهم من مال وفير . وهذه حقيقة لا ريب فيها فقد كانت طائفة الكهنة في مصر في كل عصور التاريخ أغنى فئة في الشعب غير أن هذا الاجراء من جهة أخرى يدل على تدهور نفوذ هذه الطائفة في البلاد بدرجة محسة كما يدل في الوقت نفسه على أن نفوذ الحكام الاغريق أخذ يظهر بدرجة عظيمة في البلاد لا لبس فيها ولا ابهام ، فقد رأينا من الأمثلة التى اقتبسناها عن سوء معاملة « كليومنيس » أن سوء معاملته لم تقف عند عامة الشعب بل تعدت ذلك الى رجال الدين والآلهة المضرين ، فقد هدد الكهنة بالعزل والمعابد بانتقاص عددها مما لم يجرؤ على مثله فرعون من الفراعنة السابقين على وجه التقريب .

وعلى أية حال فأنا لسنا في حل للحكم على ماذكره « كليومنيس » من أعمال وبخاصة أن المصادر التي في متناولنا عنه مشكوك في صحتها (راجع Bevan Hist. P. 17)

مغادرة الاسكندر مصر الى ميدان القتال

بعد أن وضع الاسكندر أسس الحكم في مصر زحف بجيوشه الى آسيا للقضاء على الملك العظيم في عام ٣٣١ ق.م. ومنذ هذا العام أخذت فتوحه تثرى فاستولى على امبراطورية الفرس وبلاد الهند وقد ظل النصر حليفه الى أن حضره الموت وهو أخضر العود عام ٣٢٣ ق.م. ، ولم يكن قد تجاوز أكثر من اثنين وثلاثين عاما وثمانية أشهر ، وكانت مدة حكمه اثنتي عشرة سنة وثمانية أشهر (راجع تفاصيل مرضه وموته في

Arrian VII, 25, 26, Plutarch. Alex.

الخلاف على تولي الملك بعد موت الاسكندر

لما كان موت الاسكندر قد جاء فجأة في معسكر « بابل » الذي كان عدده عظيما فقد حدثت في وسطه اضطرابات وخلافات شديدة بسبب من سيخلف « الاسكندر » على عرش ملكه الشاسع . وكان العرف والقانون عند موت ملك مقدوني أن يولي الجيش بدلا منه . ولم يكن « الاسكندر » قد ترك وارثا لعرشه الا طفلا يدعى « هيراكليس » من حظيته « بازين » وكانت زوجته « روكزانا » الفارسية وقتئذ حاملا وينتظر أن تضع حملها بعد ثلاثة أشهر، وعندئذ تعقدت الأحوال ، وقد فكر رجال الجيش في وسط هذه البلبلة في أن ينتظروا ولادة « روكزانا » . غير أن رجال الجيش وعلى رأسهم « ميلاجر » (Meleagre) الذي كان يكره « برديكاس » قد عارض في أن يكون مليكهم من امرأة أسيوية ومن ثم قامت الحرب بين « برديكاس » وبين « ميلاجر » وأتباعه ولولا مهارة « ايمنيس » كاتم أسرار « الاسكندر » الذي توسط بين الطرفين ووصل الى اتفاق لتفاهم الخطب وذلك أن الاسكندر الأكبر كان له وقتئذ أخ في « بابل » يدعى « اربداوس » (Arridaeus)

ابن فليب وكان بلغ وقتئذ السن التى تؤهله لتولى عرش الملك ، غير أنه كان غير شرعى ، وفى الوقت نفسه ضعيف العقل تتابه نوبات صرع ، ومع ذلك فإن الجيش فضله لأنه ليس فيه دم شرقى ، فقد كانت أمه فيلينا (Philinna) إحدى حظيات « فليب » وكانت أمها من أهالى « تساليا » . وقد اقترح « برديكاس » الذى يعد أكبر القواد مكانة فى جيش الاسكندر أن ينتظر ولادة « روكزانا » وهى ابنة شطربة « بكتريان » (فارس) « اوكرىارتس » (Bactriane Oxyartes) أما القائد « ميلاجر » فقد أراد أن ينتخب اما « أريداوس » أو « هيراكليس » امبراطورا . وكان من جهة أخرى « بطليموس بن لاجوس » لا يريد أن يجكمه ابن سفاح مخبول العقل مثل « أريداوس » ولا مثل « هيراكليس » ولا المولود المنتظر ، بل اقترح أن يترك العرش خاليا وأن يمهّد بحكومة الامبراطورية لرؤساء الجيش كل فى قطره ، وذلك حسب اتفاق يبرم فيما بينهم . وقد كان رأى « برديكاس » هو الرأى السائد فى المجلس العسكرى الذى عقد لهذا الغرض ، غير أن المشاة فى الجيش رفضوا رأيه ، وعلى أثر ذلك نصب « أريداوس » الذى أسرع « ميلاجر » باعلانه امبراطورا ومنحه كل حمايته ، ومن ثم قامت المناوشات بين الفريقين المختلفين فى الرأى وانتهى الأمر بالمفاوضة والصلح ، وقد كان « بطليموس » بن « لاجوس » يعمل وسيطا على ما يظن . وقد بذل كل ما فى وسعه لحل المشكل وقد كان هواه مع « برديكاس » الذى حفظ له هذا الجميل ، وقد تم الاتفاق على أن يكون « أريداوس » ملكا باسم فليب الرابع ولكن على شريطة أن يكون لابن « روكزانا » اذا كان ذكرا الحق فى الاشتراك فى الملك معه . وقد ترك هذا الموضوع معلقا حتى تضع « روكزانا » . أما « برديكاس » الذى قيل عنه أن الاسكندر عند مماته قد سلمه الخاتم الملكى فقد نصب بوصفه نائب الامبراطورية وقائدها والمشرف على الملك أو على الملكين (بعد وضع

« روكزانا ») اللذين خلفا الاسكندر في الامبراطورية الشاسعة المترامية الأطراف .

وقد قسمت الامبراطورية بين عظماء القواد بأشراف « برديكاس » . فأعطى القائد « بطليموس » بن « لاجوس » شطرية مصر بالاضافة الى الأجزاء المجاورة لبلاد العرب ولوليا ، على أن يكون « كليومنيس النقراشى » الذى كان قد نصبه الاسكندر وكيلا له لجمع الضرائب فى مصر وملاحظة أعمال البناء فى الاسكندرية ، غير أن بطليموس حينما نصب شطربة على مصر أراد أن يكون المسيطر الوحيد فى شطريته . وبعد تولى بطليموس على مصر غادر « بابل » غير أنه كان عليه أن ينتظر حتى تضع « روكزانا » مولودها الذى كان يؤمل أن يشترك فى حكم الامبراطورية ، وكان بطليموس يعتبر وقتئذ تلميذ برديكاس . وكانت سوريا من نصيب « لأميدون » (Laomedon) وولى فيلوتاس (Philotas) حكم بلاد « كليسيا » وكان من نصيب « اتينجونوس » أقطار « يامفليا » و « ليكيا » والجزء الأعظم من « فريجيا » ، وتولى شئون « كارياميناندر » وأعطى ليوناتوس (Leonnatus) حكم « فريجيا هلسبونت » (Hellespontine Phrygia) وحكم « ايمتيس » بطرى « كابودوشيا » وبافلاجونيا (Paphlagonia) وتولى حكم ميديا القائد « بيون » (Pithon) . أما الشطرييات الشرقية فقد بقيت فى يد حكامها الذين كانوا يحكمونها قبل موت الاسكندر . وفى أوروبا أعطيت « تراقيا » و « خرسونيس » (Chrsone) القائد « ليزماكوس » (Lysimachus) تراقيا بما فى ذلك مقدونيا وبلاد الاغريق وكان يشاركه فى حكم هذه البلاد « كراتيروس » (Kraterus) (راجع Grote History of Greece XII. P. 238-9) وهكذا نشاهد أن المدن الاغريقية قد فقدت استقلالها وتولى عليها حكام جدد بوصفها أجزاء من الضيعة العظيمة التى تركها « الاسكندر دون وصية أوصاها .

ومما تجدر ملاحظته أن كل هؤلاء الحكام الذين ذكرناهم هنا كانوا يعدون وكلاء يقومون بإدارة أجزاء امبراطورية واحدة لاتتجزأ يحكمها جميعا « أريدائوس » . وكان أبرز الضباط الذين يتمتعون بسلطان مركزي يشمل كل الامبراطورية اثنان وهما « برديكاس » ويحمل لقب شيليارك (Chiliark) ، وهذا اللقب صعب الترجمة ومعناه على العموم « نائب » ثم « سيلوكوس » وكان يحمل لقب قائد حرس الخيل ولم يكن يدور بخلد واحد من الحكام وقتئذ التحدث عن تقسيم الامبراطورية .

ولكن لم يمض طويل زمن حتى ظهر أن « برديكاس » أراد أن يستغل ضعف « أريدائوس » ، ومن ثم عزم على أن يجرده من كل سلطان ويجعله امبراطورا بالاسم وحسب ، ويستولى لنفسه على كل السلطة غير أن حكام الأقاليم فطنوا لذلك وأخذوا يقاومون « برديكاس » . وعلى أية حال فإن مصر كانت على ما يظهر بعيدة عن المخاوف لأن « برديكاس » كان على مصافاة وود مع « بطليموس » . ولا نزاع في أنها كانت البلاد التي اختارها « بطليموس » لنفسه ، فقد ذكر لنا في مذكراته التي خلفها لنا تفاصيل عن الحملة التي قام بها الاسكندر على مصر وعن الرحلة التي قام بها الى واحة آمون ، ومن ثم يجوز أنه سحب الاسكندر في رحلته هذه . ومما تجدر ملاحظته هنا أن موقع مصر التي تبعد عن الاقليمين اللذين يمكن أن يكونا مركزا لامبراطورية الاسكندر وأغنى بذلك « بابل » وبلاد « مقدونيا » كان ملائما من الوجهة السياسية بالنسبة « لبطليموس » . ويقول المؤرخ « تارن » (راجع W.W. Tarn J.H.S. XLI (1921), P. 5).

انه لابد كانت هناك مساومات بين « برديكاس » و « بطليموس » فكان ثمن اعتراف « بطليموس » في أن يكون « برديكاس » مشرفا وحارسا على الملك الجديد هو شطرية مصر ، هذا بالإضافة الى أن يكون « اريدائوس » أحد المقدونيين هو الذي يقوم بمراقبة ترتيبات جنازة الاسكندر . والواقع

أنه كان من جراء اخلاص « بطليموس » لصديقه « برديكاس » واتباع منهجه أن ضحى الأخير بصديقه الوفى « كليومنيس » الذى كان وقتئذ قد عين شطربة على مصر قبل تولى « بطليموس » لهذا المنصب وأصبح الأول وكيلا فى شطرية مصر .

والواقع أنه كان الحاكم المصرى للديار المصرية وقتئذ . ولما تولى بطليموس حكم مصر كان لزاما على « كليومنيس » أن يشغل المكانة الثانية فى أرض الكنانة ، وعلى ذلك أصبح وكيل « بطليموس » . وسرى فيما بعد أن سياسة « كليومنيس » المالية فى مصر قد أغضبت المصريين مادعى « بطليموس » الى قتله وبعبارة أدق الى التخلص منه . وتدل الظواهر على أن « بطليموس » كان يحرص على امارته على مصر أشد الحرص ، ولذلك كان من حسن حظه بل من أكبر سموده وتوفيقه أن « الاسكندر الأكبر » كان قد أوصى بأن يدفن جثمانه فى معبد والده الالهى « آمون » فى واحة « سيوة » . والواقع على حسب ما جاء فى « ديدور الصقلى » أنه كان ضمن القرارات التى قطع فيها رؤساء الجيش المقدونى برأى فى « بابل » على أثر موت الاسكندر أن يدفن جثمان « الاسكندر » فى واحة « سيوة » بمعبد « آمون » . ويعتبر هذا القرار أكبر برهان على أن « الاسكندر » كان يؤمن ببنوته الالهية وتشبته باعتقاده فى نسبته للاله آمون حتى آخر أيام حياته بعد مماته . والواقع أنه كان يعتبر نفسه فرعوناً وبعبارة أخرى أنه ابن الاله « رع » أو « آمون رع » أى أن مثله كان كمثل الفرعون يعتبر الها يعبد فى حياته وبعد مماته .

وقد وكل باعداد تجهيز موكب الاحتفال بنقله ودفنه الى « أريداوس » أحد رؤساء رجال بلاطه فى « بابل » وقتئذ . وكان « أريداوس » هذا قد كلف بصنع عربة جنازية كما كلف بترتيب حفل منقطع النظير . ولقد كان

من أكبر أمانى « بطليموس » بن « لاجوس » بطبيعة الحال أن يدفن الاسكندر في البلاد تحت امرته حتى يكون ذلك سببا في ازدياد قوته وتصبح امارته محط أنظار العالم كله . على أن المكان الطبيعي لاحتواء رفات الاسكندر البطل العظيم كان « ايجيا » فى أرض وطن أسرة « الاسكندر » وقد كان من الجائز كما قيل أن هذا المكان هو المكان الأصلي لدفن جثمان الاسكندر لا واحة « سيوة » . وانه لمن الصعب أن نصل الى كنه الحقيقة مما جاء فى التقاليد القديمة فهل أراد « الاسكندر » حقا أن يكون قبره فى معبد نالده « آمون » ؟ وهل كان هذا هو قرار مجلس « بابل » ؟ وهل يمكننا من باب أولى أن نظن أن مقدونى الجيش كانوا يتوقعون أن يروا جثمان ملكهم يحمل الى « ايجيا » ليدفن فى قبر أسرته ؟ والواقع أن « الاسكندر » كان له مصلحة أكثر مما يمكن أن يتصور الناس فهمها فى أن يثوى جثمانه فى الواحة كما أوضحنا ذلك فيما سبق .

وعلى أية حال كان هذا رأى فى نهاية الأمر هو التصميم النهائى الذى ارتآه « برديكاس » أى دفنه فى واحة « سيوة » ، غير أن « بطليموس » حاكم دمشق قد سبق الحوادث وحول مجرى الأمور . وذلك أنه عندما كان « برديكاس » فى « آسيا » الصغرى يعمل على وفاق مع « بطليموس » ابن « لاجوس » قام من بابل موكب الجنازة فى طريقه لمصر وفى هذه الحالة اذا كان جثمان الاسكندر سيحمل الى « سيوة » فانه كان على أية حال لا بد أن يمر أولا بمدينة « منف » اللهم الا اذا كان الموكب سيذهب مباشرة من « مرسى مطروح » الى « سيوة » . ومن الجائز أن « أريداوس » عندما غادر « بابل » قد عدل عن فكرة نقل الجثمان الى واحة « سيوة » . وتقول المصادر التى فى متناولنا أن « بطليموس » قابل رفات الاسكندر وبصحبه حاشية من الجنود قوية وأخذ بزمام الموقف فى يده وعندما وصل الرفات الى

منف أبقاه فيها ولم يتجه به الى سيوة . هذا و لانعلم حتى الآن ما اذا كان « بطليموس » قد قرر أن يكون مشوى رفات « الاسكندر » في « الاسكندرية » أم لا . وقد قص علينا المؤرخ « بوزانياس » أن رفات الاسكندر قد بقيت في « منف » الى أن نقله « بطليموس الثاني » بعد تاريخ وصوله بأربعين سنة الى الاسكندرية (راجع

Athen. Metteilung XXII (1897), P. 187-8

غير أن كلا من المؤرخين « ديودور » الصقلي (راجع Diod XVIII, 28) و « استرابون » (راجع Strabo XVII. P. 794) يقول أن بطليموس الأول هو الذى دفن الاسكندر الأكبر في « سما » (Sema) « بالاسكندرية » حيث كانت لاتزال رفاتة موجودة حتى عهد الرومان والمعتقد أن « بطليموس الأول » دفن الاسكندر في مدينة منف العاصمة الدينية للبلاد في هذا العهد وهى التى توج فيها الاسكندر فرعوناً على مصر وأصبح بعد ذلك يدعى ابن « رع » أو ابن « آمون رع » ، هذا بالاضافة الى أن « منف » كانت المدينة الدينية التى يتوج فيها كل ملوك مصر منذ فجر التاريخ ، ولذلك كان دفن « الاسكندر » فيها يعد من الأمور البالغة الأهمية عند « بطليموس الأول » وقتئذ ، وذلك لان وجود جثمان « الاسكندر الأكبر » فرعون مصر في « منف » بالذات كان له أهمية بالغة لأنها كانت تعتبر واسطة العقد بالنسبة للملكة المصرية مما زاد في قوة « بطليموس » فى أعين حكام الامبراطورية المقدونية ، كما عظم من نفوذه فى أعين الشعب المصرى . ومن الجائز كذلك أن جثمان الاسكندر قد نقل الى الاسكندرية بعد أن أخذت هذه المدينة تنمو وتعمر بالسكان ، وكذلك بعد أن أقام « بطليموس » مدفناً يتفق مع عظمة « الاسكندر » ومكاته العالمية فى عاصمة ملكه الجديدة . غير أن المؤرخ « بوزانياس » قد قرر بصورة قاطعة أن نقل « بطليموس الثاني » لجثمان « الاسكندر » من منف الى

الاسكندرية يعد من المساوىء التى ارتكبها فى حياته ، ويؤخذ من قول « بوزانياس » هذا أنه نقل مارواه عن نقل رفات الاسكندر الى الاسكندرية من مصادر موثوق بها . ومهما يكن من أمر فإن هناك حقيقة ثابتة وهى أنه كانت تقام شعائر دينية « للاسكندر » على حسب المراسيم المصرية القديمة فى « منف » ، وكان « للاسكندر » كاهن روح خاص به كما كان للفراعنة القدامى . وتدل شواهد الأحوال على أن شرف القيام بوظيفة كاهن الاسكندر أسندت لأخ الملك المسمى « منلاوس » وإن كان ذلك لم يذكر صراحة . وقد جاءت الاشارة الى ذلك فى وثيقتين (راجع ; Elephant. 2, Hibeh 84a Bell in Archiv. VII, (1923), P. 27-29 ; Plaumann in Paulywissowa Article, " Hierais ").

الآثار التي خلفها الاسكندر الأكبر في مصر

ثم يعرف حتى الآن التاريخ الأكيد الذي حسب به بداية حكم الاسكندر في مصر . فقد غزا مصر في خريف عام ٣٣٢ ق.م. وتقول الرواية التي جاءت نقلا عن « كاليستينيس » أنه توج حسب الشعائر المصرية في « منف » (ويحتمل أن ذلك في آخر سنة ٣٣٢ ق.م.) وهو حادث يمكن أن يكون قد اتخذ بداية رسمية لحكمه ؛ غير أن المؤرخين بوجه عام لا يقبلون ما جاء في قصة « كاليستينيس » والمعروف أن الاسكندر مات في ٢٨ من شهر « داييوس » عند الغروب ، كما جاء في جرائد البلاط وفي ثلاثين من نفس الشهر على حسب ما ذكره « أريستوبولوس » (Aristobulus) (راجع Plutarch Vita Alex. 15-16)

وقد ذهب الى أن هذين التاريخين ليس فيهما تناقض في الواقع وذلك أنه لما كان اليوم الاغريقي يبتدىء عند غروب الشمس ، فانه من الممكن أن موت الاسكندر يمكن أن يحدد باليوم التاسع والعشرين وهو اليوم الأخير من الشهر وكان باتفاق عام يسمى اليوم الثلاثين . ولكن يناقض ذلك أن شهر « داييوس » في العادة يحتوى على ثلاثين يوما (راجع

Ginzel, Handbuch der Mathematischen und technischen Chronologie II. P. 300 & Kubitscheck Grundriss der Antiken Zeitrechnung, P. 144.

وفي فهرس A في « بزوديو كاليستينيس » أى الرواية التي نقلت عن « كاليستينيس » وكذلك في الرواية الآرامية نجد أن تاريخ موت الاسكندر قد حدث في ٤ برمودة وليس لدينا الوسائل لفحص دقة هذا التوافق الزمني (راجع Ginzel. Op. Cit. III. P. 6)

غير أنه لا يوجد شيء غير محتمل في المعادلة ، وعلى الرغم من الالتباس في

نسبها فلا بد من قبولها مؤقتا . وعلى حسب « القانون » حكم الاسكندر ثمانية أعوام . ولكن من جهة أخرى نجد أن الاسكندر الأكبر قد حكم في مصر تسع سنوات على الأقل على حسب ماجاء في ورقة « استراس برج » (راجع)

Catalogue of Demotic Papyri in the British Museum, Vol. I. A. Theban Archive of the Reign of Ptolemy I by S.R.K. Glanville, P. XXII.)

كما سنرى بعد .

وهاك أم الآثار التي عثر عليها للاسكندر مهيورة باسمه :

١ - نقش على جدران معبد الأقصر (جرافيتي) مؤرخ بالسنة الثالثة اليوم الأول من شهر « توت » من عهد جلالة حور ملك الوجه القبلي والوجه البحري « الاسكندر » . وهذا المتن يحتوى كذلك على تاريخين من السنة الرابعة من عهد فليب « أريداوس » خلف الاسكندر . ومن المعلوم أن الأسرة المقدونية لم تحكم الا واحدا وعشرين سنة في مصر أي من ٣٣٢ الى ٣١١ ق.م. ومع ذلك فانه في عام ٣٠٥ ق.م. أي بعد مضي خمسة عشر عاما من وفاة الاسكندر الرابع ، ابن الاسكندر الأكبر ، توج رسميا « بطليموس » ابن « لاجوس » أحد قواد الاسكندر القدامى ملكا على أرض الكنانة ، وحكمها بوصفه شطربة باسم ثلاثة فراغة مقدونيين وهم « الاسكندر الأكبر » و « فليب أريداوس » و « الاسكندر » بن « الاسكندر الأكبر » بن « ركرانا » (راجع) (Daressy Rec. Trav. XIV, 1892, P. 33).

٢ - بردية مؤرخة بالسنة الثالثة الشهر الثالث من فصل الزرع في عهد الفرعون له الحياة والصحة والعافية « الاسكندر » (له الحياة والصحة والعافية) .

وتحتوى على عقد بيع بيت يقع في الجزء الشمالى من « طيبة » في الغرب من حرم معبد « منتو » رب طيبة . وقد ذكر حدود البيت الأربعة ثم ذكر

بعد ذلك الصيغة القانونية واسم الكاتب (راجع Louvre No. 2439, note. P. 485, Chrest. dem. P. 290 : Fascimile in Corpus Louvre, P.L.V. No. 4.

٣ - بردية مؤرخة بالسنة التاسعة الشهر الأول من عهد الفرعون « الاسكندر » . وهى محفوظة الآن فى متحف « استراسبورج » وتحدثنا عن ملكية توارثتها أفراد أسرة من الشعب عدة أجيال والواقع أنها كانت جزءا من ضيعة كبيرة يملكها نجار معبد « آمون » وبدعى چوف عخى (= البردية اليانعة) « ابن وز - حر - متر » وأمه تدعى « تائيسى » . وأول شئ عرفناه عن هذه الضيعة هو ماجاء فى ورقة « استراسبورج » رقم ١ وهى عبارة عن صك بهبه (راجع Seidl. Urk. P. 22. No. 22. وبمقتضى شروطها قسم « چوف - عخى » ضيعته بين أولاده ، منهم أحد أبناء الصغار المسمى « بدى خنس » وكان عليه أن يتسلم هذه الملكية الخاصة بمثابة أنها نصيبه من هذه الضيعة . والورقة مؤرخة بشهر « توت » من السنة التاسعة من عهد « الاسكندر الأكبر » (= ١٢ نوفمبر سنة ٣٣٤ ق.م) وهى من الأهمية بمكان بالنسبة للأوراق الديموطيقية الموجودة بالمتحف البريطانية ومتحف « فلادلفيا » Catalogue of Demotic Papyri in the British Museum. Vol. I. P. XXVII.

وهاك النص على حسب ترجمة الأستاذ « جلائيل » :

السنة التاسعة شهر توت من عهد الفرعون الاسكندر (الأكبر) . لقد قال لى نجار بيت « آمون » (المسمى) « چوف - عخى » بن « وزحر - متن » . وأمه (هى) « تائيسى » الى نجار بيت « آمون » (المسمى) « خرج » (خلوج) ابن « چوف - عخى » وأمه هى « نستفى » ابنى الأكبر لقد نزلت لك عن جزء البوابة وسقفها كله ، وجزء المدرج (?) وجزء حى النساء وجزء الفناء ، وهناك يملك حانوتى « أمينستو - أربريس » (?) المسمى

« باسمتو » بن « خلوج » الجانب الجنوبي من البيت ، والجزء (?) الآخر من البوابة والجزء الآخر من المدرج ؟ والجزء الآخر من حى النساء والجزء (الآخر) من الفناء .

والمرأة « موت » ابنة « خلوج » تتحمل (?) معكم كل اصلاحات الفناء السابق الذكر ، أما نصيبها الذى عمل من أجله اتفاقية لها فيما يخص الفناء على حسب حقها الذى برهنت على صحته ، وهناك يملك « بهب » ؟ ابن « چوف عفى » ، و « بدى خنس » بن « چوف عفى » (شخصان) . ولدائى واخواك الصغيران الجزء الشمالى من البيت وكوخه الخاص به فهما نصيبهما الذى يسول اليهما من املاكى ، وكذلك أراض لم تبين بعد . وعليهما أن يقيما بابا فى وسط (?) جانبه الشمالى من الجهة الشمالية لشارع الملك وكذلك عليهما أن يفلقا باب الجانب الشمالى الذى يفتح على بوابتك .

وحدود كل بيت هى : الذى جنوبه بيت نجار بيت « آمون ؟ » « امنحوتب » ابن « باحب » المبنى من الحجر والمسقوف ، وشارع الملك بينهما ، وحده الشرقى بيت « بتمستو » بن « حورسا - اسى » وهو خرب ، ولكن جدرانها لاتزال قائمة وهو ملك أولاده . وحده الغربى بيت رئيس صناع (?) « آمون » المسمى « بتاشوخى » بن « بتى جور » ، وبيت حارس معبد « آمون » « باوس » بن « خلوج » أى بيتان بنيا (بالحجر) ومسقوفان وشارع الملك بينهما .

٣ - وهذه هى كل الحدود الملكية جميعها (أى مجموع الحدود)

لقد منحتك جزء البوابة وكل سقفها وجزء المدرج (?) وجزء حى النسوة وجزء الفناء وكل شيء يخصنى ، والذى سأحصل عليه . وليس لدى شيء فى العالم ضدك بالنسبة لها . ولايمكن لأى رجل على الأرض ولا أنا يكون له حق عليها الا أنت من هذا اليوم وما بعده . وأى شخص يأتى ضدك

بسببها باسمى أو باسم أى شخص آخر على الأرض فانى سأجعله ينسحب من أمامك وسأجعلها تخلى لك من كل سجل ومن كل موضوع على الأرض من حيث كل مناسبة .

فمجلاتها ملكك فى كل مكان هى فيه وكل حجة قد عملت خاصة بها وكل حجة كانت قد عملت لى خاصة بها وكل حجة باسمها وأنا فيها صاحب حق فانها لك ، وكذلك الحقوق التى تأتى منها واليمين أو اليمين الذى سيفرض عليك فى بيت العدالة باسم صحة الوثيقة الذكر والذى سأعمله لك أو الذى سأمر بعمله فانى سأعمله .

وهناك سيكون ملك «حور» و «باخى» وهما شخصان - وأمهما هى « استقنى » وهما ابنائى واخواك الصغيران وهى الأراضى التى لم تبين والواقعة شمال مكان (جبانة) الصقر . وعليهما أن يعطياك ثلثى (مصاريف) الدفن وأنت عليك أن تدفع الثلث (الباقي) . ولا يمكن لأى ابن أو ابنة أو حفيد لى أن يكون له الحق عندك فيما يخص أى جزء من الملكية أو فى أى شئ على الأرض منحتة الا الأشياء التى دونت كتابة لهم واتى هى ملكهم والتى عليها ولاية شرعية .

كتبه « باتى - حر - برع » بن « بخس » .

وجاء على ظهر الورقة الشهود وعددهم ستة عشر شاهدا .

تعليق : من المستحيل أن تكون البيانات التى جاءت فى هذه الوثيقة بمفردها أية فكرة عن أصل ملكية «چوف عخى» الأصلية أو العلاقة انصحيحة بالنسبة لأنصبه أولاده . وعلى الرغم من أن هذه الورقة تكون فى ظاهرها صورة عقد بين « چوف عخى » وابنه الأكبر فانها فى الواقع عبارة عن قسمة ملكية بين الوالد من جهة وبين أولاده وأحفاده من جهة أخرى . هذا ويلحظ انه بصرف النظر عن أن أنصبتهم ليست متساوية فانها كلها كانت نسبة واحدة

للمجموع . هذا ولابد أن تترك كلا من « حور » و « باخى » لأنه ليس لهما نصيب في الملكية الأصلية ، وبعد ذلك تبقى أربعة أنصبة فيأخذ «خلوج» وهو أكبر أولاده أكبر نصيب ثم نصيبا ابنى « خلوج » وهما ابنه المسمى « باستو ؟ وابنته « موت » ، وأخيرا نصيبا ابنى « چوف - عفى » الصغيران وهما « يهب » و « يدى خنس » .

٤ - الاقصر : تجديد بناء محراب «امنحوت الثالث» في معبد الأقصر (راجع Sethe Hierog. Urk. der Griech-Rom. Zeit, P. 78).
وقد جاءت العبارة التالية على هذا المحراب : تجديد الآثار التى عملها ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب الأرضين (ستب - نى - رع - مرى - أمن = المختار من رع محبوب آمون) ابن رع رب التيجان (الاسكندر) لوالده آمون رع (١) .

(١) ومما يجب التنويه به هنا بالنسبة لآثار الاسكندر في انحاء القطر المصرى هو أن نلفت النظر الى أن البوابة المصنوعة من الجرانيت وهى لاتزال قائمة في الجزء الجنوبي من جزيرة الفيلة ليسب من عمل « الاسكندر » الاكبر كما ذكر الأثرى « ديمورجان » (راجع Catal. des Monum. et Inscript. de L'Egypte Antique I, P. 109).

بل أقيمت في عهد « الاسكندر » الثانى (الرابع عند المقدونيين) فرعون مصر .
حقاً نعم تماماً مما جاء في كتاب المؤرخ «أريان» أن الاسكندر الأكبر أرسل فرقة من جنوده الى الفنتين بقيادة « أبوللونيدس » (Apollonides) ، غير أنه لم تعرف له آثار باقية حتى الآن تعتبر تذكراً لهذه الحملة . وعلى أية حال فإن الخطط بين طائر التنويج « الاسكندر الأكبر » وبين طغراء «الاسكندر الثانى» يرجع الى عهد الأثرى «لبسيوس» (راجع L.D. IV, 1, 3, 4, 5) قد صحح هذا الخطأ في كتابه «أسماء الملوك» (راجع Koningsbuch, PL. LI, No. 684) غير أننا وجدنا هذا الخطأ بعينه ثانية عام ١٨٩٥ في كتاب المؤرخ الإنجليزى «مهفى» عن البطالة المسمى امبراطورية البطالة (راجع Mahaffy, The Empire of the Ptolemies, P. 1.

وقد صححه فيما بعد عام ١٨٩٩ م في تاريخه عن مصر في عهد البطالة (راجع Mahaffy, A History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty, P. 4),

٥ - وجاء ذكر الاسكندر على نفس المحراب (راجع Sethe, Ibid. P. 8)
وهاك النص : حور بن « رع » حامى مصر ملك الوجه القبلى والوجه
البحرى (ستب - نى - رع - مرى - امن) بن رع الاسكندر مجدد
آثار والده « آمون رع » . وهذا المحراب الذى أقيمت جدرانه فى عهد
الاسكندر فى المكان الذى كانت تحتله سابقا أعمدة الفرعون « أمنحوتب
الثالث » قد علم فى الرسم الذى وضعه « دارسى » فى كتابه بملحوظة مفسرة
لخرائب معبد الأقصر بحرف^٥

Daressy, Notice explicative des ruines du temple de Luxor, P.
65-68).

٦ - معبد الكرنك الكبير : ذكر اسم الاسكندر فى معبد الكرنك فى نقش
جاء فيه : « حور » بن « رع » (الحاكم القوى) ملك الوجه القبلى والوجه
البحرى رب الأرضين ورب الظهور على العرش « حور » بن « رع »
الاسكندر (راجع L.D. IV, 3a = L.D. Texte III, P. 32 ; Brugsch.
Thesaurus, P. P. 852).

ووجد فى نفس المعبد النقشان التاليان :

١ - الاله الكامل الاسكندر مثل « رع »

٢ - ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (ستب - نى - رع - مرى -
امن) ابن « رع » « الاسكندر » معطى الحياة مثل رع أبديا (راجع
L.D., IV, 3b & C = L.D. Texte III, P. 32).

٧ - معبد الكرنك : يوجد فى معبد « تحتسنس الثالث » بالكرنك نقوش
تدل على أن « الاسكندر » الأكبر أعاد بناءه وهاك بعض النقوش اثتى
نشير الى ذلك .

١ - يعيش « حور » الذى يظأ البلاد الأجنبية .

ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب الأرضين (ستب - نى رع -
مرى - امن) بن « رع » رب التيجان « الاسكندر » (راجع
(Sethe, Urk. Griech. Rom. P. 6

٢ - مجدد الآثار التى عملها لملك الوجه القبلى والوجه البحرى (ستب
- نى رع - مرى - امن) ابن « رع » رب التيجان (الاسكندر) عاش
ابديا ، كما كانت قائمة فى عهد جلالة حور الثور الذى يظهر فى « طيبة »
رب الأرضين (من خبر رع) ابن « رع » (تحتمس الثالث) محبوب « آمون
رع » رب السماء ورب ملك الآلهة (راجع 7 & 6 P. Ibid. Sethe)
ومما تجدر ملاحظته هنا أن هذا الاصلاح قد نسب « لسيوس » خطأ
للاسكندر الثانى (راجع : Lepsius Abhandlungen der Konigl. Preuss :
Akad. der wiss., zu Berlin (1852), P. 464).

ومن جهة أخرى نسب المؤرخ « مهنى » هذا الاصلاح الى عهد متأخر
جدا عن ذلك أى ما بين ٣٢٠ و ٣١٥ ق.م. (راجع
Mahaffy, the Empire of the Ptolemies, P. 38.

٨ - رأس تمثال « الاسكندر الأكبر » :
عثر على هذا الرأس على باب نفس المعبد السابق جاء عليه « ملك الوجه
القبلى والوجه البحرى (ستب - نى - رع - مرى - امن) ابن رع
« الاسكندر » وهذا الرأس يعد أحسن رأس عثر عليه للاسكندر حتى الآن
(راجع L.D. III, 302, No. 86 = L.D., Texte III, P. 33.

٩ - معبد الاله خنسو بالكرنك :

نقش على جدران هذا المعبد المتون التالية التى تدل على أن « الاسكندر »
قد وجه عنايته نحوه :

(١) ملك الوجه القبلى والوجه البحرى الاله الكامل رب الأرضين ورب
الشعائر جميعا ورب التيجان « الاسكندر »

(٢) الاله الكامل (ستب - نى - رع - مرى - امن = المختار من رع محبوب أمون) .

(٣) الاله الكامل رب الأرضين ورب الشعائر الاسكندر معطى الحياة والقوة .

(٤) ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ورب الأرضين (ستب - نى - رع - مرى - امن) ورب التيجان الاسكندر .

١٠ - الاشمونين :

وعثر فى « الاشمونين » على قطعة حجر من جدار عليها اسم «الاسكندر» ولقبه وقد نسبت خطأ لابنه الاسكندر الثانى فرعون مصر جاء عليها :
(ستب - نى - رع - مرى - امن) « الاسكندر » (راجع
Daressy. Rec. Trav. X, 1888, P. 143-144.

١١ - تلى اليهودية :

عثر على قطعة من افاء مصنوع من حجر أسود كان مستعملا ساعة مائة وهى الآن محفوظة بالمتحف البريطانى وجاء عليها المتن التالى : « ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (ستب - نى - رع - مرى - امن) ابن رع الاسكندر (راجع
Guide Br. Mus. (1909), P. 266 & Ibid. Sculpture. P. 254, No. 948).

هذا ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن الأثرى « هول » قد عزا الى « الاسكندر الأكبر » طابعا من البرنز من مجموعة « انستاس » القديمة . والواقع أن هذا الطابع يحمل طغراء « الاسكندر » الثانى فرعون مصر (راجع
Catalogue of Egypt. Scarabs etc., British Museum, Vol. I, P. 285, No. 2746).

١٢ - ذكر الاثرى « بدج » فى كتابه عن ملوك مصر طغراء «الاسكندر» دون أن يعطى المصدر الذى نقل عنه (راجع
Budge, Book of the Kings.II, P. 108.

وهاك النص الذى أورده «بدج» : ابن «رع» (الاسكندر بن آمون) .

١٣ - منشور كانوب :

جاء اسم « الاسكندر الأكبر » فى منشور كانوب المؤرخ بالسنة التاسعة من حكم « بطليموس الثالث » وذلك فى لوحة « تانيس » المحفوظة الآن بالمتحف المصرى تحت رقم ٢٢١٨٧ . وفى لوحة « كوم الحصن » جاء فيها :
الكاهن المطهر للاسكندر صادق القول (أى المتوفى) .

١٤ - منشور رشيد :

وجاء كذلك اسم « الاسكندر » فى منشور رشيد المؤرخ بالسنة الثالثة والعشرين من عهد « بطليموس الخامس » (راجع Stele, No. 22188 du Mus. du Caire) . وهاك المتن : « الكاهن المطهر للاسكندر » . هذا وقد جاء ذكر كهنة « الاسكندر الأكبر » فى كثير من الروايتين الديموطيقية والاغريقية فى منشورى « كانوب » و« رشيد » وكذلك فى عدد من الأوراق الديموطيقية وفى النقوش والأوراق الاغريقية وسنذكر كلا منها فى موضعها وكهان « الاسكندر الأكبر » كان أول نشأتهم فى السنة التاسعة عشرة من حكم « بطليموس الثانى » (راجع Petrie Papyri II, No. 24) وكان مركزها الاسكندرية .

وكان الكاهن يعين سنويا وتسمى السنة التى عين فيها باسم الكاهن . وهذه الوظيفة كانت موقوفة على رجال من أصل اغريقى . كما كانت هذه الكهانة تؤلف السلطة العليا الدينية فى مصر ، وذلك لأن الذين كانوا يشغلونها لا بد أن يعينوا برسوم ملكى هذا ويمكن تتبع آثار هذه الوظيفة على ضوء الكشف الحديثة حتى عهد «بطليموس العاشر» (الاسكندر الأول) وكليوبترا الثالثة^(١)

Glanville and T. Skeat, J.E.A. vol. 40. P. 45-58;

Bouché-Leclercq. I, Histoire des Lagides, t. III. (1906). P. 45-47.

١٥ - البقلرية (البخيوم - بالقرب من أرمنت) :

عثر على جزء من لوحة للمجل أيبس جاء عليها ذكر « الاسكندر الأكبر »
(راجع The Bucheum, Vol. II, P. 144)
هذا وقد جاء ذكر « الاسكندر » في مواطن كثيرة سيأتى ذكرها في سياق
تاريخ البطالمة .

أسرة الاسكندر في النقوش الهيروغليفية :

ربما يكون من المدهش حقا أننا لم نجد على الآثار المصرية البحتة ذكر أى
زوج من أزواج الاسكندر الأكبر ولا ذكر أى طفل من أطفاله ولكن تزول
دهشتنا عندما نعلم أن « الاسكندر » لم يمكث في مصر الا بضعة أشهر
معلومة ثم غادرها الى ساحة القتال في آسيا ولم يعد بعدها الى مصر. وتدل
شواهد الأحوال على أنه أثناء مكثه في أرض الكنانة لم يكن يصحبه أحد
من زوجاته أو أمه ، هذا فضلا عن أن ذكر اسمه هو على الآثار المصرية كان
محدودا مثله في ذلك مثل كل من « فليب اردايوس » و « الاسكندر الثانى »
الذين خلفاه على عرش مصر من أسرته ، وذلك لانهما لم يحضرا مصر قط
كما سنرى بعد .

فرعون مصر فليب اريدايوس والاسكندر الثانى

تحدثنا فيما سبق عن الأحوال التى نصب فيها « فليب اريدايوس » عرش امبراطورية « الاسكندر » وعن تولى « برديكاس » نائبا عنه ، كما تحدثنا عن تقسيم أجزاء الامبراطورية بين قواد « الاسكندر » فى ظل حكم كل من « فليب اريدايوس » و « الاسكندر الرابع » (الثانى بالنسبة لمصر) ابن « الاسكندر الأكبر » الذى ولد بعد وفاة أبيه بثلاثة أشهر ، واشترك فى حكم الامبراطورية مع فليب « اريدايوس » ، ولقد ظلا يحكما الامبراطورية سويا اسما من عام ٣٢٣ ق.م. حتى عام ٣٠٥ ق.م. وذلك لأن الحاكم الفعلى كان فى بادىء الأمر هو « برديكاس » الذى عينه مجلس « بابل » الحربى نائبا وقائدا أعلى على كل أجزاء الامبراطورية ، ثم خلفه فى منصبه هذا بعد موته آخران هما « انتياتر » و « بوليبرشون » على التوالى .

« بطليموس » بن « لاجوس » فى عهد « برديكاس » ، عام (٣٢٣ - ٢٢١ ق م)

كانت مصر من نصيب القائد المقدونى « بطليموس » عند تقسيم أجزاء امبراطورية « الاسكندر » بين قواده فى ظل حكومة « فليب اريدايوس » . وقبل أن نتحدث عن مراحل حياته فى حكومة مصر الى ان أصبح فرعوننا عليها يطيع أن نذكر شيئا عن حياته فى عهد الاسكندر الأكبر سيده وصديقه . لم تصل الينا معلومات من مصادر يعتمد عليها عن أصل نشأة « بطليموس » وحالته الاجتماعية بل كل ما وصل الينا عن أسرة « بطليموس » هى سلسلة نسب اخترعت لتنسب أسرته التى أصبح أفراد منها ملوكا على مصر الى أصل ملكى والهى ، كما جرت العادة عند الأسر التى يتولى أفرادها الملك ولم يكونوا من أصل ملكى . والواقع أن أسرة البطلمة قد جعلهم النسابون المحترفون

ينحدرون من صلب الآله «زيوس» بوساطة «هيراكليس» و «ديونيسوس». وفي رواية أخرى أكثر تواضعا قيل أن «ببليوموس» كان من عامة الشعب وأنه عصامى وصل الى ما وصل اليه بمواهبه الشخصية ، وأن «الاسكندر الأكبر» قد لمح فيه النجابة والفتنة من بين اجناده العاديين (راجع Justin. XIII, 4, 10) . واسم «ببليوموس» هو صورة شعرية لكلمة «بوليموس» (Polemos) التى تعنى حرب. أما اسم والده الهيلانى «لاجوس» (La-agos) فمعناه قائد الشعب . ولما عظم شأن بيت البطالمة فى العالم الهيلانى استكى وجدنا أن نسبته الى «لاجوس» كانت مبهمه وتعتبر غير لائقة بشرف أسرته ومما يجب التنويه به هنا أن البطالمة لم يذكروا باسم «لاجيد» الذى نجده فى الكتب الفرنسية بصورة عامة ، وكل ما يعلم عن هذا الاسم هو وجود كلمة «لاجيداس» (Lagidas) فى قصيدة للشاعر «تيوكريتوس» (Theocritus) الذائع الصيت ومن القصص التى تروى عن البطالمة ونسبهم ماروى عن «ببليوموس الأول» أنه عندما سئل أحد علماء النحو : من هو والد «بلوبس» (Pelops) وكانت هذه نقطة غامضة جدا فى علم الأساطير الاغريقية — أجاب العالم المنحوس بقوله : انى سأجيبك على ذلك اذا أجبتنى أولا : «من هو والد «لاجوس» ؟» .

وتدل الأحوال على أنه كان صديقا حميما للاسكندر كما كان موضع ثقة يعتمد عليه وناصحا رزينا . وتدل المصادر التى فى متناولنا على أنه اشترك مع الاسكندر فى معظم مواقعه الحربية خارج بلاد اليونان على الأرجح . وقد ذكر لنا «ببليوموس» فى مذكراته حملات «الاسكندر» بالتفصيل بصورة لا يتسنى لأحد لم يكن شهد هذه الوقائع رأى العين (راجع Arrian, Anab., 1, 2, 7, 8, والواقع أنه كان ملازما «للاسكندر» يسهر على سلامته كما كان يكلفه أحيانا بالبعوث التى تحتاج الى رجل ثقة . ومما يؤسف له جد الأسف أن

المؤرخين لم يذكروا لنا مرافقته الاسكندر في غزوته لمصر . وأنه رآه وهو يضع الحجر الاساسى لعاصمة البلاد مستقبلا أى الاسكندرية وعلى أية حال فانه ليس لدينا ما يحملنا على الاعتقاد بأن « الاسكندر » لم يصحب « بطليموس » تابعه الأمين الى مصر . ومن المحتمل جدا انه جهز رحلته الى واحة « سيوة » . ولا غرابة في ذلك فان « بطليموس » كان صديقا للاسكندر مدة حياة والده « فليب » وقد لاقى بسببه عنتا واضطهادا الى أن مات « فليب » فأعاده « الاسكندر » الى مكانة رفيعة في معيته .

وقد وجدنا « بطليموس » في شتاء عام ٣٣١ - ٣٣٠ ق.م مع « الاسكندر » عندما كان يخترق الممرات الفارسية وهو يقود ٣٠٠٠ مقاتل مكلفين بقطع خط الرجعة على الفرس (راجع Arrian III, 18, 9) ، وكذلك نجد الاسكندر يضعه في مقدمة جيشه يقود ما يقرب من ستة آلاف محارب لمفاوضة « بسوس » والقبض عليه والأخير هو قاتل « دارا » ملك « الفرس » وقد قبض عليه فعلا وأمر « الاسكندر » بأن توضع حول رقبته الاغلال وأن يجرد من ملابسه ثم أمر بموته (عام ٣٢٩ ق.م) . وقد رقى بعد ذلك بطليموس ، اذ أصبح أحد السبعة الذين يتألف منهم المجلس الأعلى الحربى في نهاية عام ٣٣٠ ق.م وذلك بدلا من « ديمتريوس » الذى كان قد اشترك في المؤامرة على « فيلوتاس » الذى كان يشغل وظيفة قائد فرقة الفرسان ، وكذلك كان على اتصال مباشر « بالاسكندر » ، وقد اتهم بالتآمر على قتل « الاسكندر » (راجع Arrian III, 27, 5, CF IV, 8, 9) .

نشاهد بعد ذلك « بطليموس » يقود مع القائد « هيفستيون » (Hephestion) الفرقة التى يحتفظ بها « الاسكندر » بالقرب منه في « سوجديان » (٣٢٩ ق.م) ، وكان يقود مع « برديكاس » و « ليوناتوس » Leonatos حصار صخرة « كرونيس » (Rock of Chrones) (راجع Arrian IV, 21, 4; Grote XII. P. 146.

وقد ظهرت شجاعته في منازلة « الاسباسيين » (Aspasian) فقد جرح في أول مصادمة كما جرح فيها كذلك كل من « ليوناتوس » و « الاسكندر » نفسه . وقد قتل بيده بعد ذلك بعدة أيام أميراً هندياً قد أخطأ قتله بضربة حربة . وأخيراً قامت فرقته بدور باهر في القضاء النهائي على « الاسباسيين » عام ٣٢٧ ق.م (راجع Arrian, IV, 23-35) . وبعد ذلك نشاهد مهارته الحربية في الهند في تسليق مرتفعات « أورنوس » (Aornos) والاستيلاء عليها (راجع Arrian Ibid, 29-30)

ونجده في حصار بلدة « سانجالا » التي تعد أقصى نقطة في الشرق وصلت إليها فتوح « الاسكندر » في بلاد الهند ، قد استعمل حزمه ونظرته الثاقبة كما هي عادته (راجع Arrian V, 23-24) . وعندما كان الجيش في طريق العودة انحدر في نهر « اسكينى » وكان « بطليموس » وقتئذ يقود كذلك إحدى الفرق الثلاثة من الجيش وهي التي كان عليها أن تنضم في زحفها لمحاربة « أوكزيدارك » (Oxydarques) ، أما الفرقتان الأخريان فكان يقودهما « هيفاستيون » و « الاسكندر » (راجع Arrian, VI, 5, Diod. XVII, 104) وقد كان من جراء عدم وجود « بطليموس » بجوار « الاسكندر » أن جرح الأخير جرحاً بليفاً عندما هاجم عاصمة المالين . هذا ويجد « بطليموس » فيما بعد يذكر في الأسطورة التي رويت عنه أنه هو الذى نجى « الاسكندر الأكبر » في ذلك اليوم المشهود ، ومن ثم سماه الاسكندر المخلص (Soter) (راجع Arrian VI, 11, 8) وقد جاء ذكر « بطليموس » ضمن الثلاثة والثلاثين قائداً بحرياً الذين وكل اليهم « الاسكندر » أمر الأسطول النهري الذى تجمع على نهر « هيداسبيس » (Hydaspes) والذى كان يقف على جانبه الآخر الملك الهندى « بوروس » (Porus) (راجع Arrian, Indie, 18, 5) .

وتقص علينا الأساطير أن الاسكندر قد كافأه على اخلاصه وتقائه في حبه له . فقد روى أن « الاسكندر » عندما جرح « بطليموس » سهم مسموم كان ساهرا بجوار سرير يراه ، وأنه قد أبرأه من علة بعثب كشف له عنه في حلم رآه في منامه (راجع Strabo, XV. P. 173; Justin XII, 10, 3)
وقد كانت محبة « بطليموس » لسيدة التي كانت ممزوجة بالحذر والمسيرة قد جعلته يصبح تشريفاتي « الاسكندر » ومدير بيته . وقد كان من سوء حظ « بطليموس » أنه شهد قتل « كلينوس » بيد « الاسكندر » ، وكان أكبر صديق له وأقرب المقرين اليه ، ولا غرابة في ذلك فقد نجاه من الموت المحتم (راجع Arrian IV, 13, 7; Grote XII, 140).

ومن كل ما سبق أصبح واضحا أنه عند وفاة الاسكندر لم يكن هناك من بين أصدقائه وقواده الا القليل الذين شغلوا مكانة بارزة كالتى كان يشغلها ابن « لاجوس » . وقد كان « برديكاس » يظهر له من أول الأمر أن « بطليموس » من أكبر مناهضيه ، غير أن « بطليموس » كان حازما ليعطى طموحه مجالا ليظهر « لبرديكاس » بمظهر العداء قبل أو انه . وقد عرفنا أنه في مجلس القواد الأول قد اقترح أن تدار حكومة الامبراطورية بواسطة مجلس من الضباط ، غير أنه عند ما رأى اقتراحه رفض ، مال الى حزب « برديكاس » في الاجراءات التى اتخذت كما أسلفنا ، ومع ذلك كان حريصا أشد الحرص على مصلحته الشخصية عند توزيع مختلف المديرات والشرطيات بين القواد . وقد وضع كل همه ومجهوده في خلال هذا التقسيم في أن يحصل لنفسه على حكومة مصر الهامة التى كانت تعد أغنى بلاد الامبراطورية وفي الوقت نفسه أكثرها أمانا من الغزو الأجنبى (راجع Curt. X, 6 §, 13, 16, 7, 916; Justin XIII, 2, 4; Arrian, Op. Phot. P. 69, a; Paus. I, E, 82)

وبعد ذلك يظهر أنه أسرع بقدر المستطاع لتسلم مهام وظيفته في مصر في نهاية ربيع ٣٢٣ ق.م . ولكنه وجد أن « كليومنيس » الذى كان معينا من قبل

الاسكندر محصلا لضرائب البلاد عامة - وكان مجلس القواد قد عينه عن قصد ليكون نائبا لبطليموس - ، صاحب نفوذ عظيم على الرغم من أنه أصبح بعد تولى «بطليموس» بصفة وكيل وحسب، يضاف الى ذلك أن «كليومنيس» كان من أشد الناس اخلاصا «لبرديكاس» . ولقد كان من الطبيعي أن ينشب بينهما شجار ضامت وبخاصة أن «كليومنيس» قد جمع مالا كثيرا من الأهلين بالقوة والسلب ، وكان في قتله راحة لنفوس الشعب المظلوم المغلوب على أمره . ولذلك كان أول عمل عزم عليه «بطليموس» هو أن يتخلص من هذا المنافس العاتى ، غير أنه لم يتمجّل الحوادث بل أخذ يعد العدة لتنفيذ غرضه ، ولم يتسن له ذلك الا بعد أن أصبح سلطانه قويا في البلاد . وقد حانت له الفرصة عندما قامت ثورات في مدينة «سيريني» المجاورة لمصر ، وقد كان لزاما عليه أن يتدخل لاختادها ، ولكنه قبل أن يزحف على «سيريني» قبض على أعضاء حزب «كليومنيس» وحكم عليه بالأعدام واستولى على كل الأموال التي كان قد جمعها بوصفه محصل دخل البلاد . وقد استخدم هذه الأموال في تجنيد الجنود المرتزقة من الاغريق ، وليجمع حوله طائفة من لضباط المخلصين . ولم يكن «بطليموس» يريد أن يقحم نفسه في الحروب التي قامت في البلاد الهيلانية وهى التى تدعى الحروب «اللامية» (٣٣٣-٣٣٢ ق.م). والواقع أن تلك الحروب قد تركت ذكريات أليمة في نفوس الهيلانيين وعندما نجا القائد «اتيباتر» من الموت في موقعة «لاميا» كان مبلبل الفكر مشته ، وذلك بسبب ما سيئول اليه أمره بعد ذلك ، وبخاصة أنه كان يخشى تدخل «برديكاس» في أمور أوربا التى كان يسيطر عليها . وقد انتهز «بطليموس» تلك الفرصة وأبرم مع «اتيباتر» معاهدة ضد «برديكاس» (راجع Diod. XVIII, 4) ومن ثم حانت الفرصة لدى «بطليموس»

لمحاربة «برديكاس» الذى كانت بذور الشقاق قد دبّت بينهما بصورة سافرة منذ أن عمل «بطليموس» على دفن «الاسكندر» فى مصر وقتل «كليومنيس» الذى كان قد نصبه وكيلا له «برديكاس» فى مصر ليكون مناهضا وعينا له هناك . غير أن الأمر الذى أزعج «برديكاس» كثيرا هو استيلاء «بطليموس» على «سيرينى» . وآية ذلك أنه عندما قامت المنازعات والاضطرابات فى «سيرينى» وبخاصة عندما نعلم أنها كانت جمهورية اغريقية عريقة فى الحكم الذاتى . وقد كانت هذه المشاهدات بين الأحزاب فيها سببا فى اجتذاب رجال المخاطر من بلاد الاغريق ، وما كان أكثرهم وقتئذ . ومن أجل ذلك نجد أن «تيرون» «الاسبرتى» ياور وقاتل هاربال (Harpale) المدير الخائن لخزانة الاسكندر قد جمع كل المشردين المحكوم عليهم فى «سيرينى» ، غير أنه بعد طرده أحد ضباطه عاد لمحاصرة «سيرينى» ، ولكن الحزب الديموقراطى فى المدينة المحاصرة قبض على زمام الأمور ، وعندئذ نجد أن بعض أغنياء المدينة الذين تفوا قد طلبوا المساعدة من «تيرون» كما أن بعضهم الآخر طلب المساعدة من «بطليموس» الذى أرسل صديقه «أفيلاس» (Orhelas) على رأس جيش يصاحبه أسطول ، فهزم «تيرون» وأعدم على خازوق (راجع Diod. XVIII, 19-21) وبذلك أصبحت «سيرينى» محاصرة حصارا شديدا ، ولم تلبث أن سلمت لبطليموس الذى قد ذهب بنفسه هناك ومعه نجدة لكسر كل مقاومة . وهكذا نجد أن هذه المدينة التى قاومت بطش القراعة وهزمت جيش الفرعون «ابريز» قد أصبحت جزءا من شطرية مصر ، ومن ثم أخذ يدير شئونها مؤقتا «أفيلاس» (راجع مصر القديمة الجزء لثانى عشر ص ٢٤٩ - ٢٥١ ، و Justin XIII, 6, 20) وكان من أثر انتصار «بطليموس» فى «سيرينى» وضمها الى مصر ، فى العالم الاغريقى أن تأثر «برديكاس» تأثرا عميقا خوفا من مناهضه الخفى . والواقع أن «بطليموس» بضمه «سيرينى» لم يناقض قرارات مجلس «بابل» الذى وضع

تحت سلطانه بلاد «لوبياء» وبلاد العرب وهما على حدود مصر .
وكل ما فعله بحملته هذه هو أنه أظهر ارادته في تنفيذ القرار بصورة عملية،
ومع ذلك فإن «السيرينيين» لم يكونوا ليرضوا لأنفسهم أن تصبح بلادهم
مديرية خاضعة لحكم أجنبي . وعلى أية حال فإن الحوادث المقبلة تدل على
أنهم لم يصبحوا في معظم الأحيان مصدر قوة للملك البطلمة بل كانوا شوكة
في جانبهم من الوجهة الحربية . على أن «سيريني» من الجهة العلمية قد
أمدت مصر البطلمية بطائفة من العلماء الذين لمع اسمهم في التاريخ الانساني
ونفص بالذكر من بين هؤلاء «كالليماكوس» الشاعر العظيم «واراتوستينيس»،
هذا بالإضافة الى عدد من رجال الحرب البارزين . وقد جاء ذكر عدد كبير
من الجنود «السيرينيين» في الأوراق البردية من الذين استعمروا الفيوم والوجه
القبلى . ولا نزاع في أن سيطرة «بطليموس» على «سيريني» قد أزعج
«برديكاس» وأثار في نفسه عوامل الحقد كما ذكرنا على «بطليموس» وبخاصة
أنه لم ينس له الاستيلاء على جثمان «الاسكندر» ودفنه في مصر على غير
ارادته ؛ هذا بالإضافة الى قتل «كليومنيس» صديقه ، ومن ثم قام النزاع
السافر بين «برديكاس» وبين «بطليموس» ، وذلك لأن وحدة الامبراطورية
تساعد «برديكاس» للتغلب على «بطليموس» وذلك لأن وحدة الامبراطورية
الشاسعة التى تركها وراءه «الاسكندر» لم تكن قائمة على أساس متين
يضمن كيان وجودها سليمة، فقد كانت فى حاجة الى ملك قوى يصون وحدتها
من التمزق الذى كان وشيكاً أن يصيبها ، بل على العكس كان على رأسها
ملك ضعيف مشلول الارادة والجسم لا حول له ولا قوة .

حقا كان تحت أمرة «برديكاس» جيش «آسيا» وكان هو الوصى والعارس
على «فليب اريدايوس» المريض ، فكان بذلك هو المسيطر الفعلى على شئون
الامبراطورية ، ولكن «برديكاس» لم يكن يحكم البلاد دون متاعب تحيط
به ، فقد كان عليه أن يحسب حساب أطماع اميرات بيت الاسكندر ، هذا

بالإضافة الى ما كان يدب في نفوس رؤساء القواد الآخرين من غيرة وحقد عليه ، وكان فضلا عن ذلك يريد كل منهم أن يصبح مستقلا في الجزء الذى يحكم عليه . ومما زاد الطين بله أنه كان يهدد الامبراطورية وقتئذ خطر ان أولهما قيام ثورة في جزء من بلاد الاغريق التى حرمت استقلالها بتحريض من « اتولى » (Etolie) وبخاصة « أثينا » . أما الخطر الثانى فهو الفتنة التى اشعل نارها الجنود المرتزقة الاغريق الذين كانوا في « بكتريان » (بلاد الفرس) وهم الذين كانوا يريدون العودة الى أوطانهم بعد موت « الاسكندر » .

حرب « لاميا » : وقد كانت الثورة التى هبت في بلاد الاغريق تعرف باسم « الحرب اللامية » وكان من نتائجها أن ثبت « اتياتر » في ملكه وأبعد « كرايتروس » وقضى على « ليونات » (Leonnat) فقد خر صريعا في ميدان القتال في موقعة « تيساليا » . وهؤلاء الحكام كانوا أخطر منافسين على « برديكاس » (٣٢٣ - ٣٢٢ ق.م) . وذلك لأن « ليونات » كان يطمح في الاستيلاء على زمام الامبراطورية ، وقد كانت « كليوبترا » أخت « الاسكندر الأكبر » وأرملة « الاسكندر » حاكم « ايروس » تفكر في الزواج منه فانساق وراء اطماعه ليصل الى الحكم . أما اغريق « بكتريان » فكانوا يؤلفون جيشا من الجنود المدربين قوامه عشرون ألفا من المشاة وثلاثة آلاف من الفرسان . فأرسل عليهم « برديكاس » شطربة « ميديا » المسمى « ييثون » وكان بدوره يرمى الى اخضاعهم ، ثم بعد ذلك يستخدمهم في الاستيلاء على زمام الحكم من يد « برديكاس » ، غير أنه لم يكن في مقدوره منع الجنود المقدونيين من ذبحهم ، أما ما كان من أمر « برديكاس » فانه بعد أن تخلص من اخطار عدة ، فانه أصبح في مقدوره أن يعمل على تثبيت مركزه المخوف بالمخاوف . ونعلم على حسب ما ذكره لنا المؤرخ « هيرونيم » مواطن « كارديا » ، أن « أوليمبياس » أم « الاسكندر » التى كانت تمقتة من أعماق قلبها تريد أن يتزوج من « كليوبترا » .

ويتساءل المرء هنا : هل كان مثل «ليونات» يرغب في أن يستولى على زمام الحكم وحده ؟ وتدل الظواهر على أنه كان مكتفيا في هذه اللحظة بوظيفة نائب الامبراطورية ، وذلك لأنه على الرغم من نصائح صديقه «اينيس» أمين سر «الاسكندر» فانه رفض الزواج من أخت «الاسكندر» مفضلا عليها ابنة «اتيباتر» ، ولكنه في الوقت نفسه كان يريد أن يصبح نائبا مطاعا في امبراطورية موحدة . وقد أفاد من تخلصه من حروب بلاد الاغريق اذ فسح له ذلك المجال لاتمام فتوحه في «آسيا» الصغرى .

والواقع أنه اخضع كلا من «أرمينا» و «بزيديا» و «اسورى» وبخاصة «كبودوشيا» التي أصبحت شطرية يحكمها صديقه «اينيس» ، ولكنه على الرغم من ذلك لم يكن في مقدوره أن يمنح «أديا» خفيدة الملك «برديكاس» الثالث وهى ابنة «سينانى» (Cynani) حظية فليب «اريداىوس» من الذهب مع والدتها الى «آسيا» . وقد قتل «سينانى» ولكن الجيش أجبر «برديكاس» على الزواج من الأميرة .

والواقع أن «فليب» لم يكن الا ظلا في الحكم لأن هذه الملكة الفتية التى كانت فى الرابعة عشرة من عمرها - وهى التى سميت باسم «ايريدىكى» (Eurydice) - كانت تريد أن تثبت سلطان العرش وحقوقه ، ومن جهة أخرى كان خروج بعض شطاربة الامبراطورية عليه أمرا ملحوظا ، فعندما طلب «برديكاس» الى «اتيجونوس» مساعدة «اينيس» للاستيلاء على «كبودوشيا» لم يطع أمره (١) ، ومن ثم أصبح «برديكاس» فى حرج ، فعلى أثر رفض «اتيجونوس» طلبه فر الأخير الى مقدونيا ، وهناك تألف حلف من كل من «اتيجونوس» نفسه ومن «اتيباتر» و «ببليوس» لمقاومة «برديكاس» . وقد كان ببليوس ينتظر بثاقب رآيه تطور الحوادث بينه وبين «برديكاس» . أما «برديكاس» فكان وقتئذ واقفا موقف الحيران فى

أمره بين عدويه . هل يبادر بالقضاء على أعدائه في مقدونيا أو يصرب ضربته الأولى في مصر . وأخيرا انتهى به الرأي الى أن يقضى على عدوه «بطليموس» أولا ، وبعد القضاء عليه يوجه ضربته التالية الى «اتتباتر» .

ولقد اتخذ «برديكاس» لنفسه الحيلة أولا في «آسيا» الصغرى فجعلها تحت حراسة صديقه «ايمنيس» ، وعزز ذلك بأسطول لملاحظة الشواطئ بأمرة القائد (كليتوس) (Clitos) ، ثم عقد بعد ذلك معاهدة مع أهالى «أتوالى» الذين كان عليهم أن يحاربوا «اتتباتر» . وبعد ذلك خلع شطربة «كليكياء» المسمى «فيلوتاس» (Philotas) وهو صاحب «كراتريوس» ونصب مكانه آخر ، وكذلك خلع شطربة «بابل» المسمى «ارخون» . وكان على ما يظن متهما مع «بطليموس» بخطط جثمان الاسكندر وكان يخاف خيانة كل هؤلاء . وأخيرا عندما علم أن ملوك مدن جزيرة «قبرص» كانوا في جانب «بطليموس» ويحاصرون مدينة «ماريون» التى كانت باقية على ولائها له في الجزيرة أرسل مساعدة لها (١) .

ولا ريب في أنه كان من حق «برديكاس» أن يفخر بكل هذه الاستعدادات العظيمة التى تدل على بعد نظر وروية ، غير أنه في الوقت نفسه تجاهل الكره السائد له الذى كان يعمر قلوب كل أهالى الامبراطورية . والواقع أنه كان لا يحفل بحب الناس له ما دام مطاعا فيهم ، مما أدى الى خيئته ولقاء ختفه في هذه الحملة التى رأسها لغزو مصر والقضاء على «بطليموس» عدوه الأول.

الحملة على مصر : زحف «برديكاس» بجيشه على مصر في ربيع عام ٣٢١ ق.م عن طريق «سوريا» الى الحدود المصرية ، وكان أسطوله بأمرة «أثالوس» يسير محاذيا للجيش ، غير أنه لم يكديولى ظهره متجها نحو مصر حتى آتته الأخبار أن «كراتريوس» و «اتتباتر» عبرا «الدرديلى» لمهاجمته،

في حين أن «اتيجونوس» ولى شطره نحو «سارديس» حيث أراد أن يأخذ «ايمنيس» على غرة (١) . وكانت الطامة الكبرى عندما سمع «برديكاس» أن قائد البحر «كليتوس» قد انضم الى أعدائه ، ثم حذ حذوه شطاربه «ليديا» و «كارييا» و «مياندر» و «اساندروس» (Asandros) . وأخيرا وجد أن القائد «نيوبتوليم» (Neoptoleme) الذي كان عليه أن يساعد «ايمنيس» قد انضم الى معسكر «أنتيباتر» و «كراتيروس» . وقد زاد الطين بلة أن جنود «برديكاس» الذين كان يقودهم أخذوا يلقون باله باظهار التمرد عليه . وآية ذلك أنه عندما وصل الى الحدود المصرية أراد أن يجعل لهذه الحملة التي قام بها على «ببليوموس» صبغة قانونية بأن يوافق الجيش عليها ومن ثم دعا «ببليوموس» ليظهر أمام المجلس العسكري الذي كان سيصدر الحكم عليه ، وأنه اذا تخلف عن الحضور فانه سيعلن عصيانه وامتناعه عن الحضور أمام القضاء . وهذه الخطة التي رسمها «برديكاس» للقضاء على «ببليوموس» كانت قد نجحت من قبل مع «اتيجونوس» في الخريف الماضي . ولو كان «ببليوموس» من البساطة وحضر المحاكمة الحكم عليه بأنه خارج على القانون بسبب أنه أخضع اغريق «سيريني» واستولى على بلادهم ، كما أنه استولى على جثمان «الاسكندر» اغتصابا . غير أن «ببليوموس» لم يكن ساذجا فبدلا من أن يرفض الحضور، برأ نفسه بوساطة مفوضين عنه وقد أفلح في ذلك (٢) ، ولكن «برديكاس» لم يقنع بهذه البراءة ومضى في تنفيذ عزمه للقضاء على «ببليوموس» بحد سيف محافظة على كبريائه . ومما يؤسف له جد الأسف أن «برديكاس» قد أظهر في حربه التي شنها على «ببليوموس» عدم كفاية . فلم يكن في مقدوره أن ينتخب مكانا على الفرع البلوزي للنيل ليمبر منه النهر دون خوف أو وجل .

حقا نجده قد حاول عبر النهر للمرة الأولى عند مكان كان يحميه «ببليوس» ويدعى «جدار الجبل» . وذلك أنه أخذ في كرى قناة قديمة مهجورة لأجل أن يجري فيها ماء النهر الذى كان يقف حجر عشرة في طريقه ، وبذلك عبر فرع النيل ، ولكن هجومه على الحصن كلفه خلقا كثيرا دون فائدة . وكان من جراء انطلاق الماء بشدة فى القناة التى أصلحها أن غرق معسكره . وعندئذ ظن «برديكاس» أن هناك مؤامرة دبّرت للقضاء على جنوده الذين بدؤوا على أثر ذلك يفرون من ساحة القتال ، ولذلك لم يربدا من أن يسير فى النهر بجيشه نحو «منف» ، وقد قام بمحاولة جديدة لعبور النهر عند أسفل «بوسطة» فى مكان كانت توجد فيه جزيرة تقسم تيار النهر ، مما كان يسهل عليه عبور النهر ، ولكنه أخطأ الحساب إذ قضى على محاولته بالفشل الذريع ، ففقد «برديكاس» هناك أكثر من ألفى مقاتل لاقوا حتفهم غرقا دون حرب ، أو التهمتهم الحيتان على رأى «ديدور» . وقد كان من جراء هذه الكارثة أن هاج الجيش على قائده الأعلى الذى أظهر عدم الكفاية فأعلن كبار الضباط فى وجه «برديكاس» أنهم لن يطيعوا أوامره ، فى حين أن فريقا منهم من بينهم القائد العظيم «سيدوكوس» الذى أصبح فيما بعد ملك «سوريا» ، قد عاملوه بالطرق التى اعتاد الجيش اتباعها فى محاكمة الضباط الخارجين ، فحكموا عليه بالاعدام وحزوا رقبتة (يوليو سنة ٣٢١ ق.م.) وفى اليوم التالى من اعدام «برديكاس» اجتمع رجال الجيش وظهر فى وسطهم «ببليوس» محيا ومسلما على المقدونيين بحب وسلام . ثم قدم بعد ذلك اعتذاره عن سلوكه فى محاربة «برديكاس» . ولما كان الجيش تنقصه الاطعمة أمر بتوزيع القمح عليهم بكثرة كما أمد المعسكر بكل أنواع المؤن والذخيرة . ولقد كان مسلك «ببليوس» بهذه الصورة مدعاة لحب الجيش واحترامه (١)

وبعد ذلك عقد الجيش جلسة عرض فيها على «ببليوس» أن يحتل مكانة «برديكاس» غير أنه أبى ، وكان ذلك عن بعد نظر لأنه رأى أن توليه هذا المنصب يثير غيرة رفاقه القدامى فى الجيش ، هذا فضلا عن أن قبوله سيحرمه ملك مصر الذى يعرض عليه كل الحرص، كما كان يلقى به فى معمة المغامرات التى لا بد منها لكل من يتولى نيابة حكم الامبراطورية التى خلفها الاسكندر، يضاف الى ذلك أنه على الرغم من وجود «فليب اريدائوس» و «الاسكندر الرابع» على العرش سويا - وكان «برديكاس» يصحبهما معه فى كل مكان ذهب اليه ، فانه كان لا يمكن المحافظة على الامبراطورية بهذه الصورة . وعلى أية حال كان «ببليوس» راضيا بمصر نصيبا له من هذه الامبراطورية الضخمة . وقد رأى «ببليوس» الحكمة الا يترك مكان نيابة الامبراطورية خاليا فنصب كل من «بيثون» و «أريدائوس» أحد المقرين من «الاسكندر الأكبر» وصين على الامبراطورية مؤقتا . هذا ولم يمض أكثر من يومين على وفاة «برديكاس» حتى وصلت أخبار الاحداث التى كانت تجرى فى «آسيا» فقد جاءت الانباء بهزيمة «كراتيروس» على يد «ايمنيس» فى «كابودوشيا» وأنه مات فى ساحة القتال (حوالى عام ٣٢١ ق.م) وأن «انتياتر» عندما وصل الى «كليشيا» وجد نفسه فى مأزق حرج اذ قطعت بينه وبين مقدونيا المواصلات، هذا فضلا عن أن الأسطول لم يسعفه بالنجدة بل طارد فى بحر قبرص قائد «برديكاس» وذلك بأمر من «اتيجونوس» و «كليتوس» . والواقع أن هذه الأخبار المزعجة لو كانت قد وصلت قبل قيام «برديكاس» بالحرب على «ببليوس» لأصبحت كارثة لالاخيرة وأعوانه ، غير أن نصر «ببليوس» على انتياتر» و «اتيمونوس» يدعونهما لعقد اجتماع عام يكون مقره «تريبارادايوس» (ربله الحالية فى سوريا) . وتدل شواهد الأحوال على أن «ببليوس» لم يذهب مع الوصيين أو الملكين الى مكان الاجتماع حرصا منه وبطد نظر ، اذ الواقع أنه كان قد حدد أطماعه الاكتفاء بملك مصر . فكان

علية أن يبقى فيها ولا يخرج منها .

ولا نزاع في أن اجتماع «تريباراديوس» الذي عقد في خريف عام ٣٢١ ق.م كانت تسوده البلبلة ، وعلى أية حال انتهى بتنصيب «أنتياتر» وصيا على الامبراطورية ، وقد أسفر التقسيم الذي عمل في «تريباراديوس» تثبيت «ببليوس» في ملك مصر بوصفها ضيقة كسبها بحد السيف (١) . ومهما يكن من أمر فانه لم يكن من المستطاع خلعه منها في هذه الأحوال بل على العكس أضيفت له بلاد «لوبياء» و «سيريني» التي كانت فعلا في قبضة يده . وتوثيقا لمرأ هذا الاتفاق زوج «انتياتر» ابنته «ايريديكي» من «ببليوس» . ولا نزاع في أن «ببليوس» كان في مقدوره في هذا الموقف بعد اقتصاره على «برديكاس» أن يصبح وصيا ، غير أن هذا المنصب الذي كانت تحفه عوامل الحقد والغيرة لم يغره ولم يخدعه ، ومن ثم أظهر مهارته السياسية وبعد نظره برفضه لهذا المنصب . اذ الواقع أنه كان لا يمكن مهاجمته في شطريته الا من رعاياه الجدد . وعلى أية حال فان التقسيم الذي اتفق عليه في حلف «تريباراديوس» بالنسبة لمصر لم يكن الا تأكيدا للقرار الذي اتخذ سابقا في «بابل» ، وفضلا عن ذلك فان مركز الامبراطورية قد انتقل الآن من «آسيا» الى «أوربا» وهذا كان أقل خطرا على استقلال مصر .

حقا كان من نصيب «سليوكوس» جد الأسرة المناهضة لمصر «بابل» ، غير أنه لم يكن من المستطاع التنبوء بالمعظمة التي سينالها بيته في المستقبل ، ومن جهة أخرى ظهرت مملكة أخرى بمقتضى حلف «تريباراديوس» كانت أعظم خطرا من السابقة في بلاد الاناضول ، وذلك أن «انتيجونوس» الأعور قد حافظ هناك على حكوماته واتخذ لنفسه لقب «الحاكم فوق العادة لآسيا» والقائد الأعلى لجنود الامبراطورية وعلى الرغم من أن «انتياتر» قد تقدم في السن فانه كان مع ذلك نشطا وطموحا خاليا من الشكوك وعلى استعداد

لأن يتبع خطأ «برديكاس» . هذا وكان يلوح له وجود خطر يمكن أن يهدد «ببليوس» نفسه في المستقبل ويجعله ندم على عدم اهتمامه بصورة جدية بامبراطورية «الاسكندر» ، كما أنه أدرك اهماله في اجتماع «تريباراديوس» في عدم طلبه صراحة ضم بلاد «سوريا» التي عزم في قرارة نفسه على أن يضمها الى مصر لما كان لها من أهمية بالغة لحفظ كيان بلاده كما دلت الأحداث التاريخية في كل عصور حياة مصر كما فصلنا القول في ذلك .

ببليوس واتييجونوس ٣٣١ - ٣١٩ ق.م :

ذكرنا فيما سبق أن ببليوس قد ضم بمقتضى حلف «تريباراديوس» الى مصر «لوبياء» و «سيريني» ، غير أن أطماعه السياسية ومقتضيات الأحوال حتمت عليه ان هو أراد المحافظة على مصر أن يضم اليها بلاد «سوريا» وذلك لأن مصر كان لا يمكن أن تصبح دولة بحرية قوية دون أن يكون لها موان على شاطئ بلاد «فنيقيا» .

تاريخ العلاقات البحرية بين مصر وسوريا من اقدم العهود حتى عهد البطالة :

ولا غرابة في أن نجد ببليوس يلح في الاستيلاء على سواحل «سوريا» اذ ليس ذلك بالأمر الجديد فقد دلت البحوث الأثرية على أن مصر كانت لها علاقة بجيرانها الآسيويين منذ عهد ما قبل التاريخ وبعبارة أخرى منذ العهد الجرجي (١) . وفي الأزمان التاريخية تظهر سياسة مصر في علاقاتها مع «آسيا» على الأقل في خطوطها العريضة ، وذلك على الرغم من أن المصادر ليستجالية تماما من حيث التفاصيل الفنية ، ومن أجل ذلك لم يظهر أمامنا بصورة جلية حتى « الدولة الحديثة » الى أى حد لعب الأسطول المصرى دورا حاسما في النشاط المصرى التجارى والحربى في عرض البحر . والواقع أن السياسة المصرية في « آسيا » كان لها غرض مزدوج وهو تأمين الحدود المصرية والحصول على منتجاتها الثمينة ، وذلك في طوال تاريخها . ففى العلاقات التي

(١) راجع Scharff Die Fruhkultur Agypten und Mesopotameens (Der Alt. Orient, Bd. 41. Lpz. 1941).

كانت قائمة في « سوريا » كانت المصالح التجارية أكثر أهمية في حين نجد أن « فلسطين » كانت أهميتها تنحصر بوجه خاص في قيمتها الاستراتيجية من حيث الأمان من الواجهة الحربية . وكانت أهمية بلاد « آسيا » لا تقل عن أهمية بلاد السودان لمصر . ولذلك كان يعين فيها نائب لملك مصر ، غير أن سيطرة مصر على هذا الجزء من امبراطوريتها كان يضيع من يد مصر أو يعرض لخطر عظيم على الأقل عندما كان الحاكم المصرى يظهر أى تراخ ، وهذا هو نفس ما وجدناه في عهد البطالة الأول . هذا ونجد في « فلسطين » وعلى فترات في بلاد « سوريا » مراقبة ملحوظة ، وذلك أما باقامة معاقل أو حاميات في المدن الهامة (١) .

واما بمساعدة رؤساء المدن الذين نصبهم الفرعون ملوكا هناك ، وكانوا مربطين معه بالمواثيق والهبات التى كان يقدحها عليهم وكذلك بالرهائن التى كانت فى العادة تمثل أولاد الأمراء (٢) . وهذا هو نفس ما نجده فى عهد البطالة . والواقع أن الموظفين المصريين كانوا يرسلون الى « آسيا » للمحافظة على المصالح المصرية ولم يقوموا بأى دور حاسم هناك كما كانت الحال فى بلاد النوبة .

هذا وكان المصريون مهتمين بالحصول على الخشب الذى كان يجلب من لبنان وبخاصة من بلدة « بيلوص » (جبل العالية) الواقعة على الساحل وكانت أحسن ميناء لتصدير الخشب المستخرج من هذا الاقليم ، فقد كان لها نشاط تجارى عظيم مع مصر يرجع الى العهد الطينى كما تدل على ذلك

(١) راجع Urk. IV, 739, Gebel Barkal Stele of Thutmose III. A.Z. 69, 35; Cf. Rowe, The Topography and History of Beth-Shan.

Philad. 1930: and for the Amarna period. J. De Konig; Studien over de Amarnabreeven, Deft 1940, Deel II, Hoofdstuck 11.

راجع كذلك مصر القديمة الجزء الرابع ص ٤٠٦ - ٤١٢

Urk. IV, 690; El Amaran Tablet, 296, 25 FF.

(٢) راجع

الآثار المكشوفة هناك (١) .

ولا ريب في أن هذه المواصلات كانت عن طريق البحر ، وقد جاء على حجر «بلرمو» أن «سنفرو» قد أحضر أربعين سفينة محملة بخشب «عش» (٢) هذا ولدينا رأس بلطة للملك «خوفو» أو «سحورع» وجدت في «سوريا» جاء عليه اسم بحار مصرى (٣). وفضلا عن ذلك نشاهد سفنا مصرية مصورة في معبد «سحورع» وكذلك في طريق الملك «أوناس» الذى كشف عنه المؤلف حديثا (٤) . وأهمية هذه التجارة البحرية بالنسبة «لجبيل» يمكن أن نلاحظ في السفن التى كانت تمر عباب البحر في أثناء الرحلات الى بلاد « بنت » فقد كانت السفينة تسمى غالبا سفينة جبيل «تاكبتى» . هذا ونجد في البردية التى تحتوى على متن يدعى «تحذيرات حكيم» (٥) الفقرة المشهورة التى تشير الى انقطاع هذه التجارة في العصر المتوسط الأول وهى « ان القوم لا يسبحون شمالا الى «بيلوص» اليوم . فماذا سنعمل من أجل خشب الصنوبر (عش) لزيتنا وهو الذى يحفظ به الرؤساء حتى «كفتيو» (ذكرت) والواقع أنه كان لا بد لتفسير المواصلات النشطة التى بين «مصر» و «بيلوص» أن يكون هناك اتصال عن طريق البحر ، وذلك لأنه كان من الصعب أن تستمر برا بطريق «فلسطين» البريه . وكان لا بد للوصول الى هذا من وجود سيطرة قوية على كل الساحل حتى «بيلوص» لأن طريق البر كانت وعرة لقلة الماء ووعورة الطريق الجبلية التى تعترض الانسان فى سيره حتى يصل الى هذه الجهات (٦) .

Montet Byblos et L'Egypte id, Le Drame d'Avaris, PP.

(١) راجع

19 FF; J.E.A., 12,83 FF.)

(٢) راجع

(Urk. I, 236

Rowe, Catal. of Egypt. Scarabs. PP. 283 FF).

(٣) راجع

Rowe, op. cit. P. 288).

(٤) راجع

Gardiner, Admonition of an Egyptian Sage, P. 32).

(٥) راجع

Volten Analecta Aegyptiaca IV, PP. 47 F; Gardiner

(٦) راجع

J.E.A. I, 81).

ولا نزاع في أن الأسطول المصرى كان من وقت لآخر على الأقل يستعمل في الحروب في فلسطين لتجنب وعشاء السير على الأقدام في الصحراء ، ولا أدل على ذلك مما نقرؤه في نقوش القائد «ونى» وهى التى دونها على لوحته المشهورة وترجع الى الأسرة الخامسة . فقد ذكر لنا أن جنوده المصريين قد أرسلوا الى الساحل الفلسطينى لشن غارة على عصابات هناك للقضاء عليها^(١). أما في عهد الدولة الوسطى فلا نعرف الا القليل عن تفاصيل حروبها في «سوريا» ، ومن أجل ذلك ليس في استطاعتنا معرفة الدور الذى قام به الأسطول في خلالها . وفي عهد العصر المتوسط الثانى لدينا براهين أثرية وبخاصة أوانى تل اليهودية العظيمة الانتشار تثبت أنه كانت هناك مواصلات غاية في النشاط بين مصر وآسيا ، ولكن دون أن نعرف أى شئ عن التفاصيل الفنية . وهذا هو نفس ما ينطبق على النشاط الذى كان بين « مصر » و «سوريا» في خلال الجزء الأول من الأسرة الثامنة عشرة . فقد ذكرت لنا النقوش أن ملوك مصر كانوا أصحاب نشاط في سوريا ، وأن «تحتمس» الأول وصل الى نهر الفرات . وكذلك كان رئيس المجدفين «أحمس» بن «أبانا» قد اشترك في الحملة التى قام بها «تحتمس الأول» على «نهرين» ، غير أنه ليس لدينا في النقوش ما يخول لنا القول أن الأسطول قد قام بدور حاسم في هذه الحملة ، وتدل شواهد الأحوال على أنها كانت غارة عابرة للاستكشاف أكثر منها محاولة جديّة قصد منها جعل كل هذا الإقليم خاضعا المنفوذ المصرى . ولقد كان على «تحتمس الثالث» أن يبتدىء من جديد غزو هذه البلاد بصورة جديّة وذلك لأن نشاط «حتشبسوت» الحربى كان قليلا جدا بالنسبة لمن سلف من ملوك مصر .

وحملات «تحتمس الثالث» المعروفة جيدا وهى التى تحدثنا عنها في الجزء

(١) راجع مصر القديمة الجزء ١٠ ص ٣٤ .

الرابع من هذه الموسوعة بالتطويل لا داعى للتحديث عنها بالتفصيل هنا فنجد
أولا هدا الأحوال فى فلسطين وعلى ساحل «سوريا» ومن هذه القاعدة نجح
فى تخريب بلدة «قادش» التى قاومت بعنف ثم ضرب بعد ذلك أهل «ميتى»
(نهرين) ضربة قاسية وكانت أقوى أعداء «تحتس الثالث» وأشدهم مقاومة،
وذلك بتخريب هذه البلاد التى كانت تمتد على جانبى نهر «الفرات» .

هذا ولدينا من الأسباب ما يحملنا على الاعتقاد بأن هذا النجاح الذى
أجرزه «تحتس» فى شمالى «سوريا» يرجع بوجه خاص الى استراتيجية
جديدة أدخلت فى العام الثلاثين من حكم هذا الفرعون ، والواقع أن حملة
هذا العام التى انتهت بتخريب «قادش» يمتد أنها أول حملة أستعملت فيها
السفن لنقل جنود الجيش ، وعلى ذلك تكون أول عملية بحرية عظيمة فى
تاريخ الانسان ، على أن البراهين المباشرة على صحة ذلك قليلة . وقد أشير
لهذه الحملة فى تاريخ تحتس الثالث بكلمة «حملة» ، وخصصت الكلمة
الدالة على ذلك بصورة سفينة مما يدل على أن الملك قد قام بهذه الحملة
عن طريق البحر الى «سوريا» ومنذ ذلك الوقت أخذت قوة مصر البحرية
تزداد اتصالا ببلاد «سوريا» و «فلسطين» حتى نهاية الأسرة الثامنة عشرة
الى أن جاء عهد «أخناتون» ففقدت مصر سلطانها البحرى كما فقدت
ممتلكاتها فى الجزء الشمالى من امبراطوريتها الآسيوية . فحل محلها
السوريون . وعندما أخذت مصر تفتيق من سباتها كان الوقت متأخرا لاعادة
هذه السيادة البحرية . وذلك لأن المواقع الحربية كانت فى فلسطين وجنوبى
سوريا ، ولم يكن هناك أى أمل فى استرجاع المديريات الشمالية التى فتحها
«تحتس الثالث» واخلافه ، كما أن الأسطول الذى كان يستعمل فيما بعد
لنقل الجنود ومعدات الحرب لم يكن ضروريا كما كانت الحال من قبل ،
وذلك لأننا لم نسمع عنه فى الحروب التى جاءت بعد ذلك ، فقد زحف

«سيتي» (١) الأول بجيشه في الصحراء ، وكذلك يظهر أن «رعسيس الثاني» لم يستعمل أسطولا عندما شن الحرب على قوم «خيتا» ، يضاف الى ذلك أن «رعسيس الثالث» قد قابل أقوام البحر (٢) عند مصب النيل وقضى عليهم بمساعدة سفن نيلية وبمعاوضة الرماة لذين كانوا يرمون سفن العدو من الشاطئ . وأخيرا نفهم من قصة (٣) «ونآمون» الشهيرة أن قوة مصر البحرية في خلال الأسرة الواحدة والعشرين وهى التى كانت فى يوم من الأيام تسود الجزء الشرقى من البحر الأبيض المتوسط قد قضى عليها قضاء مبرما . وقد ظلت حال البلاد كاسدة من الوجهة البحرية الى أن جاء عهد النهضة المصرية فى خلال الأسرة السادسة والعشرين فأخذت مصر تتصل ببلاد اليونان اتصالا وثيقا وبدأت تستخدم الجنود الاغريق والبحارة الاغريق فى حروبها مع « بابل » و « الفرس » . ولقد أضطر المركز الدولى الملك « نيكاو » ثانى ملوك الأسرة السادسة والعشرين (٦٠٩ - ٥٩٤ ق.م.) أن يعزز قوة بلاد البحرية فأتخذ سياسة جديدة لم تنتهجها مصر منذ عهد « تحتمس الثالث » ، فأنشأ أسطولا بحريا يمحى عباب « البحر الأبيض المتوسط » و « البحر الأحمر » وكانت سفنه على غرار السفن الاغريقية وقتئذ من التى لها ثلاثة صفوف مجدفين . ثم نجد أنه فى السنين الأولى من حكمه قد بدأ بداية حسنة فى هذه الناحية لدرجة أن قوم «الفينيقيين» المروفين وقتئذ بمهارتهم البحرية قد أصبحوا تحت سلطانه . وتدل شواهد الأحوال على أن «نيكاو» كان يعمل لاعادة الطريق المائية التى يحتمل جدا أنها كانت موجودة فى عهد الأسرة الثانية عشرة ، وهى عبارة عن قناة تأخذ ماءها من فرع النيل « البلوزى » لتصل الى «السويس» وبذلك توصل بين البحرين . (راجع مصر القديمة الجزء ١٢ ص ١٩ والجزء ١٣ ص ٧١٨ الخ) والواقع أن الأسطول

(١) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٣٠ .

(٢) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٧٥ - ٨٣ .

(٣) راجع الادب المصرى القديم ، الجزء الاول ص ١٦١ - ١٧٠ .

الذى بناه «نيكاو» كان يعد أكبر أسطول تجارى فى البحر الأبيض المتوسط فى عهده ، ولا نزاع فى أن هذا الأسطول كان النواة الأولى فى إقامة مجمد مصر البحرى فى خلال الأسرة السادسة والعشرين ، وحتى بعد أن استولى الفرس على مصر ثم جلوا عنها ، نجد أن مصر أخذت تعيد مجد أسطولها البحرى الذى حاربت به «الفرس» وساعدت به اليونان فى حروبها مع «الفرس» وكذلك فى تجارتها مع بلاد «آسيا» و «اليونان» . ولا غرابة إذا أن نجد من أهم ما تصبو اليه نفس « بطليموس » الأول أن يستولى على « سوريا » ليكون فى « مامن » من غارات مناهضيه ويبعد عن مصر كل خطر خارجى من هذه الجهة ، غير أنه لم يتعجل الحوادث ، وذلك لأن العامين اللذين كان فيهما « اتيياتر » وصيا على عرش الامبراطورية قد قضاهما فى وضع أحوال الدولة فى نصابها وبوجه خاص فى «أتولى» ، فى حين أن « اتيجونوس » كان يطارد آخر أتباع « برديكاس » وهو « ايمينيس » الذى أجبره بعد أن هزمه الى الالتجاء الى « وكر النسر » الشهير فى « نورا » بآسيا الصغرى ؛ وبذلك أصبحت كل بلاد « آسيا الصغرى » فى قبضته تقريبا . وفى خلال تلك المدة كان « بطليموس » يعمل جاهدا فى تثبيت ممتلكاته وتوسيع رقعتها .

والواقع أن مصر منذ عهد « نيكاو الثانى » كانت تتطلع لمد نفوذها فى بحر « ايجيه » ومن أجل ذلك أصبح أسطولها يعد أكبر أسطول بحرى فى عصره (راجع مصر القديمة الجزء ١٢ ص ١٢٠) ؛ ومع ذلك نجد أنه قبل عهد « الاسكندر » كانت سياسة مصر متجهة بصورة خاصة نحو آسيا وبلاد « كوش » . ولقد كان لزاما على البطالمة بطبيعة الحال أن يهتموا بدورهم بحدود بلادهم الجنوبية وكذلك يناهضون أعداءهم الآسيويين ، غير أن الأحوال فى تلك الفترة قد تغيرت وأصبح بحر ايجيه هو المكان الرئيسى الذى تدور فيه الممارك لكسب المكانة الأولى فى السياسة العالمية . وذلك أنه فى

هذا البحر وجزره وسواحله قد نشأت وترعرعت المدينة الهيلانستيقية التي سيطرت بنفوذها على الأمم الأخرى . حقا ان أهل بلاد الاغريق منذ النصف الثاني من القرن السابع أخذوا يقدون على مصر كما أسلفنا ويتعلمون عنها ، غير أن المصريين قد تخلفوا عن الاغريق الذين ساروا بركب الحضارة قدما ولقد كان من رأى « الاسكندر » وسياسته التي يرمى اليها هو اتباع سياسة ادماج السلالات التي استولى عليها ، وأن يعيد نهضة الشرق . فكان يرى أن البلاد الشاسعة التي أخضعها لسلطان قواته والتي كانت عواصمها في « آسيا » ، أن لها مكانة- تعادل مكانة « مقدونيا » وبلاد « الاغريق » . ولكن تدل الظواهر على أن فكرة « الاسكندر » كانت تنحصر في أن الثقافة الهيلانستيقية يجب أن تكون متأصلة في كل امبراطوريته على الاتكون هذه الثقافة خاصة بعلية القوم بل يجب أن تنتشر بين كل طبقات الشعب بقدر المستطاع ؛ ونحن نعلم الدور الذي خصصه « الاسكندر » للمدن الاغريقية سواء اكانت المدن القديمة أم التي أنشأها . وهذا النفوذ الذي نالته الثقافة الهيلانستيقية كان لا يمكن أن يعظم الا اذا أصبحت « مقدونيا » مهد الملكية من جديد .

والواقع أن « مقدونيا » كانت تحتل فعلا هذه المكانة بطبيعة الحال ، وذلك لأنها كانت تحتل مكانة لا ينازعها فيها منازع في كل مرافق الحياة الاقتصادية والسياسية . وفي خلال القرن الثالث قبل الميلاد كانت بلاد الاغريق مزدهمة بالسكان وممتلئة بالحماس وغنية بالنشاط الفياض . ولما كان رؤساء المقدونيين الذين قسموا حكم الامبراطورية التي خلفها الاسكندر فيما بينهم قد أرادوا أن يظهروا قيمة البلاد التي يحكمونها فانهم من أجل ذلك كانوا في حاجة متزايدة للنشاط الصناعي الذي كان ينمو في هذه الجمهوريات الاغريقية الصغيرة ، وهي التي كانت قد مزقت وحدتها الأحزاب ؛ ولكن على الرغم من ذلك كانت تزخر بالشخصيات أصحاب العبقريات الجبارة . وقد رأينا عند التحدث عن « بسمتيك » الأول مؤسس الأسرة السادسة والعشرين

في مصر كيف أنه استعان بالجنود المرتزقة المدربين على فنون الحرب لاهياء مجد مصر من جديد . ولا نزاع في أن مصر كانت في حاجة ماسة الى الاغريق وثقافتهم وبخاصة عندما نعلم أن كل البلاد التي حول البحر الأبيض المتوسط قد اعتنق حكامها الثقافة الاغريقية . وهانحن أولاء نرى « الاسكندرية » تفتح باب مصر على مصراعيه على هذا البحر . والواقع أنه بفضل هذه الميناء العظيمة الاتساع كان وادي النيل يتعلم من العالم الايجي الآراء الجديدة كما كان يتبادل معه محاصيل تربته وصناعاتها ؛ هذا بالاضافة الى ماكان يأتي عن طريقها من البلاد الافريقية ومن بحر الهند . ولا نزاع في أن التجارة كانت من أعظم مقومات الحياة في مصر عن طريق البحر . ولن ندهش اذا عندما نرى « بطليموس » قد استولى في خلال الستين اللتين أعقبتا اتفاق « تريبا راديوس » ، على بلاد « سوريا » من أول « لبنان » جنوبا الى مانسميه الآن فلسطين وهو الجزء الذي كان يسميه الاغريق عادة في تلك الأيام « سوريا الجوفاء » وذلك بالنسبة لانخفاض وادي « الأردن » . وقد كانت هذه البلاد عند اتفاق « تريبا راديوس » من نصيب اغريقى يدعى « لاؤميدون » (Laomedon) وقد حاول « بطليموس » في بادىء الأمر أن يشتريها منه بمبلغ من المال (١) ، وقد لمح له بألافائدة من المعارضة في موضوع قد اتفق عليه مع كل من « اتيجونوس » و « اتيباتر » . وعندما رفض « لاؤميدون » غزا « بطليموس » « سوريا » بجيش مصرى بأمرة قائد يدعى « نيكانور » (Nicanor) وهو أحد سمار « بطليموس » الذي كان بدوره على رأس أسطول مستد على الساحل يحض المدن الفينيقية على التسلم . ولم يمض طويل زمن حتى استولى « بطليموس » على هذه البلاد بعد أن فر « لاؤميدون » هاربا ، ويقال أن « بطليموس » استولى في خلال هذه الغزوة

على «أورشليم» في يوم سبت أى في يوم كان يحرم فيه الدين اليهودى على معتقيه العمل (١) ، غير أن المؤرخ «بوشى لكرك» يظن أن هذا الحادث قد وقع على أغلب الظن بعد ذلك عام ٣١٢ ق.م ولا نزاع في أن «ببليموس» كان لا يمكنه تجنب الاستيلاء على هذه المدينة من هذا المجتمع الغريب (كما كان يظهر للاغريق) عندما كان يعد سلطانه على فلسطين في خلال عامى ٣٢٠ - ٣١٨ ق.م. وعلى أية حال فإن فتح «سوريا» وتملكها كان من التقاليد المصرية القديمة كما ذكرنا من قبل ، منذ بداية الأسرة الثامنة عشرة اذ كانت بمثابة سد في وجه كل الممالك المعادية لمصر في آسيا ولا ريب في أنها كانت ضرورية لمصر في هذه الفترة من تاريخها البحرى في عهد البطالمة ، غير أن «ببليموس» باحتلال هذه البلاد قد خلق سببا لتدمير أى قائد عظيم يطمع في أن يكون سيد كل الامبراطورية المقدونية كما سنرى بعد .

وقد كان «ببليموس» يرى لأجل أن تكون مصر دولة بحرية قوية أنه لا بد من الاستيلاء على «قبرص» وكانت تسيطر عليها وقتئذ أسرات من أهلها فلم تكن من أجل ذلك غنية باردة يمكن الاستيلاء عليها بمجرد القوة، وذلك لأن هذه الأسرات كانت صدقة لأولئك الحكام الذين اشتركوا في اتفاق «تريباراديوس» وان الهجوم عليهم يعد فضيحة، فكان على ببليموس أن ينتظر حتى خلق فرصة يمكن بها تحويل هذه الجزيرة الى ضيعة خاصة بببليموس .

موت «انتيباتر» وتولية «بوليرشون» وصيا على الامبراطورية ٣١٩ - ٣١١ ق.م

عندما استولى «ببليموس» على «سوريا» كان «انتيباتر» المسن لا يزال هو الوصى على عرش الامبراطورية المقدونية ، وقد كان «انتيجونوس»

الاعور الطموح ينتظر موته بفارغ الصبر ليحتل مكانته في الوصاية على الامبراطورية ، غير أن موت «أنتياتر» قد جاء مخيبا لآماله ، لأن الأخير قبل موته كان قد نصب مكانه نائبا وقائدا أعلى على الامبراطورية زميله القديم في الجيش «بوليرشون» . وولى ابنه «كاسندر» «شليارك» أى قائد الحرس . فأصبح بذلك فى المرتبة الثالثة فى وظائف الدولة بعد أن كان يطمح فى أن يكون هو الوصى على العرش بعد والده . وقد ظن «بوليرشون» أنه بهذا التصرف فى توزيع السلطة قد يكون أكثر قبولا فى كل أنحاء الامبراطورية ، غير أنه فى الوقت نفسه كان يريد بتنصيب ابنه فى المرتبة الثانية ليجعله لتولى الوصاية بعد زمن قصير لان «بوليرشون» كان رجلا مسنا ولا ينتظر أن يعيش طويلا كما كان يريد أن يدرب ابنه على فنون الحكم قبل أن يتولى زمام الأمر فى يده . وعلى الرغم من شرف محتد «بوليرشون» فإنه لم يكن بدوره قد تقلد مرتبة عالية كالتى تولى زمامها ، وقد كانت بكل مؤهلاته تنحصر فى ميل الجيش اليه لما فطر عليه من ساحة ورقة وحسن معاملة ، هذا الى أنه كان قد خدم فى الجيش أكثر من أى فرد آخر من بين قواد «الاسكندر» . أضف الى ذلك أن «أنتياتر» كان يخشى بوجه خاص أن تصبح أملاك الدولة فى أيدي أميرات البيت المالكة (١) ، وقد كن كلهن ذوات نشاط عظيم وبخاصة «أوليمپياس» ، «وكيلوبترا» ، «وايرديكى» ، وقد كانت أولاهن التى انزوت فى «ايروس» كرها منها «لأنتياتر» نائرة حاقدة عليه .

النزاع بين بوليرشون وكاسندر

ولكن مما يؤسف له أن آراء «أنتياتر» قد رفضت وقوبلت من أول الأمر بالمعارضة الشديدة من قبل «كاسندر» الذى لم يرض أن يقبل مركزا ثانويا ، ولذلك لم يطق سيادة «بوليرشون» عليه . وتدل شواهد الأحوال على أن النزاع قد بدأ بين الوصى «وكاسندر» منذ البداية . حقا كان «بوليرشون»

قد أحرز بعض النفوذ والسلطان في عام ٣٢١ ق.م. أثناء الحوادث التي جاءت على أعقاب حرب «لاميا» اذ أعاد «تساليا» الى حظيرة الأمبراطورية المقدونية لكن بوجه عام كان نفوذه ضعيفا وأخذت سلطته تتداعى أمام أطماع «كاسندر» الذي أخذ في البحث عن حلفاء يجمعهم حوله لمناهضة الوصى من أولئك الذين كان من فائدتهم زعزعة أركان الأمبراطورية . ونخص بالذكر منهم «ليزيماكوس» شطربة «تراقيا» و «أنتيجونوس» الذي استولى وقتئذ على فرجيا «هلسبونت» و «ليديا» ، وكذلك «ببليوس» حاكم مصر وكانت الغاية التي ترمى اليها سياسة «ببليوس» وما تصبو اليه نفس «أنتيجونوس» هي مساعدة «كاسندر» للقضاء على «بولبرشون» ووصايته والواقع أن «أنتيجونوس» كان كل أمله بعد موت «أنتيباتر» أن يكون هو الحاكم الحقيقي لامبراطورية «الاسكندر» في «آسيا» . وقد كان وقتئذ يملك جيشا جرارا يعتبر أكبر قوة حربية في أنحاء الامبراطورية جميعا .

وقد كانت الأسرة المالكة قبل هذه الفترة لا تعد شيئا مذكورا بالنسبة لمهام الحكم ، غير أنها مع ذلك كانت محترمة في أعين الشعب ، ولكن نرى منذ الآن أن تفضيل «أنتيباتر» لزميله «بولبرشون» الذي كان يميل الى البيت المالك وخروج «كاسندر» عليه جعل كل قوة الامبراطورية في ثورة على الأسرة المالكة . وقد فطن «بولبرشون» وصحبه الى تخرج مركزهم أمام حركات «كاسندر» وحلفائه . ومن أجل ذلك اجتمع كبار الضباط في «مقدونيا» للتدبير في الأمر، فمقدوا العزم على دعوة «أوليمياس» أم «الاسكندر» من «إبيروس» لأجل أن تصبح الوصية على خفيدها «الاسكندر أجوس» ابن «روكزان» ، ولتضع مهام الأسرة في «آسيا» في يد «ايميس» بتصيه القائد الأعلى هناك (١) وأن يحارب «كاسندر» في

«أوروبا» وذلك بعد أن يكسبوا لجانبهم حسن نية الاغريق وتمضيدهم . وقد كان هذا أمرا ممكنا يمنح الاغريق حريتهم التي سلبوها والقضاء على الحكومات المستبدة والحكومات العسكرية التي كانت شائعة في المدن الاغريقية في عهد وصاية «أنتياتر» . وفي الحق كان آخر أمل في المحافظة على وحدة امبراطورية «الاسكندر» والابقاء عليها سليمة يتوقف الآن على اخلاص «ايمينيس» ومهارته الحربية ومن أجل ذلك وضع الوصى «بوليرشون» أموال الامبراطورية وجنودها في «آسيا» تحت تصرفه ؛ وبخاصة فرقة جنود «الارجيراسبيديس» (Argyraspides) الذين عرفوا بشجاعتهم كما عرفوا بخيائتهم . وقد وجهت اليه «أوليمبياس» خطابا مؤثرا طالبة اليه النصيحة بوصف الصديق الوحيد المخلص الذي يمكن للأسرة المالكة أن تتطلع اليه في هذه الأزمة القاسية . وقد أجابها «ايمينيس» مؤكدا اخلاصه وولائه لنصرة الأسرة ، ولكنه في الوقت نفسه نصح لها ألا تغادر «ايروس» الى «مقدونيا» وأنها اذا أتت اليها فعليها أن تبتعد عن أعمال الانتقام والبطش باعدائها . غير أنها أتت الى مقدونيا ضاربة عرض الحائط بكل مانصح به «ايمينيس» ولكن على الرغم من أن لقبها الضخم بوصفها أم «الاسكندر الأكبر» قد جذب إلى جانبها حب الشعب فان ما ارتكبته من فظائع وآثام مع حزب «أنتياتر» قد ولد عداوة شديدة على الأسرة المالكة التي كانت قد أخذت فعلا في الانحدار نحو الهاوية بسبب سوء تصرف «أوليمبياس» ومع ذلك نجد أن «ايمينيس» لم يتخل عن الأخذ بناصر الأسرة الحاكمة على الرغم من العروض الخلافة المغرية التي كان يقدمها له «اتيجونوس» (١) . والواقع أن «ايمينيس» قد أتى بالمعجزات في الحرب ، غير أنه في نهاية الأمر قد لقي حتفه خيانة على يد اتباعه (٣١٨ - ٣١٦ ق.م) .

(١) راجع Plutarch Eumenes, 11, 12; Cornelius Nepos, Eumenes, C 6; Diod. XVIII, 58-62).

أما الحرب التي قامت في بلاد الاغريق بين «كاسندر» و «بوليرشون» فقد انتهت بنصر الأول عام ٣١٦ ق.م وذلك بعد معارك دامية .
وقد كان أول ما عمله «بوليرشون» لأجل أن يجعل المدن الهيلانية في جانبه أنه أصدر منشورا صرح فيه باعادة دستور عهد « فليب الثاني » و «الاسكندر الأكبر» الى المدن الاغريقية وبه أعاد لها استقلالها وحريتها ، كما أمر بعودة المنفيين منها الى أوطانهم وقد كان هذا المنشور في صالح حزب الشعب ، وفيه القضاء على الحكام المستبدين أصحاب «أتيتاتر» و «كاسندر» .
ومن أهم الثورات التي قامت تعصيда لهذا المنشور تلك الثورة التي شبت في «أثينا» ، فقد رأيناها تعود الى الحكم الديموقراطى ، وحكمت بالاعدام على « فوسيون » عام ٣١٨ ق.م. ولكنها لم تلبث أن وقعت من جديد في قبضة «كاسندر» عام ٣١٧ ق.م حيث أقام فيها حكومة ملكية مهذبة على رأسها صاحبه «ديمثريوس» من أهالى «فالير» . وقد كان من جراء هذه الحروب التي استعرت فارهايين الرؤساء أن هلك فيها خلق كثيرون وانقسمت الأسرة المالكة قسمين ، فكان «كاسندر» في جانب «فيليب أريداوس» و «ايريديكى» ، في حين كان «بوليرشون» يناصر نفوذ «اوليمبياس» و «روكزان» وابنها الاسكندر الرابع . ولما أصبح النصر في جانب «أوليمبياس» أمرت بقتل «ايريديكى» و «فليب أريداوس» ، غير أن «كاسندر» حاصرها في بيتها وبعد مقاومة جبارة سلمت وحكم عليها بالاعدام بوساطة نفس اولئك المقدونيين الذين كانوا قد هملوا لها من قبل (٣١٧ - ٣١٦ ق.م) .

وتفسير ذلك أنه عندما اشتدت نار الحرب بين «كاسندر» و «بوليرشون» بسبب الأحقاد التي كانت بين أعضاء أسرة «الاسكندر الأكبر» نجد أن «فليب أريداوس» وزوجة «ايريديكى» قد أزعجها وأوغر صدرهما ارجاع «أوليمبياس» الذى كان يسعى اليه «بوليرشون» ، ومن أجل ذلك طلب المساعدة من «كاسندر» وعملا على وضع كل قوة «مقدونيا» تحت تصرفه،

غير أن مساعيهما باءت بالفشل ، وذلك في حين أن «أوليمبياس» بمساعدة «بوليرشون» و أمير «أبيروس» «أياكيدس» (Aeakides) دخلت بلاد «مقدونيا» ثانية في خريف عام ٣١٧ ق.م وقد أحضرت معها «روكران» أرملة «الاسكندر الأكبر» ومعها ابنها «الاسكندر الرابع» . وقد تجمع الجنود المقدونيون بقيادة «أريداوس» و «ايريديكى» لمقاومتها غير أن اسمها قد أنزل في قلوبهم الرعب والرهبة بوصفها أم «الاسكندر» لدرجة أنهم رفضوا محاربتها ، ومن ثم نالت نصرا سهلا رخيصة ، وبعد ذلك أصبح كل من «فليب أريداوس» و «ايريديكى» أسيرا عندها وعندئذ أمرت بذبح الأول أما «ايريديكى» فقد خيرت بأن تأتى على حياتها بنفسها اما بعد السيف أو بالشنق أو بالسّم (١).

وبعد أن تم «لاوليمبياس» هذه الملكة المعجوز ما أشبع شهوة انتقامها من أسرة «اتيباتز» عدوها الأكبر وفي أعوانه قضت على مائة من مشاهير المقدونيين من أصدقاء «كاسندر» ، هذا بالإضافة الى أخيه «نيكانور» فقد أمرت بقتله (٢) ، وأخيرا أمرت بكسر ضريح أخيه «اولوس» (Iollos) الذى قيل عنه أنه سم «الاسكندر الأكبر» .

وقد ظلت «أوليمبياس» سيدة الموقف تماما في «مقدونيا» مدة شتاء هذا

(١) كان «أريداوس» اخ «الاسكندر الأكبر» من ابيه وكانت امه راقصة تدعى فيلنا مواطنة بلدة «لاريسا» وكان غيبى الفهم ويرجع السبب في ذلك على ما قيل الى ان «أوليمبياس» اعطته شرابه وهو صغير السن غيرة من امه . وقد كان «الاسكندر الأكبر» قد أبعد «أريداوس» عن «مقدونيا» وذلك على ما يحتمل خوفا من امه و «أوليمبياس» ولكنه لم يوكل اليه أى عمل مدنى و حربى . وكان في «بابل» عندما انتخب امبراطورا عند موت «الاسكندر» عام ٣٢٣ ق.م. وبعد ان اغتالت «أوليمبياس» «أريداوس» عام ٣١٧ ق.م. هزم «كاسندر» «أوليمبياس» ودفن جثمان «أريداوس» وزوجه «ايريديكى» في حفل ملكى في «أجا» (Aegae) واقام العاباري بالضيعة على شرفهما

(راجع Plut. Alex. 77.)

(٢) راجع Diod, XIX; Justin X, 14 4; Paus. I, 25, 5.

العام ، غير أن «كاسندر» لم يلبث أن دخل «مقدونيا» دون مقاومة بعد قيامه
بمناورات حرية بارعة للوصول الى ذلك . ولما لم يكن لدى «أوليمياس»
جيوش للوقوف في وجه «كاسندر» فانها اضطرت الى الاختباء بقلعة «بيدنا»
البحرية مع «روكران» وابنها الاسكندر وتيسالونيك (Thessalonike)
ابنة زوجها «فليب» بن «أمينتاس» (١) فحاصرها «كاسندر» عدة شهور
بحرا وبراً كما قضى على كل محاولة من جانب «بوليرشون» لخلاصها ، وفي
ربيع عام ٣١٦ ق.م أجبرت على التسليم بسبب الجوع الفتاك . ولم يعدها
«كاسندر» بأى شيء غير سلامتها وطلب اليها أن تسلم قلعتى «بلا» (Pella)
و «أمفيبوليس» العظمتين ، وبذلك أصبح سيد كل «مقدونيا» . ولم يمض
طويل زمن حتى طلب أقارب الذين قتلهم «أوليمياس» الانتقام لقتلهم
منها ، وكان ذلك بايعاذ من «كاسندر» فحكم عليها بالاعدام ويقال أنها قد
ماتت شجاعة جديرة بمكاتها وأخلاقها الجبارة أما «تيسالونيك» فقد
تزوج منها «كاسندر» وحبس كلا من «روكران» وابنها في قلعة «أمفيبولس»
وبعد فترة قصيرة أمر بذبحهما (٢) .

بطليموس واخلاء سوريا

أما الدور الذى لعبه «بطليموس» في هذا الحلف فلم يكن فيه ما يدهش
فنجده في أول القتال الذى نشب يطوف باسطوله على ساحل «كيليكيا» دون
أن يتمكن من منع «ايمنيس» في تكوين جيش لمحاربة حلفه ، هذا ونعلم أن
جنود «الارجيرايديس» الذين كلفوا في عام ٣٢١ بحمل «كنوروس»
الى «كيندا» (Kyinda) لم يكن في مقدور «بطليموس» أن يقربهم اليه

(Diod. XIX, 36

Diod. XIX, 50, 5; Paus. I, 25, 5; IX, 7, 1.

(١) راجع

(٢) راجع

وبجملهم ينخرطون في جيشه ، بل انضموا الى «اينيس» وقد اضطر «بطليموس» الى اخلاء «سوريا» عندما دخلها «اينيس» وذلك لحاجته الى موانئ «فنيقية» لبناء أسطول عام ٣١٨ ق.م ، ولم يعد اليها الا عندما اتصر «اتيجونوس» انتصارا ساحقا عند الدردنيل في صيف العام السابق نفسه. وقد كان من جراء ذلك ان دعى «اينيس» الى «آسيا» حيث مات . وقد دخل «بطليموس» «سوريا» و «فنيقيا» هذه المرة دون قتال : وبعد ذلك ترك الأمور تجري في مجاريها التي اقتضتها الأحوال دون أن يدخل نفسه في غمار هذه الحروب التي كانت مستمرة في الشرق الاقصى بين «اتيجونوس» و «اينيس» ، وكذلك الحروب التي كانت دائرة رحاها في بلاد اليونان وفي مقدونيا بين «كاسندر» و «بوليرشون» . وقد وقف «بطليموس» في أثناء هذه الحروب موقفا صحيحا اذا قام بدوره بوصفه شطربة مصر فتقش على تقوده اسم الملك «فليب اريداوس» ، وعندما قتل الأخير هو وزجه «ايريديكي» على يد أوليمبياس ، وضع اسم «الاسكندر الثاني» بن «روكران» بدلا منه (٣١٦ - ٣١١ ق.م) .

وقد شغل «بطليموس» نفسه في خلال تلك المدة ببناء المعابد واصلاح ما تهدم منها ، ثم أخذ بوجه خاص ينسئ العلاقات التجارية بين مصر وجاراتها، والواقع أنه أفاد من السكينة في بلاده في الوقت الذي كان فيه العالم الهيلانستيكي في حروب طاحنة ، وقد كانت مصر وقتئذ معتادة على التجارة بالمبادلة . ومن ثم لم تكن تتداول فيها النقود الأجنبية على أن النقود المصرية كانت موجودة في عهدى الأسرتين التاسعة والعشرين والثلاثين وقد ضربها ملوك هاتين الأسرتين خصيما لدفع اجور الجنود المرتزقة كما تحدثنا عن ذلك في الجزء الثالث عشر من هذه المجموعة (١) . وكانت التجارة الداخلية تستعمل السبائك

(١) (راجع مصر القديمة الجزء الاول ٤٧٧ الخ)
وستحدث عن ذلك فيما بعد .

التي كانت تقبل بالوزن . وقد أراد «ببليوس» أن يكون له عملة خاصة به وانتخب أولا العيار «الاتيكي» ثم العيار «الروديسي» وأخيرا العيار «الفيقي» وهو العيار الذي اتفق عليه نهائيا في مصر عند ضرب نقوده ، وقد حلّى «ببليوس» نقوده بوضع صورة النسر عليها وهو الذي أصبح فيما بعد رمز الأسرة الخاص . وقد صور النسر في بادئ الأمر جاثما ، ثم على يد الاله «زيوس» أو على حلقة الآلهة «أثينا» «الكيس» (Alkis) ، وبعد ذلك رسم وحده ناشرا جناحيه على ظهر كل قطعة من النقود المصرية ، غير أنه لم يضع صورته على هذه النقود (١) .

هذا ولم يغفل «ببليوس» في الوقت نفسه جزيرة «قبرص» المجاورة له وهي التي كان يريد ضمها الى املاكه مع سوريا ، فقد وضعها تحت حمايته ، وذلك بإبرام محالفات مع الأسرة التي كانت تحكمها وبخاصة أسرة سوليس (Soles) ويحتمل أن «اينوستوس» صاحب «سوليس» هو الذي أصبح فيما بعد حماه وقد أطلق اسمه بعد ذلك على ميناء «الاسكندرية» الغريبة وذلك لأن اسم «اينوستوس» (Enuostos) يدل على فال حسن ، وكذلك أبرم معاهدة مع أمراء «سلاميس» (Salamis) و «بافوس» (Paphos) وبعد ذلك نجده أخذ ينظم شئونه المنزلية . ولا غرابة في ذلك لأنه عندما وجد نفسه لا شأن له مع «اتيباتر» ولا مع «كاسندر» أجبر زوجه «ايريديكي» على أن تقبل على نفسها ضرة كانت قد أحضرتها بنفسها من «مقدونيا» ، وكان «ببليوس» مغرما بها لدرجة عظيمة ، ولذلك كان لا بد أن تحل مع «ايريديكي» يوما ما ، وهكذا نجد أن شخصية ثالثة دخلت بيت «ببليوس» وأعنى بذلك «برنيكي» وهي التي أصبحت بطبيعة الحال أم أسره البطالة . وقد بالغ الشعراء فيما بعد في جمالها كما تحدثوا عن الحب الشريف الذي

ربط بين الزوجين ، ولكن هؤلاء الشمرء لم يفهم القيام بتلميحات عابرة لاذعة عن أخلاق «ايريديكى» دون رحمة أو شفقة منهم .

وسواء أكان «ببليوس» قد أحب هذه المرأة لذاتها أم لنسبها فانه ليس هناك شك في أن التاريخ لا يمكن أن يأخذ بصفة جدية شجرة النسب الرسمية التي ألفت لها . فقد ورد في نسبها أنها كانت أخت «ببليوس» من أبيه ، وحتى من جهة أمها فان نسبها لم يخل من غمز . وإذا كان ما قيل عنها من أنها كانت قد تزوجت قبل «ببليوس» من رجل من عامة الشعب صحيحا ، فان ذلك يعد موضع دهشة . فقد قيل أنها بنت أخت « أتيباتر » ومن ثم تكون قد نزلت بنفسها الى منزلة مزرية بهذا الزواج الأول . والأمر المؤكد ان «برنيكى» كانت أرمل وأن الأطفال الذين وضعتهم من زوجها الأول قد تبناهم « ببليوس بن لاجوس » .

على أن الوقت المناسب ليشترك فيه « ببليوس » في الحرب التي ظل خارجا عن نطاقها حتى الآن قد حان ، وكان ذلك في حوالى شهر يولية سنة ٣١٦ ق.م. وذلك أنه في حين كان « كاسندر » سيد « مقدونيا » وفي حين كانت الأسرة المالكة قد اختفت من المسرح نجد أن هزيمة «ايميس » وموته قد حدثا تقريبا في نفس الوقت الذى قبض فيه على «أوليمياس» ، وبذلك اختفى آخر رجل مخلص للأسرة المالكة في «آسيا» . ولكن نجد في الوقت نفسه أن هذا الحادث قد ترك في يد «اتيجونوس» سلطانا ضخما في كل «آسيا» مما جعله يطمح الى أن يصبح النائب على كل امبراطورية « الاسكندر » ، وكذلك يتتفم من «كاسندر» لقضائه على أفراد الأسرة المالكة . والواقع أن قوته قد ظهرت بصورة جبارة حتى أن «كاسندر» صاحب «مقدونيا» و «ليزيماكوس» حاكم «تراقيا» وببليوس شطربة مصر و «سيلوكوس» شطربة بابل عقدوا سويا اتفاقا تدريجا انتهى بأن أصبح حلفا قويا على « اتيجونوس » . وفي أثناء استعداد

«اتيجونوس» للحرب للاستيلاء على ساحل سوريا وصله في ربيع عام ٣١٥ ق.م في مركز قيادته انذار نهائي من رجال الحلف الذين طلبوا اليه اعادة «سوريا» بأكملها «بطليموس» والنزول عن «فرجيا الدردنيل» للقائد «ليزيماكوس» ، وعن بابل «لسيلوكوس» وعن «ليسيا» و «كابودوشيا» «نسندروس» ، ويحتمل كذلك أنه طلب اليه أن يسلم «مقدونيا» لكاسندر ، فضلا عن ذلك يتسلم كل من هؤلاء الحلفاء نصيبا من النقود التي استولى عليها عنوة بوصفها غنيمة من «اينيس» عدوهم المشترك .. وفي مقابل ذلك يعترف الحلفاء له بأن يصبح حاكما على شطريّات آسيا العليا ويتركونه مسيطرا على هذه الأملاك الشاسعة التي تعادل في اتساع رقعتها ما يقرب من مساحة الامبراطورية الفارسية القديمة . واذا لم يقبل هذه الشروط فان الفاصل بينهم وبينه سيكون حد السيف . وقد أجاب «اتيجونوس» بأنه على استعداد لخوض غمار الحرب وبذلك قطعت المفاوضات معهم .

ومنذ هذه اللحظة بدأ «اتيجونوس» الذي كان يعلم أنه سيهاجم من كل جهة يأخذ لنفسه العدة فارسل القائد «ايجيسيلاس» الى «قبرص» كما أرسل القائد «ادومنيس» (Idomenes) و «موشيون» (Moschion) الى «رودس» والقائد اريستوديم (Aristodime) الى «البلوبونيز» ومعه مال وفير لتجنيد جيش ليصد كاسندر بمساعدة «بوليرشون» . أما «اتيجونوس» فقد قام لهجمة سوريا بنفسه في حين أن «بطليموس» لم يبد اية محاولة للذود عن «سوريا» ظنا منه أن من الحزم الا يعود كرة أخرى الى الطريقة التي نجحت معه منذ ثلاثة أعوام مضت ، وذلك بأن ينتظر سير الحوادث في الجهات الأخرى التي يهاجم فيها «اتيجونوس» أعداءه ، ومن أجل ذلك سحب جيشه منذ بداية المناوشات من الموانئ «الفنيقية» وأرسل أسطوله يجول حول شواطئ البحر ، وكان يشمل مائة سفينة شراعية بقيادة «سيلوكوس» وذلك ليمنع «اتيجونوس» من جمع أسطوله ومن قطع

العلاقات مع المدن الاغريقية . وقد نجح «سيلوكوس» في ائزال ثلاثة آلاف رجل في «قبرص» لمساعدة حلفائه على الفريق الذى كان ضلعه مع «اتيجونوس» (١) . يضاف الى ذلك أن «ببليوس» عندما علم أن «اتيجوس» قد أرسل نداءا للمدن الاغريقية محضا اياها على القيام بشورة على «كاسندر» - ومع هذا النداء أرسل مرسوما وهو تجديد الرسوم الذى نشره «بوليرشون» عام ٣١٩ ق.م مؤكدا فيه تحرير بلاد اليونان من ذل العبودية التى لم يعودها - فانه قام من ناحيته بنشر منشور آخر يعلن فيه منح مدن الاغريق حرية أكثر من التى يمنحها «اتيجونوس» (٢) . وقد كان من جراء عمل «ببليوس» هذا أن وضع «الاثينيون» كل مالمدهم من قوة بحرية فى خدمة الحلف وكانوا فخورين بعملهم هذا .

وكان «ببليوس» قد غالى فى ايمانه بقوة حلفه كما كان يبنى آمالا على فرص المستقبل ، ولكنه كان يجمع قواته على مهل فى الوقت الذى كان «اتيجونوس» يظهر فيه نشاطا جبارا اذ أمر ببناء أسطول تحت أعين البحارة المصريين وبصرهم فى موانئ «طربوليس» و «بيلوس» و «صيدا» وفى «كليشيا» و «رودس» ، هذا فضلا عن أن «سيلوكوس» لم يكن فى مقدوره منع الاستيلاء على «يافا» أو على «غزة» اللتين استولى عليهما «اتيجونوس» نفسه (٣) ، وكذلك لم يستطع منع محاصرة «صور» وهى المدينة الوحيدة التى أغلقت أبوابها فى وجه «اتيجونوس» . وما زاد الطين بلة أنه لم يفلح فى الاستيلاء على السفن التى كانت فى طريقها الى «رودس» و «الهلسبونت» (٤) . وعلى ذلك شعر «ببليوس» أنه لاسبيل للماطلة ، وتعليل النفس بالأمانى فجمع فى «قبرص» أسطولا عظيما على ظهره عشرة آلاف جندى من المشاة ،

Droysen II, P. 313, 2.

Diod. XIX, 61-62.

Diod. XIX, 62.

Diod. XIX, 59.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

وذهب لينضم الى العمارة البحرية التي كانت بقيادة «سيلوكوس» (ويحتمل كذلك بالفرقة الاثينية كما يقول المؤرخ «بوشى - لكلوك» (١) الذى أمر بالعودة من «اريترا» . وقد كان الجزء الأعظم من هذه القوة مصيره الى أن يحارب فى «كاريا» أما «سيلوكوس» الذى أظهر أنه «قائد بحرى» قليل الكفاية فانه بقى فى «قبرص» مع «منيلوس» أخ «ببليوس» يثبط من هم حزب «اتيجونوس» ويمنع خيانة الحزب المصرى هناك . وقد أصاب نجاحا فى ذلك بعد مشقة عظيمة (٢) . وقد كان كل خوف «ببليوس» من «اتيجونوس» ، فلم يرغب فى ترك مصر دون الدفاع عنها كما أنه لم يرد أن يغادر مصر لتقدم «اتيجونوس» فى الزحف عليها الى أن وصل الى «يافا» و «غزة» ، وبذلك كان فى امكانه أن ينقص على أرض الكنانة فى أى لحظة، غير أن الحظ خدع «ببليوس» فى هذه اللحظة الحرجة أكثر مما ساعدته لاحتياطات التى اتخذها لحماية مصر . وذلك أن قائده البحرى «بوليكليتوس» (Polyclitos) عند عودته من حرب فى البيلوبونيز كان من حسن حظه أن هاجم «غزة» جزء من أسطول «اتيجونوس» على ساحل «كيلكيا» وهزمه هزيمة ساحقة . لم يكن فى مقدور «اتيجونوس» فى هذه اللحظة أن يكسر شوكة «صور» التى حاصرها ، ولم يجسر فى الوقت نفسه على أن يغادر «سوريا» تاركا هذه الميناء مفتوحة خلفه ، ومن أجل ذلك فكر فى أن يعقد صلحا منفردا مع «ببليوس» ، غير أن المفاوضات فى ذلك فشلت . وفى خلال عام ٣١٤ ق.م. وهو العام الثانى للحرب التى شنت على «اتيجونوس» كانت الانتصارات سجلا . ولم يكن الأسطول المصرى فى هذه الحرب يشغل الا مكانة ثانوية ، وقد ترك «صور» محاصرة الى أن تسلم تحت ضغط الجوع والقحط ، وكانت هى العقبة الوحيدة التى تقف فى وجه جيوش «اتيجونوس»

المهاجمة . وبعد أن تم «لاتيجونوس» الاستيلاء على هذه المدينة الحصينة أرسل أسطولا بقيادة «ميدوس» (Medios) ليتفقد سواحل بحر «ايجه» . وقد نجح في طرد أساطيل العدو وترك سوريا في حراسة ابنه «ديمتريوس» ، ثم ذهب الى «سيلاني» في «فرجيا» حيث اتخذ مقر معسكراته للشتاء (عام ٣١٤ - ٣١٣ ق.م.) ليكون قريبا من «كاريا» لينقض عليها عندما تلوح الفرصة . والواقع أن «لاتيجونوس» استولى على كل سواحل «آسيا» الصغرى في العام التالي .

وفي الوقت نفسه قامت ثورة في «سيريني» وكذلك أخذت أسر جزيرة قبرص تقلب ظهر المحن «لبطليموس» . وقد شغلت هذه الأحداث بال«بطليموس» ، ومن ومن أجل ذلك أخذ يعمل على رفع مستوى نفوذه الذي أخذ في التدهور بكل ما لديه من عزيمة ، فأرسل أسطولا وجيشا بقيادة كل من «أجيس» (Agis) و «أپانيئوس» (Epaenétos) لاعادة «أوفيلاس» حاكم «سيريني» الى حكومتها ، وقد انتهت هذه العملية بأن ذهب «بطليموس» نفسه الى «قبرص» ليعاقب الملوك الذين عصوه كما يقول «ديدور» . وبعد أن عاقب رؤساء الأسر الذين اتصلوا «باتيجونوس» والذين قاموا بثورات في السنة الماضية سلم «نيكوكريون» (Nicochreon) القيادة الحربية في قبرص ووكل اليه أمر المدن ودخل الملوك الذين خلعوا (١) . وقد عالج بطليموس بنفسه هذه التغيرات واكتفى في هذا الوقت بأن يكون في «قبرص» خليفة له يخضع اليه في كل شيء ويحكم تحت حمايته ، ثم اتجه بعد ذلك من «قبرص» لينهب سواحل «سوريا» العليا و «كليشيا» ، ثم عاد بعد جولته هذه الى «قبرص» مع جيشه محملا بالفنائم ، ومن ثم الى مصر ليجهز حملة لغزو «سوريا» الجوفاء (منخفض الأردن) .

غزو سوريا : وفي ربيع عام ٣١٢ ق.م كان «بطليموس» على أهبة الاستعداد،

وكانت الأحوال مواتية لهذه الغزوة وذلك لأن «اتيجونوس» كان يستعد لمبر «الدردينيل» لمهاجمة «لزيماكوس» و «كاسندر» ، وعلى ذلك لم تكن في سوريا قوة كافية للدفاع عنها . اذ كان كل ما فيها من قوة للدفاع تنحصر فيما لدى «ديمتريوس» بن «اتيجونوس» الذى لم يكن قد تجاوز العقد الثانى من عمره ، ومن المحتمل أنه قد رأى القوة التى كانت بقيادته غير كافية لمقاومة جيش «بطليموس» الذى كان أعظم من جيشه قوة وعتادا . وقد فكر فى بادئ الأمر فى التقهقر ، غير أن قوة الشباب الدافقة التى كانت تجرى فى عروقه أبت عليه التقهقر أمام عدوه القوى ، وبخاصة أنه كان يعتمد فى حروبه هذه على أربعين فيلا كانت لديه ، وقد كان القيل فى مثل هذه الحروب بعد آلة حرب عظيمة ، هذا مع العلم أن جيش «بطليموس» لم يكن مجهزا ببيلة ، وقد تقابل الجيش المصرى بقيادة كل من «بطليموس» و «سيلوكوس» فى «غزة» مع جيش «ديمتريوس» . فهزم جيش «ديمتريوس» هزيمة ساحقة فاصلة ، وبذلك استعاد «بطليموس» فى واقعة واحدة «فنيقيا» و «فلسطين» وكل «سوريا» (١) . وقد جاء ذكر هذا النصر فى النقوش الهيروغليفية (٢) .

ومما يطيب ذكره هنا أن «سيلوكوس» لم يضع لحظة بعد هذا النصر اذ أسرع الى «بابل» وقد كان دخوله فيها على حسب رأى السائد هو بداية عهد قيام دولة «السلوكيين» فى هذه البلاد ، وقد أرخ بأول اكتوبر عام ٣١٢ ق.م (٣) .

أما «بطليموس» فلم يعامل تلك البلاد التى فتحها من جديد بحد السيف الا بالحنى والصفح الجميل ، وذلك لما فطر عليه من مهارة وسماحة خلق

Diod. XIX, 82-86.

Joseph., A. Jud. XII, 9, 3.

(١) راجع

لوحة الشطربة فيما بعد

(٢) راجع

(٣) راجع

وحسن تدبير وبعد نظر لما عساه يخفيه المستقبل . فنجده قد عامل سكان «سوريا» برقة ، وبذلك وضعت المدن التي كانت على أهبة المقاومة سلاحها مثل «صيدا» و «صور» . والواقع أن «صيدا» قد استقبلته بقلوب راضية مطمئنة ، وفتح أهالي «صور» له أبواب مدينتهم ، وطرّدوا الحاكم «اندرانيوكوس» الذي اراد المقاومة ، غير أن المؤرخين قد اختلفوا في فتح «أورشليم» على يد «بطليموس» بالقوة الغاشمة في هذه الفترة ، وذلك لعدم وجود تأريخ أكيد لهذا الحادث ، فقد قيل أنه استولى عليها كما ذكرنا من قبل في يوم سبت وهو اليوم الذي يحرم فيه اليهود التعامل كلية (١) .

وقد قيل ان «بطليموس» قد نقل أعدادا كبيرة من الأسرائيليين الذين استولى عليهم في موقعة «غزة» ، وهناك روايات أخرى عن هذا الموضوع سنتحدث عنها عندما نتحدث عن اليهود في مصر . هذا ويقال ان الأسرى الذي سلموا في «غزة» وضعهم «بطليموس» في مقاطعات الدلتا . والواقع أن هؤلاء كانوا جنودا مرتزقين لا يهمهم أى مكان يسكنون فيه ، ولكن غرض «بطليموس» من وضعهم في الدلتا أن يكونوا على مقربة من الحدود الآسيوية ليستعملهم في الحال وقت الحاجة (٢) .

على أن واقعة «غزة» لم تكن نهاية حرب «سوريا» ، ولذلك لأن «انتيجونوس» وابنه «ديمتريوس» لم يقولوا كلمتهما الأخيرة في حرب «سوريا» ، كما أن «بطليموس» من جانبه لم تكن اطماعه قد انتهت في «سوريا» ، اذ نعلم أنه كان قد أرسل قائدا يدعى «سيليس» (Cillés) الى نهر العاصي (الارنت) للاستيلاء على «سوريا العليا» . وهناك فاجأه «ديمتريوس» بهجوم خاطف وهزمه (٣) .

Agatharch. Ap. Joseph, C. Apion, 1, 22. A. Jud. XII,
1 = F.H.G. III, P. 196.

Mahaffy Empire. P. 43.

Diod. XIX, 93.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

وعلى أثر ذلك انضم « اتيجونوس » بجيشه الى ابنه واستولى ثانية على سوريا الجنوبية التي أخلت أمامه حمايتها بسرعة عظيمة ، وقد ضرب « بطليموس » في تقهقره أمام عدوه « عكة » و « يافا » و « سماريا » و « غزة » (١) . وذلك ليأسه من العودة الى هذه البلاد . وقد رابط « بطليموس » بجيشه عند الحدود منتظرا هناك انقضاء جيش عدوه الجبار على مصر . ومما زاد الطين بله أن حاكم « سيريني » المسمى « أوفيلاس » قد خرج على ولائه لمصر (عام ٣١٢ ق . م) ، غير أن في ذلك شكاً ، ولكن المرجح أن خروجه على « بطليموس » كان من جانبه هو لأنه كان يريد أن يكون ملكاً مستقلاً على هذه البلاد . وإن صح ذلك فإن هذا كان يعرض مصر للخطر من ناحية حدودها الغربية . وعلى ذلك نجد أن كل آمال « بطليموس » قد تلاشت كما فشلت كل مشروعاته ، هذا الى أنه كان يرتعد فرقا من غزو أرض الكنانة نفسها لأنه لم يكن بجانبه أحد ليأخذ بناصره في صد الهجوم عن بلاده .

والظاهر أن الأمور قد اتخذت مجرى آخر مع القرينين المتحارين ، فكان كل منهما يتطلع لانتهاء هذه المنازعات والحروب الطاحنة . ونحن لا نعرف من أى جانب بدأت الرغبة في المفاوضات ، ولكن المحقق لدينا على حسب ما رواه « ديدور » أنه عقدت معاهدة صلح بين « بطليموس » و « برييلاس » وهو مفوض فوق العادة من قبل « كاسندر » و « ليزيماكوس » عام ٣١١ ق . م من جهة وبين « اتيجونوس » من جهة أخرى جاء فيها أن يحتفظ « كاسندر » بقيادة « أوروبا » الى أن يبلغ « الاسكندر الرابع » بن « روكزان » السن القانونية لتولى عرش امبراطورية والده ، وإن يعترف بان « ليزيماكوس » هو سيد « تراقيا » وأن « بطليموس » هو حاكم مصر بالإضافة الى المدن التي على

حدود «لوبياء» وبلاد العرب . أما «اتيجونوس» فقد أعلن أنه قائد كل «آسيا» ، هذا وقد أعلن أن بلاد «هياس» قد أصبحت مستقلة بذاتها (١). ومن ثم نفهم أن «ببليوس» قد نزل عن «سوريا» ولم تعد بعد من ممتلكاته. هذا وقد كان «كاسندر» مصمما على ألا يترك «الاسكندر» ابن «روكزانا» حتى يصل الى سن البلوغ ، فقد أمر بعد ذلك بقتله هو وأمه ، وبارتكاب هذه الجريمة التي قضت على أسرة «الاسكندر» معا «كاسندر» الرابطة الوحيدة التي كانت تربط حكام أجزاء الامبراطورية بعضهم ببعض ، وبذلك أصبحت وصاية «بوليرشون» لا قيمة لها . ومن ثم أصبح كل شطربة في قطرد ملكا وبخاصة في مصر حيث كانت التقاليد الفرعونية تحتم السيادة التامة للفرعون . وقد أصبحت مصر بموت «الاسكندر الثاني» فرعون مصر عام ٣١١ ق.م بلا فرعون ، ومع ذلك فإن المصريين أخذوا يؤرخون بسني حكمه بعد موته الى أن تولى ببليوس فرعوناً على مصر رسمياً حوالي عام ٣٠٥ ق.م. على أن اليونان في مصر كانوا يؤرخون بحكم «ببليوس» من جهة أخرى . والواقع أنه قد بدأ عصر جديد في حكومة البطالمة كما سنرى بعد . ومع كل ما حدث نجد أن «اتيجونوس» كان يريد أن يعيد بناء امبراطورية «الاسكندر» من جديد على أن يكون هو على رأسها ..

وتدل شواهد الأحوال على أن وجود «سيلوكوس» في «بابل» يعد شوكة في جنب «اتيجونوس» ، فقد كان يحكم قطرا عظيما في وسط املاكه ، ولذلك رأى أن أول ما يوجه اليه قوته هو أن ينقض على «سيلوكوس» ويقضي عليه ، لذلك نراه بعد عقد المعاهدة يسافر في الحال الى الشرق ثم يرسل ابنه «ديمتريوس» من جديد لمنازلة هذا الدخيل في أملاكه المزعومة. ومما يؤسف له جد الأسف أن المصادر لم تسفنا حتى الآن بمعرفة ما جرى

في هذه البقعة من امبراطورية «الاسكندر» المنحلة لمدة من الزمن ، ولكن تدل الدلائل على أن «ببليوس» كان يعلم شيئاً عما يدور في مملكة صاحبه «سيلوكوس» أى «بابل» . والظاهر أنه قد أسرع بالاتصال به . وقد حدثنا المؤرخ «أريان» دون أن يذكر تاريخاً محدداً عن المبعوثين الذين أرسلهم «ببليوس» بن «لاجوس» الى بابل برسالة الى «سيلوكوس» «نيكاتور» فاخترقوا الصحراء على ظهور الجمال وكانوا لا يسافرون الا ليلاً اتقاء حمارة الشمس التي لا تطاق (١) . ويقول المؤرخ «بوشى لكرك» (Tom. I. P. 56) أنه لم ير وقتاً آخر كان فيه «ببليوس» مضطراً لاتخاذ هذه الطريق المتتوية ليتصل بحليفه «سيلوكوس» . ومهما يكن من أمر فإن «ببليوس» كان قد عزم على نقض المعاهدة التي أبرمها مع «اتيجونوس» بعد أن تخلص من المتاعب التي كانت تشغل باله وتقض مضجعه وقتئذ . والواقع أنه قد ذهب عنه كابوس جيش «اتيجونوس» برحيله الى مقره في آسيا ، هذا فضلاً عن أنه أرسل حملة موفقة قبائل «مرمريقا» اللوبيين في «سيريني» ومن المحتمل أنه كان قد وصل الى اتفاق مع «أوفيلاس» حاكم «سيريني» . هذا ونعلم من نقوش اللوحة التي جاء فيها ذكر هذه الحملة أنه أعقد على الكهنة المصريين هبات كثيرة مما جعل السنتهم تلهج بالمديح والثناء عليه . وهذه اللوحة مؤرخة بصيف عام ٣١١ ق.م. وستحدث عنها فيما بعد وهى المعروفة بلوحة الشطربة .

وقد رأى «ببليوس» أن الوقت قد حان ليفيد من الأحوال الحسنة التي كانت تحيط به ، وذلك بنقض ما كان بينه وبين «اتيجونوس» من اتفاق . وكانت الفرصة سانحة لديه عند ما رأى «ببليوس» قائد «اتيجونوس» الذى أرسله لمحاربة «كاسندر» في بلاد الاغريق قد خان عمه واتفق مع

«كاسندر» . وقد ضم اليه نائبه «فونيكس» الذى يقود الجيش له فى «فرچيا هلسبونت» (١) ، وعلى ذلك انتهز «بطليموس» شطربة مصر هذه الفرصة وعمل على توسيع شقة الخلاف والقضاء على «اتيجونوس» وسلطانه جملة . وتدل شواهد الأحوال على أن الغرض الذى كان يرمى اليه القائد «بطليموس» من خروجه على عمه «اتيجونوس» هو طموحه الى تأسيس مملكة مستقلة حول «كالسيس» . والواقع أن خيانة «بطليموس» لعمه قد حرمته أسطوله الحربى . وكان أول عمل قام به «بطليموس» بن «لاجوس» أنه أسرع فى ارسال جيشه للسيطرة على البحر ، وقد كانت السياسة التى وضعها تتفق مع سياسة حليفه «سيلوكوس» . أخذ بعد ذلك «بطليموس» صاحب مصر يشعل نار الفتنة فى بلاد الاغريق وبخاصة فى المدن التى على ساحل «آسيا» الصغرى مذكرا اياها أن معاهدة ٣١١ ق.م التى ابرمت بينه وبين «اتيجونوس» قد منحتهم الحكم الذاتى ولكنه قد تعهد من جانبه بأن يساعدهم فى العمل على نيل هذه الحرية ، ومن أجل ذلك أرسل قائده «ليونيداس» (Leonidas) الذى طرد حاميات مدن «كليكييا تراشى» التى كانت تابعة «لاتيجونوس» (٢) ، ثم استولى هو بنفسه على مدن «ليديا» و «كاريا» و «فاسوليس» و «اكراتوس» (Xanthos) و «كونوس» (Cauno) و «هيراكليس» (Herakles) و «برسيكون» (Persicon) غير أنه لم يفلح فى الاستيلاء على «هليكارناسوس» (عام ٣٠٩ ق.م) . وقد أزعج ذلك «اتيجونوس» ولذا أرسل ابنيه «ديمتريوس» و «فليب» لمحاربة «بطليموس» ، فزحف الأول على «كليكييا» لطرد «بطليموس» ، والآخر ليعيد «لفونيكس» اقليم «فرچيا هلسبونت» . وقد كانت النتيجة أن أظهر نواب «بطليموس» فى «كليكييا» خضوعهم وسلموا «لديمتريوس» بدون قيد ولا شرط ، وبعد ذلك قصد «قبرص» ليعرف ما آلت اليه البقية الباقية

من حكام أسرها فوجد «ديمترىوس» هناك مأساة من أبشع وأفظع مآسى التاريخ البشرى . وقد قصها علينا «ديدور» فاستمع لما يقول : لقد أعلن «بطليموس» أن «نيكوكليس» (Nicocles) ملك «البافيين» قد اتصل «باتيجيونوس» فارسل اثنين من أصدقائه وهما «أرجاوس» (Argaeos) و «كاليكرات» بأمر لقتل «نيكوكليس» ، وذلك لأنه كان يخاف ان عدم عقاب العصاة الأول يشجع رؤساء آخرين على العصيان . وقد وصل رسولا بطليموس الى قبرص ، وصدر أمر بارسال كتيبة من الجنود بواسطة القائد «منيلوس» فحاصر جنودها بيت «نيكوكليس» وسلموه الأمر وطلبوا اليه أن يتتحر . وقد حاول «نيكوكليس» أولا أن يبرىء نفسه من التهم المنسوبة اليه ، ولكن لما لم يصغ اليه أحد قتل نفسه . ولما علمت زوج «نيكوكليس» بموت زوجها ذبحت نفسها وكذلك ذبحت بناتها العذارى حتى لا يقعن فى أيدي العدو ، وفى الوقت نفسه أوعزت الى نساء اخوة «نيكوكليس» بقتل أنفسهن معها . وذلك على الرغم من أن «بطليموس» لم يأمر بتنفيذ مثل هذا الأمر فى النساء ، بل على العكس ضمن لهن سلامتهن . هذا وقد كان القصر مفعما بجثث الموتى وبالمصائب التى لم تكن فى الحسبان فقد أغلق اخوة «نيكوكليس» الأبواب وأشعلوا النار فى البيت وقتلوا أنفسهم بأيديهم . وبهذه الصورة قضى على أسرة ملوك «بافوس» (١) .

ويلحظ أنه فى تلك الأثناء قطع «اتيجونوس» الامل من القضاء على «سيلوكوس» لقلّة ما لديه من جنود ، ومن أجل ذلك عقد معه صلحا ، وكان هذا كل ماتصبو اليه نفس «سيلوكوس» . والواقع أنه ليس لدينا وثائق أكيدة تحدثنا عن الزمان أو المكان الذى تخلى فيه «اتيجونوس» عن آسيا العليا التى أصبح «سيلوكوس» ملكها . وعلى أية حال فان «اتيجونوس»

بصلحه هذا قد نجى كل املاكه .

رجع «اتيجونوس» بعد هذا الصلح الى «آسيا» الصغرى وفي عزمه الانتقام من مناهضيه غير أنه لم يعلن ذلك في صراحة ، لأنه لم يكن في نيته أن يفصم عرا الاتفاق الذى أبرمه مع خصومه عام ٣١١ ق.م ، اذ رأى أنهم قد تجمعوا ثانية يدا واحدة . وكان أول عمل وجه اليه عنايته بعد أن استقرت له الأمور نوعا في الشرق هو الالتفات الى الأحداث التى كانت تجرى في «ايجه» . وقد كان في عزمه الا يترك بأية حال من الأحوال «ببلييموس» البلاد التى استولى عليها في «آسيا» الصغرى ، أما «ببلييموس» فكان من ناحيته لا يهتم كثيرا بهذه البلاد كما كان لا يرغب في اعلان حرب على «اتيجونوس» عدوه الجبار ، والواقع أنه كان يقظا حازما في قراراته عند الضرورة ، وقد شاهدنا ذلك في «قبرص» عندما أخذ الشك يدب الى نفسه من جهة «ببلييموس» ابن أخ «اتيجونوس» ذلك الخائن الذى انضم اليه فقد قابله في بادىء الأمر بسماحة وبشاشة ولكن لما شعر بما كانت تنطوى عليه نفسه من نوايا سيئة أمر بالقبض عليه وأجبره على تجرع السم ، وبعد ذلك كسب الى جانبه جنوده الذين كانوا تحت أمرته بالهدايا وخرطهم في سلك جيشه (١) .

وتدل شواهد الأحوال على أن «ببلييموس» قد طالت اقامته في جزر «اسكليبيادس» (Asclepiades) مع زوجه «برنيكى» التى وضعت له حوالى عام ٣٠٩ ق.م ابنا أسماه «ببلييموس» فاصبح ولى عهده . ويقال أن العالم «فيليتاس» من أهل «كوس» الذى صار فيما بعد مربيا لولى العهد قد اتصل ببلاط «ببلييموس» وأصبح من المقرين اليه في هذه الفترة ، وهو من أهل جزيرة «كوس» التى اختارها «ببلييموس» مفرا له ليراقب عن كذب

حركات جيش « أنتيجوس » ، وكذلك مراقبة سير الأحوال في « الأرخبيل » اليوناني ، على أن مالدينا من مصادر قد صمتت كلية عن الأحداث التي وقعت بين الأطراف الذين وقعوا صلح ٣١١ ق.م. وقد انقضى ثلاثة أعوام ٣٠٩ - ٣٠٦ ق.م دون أن نسمع شيئا عنهم ، وكل ما نعرفه عن تلك الفترة أن كلا منهم كان يظهر بمظهر الحامي لحرية المدن الاغريقية . وفي تلك الفترة نصب « انتيجونوس » ابنه « ديمتريوس » على إدارة شئون « آسيا الصغرى . أما هو فقد أراد أن يظهر « لبطليموس » عزمه على بقاء سوريا تحت حكمه ، فأسس مدينة أطلق عليها اسم « انتيجونيا » نسبة لاسمه « انتيجونوس » عند مصب نهر الارنت (١) ، وهي التي حلت محلها فيما بعد مدينة « أنطاكية » الحالية . يضاف الى ذلك أنه عمل على بناء أسطول يسيطر به على بحر « ايجه » . وفي أثناء انتظاره الفراغ من بناء هذا الأسطول واعداده قام ابنه بمراقبة شديدة للغاية على شاطئ « كاريا » ، ومن المحتمل أن هذه الفترة أى حوالي نهاية عام ٣٠٩ ق.م. تمكن « ديمتريوس » من فك حصار « هليكارناسوس » التي كانت قد حاصرها « بطليموس » (٢) .

أما « بطليموس » فقد سافر بأسطوله الى « البلوبونيز » لسبب غير معلوم تماما ، اذكل ما نعرفه أنه ذهب على حين غفلة ليحرر كلا من « كورنث » و « سيسيون » (Sycyone) من الجنود المرتزقين جلبهم « كراتيسبوليس » (Cratesipolis) حماة « بوليبرشون » ، وكانت وقتئذ أرملة « الاسكندر » حاققة تمنعش للانتقام من أهالي « سيسيون » الذين قتلوا زوجها (٣) . وتدل الأحداث التي تلت ذلك على أن « بطليموس » كان يهتم بالحوادث التي تقع في بلاد الاغريق ، وذلك لأنه رأى في هذه البلاد التي كان يغلى مرجل

Diod. XX, 47. XXI, 1.

Plut. Memetr. 7 CF. Drosyn II, p. 383, 1.

Diod. XIX, 69, XX, 37. Polyaen VIII, 68.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

القوضى فيها أن كلا من قواد الامبراطورية كان له حزب فيها الا هو فلم يكن له أى حزب ، وان الفرصة قد سنحت للتدخل هناك وابرز نفسه فى العالم الاغريقى . وذلك باتخاذ الشعار الذى كان كل منهم يعلن أن هو أراد الشهرة والسمعة فى العالم الاغريقى . فقد كان كل منهم يعلن أنه جاء ليحرر المدن الاغريقية العريقة فى الديموقراطية . وفعلا أعلن « بطليموس » شعاره فى بلاد الاغريق وبخاصة فى المدن التى كانت لا تنتمى الى حليفه « كاسندر » بأنه جاء ليحررها ويعيد لمدينتها الحرية الفائرة . وقد عمل هذا وهو آمن مطمئن لا يخاف شيئا من جهة « آسيا » لأنه كان المسيطر على البحر وقتئذ . وقد بدأ « بطليموس » دعايته بتحرير جزيرة « أندروس » (١) .

حيث وضع فيها حامية كما أعطاها الحق فى ضرب تقود خاصة بها ، بعد أن أن يخر « ديلوس » التى كانت مركز الحلف الاغريقى وكانت منذ ما يقرب كان الاثينيون قد اغتصبوا هذا الحق منها فيما مضى : وكانت هذه أول دعامة لاقامة مجتمع اغريقى ، فى هذه الجهة بحماية مصر . ولم يفت « بطليموس » أن يحرر « ديلوس » التى كانت مركز الحلف الاغريقى وكانت منذ ما يقرب من فرنين من الزمان تحت سلطان الاثينيين (راجع مصر القديمة الجزء ١٢ ص ٥٧١ - ٥٧٤) ويمكن أن ننسب لعام ٣٠٨ قبل الميلاد الهدية التى قدمها « بطليموس » الى معبد « أرتيميس » فى « ديلوس » وهى عبارة عن اناء فاخر عليه نقش اغريقى الدال على اسم افروديتى (٢) .

هذا وقد ظهر ما قام به « بطليموس » الأول من أعمال مفيدة لسكان الجزر فى عهد ابنه « بطليموس » الثانى فى المنشور الذى أصدره بعد وفاة والده بنحو ثلاثين عاما . وقد جاء فى هذا المنشور أن الملك المخلص « بطليموس » كان هو مؤسس الخيرات العديدة والعظيمة لسكان الجزر وللهيلانيين الآخرين ، اذ قد حرر المدن وأعاد فى كل مكان القوانين والحكومة الوطنية

Diod. XX, 37, I.

Homolle B.C.H., VI. P. 29; Archives, P. 40.

(١) راجع

(٢) راجع

وخفف أعباء الضرائب (١) .

ومن أجل ذلك كان بطليموس الأول يعد في نظرهم في مصاف الآلهة . ولا نزاع في أن تحرير « ديلوص » كان يعد ضربة قوية لكبرياء الأثينيين . وفي خلال تلك الفترة سمع « بطليموس » بموت « أوفيلاس » حاكم « سيريني » ، وكان يريد معاقبته على خيائته له ، وكان رجلا طموحا لم يرضه أن يقتصر على حكم « سيريني » بل كان طموحا الى مد سلطانه في جهات أخرى ، ومن أجل ذلك تحالف مع « أجاتوكليز » ملك « سرقوزه » على محاربة « قرطاجنة » وقد وعده الأخير بأن يمنحه حكم « قرطاجنة » الافريقية عند النصر على عدوه ، غير أنه لاقى حتفه هناك غدرا بيد حليفه . وعندما عاد « بطليموس » من بلاد اليونان أسرع الى ارسال ابن زوجته المسمى « ماجاس » وأمه هي « برنيكي » بجيش الى « سيريني » ، والظاهر أنها سلمت دون مقاومة . وقد بقي « ماجاس » هناك حاكما عليها ، فأعاد اليها الفنى والنظام (٢) ، ومن المحتمل أن « بطليموس » جذب فكرة هجرة اليهود الى هذه الجهة سدا للفراغ الذى حدث فيها بسبب الحروب . ومن المعلوم أن اليهود كانوا يؤلفون ربع سكان « سيريني » .

أما « أتيجونوس » فانه في خلال تلك المدة كان يرقب عن كثب حركات « بطليموس » في بلاد اليونان ومدنها ، وكان مصمما على أن يضمها الى جانبه باستمالة أهلها ومنحهم حريتهم التامة ، ومن أجل ذلك أرسل في ربيع عام ٣٠٧ ق.م. ابنه « ديمتريوس » الى « أنيسوس » على رأس أسطول عظيم يتألف من مائتين وخمسين سفينة شراعية مجهزة تماما بالرجال والعتاد ، الى رأس « سونيون » ، وبعد أيام قلائل دخل ميناء « بيروس » ، وبعد أن طرد الحامية المقدونية التى كانت فيها أعلن « ديمتريوس » تحرير « أثينا » ،

كما أعلن أنه مكلف من قبل والده بتحرير كل البلاد الاغريقية . وقد كان من جراء هذا العال البارع أن فتح « الأثينيون » « اتيجونوس » تاج البلاد ولم يبق عليه الا أن يتقبله ، وفي انتظار ذلك أخذ « ديمتريوس » يوطد العلاقات بينه وبين « الأثينيين » بمقد سلسلة من الزواج السياسى فتزوج من الأثينية « أيونيدىكى » ، ويحتمل أنها كانت أرملة « أوفيلاس » .

وقد عد هذا العمل تحديا « لبطليموس » الذى لم يكن فى حاجة الى التحدى للاستعداد للحرب ، لأنه كان قد شعر أن الوقت لقطع العلاقات بينه وبين « أتيجونوس » علنا قد قرب ، وذلك لأنه لم يكن أمامه مسلك الا الجرب أو الدفاع عن النفس ، وبخاصة أمام قائد سياسى بارع مثل « اتيجونوس » ، وقد كان الأخير ينتظر تحركات الجيش المصرى وبخاصة لمهاجمة « سوريا » التى كان يريد « بطليموس » أن يستردها الى أملاكه غير أن « أتيجونوس » لم يعطه الفرصة لتنفيذ قصده اذ أرسل لابنه « ديمتريوس » فى « أثينا » بالاسراع بجيشه الى « قبرص » فغادرها فى أوائل عام ٣٠٦ ق.م. وكان « الأثينيون » يساعدونه بثلاثين سفينة بقيادة أمير البحر « ميدوس » (١) ، وبعد أن حاول « بطليموس » عبثا اغراء أهل « رودس » على الانضمام اليه طاف حول « كليشيا » حيث جمع عددا عظيما من الجنود ، وقصد قبرص ، وكان حاكمها وقتئذ هو « منيلاوس » ليس لديه الا عدد قليل من الجنود لحمايتها كما أن السفن التى كانت تحت تصرفه وعددها ستون لا يمكن أن تغلق الطريق فى وجه أسطول « ديمتريوس » . وقد هزم « بطليموس » فى أول واقعة ، ومن ثم اضطر الى اللجوء الى « سلاميس » حيث حاصره « ديمتريوس » وهكذا نرى أن توانى « بطليموس » جعله يؤخذ على غرة ؛ ومع ذلك فان مقاومة « سلاميس » الطويلة قد مهدت له الفرصة

للاسراع الى نجدتها بأسطوله الذى كان أقل عددا من أسطول العدو .وعندما وصل أسطول «ببليموس» الى «أكنيون» طلب الى العدو الجلاء عن الجزيرة قبل أن تأتى كل قوته للقضاء عليه .

وقد رد عليه « ديمتريوس » بجواب مقنع أنه على استعداد لسحب جنوده اذا وافق بدوره على سحب جنوده من «كورتث» و «سيسيون» . ولم يعأ «ببليموس» بذلك وتقدم بجيشه أمام «سلاميس» لفك حصارها بضربة قوية بمعاذدة أسطول « منيلاوس » أثناء المعركة ، غير أنه قد أخطأ فى حسابه اذ كاد يقضى فيها على كل أسطول «ببليموس» (١) .

وقد نجا « ببليموس » نفسه بشق الأنفس ومعه ثمانى سفن . واحتسب مؤقتا فى « أكنيون » تاركا وراءه كل ماكان قد أحضره من سفن نقل وخدم وأصدقاء ونساء وتقود وآلات حرية ، هذا بالاضافة الى ثمانية آلاف رجل من جيشه . وعلى ذلك لم ير « منيلاوس » بعد ذلك بدا من التسليم . وعندئذ حذت حذوه كل مدن الجزيرة . ولقد كان مسلك « ديمتريوس » بعد هذا الظفر العظيم مسلك الرجل الشهم فقد حفظ لنفسه « لاميا » الجميلة ولكنه أرسل الى « ببليموس » على جناح السرعة أخاه « منيلاوس » وابنه غير الشرعى « ليونتيسكوس » (Leontiscos) كما أرسل اليه أصدقاءه وأخيرا أطلق سراح الجنود الذين لم يريدوا الانخراط فى سلك جيشه (٢) .

وهذا النصر المبين قد هز أعطاف جنود جيش « أنتيجونوس » الأعور لدرجة أنهم لقبوه ملكا كما نادوا ابنه بلقب الملك « ديمتريوس » . وقد كان من حق الجيش كما جرت العادة فى الدستور المقدونى تعيين الملك . وقد

قابل الملكان الجديدان هذا الشرف من قبل الجيش والشعب باغداق مايتفق وعظم الحادث من الهبات . فقد منح الملكان اثني عشر درعا تامة «للاثنين» هذا فضلا عن الغنيمة التي غنموها (١) .

هذا وقد وضعت قربان جنازية في المعابد التي كان الشعب يزورها كثيرا . ومن المحتمل أن تمثال نصر « سماتراس » المحفوظ الآن بمتحف « باريس » كان ضمن هذه القربان في معبد « كايبريس » (Cabires) . ومنذ هذه اللحظة أصبح « أتييجونوس » الملك الشرعى على الامبراطورية في زعمه ، ومن ثم كان يعتبر مناهضيه منذ الآن خارجين عليه .

ويقال أن « بطليموس » بن « لاجوس » شطربة مصر كان أول من توج نفسه ملكا على الرغم من هزيمته ، ثم حذا حذوه بعد ذلك الحكام الآخرون كل بدوره أمثال « سيلوكوس » و « ليزيماكوس » و « كاسندر » (٢) ومع ذلك نرى قانون الملوك الذى وضع في « الاسكندرية » يؤرخ تولى « بطليموس سوتر » الملك بأول تحوت سنة ٤٤٣ من عهد « نابونصار » (أى ٧ نوفمبر سنة ٣٠٥ ق.م.) . ومن المحتمل اذا أن « بطليموس » قد تردد بعض الوقت قبل أن يخلع على نفسه لقب الملك على أثر هزيمته ، ولكن يقال من جهة أخرى أنه توج نفسه ملكا خوفا من أن يقال ان هزيمته الأخيرة قد كسرت جناحه وأذلته .

وعلى أية حال فإن موقعة « سلاميس » تعد بداية تمزق شمل امبراطورية « الاسكندر الأكبر » واخلافه . فمنذ تلك اللحظة الحاسمة أصبح كل قائد في القطر أو الأقطار التي يحكمها يطلق على نفسه لقب « ملك » ؛ ومن ثم أصبحت الامبراطورية المقدونية أثرا بعد عين . ومنذ ذلك العهد كذلك أخذ

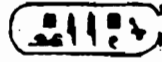
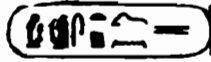
Plut. Demetr. 17.

Diod. XX, 53; CF. Plut. Demetr. 18; Justin. XV, 2, راجع (١)

10-14; Appian. Syr., 54. راجع (٢)

وجه التاريخ يتغير اذ أصبحت كل مملكة من الممالك التي انقسمت اليها
الامبراطورية المقدونية تسير على نهجها الخاص وسياستها الخاصة التي تتفق
مع بيئتها وتاريخها القديم وما جد عليها من تغيرات وقلبات من جراء
الحروب الطاحنة التي قامت فيها منذ موت « الامكندر الأكبر » .

الآثار التى خلفها الملك « فليب أريدانوس »



فليبوس ستيب نى رع - مرى امن

تحدثنا فيما سبق عن الأحوال التى تقلبت فى خلالها الإمبراطورية المقدونية التى ورثها « فليب أريدانوس » عن أخيه « الاسكندر الأكبر » ، ورأينا أنه لم يكن له من الأمر شئ بل أن كل شئون الدولة كانت فى يد الوصى الذى لم يكن بدوره فى معظم الأحيان الا لعبة فى يد مناهضيه من حكام اقاليم الامبراطورية .

وقد اختلفت الآراء فى المدة التى مكثها فليب « أريدانوس » على عرش الملك . وقد فحص هذا الموضوع المؤرخ «سكيت» (١) .
والواقع أن آخر وثيقة وصلت إلينا من عهد فليب « أريدانوس » هى ورقة ديموطيقية محفوظة الآن فى باريس (٢) .

وتاريخ هذه الورقة ٨ هاتور ، ولما كانت أقدم وثيقة عرفت لخليفة « فليب » وهو « الاسكندر » الرابع مؤرخة بالسنة الأولى ٢ أمشير (P. dem Loeb. 27) فان تولى « الاسكندر » الرابع عرش الملك لابد أن يكون معترفا به فى مضر ما بين أول شهر هاتور و ٢ أمشير (- ٩ يناير سنة ٣١٦ - ١٠ أبريل سنة ٣١٦ ق.م.) .

(١) راجع The Reigns of the Ptolemies, Von Theodore Cressy

Skeat, p. 27. F.

(٢) راجع Rev. Egyptologique II, 133 & Pl. 49; Spiegelberg, P. dem.

Bad. no. 41-43.

هذا ويذكر لنا ديدور (Diod. XIX, 11) أدق رقم لمدة حكم « فليب أريدائوس » وهو ست سنوات وأربعة أشهر . ويقول المؤرخ « بروفيرى » أنه حكم تقريبا سبع سنوات ؛ هذا ونجد فى مصادر أخرى أنه حكم كذلك سبع سنوات . وهذه البيانات التى تستند على براهين أخرى تظهر أن مات فى صيف أو خريف عام ٣١٧ ق.م. (١) . وذلك يعنى بضعة أشهر على أية حال قبل تاريخ ورقة «باريس» . ومن ثم نجد أن التاريخ بحكمه كان مستمرا بعد موته كما كانت هى الحال مع خلفه «الاسكندر الرابع» كما سنرى بعد ، ويؤكد ذلك ما جاء فى «القانون» الذى يقول ان مدة حكمه كانت سبع سنوات كاملة .

وآخر تأريخ فى الوثائق البابلية بم عهد فليب « أريدائوس » هو ١٣ أغسطس سنة ٣١٦ . غير أنه ليس لدينا وثائق مقارنة يمكن أن يعتمد عليها لاستنباط تأريخ أكيد فى المصرية والبابلية .

وعلى الرغم من أن «فليب اريدائوس» لم يأت الى مصر ولم يرها ، فان المصريين كان لزاما عليهم أن يعتبروه فرعوناً على مصر على حسب التقاليد المصرية الموروثة منذ عهد « مينا » .

وأهم الآثار التى خلفها لنا هذا الفرعون وجاء عليها اسمه ماأتى -
١ - معبد الأقصر : نقش اسم « فليب أريدائوس » على الجدار الخارجى لمعبد الأقصر فى الشمال الشرقى من الردهة الكبيرة على هيئة جرافيتى بالألوان جاء فيها :

السنة الرابعة الشهر الثالث من فصل الفيضان (هاتور) من عهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « فليبوس » . ويلحظ أن اشارات هذا

النفش قد نقشت بصورة جميلة (١) .

هذا ونجد في السطر الثامن من هذا المتن : اليوم السابع من شهر طوبة من نفس السنة .

٢ - ونجد في نفس الجرافيتى السابق المتن التالى : السنة الرابعة الشهر الثانى من فصل الشتاء (أمشير) فى عهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « فليبس » . وهذا الجرافيتى هام لأنه جاء فيه اسم « الاسكندر الأكبر » كما ذكرنا من قبل .

٣ - ورقة ديموطيقية : جاء اسم هذا الملك فى عقد كتب بالديموطيقية وهو محفوظ الآن بالمكتبة الأهلية « بياريس » ، وقد أرخ بالسنة الثامنة شهر « هاتور » من عهد الملك « فليب أريداوس » (٢) .
٤ - عقد تسوية من عهد « فليب أريداوس » :

التاريخ : السنة السابعة من عهد الفرعون فليب (١٠ مارس سنة ٣١٧ م)
الطرف الأول : صانع فخار « چمى » ، « پامى » (Pame) ابن « باهى » وأمه هى « تنحر برع » .

الطرف الثانى : المرأة « تامن » ابنة « پامى » ، وأمها (هى) تامى ابنتى .
العقد : ١ - لقد أعطيتك بيتى المبنى والمسقوف الواقع فى القسم الجنوبى الشرقى من « چمى » بالقرب من الجدار العظيم « چمى » (= يقصد هنا سور مدينة حابو) .

٢ - ونصفه ملك « تاهيت » ابنة « پامى » وأمها (هى) « تامى » ابنتى ، وأختك الصغرى ، ونصفه الآخر هو ملك لك . وحدود البيت المبنى والمسقوف وهو المذكور أعلاه هى :

جنوبه : بيت حانوتى « چمى » ، « باجمى » بن « بتأمون » ، وهو

Rec. Trav. XIV, p. 33. L. 7. راجع (١)
Brugsch, Grammaire Demotique, p. 50; Thesaurus, p. 852; راجع (٢)

الذى باعه « ييتستو » بن « باچمى » ، ابنه الى المرأة « تآمون » ابنة « اسمن » . (٣) ويوجد حائط ساند بين أجزاءه وبين المرأة « تآمون » ابنة « اسمن » .

شماله : بيت صانع فخار « چمى » « اسمن » صاحب الذكر المنتشر ، ابن « بتآمون » وأمه (هى) تشنمين .

غربه : جدار « چمى » الكبير .

شرقه : القطط (= مدفن القطط) .

وهذه هى حدود بيتى الذى ذكر أعلاه ، وهو الذى وهبته لك وله « تاهيب » ابنة « پامى » وأما (هى) « تامى » ابنتى وأختك الصغرى ويخصك نصفه ويخصها النصف الآخر وقد وهبته لكما وهو ملككما ، وبيتكما المبنى المسقوف والذى حدوده ذكرت أعلاه .

الصيغة القانونية : وليس لى أى حق كان عندكما باسمنا ، وأنا وكذلك أى ابن أو بنت أو أخ أو أخت أو أى شخص كان من الآن فصاعدا . وإن الذى سيأتى اليكما بسببه باسمى أو بأسم أى شخص مهما كان وكذلك أنا ، فانى سأجعله يخلصك ، وإذا لم أمنعه بالتراضى ، فانى سأمنعه (قهرا) وسأطهره لك (أى البيت) من أى حق وكل شىء مهما كان ، وإن حججه القديمة وحججه الجديدة فى كل مكان هى حقوقكما وكل كتابة كانت قد عملت لى بخصوصه فانها لكما وكذلك حقها ، وحقى الشرعى هو لكما من هذا اليوم فصاعدا دون ادعاء أى حق أو شىء كان عليكما .

كاتب الخاتم وكاهن الروح « تحت منت » بن « وسروسر » .

هذا وقد كتب على ظهر العقد ستة عشر شاهدا (١)

(١) راجع Mizraim II. P. 13. The Legal Transaction of a Family, preserved in the University Museum at Philadelphia. The Demotic Papyri from Drah-Abu- (Negga. Doc. I.).

(٥) عقد زواج من عهد « فليب اريداوس » (١)

التاريخ : السنة الثالثة من عهد الفرعون « فليب اريداوس » (٣١٨ ق.م.)
يقول أ الى ب

لقد اعطينى ست قطع من الفضة لأجل مهر المرأة (ج) ابتك وأما هي
(د) وانى سأعطيك عشر قطع من الفضة لأجل طعامها ولباسها سنويا للبت
الذى تريده . وعندك السلطة أن تحجز مؤخر طعامها وملبسها الذى سيستحق
على . وانى سأعطيك اياه الخ .

(٦) الكرنك : يوجد في معبد الكرنك الكبير محراب أقامه «تحتس الثالث»
وقد هدمه الفرس ، ثم أصلحه من بعدهم «بطليموس بن لاجوس» باسم «فليب
اريداوس» ، وقد جاء عليه المتن التالى باسم «فليس اريداوس» : لقد وجد
جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ورب الارضين الشعائر (ستب -
نى - رع - مرى أمن) بن رع من جسده ومحبوه «فليب» المكان العظيم
لامون آيلا للخراب ، وكان مقاما منذ زمن جلالتة رب التيجان تحتس (٢) .
هذا وقد جاء اسم هذا الملك مرات عدة على هذا المحراب بنعوت مختلفة
تذكر منها :-

حور ملك مصر (= الثور القوى محبوب « ماعت » أى العدالة)
ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « ستب - نى - رع - مرى - أمن »
ابن « رع » « فليس » .
الاله الكامل، رب الأرضين (ستب - نى - رع - مرى - أمن)

(١) راجع Spiegelberg W., Demotische Papyri (Veroffentlichung aus den badischen, Papyrus-Sammlungen). Heft. I., Heidelberg, 1932, Page 41.

(٢) راجع Champollion Notices II, P. 149; Sethe urk. der Griech-Rom. Zeit. P. 10.

ابن «رع» رب التيجان (فليب) رب القوة في كل الأراضى (١) .
ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب الأرضين (ستب - نى -
رع - مرى - أمن) بن « رع » رب التيجان (فليس) معطى الحياة كلها
والثبات والقوة كلها .

حور الملك (الثور القوى محبوب ماعت) ملك الوجه القبلى والوجه
البحوى (ستب - نى - رع - مرى - أمن) بن رع رب التيجان (فليس)
معطى الحياة والثبات والقوة كلها مثل رع أبديا (٢) .
محبوب الاله الكامل « فليب » (٣) .

هذا وتوجد لهذا الفرعون صورة تقليدية (٤) .
يضاف الى ذلك أن « شموليون » قد وصف لنا كوة للملك « فليب
أريداوس » (٥) .

هذا وقد وجد النقش التالى في معبد الكرنك في الردهة سالقة
الذكر في المحراب وهو : تجديد الآثار التى عملها الاله الكامل (ستب -
نى - رع - مرى - أمن) .

معبد « الأشمونين » : يوجد نقش خاص باهداء معبد « الأشمونين »
كشفت عنه البعثة الفرنسية المصرية جاء فيه : « يعيش حور . . . الأرضين
والسيدتان (المسى) حاكم الأراضى الأجنبية ، حور الذهبى محبوب ؟
ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ورب الأرضين (ستب - نى - رع -
مرى - أمن) بن « رع » رب التيجان « فليس » محبوب « تحوت » رب

L.D., Texte III, p. 26.

(١) راجع

Champollion Notices II, p. 151; L.D. IV. 2b: L.D. Texte
III, p. 27-28).

(٢) راجع

Ibid.

(٣) راجع

L.D. III, 302, No. 85.

(٤) راجع

Champ. Notices III, p. 147-53.

(٥) راجع

«الاشمونيين» معطى الحياة مثل «رع» (١)

٨ - سنود : كشف عن قطعتين من الحجر واحدة من ١٠ ما اسم هذا
الفرعون والأخرى عليها لقب . وهما من كرنيش من الجراي
في « سنود » (٢)

ولقب هذا الفرعون نقش هكذا : (سب - نى - رع - مرى - كا -
امن) = المختار من رع محبوب روح آمون . والظاهر أنه قد أضيف الى
لقب « فليب » كلمة « كا » ومعناها الروح فى عهد متأخر والظاهر أن هذا
قد حدث لتمييز طغراء تتويج « فليب » من طغراء « الاسكندر الأكبر »
المتشابهين تماما .

٩ - المتحف البريطانى : يوجد بالمتحف البريطانى قطعة من اناء مصنوع
من حجر أسود كان مستعملا ساعة مائية (٣) .

أسرة الفرعون « فليب أريداوس »

أشرنا فيما سبق على حسب ماجاء فيما تركه لنا الكتاب الاغريق أن
« فليب الثالث المقدونى » قد تزوج من امرأة تدعى « ايريديكى » وهى
ابنة رجل يدعى « كينانى » وأما تدعى « أميتاس » غير أن اسم هذه
الملكة لم يوجد حتى الآن على الآثار المصرية وقد قتلت « ايريديكى » هذه
فى نفس الوقت الذى قتل فيه زوجها « فليب » بأمر الملكة « أوليمبياس »
أم « الاسكندر الأكبر » فى عام ٣١٧ - ٣١٦ ق.م. وقد أعلنت أوليمبياس
حفيدها « الاسكندر » بن « الاسكندر الأكبر » و « روكزان » امبراطورا
على أملاك والده وكان يبلغ من العمر وقتئذ حوالى ست سنوات .

Sethe. Ibid. P. 9.

A.S. XI. P. 91.

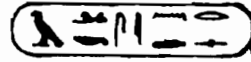
British Museum Guide (1909), P. 266; Ibid. Sculpture.
P. 255, No. 949).

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

آثار الملك الاسكندر الرابع



ستب نى كارع مرى امن

الكسندرس

ان آخر وثيقتين وصلتا الينا من عهد « الاسكندر الرابع » (الذى أصبح حديث خرافة بعد قتله فى عام ٣١٠ ق.م.) هما برديتان مؤرختان بالسنة الثالثة عشرة شهر هاتور (= ٦ يناير - ٤ فبراير سنة ٣٠٤) (١) .
والرأى السائد أن « بطليموس الأول » قد اتخذ لنفسه لقب الملك فى عام ٣٠٥ ق.م. ، ولما كان من غير المحتمل أن الكتاب المصرين كانوا قد استمروا فى التأريخ بعهد « الاسكندر الرابع » بعد موته فمن الجائز أن ذلك التأريخ باسمه قد أوقف فى باكورة عام ٣٠٤ ق.م. وهذا الرأى يمكن تعزيزه الى حد ما يكون أن أقدم تأريخ بابلى محفوظ لدينا باسم الملك « سيلوكوس الأول » الذى لبس تاج الملك فى بابل فى نفس الوقت الذى توج فيه « بطليموس الأول » هو ١٦ أبريل سنة ٣٠٤ ق.م. (٢) .

هذا ونجد أن « القانون » يقرر أن حكم « الاسكندر الرابع » دام اثنتا عشرة سنة ، ويقول ان « بطليموس » الأول قد صار ملكا فى خلال السنة

(١) راجع P. dem. Louvre, 2427, 2440; Cf. Gauthier. op. cit. 209.

(٢) راجع Parker and Dubberstein, Babylonian Chronology 626,

B.C.-A.D. 45, Chicago 1942, PP. 18. See also S.R.K, Glanville Catalogue of Demotic Papyri in the British Museum I, P. XVI, No. 2).

المصرية ٧ نوفمبر ٣٠٥-٣٠٤ ق.م. ، ويقرر كل من «بروفري» (Prophyry) و «مارمورباريوم» (Marmor Parium) كذلك السنة ٣٠٥ - ٣٠٤ ق.م. التي بدأ فيها حكمه على حسب حسابيهما بالتوالي .

وقد تحدثنا فيما سبق عن مقتل الملك « فليب أريداوس » على يد الملكة « أوليمبياس » والدة « الاسكندر الأكبر » وعن الغرض الذي كانت ترمى اليه من قتله هو وزوجه ، وهو كما ذكرنا تنصيب الملك « الاسكندر الرابع » امبراطورا منفردا على أملاك الاسكندر ابنها ، وبذلك تضمن قيامها وصية على حفيدها . وقد ولد « الاسكندر » هذا في « بابل » بعد وفاة والده بثلاثة أشهر في نهاية عام ٣٢٣ ق.م. . ويقال انه قبل ولادته وعلى الرغم من أن « فليب أريداوس » قد أعلنه الجيش امبراطورا على أملاك « الاسكندر الأكبر » فانه قرر أنه سيشارك مع « فليب » عمه هذا في حكم الامبراطورية . وفي عام ٣٢١ أو ٣٢٠ أحضره الوصى على الامبراطورية القائد « أنتيباتر » الى « أوربا » وعاش هناك منذ ذلك الوقت مع والدته في بلاط ملك « أيروس » . وكان يعتبر مشتركا مع « فليب » في الملك . وبعد اغتيال « فليب أريداوس » حوالى عام ٣١٧ ق.م. عاد « الاسكندر الرابع » الى مقدونيا وأصبح منذ ذلك الوقت منفردا في حكم امبراطورية والده .

لم يذهب قط « الاسكندر » هذا الى مصر ومع ذلك فقد اعتبره المصريون فرعوناً عليهم غير أن زمام الأمور في واقع الأمر كان في يد « بطليموس بن لاجوس » كما كانت الحال من قبل ، وقد كانت الآثار التي تقام في مصر أو تصلح ما بين عامي ٣١٧ ، ٣١٠ ق.م. تحمل اسمه هو منفردا وكذلك كانت النقود باسمه . ولما كان « بطليموس الأول » لم يعين رسميا فرعوناً على مصر الا في عام ٣٠٤ ق.م. فان بعض الآثار التي عثر عليها كانت تؤرخ باسم الاسكندر الرابع على الرغم من أنه قد توفي منذ عام ٣١٠ ق.م. وبخاصة الأوراق الديموطيقية ، أما الأوراق اليونانية فكانت تؤرخ بعده

« بطليموس سوتر » كما سنرى بعد .

ومعظم الآثار التى أرخت بعهد هذا الفرعون تنحصر فيما يأتى :-
(١) عقد زواج :^(١)

السنة الثانية شهر هاتور من عهد الملك «الكسندروس» بن «الكسندروس»
الاله .

يقول نجار بيت « آمون » « بتخنس » بن « چوف عفى » (?) وأمه هى
« استفى » ، الى المرأة « تيزى » ابنة « بتمئوى » وأمها (هى)
« اسرتايس » :

لقد اتخذتك زوجة .

وقد وهبتك قطعتين من الفضة أى عشرة « ستاتر » وهى عبارة عن
قطعتين من الفضة ثانية (٢) وهى صداقك . وسأمنحك ستة مكايل من
القمح يوميا وقطعة من الفضة وقدين فيكون الكل ستة « ستاتر »
أى ما يساوى قطعة من الفضة وقدين ثانية ، لأجل ملابسك سنويا ،
وكذلك هنين من الزيت كل شهر أى ما يساوى سنويا أربعة وعشرون
هنا (٣) من الزيت . وهذه (?) لأجل قمحك (?) ولباسك وسأعطيها اياك
كل سنة .

واذا هجرتك بوصفك زوجة وكرهتك وأحببت (?) امرأة أخرى أكثر
(?) منك ، فانى سأعطيك عشر قطع من الفضة أى ما يساوى خمسين
« ستاتر » أى عشر قطع من الفضة ثانية وابنى الأكبر هو ابنك الأكبر
والمالك لجميع كل شئ أملكه وتلك الأشياء التى سأكسبها من بيت وأرض

(١) راجع The Demotic Papyri in the John Rylands, Library III, P. 114).

(٢) لابد أن نشير هنا الى أن المبالغ من المال تذكر أولا بالنقد المصرى ثم يذكر قيمته
بالنقد الاغريقى ثم يذكر مرة ثانية بالنقد المصرى من باب التأكيد .

(٣) مكيال مصرى مقداره نصف لتر .

ودخل (?) وعبد وأمة وفضة ونحاس وملابس وثور وحمار وماشية صغيرة ومتاع في أية حجرة (?) .

وانى سأعطيك هذا القمح واللباس المدون أعلاه سنويا ووكيلك هو الذى سيكون له الحق فى أخذ المتأخرات من قمحك وملبسك الذى سيكون مستحقا على ، وانى أعطيك اياها سنويا دون تأخير ودون اقتباس أى سجل ، وأى كلمة فى الأرض ضدك (أى دون الرجوع الى سجل فى هذا الصدد) .
كتبه ب ابن « وسرور » .

هذا وكتب على ظهر الورقة ستة عشر شاهدا . كما جرت العادة .

(٢) اتفاق بيع ووصية من عهد الاسكندر الرابع :

التاريخ : السنة الثالثة من عهد الفرعون الاسكندر الرابع (= ٨ يوليو سنة ٣١٤ ق.م .) .

الطرفان : الطرف الأول : المرأة « تنفرحوتب » ابنة « چحو » ، وأماها (هى) « تاتى » .

الطرف الثانى : المرأة « تامين » ابنة « حح » ، وأماها (هى) « تحار بوخرات » .

العقد : لقد جعلت قلبى يرضى بضمن بيتى المبنى والمسقوف بالاضافة الى الفناء الواقع فى القسم الشمالى لطية فى بيت البقرة . وحدوده هى :
الجنوب : بيت « كلوج » بن « باستو » الحمال ، وهو ملك نجار معبد آمون (المسمى) « فيب » بن « چوف عفى » و « بتخنس » بن « چوف عفى » — والشارع يفصل بينهما .

الشمال : بيت « پامنى » وبيت « ثنانى » بن « حاربوخرات » .

الغرب : بيت « پاوزى » ، بن « كلوج » وبيت « پتچاربرع » .

والشرق : بيت « بتمستو » « بخرخنس » وبيت « فليب » بن « پتچار برع » .

وهذه هي حدود كل البيت الذى أعطيت منه ذراعا ونصف ذراع (١) من الأرض أى مائة وخمسين (ذراعا) من المساحة أى $\frac{١}{٢}$ ذراعا من الأرض ثانية حانوتى «أمنثوى» فى غربى طيبة «بتنفرحوتب» بن «بارت» وشرحه «ثانى» بن «بارت» وهما شخصان ابنائى بنسبة $\frac{٢}{٣}$ و $\frac{١}{١٢}$ ذراعا من الأرض ثانية لكل منهما وقد عملت لهما الاتفاقية لأجل البيع بخصوصه فى السنة السادسة شهر تحوت من عهد (الفرعون) «فليب» (= ١١ نوفمبر سنة ٣١٩ ق.م.) وقد أعطيتك البيت المذكور أعلاه الا القصبة والنصف هذان من الأرض أى ما مساحته مائة وخمسون ذراعا أى قصبة ونصف ثانية وهما للذان أعطيتهما المسمى «بتنفرحوتب» بن «بارت» و «ثانى» بن «بارت» فى البيت السالف الذكر. وانه ملكك ، وهو بيتك . وانك قد أرضيت قلبى بثمانه خلافا للعشر ($\frac{١}{١٠}$) الذى دفع للكتابة ومحصل ضرائب طيبة .

الصيغة القانونية : وليس لى أى حق مهما كان باسمه (أى البيت) وليس هناك أى رجل مهما كان ولا أنا سيكون فى قدرته أن يكون له سلطان عليه الا أنت من اليوم فصاعدا . وأن من سيأتى اليك بخصوصه فانى سأجعله يتنحى عنك . وانى سأطهره لك من كل حق ومن كل شئ مهما كان . وحقوقه هى ملكك فى كل مكان تكون فيه . وكل كتابة تكون قد عملت بخصوصه ، وكل كتابة تكون قد عملت لى بخصوصه فهى ملكك بالإضافة المحقوق التى تخولها . والحق المخول لى شرعا باسمه هو حقك . أما اليمين أو الاثبات الذى سيفرض عليك فى ساحة العدل باسم الحق المخول بالكتابة التى عملتها لك لتجعلنى أؤديه فأنى سأؤديه والبيت المذكور أعلاه ملكك وكل

(١) يقصد هنا بالزراع القصبة المصرية وكان مقدارها مائة ذراعا .

شئ يخصنى والذي سأحصل عليه . وستدفع لى خمس قطع فضة . أى خمسة وعشرون ستاتر (عملة أيونية) أى مائساوى خمس قطع فضة ثانية لأجل تحنيطى ودفنى .

كتبه « بتستو » بن « حور » .

وفى أسفل هذا العقد . صورة كاملة كتبها شاهد .

وعلى ظهر الورقة توقيعات ستة عشر شاهدا .

(٣) عقد نزول عن نفس البيت السابق من عهد الاسكندر الرابع :

التاريخ : السنة العاشرة شهر طوبة من عهد الفرعون « الاسكندر » بن

« الاسكندر » (= ٨ مارس سنة ٣٠٧ ق.م.) .

الطرفان : الطرف الأول : نحاس معبد « آمون » « باهى » بن « بآمون »

وأمه (هى) « تروباستى » .

الطرف الثانى : كالازيريس (=جندى) معبد « آمون » « بارت » بن « بانوفر »

وأمه هى « تارت » .

العقد : لقد جعلت قلبى يرضى عن النقد ثمنا لبيتى المبنى والمسقوف

والواقع فى القسم الشمالى من طيبة غربى حرم معبد الاله « متو » رب

« طيبة » والذي حدوده هى :

جنوبه : البيت المبنى والمسقوف بالاضافة الى بيتك الذى لم يبن بعد .

شماله : بيت « بتحار برع » بن « باكوس » المبنى والمسقوف ملك

أولادك ، وشارع الملك يفصل بينهما .

غربه : البيت المبنى والمسقوف بالاضافة الى الساحة التى عند بابه .

شرقه : باقى بيتك المذكور أعلاه الذى مقاسه $2 \frac{1}{4}$ قصبه من الأرض أى

ما مساحته ٢٥٠ ذراعا من الأرض أى $2 \frac{1}{4}$ قصبه من الأرض ثانية وهو

الذى بعته مقابل نقد لصانع الشمع « شنسو » بن « وزاحور » .

وهذه هى كل حدود هذا البيت .

وقد أعطيتك اياه وهو لك .

الصيغة القانونية : ليس لى أى حق مهما كان عليك باسمه (أى البيت)
وليس لأى رجل ولا أنا مهما كان سلطان عليه الا آنت من اليوم فصاعدا وان
من سيأتى اليك بخصوصه باسمى أو باسم أى شخص مهما كان فانى
سأجمله يتحنى لك عنه . وانى سأطهره لك من كل حق ومن امتياز ومن كل
شئ مهما كان فى أى وقت فهو ملكك وامتيازاته فى كل مكان تكون . وكل
كتابة قد كتبت بخصوصه وكل كتابة يكون بها حقى مشروعا فانها ملكك
بالاضافة الى الحق المخول بها . والحق المشروع لى باسمه هو ملكك واليمين
أو الاثبات الذى سيفرض عليك فى ساحة العدل باسم الحق المخول لك بوساطة
الكتابة المذكورة أعلاه والتي عملتها لك لتجعلنى أوديها ، فانى سأوديتها
(أى اليمين) وانى سأوديه دون ادعاء أى حق مهما كان عليك .

كتبه « بتوش » بن « الوج » .

وفى أسفل هذا العقد أربع نسخ شهود وعلى اليسار نسختان أيضا .

وعلى ظهر الورقة ١٦ توقيعاً للشهود .

وهذا الاتفاق تابع للتنازل التالى .

(٤) عقد تنازل عن نفس البيت السابق كما جاء فى الورقة رقم ٣ :

التاريخ : السنة العاشرة شهر طوبة من عهد الفرعون « الاسكندر » بن
« الاسكندر » (٨ مارس سنة ٣٥٧ ق.م.) .

الطرفان المتعاقدان : الطرف الأول : نحاس معبد آمون « پاهى ؟ بن
« بآمون ؟ وأمه هى « تروباستى » .

الطرف الثانى : كازاليريس (=جندى) معبد آمون « بارت » بن « پانوفر »
وأمه هى « بارت » .

العقد : لقد نزلت لك (عن حقى) فى بيتى المبنى والمسقف وهو الذى
فى القسم الشمالى من طيبة فى الغرب من حرم معبد « منت » رب طيبة

والذى حدوده هى :

جنوبه : البيت المبنى والمسقوف ويبتك الذى لم يبن .
شماله : بيت « بتحار برع » بن « باكوس » المبنى والمسقوف ملك
أولادك وشارع الملك يفصل بينهما .
شرقه : باقى البيت المذكور أعلاه والذى مقاسه $٢ \frac{١}{٢}$ قصبة من الأرض
وهو الذى بعته لصانع الشمع « شنسو » بن « وزاحور » .
غربه : يبتك المبنى والمسقوف بالاضافة الى ساحتك التى عند بابيه .
وهذه هى كل حدود هذا البيت المبنى والمسقوف ، والذى اشتريته منى ،
والذى من أجله عملت لك اتفاقا للبيع فى السنة العاشرة شهر طوبة من عهد
الفرعون المخلد أبديا .

الصيغة القانونية : ليس لى أى حق مهما كان عليك باسمه وليس لأى
انسان مهما كان ولا أنا القدرة فى التسلط عليه الا أنت من اليوم فصاعدا .
وأن من سيأتى اليك بخصوصه باسمى أو باسم أى شخص مهما كان فانى
سأجعله يتنحى عنك . ولك الحق على بمقتضى اتفاق البيع الذى عملته لك
بخصوص هذا البيت المبنى والمسقوف السابق الذكر فى السنة العاشرة شهر
طوبة من عهد الفرعون العائش أبديا ، وعلى أن أعمل بمقتضاه فى أى وقت
بخلاف كل شئ ذكر أعلاه دون أى تصادم .

كتبه « بتوش » بن « الوج » .
وفى أسفل هذا العقد وعلى يساره أربع نسخ من هذا العقد .
وعلى ظهر الورقة ١٦ شاهدا .

وهذا التنازل متعلق بالاتفاق السابق .

عقد تنازل عن بيت فى السادسة من عهد « الاسكندر » بن « الاسكندر الاكبر » :
توجد بالمكتبة الوطنية بباريس بردية تحت رقم ٢٤٤٠ مؤرخة بالسنة
الثالثة عشرة شهر هاتور من عهد الفرعون « الاسكندر » بن « الاسكندر

الأكبر» . وفيها نرى أن حانوتي الآلهة «موت؟ المسمى «نسخس» ابن «بتيجور» و «نسخس» ينزل عن بيت كتابة مقابل قهود الى «نسخس» ابنة «تيوس» و «تابا» وهو بيت مبنى ومسقوف يقع في القسم الشمالى من طيبة في غربى حرم معبد منت رب «واست» (طيبة) وحلوده هى .

جنوبه : بيت «نسخس» ابنة «بتنفرحوتب» ويفصل بينهما شارع الملك . شماله : بيت نجار معبد «آمون» «بابا» بن پآمون ، وبيت «بتوكر» ابنة نسحور أى بيتان من جهة الشمال .

شرقه : بيت «تنفرحوتب» ابنة «افعنخ» ، وهو بيت أولاده .

غربه : بيت «أرميس» بن «بتحار برع» الذى يفصل بينهما شارع الملك . وبعد هذا العقد الذى بيع فيه البيت بالنقد نجد عقدا آخر عن تنازل مؤرخ كذلك بشهر هاتور من السنة الثالثة عشرة من عهد الفرعون «الاسكندر» بن «الاسكندر الأكبر» ويحمل فى أوراق اللوفر رقم ٢٤٢٧ . وأساء الطرفين المتعاقدين فيه موحدان ولكن الصيغتين القانونيتين فيهما تختلفان . هذا ويلحظ أنه فى نفس عهد الاسكندر الرابع هذا فى السنة السادسة من حكمه شهر أمشير نجد أن ثلاثة أشخاص (نلحظ بينهم موظف فى معبد حكمه شهر أمشير نجد أن ثلاثة أشخاص) نلحظ بينهم موظفا فى معبد «آمون» يدعى «كلوج» قد نزل فى بردية تؤلف جزءا من مجموعة «هاى» (Hay) فى المتحف البريطانى لامرأة تدعى «تبوكر» ابنة «نسخسى» (ويحتمل أنها نفس المرأة التى ذكرت بين الجيران فى عقد السنة الثالثة عشرة باسم «بتوكر» ابنة «نسخس») عن بيت ملاصق تماما للذى تحدثنا عنه هنا وهو يقع فى القسم الشمالى من «طيبة» فى الغرب من حرم معبد «منت» رب «واست» (=طيبة) وحدوده هى :

الجنوب : بيت نجار معبد «آمون» «بابا» بن «آمون» .

الشمال : بيت نجار معبد «آمون» «بتخنس» .

الشرق : بيت نجار معبد «آمون» «پابا» بن «آمون» .

الغرب : شارع الملك (١) .

(٦) بردية جنازية : ولدنا بردية جنازية بالخط الديموطيقى لفرد يدعى «نسمين» عثر عليها في طيبة وأرخت بالسنة الثالثة عشرة من عهد الفرعون الاسكندر الثانى وجاء عليها اسم هذا الفرعون : كتبت في السنة الثانية عشرة الشهر الثالث «كيهك» من عهد الفرعون «الاسكندر» بن «الاسكندر» . ويلحظ هنا في كتابة اسم الاسكندر أن المخصص الذى جاء في نهاية الطغراء يدل على أنه من أصل أجنبى .

أما عن التاريخ الذى جاء على هذه الورقة وهو السنة الثانية عشرة فقد اختلفت فيه الآراء ، فيرى كل من الأثرى «بدج» و «اشيجلبرج» ان سنى حكم «الاسكندر الثانى» قد عدت منذ ولادته أى في نهاية عام ٣٢٣ ق.م لا منذ وفاة «فليب أريداوس» عمه الذى قتل في نوفمبر عام ٣١٧ ق.م. ولما كانت قد ذكرت هنا السنة الثانية عشرة فانها على ذلك تكون أما في نهاية ٣١٢ ق.م. أو بداية سنة ٣١١ ق.م. ويتفق مع هذا الرأى «مولر» (٢) .

وعلى ذلك فان لوحة الشرطبة «بطليموس» التى ستحدث عنها بعد وهى التى أرخت بالسنة السابعة من عهد «الاسكندر الثانى» لابد أن توضع في عام ٣١٧ أو ٣١٦ ق.م. أى في بداية الحكم الحقيقى لهذا الملك الصبى ، هذا الى أن ورقة «هاى» المحفوظة بالمتحف البريطانى والمؤرخة بالسنة السادسة لا بد أن تؤرخ بالسنة ٣١٨ أو ٣١٧ ق.م. وكذلك البردية رقم عشرة المحفوظة بمكتبة «ريلاندر» وقد أرخت بالسنة الثانية من حكم هذا الفرعون ، لا بد أن توضع في السنة ٣٢٢ أو ٣٢١ ق.م. أى في عهد كان فيه «فليب أريداوس» ملكا ، وكانت الآثار المصرية لا تعرف ملكا غيره وتكرر «الاسكندر» الصغير.

فهلا يكون من المعقول في هذه الحالة أن نعترف بأن آثار «الاسكندر» الثاني قد أرخت من أول توليه عرش مقدونيا بوصفه الملك الوحيد أى منذ موت «فليب» وأن وظيفة التأريخ هذه قد استمرت في مصر بعد موته حتى اللحظة التى أعلن فيها «بطليموس» شطربة مصر ملكا على أرض الكنانة أى في نهاية السنة ٣١٧ ق.م حتى نهاية السنة ٣٠٥ أو بداية ٣٠٤ ق.م ؟ وفى هذه الحالة فإن السنة الثانية عشرة من عهد «الاسكندر» الثانى تقابل السنين ٣٠٦-٣٠٥ والكسر في السنة الثالثة عشرة الذى نجده في كثير من الأوراق البردية الديموطيقية يقابل الشهرين الأخيرين من السنة ٣٠٥ ق.م وشهر يناير من سنة ٣٠٤ ق.م. وهذا رأى معقول جدا من الوجهة المصرية وذلك لأنه بعد وفاة «الاسكندر» الثانى ظلت البلاد بلا فرعون ، وهذا ما لم يعترف به المصريون بأية حال من الأحوال ولذلك أرخوا بفرعونهم المتوفى الذى كان يعد في نظرهم الها حيا بعد الى أن يحل محله آخر، فكان مثله في ذلك مثل «حور» و «أوزير» ومن ثم تفهم اصرار المصريين في هذه الحالة على التأريخ بعهد الاسكندر على الرغم من موته الى أن يحل محله فرعون آخر . وهذا الحادث الذى كان يعد في نظر الاغريق وقتئذ وفي نظرنا الآن أمرا غريبا كان في نظر المصرى القديم يعتبر أمرا عاديا .

(٧) لوحة الشطربة «بطليموس» المؤرخة بالسنة السابعة من عهد «الاسكندر» الثانى^(١) فرعون مصر :

هذه اللوحة نقش عليها منشور أصدره «بطليموس» شطربة مصر في عهد «الاسكندر الثانى» فرعون مصر ليحتفل بعودته من حملة موقعة في «مرميقا» (لوبياء) ، وكذلك ليرضى الآلهة والكهنة في مصر وذلك بتثبيت الهبات التى منحها «الاسكندر الثانى» لآلهة «بوتو» بعد أن كانت قد انتزعت منهم ،

(١) يعد هذا الملك «الاسكندر الثانى» بالنسبة لقراغة مصر « والاسكندر الرابع » بالنسبة للملك مقدونيا .

وكان الملك «خاباباشا» قد وهبها لهذه الآلهة عندما تسلم مقاليد الأمور في مصر بعد طرد «الفرس» ، ولكنه لما عزل ثانية استولى عليها «الفرس» من الكهنة ويعتبر الملك «خاباباشا» آخر ملك تولى عرش الكنانة قبل دخول «الاسكندر» مصر . وهذه اللوحة مؤرخة بالسنة السابعة شهر توت . وقد عثر عليها مبنية في جامع شيخون بالقاهرة عام ١٨٧٠ ميلادية وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى وقد تناولها بالبحث عدد كبير من الأثريين والمؤرخين وذلك لأهميتها العظيمة (١).

واللوحة مصنوعة من الجرانيت الأسود وشاهد في اعلاها منظران احدهما مثل فيه الفرعون يقدم قربانا «لحور» رب مدينة «ب» ومن الجهة الأخرى يقدم قربانا للآلهة «بتو» سيدة مدينتى «ب» و «دب» . وهاك نص المتن بوصفه صدر فى عهد الفرعون «الاسكندر الثانى» فرعون مصر الذى لم تطأ قدماء أرض الكنانة والذى لم يره أحد من المصريين على أغلب الظن .

السنة السابعة (أى فى السنة السابعة من حكم الفتى «الاسكندر الرابع» عند وفاة «فليب أريداوس» . الشهر الأول من فصل الفيضان فى عهد جلالة حور الفتى والغنى فى شجاعته والسيدتان (المسمى) محبوب الآلهة الذين منحوه وظيفة والده حور الذهبى (المسمى) حاكم الأرض طراء ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب الأرضين (جمع-ابرع-ستبى-امن) بن

(١) راجع Mariette Monuments Divers, Pl. 14 et texte Maspero P. 3, Brugsch A.Z. IX, 1871, P. 1 ff, Thesaurus, P. 853; Sethe, Hieroglyphische Urkunden der Griechische - Romischen Zeit, P. 11-22; Cf. Mahaffy, Greek Life and thought, p. 180-192; The Empire of the Ptolemies, p. 44-47; History of Egypt, p. 38-41; Budge, History of Egypt, P. 169-174 ; Bouche-Leclercq, Histoire des Lagides I, P. 104-108, Maspero Guide du visiteur, Ed. 1915, P. 199-200, No. 795 ; Bevan, A History of the Ptolemaic Dynasty, P. 28-32.

رع «الاسكندرية» عاش أبديا محبوب الـ«ب» و «دب» ، لما كان جلالاته ملكا على الأراضى الأجنبية في قلب «آسيا» كان «بطليموس» نائبا عظيما له في مصر . وكان رجلا في زهرة الشباب ، قوى الساعدين ، ذكى الفؤاد ، عظيم البطش بين الناس ، شديد البأس ، ثابت القدم مقاوما العاصي ، لا يولى الادبار ، ضاربا خصمه في وجهه في وسط المعركة . وعندما كان يقبض على قوسه فانه لم يرسله من بعيد على منزله ، وكان حربه بالسيف ، لم يقف أحد أمامه في وسط المعركة ، وبسبب قوة ساعده لم يكن هناك وقاية من يده ، ولم يكن هناك مرد لما يخرج من فيه ، ولم يكن هناك مثيله في عالم الأجانب ، وقد أعاد ثمانية تماثيل الآلهة التي وجدت في «آسيا» ، وكل الأثاث وكتب المعابد في شمال مصر وجنوبها أعادها الى أماكنها ، وقد اتخذ مقره في قلعة ، «الاسكندر» المختار من «رع» ؛ وتسمى «الاسكندرية» على شاطئ البحر الأيوني العظيم ، وكان اسمها فيما سبق «رقودة» وقد جمع كثيرا من الأيونيين والفرسان والسفن الكثيرة العدد ببجارتها عندما سار مع رجاله الى أرض «السوريين» الذين كانوا في حرب عليه فاخترق أراضيهم وكانت شجاعته هائلة كالصقر في وسط طيور صغيرة . وبعد أن أسرهم جميعا ، أخذ أمراءهم وفرسانهم وسفنهم وأعمالهم الفنية الى مصر ، وبعد ذلك عندما غزا قطر مرميقا (سيريني) واستولى عليها دفعة واحدة ساق رجالها أسرى ونساءها وخيلها - جزاء ما ارتكبوه الى مصر .

وعندما عاد الى مصر احتفل بيوم جميل ، وكان هذا الوالى العظيم يبحث عن أجل شيء ليعمله لآلهة الوجه القبلى والوجه البحرى ، ثم تحدث اليه الذى كان بجانبه وكبار أرض الوجه البحرى قائلين : « ان أرض البحر - أرض «باتانوت» اسمها - قدمناها الملك بن رع «خباباشا» العاش أبديا لآلهة «ب» و «دب» بعد أن كان قد ذهب جلالاته الى «ب» و «دب» لأجل أن يفحص كل أراضى البحر في أقليمها ، ويسير في داخل المستنقعات ليفحص كل فرع

للنيل يصب في البحر العظيم ويبعد أسطول « آ سيا » عن « مصر »
ثم تكلم جلالتة (أى « خباباشا ») لمن كان بجانبه : « دعنى أعرف أرض
البحر هذه » فتحدثوا الى جلالتة قائلين : « أن أرض البحر هذه (تسمى أرض
باتانوت) كانت ملك آلهة « ب » و « دب » منذ الزمن الأزلى . وأن العدو
« أكرركزس » قد اغتصبها ولم يترك شيئا منها لآلهة « ب » و « دب » .
فقال جلالتة يجب أن يحضر أمامه كهنة « ب » و « دب » وحكامها فأحضروا
بسرعة ، ثم تحدث جلالتة قائلا : أنبئوني عن صفة آلهة « ب » و « دب » وما
الذى فعلوه للكفار بسبب الأعمال الآثمة التى ارتكبها عندما رأى الخاطيء
« أكرركزس » قد عمل سوءا لبلدتى « ب » و « دب » واتزع أملاكهما .
فتحدثوا أمام جلالتة : (أيها الملك ياسيدنا « حور » بن « أزيس » وابن
« أوزير » حاكم الحكام وملك ملوك الوجه القبلى وملك ملوك الوجه البحرى
المنتقم لوالده سيد « ب » ، وأول الآلهة وآخرهم ، ومن لا بعده ملك . أطرده
المسيء « أكرركزس » مع بكر أولاده جاعلا إياه ظاهرا فى بلدة « نيت »
و « سايس » فى ذلك اليوم بجانب الأم الالهية) وعندئذ تكلم جلالتة : « أن
هذا الاله القوى بين الآلهة ومن لا ملك بعده سيكون الطريق لجلالتى ، وانى
أقسم بذلك » . وبعد ذلك تحدث الكهنة وحكام « ب » و « دب » : « (إذا)
ليت جلالتك تأمر بأن تمنح أرض البحر (وتسمى أرض « باتانوت ») لآلهة
« ب » و « دب » بالاضافة الى خبز وشراب وثيران وطيور وكل شئ طيب ،
وليت تجديد الهة يسجل باسمك بسبب فيضك على آلهة « ب » و « دب »
جزاء « على فضل أعمالك » .

وهذا النائب العظيم تحدث : (فليكتب منشور فى ادارة كتاب الملك
للمالية كما يأتى : « أنا « بطليموس » الشطربة أعيد لحور المنتقم لوالده رب
« ب » ووالى « بوتو » سيدة « ب » و « دب » أقليم « باتانوت » من هذا اليوم
الى الأبد مع كل قراه وكل بلدانه وكل سكانه وكل حقوله وكل مياهه ، وكل

ثيرانه وكل طيوره وكل قطعانه وكل الأشياء التى تنتج فيه كما كانت قبل ذلك الوقت ، بالإضافة الى كل ما كان قد أضيف منذ ذلك الوقت على سبيل الهبة التى وهبها الملك رب الأرضين «خاباباشا» العائش أبديا وليكن حدها الجنوبى اقليم بلدة «بوتو» والشمالى بلدة «هرموبوليس» حتى المكان المسمى «تاونبو» ، وليكن حدها الشمالى التلال التى على شاطئ البحر العظيم ، وليكن حدها الغربى منحى النهر حتى التلال ، وليكن حدها الشرقى مقاطعة «سمنود» وستكون عجولها (محصولا) للصقور العظيمة وثيرانها لمحيا الآلهة «نبتاوى» وفحولها للصقور العائشة والبانها للطفل الفاخر ، ودواجنها لمن فى «شات» الذى حياته فى نفسه. وكل الأشياء التى تستخرج من تربتها تكون لمائدة قربان «حور» نفسه رب «ب» و «بوتو» ، ورئيس «رع حرمخيس» ، أبديا . وأن الأرض التى منحها الملك - فى امتدادها - رب الأرضين وصورة «تائن» والذى اختاره «بتاح» بن «رع» «خاباباشا» العائش أبديا ، وهى هبة منه وقد جددت بواسطة هذا النائب العظيم لمصر «ببليوس» لآلهة «ب» و «دب» أبديا ومكافأة على هذا الذى عمل ليته يمنح نصرا وقوة بقدر ما يرغب فيه قلبه حتى أن الخوف منه يمكن أن يستمر بين كل الأمم الأجنبية الموجودة اليوم . أما فيما يخص أرض «باتانوب» فإن أى شخص سيجسر على أخذ شئ منها ليته يقع تحت طائلة لعنة أولئك الذين فى «ب» وتحت سخط أولئك الذين فى «دب» ، وليته يلتهم بلهب نفس الآلهة «اوبتاوى» فى يوم ثورانها وليت ابنه أو ابنته لا يقدم له ماء .

وستحدث عن محتويات هذا النص عند الكلام على أعنال ببليوس الأول:

(٨) الفنتين : وجد اسم الاسكندر الثانى على البوابة الكبيرة المصنوعة من الجرانيت فى «الفنتين» وهذه البوابة ليس لها خارجة وتوجد فى الجزء

الجنوبى من جزيرة الفنتين (١) .

وهاك ما جاء فى هذه البوابة :

ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب الأرضين (جمع - اب - رع -
ستب - نى - امن = فرح القلب المختار من آمون) ابن «رع» رب التيجان
«الاسكندر» معطى الحياة .

٩- بولاق : وجد فى حى بولاق بالقاهرة قطعة حجر ضخمة من الجرانيت
محفوظة الآن بالمتحف المصرى عليها اسم هذا الفرعون (٢) ، وهاك النص
الذى ورد عليها : وظيفة والده حور الذهبى (المسمى) حاكم البلاد
طرا ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب الأرضين (جمع - اب -
رع - ستب - نى - امن) العائش مثل «رع» أبديا ابن «رع» رب التيجان
(الاسكندر بن) « والمحتمل أن الكسر الذى جاء فى الطغراء كان فيه
كلمة «آمون» وذلك لأن والده كان يدعى أنه ابن «آمون» .

١٠ - سمنود : قطعة من الجرانيت عليها صورة الفرعون «الاسكندر
الثانى» عثر عليها فى «سمنود» ، جاء عليها : (رب) الأرضين (جمع - اب -
رع - ستب - نى آمون ؟) (رب التيجان) الاسكندر (٣) .
١١ - سمنود : وكذلك عثر على قطعتين من الجرانيت فى « سمنود »
جاء على احدها : «ابن رع الاسكندر» ، وعلى الأخرى لقبه : (جمع -
اب - رع - ستب - نى - أمن) الاسكندر (٤) .
١٢ - سمنود : فضلا عما سبق وجدت كذلك قطعتان من الجرانيت فى

(١) راجع L.D. IV, A.B. & C. = L.D. Texte IV. P. 123 ; J. De Morgan Catal. Monum. et Inscr. Egypt. Antique I, P. 109-112. Cf. Budge History VII. P. 168-169.

(٢) راجع Journal D'entrée, No. 43978 ; A.S. XII, P. 286.)

(٣) راجع (L.D. Texte. P. 221

(A.S. VII. P. 90. (٤) راجع

سنود جاء على الأولى ملك القطرين (الشاب عظيم البأس) ملك الوجه البحرى والوجه القبلى رب الأرضين (جمع - اب - رع - ستب - نى امن) بن «رع» رب التيجان (الاسكندر) معطى الحياة ؛ وملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، الاسكندر . ويلفت النظر فى هذا النقش أن اسم الوجه البحرى قد جاء قبل اسم الوجه القبلى على خلاف المعتاد فى كل النقوش فى هذا العهد وما قبله .

هذا وقد مثل على القطعة الثانية الملك أمام الاله «انحور - شو» بن «رع» سيد «سنود» ، وهو اله حرب فى تلك الفترة وما قبلها منذ عهد الكوشى فى مصر (١) .

ونقش على الثانية : ملك الأرضين (الشاب) ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «الاسكندر» (٢) .

١٣ - تمثال الاسكندر الثانى : يوجد بالمتحف المصرى تمثال ضخيم ارتفاعه ٢٨٠ سم مصنوع من الجرانيت الأحمر عثر عليه فى الكرنك وهو محفوظ الآن بالمتحف المصرى . وهذا التمثال يمثل ملكا مقدونيا ، والمتفق عليه بوجه عام أنه يمثل «الاسكندر» الثانى وذلك على الرغم من أن هذا الملك قد مات فى الحادية عشرة من عمره (٣) .

(١٤) المتحف البريطانى : وأخيرا يوجد بالمتحف البريطانى طابع من البرنز (B. M. No. 38333) جاء عليه ملك القطرين (جمع-اب-رع) وقد نُسبه

(١) راجع مصر القديمة الجزء الحادى عشر ص ١٠

(A.S. XI, P. 92.

(٢) راجع

(٣) راجع Maspero, Guide du Boulaq. P. 380-381 ; J. De Morgan-Virey, Notice des principaux Monuments de Gizeh, No. 308 ; Archeologie Egyptienne, Nouv. Ed. P. 240, Bevan, A History of Egypt under the Ptolemaic Dy. P. 29. Fig. 8).

الأثرى «هول» خطأ «للاسكندر الأكبر» كما قرأه خطأ أيضا . والواقع أنه
« لاسكندر الثانى » (١) .

(١) راجع Hall. Catal of Egyptian Scarabs etc., in the British Museum
Vol. I, P. 285, No. 3746.

الفرعون بطليموس الأول سوتر

١٩١٨

١٩١٨

بطالميس ستب-نى-رع-مري-امن

على الرغم مما لدى الباحثين فى تاريخ البطالمة من مصادر اغريقية كثيرة فانه لا تزال بعض المسائل يشوبها الغموض والابهام والسبب فى ذلك قلة التواريخ الأكيدة وبخاصة فى عهد «بطليموس» الأول ، يضاف الى ذلك أن الفترة التى سبقت عهد بطليموس فى العهد الفرعونى كانت ولا تزال موضع جدال وتقاش بين المؤرخين . والواقع أن تحديد تاريخ وثائق ديموطيقية من عهد «بطليموس» الأول يعد من الأمور المعقدة بسبب صعوبات التأريخ فى هذا العهد ؛ وربما تحل هذه الصعوبات بدورها عندما نعر على براهين جديدة من الوثائق الديموطيقية . والحوادث التاريخية التى تهمنا هى الاعتراف ببطليموس سوتر فرعوناً على مصر . ثم نزوله عن العرش لابنه «بطليموس» الثانى (أو كما يسمى حديثاً «فيلاذلفس» وذلك لأن هذا اللقب لم يطلق عليه قط مدة حياته بل هو اسم اخترعه المؤرخون للتمييز بينه وبين والده بطليموس الأول فقد كان كل منهما يدعى بطليموس وحسب) أو تنصيبه لبطليموس ابنه شريكاً له فى الملك ثم موته .

ولأجل أن تتبج خيوط هذا الموضوع المعقد يجدر بنا أن نرجع الى الوزراء بعض الشئ أى منذ موت «الاسكندر الرابع» . والواقع أن أحدث وثائق عن «الاسكندر» الرابع (الذى كان قد أصبح حكمه للبلاد بعد قتله فى عام ٣١١ ق.م اسطورة) اثنتان مؤرختان بالسنة الثالثة عشرة شهر هاتور = ٦

يناير - ٤ فبراير (١) . هذا ويقال بوجه عام أن «بطليموس الأول» قد اتخذ لنفسه لقب الملك عام ٣٠٥ ق.م ، ولكن لما كان من غير الجائز أن يستمر الكتاب المصريون في تأريخ وراثتهم بمهد «الاسكندر الثاني» بعد موته فمن المحتمل اذا أنه قد تولى عرش الفراعنة في عام ٣٠٤ ق.م ، هذا ويدل «قانون» «بطليموس» الجغرافي الذي يجعل مدة حكم الاسكندر الثاني اثنتى عشر سنة، على أن «بطليموس» الأول قد أصبح فرعوناً في خلال السنة المصرية ٧ نوفمبر سنة ٣٠٥ - ٦ نوفمبر سنة ٣٠٤ ق.م ، يضاف الى ذلك أن كلا من «ديدور الصقلي» و «بروفيرى» و «مارمور - باريوم» (Marmor-Parium) يجعل السنة ٣٠٥ - ٣٠٤ ق.م. وفق حساب كل منهما بداية حكم « بطليموس الأول »

وتدل شواهد الأحوال على أن « بطليموس » الأول قد توج فرعوناً على مصر بالاسم وبالفعل عام ٣٠٤ ق.م ، ولكن في الوقت نفسه نجد أن وثائق اغريقية قد أرخت بنظام مزدوج أى بسنة تتويج «بطليموس» ملكاً وبسنة ولايته شطربة على مصر . وذلك أنه في عام ١٩٠٦ ميلادية عثر على ثلاث برديات اغريقية مؤرخة على التوالي بالسنين ٤٠ ، ٤١ شهر ارتيميزيوس (Artemesius) و ٤١ شهر هيربراتايس (Hyperberataios) ، وعلى ذلك نجد هنا أن الكتاب الاغريقين في «الفنتين» كانوا يحسبون سنى حكم «بطليموس» بوصفه ملكاً على مصر منذ أول توليته شطربة على مصر في عام ٣٢٣ ق.م أى في السنتين المصريتين ٣٢٤ - ٣٢٣ ق.م أو ٣٢٣ - ٣٢٢ ق.م ، لا من أول التاريخ ٣٠٥ - ٣٠٤ ق.م أى عندما أعلن نفسه فرعوناً رسمياً على أرض الكنانة . وعلى حسب هذه القاعدة اذا فان الوثيقة التى كتبت في عام ٣٠٥ - ٣٠٤ ق.م. قد أرخت على حسب طريقة التأريخ اليونانى بالسنة

٢٠ أو ١٩ من عهد «بطليموس» الأول ، وعلى ذلك يكون «بطليموس» قد حسب بداية حكمه من ٣٢٤ - ٣٢٣ ق.م ، ولكن الأثرى «روبنسون» يقول: أنه لما كانت سنو حكم «فليب اريداوس» و «الاسكندر الرابع» قد استعملت في تأريخ كثير من الوثائق حتى عام ٣٠٦ - ٣٠٥ ق.م (والواقع حتى عام ٣٠٥ - ٣٠٤ ق.م) فانه لا توجد وثيقة من عهد «بطليموس الأول» بأقل من عام ١٩ من حكمه دون أى تخصيص آخر غير اسم «بطليموس» اذا فلا بد أن تكون من عهد بطليموس آخر بعده (١) .

وعلى ذلك فان هذه النظرية تحرم «بطليموس سوتر» من كل الوثائق الديموطيقية التى تنسب اليه عادة الا وثيقتين مؤرختين بالسنة الواحدة والعشرين من حكمه ، ولكن مما تجب ملاحظته هنا فى الحال أن هذه الوثائق الديموطيقية قد وزعت على السنين من ٤ - ٢١ من حكم «بطليموس الأول» وأنه فى العام الواحد والعشرين من حكمه (وذلك على حسب قانون «بطليموس» الذى يقدر سنى حكم هذا الفرعون بعشرين سنة كاملة) قد نزل «بطليموس الأول» لابنه «بطليموس الثانى» (أو أشركه معه فى الحكم) وعلى ذلك توجد وثائق مؤرخة حتى السنة الأخيرة من حكمه منفردا (ولكن ليس بعد هذا التاريخ) هذا اذا فرضنا أنه عد سنى حكمه على عرش مصر منذ اللحظة التى أصبح فيها ملكا عام ٣٠٤ ق.م ، وعلى ذلك فانه اذا اجتمع فى وثيقة واحدة الالاقاب التامة التى كانت تميز بطليموس الأول ، هذا بالاضافة الى تحديد تاريخ خط الوثيقة وسياق متنها وظهر أن جميعها يتمشى مع ما نعرفه عن عصر البطالمة المبكر فان أية وثيقة من أى سنة حتى عام ٢١ على الأقل لا بد أن تؤرخ بعهد «بطليموس سوتر» وهذا ما يتعارض مع نظرية «روبنسون» السالفة الذكر . وهذا رأى الأخير هو مذهب اليه الأستاذ

O. Rubensohn, Elephantine - Papyri (Berlin 1907), 2-4 :

Cf. Hibeh 84; Glanville Catalogue of Demotic Papyri.

P. XVI.

جلانفيل (١) . وعلى أية حال فانه على حسب نظام التأريخ المزدوج نجد أن لقب الملك «ببليموس» قد حل محل لقب الشطربة «ببليموس» وهذا معناه تجاهل حكم كل من «فليب أريداوس» و «الاسكندر الرابع» . ولكن في مصر التي كانت تتمسك بحكم الفرعون نجد أن الكاتب المصرى الذى كان يدون وثائقه بالديموطيقية قد رفض قبول نظام التأريخ السالف الذكر ، فحسب ملكية «ببليموس الأول» من يوم وضعه تاج الفراعنة على رأسه فعلا ، ومن ثم أصبح لدينا الظاهرة الغريبة وهى كما قلنا وجود نظامين للتأريخ يستعملان جنبا لجنب فى زمن واحد وهما يختلفان الواحد عن الآخر بثباني عشرة سنة . ومن المحتمل أنه يوجد بعض الاغريق الذين كانوا يسكنون القرى المصرية قد استعملوا التأريخ على حسب النظام الديموطيقى وذلك مجازاة للاغلبية المصرية التى تسكن الارياف التى ليس فيها الا قصر قليل من الاغريق ، ولدینامثال عن ذلك وهو النقش الذى كشف عنه الاثرى الايطالى «فوليانو» فى مدينة «ماضى» من أعمال الفيوم (٢) . ويؤرخ بالسنة الثانية والعشرين من شهر بشنش من عهد «ببليموس سوتر» وتدل قراءته على أنه على أغلب الظن يفضل أن يؤرخ بعام ٢٨٣ ق.م وذلك لأن مجرد استعمال الشهر المصرى وحده دون ذكر ما يقابله فى التأريخ المقدونى - وهذا أمر غريب جدا - لا يكاد يصدق فى التأريخ المبكر من عهد البطلمة.

تاريخ اشترك ببليموس الثانى مع والده ببليموس الاول

وفى تاريخ ٢٥ أو ٢٦ من شهر «دبستروس» (المقدونى) أى حوالى مارس - أبريل من عام ٢٨٥ ق.م. أشرك «ببليموس سوتر» ابنه معه فى عرش ملك مصر وبعد ذلك بنحو عامين مات «ببليموس سوتر» تاركا لابنه العرش سنفردا . هذا ولا نعلم على وجه التأكيد الى أى حد جرد «ببليموس الأول»

نفسه من سلطان الملك في عام ٢٨٥ ق.م . فانه اذا كانت كلمات المؤرخ «بروفيري» (١) توحى بأن «بطليموس الأول» قد نزل عن ملك مصر نزولا كلبا فان كل الوثائق الاغريقية والديموطيقية توضح أن «بطليموس سوتر» حتى نهاية حياته كان الملك الوحيد على عرش مصر . وبعد وفاته عزم ابنه «بطليموس الثاني» على أن يؤرخ زمن حكمه منذ السنة التي اشترك فيها مع والده في الملك . ومن ثم نرى أن سنى حكم الأخير قد أرخت نهائيا على هذا الزعم، غير أن هذا النظام قد صادف في أول الأمر معارضة شديدة وبخاصة في القرى وبين كتاب الديموطيقية . ولدينا مثالان مؤكدان يشتان ذلك أحدهما اغريقى والآخر ديموطيقى عن توليه الحقيقى لعرش الملك عند موت والده (٢) (حيث نجد مناقشة تأريخ السنة الثالثة عشرة ٢٥ أمشير على احدى اللوحات الهيروغليفية) . ويميل المؤرخ « سكيت » (Skeat) الى الرأى القائل أن عددا عظيما من الأوراق الديموطيقية من العهد المبكر من حكم «بطليموس الثاني» قد أرخ من زمن موت «بطليموس الأول» وبخاصة ورقة « فيلادلفيا » التي تحدث عنها الأثرى « ريخ » (٣) . وهذه الورقة مؤرخة بالسنة الثالثة شهر طوبة من عهد «فيلادلفس» «بطليموس الثاني» ، واذا حسب أول اشتراكه مع والده «بطليموس الأول» فلا بد أن تكون قد كتبت في مارس ٢٨٢ ق.م وذلك حينما كان من الجائز أن «بطليموس الأول» لا يزال على قيد الحياة ، وعلى حسب النظام الآخر فان التأريخ يرجع الى مارس سنة ٢٨٠ ق.م . ولكن في معظم الحالات يكون من المستحيل أن يقرر الانسان أى النظامين قد استعمل . ومن المحتمل أنه فيما يخص معظم الوثائق الاغريقية وعلى وجه التأكيد كل الوثائق الرسمية كان

Frag. 7 § 1 Muller.

(١) راجع P. Eleph. 5; Cf. Beloch. op. cit. IV, II, 170; C.C. Edgar
(٢) راجع in Mond & Meyers 'The Bucheum II, P. 29.

Reich Mizraim II, P. 17, No. X.

(٣) راجع

تاريخها من أول اشتراك الملكين في الحكم هو النظام المتبع منذ البداية. وهكذا نرى أنه على الرغم مما أوردناه هنا من مناقشات في تاريخ تولى «بطليموس الأول» الحكم وتاريخ وفاته فإن المسألة لا تزال تحتاج الى وثائق جديدة تبيط اللثام بصورة واضحة عن حقيقة الأمر .

ونعود بعد ذلك الى عهد تولى « بطلينوس الأول » عرش ملك أرض الكنانة بوصفه فرعوناً مستقلاً في ملكه على غرار فراغة مصر في عهدها القديمة .

والواقع أنه منذ عام ٣٠٤ ق.م كان «بطليموس الأول» فرعوناً لمصر ويمثل السلطة الالهية التي كان يتحلى بها الفراغة القدامى ، ولكن على الرغم من أن «بطليموس» لم يتوج فعلاً فرعوناً لمصر في عام ٣٠٥ ق.م فانه كان كما ذكرنا قد أفهم الشعب أنه ملك مصر منذ موت « الاسكندر الأكبر » عام ٣٢٣ ق.م.

والآن يتساءل المرء كيف أصبح «بطليموس» فرعوناً شرعياً على مصر مع أنه كان لا يجرى في عروقه الدم الالهى بوصفه ابن «رع» أو ابن «آمون»؟. وكل مانعرفه عنه في بداية حياته أنه ولد حوالى عام ٣٦٧ ق.م. في مقدونيا وكان أبوه يدعى «لاجوس» وأمه تدعى «أرسنوى» وقد نفاه الملك «فليب الثانى» ملك مقدونيا والد «الاسكندر الأكبر» عام ٣٣٧ ق.م. بسبب ماكان بينه وبين الاسكندر من ود وصداقة ، ولكن بعد موت «فليب» اسرع «الاسكندر» الى اعادته الى البلاط . ولا نعلم اذا كان قد رافق «الاسكندر» في حملته على مصر أو لا كما لا نعرف اذا كان قد عرف أرض الكنانة قبل أن يعينه المجلس الحربى الذى عقده قواد «الاسكندر» بعد موت الأخير شطربة على مصر ، وعلى أية حال فقد رأيناه في خلال حروب «الاسكندر» قد أظهر شجاعة عظيمة ومهارة فائقة كما أبدى مقدرة ممتازة في حكم البلاد المصرية من عام ٣٢٣ ق.م حتى عام ٣٠٥ بوصفه شطربة .

و لواقع أن ما لدينا من مصادر أصيلة قد أغفلت ذكر تنويج «بطليموس الأول» على الطريقة المصرية ، غير أن شواهد الاحوال تدل دلالة واضحة لا لبس فيها ولا ابهام على أنه كان قد توج فرعوناً . ولا بد أن نعلم أن بطليموس الأول نفسه كان على علم تام ألا سبيل لحكم البلاد المصرية دون أن يسير على نهج ملوكها القدامى وبخاصة عندما تتأكد أن مصر كانت تلفظ أى فاتح أجنبى لا يدين بدينها ويتعبد لالهتها ، وعلى ذلك فان «بطليموس» لا بد كان قد توج فى «منف» بمعبد الاله «بتاح» الذى كان يتوج فيه كل ملوك مصر منذ فجر التاريخ ، ومن ثم أصبح ملكاً شرعياً على أرض الكنانة غير أن بنوته لآمون لم تصل إلينا فى عهده بل سئى ذلك فى عهد ابنه وخلفه «بطليموس الثانى» الذى جعله فى صف الملوك الشرعيين على مصر على غرار «الاسكندر الأكبر» .

حالة البلاد المصرية عند تولي بطليموس حكمها

عندما فتح «الاسكندر الأكبر» البلاد المصرية كانت الاحوال فيها مضطربة بسبب الحروب الطاحنة التى كانت قائمة بينها وبين الامبراطورية الفارسية منذ زمن بعيد . وقد كان الشعب المصرى يتوق للخلاص من يد «الفرس» بأية حالة من الاحوال ولذلك نرى أنه عندما دخل «الاسكندر» أرض الكنانة لم يجد مقاومة ما ، ولم يكن يدور بخلد المصريين أنهم سيصبحون خاضعين لحكم المقدونيين وسيطرتهم وبخاصة أن الشعب المصرى كانت له نظمه وتقاليده الخاصة التى ترجع الى آلاف السنين ، وقد بقى محافظاً عليها فى وجه كل مغتصب أو فاتح مهما كانت قوته وجبروته ، ولذلك فان موضوع احتلال مصر وصبغها بالصبغة الاغريقية قد لاقى مقاومة عنيفة وجهداً جباراً . وقد كان فلاح البطالة فى بادئ الأمر محدوداً ، ولم يلبث الشعب المصرى كما سئى بعد أن اشتدت مقاومته فاسترد قوته وحارب المستعمر حتى اضعفه الى حد كبير

والواقع أن الاغريق بقوا في مصر غرباء بين جمهور الشعب المصرى الكثير العدد الى أن انتهى به الأمر أن هضم الدخلاء وكاد يفنيهم فيه لولا تدخل الرومان في آخر لحظة .

ولقد كان على «بطليموس الأول» في بادئ حكمه أن يواجه مصاعب جمة في بلد له تقاليد القوية ومدنيته المكينة المنظمة ودينه العريق وحياته الاجتماعية الثابتة فكان عليه أن ينظم هذه الأوضاع على أسس جديدة ومبادئ جديدة على حسب سياسة اغريقية . ولا نزاع في أن هذه الأسس وهذه المبادئ التى كان يرمى الى ادخالها «بطليموس» كان مرجعها الى الأحوال الجديدة التى كانت سائدة فى الشرق فى خلال القرن الرابع بسبب ماحدث فى بلاد الاغريق مصدر الحضارات العالية وقتئذ من نكسة وانهايار سياسى اتابها مما جعل المواطنين الاغريق على تمام الاستعداد للرحيل من بلادهم لأى مكان آخر يطيب لهم فيه العيش بعد أن ضاقت عليهم بلادهم وقلت ارزاقها . وقد رأينا فيما سبق أن الاغريق كانوا راغبين فى الذهاب الى مصر التى رحبت بهم فأقاموا فيها وبخاصة فى العهد الساوى حيث أسسوا لأنفسهم مستعمرة هناك واندمج كثير منهم فى سلك الجيش المصرى من المرتزقين . وقد ساعدوا ملوكها على قهر الاشوريين وطردوهم من أرض الكنانة ، وقد ازداد عدد الوافدين الى مصر من بلاد الاغريق بدرجة عظيمة ما بين عامى ٤٠٤ و ٣٤١ ق.م وذلك عندما كانت مصر مستقلة عن الحكم الفارسى ، وفى تلك المدة أخذت مصر تهىء نفسها لنظام جديد ، وذلك أن ما بذلته من جهود للمحافظة على استقلالها قد اضطرها الى الدخول فى حظيرة دول القرن الرابع التى نشأت من امبراطورية «الاسكندر الأكبر» ، وتربط نفسها برباط قوى مع العالم الاغريقى الذى كان يناهض «الفرس» اعداء مصر الالداء ، ومعنى ذلك أن «بطليموس الأول» كان يريد أن يصنع مصر فى داخليتها بالصبغة الهيلانية بما فيه مصلحتها . وقد سبقت مصر ملوك البطالمة فى هذا الاتجاه بدرجة

كبيرة في عهد فراغة مصر خلال الأمتين التاسعة والعشرين والثلاثين .
ذفرى مصر فى تلك الفترة قد فتحت أبوابها على مصاريها فى تلك الفترة
للجنود الاغريق المرتزقين وللتجار الاغريق بسبب الحاجة اليهم . غير أن
فراغة مصر لم يفلحوا فى الوصول الى حل يوفق بين هؤلاء المحاربين الاغريق
والسكان المصريين الوطنيين ؛ فقد كان المصريون لا يطيعون بقاء الاغريق فى
بلادهم كما كانوا لا يريدون النزول لهم عن شىء من حقوقهم .

يضاف الى ذلك أنه كان هناك أمر آخر يحدد سياسة «بطليموس» فى
مصر ، وذلك أن مصر كانت جزءا من امبراطورية «الاسكندر» القصيرة
العمر ؛ وكان «بطليموس بن لاجوس» قد حكمها مدة عشرين سنة بوصفه
شطربة باسم الادارة الرئيسية التى كانت فى الواقع فى قبضة أحد قواد
الاسكندر . وقد رأينا أن هذه المدة كانت مليئة بالحروب والاضطرابات فى
كل انحاء الامبراطورية بين حكام الاقاليم التى كانت تنقسم اليها الامبراطورية .
وقد كان «بطليموس» فى وسط هذه المعمة يعمل جهده كما رأينا ليثبت
مركزه فى مصر وتكوين جيش واسطول قوين لا لحماية مصر وحسب بل
كذلك ليقوم بنصيبه فى حروب الامبراطورية . ومع ذلك فانه أخذ فى انشاء
جيش واسطول قوين ليكونا تحت تصرفه وكان ذلك له بمثابة حياة أو موت .
وقد نجح فى تكوين قوة عظيمة تحت تصرفه ؛ وقد بقيت الحال كذلك حتى
بعد موقعة «اسوس» عام ٣٠١ ق.م . وقد ظهر بعدها توازن فى القوى الدولية
التي قامت وقتئذ فى العالم الهيلانستىكى ، أى أنه تقرر نظام سياسى فى أنحاء
الامبراطورية المنحلة الى دول كان الضمان الوحيد فيه لاستقلال أى قطر هو
القوة الحربية والاستعداد العسكرى . وكان الجيش الوحيد الذى يمكن
«بطليموس» أن يعتمد عليه وهو فى مأمن كان لابد أن يؤلف من الجنود
المرتزقين من المقدونيين والاغريق بقيادة ضباط مدربين على فنون الحرب
لاغريقية وتقاليدها ، ولا غرابة فى ذلك فان تفوق مثل هذا الجيش الفنى قد

برهت على أهميته حملات «الاسكندر» التي فتح بها العالم وكذلك ظهرت براعة الجنود الاغريق في الحروب التي شنها اخلافه من بعده بعضهم على بعض . وفضلا عن ذلك فان مهارة هؤلاء الجنود المرتزقين كانت من قبل بارزة في حروب اليونان مع «الفرس» قبل حروب «الاسكندر» . والواقع أن فرق الجنود الشرقيين لم يكونوا مدربين تدريبا كافيا كما أنهم لم يكونوا مواليين لأى ملك أجنبي حتى يجعلهم عماد قوته أو معادلين للمقدونيين والاغريق كما أنه لا يمكن أن يعتمد عليهم كلية حتى يستغنى عن الجنود الاغريق . وربما كان من الممكن «للاسكندر» الذى يعد السيد المسيطر على امبراطوريته العالمية أن يدرب جنودا من «الفرس» على فنون الحرب المقدونية ليتغلب بهم على مقاومة المقدونيين والاغريق ، وبذلك يحصل على امتزاج شعوب ومدنيات ، غير أن «الاسكندر» كان قد مات ، على أثر ذلك صارع أخلافه الى شن الحروب بعضهم على بعض ، ولم يجسر واحد منهم على أن يواجه تلك التجربة الطويلة الخطرة ويؤلف جيشا من الجنود الوطنيين وعلى ذلك كانوا مجبرين على الاعتماد على جيوشهم المؤلفة من الاغريق والمقدونيين لأجل أن يضمنوا خدمة أمينة وواردا من الجنود لا ينقطع سيله فى مقابل اعطاء عساكرهم مكانة ممتازة لهم وحياة آمنة فى الحرب والسلام . ولمعمرى فان هذه الطريقة كانت متبعة فى الجيش المصرى وقد تحدثت عنها المتون المصرية وبخاصة فى عهد رمسيس الثانى عندما أشار الى ذلك فى موقعة «قادش» وهو يخاطب جنوده (راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٢٥٥) بما يشعر أنه كان قد خصص لهم املاكا ، وقد كان الملوك المقدونيون فى حاجة المال لحفظ كيان ممالكهم ، وقد كانت المبالغ الضخمة التى تتطلبها ميامسة الحرب وقتئذ فى مصر لا يمكن أن يحصل عليها من البلاد وحدها وبخاصة أن معظم اقتصادها كان يركز على محاصيلها الطبيعية ، وكان لا بد لاعانة نظامها الاقتصادى وتوجيهه من معونة رجال من الاغريق الماهرين ، ولم يكن ذلك ممكنا الا بجلب

رؤوس اموال اغريقية ورجال أعمال اغريق . ومن الطبيعي أن هؤلاء كانوا لا يرضون بمكانة أو حقوق متواضعة تجعلهم مع المواطنين المصريين على قدم المساواة ، ومن ثم نجد أن «بطليموس الأول» قد فطن لذلك واضطر الى فتح أبواب مصر على مصاريحها للجنود المرتزقين والمدنيين من الاغريق على أن يضمن لهم بطرق متنوعة امكانيات الحياة في مصر بالأسلوب الذى يحفظ لهم الافضلية والسيادة على المواطنين المصريين الأصليين .

وقد كانت «الاسكندرية» وهى العاصمة الجديدة مركز التأثيرات الجديدة التى قامت على أرض الكنانة . فقد كان يسكن فيها الملك وبلاطه وحرسه وضباط جيشه ووزرائه كما كان يعمل فى «الميزيوم» والمكتبة جنبا لجنب عظماء رجال الفكر من الاغريق وبخاصة الفلاسفة والعلماء والكتاب ليضعوا أسس عصر جديد فى العلوم والآداب . يضاف الى ذلك أن الامكانيات التجارية العظيمة التى كانت تمتاز بها الاسكندرية قد اجتذبت اليها أفواجا من التجار الاغريق والصناع فى حين أن نمو هذه المدينة بوصفها المركز الاقتصادى لمصر قد خلق فيها طبقة متوسطة من الشعب ومن صفار التجار والصناع وما شاكل ذلك ، هذا الى وجود طبقة دولية معظمها من الاغريق، غير أن «بطليموس الأول» حينما فتح أبوابه للاغريق والمقدونيين فانه واخلافه من بعده لم يفلقوها فى وجوه الأقوام الآخرين، ولا أدل على ذلك من أنه قد ظهر فى الاسكندرية مجتمعات من المهاجرين من الشرق نخص بالذكر منهم السوريين والأناضوليين وفى مقدمة الكل اليهود الذين يعتبرون فى تكوينهم الاجتماعى أنهم لا يختلفون كثيرا عن الاغريق والمقدونيين ؛ أضف الى هؤلاء أن العنصر المصرى كان فى ازدياد مع مر الأيام ، وكذلك العبيد الذين أسروا فى الحروب أو جلبوا من «آسيا» و «افريقيا» وسرى بعد كيف كانت «الاسكندرية» عاصمة البطالمة مؤلفة من خليط من اجناس متنوعة .

أما أهل ريف مصر (القرى) فكانوا مزيجا من الاجناس فمنذ عهد «بسمتيك»

الأول مؤسس الأسرة السادسة والعشرين في مصر قد وفد الى أرض الكنانة جماعات من الاغريق واستوطنوها وبعد ذلك اسسوا لهم مدنا اغريقية نخص بالذكر منها تقراش و «برتوريم» (مرسى مطروح) كما استوطن بعضهم المدن الكبيرة مثل منف وطيبة . وبعد فتح مصر على يد «الفرس» وفد الى مصر اعداد متزايدة من اليهود والسوريين وكذلك الجماعات التي كان يطلق عليها لفظة «فرس» وكانوا يعملون جنودا وموظفين وجباة وغير ذلك . وعندما دخل «الاسكندر» مصر ازداد تدفق الأجانب على البلاد وقد أقيمت حاميات من الجنود الاغريق والمقدونيين في النقاط الدفاعية الرئيسية في البلاد ، وفي الوجه القبلى اسس «بطليموس سوتر» مدينة «بطليماس» لتضارع مدينة «طيبة» القديمة كما كانت «الاسكندرية» تضارع مدينة «منف» . وقد توطن في انحاء مصر كما سنتحدث عن ذلك بعد جنود من الاغريق كان لكل منهم قطعة أرض يملكها . هذا وقد ظهر في طول البلاد وعرضها موظفون اغريق ومقدونيون في حين أنه استوطن في المدن الصغيرة والقرى فئات من التجار واصحاب الحرف والفلاحين الاغريق والشرقيين .

وعلى أية حال يجب أن نلاحظ هنا أن كل هؤلاء السكان من الأجانب لم يكونوا بطبيعة الحال الا مجرد الجزء العلوى من المبنى الذى يمثل السكان عامة ، أما الأساس فكان لا يزال كما كان من قبل في كل عصور التاريخ وعلى الرغم من كل الغزوات الاجنبية ، يتألف من السكان الوطنيين أهل البلاد . ومما يؤسف له جد الأسف أننا لا نعلم شيئا عن مصير الطبقة الارستقراطية في مصر بعد الفتح الاسكندري لمصر فقد سكنت عنها كل المصادر التي وصلت الينا حتى الآن ولكن من جهة أخرى نعلم أن المعابد قد ظلت مراكز للحياة الدينية فكانت تعج بالكهنة العديدين كما أن نظمها بقيت ثابتة الأركان وكذلك أسلوب حياتهم التقليدى الذى يرجع الى آلاف السنين فقد ظل كما هو ؛ وعلى الرغم من أن الاحصاءات تعوزنا فان البلاد كانت في يد الفلاحين الذين كانوا

يسكنون فى آلاف من القرى ، كما أن الحرف والمتاجر فى المدن قد بقيت فى يد مئات من طوائف الصناع والتجار . هذا ولا بد أن عدد السكان فى الفترة الأولى كان يعد بالملايين ، والمهاجرين يعدون بالآلاف . هذا وقد كان للمواطنين الأصليين تقاليد ثابتة فى الحياة ، فى حين كان المهاجرون الذين انتزعوا من أوطانهم لم يكن فى مقدورهم أن يبنوا لأنفسهم نظاما جديدا فى مركزهم الجديد وأحوالهم الجديدة الا على مهل وببطء وحزم . والواقع أن المسألة الأساسية التى واجهت «بطليموس الأول» عند بداية حكمه هى أن ينظم من جديد مملكته الشرقية الجديدة على قواعد جديدة غربية مع مراعاة أن المصريين كانوا متمسكين بتقاليدهم الموروثة ، وكذلك كان عليه أن يراعى مشاعر رعاياه الجدد وميولهم . وقد وفدوا على مصر من كل حذب وصوب ؛ وكذلك كان عليه أن يذكر دائما أن الحصن الرئيسى لحكمه وعماد سياسته لم تكن العناصر الوطنية بل كانت طبقة الحكام الجدد الذين بشهم فى انحاء القطر ليكونوا أداة لتنفيذ سياسته ، واعنى بهؤلاء الاغريق والمقدونيين والاجانب الآخرين . وسنرى فيما بعد كيف أن المصريين على الرغم من خضوعهم فى بادئ الأمر لعمال البطالة فانهم بعد مدة هبوا بانتفاضة جبارة كان من جرائها أنهم أجبروا ملوك البطالة على الازعان لارادة الشعب والخضوع لمشيئته ، وليست هذه هى المرة الأولى فى تاريخ أرض الكنانة بل سبقتهما مواقف مشرفة للشعب المصرى أظهر فيها أنه جدير بماضيه الفاخر .

تلك كانت حالة البلاد المصرية عندما توج «بطليموس الأول» فرعوننا عليها وسنرى فيما يأتى ما قام به من أعمال تحدد موقعه فى التاريخ المصرى لهذه الفترة .

النزاع بين « بطليموس » الأول « واتييجونوس »

« أتييجونوس » يزحف على مصر :

كان « اتييجونوس » يعتقد أن بعد انتصاره في موقعة « سلاميس » أو (سلامين) واختيار الشعب له ملكا على البلاد التي يحكمها ، سيكون هو الملك الذي يخلف « الاسكندرية » ومن أجل ذلك صمم على أن يخضع كل مناهض أو معارض في أمنيته من حلفائه أو أعدائه . وقد كان أول من ناصبه العداء وأعلن نفسه ملكا هو « بطليموس الأول » ، وذلك على الرغم من الهزيمة المنكرة التي هزمها في « رودس » . فلما رأى ذلك « اتييجونوس » أخذ يعد العدة لغزو مصر على نطاق ضخم جبار . وليس لدينا مصادر عن حملة « اتييجونوس » على مصر الا ما رواه لنا ديدور^(١) فقد ذكر لنا أن جيش « اتييجونوس » كان يتألف من أكثر من ثمانين ألف مقاتل من المشاة وأكثر من ثلاثة وثمانين فيلا ، وكان يقودها هو بنفسه . أما أسطوله فكان يتألف من مائة وخمسين سفينة حربية ومائة سفينة نقل محملة بالآلات الحصار ، كانت بأمر « ديمتريوس » ابنه ليهاجم « بطليموس » العنيد الذي أراد أن يناهض من هو أشد منه بأسا وأعظم قوة . ولم ينس « اتييجونوس » أنه سيقطع صحراء جرداء ليصل الى الحدود المصرية . ولذلك فانه لما وصل جيشه الذي جمعه في مدينة « اتييجونيا » (وقد سميت باسمه — من أعمال سوريا) الى « غزة » ، أمر جنوده على حسب مارواه « ديدور » بأن يحملوا معهم من الزاد ما يكفي عشرة أيام ، هذا الى أنه حمل على ظهور الجمال التي قدمتها له عرب الصحراء ١٣٠٠٠٠ ميلم (Midime) من القمح وكمية كبيرة من العلف للحيوان . وعلى الرغم من

هذا العتاد الضخم فان الحظ لم يكن في جانب «اتيجونوس» ، وذلك لأنه كان يريد الاسراع بضرب «ببليموس» ضربة مفاجئة قبل أن يأخذ لنفسه الحيلة . ويرجع ذلك الى أن الوقت الذي انتخبه لم يكن ملائما اذ ص إلى الحدود المصرية في مستهل فصل الفيضان أى في الوقت الذي كانت فيه معظم أراضي القطر المصرى مغمورة بالمياه مما جعل مرور الجيش داخل البلاد المصرية من أشق الأمور برا ، يضاف الى ذلك أن البحر في هذه الفترة كان هائجا عاصفا ، وهذا هو نفس الخطأ الذي وقع فيه جيش «الفرس» في عهد «نقطاب» الأول عندما أرادوا غزو مصر وحال بينهم وبين مقصدهم ماء الفيضان (١) وعلى ذلك فان «اتيجونوس» بعد أن واصل السير في مستنقعات الساحل بمشقة بالغة اضطر الى الوقوف بسبب اعتراض فرع النيل البلوزى له ، وكان يعد سدا أبديا هيأته الطبيعة لحماية أرض الكنانة . أما أسطول الغزاة فقد لحقت به خسارة كبيرة بسبب هبوب الرياح عليه باستمرار في تلك الفترة من السنة ، وكانت خسارته ظاهرة في سفن النقل عند ساحل « رفح » . هذا الى أنه وصل متأخرا في النقطة التي كان سيرسو عندها أسطولها ، ومن ثم لم يقد بما كان ينتظر منه القيام به ، وقد زاد الطين بلة أن جنود «اتيجونوس» المرتزقين قد أخذوا في الفرار من معسكره الى معسكر «ببليموس» الذي أغراهم بأجر أكبر مما يعطيه عدوه ، ومن أجل ذلك اضطر «اتيجونوس» الى التقهقر الى «سوريا» في الوقت المناسب خوفا من أن يلاقى ما لاقاه «برديكاس» من قبل . وقد كانا متفقين في أطماعهما . ولا ريب في أن هذا التقهقر قد قضى على سمعة «اتيجونوس» الحربية كما قلل من نصره في موقعة «سلامين» . وعلى أثر هذا الفشل الذي لحق «باتيجونوس» أسرع «ببليموس» في نقل هذا الخبر الى كل من «سيلوكوس»

و « ليزيماكوس » و « كاسندر » بصورة ماهرة اذ أنباهم أن هزيمة « اتيجونوس » كانت ساحقة ، هذا فضلا من أن جيشه قد أغرى بالمال كما حدثنا بذلك ديدور (١) . هذا وقد شتت العاصفة أسطوله عند القرع البلوزى ، ثم عند القرع القاتيتى الذى أراد الدخول فيها الى قلب مصر ، ثم لحقت به أخيرا عاصفة أخرى عندما أراد العودة الى «بلوز» وهو المكان الذى لم يتمكن فيه من اقتحام طريق فى أول الأمر . وأخيرا اضطر الى العودة بعد أن جمع مجلسه الحربى الذى قرر العودة الى «سوريا» .

أراد «اتيجونوس» بعد هذه الخيبة المشينة أن ينتقم من أهالى «رودس» الذين لم يقبلوا الانضمام الى جانبه قبل موقعة «سلامين» (أوسلاميس) وكانت «رودس» بحكم موقعها البحرى لا ترغب فى الانحياز الى أحد المتحاربين بل كانت تريد الحياد . حقا أنها ساعدت «اتيجونوس» فى عام ٣١٥ ق.م فى بناء سفن حربية له ولكنها فعلت ذلك من الوجهة التجارية وليس بوصفها محاربة ، والواقع أنها كانت تورد سفنا لكل الممالك على السواء . وقد رأى أهل «رودس» أنه ليس فى صالحهم قط أن يساعدوا «اتيجونوس» على «ببليموس» جارهم وبخاصة أن مفتاح تجارة الاسكندرية فى يده (٢) وقد طلب «اتيجونوس» الى أهالى «رودس» أحد أمرين : أما أن يدفعوا له غرامة أو الحرب . وقد كان أمرا مفهوما أن أهل هذه الجزيرة الصغيرة لا يمكنهم الوقوف فى وجه ملك «آسيا» الجبار . وقد كان أول عمل قام به ضد أهل هذه الجزيرة الصغيرة أنه منعها أن تتاجر مع «الاسكندرية» كما أمر بالقبض على سفنها التى تمر بينها وبين «الاسكندرية» . ولكن لما كان أهل «رودس» قد دربوا منذ زمن بعيد على حماية سفنهم من قرصان البحر ، فانهم دافعوا عن أنفسهم ، وقد عد «اتيجونوس» هذا

Diod. XX, 74-76.

Diod. XX, 81.

(١) راجع

(٢) راجع

الدفاع عن النفس بمثابة اعلان حرب عليه من جانب أهل «رودس» . ومن ثم أرسل «انتيجونوس» ابنا «ديمتریوس» للقضاء على «رودس» . ولكن لما رأى أهل «رودس» ذلك قبلوا التحالف معه على «ببليموس» ، غير أن هذا التحالف لم يرض «انتيجونوس» اذ طلب «ديمتریوس» من أهل «رودس» مائة رجل رهينة ، كما طلب دخول ميناءهم دون قيد ولا شرط ، ولكن هذه المطالب لم ترض أهل «رودس» وعزموا على الدفاع عن بلادهم بكل قوة وشجاعة . وهكذا بدأ حصار الجزيرة في الشهر الأول من عام ٣٠٥ ق.م. وقد بقى حوالى سنة وانهى بصلح شريف بفضل عناد «انتيجونوس» وقد تحدث المؤرخون كثيرا عن حصار «رودس» كما تحدث الشعراء عن حصار «طرزادة» ولا أدل على ذلك مما حدثنا به ديودور (١) .

وفي اثناء هذه الحرب طلب أهالى «رودس» الى كل من «ببليموس» و «لزيماكوس» و «كاسندر» النجدة ، غير أنهم كانوا وقتئذ في شغل شاغل بأمورهم الخاصة . والواقع أن «ببليموس» كان يخشى الدخول في حرب مع «انتيجونوس» فيعيد بذلك مأساة قبرص . وعلى الرغم من ذلك فإنه أمد أهل «رودس» ببعض الرجال والمال والأغذية ، وكان «ببليموس» يرى أن هذه الحرب في صالحه ، غير أنه كان يخشى عاقبتها على أهل «رودس» . ولكن بفضل توسط أهل «ايتوليا» ونصيحة «ببليموس» لأهل هذه الجزيرة قبلوا أن يقدموا مائة رجل رهينة كما طلب «انتيجونوس» ، وأن يكونوا حربا على كل من يعاديه الا «ببليموس» . وبذلك خرجت «رودس» من هذه الحرب لا لها ولا عليها . وقد أظهر أهل «رودس» اعترافهم بالجميل لكل من ساعدهم في هذه الحرب فأقاموا تمثالا لكل من «كاسندر» و «ولزيماكوس» اذ كانا قد ساعداها بصورة ثانوية ، أما «ببليموس»

الذى ساعدهم كثيرا فانهم على ما يقال أرسلوا الى «لوبيسا» يطلبون من وحيها اذا كان في مقدورهم أن يمجّدوا «بطليموس» بوصفه الها ، وقد أجابهم الوحي بالموافقة وعلى ذلك خصصوا مكانا معينا قائما بذاته سموه «بطليامون» (Ptolemaeon) (١) . ومن المحتمل أنهم هم الذين منحوه لقب المخلص «سوتر» بهذه المناسبة عام ٣٠٤ ق.م (٢) .

وتدل شواهد الأحوال على أن «اتيجونوس» وابنه «ديمتريوس» ولم يفكا حصار هذه الجزيرة الا اضطرارا وذلك لأنه كانت هناك أحداث جسام في بلاد اليونان نفسها تستدعى حضورهما فقد ضربها كل من «كاسندر» و «إليزيماكوس» مما دعا «اتيجونوس» الى الاسراع لنجدة ابنه ومعه ابنه . ففي عام ٣٠٧ ق.م دخل «ديمتريوس» هذه البلاد دخول المخلص لها ، غير أنه منذ ذهابه المفاجيء الى قبرص أصبحت بلاد اليونان عرضة لهجمات «كاسندر» وأصبحت محاطة من كل جانب بقواته (٣) . وكان على «ديمتريوس» أن يأتي لمساعدتها ، ومن أجل ذلك فانه لم يكد ينتهي من الصلح مع «رودس» حتى نزل بجيشه في أوليس (Aulis) ومعه أسطول قوامه ٣٣٠ سفينة وقوة من الجنود عظيمة فطرد «كاسندر» من «هيلاد» ثم ذهب الى «أثينا» ليستمتع بالنصر الذي ناله بسهولة . وهناك أراد أن ينتظر عودة الربيع ليقوم بتحرير بلاد «البلوبونيز» .

Diod. XX, 99.

(١) راجع

(Pausan. I, 8, 6

ولكن يقال أن الفضل الاول في جعل «بطليموس» يعبد بوصفه الها يرجع الى نقش نقشه خلف جزر «سيكلاد» (راجع Mechel. No. 373 التي كانت قد وضع عليها حمايته في عام ٣٠٨ ق.م . وإذا كان الإهداء الذي علمته «أرسنوى» حدث في السنين التي بين ٣٠٨ و ٣٠٦ ق.م فان بطليموس لا بد قد لقب فعلا «الاله المخلص» قبل ان يفقد سلطانه على أوجه بهزيمته في «سلاميس» وقبل ان يحمل لقب فرعون مصر (راجع Bevan, Ibid. P. 51. Bouché-Leclercq I, P. 79, note 1. (٣) راجع

رأى «بطليموس» في هذه اللحظة أنه لا فائدة تعود عليه من حماية المدن التي كان يسيطر عليها في بلاد اليونان ، والظاهر أنه نزل عن «كورنث» ن «كاسندر» ، أما الحماية التي تركها في «سيسيون» فقد دافعت بعض الوقت محافظة على كرامة جنودها ، وانتهى الأمر بأن سمح لقائد هذه الحماية بالعودة بها الى مصر (١) وقام بعد ذلك «ديمتريوس» الى «البلوبونيز» وانتزعها كلها من يد «كاسندر» و «بوليرشون» ، عام ٣٠٣ ق.م ، ومن ثم أعاد «ديمتريوس» حلف «كورنثة» وأعلن نفسه قائدا أعلى عليه . وقد عثر على نقوش في «ايدور» (Epidaure) يحتمل أنها تحفظ ذكريات هذا الحادث وهي تفسر بعض الشيء نظام هذا الحلف للامم الهيلانستكية (٣٠٤-٣٠٣ ق.م.) بعد ذلك أعلن «ديمتريوس» أنه سيثمل نار حرب عوان على «كاسندر» في العام المقبل ، وقد كان «كاسندر» يعلم أن ذلك لم يكن من باب التهديد الأجوف . ولذلك أخذ في اعداد جيش عرمرم وكذلك كسب الى جانبه ملك «ايروس» حليفا وتزوج من ابنته . وقد هال هذا الأمر «كاسندر» ولذلك أراد أن يتفاوض مع «اتيجونوس» ، غير أن الأخير لم يقبل أية مفاوضة الا الاذعان التام (٢) ، ولما لم يجد فائدة من جانب «اتيجونوس» ، بدأ يفهم «لزيماكوس» أن تراقيا سيكون مصيرها مصير مقدونيا ، ومن ثم اسرع الاثنان بارسال مبعوثين لكل من «بطليموس» و «سيلوكوس» . وقد تألف من كل هؤلاء حلف لمنازلة «اتيجونوس» الأعور في حرب كان مصيرها الحياة أو الموت (٣)

ولم يشترك «بطليموس» في هذه الحرب الحاسمة بل اكتفى بأن يراعى مصلحته المباشرة ، فكان دوره فيها دور المترقب ينتظر الوقت الذي يمكنه

(Diod. XX, 102

(Diod. XX, 106

Diod. Ibid. Justin XV, 2, 15, 4.1)

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

فيه غزو «سوريا» وبعبارة أخرى كان ينتظر اضطراب «ليزيماكوس» الى الذهاب الى شمال آسيا الصغرى مما يجعله يغلى «سوريا» . وقد حانت له الفرصة واقضى على «سوريا» واحتلها ، غير أنه لم يكد يسمع شائعة أن اتيجونوس قد اقتصر حتى أخلاها في الحال وعاد أدراجه ، ولكن لم يلبث أن علم أن هذه الشائعة كانت كاذبة . وقد أراد بطليموس أن يستر فعلته التي أظهرت جنبه وخوره ، فادعى أن ما فعله كان تنفيذا لخطة مرسومة . وعلى أية حال فإنه لم يتحرك من مصر وترك حلفاءه يقومون بأعباء الحرب دون اشتراكه معهم ، ولا شك في أن هذا يكاد يعد خيانة من جانبه ، وذلك فضلا عن أن خطته كانت فاشلة . أما «أتيجونوس» فقد ظن أنه أصبح في استطاعته أن يقبض على «ليزيماكوس» الذي جازف بالذهاب بجيشه الى آسيا الصغرى قبل أن ينضم اليه حليفه «سيلوكوس» . والواقع أنه وجد نفسه في مركز غاية في الحرج عندما وجد «ديمتریوس» قد دعى من «تساليا» ليقطع مواصلاته مع أوروبا ولكن «ليزيماكوس» بحركة ماهرة تفادى منازلة عدوه القوي حتى وصل «سيلوكوس» لنجدته . وقد كان تحت أمرته جيش جبار بالإضافة الى ٤٨٠ فيلا مدربة على الحرب وصلت اليه هدية من الهند وعسكر في «كابودوشيا» (١) . وقد كان على الحلفاء أن يجتمعوا في مكان واحد . وفي ربيع عام ٣٠١ ق.م. كان جيشا «سيلوكوس» و «ليزيماكوس» مجتمعين يبلغان حوالي ثمانين ألف مقاتل ، وقد زحف هذا الجيش الى أواسط «فرجيا» . ومما يؤسف له جد الأسف أننا لا نعرف على وجه التأكيد موقع «أيسوس» وهو المكان الذي دارت فيه رحى المعركة ، وكل ما نعرفه أنه في بلاد «فرجيا» ، يضاف الى ذلك أننا لا نعرف تاريخا وقعت فيه الواقعة بالضبط ، ولكن نعلم فقط أن الهزيمة كانت منكرة . ولا شك أن في هذه

الواقعة كانت الفاصلة في النزاع الذي دار بعد السيف فكان من نتائجها أن «أنتيجونوس» الذي لم يقبل أن يكون له مناهض قد سقط في ميدان القتال صريعا مدفونا في هزيمته في حين أن ابنه «ديمتريوس» ولى هاربا الى «أفيسوس» (١) ، ولم يبق له بعد هذه الهزيمة الا أسطول «قبرص» التي اتخذها مقرا لجيشه ، وقد كان في استطاعة «ديمتريوس» بعد هذه الهزيمة بما بقي من أسطوله أن يصبح قرصان بحر يخشى بأسه . غير أنه لم يعد بعد ملكا حتى للاثنيين الذين اغلقوا بابهم في وجه هذا الاله الذي سقط من عليائه.

بطليموس و«سوريا» بعد موقعة «أسوس»

كان من الطبيعي الا يطمع «بطليموس» في شيء من الغنية التي كسبها حلفاؤه نتيجة لموقعة «أسوس» وفلا قد قسمت الغنية دون حضوره ولم يمنحه حلفاؤه لا «قبرص» ولا «فنيقيا» كما كان المتفق عليه ، أما بلاد «كول» «سوريا» (وهي الجزء الواقع بين «لبنان» وما خلفها بما في ذلك «دمشق» ونهر «الأردن» الأعلى) بما في ذلك المدن التي وضع فيها «بطليموس» خادياته فقد كانت من نصيب «سيلوكوس» ، ولكن «بطليموس» احتج على ذلك وادعى أن هذه البلاد من حقه بمقتضى شروط المعاهدة التي أبرمها مع حلفائه قبل قيام الحرب ، ولكن الحلفاء من جانبهم أنكروا عليه ذلك ، لأنه لم يفهم بأي عمل ايجابي أثناء الحرب مع «أنتيجونوس» بل على العكس أظهروا له أنه كان أشبه منه بالخائن لهم لا حليفهم ، غير أن «بطليموس» لم يلتفت الى ذلك لأنه كان في حاجة الى اعادة قوته وتثبيت سلطانه وبخاصة سيادته البحرية التي كانت قد أفلتت من يده .

وعلى ذلك وجدناه قد استولى على بلاد «سوريا» التي منحها الحلف لسيلوكوس . وقد كاد عمل «بطليموس» يفسد ما بينه وبين صديقه القديم

«سيلوكوس» . ومنذ وقوع هذا النزاع بين الأسترتين نجد أنه امتد أمده حتى نهاية عهد البطالمة تقريبا . والواقع أن التاريخ يعيد نفسه فقد كانت بلاد «سوريا» كما تحدثنا عن ذلك من قبل تتنازعها مصر والممالك القوية التي كانت تنشأ بجوارها طوال العهد الفرعوني . وعلى أية حال نان «سيلوكوس» لم يكن في مقدوره أن ينسى الصداقة التي كانت بينه وبين «بطليموس» وأن الأخير قد ساعده على انشاء دولته في «بابل» ومن أجل ذلك اكتفى «سيلوكوس» بادعائه ملكية «سوريا» وجسب الى أن يأتي الوقت المناسب لأخذها ، اذا اقتضت الأمور بالقوة . ومنذ تلك اللحظة أخذ كل منهما يبحث عن حلفاء له استعدادا لما عساه أن يحدث في المستقبل ، فأخذ «بطليموس» يعمل على مصداقة كل من «كاسندر» و «لزيماكوس» وكانت أول بادرة في هذا السبيل أن «الاسكندر» بن «كاسندر» تزوج من «ليسندرا» ابنة «بطليموس» و «ايريديكى» ، وفي الوقت نفسه نجد أن ملك «تراقيا» (لزيماكوس) سرح زوجه «أماستريس» ملكة «هيراكليس» ليتزوج من ابنة «بطليموس» «برنيكى» وكانت لا تزال في حداثة سنها ، ومن جهة أخرى نشاهد «سيلوكوس» يخطب الأميرة «ستراتونيس» ابنة «ديميتريوس» عام ٣٠٠ ق.م ، وهذا التحالف قد ثبت من جديد مركز الأخير بعد هزيمته في موقعة «أسوس» ، وذلك لأنه كان قد فقد نفوذه في بلاد اليونان ، وكانت «أثينا» أول مدينة أعلنت حيادها . وقد قابل سفراؤها الملك في جزر «سيكلاد» وأحضروا له زوجه دياميا (Deidameia) وسفنه ، وأعلنوه أن «أثينا» قد أغلقت أبوابها في وجهه . والواقع أن هذه كانت ضربة بالنسبة «لديميتريوس» ، ولكنه لما أصبح عزيز الجانب بما نشأ بينه وبين «سيلوكوس» من محبة ومصاهرة فكر في امكان بناء دولة قوية من جديد في «آسيا» وذلك بشن حرب على «لزيماكوس» وقد كان أول عمل قام به انه فرض رهينة على رعايا «لزيماكوس» في «كرسونيس» (Chresonese) ، وبعد ذلك اشتبك

مع أخ «كاسندر» المسمى «بليستراخوس» (Pleistrachos) حاكم «كليشيا» ولم يكن في استطاعة أخيه أن يمد له يد المساعدة بصورة جدية (٢٩٩ ق.م). والظاهر أن «كاسندر» قد أغمض عينه بتأثير من أخته «فيلا» امرأة «ديمتريوس» وقد كانت تمثل زوجها الذى كان منهكاً فى مشاكل «آسيا» الصغرى مما جعله يتحول منذ زمن بعيد عن شئون بلاد الاغريق. وقد احتفل بزواج «سيلوكوس» من «ستراتونيس» ابنة «ديمتريوس» و «فيلا» فى مدينة «روسوس» (Rhossos) فى «سوريا» ويقول بعض المؤرخين ان «ديمتريوس» قد اشتبك فى حرب مع «بطليموس» كان من نتائجها انتزاع «سماريا» ويحتمل كذلك «سوريا» الجنوبية باجمعها ، غير أن ذلك لم يثبت بصورة قاطعة . هذا وكان «سيلوكوس» يخشى أن تصبح الحرب عامة ومن أجل ذلك حاول عقد صلح مع «ديمتريوس» و«بطليموس» فى أواخر عام ٢٩٩ ق.م ، وقد كان السبب الذى حدا به الى ذلك أنه كان يخشى أنه اذا مات «كاسندر» أن يغرى ذلك «ديمتريوس» على انشاء امبراطورية فى بلاد الاغريق ومقدونيا . وقد كان من بين شروط المعاهدة التى أبرمت بينهم أن يصبح «الاسكندر» (ريب «ديمتريوس» - وقد كان مقدراً له أن يموت فى مصر) وكذلك «بيروس» بن «بطليموس» وحماه (وكان قد طرد من أيروس عام ٣٠٢ ق.م.) بمثابة رهينة ؛ وكذلك اتفق على أن يتزوج «ديمتريوس» من «بطليميس» وهى أميرة مصرية . وقد كانت هذه المعاهدة فرصة أمام «بطليموس» ليحفظ لنفسه الحق فى أن يتدخل فى شئون أوروبا وضد ممالكها القوية ، ومن أجل ذلك عقد حلفاً مع «أجاتوكليس» ملك «سرقوسة» الذى تزوج من إحدى بناته المسماة «تيوكزيننا» .

تلك كانت الحالة السياسية فى مصر على وجه التقريب عندما مات «كاسندر» عام ٢٩٧ ق.م غير أن طمع «ديمتريوس» أخذ يعكر الجو من جديد فقد علم للاطراف الأخرى أنه أخذ يستعد للحرب بجيش جبار وأسطول

عظيم لم يسمع بشلهما من قبل منذ عهد «الاسكندر» ، فأسرع كل من «لزيماكوس» و «سيلوكوس» و «بطليموس» الى عقد تحالف بينهم من جديد انضم اليه «بيروس» الذى كان يعتبر «بطليموس» الأول والده . وقد كان من حسن حظ الحلفاء أنه قبل أن يخرج أسطول «ديميتريوس» من الموانى التى صنع فيها ، كان أسطول مصرى يمخر عباب البحر تجاه ساحل بلاد الاغريق يدعو الهيلانيين الى محاربة «ديميتريوس» ، وفى الوقت نفسه قام «لزيماكوس» بغزو بلاد «مقدونيا» من الشمال كما هاجمها «بيروس» من الغرب . وبهذه المفاجآت حدث ما لم يكن فى حساب «ديميتريوس» ، فكان من جراء ذلك أن تخلى عنه أهالى مقدونيا الذين أغضبته تصرفاته الاستبدادية ، ومن ثم نجده على حين غفلة قد خلع عن عرشه وحل محله «بيروس» عام ٢٨٧ ق.م ، غير أن ذلك لم يكن الا مؤقتا ، لأن «ديميتريوس» كان لا يزال تحت تصرفه جيش صغير بقيادة ابنه «اتيجونوس» جوناتاس . وقد حافظ به على سلطانه فى بلاد الاغريق ، وقد كانت بلاد «تساليا» أو على الأقل مدينة «ديميترياس» لا تزال فى قبضته ، يضاف الى ذلك أنه كان لا يزال لديه أسطوله العظيم الذى يستطيع به السيطرة على البحار ، وان يحارب به «بطليموس» فى «ارخبيل اليونان» ، غير أن هزيمة «ديميتريوس» فى «مقدونيا» قد شجعت على قيام ثورة عليه فى «أثينا» فى صيف عام ٢٨٧ ق.م ، وقد شجعهم على هذه الثورة أن مبعوثهم الذى أرسل الى طلب النجدة من «لزيماكوس» و «بطليموس» و «بيروس» قد لاقى قبولا حسنا ، فقد منحهم «لزيماكوس» على دفعتين نحو مائة وثلاثين تالنتا من الفضة كما أعطاهم «بطليموس» خمسين تالنتا ، هذا بالاضافة الى غلال وهبات وصلت من بلاد أخرى (١) . وكان «ديميتريوس» قد حاصر «أثينا» وكاد يستولى عليها لولا تضرعات الفلاسفة المبعوثين له للمصفح عنها وخلصها .

والمدهش أن الأسطول المصرى لم يقم بأية محاولة لتخليص ميناء «بيروس» و «اليوزيس» (Eleusis) من جنود «ديمترىوس». وعندما زحف «بيروس» لتخليص «أثينا» خان وعقد معاهدة سرية مع «ديمترىوس» بمقتضاها يظل الأخير مسيطرا على الميناء ، ومن ثم اتجه الى «آسيا» فلم يحاول الأسطول المصرى الوقوف فى وجهه لمنعه ، ومن المحتمل أن «ببليوموس» قد فعل ذلك عن قصد، هذا اذا صدقنا أنه كان مشتركا فى التحالف السرى الذى عقد بين «بيروس» و «ديمترىوس» وبمقتضى هذا التحالف يبقى الأخير سيد بلاد الاغريق على شرط أن يتخلى عن «مقدونيا» ويكون حرا فى منازلة «لزيماكوس» وعلى شريطة الا يهاجم أهل المدن الاغريقية الذين كانوا فى حماية «ببليوموس الأول» ، كما كان يجب عليه الا يهاجم قبرص ، غير أن «ديمترىوس» كان لا يؤمن له جانب . وقد عزم «ببليوموس» فى هذه الأحوال على أن يبقى متفرجا اذا وقعت حرب «لزيماكوس» و «ديمترىوس» . وفعلنا لم نلبث أن رأينا «ديمترىوس» يقطع الأرخيل اليونانى دون عائق وينقض على أملاك «لزيماكوس» فى آسيا الصغرى. والظاهر أنه لا «لزيماكوس» ولا «ببليوموس» الأول كان غاضبا من هذه الفعلة . فقد فتحت «ميلوتوس» التى كانت تسكنها «ايريديكى» منذ عام ٢٨٦ ق.م وتزوج من «ببليمايس» التى كان قد وعده بها «ببليوموس» الأول من قبل . وبعد ذلك مباشرة أصبح مسيطرا على «سارديس» ثم أخذ فى الاستيلاء على مدن سواحل «آسيا الصغرى» ، غير أن «لزيماكوس» كان أشد منه بأسا وأعظم قوة المدفاع عن نفسه . ولسوء حظ «ديمترىوس» كان قد انفصل وقتئذ عن أسطوله وتوغل فى داخل القارة الآسيوية وقد طارده فى توغله هذا «أجاتوكليس» ابن «لزيماكوس» ، وقد حاول أن يحتفى فى «كليكياء» التى كانت وقتئذ ضمن أملاك «سيلوكوس» . وقد قبل الأخير أن يستقبل صهره (والد زوجة ابنه وكان «سيلوكوس» قد

نزل عن «سترتونيس» لابنه «اتتيوكوس» منذ بضع سنين مضت حوالى عام ٢٩٣ ق.م) على شرط أن يضع «ديمتريوس» السلاح ، غير أن الأخير أصم أذنيه وبذلك جرى لحتفه بظلمه ، فقد هزم ثم ضيق عليه الخناق حتى اضطر الى التسليم صاغرا . وهكذا نجد أن «سيلوكوس» الذى كان يريد ان يكون حاميا له قد أصبح ساجنه . وقد اعتقل «ديمتريوس» فى مدينة «أپامى» (Apamee) على نهر «لأرنت» وقد بقى هذا الأسد الضارى حبيسا فى قفصه الى أن فارق الحياة بعد سجن دام حوالى ثلاثة أعوام (٢٨٣ ق.م) كانت الهموم والفراغ فى خلالها قد قضت على حياته التى قضاها فى حروب عاصفة ومغامرات دامية .

نهاية عهد بطليموس الأول

كان «بطليموس الأول» في الثانية والثمانين من عمره عندما عزم على النزول عن الملك لابنه . وفي رواية أخرى اشراكه معه في ملك مصر . و «بطليموس الثاني» انجبت له زوجته «برنيكى» التى كان قد فضلها على زوجها الأخرى ولذلك نجده قد فضل «بطليموس» هذا على أخيه الأكبر «بطليموس كرونوس» (= العاصفة) بكر أولاده وقد كان في الواقع خليفته الشرعى على حسب القانون والعرف عند «المقدونيين» .

وتدل شواهد الأحوال على أن «بطليموس الأول» في الفترة الأخيرة من حياته لم يشغل باله بالشئون الخارجية بل كان كل ما فعله في تلك الآونة هو أن ضم صوته الى أولئك الذين كانوا يسعون في تخليص «ديمتريوس» من سجنه الذى لم يعارض فيه وقتئذ الا «لزيماكوس» الذى قدم مبلغا ضخما من المال لساجنه «سيلوكوس» ليقضى على حياته ، ومن أجل ذلك لم يلح «بطليموس» في رجائه لاخلاء سبيل «ديمتريوس» ، وذلك لأنه كان لا يريد احياء المخاصمات القديمة والاحقاد الدفينة التى كان يكنها له «سيلوكوس» في أعماق نفسه بسبب اغتصاب «بطليموس» سوريا التى لم تكن من حقه بل كانت بمقتضى المعاهدة التى أبرمت في وقتها ملكا «لسيلوكوس» كما تحدثنا عن ذلك من قبل ، ومن ثم بقى «بطليموس» يستغلها بطريقة غير شرعية بشتى الطرق .

على أن الموضوع الهام الذى أخذ على «بطليموس» كل لبه ومشاعره وتفكيره هو تدبير الأمور للأمير الصغير الذى كان سيحمل لقب «بطليموس الثاني» (الذى يسميه المؤرخون الأحداث «فيلادلفس») . والظاهر أن

بطليموس الأول» قد عني بأمر هذا الأمير منذ الصغر فقد تلقى تعليمه على أشهر اساتذة العصر أمثال «فيلتاس» من أهالي جزيرة «كوس» (Cos) وعلى «زينودوت» (Zenodote) ، و «ستراتو» مواطن «لامبساكوس» (Strato of Lampsacus)

ومن المدهش أن نلاحظ أنه بقدر ما كان «بطليموس الأول» معتنيا «ببطليموس فيلادلفس» ، كان اهماله ظاهرا في تنشئة ابنه بطليموس بن «ايريديكى» . وبقدر ما كان الأول وديعا كان الثانى متوحشا ، وعلى ذلك رأى «بطليموس سوتر الأول» أن يختار لحكم بلاده «بطليموس الصغير» مفضلا اياه على أخيه الأكبر ، غير أنه بذلك خالف قوانين «مقدونيا» التى تحتم تولي الملك الابن الأكبر لصاحب العرش . واذا فرضنا ان ابن «برنيكى» لم يكن شرعيا كما قيل فان ابن «ايريديكى» كان الابن البكر ولا غبار على شرعيته لتولى الحكم ، هذا فضلا عن أنه كان من سلالة ملكية وأعظم عراقة فى الملك من جهة أمه . فقد كانت اخت الملك «كاسندر» ، فى حين أننا لانعرف حتى الآن أشياء عن شجرة نسب برنيكى . أضف الى ذلك أننا لو نظرنا الى موضوع تولي العرش من الوجهة المصرية فان «بطليموس» بن «ايريديكى» ترجح كفته على كفة أخيه تماما . فقد كان ابن ملك وابن أميرة من الدم الملكى . وكان هذا أول شرط لولاية العرش عند قدماء المصريين كما تحدثنا عن ذلك من قبل .

ومما يطيب ذكره هنا أن «ديمثريوس» الفيليرى الذى كان حاكما سابقا لمدينة أثينا قد أشار على «بطليموس» الأول بعدم النزول عن العرش أو اشراك أحد معه فقال : « ان ما ستعطيه لآخر لن تسترده قط (١) . والسؤال الهام هنا هو من سيكون الشريك والخلف على العرش الملك ؟ وقد دافع «ديمثريوس» عن أحقية ابن «ايريديكى» لتولى العرش ، وقد أسرها

«بطليموس الثانى» فى نفسه فلما تولى الملك حق عليه . ولا غرابة فى ذلك فان «ديمترىوس» هذا كان رجل ثقة فى بلاط «كاسندر» أخ «ايرديكى» . وعلى أية حال فان «بطليموس الأول» عزم فى نهاية الأمر عزمًا أكيدا بتأثير من زوجه «برنيكى» على أن يشرك معه ابنها «بطليموس» فى عرش الملك كما صمم على أن يراه بعينى رأسه يحكم البلاد . اذا صدقنا ما قاله المؤرخ «جوستن» (١) ، فان «بطليموس الأول» لم يكتف باشتراك ابن «برنيكى» فى ادارة الملك كما فعل ذلك «سيلوكوس» فى «سوريا» بل أنه استعرض لأهل «الاسكندرية» الأسباب التى دعت الى ذلك ، وقد أجابوا على عرضه هذا بالتصفيق والرضا التام ، ويقال أنه نزل عن الملك وانخرط فى الحياة العامة مع الشعب . وقد كان جل مراد «بطليموس الأول» أن يرى وارثه الذى لم يكن شرعيا على العرش ، وأن يأخذ مقاليد الأمور فى يده دون أن يعارضه معارض . وكان آخر عمل قام به «بطليموس الأول» لتدعيم ملك «بطليموس الثانى» هو أنه زوجه على الطريقة المصرية ليحبه الى الشعب المصرى الأصيل الذى يتألف منه السواد الأعظم من السكان . فقد كان العرش على حسب الشعائر المصرية كما ذكرنا آنفا يثول الى ذكر واتى من الدم الإلهى ، وكان هذا الزواج يحدث عند تولى عرش أرض الكنانة . ومن ثم نرى أن زواج ابنه من زوجة من الدم الملكى كان يصبح زواجا ملكيا كاملا على حسب الشعائر المصرية ، وبعبارة أخرى من دم الهى خالص . وهذا الزواج لم يكن فى مقدورين ابن «ايرديكى» أن ينافسه فيه لأنه لم يتزوج من زوجة شرعية من دم ملكى خالص .

ولعمري أن كل هذه الطرق والحيل التى أتبعها «بطليموس الأول» لتبرير تولية «بطليموس» بن «برنيكى» لم تكن لاقناع المقدونيين أهل بلاده بل كانت

لاقناع المصريين الذين يخشى بأسهم ويحافظ على شعورهم وتقاليدهم الدينية التي لا تستقيم الأمور في البلاد بدونها .

ولا نزاع في أن الملك الجديد عند توليه العرش وجد الأحوال خارج بلاده متوترة فقد احتسب أخوه «بطليموس كرونوس» عند «ليزماكوس» ، بعد ذلك عند «سيلوكوس» الذي رجب به ووعد به بأن يضعه على عرش الكنانة وهو حقه المقتصب منه ، وهذا الموقف يشعر بما عساه أن يحدث من مآسى وحروب لا بد أن تقوم فيها مصر بدورها . وعلى أية حال كانت عاصفة الحرب تظهر بوادرها في كل العالم المتسدين ، وفي تلك الأثناء وافق «بطليموس الأول» المنية وهو في الرابعة والثمانين من عمره . ولقد كان القائد الوحيد من بين فواد «الاسكندر الأكبر» الذين شاركوه في كل غزواته تقريبا ومات على فراشه ميتة طبيعية بعد أن حكم مصر أكثر من أربعين حولا .

المدنية فى عهد بطليموس الأول

مقدمة : تدل الأعمال التى انشأها «بطليموس الأول» والخطط التى ترسم خطاها منذ أن وطئت قدماه أرض مصر حاكما على أنه كان رجل سياسة ماهرا كما كان رجل حرب وقيادة ، فقد اتبع فى سياسة حكم البلاد فى الخارج والداخل خططا وطرقا أدت به الى الفوز فى الميدانين الى درجة عظيمة . فقد رأينا أنه لم يتبع مع الشعب المصرى العريق فى المجد العنف والشدة لتنفيذ مآربه واصلاحاته الداخلية . فلم نر أنه حاول أن يفرض على الأهلىن اعتناق العقائد والعادات والأخلاق الاغريقية ؛ والشعب المصرى كانت له معتقداته وعاداته وطبائعه التى لم يحد عنها منذ آلاف السنين . لذلك نجد أن «بطليموس» قد رأى بشاقب رأيه وحسن ذكائه النافذ أن يترك الشعب المصرى على ما فطر عليه دون أن يجرح شعوره أو يسيطر على عاداته، وبخاصة من الناحية الدينية . وسرى بعد أن هذه السياسة التى رسمها «بطليموس» فى معاملة الشعب المصرى هى التى سار على نهجها الى حد ما معظم ملوك البطالمة فى معظم الأحيان ، وسرى أنهم عندما كانوا يحيدون عن هذه الخطط كانوا يعدثون بذلك فتنا وقلقل تنتهى بانتصار الشعب عليهم .

سياسة بطليموس الأول الداخلى

تدل شواهد الأحوال على أن «بطليموس الأول» كان قد عزم منذ أن وطئت قدماه أرض الكنانة على أن ينظر الى مصر من الوجهة الدينية نظرة «الاسكندر» . فقد كان الأخير اذا صدقنا الظواهر يدين بالدين المصرى القديم ويعتقد أنه ابن الاله «أمون رع» وأنه خليفته على أرض مصر . والواقع أن «الاسكندر» كان يرى بعد أن اتسعت فتوحه الا يقف فى وجه

أى شعب من الناحية الدينية لأنه كان يأمل فى آخر الأمر لو طال به العمر أن يوحّد بين شعوب العالم ويجعل نفسه بوصفه ابن «أمون» المسيطر عليها من قبله .

ولقد كان من الصعب جدا على أى ملك أجنبى أن يخضع الشعب المصرى لأرادته ويرجع السبب فى ذلك الى أن هذا الشعب العريق فى القدم كان ينقاد منذ أقدم العهود وراء طائفة الكهنة وتقاليدهم ائقياد الأعمى بصورة مستمرة طوال عهد الفراعنة حتى نهاية العهد الرومانى . ومن الغريب أن المصرى كان يرى كل أجنبى مهما كانت مكاتته نجسا يجب ألا يختلط به وبخاصة الاغريق، ولا أدل على ذلك مما رواه لنا «هردوت» الذى زار مصر فى خلال القرن الخامس قبل الميلاد (١) فيقول : « كان كل المصريون يضحون لحم الذكور من البقر أما الاناث فكان لحمها محرما عليهم وذلك لأن البقرة كانت مقدسة بوصفها صورة «أيزيس» بقرنى بقرة ، كما يمثل الاغريق الآلهة «يو» (Io) وعلى ذلك فإن كل المصريين كانوا على السواء يحترمون البقرات أكثر من أى حيوان آخر ، ومن ثم فإن كل المصريين سواء أكانوا ذكورا أم اناثا محرم عليهم أن يقبلوا اغريقيا فى فمه أو يستعمل سكيننا أو اثناء استعمله اغريقى أو يأكل لحم ثور قد قطعته سكين اغريقى » .

ولقد تعلم البطالة درسا مفيدا مما رووه من كره المصريين للفرس ومقتهم لهم لكثرة ما لاقوه من جور وظلم على أيديهم فى الفترة الأخيرة من حكمهم لمصر . ومن أجل ذلك أسرع فى تقديم برهان محس على حسن نواياه نحو الكهنة الذين كانوا لا يزالون أصحاب الكلمة العليا فى البلاد ، على الرغم من احتلالها بالاغريق ، ومن المدهش فى هذا الصدد أننا نرى كل المؤرخين يتحدثون عن اضطهاد «الفرس» وسوء معاملتهم لرجال الدين فى مصر منذ

فتح «قمبيز» لأرض الكنانة . والواقع أن هذا الاضطهاد لم يكن لا في المدة الأخيرة من حكمهم وحسب وقد تناولت هذا الموضوع بالبحث الدقيق في الجزء الثالث عشر من هذه الموسوعة (١) . ويرى المطلع هناك أن ما قيل عن «قمبيز» واضطهاداته للآلهة المصرية والكهنة لا تستند على مصادر أصلية بل يظهر أن «هردوت» نقله عن أفواه العامة ولكن المصادر الأصلية التي لدينا تبرئه من كل مانسب اليه ، يضاف الى ذلك أن مصر في عهد «دارا الأول» خلف «قمبيز» كانت تعيش في حرية تامة من الوجهة الدينية وبخاصة عندما نعلم أن الآلهة «نيت» التي كانت تعلم أعظم الآلهة في مصر في تلك الفترة قد حافظت على مكائنها الممتازة بين الآلهة المصريين وقد أعلن «دارا الأول» أنه ابن هذه الآلهة ، كما جاء ذلك في اللوحة الثامنة (سطر ١-٣) هذا ونجد أن المحارب الأخرى لم تنس في عهده بل كانت تقدم فيها القربان للآلهة المصرية. ولا نزاع في أن الملك «دارا» هو الذى شرع في بناء معبد للاله «آمون رع» (٢).

وخلاصة القول أن ملوك «الفرس» العظام وبخاصة «دارا» و «أكركرس» قد أظهرنا احتراماً عظيماً للديانة المصرية القديمة والتقاليد الفرعونية الموروثة وقد قاموا بمجهودات لربط مصر ببقية امبراطوريتهم مع عالم البحر الأبيض المتوسط . ولدينا برهان عظيم على ذلك وهو تمام القناة العظيمة التي بدأ حفرها الملك «نبكاو» الثانى أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين وهى التي ربطت النيل بالبحر الأحمر ، وكذلك أبقوا بلدة «تقراش» مفتوحة للتجار الاغريق الذين أنى معظمهم من «أثينا» والبلاد اليونانية الأخرى . وأخيراً سعوا في تحسين الادارة المصرية بمحاربة النظام الاقطاعى الذى كان منتشراً هناك قبل الفتح الفارسى وكذلك الحد من سلطة الكهنة الذين كانوا

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث عشر ص ٦٤ - ٩٩

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثالث عشر ص ٩٨

مهيمنين على جزء عظيم من ثروة البلاد .

وعندما تولى «ببليوموس الأول» حكم البلاد المصرية سار على نهج سياسة ارضاء الكهنة عندما تولى شطرية مصر فقد قدم سلفة مقدارها خمسون تلتنا مساعدة لتكاليف دفن عجل «أيس» وقد أبى أن يستردها فكان هذا العمل من جانبه بداية وضع علاقات طيبة بينه وبين الكهنة المصريين واطهارا بأنه ليس أقل من «الفرس» في مراعاة شعور القوم الدينية واحترام معبوداتهم . ولم تكن هذه هى الفرصة الوحيدة التى أظهر فيها «ببليوموس» تقديره للآلهة المصريين وتلبية نداء الكهنة لما لحقهم من ظلم وجور ، كما ادعوا فى الفترة الأخيرة من حكم «الفرس» لمصر . وآية ذلك أنه عثر كما ذكرنا من قبل على لوحة من عهد الفرعون «الاسكندر الثانى» امبراطور دولة «الاسكندر الأكبر» مؤرخة بالسنة السابعة من حكمه .

والواقع أن «ببليوموس» شطربة مصر فى ذلك الوقت هو الذى أقام هذه اللوحة وقد تحدث فيها أولا عن مناقب «الاسكندر الثانى» بوصفه فرعون مصر والقابله كما جرت العادة فى كل النقوش الملكية التى كانت تقام فى المعابد الكبرى .

ويطيب لنا أن نذكر هنا أن «الاسكندر الثانى» هذا لم يأت الى مصر ولم يرها طوال حياته ؛ هذا بالاضافة الى أن «ببليوموس» نفسه عندما تولى عرش الفراغة لم يعترف لا بمدة حكمه ولا بمدة حكم سلفه «فليب اريداوس» ولكنه احتراما للمصريين الذين لا يمكن أن يعيشوا دون فرعون يحكم بلادهم على حسب التقاليد الموروثة قد اعترف بهما مؤقتا ؛ وعند موت «الاسكندر الثانى» وتولى هو العرش أخذ يؤرخ حكمه لمصر منذ أن تولى حكمها بوصفه شطربة ، وما يلفت النظر فى هذا الصدد أنه بعد موت

«الاسكندر الثانى» بقيت مصر دون فرعون يحكمها. بوصفه ابن الاله «رع» ولكن المصريين قد أصروا على تأريخ واثقتهم بمهد «الاسكندر الثانى» حتى تولى «بطليموس» الملك سنة ٣٠٤ ق.م وذلك لأن «الاسكندر الثانى» فى نظرهم هو ابن الاله «رع» أو هو بمثابة «حور» بن «أوزير» فكان لا يزال فى نظرهم حيا باقيا الى أن يتولى «حور» آخر ليحل محله وقد تحدثنا عن ذلك من قبل .

والواقع أن «بطليموس الأول» قد أقام هذه الملوحة ليظهر للشعب المصرى مفاخره وأفضاله عليهم وأنه يعاملهم معاملة أفضل من معاملة «الفرس» لهم وتفسير ذلك أن الملك «خباباشا» آخر ملوك مصر الذين تربعوا على عرش الكنانة حوالى عام ٣٣٦ ق.م قد قام بثورة على الملك «دارا الثالث» وانتزع منه مصر ، وذلك على حسب أحدث الآراء وأصدقها . وبهذه المناسبة نجد فى كتب التاريخ أن هذا الحادث ينسب الى «دارا الأول» الذى عاش حوالى عام ٤٨٦ ق.م . وهذا خطأ فاحش على حسب ما جاء فى بردية من عهد «خباباشا» (١) ، وهذا الفرعون كان قد أعاد ضيعة عظيمة لآلهة مدينتى «ب» و«دب» بعد أن اغتصبها الملك «دارا الثالث» ملك «الفرس» فلما عاد «الفرس» الى فتح مصر ثانية استولوا عليها. وفى عهد الفرعون «الاسكندر الثانى» طلب كهنة الآلهة «بوتو» أرجاع هذه الأراضى ثانية لهم فأعادها «بطليموس» اليهم على حسب ما جاء فى منشور خاص بذلك. وقد انتهز «بطليموس» الفرصة ودون فى لوحته هذه التى كانت تعد بمثابة مرسوم دورى ما فعله من مآثر لآلهة مصر وشعبها على لسان الفرعون «الاسكندر الثانى» فذكر أنه أعاد تماثيل البلاد التى كانت قد اغتصبت من أماكنها وحملت الى «آسيا» فى عهد «الفرس» هذا بالإضافة الى كل جهاز المعابد المصرية ومعداتها وكذلك الكتب التى أخذت

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث عشر ص ١٠٢ من ص ٣٤١ - ٣٤٤

منها فقد ردها الى أماكنها . وكذلك ذكر المصريين أنه اختار مكان عاصمة ملكه مدينة «الاسكندرية» التى أقيمت على أنقاض قرية «راقودة» . وأخيرا ذكر لهم حروبه وأستيلاءه على بلاد «سوريا» و «مرمريقا» (لوبياء) معيدا بذلك مجد مصر الغابر عندما كانت امبراطوريتها تمتد شرقا وغربا فى عهد فراعنة الأسرة الثامنة عشرة . وقد ذكر لنا «بطليموس» من قبل الأعمال العظيمة والاصلاحات الكثيرة التى قام بها فى المعابد المصرية فى عهدالفرعونين «أريداوس» و «الاسكندر الثانى» وبخاصة فى الكرنك والأقصر . ولا نزاع فى أن «بطليموس» بعمله هذا قد ضرب الأمثال لأخلافه ، غير أن كل هذا لا يعنى أن هؤلاء البطالمة كانوا مثاليين فى معاملتهم للشعب المصرى أو للكهنة المصريين ، اذ كانت عليهم التزامات حرية تجبرهم على أن يقسوا فى معاملتهم للشعب والكهنة عند الحاجة الملحة ، ولكنهم بوجه عام كانوا يعلمون تمام العلم أن انضمام الكهنة الى جانبهم يكفيهم شر قيام أية ثورة فى البلاد . وتدل شواهد الأحوال على أنهم قد تعلموا هذا الدرس من عهد أواخر ملوك مصر منذ الأسرة الثامنة والعشرين حتى نهاية الأسرة الثلاثين فقد رأينا أن كل فرعون من هؤلاء لا يرضى الكهنة أو يعجز عن أن يعجز على أملاكهم كان نصيبه الخلع من عرش الملك ، ولا أدل على ذلك مما حدث فى عهد الفرعون «تاخوس» عندما أراد أن يعيد تأسيس امبراطورية مصر فى «آسيا» وكان وقتئذ ينقصه المال لتجهيز حملته على «آسيا» واتزاع «سوريا» من يد «الفرس» فلم ير أمامه الا اغتصاب أموال المعابد مما أغضب الكهنة الذين ألبوا الشعب عليه وكان من جراء ذلك خيبة حملته وسقوطه من عرش الملك (١) .

وقد رأينا أنه حتى فى عهد «الاسكندر» أخذ وزير المالية يغير على أملاك

المعابد ويجبى منها الضرائب قسرا مما أغضب الشعب . وعلى أية حال نجد أن النظام الذى اتبعه البطالمة هو النظام الذى وجدناه قائما فى عهد «بطليموس الثانى» لحفظ أملاك المعابد والكهنة . هذا ونجد أن عدم فرض الضرائب على المعابد والكهنة له نظيره فى عهد الفراعنة ومن الجائز أنه يرجع الى زمنهم .

التوفيق بين الافريق والمصريين من الوجهة الدينية فى عهد بطليموس الأول

لقد كانت العواصم المصرية منذ أقدم المهود مسرحا لوفود الأجانب عليها والاختلاط بأهلها وبخاصة فى عهد الدولة الحديثة عندما أخذت مصر تسيطر على العالم المتمدن ، فكانت بعوث البلاد الأجنبية تحصل الى مصر الجزية والهدايا الى عاصمة الملك ، ولا أدل على ذلك من المناظر التى نشاهدها حتى الآن فى قبور الأشراف تمثل هذه البعث على اختلاف اجناسها فنشاهد فيها «الأيونى» و «الكريدى» و «السورى» و «السكرى» و «اللسوى» و «الأسوى» وغيرهم . والواقع أن بعض هؤلاء الأقوام كانوا أحيانا يسكنون أمهات البلاد المصرية وبخاصة «منف» و «طيبة» و «سايس» ، وكانوا أحيانا يتخذون أحياء خاصة بهم فى تلك المدن . وقد زاد وفود الأجانب على مصر منذ الأسرة ٢٦ عندما أخذ ملوك هذه الأسرة يستعملون الجنود «الافريق» و «الكارين» و «اليهود» فى الجيش المصرى . غير أن المصريين فى كل أطوار تاريخهم لم يقبلوا الاختلاط بالأجانب وذلك حسب تعاليم دينهم ومن أجل ذلك نجد أنه فى عهد «أحمس الثانى» أخذ الافريق الذين كانوا يفدون على مصر للتجارة أو الانخراط فى الجندية بوصفهم جنودا مرتزقة يقيمون فى مستعمرات خاصة بهم أهمها مدينة «نقراش» التى كانت مخصصة للافريق وحدهم ، وقد كانت توجد مستعمرة خاصة باليهود فى أعالي الصعيد

«بافتنين» (١) . وقد ازداد وفود هؤلاء الأجانب على الأراضي المصرية بازدياد اختلاط المصريين بما جاورهم من البلدان .
وقد حتمت مقتضيات الأحوال منذ أول عهد البطلمة في مصر على ازدياد عدد الأجانب بطبيعة الحال مما عقد الأمور في البداية ودعا «بطليموس» الى محاولة إيجاد حل سريع لارضاء المصريين من جهة ولو ظاهرا والسكان الجدد من جهة أخرى من الوجهة الدينية بوجه خاص .

عبادة سيرابيس وإيزيس وانتشارها في العالم

كانت أرض الكنانة منذ منتصف القرن السابع قبل الميلاد قبلة للاغريق الذين توافدوا عليها بوصفها المنبع الفياض للعلوم والمعارف وقد ظلت مدرستهم الوحيدة التي يتلقون فيها شتى أنواع العلوم العلمية والدينية كما أوضحنا ذلك فيما سبق .

وقد ظهر تأثير ذلك في المعتقدات الدينية وبوجه خاص في عبادة الاله «أوزير» الذي وحدوه بالهمم «ديونيسوس» ، ولا غربة اذا أن شهدنا الاغريق الذين وفدوا على مصر في عهد «بطليموس الأول» كان لديهم الاستعداد أن يتقبلوا الآراء المصرية القديمة دون حرج أو كبير عناء ، اذ في الواقع نجد أنها كانت قد نفذت الى أفكارهم في صور مختلفة بعض الشيء ولكنها في جوهرها واحدة ، وبخاصة أن العلاقة بين مصر وبلاد اليونان لم تنقطع أسبابها منذ منتصف القرن السابع قبل الميلاد حتى دخول «الاسكندر الاكبر» ولا أدل على ذلك من أن المصريين في بادئ الأمر استعملوا اسماء اثني عشر الها وقد استعارها الاغريق فيما بعد من المصريين .

وتدل شواهد الأحوال على أن «بطليموس الأول» قد فطن لذلك بمساعدة من حوله من مستشارين من رجال الدين أمثال الكاهن «ايموليديس تموتوس

(١) راجع مصر القديمة الجزء ١٢ ص ٤٠٠ - ٤٠٨

(Eumolpides Timotheus) الذى شرح عبادة «ديونيسوس» وهو يعتبر عمدة فى الديانة الاغريقية ، والكاهن المصرى «مانيتون» الذى كان يضرب بسهم وافر فى الديانة المصرية والتاريخ المصرى ، ومن أجل ذلك فكر فى توجيه الاغريق الوافدين الى مصر الى عبادة اله لم يكن مجهولا لدى المصريين ولم يكن بعيدا عن المعتقدات الاغريقية ، وكان المقصود من ذلك ايجاد رابطة بين الشعبين يلتقيان فيها . ولا نزاع فى أن أكبر رابطة بين الشعوب القديمة لم تكن رابطة الجنس بقدر ما كانت رابطة الدين . ومما لا جدال فيه أن الديانة الحقيقية التى كان يعتنقها اغريق الاسكندرية وقتئذ كانت من جهة عبادة الآلهة التى كانوا يعبدونها فى وطنهم القديم وكذلك بوجه خاص العبادات الباطنة الخاصة ببلاد الاغريق والشرق وهى التى كانت منتشرة فى ذلك الوقت فى كل انحاء العالم ، تقصد بذلك العبادة «الاليوزينية» (Eleusinion) التى أخذت عن اتيكا وأعنى بذلك الشعائر الأورفية الخاصة بالآلهة «ديونيسوس زاجيروس» (Dionysus Zagreus) وهى عبادة عامة عند كل الاغريق بل فى العالم كله . وقد وصفت شعائر عبادة «ديونيسوس» على لسان «تيوكريتوس» واحتفل بها بنفس الصيغ والشعائر فى العهد البطلمى المبكر .

والواقع أن شعائر هذا الاله كانت تتمشى فى معظمها مع عبادة الاله «سيراپيس» الجديد الذى أدخلت عبادته فى عهد «بطليموس الأول» . وفى اعتقادى أن السبب الذى حدا «بطليموس الأول» الى ادخال عبادة هذا الاله فى «الاسكندرية» أن «ديونيسوس» قد وحدت عبادته «بأوزير» وقد نقلت هذه العبادة عن مصر منذ القرن السادس قبل الميلاد وألبست ثوبا اغريقيا باسم «ديونيسوس» الذى يرجع بدوره الى أنه كان مثل «أوزير» انسانا ثم الها فيما بعد ، وتدل الظواهر على أنه كان وجد فى مصر اله يعبد فى «منف» ويدعى «أوزير ايبس» وهو الذى سماه الاغريق «سيراپيس» .

وقد كان هذا هو المفتاح الذى وضع «بطليموس الأول» يده عليه ليكون نواة للديانة الجديدة التى كان يريد أن يتجمع حولها سكان مصر من اغريق ومصريين ، ولا نزاع فى أن المصريين عندما كانوا يتحدثون عن «سيراپيس» بلغتهم كانوا ينادونه باسم «أوزير حابى» . وقد كان «سيريس» عند المصريين هو اله الآخرة ، وقد صار «أوزير» مع تغير بسيط فى اسم «أيس» المتوفى يدعى «أوزير أيس» الذى كان يعبد منذ زمن بعيد فى «منف» . وكان معبد «سيراپيس» الذى أقامه البطالمة فى «منف» مكان عبادة المصريين كالمعابد المصرية الأخرى المقامة فى «طيبة» و «ادفو» وغيرهما ، غير أن المعبود المصرى قد أصبح عزيزا لدى الاغريق الذين توطنوا فى مصر ، ولما نقلت عاصمة الملك الى «الاسكندرية» أقيم له معبد فى «الاسكندرية» وأصبح صاحب المكانة الأولى فيها .

والآن يتساءل المرء لماذا اتخذ هذا الاله بالذات الها مشتركا للاغريق والمصريين دون الآلهة الأخرى التى كانت معروفة لدى الاغريق فى مصر ؟ والجواب على ذلك قد يكون سهلا ميسورا عندما نعلم أن عبادة العجل كانت شائعة فى مصر منذ فجر التاريخ واستمرت حتى نهاية عهد الرومان ، فقد كان يعبد العجل «أيس» فى «منف» كما كان يعبد العجل «منفيس» فى «عين شمس» وأخيرا العجل «بوخيس» فى «أخميم» ، وقد كان «تقطاب الثانى» أول من احتفل بعبادة العجل «بوخيس» .

فعبادة العجل إذا كانت عبادة منتشرة فى مصر . وأقدمها عبادة العجل «أيس» الذى كان يعبد فى «منف» عاصمة الملك أحيانا فى العصر المتأخر ، ولما حضر «الاسكندر الأكبر» الى «منف» قدم له قربانا كما سبقت الإشارة الى ذلك . ولا بد أن عبادة العجل فى صورة «سيراپيس» كانت شائعة عند

الاغريق في «منف» في هذه الفترة مما حدا «بببليوس» الى نقلها الى «الاسكندرية» عاصمته الجديدة التي كان يسكنها اغريق ومصريون على السواء ، وفي هذه العاصمة الجديدة أقام له «ببليوس» على ما يظهر معبدا فخما ، ثم أقيمت له معابد كثيرة في أنحاء القطر المصرى . غير أن المؤرخ «ماكروبيوس» (Macrobius) يقول : « ان المصريين قد قبلوا عبادة «سيرابيس» عن كره » . وقد علل ذلك بقوله أنه يمكن الانسان أن يلحظ أن معابد «سيرابيس» اذا استثنينا «الاسكندرية» كانت دائما خارج مباني المدن المصرية ، غير أن «فلكن» المؤرخ المعروف يقول ان هذا الاستنباط خاطيء ، لأن معابد «سيرابيوم» في مصر كانت دائما تقام في خارج المدن عند حافة الصحراء ، وذلك لأن هذه المعابد كانت خاصة باله الموتى، ومن ثم كانت تقام بجوار المدافن كما هي الحال في معبد «السرايوم» بمنف .

وقد كان من الضروري أن يظهر هذا الاله الجديد بعد أن وطدت عبادته في الاسكندرية على يد «ببليوس» بمظاهره الاغريقية التي كان يتصف بها الآلهة الاغريق الذين وحد بهم ، فقد وحد «بأسكليبيوس» بوصفه الاله الشافي . فقد كان يذهب اليه المرضى ويتامون في معبده حيث يملى عليهم هذا الاله في نومهم ما يجب عمله لشفاء كل مرض ، وهذا ما لا نجد له نظيرا في «اوزير حابي» المنفى ، ولا بد من أن هذه الصفات قد خص بها الاغريق الأول الاله «سيرابيس» ، والواقع أنه قد وجد نقش في خرائب معبد اغريقى صغير مقام بجوار الطريق المرصوف الموصل ما بين «سرايوم منف» ومعبد «أنوبيس» وهذا النقش لا يتخطى تاريخه عام ٣٠٠ ق.م وفيه نقرأ أن اغريقيا يقدم الشكر للاله «سيرابيس» على شفائه من المرض الذى أصابه .

وقد كشف لنا معبد «السرايوم» الذى أقيم في «ديلوس» (Delos) أن الثالوث الذى أثر على المدينة الهلينية لم يكن «ازيس» و «سيرابيس» وابنه «حور» (حربوخرات) بل كان يتألف من «ازيس» و «سيرابيس»

و «أنوبيس» (١) .

والأخير هو الاله الذى يقود الأرواح الى عالم الحياة الأبدية .
وعلى الرغم من أن الاغريق صوروا «سيراپيس» فى شكل رجل اغريقى
وشوهوا عبادته بعناصر هيلانية فان صورته المصرية كانت دائما ظاهرة بارزة،
حتى عندما نقلت عبادته فيما وراء البحار مع الآلهة المصريين الحقيقيين ، أى
مع «ازيس» و «أنوبيس» و «حور» والمجل «أيس» .

ولما كان «سيراپيس» فى الأصل يمثل صورة من صور «أوزير» فكان على
ذلك يقوم فى العالم الاغريقى مكان «أوزير» بجانب «ازيس» ، ولكن كان
«أوزير» يظهر أيضا . ويقول «فلكن» أن الآلهة المصريين الذين كانوا يرافقون
«سيراپيس» هم نفس الآلهة الذين يظهر أنهم راققوا «أوزير - حابى» فى
معبد «سرايوم منف» .

وكان الناس يتطلعون فى كل مكان الى «سيراپيس» و «ازيس» لانهما
الالهان المخلصان ، ولا بد أنه بحلول القرن الأول قبل الميلاد كانت عبادتهما
تعتبر الديانة العالمية ، فقد انتشرت عبادتهما انتشارا شاسعا حتى أن قوة
انتشارهما قد جعل «ازيس» وحدها من بين الآلهة الاجنبية تدخل بلدة
«أوردوك» فى بابل وتعرف هناك (٢) ، فى حين أن «سيراپيس» وصل بلاد
الهند (٣) . والواقع أن «سيراپيس» الذى أظهره «بطلليموس» فى عالم الوجود
عن روية وتفكير وهو لا يزال متأثرا بآراء «الاسكندر» يعد الاله الوحيد
الذى صنعه الانسان ، فقد كان «أوزير» يظهر فى ثوب «أيس» محلى بعناصر

(١) Roussel, Les Cultes Egyptiens à Delos, 277, B.C.H. راجع
1926, 425, No. 48).

(٢) Schroeder, Berl. S.B. (1916), 1180, Names Compounded راجع
with ISI and ESI.

(٣) Havishka's Coin : P. Gardner. B.M. Coins, Greek and راجع
Scythick Kings & C, 149.

اغريقية ، وكان الغرض منه التوحيد بين الاغريق والمصريين في عبادة واحدة مشتركة غير أن المصريين كما يقال لم يقبلوه ؛ وعلى الرغم من أنه حافظ على خصائصه الأوزيرية وأن «ازيس» كانت زوجه فانه أصبح الاله الاغريقى للاسكندرية فكان هو و «ازيس» مثلين على الأرض بالزوجين البطلميين الالهيين أى مثل «ازير» و «ازيس» في الديانة المصرية القديمة .

هذا وكانت الآلهة «زيوس» و «هاريس» و «سكليبيوس» وغيرهم يعدون من العناصر التى تتألف منها طبيعة «سيراپيس» . ولا غرابة فى ذلك فانه من خصائص الديانة المصرية القديمة أن الآلهة فيها فى عهد الدولة الحديثة وما بعدها بوجه خاص ، كانت عندما يرتفع شأن الواحد منها يطمى على صفات الآلهة الآخرين ، وعلى مميزاتهم وينسبها لنفسه ، أى أنه يصبح موحدًا مع أى اله يرى التوحيد معه . ولقد أصبح «سيراپيس» الحاكم العالمى الذى يكل اليه عبادة أمورهم كما يريدون . والظاهر أن التفسير الذى قدمه الاثرى «فلكن» وهو «أوزير - أيس» لم يقبله بعض العلماء حتى الآن فى حين أن التفسير الذى يقول أن «سيراپيس» مشتق من اسم المعبوده البابلية «أيا» وهو «شاربسى» لم يجد قبولا حسنا عند الاثريين (١)

مما يطيب ذكره هنا أنه توجد دعاية قوية للاله «سيراپيس» فى محيط مدن مصر . هذا وقد انتشرت عبادته بسرعة فى العالم «الايونى» وأحيانا نجد أنه قد دخلت عبادته معبد أقدم «لازيس» التى كانت عبادتها قد مهدت غالبا لعبادته كما حدث فى «أثينا» ، وقد كانت عبادته فى بادئ الأمر مثل عبادة «ازيس» قاصرة على مجتمعات خاصة ، ولكنها أصبحت رسمية كما حدث فى «أثينا» ، و «ديمترياس» (Demetrias) و «لندوس» (Lendus)

(١) راجع Lehman-Haupt. Lc. "Serapis" at Babylon, in Arr. VII 26.
is Ptolemy I, S. Propaganda; See Kaerst, op. cit. 244;
Nock J.H.S. 1928, 21, No. 2).

و «ديلوس» وغيرها . ففى «ديلوس» مثلا نجد أن كاهنا مصريا يدعى «أبولونيوس» قد أدخل عبادته قبل عام ٣٠٠ ق.م ، وبعد أن استوطن هذا الاله مدة جيلين هناك بنى له حفيد «أبولونيوس» هذا معبدا . وفى عام ١٦٦ ق.م. كان له ثلاثة معابد استولت المدينة على واحد منها ، وقد وسع هذا «السيرايوم» الرسمى فيما بعد . وفى مصر كان للاله «سيراييس» اثنان وأربعون معبدا (١) غير أن معابده الرئيسية كانت فى «الاسكندرية» و «منف» .

وتدل أقوال المؤرخين القدامى على أن مبنى «السيرايوم» كان موجودا قبل عهد البطالمة ، وقد قال المؤرخ (Tacitus) انه كان يوجد معبد يتناسب مع عظمة «الاسكندرية» وأقيم فى حى «راقودة» حيث كان يوجد من قبل معبد صغير للاله «سيراييس» والآلهة «أزيس» ، ويذكر كذلك المؤرخ «أريان» الذى عاش فى القرنين الأول والثانى بعد الميلاد أن «الاسكندر الأكبر» قد وضع أساسا لمعبد للالهة «أزيس» فى الحى الوطنى أى «راقودة» ، وكذلك يؤكد العالم البليغ «افثونيوس» (Aphthonius) الأنطاكى الذى زار الاسكندرية فى عام ٣١٥ م أنه زار «السيرايوم» وقد أشار اليه باسم «أكروبوليس» (Acropolis) ، وأن «الاسكندر» هو الذى أسسه وفضلا عن ذلك يقول المؤرخ البيزنطى «مالالاس» (Malalas) (٢) أن «الاسكندر» أقام معبد «السيرايوم» فى «الاسكندرية» . ولا غرابة فى ذلك فانه كان يوجد معبد قديم صغير قبل عهد البطالمة ، كما ذكر «تاسيتوس» ، ولا أدل على ذلك من وجود قرابين قدمت لهذا الاله قبل عهد «بطليموس الثالث» ، فقد برهنت على ذلك الحفائر الحديثة التى عملت فى الاسكندرية عام ١٩٤٣ وعلى أن هذا الملك هو الذى أقام هذا المعبد . وقد قدم هذه القرابين «اسكليپودوروس» (Asclpiodros) و «ايولوس» (Eubolos)

(A.S. XIII. P. 103).

(CHR. P. 192

(١) راجع

(٢) راجع

هذا بالاضافة الى مائدة قربان تذكارية قيل أنها قدمت على شرف « بطليموس الثانى » وزوجه « أرسنوى » (غير أن هذا ليس مؤكدا) ، وقد وجدت هذه المائدة منذ زمن بعيد فى حرم مقدس صغير يقع شمال عمود يومباى (١) ، ويقول « تاسيتوس » فى كلامه أن معبد « سيرابيس » الجديد بناه « بطليموس الأول » بعد أن أحضر الى « الاسكندرية » من سينوبى (Sinopu) تمثال الاله « پلوتو » (Pluto) وهو عند الاغريق اله العالم الآخر مثل « أوزير » ، وكذلك يشير « پلوتارخ » الى نقل التمثال من « سينوبى » الواقعة على البحر الأسود الى الاسكندرية ، ويقول أنه عند وصوله وحد بتمثال « سيرابيس » وهو الاسم الذى أطلقه المصريون على « پلوتو » .

ومن الجائز أن « بطليموس الأول » أحضر التمثال من « سينوبى » ووضعه فعلا فى محراب صغير كان موجودا من قبل للالهين « سيرابيس » و « ازيس » فى « راقودة » حيث أقام فيما بعد حفيده « بطليموس الثالث » معبد « سيرابيس » الفخم ليحتفل بعظمة « سيرابيس » وببهاء الاسكندرية ، ويقول « تيتس » (Titzes) الذى عاش فى القرن الثانى عشر بعد الميلاد أن « بطليموس الثانى » قد أسس المكتبة الثانية فى « السرايوم » ، غير أنه من الممكن أن يكون قد خلط بينه وبين « بطليموس الثالث » .

والظاهر أن العالم « فريزر » (٢) ، بعد أن ذكر أن أقدم معبد « لسيرابيس » كان فى منف (٣) أضاف أنه على الرغم من أنه فى السنين التالية قد نسب ادخال عبادة « بطليموس الأول » (أو الثانى) الذى أحضر التمثال من « سينوبى » فان كل ما فعله هذا الملك المقدونى السياسى على ما يظهر هو أنه وحد « أوزير » المصرى بالاله « پلوتو » الاغريقى ، وبذلك أقام لها أمكن للصربين

(١) T. Schreiber, Studien uber das Bildnis Alexanders des Grossen 1903, P. 251).

(٢) J.G. Frazer, Adonis, Attis Osiris II, 1919, P. 118, Note

(Pausanias I, 18,4

راجع (٣)

والاغريق أن يتحدوا في عبادته على السواء . يضاف الى ذلك أنه عثر على نقش في ترعة الحمودية يقرر أن «ارخاجاتوس» وزوجه قد قدما «ببليوس» الثاني» وزوجه حرما مقدسا (حوش) في «سيرابيس» و«ازبس» (وهذا المكان غير معروف الآن) . ولكن مما يؤسف له جد الأسف أنه ليس لدينا حتى الآن برهان أثري ايجابي يمكن الاستناد عليه فيما ذكره هنا سابقا كل من «أريان» و «افتونيوس» و «مالالاس» و «بلوتارخ» و «تستس» (١).

وكل هذه المصادر التي اقتبست في كتاب «اجتياكا» (٢) تشير الى احضار التمثال من «سينوي» والى البناء المزعم الخاص «بالسريوم» ، وعلى أية حال فان الكشف الحديث الذي عملت في منطقة «الاسكندرية» تدل على أن «السرايوم» الكبير قد أقيم في عهد «ببليوس الثالث» (٣) . وهذه هي حقيقة هامة جدا لأنه وجد في بردية مؤرخة بهذا العهد (عام ٢٤٣ ق.م) لأول مرة ذكر فيها اسم «پارمينيون» الذي يسمى عادة «پارمينسكوس» (Parmeniscos) مهندس العمارة الشهير الذي أقام «سرايوم» بمقتد بعض المؤرخين أنه «سرايوم» الاسكندرية الكبير (٤) .

هذا وبشك المؤرخ «پيفان» في قصة حلم الملك «ببليوس الأول» واحضار تمثال «سيرابيس» الى مصر من «سينوي» الواقعة على البحر الأسود (٥) ، وعلى أية حال فانه ما لا نزاع فيه أنه كانت هناك صلة تجارية

(١) راجع Cyrilli Alexandriae, Patriarchae, Opera, T. VI, Contra Julianum. P. 13, Clemenens Alexandrinus, T. I. P. 42, Edit. Potter, and Macrob., Saturnal. (Prideux's Connect, Vol. II, P. 12, Edit. Fol.).

J. White, Aegyptiaca, 1801. PP. 54 ff.).

(٢) راجع Discovery of the Famous Temple of Serapis at Alexandria by Alan Rows).

(٣) راجع See C.C. Edgar, Zenon Papyri (in Cat. Gén. du Musée du Caire), III, 1928, P. 89).

Bevan, Ibid. P. 44.

(٥) راجع

صادقة بين مصر وهذه البلدة على ساحل البحر الأسود مما يجعل لهذه الاسطورة صداها في مصر ، وبخاصة عندما نعلم أن أهل هذه البلاد كانوا مغرمين بمصر وأثارها^(١) وقد كتب «جوجيه»^(٢) في هذا الصدد يقول: «والظاهر أنه ليس هناك ما يدل على أثر مصرى في صورة المعبود الجديد الذى مثل للعبادة في «سيراپيوم الاسكندرية» ، ومن المحتمل أن هذه الفكرة قد نسبت للحفار الأثينى «برياكسس» (Bryaxis) لذى صنع تمثال هذا الاله أى تمثال «سيراپيس» فقد مثل لابسا جلبابا طويلا وملتقا بحزام كبير وله مظهر الاله «زيوس» القوى ولكنه كان منعما عابسا وشعره غزير ومصفف في حلقات مسدلة على جبهته ، هذا وقد خلع عليه لمعان نظرتة الدافقة سيما الخير، ويلبس على رأسه السلة المقدسة الخاصة بالشعائر وزينت بثلاث أشجار زيتون بارزة يخرج منها سنابل من ذهب ، وقد مثل جالسا على عرشه ويرتكز يمينه على صولجان في حين كانت يده اليسرى تهدى كلبا له ثلاثة رؤوس نابجة وجسه كان مطوقا بشعبان^(٣) .

كل هذه الأوصاف تشعر بأن هذا الاله هو اله دولة الظلام في العالم السفلى وحاكم الموتى ، والواقع أن الاله «سيراپيس» هو الاله «پلوتو» ملك الآخرة والموتى. وإذا لم يكن لدينا لتعريفه غير طراز صورته فانه لا يمكن ان نبحت عنه بين الآلهة المصريين ، ومع ذلك نجد أن «شميليون» قد تعرف في هذا الاله الاغريقى على الاله المصرى «أوزيرحامى» الذى كان يعبد في معبد «أپيس» الجنازى المقام في «منف» ، وهذه الثيران المقدسة (أپيس) كانت تصبح مثل الآلهة والناس عند الموت أى تدعى «أوزير» ، وكانت تحنط، وكان هناك كاهن مقنع بملابسه في هيئة الاله «تحتو» يحمله في حفل عظيم

(J.E. A. Vol. XIV, P. 13. ff.

(Joguet B.I. F.O. Tom. 30. P. 530.

Amelung, Le Sarapis de Bryaxis, Revue Archeol. (1903), راجع (٣)

II, p. 177-201).

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

حتى حافة الصحراء الغربية حيث كان يوجد معبد الاله «أنويس» ، وكان ابن آوى المقدس (أنويس) أو كاهن آخر يمثل دوره يقود الحفل في شارع مرصوف في خلال الجبانة حتى يصل الى المبنى السفلى الذى كان يستعمل مقبرة للحيوان المؤله «أيس» ، وقد كانت أيام الحداد تمتد ٧٠ يوما ، وكان يصحبه بوجه خاص كاهنتان شابتان توأمان وهما يمثلان الأختين الالهيتين «ازيس» و «فتيس» .

وكان يقام فوق الضريح مقصورة مخصصة لعبادة أوزير الجديد ، منذ الأسرة التاسعة عشرة لم يكن يوجد الا مدفن سفلى واحد ومعبد فريد حيث كان يعبد الناس فيه الروح الجماعية لكل الثيران المدفونة هناك وهى «أوزير - ايس» أو «أوزير - حابى» . وهذا الاله الأرضى أو السفلى كان يظهر للمخلصين من أتباعه في صورة تمثال على الطراز المصرى . ومن المحتمل أن هذا التمثال كان يمثل بصورة «أوزير» جالسا ورأسه رأس ثور ، وهذه نظرية قد ذكرها المؤرخ «فلكن» (١) .

ويتساءل المرء كيف حدث أن هذه الصورة الغربية قد أصبحت تعتبر الصورة لنفس الاله الذى صورده الاغريق بصورة انسان جميل الطلعة ؟ وليس من شك في أنه نفس هذا الاله والروابط التى تربط بين «سرايوم الاسكندرية» و «سرايوم منف» ظاهرة واضحة «فأوزوريس - حابى و «أيس» لهما مكانهما على قلعة «راقودة» حيث لا يزال العمود المعروف بعمود «يومى» قائما الى يومنا هذا ، وهو يوحى الينا بقايا «السرايوم» القديمة «وسيرايس» كان يمثل جالسا على عرشه في محرابه «بمنف» ، وكان يجيء ويروح في حرم هذا المحراب جم غفير من الكهنة والمتعبدين ، فكان كل واحد منهم على حسب قوميته يعبد هذا الصنم أو ذاك بالعاطفة التى

«أوزير» في الديانة المصرية أمرا مسلما به ، والواقع أننا رأينا في زمن متأخر جدا - أى في الزمن الذى كانت فيه الديانة الشمسية قد بدأت تصبح ديانة الامبراطورية الرومانية تكرر الصيغة المشهورة وهى «اله واحد «زيوس هليوس سيراپيس» ، ولكن هذه الديانة كانت فعلا بذرة زرعت في تصورات القرن الثالث قبل الميلاد ، ولا بد من أن نعترف هنا بأن تقي الناس وصلاحهم قد عمل من الاله «سيراپيس» الها يمكن أن يساعدهم ويأخذ بناصرهم . والمعجزة نجدها في أصل التعبد «لسيراپيس» فقد كان الها شافيا من الأمراض فبهذه الصفة ارتبط بـ «أمحوتب» المصرى ووحده «باسكلايوس» الاغريقى وهما واحد . ولا نزاع في أن مثل هذه الديانة كان مقدرها لها الانتشار بسرعة في كل حوض البحر الأبيض المتوسط بسهولة ، وبخاصة أنها كانت ديانة «اوزير» الذى تزوج من «أزيس» التى كان مقدرها لها أن تصبح هى نفسها آلهة عالمية ، وقد أنجبا الاله «حور الطفل» «حربوخرات» ، ومن ذلك تكون «ثالوث الاسكندرية» ، وقد فتح «سيراپيس» وزوجه «أزيس» العالم ناشرين في كل مكان سلطان الاسكندرية ومصر الفرعونية . وأنه لمن الصعب حقا أن نفهم أن ملوك البطالمة لم يكن لهم يد بصورة ما في نشر هذه الدعوة التى اجتاحت كل العالم باتتصار مبين . هذا ونجد غالبا أن نظام هذه الديانة الجديدة يؤكد ما رأيناه من عناية الملك في مراعاة التقاليد المصرية ، وأنه قد عمل في الوقت نفسه لصالح المصريين والمقدونيين والاعريق . ولم يكن يعنى ذلك رغبته في أن يقوم الحكم بين هاتين الثقافتين ، أى الثقافة الاغريقية والثقافة المصرية بمساوات خداعة ، اذ الواقع أن سرعة جعل «سيراپيس» هيلانى الصبغة يضيف الى ما لدينا من معلومات أخرى أن انتشار الهيلانية السريع كان أمرا ضروريا ، وأنه قد احتفظ بدور غاية في القوة للهيلانيين .

هذا ما كان من أمر الدور الذى لعبه «سيراپيس» ، أما الدور الذى لعبته

زوجه « أزيس » فقد كان على جانب عظيم من الأهمية وبخاصة من الوجهة الإنسانية .

والواقع أن « أزيس » في العصر الهيلاني كانت تحمل أسماء عدة وكانت تعتبر أعظم الهة بين الآلهة الهيلانستية، فقد كانت في الواقع موحدة بكل الهة كما كانت تعتبر المرأة المؤهلة في كل العالم المعروف ، فكانت هي الحقيقة الوحيدة التي تضاءلت أمامها كل الحقائق ، فكانت سيدة الكل ترى كل شيء وتسيطر على كل شيء ، كما كانت ملكة العالم المعمور ونجمة البحر وتاج الحياة والقانون ومخلصة العالم والرقة والجمال والسعد والفيض والصدق والحكمة والحب (١) ، وكانت كل المدنية هبتها وتحت سلطانها ، وتمثيلها تصور في هيئة امرأة في ريعان الشباب في ملابس متواضعة بتقاطيع تصو الرقة والاحسان وتلبس على رأسها تاجا من البشنيين الأزرق اللون أو الهلال وكانت أحيانا تحمل بين ذراعيها طفلا حور وكانت القرابين تقدم لها يوميا، ولم يكن يعرض تمثالها الخفى لعبادها الا في الأعياد العظيمة ، فكان تمثالها يعرض مرتديا أفخر الملابس التي يتلألأ فيها المجوهرات ، وذلك لأن كهنتها كانوا يفهمون كل فنون الاحفال التي يمكن أن تجتذب إليها الناس . وكانت « أزيس » في عيد نوفمبر تمثل مأساة أوزير ، أي موته بيد أخيه « ست » (تيفون) ، والدور الذي لعبته « أزيس » في البحث عن جثته ثم عودته الى الحياة (٢) .

أما عيد الربيع الخاص بانزال السفينة فكان أكثر فخامة وروعة من السابق، وقد كان الغرض منه الاحتفال ببداية ابحار السفينة ، وقد وصف هذا الموكب الفخم « أبوليوس » (Apuleius) بعارة حية جزنة عندما يأخذ سيره من

المعبد الى الساحل لا تزال السفينة الرمزية الخاصة للآلهة (١) ، وعبادتها
يكنى عنها بالقتال وكان تلاميذها هم الجنود في جيشها .

والواقع أن تعاليم أصول مبادئها لم يكن بالأمر السهل . فمن الجائز أن
التلميذ المبتدئ قد يمضى سنوات عدة قبل أن تدعوه الآلهة ليدخل محرابها ،
وقد كان عقاب كل من يدخل المحراب دون أن يدعى الى ذلك هو الموت (٢) .
وكذلك كان يحكم بالموت على من يدخل المحراب الا بعد الدعوة لذلك ،
والتعليمات اللازمة التي يجب أن يصدرها حافظ الأسرار ، ولكن كان الموت
لحياة المبتدئ القديم وولادة لحياة جديدة وهى حياة الخلاص والنجاة
وقد كان على الطالب فى الاحتفال نفسه أن يطهر أولا بالماء ثم يجول فى أماكن
العالم السفلى المظلمة فى المدة التى بين حياته وقيامته معرضا لبعض تجارب
قاسية ، فمن المحتمل أنه قد مات فعلا ثم دفن ، ومن الجائز أن العنس
والتخين قد لعب فى ذلك دورا كبيرا ، وفى النهاية كان يخرج قبس من نور
وعليه الملابس المقدسة وكان يلوح بشعلة للطائفة بوصفه الها ، ومن ثم كانت
زوجه محررة من سلطان القدر وسلطان الموت (٣) .

ولم تقتصر عبادة «ازيس» على الأفعال التى كانت تقام لها، والشعائر التى
كانت تؤدى لها فى المعابد ، فقد كانت «ازيس» ظاهرة لم تعرف بعد فى البحر
الأبيض المتوسط فى العصور التاريخية ، ولكن عندما ظهرت وعرفت ظل
نجمها ساطعا لم يخف قط فى كل عصور التاريخ القديمة ولا فى العصور الحديثة
فى أوربا ، فقد كانت آلهة المرأة ، ولا غرابة فإن نصف الجنس البشرى كان
فى حاجة ماسة الى صديق أمام محكمة النساء ، وقد كانت الآلهة أثينا الاغريقية
آلهة الرجل . واذا كانت امرأة تستغيث بالآلهة «أرتميس» عند الوضع فإن

(Apul. XI 8 SQQ, 10
Paus. X. 33, 13; Reitzenstein Rel. 3, 254.
Apul, XI, Reitzenstein, op. cit. 19).

(١) راجع
(٢) راجع
(٣) راجع

ذلك يرجع الى أنه لم يكن هناك أحد غيرها يمكن أن يدعى . والواقع أن وقائع الحياة الرئيسية في نظر أى امرأة عادية مهذبة هى أنها تكون زوجة أو أما وأنه ليس بينها وبين عذراء محاربة محبة للفن أو عذراء صائدة الا القليل من أوجه الشبه بل كانت تعد باردة مثل القمر ، وكذلك لم يكن فيها الا القليل من صفات آلهة الخصب التى من عصر الأمومة القديم ، وكانت أقل شبها بالآلهة « أفرو ديت » وذلك على الرغم من أن الناس كان في قدرتهم أن يقولوا أى شئ الى روح ، والآن أصبح للمرأة بوجود « ازيس » صاحبة بل وأعظم الصاحبات كلهن ، فقد كانت زوجة وأما كما كانت امرأة تتألم ما شاء لها أن تتألم ، وكانت امرأة فهمت أنوثتها . و « ازيس » نفسها لم تترك أى شك لمستزيد في هذه الناحية ، فهى فخر النساء ، اذ قد منحتهن قوة تضارع قوة الرجال (١) ، وقد عثر لها على قصيدة في « يوس » (Ios) تعبر عن ذلك فاستمع اليها وهى تقول : انى « ازيس » وانى أنا التى يدعوها النسوة آلهة ، لقد أمرت بأنه يجب أن يحب الرجال النساء ، ولقد جمعت بين الزوج والزوجة واخترعت عقد الزواج ، وأمرت بأن يحملن أطفالا ، وأنه يجب على الأطفال أن يحبوا آباءهم (٢) . وبهذه القوة التى عبرت عنها « ازيس » اكتسحت بلاد البحر الأبيض المتوسط بقوتها وسلطانها ، وعندما انتصرت المسيحية في نهاية الأمر على الوثنية وطوحت بتماثيل الآلهة « زيوس » و « أبوللون » و « سيراييس » والآلهة النجمية من على عروشها نجد أن « ازيس » وحدها قد ظلت محتفظة بعرشها بعد هذا السقوط الذى شمل كل الآلهة الآخرين . وقد أدخلت عبادة العذراء قبل تخريب « السرايوم » ، ومن ثم انتقل عباد « ازيس » في هدوء الى عبادة أم أخرى ، وقد يشاهد مقدار هذا الهدوء في

(١) راجع P. OXY. 1380, 11.130, 214; Diod. I, 27.

(٢) راجع Ditt³, 1267, Cf. 1. G. XII, 5, 739; Salac, B.C.H. 1927, 378, Rousel; Rev. Eg., 1929, 137.

هذا الانتقال عندما نرى ونعلم أن أمثلة متنوعة من تماثيل «ازيس» قد استعملت
للبتول (مريم) (١) .

(١) راجع Meyer and Drexler 431; Cf. 428-30; C.W. The King, The Gnostic and their Remains², 173, (the black virgin); Tarn Hellenistic Civilisation, p. 320-324).

الاسكندرية فى عهد بطليموس الأول

وضع «الاسكندر الأكبر» حجر الأساس لمدينة «الاسكندرية» ولم يسهله الأجل ليرى مدينته التى أتمها من بعده «بطليموس الأول» وجعلها عروس البحر الأبيض المتوسط وزينة الدنيا من حيث المبانى ، كما أضحت قبلة العالم الهيلانستىكى من حيث العلوم والمعارف فى عصره وفى عصر أخلافه . وقد تميزت «الاسكندرية» عن سائر مدن مصر حتى أصبحت تعرف باسم «المدينة» وذلك على غرار مدينة «طيبة» فى عهد الفراعنة فكانت تعرف باسم «نو» أى المدينة وفى عصرنا تعرف «يثرب» وهى مدينة الرسول محمد صلعم باسم «المدينة»^(١). وتقع «الاسكندرية» على لسان من الأرض بين البحر وبحيرة «مريوط»، وعلى كل من جانبي هذا اللسان ميناء، وقد وضع تصميمها المهندس «دينوكراتيس» (Dienocrates) المقدونى على شكل مستطيل وهو الشكل العادى الذى كان متبعاً فى تصميم المدن الهيلانية، ومن المحتمل أن سور الاسكندرية المحيط بها كان يبلغ عشرة أميال ، وهذا النوع من التصميم الهندسى كان يوجد فى القرى الاغريقية التى أقيمت فى «القيوم» . ولكن الطرق التى كشف عنها فى «الاسكندرية» بخارجاتها المنيرة ليلاً ترجع فعلاً الى العهد الرومانى . والواقع أن كل ما نعرفه عن المدن الاغريقية فى هذا العهد يرجع أصله بوجه خاص الى ما كتبه «استرابون» الجغرافى الذى عاش فى القرن الأول بعد الميلاد ، فقد وصف لنا شارعاً كبيراً فى الاسكندرية فقال ان عرضه مائة قدم ويمتد من الشرق الى الغرب ويتقاطع بزوايا مستقيمة بشارع آخر ويؤدى الى بوابات المدينة

الأربع ، وذكر أن عددا كبيرا من الشوارع يحمل أسماء العبادة للملكة «أرسنوى» الثانية زوجة «بطليموس الثانى» (١) .

وقد ربط «الاسكندر» جزيرة «فاروس» الى اليابسة بواسطة «طوار» طوله سبعة أثمان الميل وأطلق عليه اسم هيتاستاديون (Heptastadion) وكون ميناءاً مزدوجاً ، وفى شرقى الرصيف يوجد حوض طيعى قد أهمل الآن ، وفى الغرب ميناء من صنع الانسان تسمى «أينوستوس» (Eunostos) ألقت باقامة طوار فى الماء ، وتصل بحيرة مريوط بقناة ، وكان لكل منهما ميناء صغير داخلى مغلق ينفتح منها ، فمن الميناء الشرقية كانت ميناء «بطليموس» الخاصة ، ومن «أينوستوس» الميناء الحربية المسماة «كيبوتوس» (Kibotos) ، وكانت الميناء التى على بحيرة «مريوط» تدخل فيها تجارة النيل ، ويقال انها كانت تبسج لحمولة كبيرة أكثر من ميناءى البحر ، وهناك كان يرسو أسطول النزهة الفاخر الذى بناه «بطليموس الثانى» . وفيما بعد أقيم هناك القصر الفاخر الذى أقامه «بطليموس فيلوباتور» الرابع على عوامة وهو عبارة عن قصر فاخر (فيلا أو كرمة مؤلفة من قاعات ومحارب محاطة بمعد) .

وعلى شاطئ الميناء الشرقية كان يقع الحى الملكى المسمى «بروشيون» (Brucheion) حيث يشاهد فى وسط المعابد والبساتين الشاسعة القصر الملكى والمتحف والمكتبة ومعبد اليهود وربوع الحرس ومقابر البطالمة والضريح الفاخر الذى أقيم لموارة جثمان «الاسكندر» فى عهد «بطليموس الثانى» عندما أحضره من منف على حسب احدى الروايات ، ولا يزال أباطرة الرومان يمدون هذا القبر مكانا مقدسا يحج اليه الناس فمن بين الذين وفدوا اليه الامبراطور «كراكلا» .

وكان يشرف على كل هذه المباني مبنى «الفاروس» أو (منارة

الاسكندرية) التى أقامها «سوستراتوس» مواطن بلده «كنيدوس» وذلك لتأمين البحارة وسفنهم فى عرض البحر ، وقد بنيت هذه المنارة على شكل برج يتألف من ثلاث طبقات بعضها فوق بعض متناقضة فى الحجم من اسفل الى أعلى ويبلغ ارتفاعها جميعا حوالى ٤٠٠ قدم ، وهذا المبنى كان منقطع النظر فى تلك الفترة ، وكان الطابق الثالث الذى فيه المصباح يتألف من ثمانية عمد يرتكز عليها قبوة مشعلة تحتها نار خشب راتنجى ، ومن المحتمل أن النور كان ينعكس بواسطة مرآة مقعرة كانت تضىء الطريق للسفن ويصل اليه الانسان بواسطة مصعد ، ومن المحتمل أن العرب قد أخذوا عن هذا البرج المدرج تصميم المآذن التى تقام فى المساجد .

وكان بداخل المدينة المباني التى كانت تحتوى على مصالح كل ادارات البلاد والمخازن الرئيسية للغلال والزيت والمحاصيل الأخرى ومحكمة العدل والچمنازيوم . ويقع «الاستوديوم» خلف البوابة الشرقية وحظيرة عربات السباق «هيبودروم» (Hippodrum) ، وفى الغرب على مقربة من الحى الوطنى يقع مبنى «پريميتيسكوس» (١) . وهو عبارة عن معبد «سيراپيس» العظيم ، هذا ويوجد هناك ربوة صناعية مهداة للاله «پان» (PAN) كانت تشرف على كل المدينة ، وكانت الحوانيت والاسواق مقامة صفا صفا على جانبى الشوارع الرئيسية كما كان مقاما فيها مئات البيوت التى تتألف من عدة طبقات عالية . وكانت الفنادق معروفة فى الاسكندرية يديرها عبيد لأسيادهم . وكان يجلب للأهلين المياه بقناة تأخذ مياهها من النيل ، وتوزع بواسطة مجار تملأ حياضا تحت الأرض تأخذ منها الناس ما تحتاج اليه من الماء بالضح ، وقد تعدت المدينة سورها من كلا الجانبين ، ففى الجهة الغربية كان الحى الوطنى المصرى ، وفى الشرق خلف ضاحية «اليوزيس» (Elusis)

غرست حدائق غناء امتدت حتى «كانوبس» (أبو قير) التي كانت تعد ملعب الاسكندرية ، كما كانت تحتوى على الاضرحة المزخرفة . وكان يقطن المدينة مجتمع غريب مؤلف من الملك وبلاطه والجيش وكبار الموظفين والحكام والكهنة أعضاء مجلس المدينة والعلماء والشعراء والكتاب وفلاسفة «الميزيوم» والمكتبة والمعلمين والتلاميذ والبنات وكهنة من الاغريق والوطنيين ورجال أعمال أغنياء من رعايا الملك أو أجانب وأصحاب حوانيت متوسطى الحال وأصحاب حرف وبائعين جائلين ومشعلى المصاييح وعمال الموانى وبجارة وعبيد .

وكان يتحدث فيها السكان لغات عدة فكانت اللغة الاغريقية بكل لهجاتها هى اللغة السائدة ، ولكن فى الأحياء الوطنية كان الحديث باللغة المصرية ، فى حين كان اليهود يتحدثون باللغة العبرية والآرامية التى كانت لا تزال اللغة السائدة عندهم ، وخلافا للغة العبرية كانت هناك لغة سامية أخرى ، ومن المحتمل أنه كانت هناك بعض لهجات هندية .

ولم يحل عام ٢٠٠ ق.م. حتى أصبحت «الاسكندرية» أكبر مدينة فى العالم المعروف ، ولم تفقها روما الا فيما بعد . وقد بلغ عدد سكانها ما يقرب من مليون نسمة (١) ، (وقد جعلها المؤرخ «يبلوخ» أقل بكثير من مليون) . من مليون) .

وفى محاوره دونت على بردية كشف عنها حديثا ادعى أحد المتحمسين أن «الاسكندرية» هى الدنيا فالأرض قاطبة هى أرض المدينة والمدن الأخرى ليست الا قرأها وحسب (٢) .

والواقع أننا لا نعرف شيئا عن تاريخ الاسكندرية المبكر والظاهر أن «الاسكندر الأكبر» لم يكن لديه أية فكرة عند تأسيسها لجعلها عاصمة الملك .

Beloch IV. 1, 287)

. (P. Berl. 13045, 1.28 in Berl. Kl. Texte VII, 13

(١) راجع

(٢) راجع

ومن المحتمل أن الحكام الذين نصبهم على مصر قبل مغادرته اياها كانوا يحكمون البلاد من « منف » العاصمة المصرية القديمة . هذا ونعلم أن « بطليموس بن لاجوس » عندما حصل على مصر بوصفها الشطرية التي يحكمها من قبل الامبراطور « فليب أريداوس » قد اتخذ عاصمة ملكه مدينة « منف » كذلك حيث كان يشوى جثمان « الاسكندر » الذي حصل عليه بعد موته كما شرحنا ذلك آتفاً ، ولم ينقل « بطليموس » مقر ملكه الى « الاسكندرية » الا بعد مرور سنين عدة وذلك بسبب تغيير سياسته (١) وقد ترك « بطليموس » سياسة « الاسكندر » الرشيدة في الحكم ونهج بدوره في حكم المصريين سياسة الغالب للمغلوب ، وهى السياسة التى انتهجها أخلافه الى أن أجبرهم ضعف البلاد المتزايد الى النزول عن بعض الحقوق للشعب المغلوب على أمره . وقد كانت العلامات الظاهرة الدالة على هذا النهج هى نقل مقر الحكم الى « الاسكندرية » واقامة عبادة الاله الجديد « سيراپيس » الذى ترجع أصل عبادته الى مدينة « منف » (وهو الاله الذى جعله « بطليموس الأول » نقطة تقابل الاغريق والمصريين فى عبادة واحدة) ، ومن ثم أصبح بصورة ما الاله القومى لممتلكاته ، وقد أصبح هذا الاله موضع عبادة عظيمة يدير شئونها رئيس كهنته فى « الاسكندرية » . يضاف الى ذلك أنه نقل جثمان « الاسكندر » الى « الاسكندرية » فى عهده أو عهد « بطليموس الثانى » على أرجح الأقوال . وكان فى الاسكندرية مقدونيون يحتمل أنهم كانوا فيها من العهد الأول الهيلانستىكى ولم يكونوا منفصلين عن المدنيين العاديين ، ولكنهم كانوا يؤلفون طبقة من السكان بما لديهم من امتيازات .

ويقول أحد المؤرخين (٢) أن السكان الأصليين لا بد كانوا يتألفون من مقدونيين واغريق ، غير أن السؤال المعصل فى هذا الصدد هو كيف تمكن

«الاسكندر الأكبر» من أن يجمع الأسر التي الفت النواة الأولى لسكان «الاسكندرية» ؟ وهذا ما نجهله تماما . والحقيقة أن السواد الأعظم من السكان كان من المدنيين الاغريق ولكن من الجائز أنهم كانوا يشملون ممثلين من سلالات غير اغريقية ، ولا نزاع في أن الاغريق قد وفدوا على الاسكندرية من أجزاء عدة من العالم الاغريقي. وقد كانت تسمع في شوارع «الاسكندرية» عدة لهجات الى أن حلت محلها لهجة خاصة من العهد الهيلانستيكي، وبهذه المناسبة يذكر الانسان المناقشات التي نجدها في المقطوعة الخامسة عشرة من شعر للشاعر «تيوكريتوس»^(١) حيث نجد الأجنبي عندما أحفظه ثروة «براكسينوا» (Praxinoa) وصاحبها يصيح قائلا : « ياسيدتى الفاضلة كفى عن هذا الهذيان الذى لا ينفذ والذى يشبه هديل زوج الحمام » ! انهما يجعلانى أخرج عن طوقى بلهجتهما الدورية العريضة . فتجيبه « براكسينوا » قائلة : « يا لله من أين أتى الزميل ؟ وما عليك اذا كنا نهذى انك تشتري عبيدك قبل أن توصى عليهم وان من تعطيهم أوامرك هم من أهل «سراقوسة» وكنت اود أن تعلم اننا « كورثيا » الأصل مثل « بلرفون » Bellrphon كما تعلم ونحن نتكلم « باليلوپونيزية » (لغة أسبرته) وأظن أن الدورين مسموح لهم أن يتكلموا باللغة الدورية (أى باللغة العريضة)

هذا ونجد فى ورقة تحتوى على وثيقة خاصة بحملة تجارية ببلاد «بنت» لشراء أفاويه (بهارات) (٢) افرادا من بين الجماعات والضامين لهم من « اسبرته » و « اليا » (Ilea) فى ايطاليا وقرطاجنة ومرسليا وآخر يظهر أنه رومانى . ونجد كذلك فى عقد خاص بقرض فى السنة ٢٢٥ ق.م فارسيا من الحرس الملكى ورومانيا وثلاثة أفراد من «برقة» .

وخلافا للمواطنين الذين يتمتعون بحقوق المواطن الكاملة ، كان يوجد

فى العهد الأول على وجه التقريب وفى العهد لذى تلاه على وجه التأكىء ، أناس لم يكونوا يتمتعون بحقوق المواطن الاسكندرى ، هذا وكان يوجد فى المءىنة فضلا عن ذلك يهود قء ازءاء عءءهم فىما بعء بءرءة عظمىة . وىشك بعض المؤرخىن (١) فىما أءلى به «جوسىفس» من أن «الاسكندر» قء شجع اليهود بوجه خاص على سكنى الاسكندرىة ، وأنه أعطاهم حقوق المواطن الاسكندرى وذلك بسبب أن اليهود فى هذه الفءرة لم يكونوا كاليهود الذىن أنوا بعء ، وهم الذىن كانوا متعلقىن تعلقا وثىقا بالمال وكسبه (٢) . ومن البدهى أن الاغرىق كانوا قوما تجارا ممتازىن فى هذه الأيام ومع ذلك فان اليهود سواء آكانوا فى «الاسكندرىة» من أول تأسىسها أم رحلوا إليها من جبال يهوءة المنزلة كانوا قء أعدوا (بسبب تجاربهم العظمىة فى أثناء اسرهم فى بلاد بابل) لنشر اختلاطهم بالاجانب والعىش فى الخارج ، ومن ثم انهمكوا بشره فى التجارة ، وقء كانت الاسكندرىة هى العامل الرئىسى فى صبغهم بالصىغة الهىلانىستىكىة .

وتءل شواهد الأحوال على أن الاسكندرىة كانت تضم أكبر عءء من اليهود فى كل العالم وهناك تعلموا معظم تجاربهم الأولى بوصفهم رجال مصارف وسمارة فى العالم المتمدن (٣) .

ولم تكن الاسكندرىة والأراضى التى تحىط بها تءتبر جزءا من مصر بل كانت تعد مجاورة لها ، ولذلك نجد فى الأوراق البردىة أن القوم كانوا يتحدثون عن القىام بسىاحة من «الاسكندرىة» الى مصر ، وهذه العبارة غاية فى الأهمىة . وقء وصل سكان الاسكندرىة فى العهد الآخر من عصر البطلمة الى حوالى أقل من ملوىن نسمة كما ذكرنا آنفا ، ولكن سكان

(Bevan, p. 8
(Josephus C. Apion I, Par : 60, Antiquities XII. 1,8
J.E.A. II, 59-60.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

الاسكندرية بغض النظر عن عدد الأجانب الزائرين كانوا يعدون أنفسهم بأقفة الاسكندريين ، وقد ذكر « ديودور » أن عدد المواطنين في الاسكندرية في آخر عهد البطالمة بلغ ثلثمائة الف نسمة ، وكان كل المواطنين الأصليين من المصريين بطبيعة الحال ، وهم الذين بلغوا عددا عظيما في الأزمان المتأخرة لا يعدون من سكان المدينة ، ويحتمل كذلك أن اليهود الذين كانوا يسكنون فيها لا يعدون من سكان الاسكندرية الأصليين ، غير أن هذا فيه شك وستحدث عن اليهود في الاسكندرية ومصر فيما بعد .

وكان السكان الاغريق يعتبرون أنفسهم بأنهم يؤلفون مجتمعا اغريقيا أصليا ويتمتعون بالمنافع والنظام الاجتماعي الذي كان يتمتع به المواطن الاغريقي في بلاده الأصلية ، وكان سكان الاسكندرية يعتبرون انفسهم اغريقا ومقدونيين . ومن المرجح كثيرا أنه لم يكن هناك اختلاط عظيم من جهة الدم بين المصريين الأصليين والاسكندريين ، وذلك لأنه في « نقراش » وكانت بلدة اغريقية في قلب مصر منذ حوالي القرن السابع قبل الميلاد ، كان زواج الاغريقي من المصرية يعتبر أمرا غير شرعى ^(١) . ومن المحتمل أن الحالة كانت كذلك في « الاسكندرية » وفي « بطليميس » ^(٢) . وقد ذكر لنا المؤرخ « بوليبيوس » (Polybius) ^(٣) في فقرة من كتابه أن الاسكندرية في الأيام الأخيرة من عهد أسرة البطالمة كانت تحتوى على عناصر ثلاثة من الناس :

أولا : العنصر المصرى الوطنى وكان حاد الذكاء طيعا للحياة المدنية .

ثانيا : الجنود المرتزقين الذين كانوا عصاة وعلى استعداد لفرض ارادتهم على الحكومة .

ثالثا : الاسكندريين وكانوا يميلون بعض الشيء للخروج على حدود النظام

(١) راجع Wilcken & Mitteis Gründzüge und Chrestomathie der Papyrus-Kunde, Leipzig and Berlin, 1912, II. 27).

(٢) راجع T. Reinach, Un Code Fiscal de l'Egypte Romaine, pp. 82-83

(Polybius, XXXIV. 14, 2-5

(٣) راجع

المدنى غير أنهم كانوا أقل خروجاً من الجنود المرتزقة ، وذلك لأنهم كانوا اغريقاً في أصلهم ولم ينسوا أسلوب حياتهم الاغريقية . على أن هذا التقسيم الذى قسمه «بوليبوس» غير مضبوط ، اذ أنه لم يذكر أى شىء عن الجيش النظامى . والظاهر انه قد أدخل تحت لفظة الاسكندرانيين كل المدنيين الاغريق الاحرار من السكان سواء أكانوا من المدنيين أم من غيرهم ، ولم يذكر اليهود ، ومن المحتمل أنه على الرغم من أنهم كانوا قد صبغوا بالصبغة الاغريقية من حيث اللغة والملبس لم يكن من السهل تمييزهم بظهورهم الاغريقى .

هذا وقد تحدث كل من «بوليبوس» و «فيلو» (Philo) عن الاسكندرانيين بوصفهم قوماً من دم مختلط ، ولكن المرجح أن المقصود هنا أن جماعة المواطنين الاسكندرانيين كانوا خليطاً من الاغريق من كل صنف ، فكان منهم «الايونيون» و «الدوريون» و «أوليون» (Aeolians) وكذلك اغريق من «هيلاس» واغريق من كل المدن الخارجة عنها شرقاً وغرباً وهم الذين لم يكن دمهم مختلطاً بالدم المصرى (١) .

ويلحظ كذلك أن السكان الاغريق في الاسكندرية كانوا ضمن جماعة المواطنين الاسكندرانيين ، ويعتقد المؤرخ «شوبارت» بحق أن جماعة المواطنين في الاسكندرية كانوا يشملون أقلية من السكان الاغريق القاطنين في هذا البلد ، والجم الغفير من الناس الذين كانوا يدعون أنفسهم هيلانيين كانوا يتكلمون الاغريقية ويميشون عيشة الاغريق ، غير أنهم لم يتمتعوا بامتيازات المواطن الاغريقى مثل الاغريق المهاجرين الذين كانوا يسكنون في «أثينا» أو في أى بلدة اغريقية أخرى . والمحتمل أنهم كانوا لدرجة كبيرة ليسوا من دم اغريقى بل كانوا نتاجاً من زواج اغريقى من نساء مصريات في المنطقة التى خارج الاسكندرية وقد أتوا ليستوطنوا في المدينة . ومن المحتمل أن كل

الاغريق كانت لهم امتيازات معينة تميزهم عن المصريين الأصليين ، فمثلا كان من الممكن معاقبة المصرى بالضرب بالعصا في حين أن الاسكندري كما حدثنا بذلك «فيلو» كان يضرب بعصا مفرطحة (١) ، وكان اليهود يحسبون هنا مع «الاسكندريين» ومن المحتمل أن المقصود بالاسكندريين هنا هم كل السكان الاغريق الذين ليسوا أعضاء فقط في جماعة المواطنين . وكانت جماعة الاغريق المواطنين في كل مدينة من طراز اغريقى منظم في جماعات اجتماعية صغيرة ، ففى « أثينا » مثلا كان السكان ينقسمون عشرة قبائل موزعين على ما بين مائة ومائة وتسعين حيا (قسما) ، وكانت الاسكندرية مقسمة على هذا النمط قبائل وأحياء من حيث جماعة المواطنين الاغريق وذلك في بداية القرن الثالث قبل الميلاد ، وقد كان الزواج على أية حال بين أعضاء الأحياء والاغريق أو حتى بين الفرس الذين خارج الاقسام كان على ما يظهر منظما تماما .

أما عن دستور الاسكندرية فمعلوماتنا عنه قليلة ، والواقع أن موضوع وجود مجلس شيوخ للاسكندرية في فترة العهد الهيلانستيكي لا يزال موضوع نقاش . وعلى أية حال فإن وجود مجلس شيوخ في الاسكندرية عندما دخلها «أغسطس» وأنه الغاه في الحال فلا يزال موضع نقاش (٢) . غير أنه من المؤكد أنه لم يكن لها مجلس شيوخ في العهد الرومانى حتى حكم الامبراطور «سبتيميوس سيفرس» (Septimius Severus) . وأكثر النظريات احتمالا هى أن «الاسكندر» قد منح المدينة مجلس شيوخ ثم الغاه أحد البطالمة . ومن المحتمل أن هذا قد حدث على أثر انتهاء احدى الحروب الأهلية التى انضمت فيها الاسكندرية الى الفريق الخاسر ، ومن المحتمل أنه كان للاسكندرية « اكليزيا » (Ecclesia) أى جمعية عمومية غير أنها كانت قليلة المفعول، وكان لها حكام عاديون أى الجمنازيارك (Gymnasiareh) أى رئيس

الجننازيوم (والجننازيوم هو مكان عام أو مبنى حيث كان يمرن الشباب الاغريق فيه على الجرى ويحتوى على ملاعب مصارعة وحمامات وقاعات محاذة ، و «الاكزيبيتييس» (Exēgetes) وهو موظف صاحب رتبة عالية يقوم بوظائف متنوعة بما فى ذلك حفظ سجل المواطنين والايثنيارك (Eutheniarch) وكان موكلًا اليه توريد الطعام و «الكوزميتيس» (Cosmetes) وهو قائد الأفيي (Ephebi) أو المواطنين الشبان . (= المستحفظ من الجند)

ولما كانت «الجننازيوم» تعتبر مركز الحياة الاجتماعية للمدينة الاغريقية، فان «الجننازيارك» كان من جهة هو الرئيس الاجتماعى لجماعة المواطنين ، وفى العهد الرومانى كانت تقوم ثورات متكررة بين الاغريق ويهود « الاسكندرية » ، وكان «الجننازيارك» هو الذى يمثل المواطنين الاغريق كما كان يتزعمهم فى روما لقضاء مطالبهم أمام الامبراطور ويدافع عن حرية الاغريق والمحافظة على الحكم الجمهورى ، ولا بد أن «جننازيارك» الاسكندرية كان شخصية صاحبة مكانة هامة فى عهد البطالمة ، هذا وكان يمكن الحصول على حقوق المواطن فى الاسكندرية بالانخراط بين صفوف «الأفيي» (المواطنين الشبان) ، هذا ولدينا سجل لانخراط هؤلاء الشبان يرجع تاريخه الى العهد الامبراطورى (١) .

ومما يجدر ملاحظته فى هذا الصدد أن عقاب الذين يزورون فى تجنيد الشباب للحصول على الجنسية الاغريقية لأولئك الذين لم يكن لديهم المؤهلات التى تعدهم لذلك من حيث المولد للحصول على هذا الشرف بالحكم على كل مزور بمصادرة سدس دخله .

هذا وكان للاسكندرية فضلا عن ذلك محاكمها الخاصة بها وقانونها الذى كان يعرف باسم القانون المدنى . وهذه المحاكم والقوانين كان معترفا بها حتى فى المحاكم الملكية . وكان قانون الاسكندرية مؤسسا على نظام القوانين

«الاتيكية» مع تغيرات مأخوذة من نظم أخرى ، هذا بالإضافة الى الأحوال الخاصة بالاسكندرية ، وقد كان يضاف الى هذه القوانين من وقت لآخر مراسيم ومنشورات خاصة بالمواطنين الاسكندريين .

وكانت المدينة فى موقف غير متجانس بعض الشيء بوصفها مركزا ملكيا وعاصمة للامبراطورية ، وتفسير ذلك أنه كان يوجد بجانب الموظفين الحاكمين للمدينة موظفون ملكيون وبجانب المنشورات الخاصة بالمدينة كانت الاهالى معرضة فضلا عن ذلك لاطاعة المنشورات الملكية التى لم تصدرها . والواقع أنه فى أى مدينة اغريقية كان يوجد فيها فى الوقت نفسه مقر بلاط مستبد وحكومة ذاتية فانها تكون فى الواقع تحت سلطان البلاط للملكى بوجه عام كما كانت الحال فى «پرجاموم» (Pergamum) . ولا بد أنه قد حدثت اصلاحات فى دستور الاسكندرية على ما يظن فى عهد مبكر جدا من عصر البطالمة الأول . وعلى أنه حال فانه على الرغم من تمزيق قوة المدينة الاغريقية بالسلطة الملكية فان جماعة المواطنين فيها كانوا يؤلفون احدى الدعائم الرئيسية التى قامت عليها المدينة الهيلانستىكية .

ومهما يكن من أمر فان الملوك كانوا هم المشجعين للثقافة الاغريقية فيها ، وكان مركز هذه الثقافة المكتبة و «المليوزيوم» وهما مؤسستان ملكيتان متصلتان بمباني القصر الملكى (وستحدث عنهما فيما بعد) ، وفيهما نجد السمات الأصلية للمدينة الهيلانستىكية بالاسكندرية والمدينة الهيلانستىكية لكل مصر .

وقد كانت هذه المدينة قائمة على قوة الملوك التى كانت متضاربة مع الماضى وحتى مع الحاضر لبلاد الاغريق ، ولكن كان تأثيرها على آداب الاسكندرية وفكرها غاية فى الأهمية فقد فقدت الفلسفة فائدتها بالنسبة لمصير الدولة وغرست مثالية الرجل الحكيم والمواطن العالم ، وقد كان الأدب هو أدب البلاط . وكان الأدب الاسكندرى لا يحتمل قرنه بأدب العصر الكلاسيكى ، ولكن كانت له أهمية حقيقية . وكان الأدب الكلاسيكى سيطرا على

الاسكندرئين فى العهد الاول فيما يخص صور شعرهم، ولأجل أن يوازنوا بين الشعر «الهيلانستىكى» والشعر «الكلاسىكى» نجدهم قد عمدوا الى التجديد فى الموضوعات وطرق تناولها ، فكانوا باستمرار يصبون نبيذا جديدا فى زجاجات قديمة ، ولكن نتائج ذلك كانت خطيرة مؤسفة . ومع ذلك فان أناشيد الشاعر «كاليماكوس» وملاحم «أبولونيوس» المواطن «الرودىسى» كانت لها ميزات حقيقية كما أن مقطوعات «تيوكريتوس» الشعرية تقدم لنا نوعا جديدا من الشعر لم يضارعه فيه أحد من قبل فى تناوله . هذا وكان عباقرة الشعر العظام فى هذا الوقت وهم «تيوكريتوس» و «كاليماكوس» و «أبولونيوس» الرودىسى هم شعراء البلاط ، وقد كانت طبيعة الهامهم اغريقية مجضة فلم يكادوا يعرفون أو يقولون شيئا عن مصر لأنهم كانوا يكتبون الى دائرة اغريقية الأصل وهم رجال البلاط الذين لم يظهر بينهم المصريون الا فيما بعد من مواطنى المدن الذين كانوا يتجنبون الاختلاط بأهل الأرياف ولم يتزوجوا معهم (١) .

ومع ذلك فانه بجانب هذا الشعر الاسكندرى الحقيقى كان يوجد أدب تام من نوع آخر يشبه الكتابات الاغريقية نبع من سكان المقاطعات المختلطين ويشمل قصصا وروايات مملوءة بالسحر والاسرار كان بعضها من نوع خشن. ولا بد أن اغريق الاسكندرية كانوا قد تأثروا بعالمية سكان المدينة الذين كانوا من أجناس مختلفة . ولا غرابة فى ذلك فقد كانت الاسكندرية ملتقى أجناس العالم ، هذا ولم يكن بين الاسكندرئين صلة تزواج بالأهلين ، ولكن من الممكن أن تكون بينهم هذه الصلة مع اغريق القرى وهؤلاء كانوا قد تمصروا بطبيعة الحال ، والانشاءات الأصلية الحقيقية التى أوجدها الفكر الاسكندرى لها صبغة اغريقية شرقية . يضاف الى ذلك أن الملكية البطلمية

(١) راجع W. MacKail, Lectures on Greek Pottery Longmans, Green & Co., 1926, pp. 177. ff.

لم تكن وطنية النزعة ، وذلك لأن البطالة لم يريدوا أن يعملوا على احياء القومية المصرية أو ينشئوا دولة قومية مقدونية أو اغريقية . وتدل الأحوال على أنهم أخذوا عن مصر مبدأ الحق الالهى للملوك كما أخذوا عنهم نظام «البيروقراطية» فى الدولة أى نظام الحكم المتمركز فى سلسلة متدرجة من الموظفين مسئولين فقط أمام رؤسائهم ويسيطر على كل تفصيل فى الحياة العامة والخاصة . غير أن العالم قد اجتذب الى تيار المدنية الاغريقية واتخذ الملوك لأنفسهم هذه الثقافة ، وقد كان اتمام عملهم يتوقف على مساعدة الاغريق لهم ، ومن أجل ذلك نجد أنهم قد أعطوا مكانا هاما ، ولكنه محدود فى مملكتهم للمدينة ، وقد نشروا المدنية الهيلانستىكية بمساعدة الاستعمار الزراعى مع مراعات عدم تجمع المستعمرين فى مراكز مستقلة كما كانت الحال فى المدن .

ولأجل أن يصبغوا مملكتهم بالصبغة « الهيلانستىكية » نجد أنهم قد اختاروا هذه الأنظمة السابقة للمدينة وهى التى كانت تعليمية الصبغة أكثر منها سياسية .

الدور الذى قامت به الاسكندرية فى الأدب والعلوم خلال حكم البطالمة

لم يكن هم «بطليموس الأول» قاصرا على التوفيق بين السكان الجدد من الاغريق الذين وفدوا على مصر بعد فتوح «الاسكندر» وبين السكان الاصليين فى مصر من الوجهة الدينية فحسب ، بل دلت الوثائق على أنه كان مهتما اهتماما بالغاً برفع مستوى الثقافة ونشر العلوم وبخاصة فى الاسكندرية عاصمة ملكه الجديد ليُدْرَج بها الى أرقى مكانة فى العالم الهيلنستىكى فى عهده والواقع أنه وصل بهذه العاصمة الجديدة التى كانت تضم تحت جوانحها جثمان «الاسكندر الأكبر» الى منزلة لم تتمتع بها مدينة أخرى فى العالم القديم ، فقد كانت تدعى بحق فى خلال القرن الثالث قبل الميلاد عاصمة الأدب فى العالم الاغريقى ، وفى الحق لم نجد فى خلال هذا العصر أى فرع من فروع الشعر باستثناء الكوميديا الا ضربت فيه الاسكندرية بسهم صائب ، وبحلول منتصف القرن الثالث ق.م. كان نفوذ الاسكندرية فى عالم الشعر قد بلغ شأوا بعيدا لدرجة أن شاعرا عظيما مثل «أيوفريون» (Euphorion) الذى على ما يظهر كان قد قضى معظم سنى حياته فى بلاد الاغريق القديمة ، و «سوريا» كان يعد مصريا كأى شاعر تقطن العاصمة المصرية .

أما فى النثر فلم تكن الاسكندرية تتمتع بنفس النفوذ الذى كان لها فى الشعر . وقد بقى ميدان الفلسفة المميز لأثينا . ومع ذلك فإن بعض الفلاسفة وبخاصة جماعة المتشائمين قد وجدوا سبيلهم الى مصر واستوطنوها ، وقد كان الجو بوجه عام غير ملائم لهذا النوع من النشاط العقلى . ومما هو جدير بالملاحظة فى هذا الصدد أن المحاضرات التى القاها الفيلسوف «هيجسياس» رسول التشاؤم قد ألغيت بمقتضى منشور ملكى بوصفها محاضرات مثبطة

للاخلاق العامة . هذا ولم يكن للخطابة أو البلاغة أية أهمية تذكر في الاسكندرية وذلك لأن الأحوال السياسية في البلاد لم يكن فيها ما يدعو الى الخطابة أو البلاغة . على أن ذلك لم يمنع وجود خطباء وبلغاء في مصر وقتئذ، والواقع أنه كشف حديثا عن عدد كبير من الاوراق البردية تحتوى على خطب مدرسية .

ويدل ما لدينا من وثائق على أن العلوم التطبيقية كالجغرافية والرياضة والطبيعة والطب والتاريخ الطبيعى وفقه اللغة كانت هى أنواع المعارف التى شغلت كتاب النثر فى هذه الآونة .

وإذا فحصنا ما وصل الينا من فروع النثر نجد أن بعضها قد مثل بصورة واضحة أكثر من بعضها الآخر ، ففي عصر خلفاء «الاسكندر الأكبر» نجد أن الخطابة كانت منتشرة للحاجة اليها فى تلك الفترة المليئة بالاحداث المثيرة للمواطف وباتهاء تلك الفترة دعت الحاجة الى تدوين تاريخ تلك الأحداث. أما الأدب لذاته فى تلك الفترة فكان شيئا لا يذكر . ومن أجل ذلك كان فضل البطالمة العظيم فى أنهم أول ملوك هيلانستيين أقاموا أسرة ثابتة الدعائم أساسها العلم والمعرفة وقد ضربوا المثل فى امداد بلادهم بالفنون والعلوم بعزم وثبات ، وتدل الأحوال على أن الاغريق لم يكونوا يعرفون فضل الاسكندرية ، ولا أدل على ذلك مما اقتبسناه لنا «أثناوس» (Athenaeus) باستحسان وهو أن الاسكندرانيين هم الذين علموا كل الاغريق والبرابرة ، وذلك عندما كانت الثقافة العامة تنحدر نحو الأفول بسبب الاضطرابات المستمرة فى عهد خلفاء الاسكندر . حقا قد يكون «أثناوس» قد بالغ بعض الشيء فيما ذكره أو من قفل كلامه عنه ، ولكن تشجيع البطالمة للأدب والعلوم فى ذلك الوقت قد يغفر له تجاوزه فى اطراء الاسكندرية .

والواقع أن « بطليموس الأول » مؤسس الاسكندرية التى يدين لها العالم بالعلوم والمعارف قد حدثنا فى مذكراته التى تركها لنا أنه لم يكن يقصد أن

تصبح الاسكندرية مخزن تجارة دوليا وحسب بل كان جل ما تتوق اليه نفسه أن تصبح مهدا لحضارة أسرته ، بل وأكثر من ذلك أن تعمل على تقدم العقل الانسانى. ولقد رأى «بطليموس» أن بلاد الاغريق قد هدت قواها وبلغت من الكبر عتيا وأصابها الفقر حتى أصبحت وليس في قدرتها ان تحافظ على شهرتها القديمة . ولما لم يكن في قدرته أن يستولى عليها كما أشرنا الى ذلك من قبل فانه أخذ في استعارة كل ما يمكن استعارته منها لينقله الى الاسكندرية من آراء وكتب وعلماء .

والواقع أن معظم هذا العمل قد قام به ابنه وخلفه « بطليموس الثانى » ، غير أنه كان له فضل السبق والمبادرة في وضع الحجر الأساسى للعلوم ومن ثم سنتحدث عن هذه الأعمال هنا

تأسيس المكتبة والميوزيون فى الاسكندرية

مما يؤسف له جد الأسف أن المصادر القديمة لم تقدم لنا أية معلومات أكيدة عن أى البطليموسيين الأول أو الثانى قد رفع مبانى كل من المكتبة و «الميوزيون» فى «الاسكندرية» ، غير أن العلاقة الأكيدة التى تربط «ديمتريوس» مواطن فالرم بأصل هاتين المؤسستين يقصد به رأى القائل أن «بطليموس سوتر الأول» هو الذى اتخذ الخطوة الأولى فى تأسيسهما حوالى عام ٢٩٠ ق.م. وبخاصة عندما نعلم أن «بطليموس الثانى» قد غضب على «ديمتريوس» هذا فيما بعد وأقصاه عن بلاطه .

حقا نجد أن الملوك الأول الآخرين المعاصرين للبطالمة قد أسسوا لأنفسهم مكتبات ، ولكن ذلك كان على غرار مكتبة الاسكندرية ومن ثم فهم أن البطالمة كانوا هم أسبق الهيلانستيكيين الى انشاء المكتبات (١) .

المكتبات في أقدم عهود التاريخ

تدل الوثائق التي في متناولنا حتى الآن على أن قدماء المصريين كانوا أول من فكروا في تدوين أفكارهم وآرائهم على الورق ولا غرابة في ذلك فهم الذين اخترعوا صناعته ونشروه في كل العالم . وتحدثنا النقوش والكتابات التي وصلت إلينا حتى الآن أن المصريين منذ أقدم عهودهم كانت لهم دور يحفظون فيها كتاباتهم الخاصة بتاريخ بلادهم وعلومهم الدينية والدنيوية ولا أدل على ذلك من قيام مؤسسة «بيت الحياة» (بر - عنخ) الذي كان يحفظ فيها كل سجلات البلاد التاريخية والفنية والأدبية والدينية . ويخيل إلى أن مؤسسة «بيت الحياة» عند قدماء المصريين كانت تقوم بالوظيفة التي تقوم بها كل من المكتبة و «الميزيون» . فقد كان فيها العلماء الباحثون في كل العلوم المصرية كما كان فيها كل المراجع التي يحتاج إليها أولئك العلماء ، وقد سمعنا بوجود مؤسسة «بيت الحياة» منذ أوائل الأسرة الرابعة وقد استمرت موجودة تقام بجوار المعابد حتى نهاية العهد الاغريقي الروماني . وسنضع موازنة بين «بيت الحياة» هذا وبين المكتبة و «الميزيون» فيما بعد في مقال خاص .

أما في بلاد الاغريق فلم تعرف المكتبة بمعناها العام أى لم توجد مكتبات عمومية في بلاد اليونان حتى العصر الهلنستيكي . ومن المحتمل أن فكرة المكتبة بمعناها الحقيقي ، لم تعرف في العالم المتمدن إذا استثنينا «بيت الحياة» إلا في بلاد «آشور» حوالي القرن الثامن ق.م ، فقد أسس الملك «أشور بنيبال» مكتبته المشهورة التي كانت تحتوى على آلاف المجلدات . وبعد ذلك لم نسع في بلاد اليونان بمكتبة عامة إلا عندما أنشئت مكتبة الاسكندرية حوالي عام ٢٩٠ ق.م. وقد كانت هذه المكتبة موضوع اهتمام كبير منذ زمن تأسيسها وكذلك كانت محط الأنظار في عهد الثقافة الهلنستيكية القديمة .

وقد اهتم العلماء والباحثون في عهدنا الحاضر بهذا الأمر . والواقع أنه ليس في مقدورنا أن نعرف شيئاً محسناً عن هذه المكتبة وملحقاتها بما لدينا من المعلومات الضئيلة التي وصلت إلينا عنها وبخاصة عندما تفكر في الشهرة العظيمة التي كانت تتمتع بها في الأزمان القديمة وما وصل إلينا من حقائق ناقصة مبشرة في أمهات الكتب القديمة من العصر الهيلانستيكي . أقل ما يقال في هذا الصدد أنه ليس في استطاعتنا حتى الآن أن نحدد موضع هذه المكتبة في مدينة الاسكندرية القديمة حتى ولو على وجه التقريب وذلك لأن المدينة الحديثة أخفت كل المعالم القديمة يمانيتها الحديثة يضاف إلى ذلك أننا لم نعلم شيئاً عن تنظيمها . وقد زاد الأمر تعقيداً اختفاؤها نهائياً وهذا موضوع حدىس وتحمين سبغ فيه خيال الكتاب الأحداث .

والواقع أنه منذ اختراع الكتابة كانت الكتب موجودة على صور شتى . فكان الأقدمون يسجلون القصص والحوادث بحفرها على الحجر كما فعل قدماء المصريين أو نقشها على قوالب من الطين — التي كانت تحرق فتصير مادة صلبة تقاوم الظواهر الطبيعية — كما فعل البابليون والاشوريون منذ القدم ، وبعد ذلك كتبت حوادثهم على الورق المجلوب لهم من مصر وعلى الجلد وكذلك على لحاء الأشجار وأوراقها كما كان يفعل هنود أمريكا . وكذلك دون بعض الأقوام حوادثهم على قطع الخزف وشظايا الأحجار كما فعل المصريون . وينطبق لنا أن نبتدىء هنا قبل مناقشة مكتبة الاسكندرية بعرض بعض معلومات عن مجاميع اضمات الكتب الاغريقية المبكرة التي سبقت العصر الهيلانستيكي من التي جمعها بعض الأشخاص لاستعمالهم الشخصي . ولا نزاع في أنه من هذه المجاميع جاءت الرغبة في تكوين المكتبات العامة الفائدة ، وهي التي أصبح في الامكان أن تصير مفيدة بصفة دائمة للمجتمع ، ومن ثم تولد الميل لدى أفراد كثيرين من أصحاب الميول العلمية المختلفة للاطلاع وجمع الكتب ، وبهذه الطريقة أمكن كل فرد أن يجد في هذه المكتبات ما يشبع

رغبته من حيث المعلومات الرياضية والعقلية والأدبية. فربما ركز فرد اهتمامه بالشعر وما كتب عنه وآخر في علوم الطبيعة والبحوث التي وضعت فيها ، وثالث يلتقى باله بكتب التاريخ وما ظهر منها. وهناك طائفة أخرى من المفكرين مثل أولئك الذين كانوا يحيطون «بارسطوطل» في «ليسيوم» أثينا (ليسيوم (Lyceum) هو اسم مكان يقع مباشرة في جوار أثينا وقد كان وقفا على الاله أبولو - ليسيوس (Apollo. Lycius) حيث كان يعلم فيه الفيلسوف أرسطوطل تلاميذه) والظاهر أن هذه الطائفة كان أفرادها يهدفون في رغباتهم العقلية الى كل ما يفيد الانسان من علم وأدب مما وصل اليه العقل الانساني في زمانهم ، يضاف الى ذلك أننا نجد في العالم الاغريقى خلال القرن الخامس قبل الميلاد تمثيلات عظماء الاصحاب من كتاب «روايات المآسى» وكتاب «الروايات الهزلية» وهى التى كانت تدون بطبيعة الحال وقتئذ على اضمادات البردى التى كانت تدون عليها السجلات العامة . ولدينا برهان على هذه الحقيقة الأخيرة منقوش على حجر دون عليه مصروفات خاصة ببناء «الأرخيوم» (مستودع السجلات فى أثينا التى ذكر فيها ثمن البردية التى دون عليها حسابات هذا المبنى) .

ولدينا موضوع هام يرجع تاريخه الى عام ٣٩٩ ق.م عن معلومات قدمها لنا «اكزنوفون الاثينى» وذلك أنه عندما قاد عشرة آلاف من جنود الاغريق الذين كانوا قد دربوا فى الأصل لجيش «كورش الأصغر» فى جبال «أرمينيا» حتى سواحل البحر الأسود^(١) وقد خرجوا من بين قوم يدعون «التراقين» وحلت بعض سفن من سفنهم فى المياه الضحضاحة عند الشاطئ. وقد أخبر أهالى «بنتوس» فى هذه الجهة «اكزنوفون» أنهم وجدوا فى السفن المهشمة هناك عددا كبيرا من الأرائك والصناديق وكثيرا من الكتب المدونة وأشياء أخرى كثيرة مثل التى يحملها ربانة السفن فى سفنهم .

(١) راجع مصر القديمة الجزء ١٢ ص ٦١٧

وهذا البيان يقدم لنا فكرة عن تجارة اضمادات الكتب التي كانت شائعة في ذلك الوقت وتمتد من الشرق حتى البحار المخيفة الوعرة التي لا سكان فيها وهي التي تدعى « البحر الذي يكرم الأجانب » (١) .

هذا ويحدثنا في كتاب « موراييليا » (وهي المحادثات الشهيرة لسقراط) نفس « أكرنوفون » تلميذ « سقراط » المخلص عن حديث جرى بين الفيلسوف العظيم وبين ثرى أديب من أهل أثينا يدعى « ايتيدموس » (Euthydemus) ونجد في هذا الحديث أنه على الرغم من أن سقراط قد حاول أن يصحح ثقة هذا الثرى بنفسه فقد اضطر للوصول الى غرضه بامتداح احدى رغائبه ، وذلك أنه قد اتضح لسقراط خلال المحادثة معه أنه قد جمع فعلا مجموعة كبيرة من أعمال شعراء الاغريق واساتذة الفلسفة بقدر المستطاع . و « ايتيدموس » هذا قد بذل مجهودا جبارا على قدر استطاعته لجعلها تامة (٢) وتدل شواهد الأحوال من سياق المحادثة على أن نسخ الكتب كان قد وصل فعلا الى درجة كانت رغبة التخصّص في الأدب قد وجدت عند الأفراد حتى أصبحوا يهتمون بجمع مجاميع شخصية كل بمجموعته أى مكتبته الشخصية .

وعلى أية حال فانه من المستحيل علينا ان نقدر عدد الاضمادات التي جمعها رؤساء « الاكادemy » و « ليسيوم » في أثينا أى أفلاطون وارسطوطل وخلفاؤهما . هذا وقد وصل الى الخلف قنلا عن « ديوجنيز لارتيوس » (Diogenes Laertius) وصايا المدارس المبكرة (٣) . وليس هناك شك عند أى عالم قدير في أن هذه الوصايا أصلية وأنها اقتبست بأمانة كما وصلت إلينا (٤) . وقد ترك « أرسطوطل » في « أثينا » مجموعة اضمادات لخليفته في « ليسيوم »

. (Xenophon. Anabasis, VII, 5, 14

Xenophon, Memorabilia IV, 28)

Diogenes Laertius in book V. The will of Aristotle)

Ivo Bruns, Die Testamente der Griechischen Philosophen.

Savigny Stiftung Romanisch Abteilung I, 1888. pp. 1-52).

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

وهو «تيوفراستوس» (Theophrastus) ، وترك الأخير بدوره كل المجموعة لقريبه وتلميذه «نليوس سبسيس» (Neleus Scepsis) .
ويلحظ أن نظام مبنى «ليسيوم» وأراضيه كانت مختلفة تماما فنجد في وصية «تيوفراستوس» (Theophrastus) أنه قد اشترط أن يرث جموعته كل اصدقائه في المدرسة وقد جاء مع منح ملكية هذه المكتبة مادة تنص على أن مبنى «ليسيوم» والأراضي التابعة لها لا يفصلان قط الواحدة عن الأخرى . والمراد من تأكيده بذلك هو انه عند موت «تيوفراستوس» الذى عاش ما بين ٢٨٨ - ٢٨٥ ق.م ، هو أن تكون الملكية الحقيقية يمكن وضع اليد عليها قانونا في حين أن الكتب التى فى «ليسيوم» كانت على ما يظهر تعتبر أو تعد متاعا يستحسن النزول عنه بمقتضى وصية لتصبح ملكية خاصة .
وبعبارة أخرى نجد أنه فى حوالى نفس الوقت الذى أسست فيه مكتبة الاسكندرية لجماعة من العلماء كانت فكرة تملك مجموعة كتب خاصة بصفة قانونية قد ظهرت فى «أثينا» .

وهذه الملحوظة تعد لفئة جديدة لتأسيس مكتبة الاسكندرية اذ الواقع أنها تعد أول منظمة موحدة لاستعمال الكتاب وأهل الفكر ، وأول خطوة تجاه فكرة مكتبة عامة . وفى تلك الفترة التى أسست فيها لم تكن قد نظمت بعد لتكون مؤسسة عامة للقراء على نطاق واسع . غير أنها بوصفها حركة ايجابية نحو امتداد واسع للعلوم وشحن الفكرة واليقظة التى غمرت العالم وقتئذ لينهض الأرث الهيلانى القديم ، فان تأسيسها فى الاسكندرية وجعلها تابعة «للميوزيون» بكل قيودها تعتبر خطوة الى الأمام غاية فى الأهمية من الناحية الثقافية . ولا نزاع اذا فى أن مكتبة الاسكندرية من هذه الوجهة تستحق المكانة الشريفة العالية التى تستحقها حقبة طويلة فى المجتمع القديم لتسمية العقل الانسانى ، فقد كانت النموذج الذى اتخذته مكتبات عالم البحر الأبيض المتوسط مثالا تحذو حذوه ، ومن ثم كانت النواة ونقطة الانطلاق

نحو ديموقراطية العلم والتعليم اللذين تميز بهما العالم الاغريقى الرومانى
اثناء ازدهار حضارتيهما .

هذا ولا يفوتنا أن نعرف أن جمع الكتب الشخصى من كل نوع قد شجع
على أنه هواية عند الأفراد المتعلمين ، وذلك تمثلا بالنهضة التعليمية فى
الاسكندرية التى كانت مركزة فى «الميزيون» ومكتبتها وقد كانت هذه
الهواية أمرا حقيقيا بوجه خاص فى مصر فى عهد حكم البطلمة بتشجيع الاغريق
الذين كانوا يتدفقون على مصر خلال المائة سنة الأولى بعد انضمام رؤساء
الكهنة قلبا وقالبا الى « الاسكندر الأكبر » عام ٣٣٣ ق.م .

وقد تجلّى أماننا الشغف الذى كان يظهره المستعمرون الاغريق فى مصر
فى جمع الكتب التى من نوع قيم بعد تأسيس مكتبة «الميزيون» بصورة لم
تكن فى الحسبان . وذلك أنه قد عثر على قطعة من بردية محفوظة الآن فى
مجموعة مكتبة « جامعة كوليبيا » بأمريكا . وهذه القطعة من بردية من سجل
«زينون» الذائع الصيت وهو اغريقى من بلدة «كانوس» (Caunus)
من أعمال آسيا الصغرى ، وقد وفد على مصر حوالى عام ٢٦٠ ق.م. وانخرط
فى خدمة «أبولونيوس» وزير مالية «بطليموس الثانى» . وفى عام ٢٥٦ ق.م
أسند اليه القيام بتنمية الأراضى التى حول بركة «قارون» . وقد أدار هذا
المشروع للوزير «أبولونيوس» الذى وكل اليه أمر زرع هذه الأرض وتنمية
محصولها . وقد وصلت إلينا قطعة البردى التى أشرنا إليها وتحتوى على أربعة
أسطر جاء فيها : كتب أرسلت الى مجموعة «أفاراموستوس» خاصة بخطب
سياسية كتبها «كاليستينس» . وقد قطعت الورقة لسوء الحظ عند هذه
النقطة . و «أفاراموستوس» هذا كان أخا أصغر «لزينون» ، أما «كاليستينس»
فهو ابن أخ «أرسطوطل» ومساعدته . وكان قد رافق «الاسكندر الأكبر»
فى حملته الى «آسيا» . وخدم الاسكندر حتى عام ٣٢٧ ق.م وهو العام الذى
فيه قتله «الاسكندر» لقيامه بمؤامرة لاغتياله .

هذا ولما كانت هذه القطعة في حالة تمزق سيئة فانه لم يحفظ لنا من أسماء الكتب التى أرسلها «زينون» لأخيه الصغير عن طريق النهر ، الا العنوان وها هى ذى ترجمته الحرفية عن الاغريقية : « مجموعة «كاليستيس» الخاصة بالخطب الدبلوماسية » .

وعلى أية حال فانه كان فى استطاعة المؤرخ « ميشيل أفانوفيتش روستوفتسف » الروسى الأصل أن يفسر على أساس ما جاء فى هذه القطعة فكرة كانت لها منذ زمن صورة فى ذهنه وتتلخص فى أن المدرسة التى كانت لها أكثر سيطرة وأكثر تميزا فى الفلسفة اليونانية فى العالم الهيلانستىكى فى خلال القرن الثالث قبل الميلاد ، وهى مدرسة «ارسطوطل» كان تأثيرها أشد تأثيرا من مدرسة «زينون» القبرصية أى مدرسة «الرواقين» (١) .

وعلى أية حال يجب أن نقدر قيمة « ميوزيون » الاسكندرية ومجموعة الكتب الشهيرة الموجودة فى مكتبتها على حسب الوضع العلمى الذى تقوم عليه فلسفة «أرسطوطل» وكذلك على القدرة التنظيمية التى كانت من صفات المهاجرين الاغريق الى الديار المصرية ، وذلك لأننا سنرى فى هذا الوضع معناها وأهميتها .

وأهم معلومات تعتبر من الدرجة الأولى وصلت إلينا عن المركز الرئيسى الذى كانت تشغله مدينة « الاسكندرية » هو ما رواه لنا الجغرافى «استرابون» (٢) ، وذلك لأنه زار المدينة وتفقد أحياءها ومساح فى وادى النيل فى حاشية صديقه الشخصى «اليوس جاليوس» وهو ثالث حاكم لمصر فى عهد «أغسطس قيصر» أى فى أوائل القرن الأول الميلادى .

وكانت المكتبة جزءا من بيت «الميوزس» الذى يسمى «الميوزيون». وكانت

(١) راجع Rostovtzeff . Social & Economic History, vol. III. P. 1650.

Note 35; Westermann Clinton. Keyes, Herbert Liebesny

Columbia Papyri, vol. IV.

(Strabo. XVII, 1.8-16

(٢) راجع

الأخيرة بدورها تعتبر جزءا من ساحة القصر الملكي الكبير الواقع في وسط المدينة . هذا ولا نعرف بالضبط السنة التي أسست فيها «الميزيون» ولكنها في العادة توضع بين حوالي السنين الأخيرة من حكم «ببليموس الأول» والسنين الأولى من عهد «ببليموس الثاني» أي ما بين ٢٩٠ و ٢٨٠ ق.م . ولم يحدد بالضبط حتى الآن موضع القصر الملكي وبالتالي موضع «الميزيون» . ومن هذه المعلومات الناقصة قد أصبح موضع المكتبة و «الميزيون» لا يخرج عن حدس وتخمين في داخل مساحة محدودة . وعلى أية حال فإن العالم «برشيا» قد حدد موقع «الميزيون» وملحقاتها ، مستعملا المصور الجغرافي الذي وضعه الاستاذ «ببوتي» الايطالي عن الاسكندرية - ما بين الشوارع الثلاثة الحديثة وهي شارع شريف باشا وشارع سيزوستريس فشارع النبي دنيال (١) . ومعنى ذلك أن المكتبة على حسب رأى «برشيا» تقع على مسافة تتراوح ما بين ربع ونصف ميل من الكرنيش الحالي وساحل الميناء الشرقية وعلى أية حال فإن هذا الرأى مجرد تخمين وحسب .

وتدل الوثائق التي في متناولنا على أن الرجل الذي انتخبه البطلمة ليكون مستشارهم في تأسيس «الميزيون» هو القائد السياسى «ديمتريوس» مواطن «فالرم» (أحد أقسام أتيكه) وهو من أتباع «ليسيوم» وتعاليمها . وكان ماهرا في معرفة نظامها ومقاصدها العلمية ، وقد كان حاكم أثينا مدة عشرة سنوات (٣٠٧-٢٩٧ ق.م) وذلك بوصفه مشرفا مدنيا تحت الحكم المقدونى، وبعد ذلك أصبح لاجئا اذ ترك مسقط رأسه في عام ٢٩٧ . وفي عام ٢٩٤ ق.م دعاه «ببليموس الأول» للحضور الى مصر حيث استقبله باحترام عظيم ووكّل اليه أمر تنظيم «الميزيون» بوصفها مركزا للتعليم، وكانت تتألف من مجموعة من العلماء على رأسهم كاهن «الميزوس» وقد كانت عبادة «الميزوس» منذ زمن بعيد رمزا للروح العلمية (٢) .

(١) Evariste Breccia, Alexandria ad Aegyptum).

(٢) راجع. (١) راجع. (٢) Histoire Des Lagides Bouché-Leclercq, Tome I, p. 128, note 3.

هذا ونجد أن أتباع « فيثاغور » كانوا متعويدين أن يرفعوا في وسط صوامعهم الفلسفية مائدة قربان « للميوزس » . وكانت مدارسهم تدعى « ميوزس » وكان الفلاسفة أتباع « سقراط » حتى الأقل باطنية من جميعهم وهم « المشاءون » قد بقوا على ولائهم لهذه الديانة ذات الذوق السليم وهي التي كان في استطاعتها أن ترفع من شأن الناس مع بقائها للمفكرين الأحرار رمزا شفيفا . وقد أسهم « ديمتريوس » مواطن « فالرم » نفسه في زمن سلطانه في تنظيم « تيوفراستوس » الذي كان النموذج الذي أسست عليه « ميوزيون » الاسكندرية .

وكان علماء « الميوزيون » يسكنون ويعملون في هذه المؤسسة على حساب « بطليموس » متحررين من كل هموم الدنيا ومنغصاتها ، وقد وصفهم « تيمون » (Timon) وهو من أصحاب مذهب التشكك بأنهم دجاج مسن في ققص (١) . ويحدثنا « استرابون » عن « الميوزيون » أنها جزء من الحي الملكي كما أشرنا الى ذلك من قبل ، وتحتوى على مشى ومبنى عظيم يوجد فيه حجرة للطعام مشتركة لعلماء هذه المؤسسة، وكان لها ميزانية مشتركة وكاهن موكل اليه محراب « الميوزس » يعينه فيما سبق ملوك البطالة ، والآن يعينه قيصر روما ، ومن المحتمل أن هذا الوصف كان ينطبق على هذا المبنى في عهد البطالة لأن الأوضاع لم تتغير وان كان الحكام قد تغيروا ، وليس من الواضح لنا أى فرع من فروع المعرفة كان يمثل أعضاء هذا المعهد ، وقد ذكر لنا « استرابون » بشئ من الابهام كلمة علماء . وقد جاء ذكر « الميوزيون » في كتابات اثنين من هؤلاء العلماء وهم « تيمون » مواطن « فيليوس » و « هروداس » وكلاهما عاش في القرن الثالث قبل الميلاد وقد أشار أولهما في أبيات لاذعة من شعره الى « فلاسفة » أى فلاسفة « الميوزيون » اذ يقول :

« في أرض مصر المزدهمة .

هناك كثيرون يطعمون .

وكثير من كتاب التفاهات على البردى

وهم دائما في شجار

في خن طبو الميوزس (١) .

ومن المحتمل أن كلمة (فلسفة) السالفة الذكر يمكن أن تعطى معنى أوسع أى أن المكان قد أسس فيه كل فروع البحث العلمى وقد كانت مناقشات «الميوزيون» خاصة بأعضائه فقط ، وأقرب مثال فى عصرنا لهذا هو مجمع البحوث العلمية (الإكادمي) .

ولا نزاع فى أنه كانت هناك نظم للتعليم تتبع فى «ميوزيون» الاسكندرية منذ بداية تأسيسها . وعلى أية حال فانه يمكن معرفة الشئ القليل عن طبيعتها وامتدادها ، ومن الاشارات العابرة القليلة التى وصلت الينا عنها نفهم أن أساس الجانب التعليمى كان فى صورة مناقشات يومية فى المسائل العلمية ، وهذه كان يسيرها منذ البداية مجموعة من أعضاء «الميوزيون» وقد قدر عددهم فى عهد البطالمة المزدهر بحوالى مائة عالم ، من المحتمل أنه كانت هناك نخبة من المستمعين رقيذ وان كانت البراهين على حقيقة هذا الأمر تعوزنا ، ولا يجدر بنا أن نلتفت الى السخرية اللاذعة التى كان ينطق بها «تيمون» الاثنى المتشكك ، ولا ينبغى اتهامهم اتهاما شرعيا بأن مناقشاتهم لم تكن الا تظاهرا بالعلم الذى لاقيمة له ، وهذا الرجل هو الذى قرن أعضاء « الميوزيون » بالديوك التى تتشاجر فى أقفاصها ، وقد كان الانتاج الدائم «للميوزيون» فى علوم الفقه بوجه خاص فى التعليم بوجه عام ، ويمكن تقدير ذلك من ملحوظة المؤرخ « اميانوس مارسيلينوس » (Ammianus Marcellinus)

فقد أخبرنا فى زمنه أى فى القرن الرابع بعد الميلاد عن شهرته فى أنه درس

الطب في الاسكندرية وكان ذلك أحسن تزكية يمكن أن ينالها طبيب في ذلك العهد ، فقد قيل ان آخر امرأة من نساء البطالمة وأذكاهن وهى كليوباترة لسابعة قد حضرت مجالسهم العلمية باهتمام ، وقد كان حضور «مركاس أنطونيوس» زوج «كليوباترة» لمناقشتهم سواء أكان ذلك طوعا أو كرها منه لارضاء الملكة أو قد يكون ذلك نتيجة لالاحاح منها . هذا وقد يكون من باب الخطأ اذن أن نعد اهداء «كليوباترة» مائة ألف اضمامة كان قد نهبا «مركاس انطونيوس» من مكتبات مدينة «برجامم» نوعا من التعبير عن الاخلاص للعلم من ناحيته بل يحتمل أن الهدية كانت مجرد اظهار الولاء والاخلاص لهذه الملكة الساحرة .

ولقد كان من الضروري أن تؤكد هنا بشدة أهمية «ميوزيون» مدينة الاسكندرية وذلك أن «مكتبة الاسكندرية» لم تكن الا جزءا منها . وهذا الجزء كان يعد غذاءها ، فمن الاضمامات التى فى داخلها أتى كل علم الماضى وكانت الدافع الذى دعا الى متابعة ابحاث أخرى فى كل ميدان من ميادين المعرفة .

ويرجع الفضل الى «بطليموس الثانى» الذى حكم مصر مدة تسع وثلاثين سنة (٢٨٥-٢٤٦ ق.م) أنه هو الذى أحضر المجموعة الأصلية من الاضمامات التى زينت مكتبة «الميوزيون» . والمفروض أن هذه قد زيد فيها على يد أمناء المكتبة الذين تولوا أمر تنظيمها على التوالى بوصفهم وكلاؤها

ومما يطيب التنويه عنه هنا ذكر طريقة ممتازة استعملت للحصول على الكتب التى دونت بخط غاية فى الجمال وهذه الطريقة كانت متبعة فى عهد «بطليموس الثالث» (٢٤٦-٢٢١ ق.م) مما يدل على الأهمية البالغة التى كان يظهرها البطالمة الأول فى العناية بالمكتبة ، وقد وصلت الينا هذه الطريقة فى مقال وضعه الطبيب «جالن» مواطن «برجامم» الذى بلغ علمه مبلغا عظيما فى القرن الثانى بعد الميلاد ، فقد أخبرنا أن «بطليموس الثالث» قد استعار من «أثينا»

اضمات البردى التى كانت ملك الحكومة الأثينية ، وكانت تحتوى على معظم المتون القيمة لتمثيلات «اسكلس» و «سوفوكليس» و «ايريبيديس» (Euripides) لنسخها من أجل مكتبة «الميزيون» «بالاسكندرية» وقد دفع رهنا لذلك خمسة عشر تالنتا الى أن تعاد سالمة لأثينا ، وهذا المبلغ يساوى نقدا ستة آلاف جنيه مصرى ، غير أن هذه الاضمات كانت من حيث القوة الشرائية تساوى أضعاف هذا المبلغ ، وعندما حان الوقت لارجاع هذه المتون غرم «بطليموس» الضامن وأرسل نسخا حسنة الكتابة من هذه المؤلفات عملت فى الاسكندرية (١) .

ولدينا خطاب كتبه «ارستاس» (Aristeas) (٢) وهو يهودى مشهور بالدعاية لقومه ، الى « فيلوكراتيس » أخيه (Philocrates) وهذا الخطاب يعد ثانى مصدر يظهر فيه النطاق الواسع لاهتمام البطالمة الأول للحصول على الكتب . والغرض الذى يقصد من هذا الخطاب هو أن كاتبه يهودى معاصر للملك «بطليموس الثانى» وقد ذكر مؤلفه رغبة «بطليموس الثانى» فى ترجمة الأدب الدينى اليهودى الى اللغة اليونانية ليصير فى متناول العالم الاغريقى وكذلك للحصول على نسخ من هذه التراجم لمكتبة الاسكندرية.

Galen XVI p. 603.

(١) راجع

(٢) ارستاس أو ارستاوس Aristeas or Aristaeus ضابط عظيم قبرصى الاصل فى بلاط بطليموس الثانى . وكان مشهورا بمواهبه الحربية . ولما كان بطليموس مغرما ليضيف الى مجموعة مكتبة الاسكندرية نسخة من كتاب القوانين اليهودية اى التوراة ، أرسل ارستاس و«أندراس» قائد حرسه الى اورشليم لهذا الغرض .

وقد حملا على مايقال معهما هدايا الى المعبد وحصلا من الكاهن الاكبر وقتئذ على نسخة أصلية من التوراة كما حصلا على سبعين عالم من شيوخ اورشليم عشرة من كل قبيلة لترجمة التوراة الى اللغة الاغريقية وقد قبلوا فى الاسكندرية على زعم اليهود بالترحاب وترجموا التوراة فى مدة اثنين وسبعين يوما وهذه القصة قد ضمنها ارستاس خطابه ومن المحتمل انها محض اختلاق من خيال يهود الاسكندرية وضعت فى العهد المسيحى الخ (راجع

Dictionary of Greek & Roman Biographies and Mythology,
vol. I (p. 293.

ويذهب معظم العلماء المبرزين في التاريخ العبري في العصر اليوناني الى أن هذه الوثيقة تنسب الى عصر بطليموس السابع «فيليموتر» واخه وزوجه «كليوبترا الثانية» أى أنه دون حوالى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد على أن مجرد حقيقة ترجمة الكتب الخمس الأول من كتاب العهد القديم وهى اشعار موسى الخمسة (Penteteuch) وانماها فى العهد البطليموسى لاشك فيه، ومن المحتمل أن القول بأن اثنين وسبعين عالما أو السبعين كما يسمون عادة كانوا قد أحضروا من فلسطين للقيام بعمل الترجمة أمر مقبول أيضا . ولب الحقيقة الذى يمكن أن يعتمد عليه هو البرهان الذى نشاهده فى المدى الواقع بالاهتمام بالأدب الأجنبى الذى أظهره بلاط «بطليموس الثانى» وكذلك مابذل من مجهودات لجعل علوم العالم الأجنبى فى متناول العلماء الاغريق فى الاسكندرية بلغتهم الاغريقية ، وهذه الرغبة التى أظهرها البطالمة هى نوع من الرغبة التى نشاهدها فى مصرنا الحالية من الاهتمام بالعلوم الأجنبية وكتاباتها. وما لا جدال فيه أنه كانت توجد مجموعتان من لقائف البردى فى الاسكندرية يمكن أن يطلق عليها اسم مكتبة. وكانت صغرى هاتين المجموعتين تابعة لمعبد «السرايوم» فى حى «راقودة» حيث نشاهد الآن قائما العمود المسمى عمود «يوميى» ، والمعلومات التى فى متناولنا من الأزمان القديمة عن عدد الاضمادات التى كانت تحتويها كل من هاتين المكتبتين خداعة ، ولكننا نجد أنها معلومات متماسكة فالمتأرخ اليهودى «جوسفس» الذى عاش فى القرن الأول من العهد المسيحى يخبرنا أن أول محاولة قام بها «ديمترىوس» الاثينى لجمع كتب الميوزيون أنه أحضر اليها مائتى الف اضمادة (١) . وفى القرن الثالث بعد الميلاد كتب «جالينوس» قائلا أن البطالمة قد جمعوا سبعمائة الف مجلد ، والمجلد هنا لا بد أن يعنى اضمادة ، واقرّب تقدير معقول يمكن للعلماء أن يصلوا اليه بالنسبة لحجم مجموعة الاسكندرية يجوز

بأن يقترح فيه النتيجة الآتية : فى عهد البطالمة فى ختام القرن الثالث قبل الميلاد يجوز أن يبلغ عدد الاضمات حوالى أربعمئة الف اضمات ، وفى عهد «يوليوس قيصر» يجوز أن يزداد هذا العدد الى سبعمئة الف اضمات (١). يضاف الى ذلك مائتا الف اضمات أهديت الى «كليوبتره السابعة» من زوجها «ماركاس أنطونياس» ومن مجموع ذلك نصل الى أعلى رقم وصل اليه من الأزمان القديمة وهى تسعمئة ألف اضمات . وعندما يرغب الانسان فى موازنة هذه الأرقام بما يقابلها من كتب كما نفهم فى عهدنا الحاضر لا بد أن نفهم أولا معنى الكلمة الاغريقية «بيليا» (Biblia) وهذه الكلمة التى تستعمل عادة فى مصادرها القديمة تعنى فقط اضمات لاكتبا بالمعنى الذى نفهمه نحن الآن . والواقع أن أحسن مدخل لعمل حساب تقريبي لعدد الاضمات التى يجب أن نحصل عليها لتعادل كتابا فى مجلد واحد هو الحصول عليه من البرديات المصرية من جهة ومن نقش على حجر من جهة أخرى . وذلك أنه فى عام الف وتسعمئة وستة وضع العالم الذائع الصيت «فلكن» حوالى أربعين قطعة كبيرة وصغيرة سويا لاضمات واحدة ، وقد كانت نتيجة لهذا الدرس الدقيق المفهوم (٢) ، الذى وضع سويا فى قصة متصلة هو أن هذه القطع يمكن أن تصل الى نحو ست أو ثمان صحائف من مجلد بالحجم الكبير من كتبنا الحالية ، وهذه القطع جاءت من تاريخ عن حروب «هانيال» مع «روما» وقد ضاع فى الزمن القديم المتأخر وكان مؤلفه «اسبرتيا» اغريقيا يدعى «سوسيلوس» (Sosylus) وكان عضوا فى هيئة الموظفين من رجال الأدب فى جيش «هانيال» ، والورقة التى أتت منها هذه القصة قد أرخ كاتبها «فلكن» بالقرن الأول قبل الميلاد ، ومن حسن الحظ أن عنوان الكتاب قد وجد على ظهر احدى القطع وهو الكتاب الرابع (أى الاضمات الرابعة) من

كتاب اضمادات «سوسيلوس» عن أعمال «هانيال» ، ونحن نعلم أنه لا يوجد الا سبعة كتب من هذا المؤلف الذى وضعه «سوسيلوس» عن أعمال «هانيال» أى أنه كله يحتوى على سبع اضمادات .

ولدينا مدخل آخر مضبوط يعتمد عليه تماما فى مسألة «البلييا» بوصفه اضمادة وذلك فى نقش نشره العالم الايطالى «ماريوسجى» وهذا النقش وصل الينا من «رودس» عرف من أسلوب كتابة النقش . وقد أرخ بالقرن الثانى قبل الميلاد ، ويحتوى قائمة من الاضمادات أهداها المواطنون الى مكتبة «جمنازيوم» هذه المدينة لا لمكتبة البلدية ، وقد أصبح من الواضح من الجزء الذى أمكن حله من النقش أن كل اضمادة كانت فى حجم مقالة معتدلة الطول . ولكن ليس فى طول كتاب بالمعنى الذى فهمه عندما تتحدث عن مجلد من الحجم المربع ، فمثلا كانت توجد اضمادات من كتاب للمؤلف «هيجسيوس» (Hegsius) يسمى «عشاق أثينا» وقد خصصت اضمادة أخرى لحب «أسپاسيا» (Aspasia) وضمادة أخرى كانت خاصة بحب «السييادس» . وكان يوجد أربع اضمادات من كتاب لمؤلف يدعى «تيودكتوس» (Theodectus) من الحرف ، هذا بالإضافة الى خطبة واحدة من «تيوفراستوس» وهى خطبته الألفية ومقالة منفردة بنفس العنوان من المدرسة «الأرسطاطولية» فى مدح مدينة الاسكندرية .

ويمكن الانسان أن يستنتج من كل ما سبق كما يقول «فستزمان» ان متوسط ما تحتويه ست اضمادات من الاضمادات القديمة تعادل على وجه التقريب كتابا من الحجم الكبير الحديث يحتوى على ثلثمائة صفحة ، فاذا لاقى هذه النظرية قبولا فيكون لدينا قاعدة عامة يمكن أن نقرن بها مجموع محتويات مكتبة الاسكندرية القديمة بالنسبة للمكتبات الحديثة الآن .

وعلى أية حال فان المكانة الممتازة التى كانت تشغلها مكتبة الاسكندرية منذ القى سنة مضت كانت عظيمة الى حد بعيد ، وليس من شك فى أن مكتبة

الاسكندرية القديمة قد احتلت مكانا في عالم الثقافة في عصرها يبرر اللقب الذى منحها اياها القانونى الأمريكى «بارسنز» وهو فخر العالم الهيلانستىكى^(١). هذا ويمكن تقدير المكانة الرفيعة التى وصلت اليها مكتبة «ميوزيون» الاسكندرية فى العهد الهيلانستىكى بين المكتبات العدة فى الممالك الأخرى المعاصرة لها والتى أخذت نظمها عنها ، وذلك بسرد أسماء قائمة العلماء الفطاحل المبرزين الذين نصبوا فى القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد أمناء فيها . ونعلم الآن من ورقة عثر عليها فى مدينة «البهنسة» الحالية الواقعة على حافة الصحراء الغربية على مسافة ١٢٥ ميلا جنوبى القاهرة ، اسماء هؤلاء العلماء البارزين الذين تولوا رئاسة ادارة مكتبة الاسكندرية^(٢) .

وهؤلاء العلماء هم : (١) «زنودوتوس» (Zenodotus) من أهالى «أفيسوس» (Ephesus) وهو يعد أول اغريقى من العصر الهيلانستىكى يضع للعالم متنا منقحا لكتابى هومر «الالياذة» و «الأودسى» . (٢) وخلفه فى رئاسة المكتبة «أبولونيوس» الاسكندرى ، وهو مؤلف الملحمة المسماة الحملة الأرجونيتية (Argnaotic Expedition) ولا تزال تقرأ حتى أيامنا وكانت فى عصرها أكثر شهرة عما هى عليه الآن ، كما كانت أحسن ملاءمة للذوق القديم أكثر من عهدنا الحاضر . وفى عهد رئاسة «أبولونيوس» لمكتبة الاسكندرية نظم الشاعر الغنائى «كاليماكوس» فهرس مكتبة الاسكندرية المشهور ولم يتول الأخير فى يوم من الأيام وظيفة أمين المكتبة ، ومن المحتمل أن ذلك كان السبب فى أنه كان يقتبس غالبا بسخرية لاذعة عندما كان يتحدث عن «الحملة الأرجونيتية» أى الملحمة التى وضعها «أبولونيوس» فى صورة شعرية مسدسة القواصل ، وقد قال عنها حرفيا

(١) راجع Edward, A. Parsins, The Alexandrian Library-Glory of the Ancient World, London, Cleaver-Hume Press, 1952.

(٢) راجع Gronfell, Bernard. P. and A.S. Hunt. Oxyhynchus Papyri, X, No. 1241, col. II, Oxford Press.

« كاليماكوس » : « كتاب كبير ، ضرر كبير » .

والفهرس الذى وضعه « كاليماكوس » هذا كان قد نظم من حيث الموضوعات فى ثمانية أقسام كما يأتى : كتاب الروايات والملاحم والشعر الغنائى ، (كل هذه معا) ثم المؤرخون والشعراء والبلغاء ، والخطباء ، والفلاسفة وأخيرا كتاب المنوعات . وهذا ما يقابل فى الواقع على وجه التقريب موضوعات الفهرس فى المكتبات الحديثة . (٣) وثالث أمين للمكتبة هو الجغرافى القدير ذائع الصيت « اراتوستينيس » وكان يشغل هذه الوظيفة فى السنين العشرة الأخيرة من القرن الثالث قبل الميلاد . (٤) وخلفه فى وظيفته هذه « أريستوفانيس » البيزنطى الذى مات فى عام ١٨٥ ق.م. وكانت له شهرة بين العلماء بوصفه ناشر المتون الممتازة للشعر الكلاسيكى ولكتابات مؤلفين آخرين من الذين سبقوا أفلاطون . (٥) وكان خامس أمناء مكتبة الاسكندرية هو « أبولونيوس » وهو كاتب غير معروف كثيرا من حيث التصوير الأدبى وكان يدعى فى الاغريقية « كاتب الاسوب » . (٦) وآخر علم من بين هؤلاء الأمناء هو « اريستاركوس » (Aristarchus) مواطن « ساموتراس » وقد قام بنشر كتب للمؤلفين الاغريق المبكرين من أول عهد « هومر » حتى عهد « بندر » . (٧) ولد لنا أمين آخر لمكتبة الاسكندرية يدعى « سيداس » وهو أحد رجال الحرس الملكى (١) والظاهر أن تعيين الأخير أمينا للمكتبة كان تعيينا سياسيا عمله « بطليموس فيسكون » . ويتضح من الاسماء التى وردت فى هذه القائمة أن معظم الذين تولوا وظيفة أمين مكتبة الاسكندرية كانوا مربين لأولاد ملوك البطالة الذين عينوهم فى زمانهم ، وعلى ذلك يمكن القول بوجه عام أن الأمين الأول لمكتبة الاسكندرية كان دائما مريبا للأسرة المالكة . وتدل الوثائق التى فى متناولنا من عهد « بطليموس الثامن » على أنه قد حلت

كارثة بكل من «الميزيون» وبالمكتبة . وذلك أن أهالي الاسكندرية قد أعلنوا صراحة احتقارهم وكرههم لهذا العاهل بوصفه حاكمهم . وقد قابل «بطليموس الثامن» هذا الكره له والاحتقار لشخصه بأن أمر الجنود بقتل سكان الاسكندرية ، ولسبب مجهول لنا ركز «بطليموس» هذا غضبه على «الميزيون» وادارتها فعين رئيسا لمكتبة الاسكندرية «سيداس» الذى سبق ذكره فى قائمة امناء المكتبة .

وتفاصيل ما حدث غامضة ، غير أنه كان واضحا أن العلماء الذين كانوا يؤلفون أعضاء جماعة علماء «الميزيون» قد هربوا من المدينة ، فوجد مثلا أن «أبوللودوروس (Apollodorus) الاثينى الذى ألف كتابا فى التاريخ وآخر عن مشاهدة الطبعيات قد عاد الى «أثينا» . كما اعتزل «ديونيسوس التراقى» فى «رودس» ، وكان أول عالم هيلانستيكى وضع اجرومية باللغة الاغريقية ، هذا وقد هرب آخرون الى أماكن أخرى وجدوا فيها مأوى يلجئون الى حماه (١) . بقى علينا بعد هذا العرض أن نذكر باختصار ما قاله الاستاذ «فسترممان» عن تخريب مكتبة الاسكندرية المزعوم بالنار فى فترة احتلال «يوليوس قيصر» لمصر عام ٤٨ ق.م. وعلى أية حال فإن بحث هذه المسافة الخطيرة يتوقف على تقدير المصادر الخاصة بأن «ميزيون» المكتبة بوصفها مجموعة كبيرة من الاضمات مميزة خارج المكتبة كانت قد التهمتها النار وقتئذ . وثانيا يجب على الانسان أن يتناول التقرير ذا الصبغة الأسطورية الذى وصل الينا عن هذا الحادث بطريقة منطقية . ويجب على الباحث عند الدخول فى هذا الموضوع أن يتبدى بمعرفة هذه الحقيقة وهى أن كل مجموعات المكتبات العدة المؤلفة من اضمات البردى التى كان يحق لمدن العالم القديم حتى مدنه الصغيرة أن تفخر بها قد اختفت من عالم الوجود.

والواقع أن المعلومات المباشرة التي يمكن الحصول عليها من عهد هذه الكارثة التي يقال أنها أصابت مكتبة الاسكندرية أو بعبارة أخرى البرهان المعاصر لذلك الحادث قد بنى عن الأقوال التي فاه بها «يوليوس قيصر» نفسه ، وكذلك من البيان الذي قدمه لنا صديق مناصر ليوليوس قيصر ومتحس له عن الحرب التي نشبت في الاسكندرية . وهذا الصديق المناصر والمتحس ليوليوس قيصر هو « أولوس هيرتيوس » (Aulus Hirtius) وتفسير الحادث أن «يوليوس قيصر» السياسى الماهر قد قلب نفسه الى جندى ماهر فى فنون الحرب الاستراتيجية وقد وقع فى حبال ثورة طاحنة قام بها أهالى الاسكندرية فى الحى الذى فيه القصر الملكى ، وقد حدثنا بنفسه أنه أمر بحرق كل السفن الراسية على طول حياض الميناء الكبرى على امتداد الكرنيش وذلك بمثابة اجراء حربى لحماية نفسه من حرب الثوار التى كانت ناشبة أظافرها فى شوارع الاسكندرية بعصابات جبارة (١) ، غير أن «يوليوس قيصر» لم يحدثنا بكلمة واحدة عن حريق على نطاق واسع وذلك على الرغم من أنه كان أجدر شخصية يمكنه أن يعرف شيئا عن هذا الحريق وماتج عنه من اضرار ، وقد كان من الطبيعى أن يتحدث عن الاضرار التى نجمت عنه، هذا بالاضافة الى أن «أولوس هيرتيوس» لم يحدثنا بشيء عن تخريب النار المكتبة أو عن حرق أى اضمادات كتب. وأخيرا لم يكتب لنا الفيلسوف «ثيشرن» أية كلمة فى أى خطاب من خطابات فى هذا الوقت . وقد كان «استرابون» فى مصر فى عام ٢٥ ق.م. على اتصال «بموزيون» الاسكندرية وكان مدققا فى وصفها كما كان ملما بكل الجزئيات التى لا بد منها ومع ذلك لم يذكر لنا أى تخريب فى المدينة بالنار .

وقد وصل إلينا فى سنى شباب «نيرون» أى فى الأربعين وفى السنين الخمسين الأول من القرن الألف المسيحى ، من «لوسيوس أنايوس سمنكا»

(Lucius Annaeus Seneca) نيان جاء فيه « أن أربعين ألف كتاب قد أحرقت في الاسكندرية ». ويستمر قائلا « أن فردا آخر يمكن أن يمدح هذا الأثر الفاخر الدال على الثراء الملكي مثل تيتوس ليفي (Titus Livy) الذي يقول « أهذا العمل كان عملا عظيما بارزا يدل على حسن ذوق الملك وعزته » .

ومن الجائز أن « سنكا » كان يقصد دون شك أربعين ألف اضمامة خارجة عن نطاق مكتبة الاسكندرية . وهذا القول لم يأت من « ليفي » وذلك لأن بيانه لم يسجل أى شيء أكثر من مدح مكتبة الاسكندرية بوصفها عملا عظيما أتمه ملوك البطالمة وإذا سلمنا بأن الاربعين ألف اضمامة التي ذكرها « سنكا » هي العدد التقريبي الذي أتلف بالنار وكذلك اذا سلمنا فضلا عن ذلك أنها كانت جزءا من مكتبة « الميوزيون » فإن العدد الذي أتلف كان لا يزال يؤلف أقل بكثير من عشر مجموع الاضمامات الكلى ، وفي هذه الحالة قد نكون مضطرين الى القول بأن جزءا كبيرا من مبنى « الميوزيون » المقامة على بعد أربعة أميال من حوض الميناء الشرقية على طول الكرنيش قد أحرق ، ولكن مالا شك فيه أنه لم تصل إلينا أية كلمة من هذا العهد يمكن أن تتخذ حجة على أن مبنى « الميوزيون » قد أحرق أو أى جزء كبير من المدينة التهمت النار .

ومن الغريب أنه في الجزء الأول من القرن الثاني الميلادى قد زخرفت قصة حريق مكتبة « الاسكندرية » في خلال اقامة قيصر في الاسكندرية بما كتبه « بلوتارخ » فأصبح حريقا انتشر من أحواض الميناء وامتد الى المكتبة العظيمة فاتلفها بعد ان كان على احواض الميناء فقط (١) .

وقد تكررت هذه الاسطورة بالرواية حتى ظهرت بمظهر حقيقة تاريخية ومن ثم أخذت مكائتها في كتب التاريخ التي أتت وتناولت الأزمان القديمة واعترف بها على أنها حقيقة لا ريب فيها .

ولا نعرف عن أى مصدر نقل «سنكا» معلوماته عن حرق الاربعين الف اضمامة وتخريب السفن التى كانت فى الميناء وبهذه المناسبة لا بد أن نذكر أن الاسكندرية فى عهد قيصر كانت من أعظم مراكز العالم نشاطا فى تجارة الكتب واتاجها فى الوقت نفسه . وعلى ذلك فإن المصدر الرئيسى لقصة حراق مكتبة الاسكندرية لا بد قد أتى عقلا عن بيان ذكره قيصر نفسه وأنه هو الذى أمر باحراق كل السفن (١). التى كانت مربوطة عند احواض الميناء الكبرى . وعلى ذلك فالأمر الطبيعى هو أنه كانت توجد فى ميناء الاسكندرية عشر أو اثنا عشر سفينة تجارية محملة ببعض الاضمادات التى كانت مجهزة للتصدير ، وكانت هذه السفن مربوطة على طول الأرضية ، وقد شبت فيها النار، وهناك اقتراح آخر أدلى به المؤرخ «أدون بيقان» ويمكن الأخذ به ويتخلص فى أن بعض مستودعات البضائع التى كانت تقع على طول الأحواض قد شبت فيها النار وأن هذه الاضمادات كانت مجهزة للتصدير فأخذتها النيران وعلى أية حال فإن أحد القرضين فيه الكفاية تماما المدلالة على ضياع الاربعين الف اضمادة من البردى وهى التى ظهرت فيما رواه «سنكا» عن احراق كتب فى الاسكندرية .

ولا ريب فى أن أقوى حجة على عدم اتلاف مكتبة الاسكندرية سواء كان ذلك عن قصد أم مجرد صدفة هى أن هذا الحادث لم يؤكد لنا أحد قط حتى الان. وهذا الأمر يرجع مرده على ما يظهر الى أنه كانت توجد عشرات المكتبات فى المدن الكبيرة والصغيرة فى الأزمان القديمة ولا نعرف عن مصيرها شيئا . ومن بين المكتبات التى أنشئت على غرار مكتبة الاسكندرية وبوازع منها مكتبة «برجامم» فى «آسيا الصغرى» التى أسسها ملوك «برجامم» وكان يفضل فيها كتابة كتبها على جلد الغنم (الرق) على الكتابة على البردى وذلك

لأن الرق أكثر متانة واحتمالا من البردى . وكذلك يحتمل أن الجلد كان أرخص في آسيا الصغرى عن الورق الذى كانت تصنعه حكومة البطالمة وتحتكر تصديره .

هذا ويقال أن مكتبات «أثينا» العدة كانت تقدم أحسن مجموعات من الكتب الموجودة في العالم في خلال القرن الثانى الميلادى . وكانت توجد مكتبات في «پاتراس» PATRAS في بلاد الاغريق كما كانت توجد مكتبة في «رودس» وأخرى في «القيصرية» وكانت تستعمل الرق بدلا من البردى وذلك لسرعة تلف البردى . وفي الغرب كانت أول مكتبة عامة في «روما» غير أنها لم تكن قد أسست حتى عهد «أغسطس قيصر» هذا وكانت توجد مكتبة في كل مدينة كبيرة في شرقى البحر الأبيض المتوسط الذى سادت فيه اللغة الاغريقية . وهذه المكتبات كانت مرتبطة بمدارس الجمنازيا في كل بلد . وتشبه الجمنازيا على وجه التقريب مدرسة الليسيه للشباب في منطقة عالم البحر الأبيض في زماننا .

وخلاصة القول أننا اذا أردنا أن نصر على ايجاد صورة تفسر لنا كارثة اختفاء مكتبة الاسكندرية فان المنطق السليم يتطلب منا تفسير كيفية اختفاء المكتبات الأخرى القديمة اختفاء تاما . وقد يتساءل المرء ماذا حدث لمكتبات برجام «وروما» و «رودس» و «مرسيليا» ؟ . ولا نزاع في أن اختفاء هذه المكتبات وغيرها من المكتبات القديمة يرجع الى سبب بسيط وهو أن الكتب مثلها كمثل الجلباب أو الحذاء فاذا استعملتها طليت ، ومن ثم فان الكتب التى تبلى ولا يستبدل بها جديد غيرها ضاعت الى الأبد ، وعلى ذلك فان فقدان الكتب باستهلاكها دون وضع نسخ جديدة بدلها يستلزم حتما أن تتلاشى المكتبة على مر الزمن .

والآن بعد هذا البحث الطويل في «ميوزيون» الاسكندرية ومكتبته وما أفاضتا على العالم من علوم وآداب لا بد أن القارئ قد لاحظ أن كل الإنتاج

العلمى الذى جاء عن طريق هاتين المؤسستين كان كله اقتاجا اغريقيا ، وليس لأبناء مصر الأصليين فيه أى مجهود اللهم الا كتاب التاريخ الذى وضعه «مانيتون» المصرى بالاغريقية للجالية الهيلانية والعلماء الهيلانيين ، ومن ثم نفهم أن الهيلانيين الذين احتلوا مصر لم يكن يهمهم من أمرها الا استغلال بروتها الطبيعية باستعباد أهلها واستخدام قواهم الجسمية والقضاء على مواهبهم العقلية بجعلها راکدة ما دام ذلك فى قدرتهم . وأغرب ما يلفت النظر فى أمر علماء «المليوزيون» أنه لم يوجد من بينهم واحد تحدث عن اللغة المصرية أو ترجم شيئا عنها فكان لغة مصر وعلومها الغابرة عندهم لم تكن شيئا مذكورا بعد أن كانت فى الأزمان التى سبقت العهد الهيلانى مورد علومهم ومعارفهم كما قصصنا القول فى ذلك فيما سبق . وعلى أية حال منرى فيما يلى أن علماء الاغريق كانوا على الرغم منهم متأثرين بحضارة مصر القديمة التى كانت متأصلة فى كل فروع علومهم وآدابهم .

كتاب الأدب الاغريق فى الاسكندرية

كان لادباء الاسكندرية فى عهد البطلمة شأن يذكر فى الشعر الغنائى والدراما . وآية ذلك أن القراء فى العصر الكلاسيكى كانوا يقنعون بالمتون التى تقع تحت أيديهم لأى مؤلف دون مراعاة اذا كانت هذه المتون صالحة أو غير صالحة للقراءة تماما . وقد شعر علماء الأدب الاسكندري أنه من واجبهم عند تناول أى مؤلف أن يتثبتوا من متنه ، ثم يفسروا ما فيه من الفاظ لغوية مغلقة ويوضحون موضوعه . ولا أدل على الطريق التى نهجوها فى هذا السبيل من طبعات مؤلفات «هومر» التى نشرها «زندوتوس» و«ريانوس» (Rhianus) و «ارستوفانس» و «اريستاركوس» على التوالى ، ويلاحظ فى ذلك النقد العلمى المستمر . والواقع أن تعليق «اريستاركوس» على «هومر» كان عظيما لأنه كان يتناول المتن سطرا سطرا . أما المسائل العويصة التى كانت تعرض لهؤلاء العلماء فكانت تفحص فى مقالات منفردة . وقد طبق «أريستوفانيس»

مهارة النقد التي حصل عليها من هذه الدراسات وكذلك اخلافه على أنواع أخرى من الشعر كما طبقت على النشر بدرجة أقل . وتدل شواهد الأحوال على أن المتون التي تناولها «أريستوفانيس» قد نالت قبولا حسنا عاما حتى أن العلماء الذين أتوا بعده قد اكتفوا بوجه عام بالشروح . ومما يطيب ذكره في هذا المقام أن ثاني عمل جليل قام به علماء الاسكتندرية بعد نقد المتون القديمة وعرضها عرضا صحيحا انهم وضعوا علم قواعد النحو والاجرومية، كما يسمونها ولم يدفهم الى هذا الاختراع المجيد الاحب العلم لذاته . وقد ساغدهم في مجهودهم هذا طائفة العلماء الرواقين وبخاصة في تدبر أصول اللغة وتطورها وكانت أول أجرومية وضعت في اللغة الاغريقية لأحد تلاميذ العالم «ارستاركوس» المسمى «ديونيسون التراقي» .

المؤلفات الشعرية

الواقع أنه لم توجد مادة كبيرة من المؤلفات الشعرية في العهد الهيلانستيكي وقد يرجع السبب في ذلك الى عدم العناية بالاسلوب ، ومن أجل ذلك نجد أن أحد كتاب النشر في عهد «أغسطس» من الذين قاموا بحملة لاهياء فن النشر «الاتيكي» من جديد حوالى عام مائة قبل الميلاد وقد هاجم كتاب النشر الذين عاشوا ما بين عامى ٣٠٠ و ١٠٠ ق.م وحط من قدرهم . على أن ذلك لم يمنع المؤلفين كانوا يجدون فيها مادة واسعة مهما كانت غامضة

يضاف الى ذلك أنه لم يكن للملكات الهيلانستكية التي كانت قائمة وقتئذ مجال لاستعمال الخطابة وذلك لأسباب سياسية ، في حين أن الخطابة كانت من مفاخر أثينا الديموقراطية في عهد «ديموستين» (فحل الخطباء في العالم الاغريقى). هذا وقد سلم النقد القدامى بأن «ديميتريوس» مواطن «فالريم» كان آخر خطباء «اتيكا» ، غير أن أهم شيء يلفت النظر عن «ديميتريوس» هذا هو تشعب معلوماته ، فقد ألف محاورات فلسفية وخطبا عن موضوعات

خيالية، كما وضع كتاب التاريخ عن مدة حكمه لأثينا . هذا وقد فقدت الخطب القضائية سلطانها التي كانت احرزته مؤقتا . وكان آخر خطيب من هذا الطراز استحضت كتاباته أن تبقى هو « ليسياس » (Lysias) .

التاريخ

لقد كان علماء الاغريق منذ عهد الأسرة السادسة العشرين المصرية على الأقل يعتقدون أن وادى النيل هو منبع كل حضارات العالم وانهم تلاميذ المدنية المصرية ووارثوها كما حدثنا بذلك كل من المؤرخين «هيكاتا الميليتي» «وهردوت» وقد زار كل منهما مصر وكتب عنها . وقد كان المنتظر بعد ذلك أن نجد وثائق مما تركه الكهنة حفظة العلم عن أسرار مصر وما فيها قبل عصر هذين المؤرخين ولقد بقى العالم فى ظلال دامس حتى جاء المؤرخ «مانيتون» فى عهد «بطليموس الثانى» ودون لنا تاريخ مصر تقلا عن المصادر الهيروغليفية باللغة اليونانية .

ولا نزاع فى أن «بطليموس الأول» قد حث الباحثين على درس المدنية المصرية وغيرها من المدينيات المعاصرة وقد كان هو أول من ضرب مثلا للمؤلفين بوضع كتاب عن عصر «الاسكندر» وحروبه ضمنه حياته هو وذلك خدمة لسياسته التى كان يسير على نهجها من خلفه وقد نقل عنه الكثير المؤرخ «أريان» . والواقع أن المحصول التاريخى فى الجيلين اللذين أتيا بعد عهد «الأسكندر» كان عظيما ، غير أنه مما يؤسف له جد الأسف ضياع مؤلفات المؤرخين الذين كتبوا عن هذا العصر ولم يبق لنا من كتاباتهم الا بعض مقتبسات نقلها عنهم آخرون جاءوا بعدهم . وقد كانت أبرز غلطة ارتكبها مؤرخو هذا العصر هى العمل على جعل كتاباتهم مؤثرة دون مراعاة أى اعتبار آخر . وكان أول من أدخل هذه الفكرة «اسوكراتيس» وتلاميذه ولم تكن وقت عصر البطالمة قد ماتت أو أوشكت على الزوال وعلى أية حال كان قد نشأ فى العالم الحديث وقتئذ شعور بالتعبير عن الحقيقة أوحى به الى بعض الكتاب وبخاصة عند

أولئك الذين كانوا يعملون في الدوائر الحربية وهم الذين عرفوا الاسكندر وعاشوا معه فأقلعوا عن البلاغة والمبالغة ، ومن أجل ذلك نجد أن «بطليموس» عند ما كتب تاريخه عن «الاسكندر» بعد عام ٣٠١ ق م من مذكراته الرسمية وغيرها من الوثائق الحكومية ، مضافا الى ذلك ملاحظاته الشخصية وذكرياته ، وبذلك كان يقوم بعمل جديد فقد كان زجل عمل دون ما عرفه وما رآه .

هذا وبطيب لنا أن نذكر هنا كذلك «تيكروس» أحد أصدقاء «الاسكندر» في صباه وقائد اسطوله فقد كتب لنا عن سياحته قبل عام ٣١٢ ويعتبر كتابه أصدق مؤلف سردت فيه الوقائع بأمانة باللغة الاغريقية . ويأتى وسطا بين هذين المؤلفين من حيث الدقة «ارستوبولوس كاسندرا» فقد كان يعرف بعض المعلومات عن الاسكندر كما كان جغرافيا حسنا ولكن كلامه عن الحوادث لم يكن يعتمد عليه دائما ، وهؤلاء المؤرخون الثلاثة قد مثلهم أمامنا ما كتبه لنا المؤرخ «أريان» وقد كان هناك غير هؤلاء ممن كذبوا حكم «استرابون» القاسى عندما يقول : ان كل رفاق «الاسكندر الأكبر» كانوا يفضلون القول العجيب على الصدق ونخص بالذكر من بين هؤلاء «كارس» (Chares) الميليتى الذى كان يشغل وظيفة تشرىفاتى «الاسكندر» و«باتون» (Baeton)

و «ديوجنيتوس» (Diognetus) كانا يعملان في مساحة الطرق مع «الاسكندر» هذا وقد كتب لنا على هذا النمط قصة خلفاء «الاسكندر» ومن جاء بعدهم المؤرخ «هيرونيموس» (Hieronimus) من أهالى «كارديا» (Cardea) ، ومن المحتمل أنه يعد أعظم مؤرخ هيلانستىكى عرف حتى الآن ، ولكن مما يؤسف له أن تاريخه قد ضاع غير أن لدينا منه ما يعرفنا شخصيته . والميزة العظيمة التى كان يتمتع بها عند وضع مؤلفه هي أنه كان في متناوله السجلات المقدونية ، والواقع أنه قد وضع كتابه هذا وهو في شيخوخته في بلاط «أنتيجونوس» وابتدىء من وفاة الاسكندر حتى عهد «بيروس» (Pyrrhus) ملك «افيسوس» وقد لعب هذا المؤرخ نفسه دورا كبيرا في السياسة

لا يستهان به ، والواقع أنه كان أعظم من عارض المدرسة التي كانت تعتمد على البيان في تدوين التاريخ ، وذلك لأن غرض هذا المؤلف لم يكن التأثير على القارئ بل الوصول الى الحقيقة . ومن المحتمل أنه كان أول مؤرخ قد تعقب في حياة «ديمتريوس» تطور الاخلاق ، غير أنه لم يكن يملك قوة الاسلوب ، ومن أجل ذلك نجد أن كتابه كغيره من الكتب قد قضى عليه وصار في عالم النسيان . والجزء الذي بقى لنا مما كتبه هذا المؤرخ العظيم يمثل لنا في تاريخ «ديدور» وفي كتاب «أريان» الذي وضعه عن خلفاء «الاسكندر» الذين يطلق عليهم اسم «ديادوكي» (Diadochi) كما نراه قد استعمله بعض الشيء «بلوتارك» في حياة «ايمنيس» (Eumenes) وحياة «ديمتريوس» ، كما كان له تأثيره المستمر القوي على تقاليد هذا العصر المهمة . والواقع أنه كلما درس هذا العصر أكثر فأكثر ازداد الاعتقاد بأن الخسارة كانت فادحة بفقدانه ، وقد اتخذ هذا المؤرخ العظيم خطة مؤرخ «ثيوديز» في تأريخ الحملة بالسنين وكانت الشخصيات التي يمثلها تظهر حية وهذه ظاهرة كانت وقتئذ نادرة . هذا وقد وضع لنا ما أكدته المؤرخ «هوليوبولييوس» أنه في اليونان كان يمكن لرجال الحرب فقط أن يكتبوا تاريخا مفيدا حسنا^(١)، حيث يقول : «لم يوجد اغريقى استنبط تطور الأخلاق» ، ويعتقد المؤرخ «تارن» أن «أراتوس» قد فعل ذلك أيضا . وقد كانت أسرة «اتيجونوس» سعيدة بما قدمه لها من خدمات ، فقد جعل من الممكن لفترة من الزمن فهم بلاد مقدونيا بعض الشيء . والواقع أنه لا أسرة «السليوكيين» في «آسيا» ولا البطلمة في مصر قد انجبوا مؤرخا كماً مثل «هيرونيوس» .

أما الفترة التي تقع ما بين «هيرونيوس» والمؤرخ «بليبيوس» من حيث التأريخ الاغريقى فقد ظهر فيها المؤرخ «فيلاركوس» (Phylarchus)

الذى كتب فى «أثينا» واستمر فى تأريخ «دوريس» الذى كتب عن تاريخ الفن وكان له أتباع حتى موت «كليومنيس» عام ٢١٩ ق.م. وتظهر كتاباته فيما كتبه «بلوتارك» عن «اجيس» Agis و «كليومنيس» كما ظهر تأثيره فى غيرهما ، وينظر اليه بوجه عام كأنه صورة من المؤرخ «دوريس» وذلك لمرسه الشخصيات النسائية بصورة روائية ، ولكن على الرغم من أنه كان مقتنعا بتحيزه «لكليومنيس» فإن الانسان كلما حلل عصره ازدادت أهميته، وعندما تتضارب آراؤه مع آراء «پوليبيوس» فإن الحق لا يكون دائما فى جانب «پوليبيوس» (١) . ولدنا المؤرخ «أراتوس» من أهالى «سيسيون» Sicyon الذى كتب ترجمة حياته وقد عاش فى النصف الأخير من القرن الثالث ، وكان المصدر الرئيسى الذى أخذ عنه المؤرخ «پوليبيوس» فى هذه الفترة. ويعد «پوليبيوس» مواطن ميجالوپوليس (١٩٨-١١٧ ق م) أكبر مؤرخ فى القرن الثانى قبل الميلاد، وقد لعب دورا فى سياسة حلف «أرخيان» Archean League وحروبه وقد أخذ أسيرا الى روما بعد موقعة «پيدنا» Pydna ثم عاد الى بلاد الاغريق فى عام ١٤٦ ق.م. ويقص علينا كتاب التاريخ الذى وضعه حوادث العالم المعمور من عام ٢٢١ ق.م الى عام ١٤٦ ق م . غير أنه لم يبق لنا من كتابه الا خمسة أجزاء هذا بالاضافة الى اقتباسات من أجزاء كتبه الأخرى ، وقد مثله المؤرخ «ليقى» اليهودى غير أنه أضاف اليه مادة حقيرة سخيفة . على أن ما كتبه «پوليبيوس» ليس بالشئ الممتع فى قراءته وذلك لأن أسلوبه كأسلوب عبارات المرسومات الحكومية والرسائل المملة للغاية، وعلى أية حال فانه أكد لنا فى كتاباته أن مهمة التاريخ الوحيدة فى نظره هى قول الصدق وكتابته ، ولذلك فإن المؤرخ الألمانى «مومسن» الذائع الصيت ينظر اليه بأنه لا يزال يحتل المكانة الثانية بين مؤرخى الاغريق فيقول : « قرب الذى كان قبله والذى كان بعده بالعصر الذى شئت فيه شمسه شمس الغيوم » .

وقد استمر في تكملة تاريخ «بوليسيوس» المؤرخ «پوزيدونيوس» (Poseidonius) وهو من أهالي «أپاما» من أعمال سوريا (١٣٥ - ٥١ ق.م.) ، وقد كان يشغل في «رودس» وظيفة عالية ويعد آخر قوة عقلية أنجبتها المدينة الهيلانستكية لم تسمهاروما ، فقد كانت معارفه تمتد الى ميادين عدة وكان الخطيب شيشرون من تلاميذه ، وقد حلق بعلمه في سماء النصف الأول من القرن الأول كما حلق «أراتوستينس» في نهاية القرن الثالث في سماء العلوم والمعارف ، غير أن التاريخ الذي وضعه كان سطحيا .

ولدينا مؤرخ آخر من طينة أحسن وهو «نيكولاوس» الدمشقي Niocolaus فقد كان مؤرخا وفيلسوبا في بلاط «هيروود الأول» وكتب تاريخا عاما والجزء الذي كتبه عن «هيروود» قد بقى لنا في مؤلف «جوزيفس» اليهودي وذلك هو السبب الذي من أجله عرف الكثير عنه .

وأخيرا كتب «ديدور الصلقي» كتابه المعروف بالمكتبة التاريخية حوالى عام ٢٧ ق.م. وعلى الرغم من أنه لا يعد مؤرخا بالمعنى الحقيقي فانه يستحق شكر العالم الحديث فقد كان في الواقع ناقلا يضاف الى ذلك أن ما يجده الانسان من لذة قراءة كتابه يتوقف على المؤرخ أو المؤلف الذي يلخصه في ذلك الوقت ، وعلى أية حال فانه قد حفظ لنا مادة كثيرة لولاها لتفقدت نهائيا واليه يرجع الفضل في معرفة ما كتبه «هيرونيموس» .

هذا ولدينا نوع آخر من كتابة التاريخ غير كتب التاريخ الرسمية ، ففي باكورة القرن الثالث حاول كاهنان أحدهما بابل والآخر مصرى وهما «بروسوس» (١) . و «مانيتون» المصرى الذى أشرنا اليه فيما سبق في أن يجعل التاريخ لدهما في متناول الهيلانستكيين ، ولم يكن الا القليل في هذا العهد من الاغريق ممن يهتمون بتاريخ الأجانب بصورة جدية وان كان المؤرخ «تيوپومپوس» قد عرف كتابات «أفستا» الهندية (٢) .

(١) P. Schnabel Berossos und die Babylonisch-Hellenistisch (١٩٢٣) Litaratur 1923).

(٢) راجع (Fr. 11 Inf Jacoby's Fragmente der Griechischen Historiker)

وقد رحب اليونان بما كتبه «پروسوس» عن علم التنجيم ، هذا وكان تقويم «سايس» هو تقويم السنة المصرية والأعياد قد كتبت بالاغريقية حوالى وفى عهد «ببليوموس الأول» كتب «هيكاته الأبدري» عن مصر ووصفها كما يراها اغريقى وقد أثرت كتاباته على بعض الكتاب الاغريق ، فمثلا نجد الكاتب عام ٣٠٠ ق.م فتداولها الاغريق (١) .

«ايهميروس» (Euhemerus) من أهالى «ميسينا» كان قد استخدمه «كاسندر» فى بعوث فى الجنوب والشرق وقد أخبرنا فى كتابه «القائمة المقدسة» (The Sacred List) أنه لا يعتبر كل الآلهة من أصل بشرى بل كان يعتقد أن بعضهم مثل الشمس والقمر والنجوم والرياح موحدون بقوى الطبيعة ، والظاهر أنه قد أخذ هذه الآراء عن مؤرخ من مصر عاش قبله بقليل وهو «هيكاته الأبدري» (٢) وذلك أن الأخير فى كتابه الخاص عن مصر قد وصف المصريين بأنهم الواضعون للمدينة وامتدح انظمتهم السياسية ومعتقداتهم الدينية ، وكان دستور المثلث هو حكومة ملكية أبوية (٣) ، ومن المدهش أن كتاب التراجم الذين كتبوا عن حياتهم فى هذا العصر كانوا نادرين لدرجة مدهشة ولكن من جهة أخرى نجد الذين كتبوا عن غيرهم كانوا كثيرين ، غير أنهم كانوا يحشون كتاباتهم بعناصر لا قيمة لها . ومن حسن الحظ نجد أن واحدا من هؤلاء رأى أن ما يستحق الاهتمام فى نظره أن يدون لنا ذكريات عظماء الرجال الذين عرفهم ، وهذا المؤلف هو «انتيجونوس كارستوس» (Antigonos Carystus) وكتابه عن حياة الفلاسفة الذى اقتبس منه المؤلفون فيما بعد يعد أثمن مصدر لنا عن الحياة الخاصة فى القرن الثالث قبل الميلاد .

ومما يجب الإشارة اليه هنا أنه قد ظهرت بجانب كتب التاريخ قصص اسطورية وخيالية بصورة بارزة ، وأهم قصة من هذا النوع هى أسطورة

(١) راجع (P. Hebeh, I, 27)

(٢) مؤرخ عاصر الاسكندر الاكبر وببليوموس الاول وكتب عن تاريخ مصر فى تلك الفترة .

(٣) راجع (C.A.H. VII, p. 265)

«الاسكندر» وهي عبارة عن خليط من الآراء جمعت من مصر وبابل ، وآخر صورة مشوهة لهذه القصة هي التي رواها «كليتكوس» وقد نبعت من مصر ثم نسبت الى كاليستينيس . وعلى الرغم من أن المتن الاغريقي الذي أخذ عن «كاليستينيس» لم يأخذ شكله النهائي حتى القرن الثالث بعد الميلاد ، فإن أصوله يمكن أن ترجع للقرن الثاني قبل الميلاد (١) .

الجغرافيا :

يدل ما لدينا من مصادر على أن علماء الجغرافيا قد ساروا شوطا بعيدا في ميدان الجغرافيا الوصفية والانسانية ، ويمكن الانسان أن يمس ذلك من المتقطعات القليلة التي بقيت لنا من مؤلفاتهم الهامة ولا أدل على ذلك من الكتاب الذي وضعه الجغرافي الذائع الصيت والكتابات الجغرافية التي تركها لنا «بوليبوس» والمقالات الجغرافية الكبيرة التي وضعها «أجاتاركيدس» مواطن «كنيدوس» (Agatharchides of Cindus) وفي عهد « بطليموس فيلوموتر » و « اريچيتس الثاني » عاش الجغرافي « ارتميدورس » (Artemidorus) من أهالي « افيسوس » وقد كتب في نهاية القرن الثاني ق.م هذا بالاضافة الى ماكتبه «پوزيدونوس» (Posidonus) في الجغرافيا الوصفية ، ومن سوء الحظ أن هذه المؤلفات قد ضاعت ولم يبق لنا منها الا نبذ ، غير أن ما جمعه «استرابون» من معلومات جغرافية قد عوض علينا ماضع بعض الشيء . حقا ان استرابون لم يكن من جغرافيين هذا العصر ، اذ قد عاش في عصر الامبراطورية الرومانية الجديد ولكنه أفاد كثيرا بما نقله لنا عن اسلافه .

والواقع أن فتوح «الاسكندر» والصلات التي كانت قائمة في عهد خلفائه والممالك التي كانت خارج حدودهم قد أدت الى ازدياد عظيم في ميدان

(١) راجع A. Ausfeld, der Griech. Alexander, Roman (1907), W. Kroll, Kallisthenes, Pt. 2 in p. w.).

المعلومات الجغرافية عند الاغريق ، فقد رأينا أن المملكة «السليوكية» تتصل بالهند في حين أن البطالمة كانوا بطبيعة الحال مهتمين في بلادهم الصغيرة المعروفة الواقعة جنوبى مصر ، فقد كان «بطليموس الثانى» أول من مد فتوحه نحو بلاد «أثيوبيا» (كوش) وذلك ليسهل عليه الحصول على الفيلة التى كانت تستعمل في الحروب من جهة وليجلب أعشابا طبية من جهة أخرى. وقد أرسل عماله تقارير عن ذلك . والوصف الذى وضعه قائده البحرى المسمى «تيموستنيس» (Timosthenes) عن موانى البحر الأحمر والأبيض المتوسط بقى مدة يعد نموذجا لمعرفة هذه الجهات . ولم تكن عمليات الكشف احتكارا للحكومات الملكية بل كانت هناك جماعات من البحارة تبحث عن جهات جديدة للتجارة ، وقد نتج عن هذه المعلومات التى وصل اليها الباحثون في زمنه نظامهم العظيم عن الجغرافيا العلمية ، ونذكر ثلاثة من بين الرواد الأصليين في تلك الفترة قد برز اسمهم بصورة واضحة : أولهم «نيركوس» (Nearchus) قائد أسطول الاسكندر في سياحته في نهر السند وفى عبر المحيط الهندى الى نهر الفرات ، وقد وضع مؤلفا عن تجاربه ويمتاز بدقة الملاحظة وصواب الحكم، ويمكن ان يرى من قصته التى حفظت لنا في تاريخ «أريان» ماحداثبه عن جماعات الحيتان التى قابلها في خلال رحلته (١) .

أما الرائد الثانى فهو «پاتروكليس» (Patrocles) الذى اخترق مجاهل «بحر قزوين» بأمر من الملك «سيلوكيس الأول» وقد أخطأ في فكرته ان هذا البحر هو عبارة عن خليج للمحيط الذى يلف حول العالم .

وأهم هؤلاء الرواد هو «پيتياس» (Pytheas) وقد عاش في أواخر القرن الرابع وساح من «مرسيليا» مخترقا «جبال طارق» حتى وصل الى ساحل «أسبانيا» و «فرنسا» وأخيرا حدود «بريطانيا» ، وكان أول اغريقى دون تأييد القمر على مد البحر وجذره ، كما كان أول فرد قدم لنا تقريرا دقيقا عن

بريطانيا وسكانها ، وقد دوت سياحته في كتاب سمي «عن المحيط» وكان «اراتوستينيس» مدينا له حقا بكثير من المعلومات الثمينة .
«اراتوستينيس»

يعد «اراتوستينيس» أغرب شخصية في كتابة النثر الاسكندري . ولد هذا العالم في «سيريني» حوالي عام ٢٧٦ - ٢٧٥ ق.م ، وكان أول تلميذ تخرج على «كليماكوس» في «الاسكندرية» ثم درس في «أثينا» مهد العلوم الى أن استدعى ثانية حوالي عام ٢٤٦ ق.م ليعين أمينا أولا لمكتبة الاسكندرية خلفا «لأبولونيوس روديوس» (Apollonius Rhodius) في عهد «ببليوس ايريجيتيس» ، وقد كان تبحره في شتى العلوم مضرب الأمثال . والواقع أنه بشر كتب في الشعر والفلسفة والأجرومية والهندسة وفقه اللغة والتاريخ والجغرافيا. وقد كانت مؤلفاته في التاريخ والجغرافيا غاية في الأهمية، ويرجع الفضل في شهرة «اراتوستينيس» الجغرافية الى أنه كان رياضيا في الوقت نفسه ، ومن أجل ذلك كان على اتصال مع «ارثيميدس» أما أهم مؤلفاته في الجغرافيا فتتخصر في كتابين الأول بحث أطلق عليه «عن مقاييس الأرض» ثم «جغرافيا» في ثلاثة مجلدات . قفى الكتاب الأول حسب محيط الأرض بأنه يبلغ حوالي ٢٨ ألف ميل ، وقد وصل الى هذه النتيجة بوساطة ملاحظات موقع الشمس عند الظهيرة في «الاسكندرية» وفي «اسوان» في الوقت نفسه وذلك في زمن الانقلاب الصيفي وهذا التقدير القريب الى العدد الصحيح وهو أربع وعشرون ألف وثمانمائة وستون قد أعجب به العلماء كثيرا بالنسبة لزمه .

وفي كتابه المسمى «جغرافيا» تتبع تاريخ جغرافية بلاد اليونان من أول عهد «هومر» حتى عهد المؤرخين الاسكندريين ، وفي الكتاب الثاني بين لنا آراءه عن شكل الأرض وحجمها وكذلك طبيعة المحيط وامتداده ، وفي الكتاب الثالث وضع جغرافية وصفية للعالم على حسب مصوره الجغرافي الذي كان

العالم المعمور قد قسم فيه بخط يمتد من «جاس» حتى أواسط «آسيا» ،
والى نصف شمالى وآخر جنوبى ، وكان كل واحد منهما قد جزء الى قطع من
دائرة بهذا التقسيم أعاد «أراتوستنيس» التصميم القديم الذى يشمل على
قارتين مما جعله يتمشى مع عصره ، والواقع أنه على الرغم من انتقاد
«أراتوستنيس» للجغرافيين الذين سبقوه فانه لا يعد مجددا أصليا ، وعلى أية
حال لا نعلم على وجه التأكيد لأى حد كانت نظرياته قد تنبأ بها وبخاصة فيما
تعلق بـ «ديكاركوس» (Dicaearchus) غير أن بعض استنباطاته فى الواقع
تمثل توافقا فى رأى . وقد كان هذا الضعف هو الذى جلب عليه نقد العالم
«هيباركوس نيكيا» (Hipparchus of Nicaea) اللاذع الذى جاء بعده.

الشعر فى الاسكندرية

يلحظ مما ذكرناه عن النشر فى العهد الهيلانىستى أنه كان نموا طبعيا لنثر القرن
الرابع عشر ولكن الشعر فى هذا العصر اذا استثنينا التمثيلات الهزلية
والمقطوعات الشعرية الحاذقة كان لا يدل على اتصال مستمر بالتقاليد ،
وسبب ذلك أن الإثنيين قد رفعوا شأن الدراما على حساب النواحي الأخرى
من الشعر . وقد ظهر اهتمام الشعر الخارج عن نطاق الدراما أولا حوالى
٣٠٠ ق.م . وقد كان أول الشعراء الذين برزوا فى هذا المضمار فى المدن التى
تقع على الساحل الجنوبى الغربى لساحل «آسيا الصغرى» والجزر المجاورة
لها هم : «فيلتاس» (Philetas) مواطن جزيرة «كوس» و «امكليبيادس»
مواطن «ساموس» (Asclepiades of Samos) و «سيمياس الرودىسى»
(Simias) ، وقد جمع الأول والثانى حولهما تلاميذا ورفاقا ساروا على
مذهبهما . وفى هذه الأيام كانت المسافة من جزيرة «كوس» أو «ساموس»
حتى «الاسكندرية» مهد الحضارة والعلوم سهلة ميسورة . وفى حين تقرأ
أن الشعراء القدامى كانوا يشوون فى عقر دارهم ، نجد الجيل الجديد يولى

وجوهم شطر مصر . وقد أغرت هذه الروح الجماعية التي نشأوا فيها جو «الميوزيون» . يضاف الى ذلك أنه قد نشأت سهولة عظيمة في المواصلات بين رجال الأدب وقتئذ فنشرت هذه التقاليد حتى امتدت الى كل أرجاء العالم الاغريقى .

وكانت أحب صور الشعر عند الاسكندرانيين الملاحم والمرانى والشعر الفنائى والرجز (Iambus) والمقطوعات الصغيرة (Epigrams) . ومما يطيب ذكره هنا أن الشعر الدينى لم يكن له مكانة تلفت النظر في الشعر الاسكندرى ، وذلك لأن الشعر عند الاسكندرانيين كان معناه علم الاساطير ، وكان الأولمبيون يشاطرونهم على السواء فى ذلك . وسبب ذلك أنهم كانوا ينظرون الى الأبطال والبطلات فى القصة الاغريقية بأنهم شخصيات هامة تقدم تراجهم الفنية بالتفاصيل المنوعة للشاعر بعرض ممتاز وذلك لاطهار تعمقه فى المعرفة وحسب . ومن جهة أخرى لم يكن من المنتظر أن نجد شعرا وطنيا حماسيا كما كانت الحال فى العهد الاغريقى المبكر ، غير أن المدن والاقوام كانوا مهتمين بماضيهم . هذا ونجد أن بعد القوم عن الدين والوطنية وعدم ذكرهما فى أشعارهم قد سهل عليهم اتخاذ العلوم الطبيعية موضوعات لشعرهم ، ولا أدل على ذلك من أن الاسكندرانيين قد احتفلوا بالأعمال العظيمة التى قام بها زملاؤهم فى «الميوزيون» ، يضاف الى ذلك أن «أراتوستتيس» نفسه وهو جغرافى مبرز كما ذكرنا قد كتب قصيدة فى النجوم ، ولكن كان هناك ميدان معلومات آخر اهتم به الاسكندريون اهتماما بالغا وذلك هو سجل عهد طفولة الدولة الاغريقية ، وكان القوم قد ورثوه منذ أقدم العهود ، وقد جمع الآن فى أمهات المكتبات فكان فى متناول العلماء المثقفين . وقد اتخذ شعراء الاسكندرية من هذه الموضوعات منبعا فياضا ينهلون منه فى صياغة شعرهم وبخاصة الأساطير المحلية التى أنشأها خيال الشعب فى العهد الاغريقى المبكر ، وذلك فى حين أن أدب العصر الكلاسيكى لم يكد يلحظ ذلك . وقد كان الغرض من نسخ هذه القصص فى صور شعرية هو تفسير بعض عادات قومية أو شعرية دينية

أو صورة من صور الحياة الريفية . وقد كان هذا العنصر البعيد هو الذى حببها للاسكندريين الذين كانوا غالبا ما يجعلون هذه القصص ترجع الى قصة غرام بين انسانين أو بين انسان واه . وكان «كاليماكوس» يعد أعظم شاعر فى العصر الذهبى الاسكندرى فقد كان يقول متمدحا بشعره : دع آخر ينهق على طريقة ذى الأذنين الطويلتين، ولكن دعنى أكن الرشيق المجنح» . ولد «كاليماكوس» حوالى عام ٣١٠ ق.م ثم هاجر من «سيرينى» الى «الاسكندرية» وكشف عن مواهبه عندما كان يعمل مدرسا فى مدرسة ضاحية «اليوزيس» (Eleusis) ، ومن المحتمل أن مقطوعاته الشعرية القصيرة التى كانت تنطوى على نكات - وكانت السائدة فى هذا العصر - قد لفتت نظر بلاط «بطليموس» اليه . وقد منحه الأخير وظيفة أمين مكتبة الاسكندرية ، وكان فى صباه مشغولا بتحضير فهرس المكتبة . ولم ينقطع عن قول الشعر حتى آخر أيام حياته فى عهد بطليموس الثالث «ايرجيتيس» . ومن سوء الحظ لم يبق من الكتب الثمانية التى وضعها على حسب قول «سويداس» الا القليل جدا . ويلحظ فى بعض شعره أنه كان ينهج نهج «هومر» ، غير أننا نجد فى قصيدتين على الأقل أنه أقحم فيها السياسة . فقد وصف انشودة له وضعها عن الاله «زيوس» بأنها مقال عن الحقوق الآلهية للملك . ومن ثم نفهم أن «كاليماكوس» كان قد درس نظام الحكم المصرى القديم وأراد أن يرضى «بطليموس» بوضعه فى مصاف ملوك مصر الذين كانوا يعدون أولاد «رع» وانهم آلهة . أما قصيدته للاله «أبولو» فالظاهر أن الغرض منها كان عودة السلام مع «سيرينى» وجعلها تحت سيادة «ايرجيتيس» على أن أهم شعر صاغه «كاليماكوس» هى قصيدة «الاسباب» وهى عبارة عن خليط من المعلومات فى التاريخ والجغرافيا والأساطير أملاها خيال الشاعر بوساطة الهات الشعر والموسيقا والفنون الأخرى الحرة (أولادالاله «زيوس» و «منوزين») وأسماء «الميوزيس» هى (١) كاليوب (Calliope) وهى خاصة بشعر

الملاحم (٢) و «كليو» (Klio) التاريخ (٣) «أراتو» (Erato) الغزل
(٤) ايترب (Euterpe) = الشعر الغنائي (٥) ميلبومين (Melpomene)
= المأساة (٦) بوليهمنيا (Polyhymnia) = الشعر الغنائي والبلاغة
(٧) «تربسيكوري» (Terpsichore) = الرقص (٨) تاليا (Thalia)
التمثيل الهزلي (٩) أورانيا (Urania) الفلك .

ومن أهم ما أنشأه لنا «كاليماكوس» مرثيته التي أنشأها في موت
«ارسنوى» زوج «ببليوموس» الثانى وقد خالف فيها هذا الشاعر نغمته
المعتادة اذ وضعها في نغمة عاطفية مؤثرة . فنجده في البداية القصيرة التي
يصف فيها صعود روح «ارسنوى» الى النجوم . وكذلك المشهد الذى يأتى
بعد ذلك نشاهد «كاريس» بعد سهرها على جبل «أثوس» تحبر «فيلوتيرا»
الحزينة وهى أخت «ارسنوى» المؤلمة أن السحب العابسة التى تغطى
السماء تأتى من جنازة الملكة فى مصر حيث تنعى الأمة قاطبة فقيدتها ، وقد
عبر الشاعر عن ذلك على الرغم من تمزيق المتن بكلمات مؤثرة فى النفس .

ومما تجدر ملاحظته هنا أن صعود روح الملكة الى السماء لتتحد بالنجوم
وتصبح واحدة منها فكرة مصرية ترجع الى متون الاهرام ولم تظهر
عند ملوك البطالمة الا بعد أن أصبح الملك «ببليوموس الثانى» وزوجه مؤلهين
وذلك باعتناقهما المذهب الآلهى المصرى وهو أن الملك هو ابن الاله «رع»
او «أمون رع» وأظن أن فى ذلك برهانا قاطعا يدحض الفكرة القائلة أن
موضوع التأليه اغريقى فى أصله .

وأخيرا نذكر من شعراء «الاسكندرية» النابهيين فى هذا العصر
«أبولونيوس» الذى يطلق عليه لقب الرودىسى ، ولكنه كان فى الأصل من
«قراش» أو من «الاسكندرية» . وهو يعتبر الشاعر الهيلانستىكى الوحيد
من بين شعراء الطبقة الأولى الذين ولدوا فى مصر وقد أطلق عليه «كاليماكوس»
اسم الطائر «اييس» وهو طائر له طبائع قذرة

وقد ولد في النصف الأول من حكم بطليموس ايرجيتس حوالى عام ٢٣٥

الطب فى الاسكندرية

جرت العادة عند علماء الطب الأحداث اذا تحدثوا عن الطب ابتداء واكلامهم بالحديث عن العهد الاغريقى وبخاصة عهد «هبقراط» (ابقراط) وكان كل ما قبل ذلك صحيفة بيضاء لم بخط الزمن فيها سطرا واحدا فى الطب وانتشاره. وقد يكون لهم بعض العذر فى أن تقف معلوماتهم عند هذه الفترة من الزمن، والواقع أن علم الطب الأول نبع فى وادى النيل منذ الالف الثالثة قبل الميلاد، وقد سار فى هذا العلم المصريون شوطا بعيدا وضربوا فيه بسهم صائب فتدرجوا فى اقامة أصوله على حسب تدرج المدنية الى أن وصلوا به الى مدى بعيد لم يكن فى الحسبان، وقد أظهرت الكشف الحديثة فى وادى النيل وجود علاج طبى يقوم به مختصون تعلموه فى مدارس خاصة بذلك كل فى فرعه فكان هناك طبيب الأمراض الباطنة وطبيب المجارى البولية وطبيب الأسنان كما كان هناك الجراحون وأطباء العيون وغيرهم. وقد كان يوجد جنبا لجنب مع العلاج بالعقاقير العلاج النفسى الذى أطلق عليه فى أيامنا هذه العلاج بالسحر. وقد وضع قدماء المصريين كتباً عدة فى الطب يرجع بعضها الى الدولة القديمة أى حوالى عام ٢٨٠٠ ق.م وقد تناولها العلماء بالبحث والتحليل ومع ذلك لا يزال بعض فصولها غامضا حتى يومنا هذا. والآن يتساءل الانسان هل كان اليونان القريبون من الديار المصرية على ما بينهم وبين مصر من علاقات ترجع الى أزمان سحيقة فى القدم على غير صلة بالمصريين من حيث الطب وعلومه؟ وذلك على الرغم من أنهم أخذوا الكثير عنهم فى ميادين أخرى من ميادين العلم والثقافة وعلى الرغم من أنهم أنفسهم وعلماءهم قد اعترفوا أن مصر كانت المنبع الفياض الذى نهلوا منه كثيرا من معارفهم؟ والواقع أن الاغريق لا بد قد أخذوا الكثير من علم الطب عن المصريين وان لم يذكرروا

ذلك صراحة (١) . ومما لا ريب فيه أن علم الطب كان قد بلغ في خلال القرن الخامس قبل الميلاد أعلى مستوى له ، في الوقت الذي كان الاغريق يفتنون ويروحون على مصر للتعليم فيها وقد تمثل ذلك فيما كتبه «أبقراط» ومدرسته (٢) وكان أعظم عمل قاموا به هو أنهم رءوا في المرض ضررا طبعيا لا بد من محاربته بطريقة طبيعية أيضا ، غير أن المصريين قد سبقوهم الى ذلك منذ الدولة القديمة كما ذكرنا آنفا . هذا اذا صدقنا أن ورقة «ادون سميث» يرجع عهدها الى هذه الفترة من تاريخ مصر ، وهو المرجح لأسباب مقنعة ولا شك في أن أتباع «أبقراط» كانوا متأثرين بفلاسفة زمنهم وبخاصة طائفة الفلاسفة المشائين ، وان كانوا أحيانا يعارضونهم بعض الشيء ، ولكن علم الطب قد بدأ يأخذ صبغة أخرى في العهد الهيلانستيكي . ويرجع الفضل في ذلك الى «بطليموس الأول» وما قام به من تشجيع الأطباء وتسهيل سبل البحث لهم . ولا ريب في أن علوم القرن الثالث قبل الميلاد قد تطورت بتأثيرين عظيمين وهما عبقرية «أرسطوطل» ، وتشجيع البحث العلمى على يد «البطالمة» والواقع أن «أرسطوطل» قد عمل كثيرا على الفصل بين العلم والفلسفة ، وذلك بفصله بين فروع المعارف المختلفة ، وبتحديد التحليلات لتلك الموضوعات التى كانت موضع تخمين وتصور ، ولقد كان مجال البحث العلمى على حسب الخطط التى رسمها «أرسطوطل» ميسورا في الاسكندرية . ففى حين نجد علماء الرياضة والفلك يقومون بفتوح باهرة في ميادين العلم والتصور ، كان علماء الطب المجدون قد اتاحت لهم الفرصة للقيام بأعمالهم العلمية بمساعدة البطالمة وغيرهم من محبى العلوم . والواقع انهم لم يقوموا بكشوف مدهشة ولا يبحوث تدل على عبقرية ، ولكن من جهة أخرى نجد تقدما محسا في العلم من حيث التفاصيل، وقد وصلوا اليها بالملاحظة الدقيقة والصبر . فنجد بخاصة

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثانى ص ٣٦٤ - ٣٧٠

(٢) راجع C.A.H. Vol. V. P. 380 FF.

أن علم التشريح قد درس بنجاح . والمجهود الذى عمل فى «الاسكندرية» يمكن معرفة قيمته العظيمة عندما يقرن بالمعلومات الساذجة والتخمينات التى تشوه كثيرا من المقالات التى نجدها فى مجموعة الكتابات التى تركها «ابقراط» وهى التى تحتوى على أعمال من القرن الخامس والقرنين الرابع والثالث قبل الميلاد ، هذا بالإضافة الى كتابات عن الطب جاءت فى عهد متأخر عن ذلك .

والرجلان العظيمان فى المحيط الطبى فى باكورة القرن الثالث هما «هيريوفيلوس» (Herophilus) مواطن «كالسيدون» و «أراسيستراتوس» مواطن «ايليس» (Erasistratus of Julis) فى «سيوس» (Cios) قد أسسا مدرستين متنافستين . وكان «هيريوفيلوس» يزاول مهنة الطب فى الاسكندرية وأصبحت مدرسته تسمى بها ، وذلك على الرغم من أنها امتدت الى «آسيا» وكان اختصاص هذا الطبيب فى التشريح . أما «اراسيستراتوس» فكان اختصاصه علم وظائف الأعضاء . والواقع أننا لا نعلم شيئا محددا عن حياتهما ، كما أن أعمالهما الطبية قد فقدت تماما . غير أنه مع ذلك فى استطاعتنا أن نجمع مقدارا عظيما من المعلومات عنهما مما جاء فى كتابات «جالين» و «سورانوس» (Soranus) و «سيلسوس» (Selsus) وقد أمكن العلماء الأحداث أن يضعوا بيانا عن بحوث «هيريوفيلوس» .

ويوحى مجيء هذين الطبيبين من «آسيا» الضغرى بأن الطب الاسكندرى يمكن أن يكون قد تأثر بمؤثرات شرقية . وقد دلت البحوث على أن علم الطب المصرى كان له أثر فى ذلك كما سنبين فيما بعد .

وتدل شواهد الأحوال على أن هذين الطبيبين قد خطوا الى الأمام بعلمى التشريح ووظائف الاعضاء خطأ واسعة . وكان «هيريوفيلاس» من تلاميذ «ابقراط» المدققين وقد كتب شروحا على مقالات أساتذة «ميتا»

عن نشأة الأمراض نتيجة اضطرابات تصيب عناصر الجسم السائلة (Humoral Pathology) معارضا في ذلك معاصرة «اراسيتراتوس» . وقد وجه عناية كبيرة الى موضوع النبض مقتفيا في ذلك خطوات أستاذه «براكزاجوراس» (Praxagoras) الذى يعد أول طبيب عند اليونان أكد أهمية النبض . وكان النبض معروفا منذ عهد قدماء المصريين قبل ذلك بما يقرب من الفى سنة كما تحدثنا بذلك ورقة «ادون سمش» . وقد استعمل هذا الطبيب العقاقير أكثر مما استعملها تلاميذ «ابقراط» لعلها تساعد مساعدة لا تقدر فى شفاء الامراض . وقد تركزت بحونه فى فحص المخ والاعصاب والطحال والرئتين وأعضاء التناسل . واعتبر أن المخ مركز العقل وأنه يربطه بالجهاز العصبى . يضاف الى ذلك أن هذا الطبيب كان أول من كون عنه رأيا واضحا . ومما تجدر ملاحظته هنا أن «هيوفيلاس» هذا لا بد قد شرح حيوانات لأنه وصف شبكة الأوعية الدموية (Rete Mirabile) التى توجد عند قاعدة مخ الحيوان ولا توجد عند الانسان . هذا وقد ميز بين المخ (Cerebrum) والمخيخ (Cerebellum) ، كما كشف أن العروق الضواريب أو بعبارة أخرى الشرايين تحمل دما (لاهواء كما كان الاعتقاد من قبل) ولا تنبض من نفسها بل بواسطة القلب ، وبذلك تفهم أنه عرف الدورة الدموية التى فقدت ثانية حتى أحيها من جديد الطبيب «هرفى» HARVEY هذا ولا تزال بعض مسميات أجزاء الجسم باقية كما سماها مستعملة حتى الآن مثل الامعاء الاثنى عشرة (Duodenum) = الجزء الأول من الأمعاء الدقاق ويسمى بذلك الاسم لأنه يبلغ ١٢ اصبعاً فى الطول) وكذلك (Torculer Herophile) أى ضغط الشريان الرئيسى للفتخ بالذراع لمنع كثرة النزيف ، وقد وصف الرحم بالتطويل وجاء عنه أنه فحص أجسام بعض الموتى ، وعلى ذلك فانه لا بد قد شرحها . وتقول البحوث الحديثة انه اخترع آلة عبقرية لقياس النبض . ولا نزاع فى أن هذا الكشف يعد أول

محاولة — ان لم تكن فعلا الأولى — في تطبيق دراسة الآلة لجسم الانسان
أما «اراسيستراتوس» فقد زاد في معلومات زمنه عن علم تشريح القلب وقد
كان أعظم كشف وصل اليه هو التمييز بين الأعصاب المحركة والأعصاب التي
تؤثر على الجهاز العصبي .

ومما يؤسف له أنه قد عاد الى الاعتقاد بأن الشرايين تحمل هواء . وقد
عد ذلك عاملا حيويا في العمليات الفيزيولوجية، ومع ذلك فانه قد قيل أن هذه
العناية بالهواء ترجع على الأقل الى عهد «الكماون» (١) (alcmæon)
وقد انتجت في نهاية الأمر كشف الأكسجين والدور الذي يلعبه في حفظ
الحياة . وقد أضاف هذا الطبيب تحسينات على أعمال «هيوفيلوس» عن
القلب والمخ كما أضاف تفسيرات أكثر وضوحا عن الأعصاب المحركة والأعصاب
الخاصة بالحس . والمتفق عليه أن هذا الكشف هو من ابتكاره لامن عمل
معاصريه . وقد رفض «اراسيستراتوس» في مداواته للمرضى عملية الفصد
وأحل محلها غذاءا خفيفا . هذا وقد استعمل الأدوية في أبسط أنواعها، وبذلك
عاد في تطبيقه الى تقاليد أستاذه «ابقراط» والى هذا الطبيب ينسب كذلك
اختراع القشاطر ، ولكنه من المحتمل أنه لم يكن أول من وصل الى الكشف
عن ذلك .

ويقال أن هذا الطبيب كسب شهرة ومالا وفيرا من مزاوله مهنته . فقد
قيل أنه ربح مائة تالنتا مكافأة على شفاء «اتيغنوس» الصغير ابن «سليوكوس
نيكاتور» وذلك دون أن يعمل له أى شئ سوى أن فحصه نفسيا وتنبأ بحب
الأمير الشاب من زوج والده المسماة «ستراتونيس» . على أن الصعوبة في
حل هذا الموضوع كانت أن يقبل «سليوكس» ارضاء شهوة ابنه (٢) .

وقد كان من جراء تحسين علم التشريح والنهوض به أن حدث بطبيعة

C. A. H. IV. P. 548.
B. C. I. P. 132.

(٢) راجع
(٢) راجع

الحال تحسين في علم الجراحة . وقد كان موضع فخر مدرسة الاسكندرية العظيم اختراع آلات جراحة مع المهارة المتزايدة في استعمالها . وقد اتهم كل من «هيروفيلاس» و «أراسيستراتوس» بانهما شرحا أجساما بشرية وقد استنبط ذلك من فقرة مما كتبه كل من «سيلسوس» (Celsus) و «ترتوليان» (Tertullian) . على أن ذلك لم يكن بأية حال من الأحوال أمرا مكروها . والواقع أنه قيل عن عهد البطالمة أنهم أجازوا تشريح أجسام المجرمين الذين حكم عليهم بالاعدام . ولم يشك أحد من ثقة الاقدمين في صحة هذا القول . وقد شعر «سيلسوس» أن هناك مناقشات خلقية من جهة هذه المسألة ، وكان هو نفسه يشعر أن هذه العملية في نظره تعد عملا وحشيا . ومن الغريب أن المحدثين من مؤلفي تاريخ الجراحة القديمة لم يصدقوا أن أطباء الاسكندرية قد أجروا عمليات جراحية في جسم الانسان، ويعيدون هذا الأمر اكذوبة اخترعها أولئك الذين كانوا معارضين لاجراء أية عملية تشريح مهما كان نوعها .

هذا ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن تاريخ الطب وبخاصة درس كتابات «ابقراط» بعمق مع النقد والتحليل قد استمر ينمو ويتشعب في خلال القرن الثالث ق.م وعلى أية حال لا ينبغي لنا أن نبالغ في العلوم الهيلانستية ، فعلى الرغم من انها تثير النفس فان العلمين اللذين لهما شأن عظيم في العالم في عصرنا وهما الطبيعة والكيمياء لم يبدأ البحث فيهما في العصر الهلانستيكي (١) علم الطبيعة والكيمياء :

وقد مات علم الطبيعة مع العالم «ستراتو» (Strato) الذي أفاد فائدة محدودة من نظرية ذرة «ديموكراتيس» الذي تلقى علومه كما أسلفنا في مصر

على يد الكهنة المصريين والعلماء في انحاء أرض الكنانة . والواقع أن علم الكيمياء كان في نظر الاغريق مجموعة أسرار تجارية أكثر منها مجموعة معارف ولم تكن تعتبر في نظرهم علما ولكن سرا (١) . ولا يفوتنا أن الكيمياء علم بيع في مصر وانتشر بعد ذلك في العالم كما سبقت الإشارة الى ذلك .

الفلك

تدل المصادر التي في متناولنا على أن علم الفلك في الاسكندرية قد أخذ مكاتته في عهد «بطليموس الأول» ولدينا عالمان قد بحثا هذا الموضوع . غير أنه مما يؤسف له جد الاسف أنه لم يبق لنا من أعمالهما الا اسماهما وهما «ارستيلوس» (Aristyllos) و «تيموكاريس» (Timochares) ، غير أننا نعلم أشياء مع ذلك عن مشاهدتهما لمواقع النجوم والكواكب ، فقد نقل لنا عنهما الفلكي «هيباركس» الذي يدين لهما بمعرفة اعتدال الفصول ، وتقع مدة حياة «تيموكاريس» ما بين عامي ٢٩٣ ، ٢٣٠ ق.م. وعلى ذلك فانه لا بد قد بدأ نشاطه العلمى في عهد «بطليموس الأول» ، ومن المحتمل كذلك أن «كونون» (Conon) مواطن «ساموس» الذي لقب باسم «كوبرنيكوس» القديم في أيامنا وقد كان معروفا بالرياضى تقاديا من الخطط بين اسمه وبين كثيرين غيره مما سموا باسمه ، وقد كان تلميذ «ستراتو» ورصد الاعتدال الصيفى عام ٢٨١ - ٢٨٠ ق.م. ودون ذلك لنا بطليموس الجغرافى . وكتابه عن أحجام ومسافات الشمس والقمر معروف قبل اختراع ساعة «أرشميدس» الرملية وبذلك نفهم أنه قد عاش حوالى ٣١٠ الى ٢٣٠ ق.م. ولسنا في حاجة الى أن الاغريق قد أخذوا علم الفلك عن مصر وآشور فاليهما يرجع الفضل في نشأة هذا العلم وقد تحدثنا عن ذلك (راجع مصر القديمة الجزء الثانى

(٣٦٠ - ٣٦٤)

الرياضيات :

كانت الرياضيات مرتبطة ارتباطا وثيقا بعلم الفلك ولذلك نجد أن أولئك العلماء الذين اشتغلوا بالفلك كانوا مشغولين بالرياضيات ، ومن المحتمل أن ماوصل اليه العلم في خلال القرن الثالث قبل الميلاد في ميدان الرياضيات كان في الواقع أكثر بكثير عن أى علم آخر ولا بد من أن الهندسة كانت أساس كل شئ في هذا الصدد (١) .

وفي هذا العصر كان نابغة علم الهندسة هو «أقليدس» المشهور الذى لانزال تدرس كتبه حتى الآن وقد عاش حوالى عام ٣٠٠ ق.م وكان رجلا حكيما مثله كمثل «أفلاطون» و«أرشيמידس» وكان يحب العلم للعلم ، وقد أخبر ذات مرة «بطليموس الأول» على مايقال أنه لاتوجد سبيل ملكية لعلم الهندسة ، والواقع أن كتابه كان الكتاب المعتمد للتدريس في بلاد الاغريق في العهد الهيلانستيكي ، ثم عند الرومان والعرب والفرون الوسطى والأزمان الحديثة حتى الجيل الحاضر ، وقد تناول «أراتوستينس» الرياضيات بالبحث فضلا عن العلوم الأخرى التى تناولها وقد أهده «أرشيמידس» كتابه المسمى «عن الطريق» أى طريق البحث . وعندما طلبت اليه الآلهة شرطا عن ايقاف الطاعون في «ديلوس» كان الحواب أن تضاعف مائدة قربان هناك كانت على هيئة مكعب (٢) و «أراتوستينس» هو الذى كشف كيفية مضاعفة المكعب (٣) ولا نزاع في أن الاغريق قد أخذوا علومهم الرياضية عن المصريين كما أشرنا الى ذلك من قبل .

Heath, P. 348.

J.L. Heiber Mathematics and Physical Science in Classical (١) راجع

Antiquity; Tarn Hellenistic Civilisation, P. 256) (٢) راجع

(Knaeck Eratosthenes in P.W. 362 (٣) راجع

الفن :

لقد كان «بطليموس الأول» يعمل جاهدا في جعل الاسكندرية مهبط كل المعارف والفنون وأجمل مدينة في العالم غير أنه كان دائما يفضل ما هو مفيد نافع ؛ فقد كان يفضل علماء العمارة والهندسة «المفتين» الذين كان عملهم محصورا في إنتاج عدد صغير من التحف الدقيقة ، ومع ذلك فقد حكى عنه أنه قدم مبلغ ٦٠ تالنتا للمصور «نيسياس» (Nicias) ثمنا لصورة «نيكيا» (Nika) الهة النصر وأن المثال لم يقبل بيعها بهذا الثمن وقد أمر بعمل هذه الصورة لنفسه في بدلة صيد بثمن أقل ، رسمها له المفتن «أتفيليس» (Antiphiles) وذلك لأنه كان مصرى المنبت ولأنه كان من رجال بلاط مقدونيا عاش في عهد كل من «فيلب» و«الاسكندر الأكبر» وكان منافسا للرسام «أيل» (Apelle) وكان اتفيليس هذا ماهرا في رسم الصورة الهزلية (١). أما الفن الشعبي في هذه الفترة فلم نجد له مايمثله من الوجهة المصرية الا ما نراه في مقابر عامة الشعب من صور دينية متوارثة ، وعلى أية حال يظهر أنه كانت توجد في الاسكندرية مدرسة للفن . والظاهر أنها كانت قبل كل شيء مركز تجميع للاشياء الفنية ، وهنا نجد أقدم إنتاج للرخام الايتكى على يد المفتين من الاغريق سواء أكان ذلك في «أثينا» أم في «الاسكندرية» على الأغلب . ونجد في عهد مبكر أن النحاتين المحليين في مصر قد أوجدوا طرازهم الاغريقى الخاص ووردوا للاغريق القاطنين في «الاسكندرية» وكذلك الذين في القرى ما يحتاجون اليه منه

وقد تفوقت مدرسة الحفر في الاسكندرية بوجه خاص في صناعة نحت الصور ، ونجد في تلك الأثناء كذلك أن المفتين الوطنيين كانوا مستمرين في الاتاج لمعابدهم ومحاربهم ومقابرهم على الطريقة المصرية القديمة وقد ظهر

في حالات قليلة اختلاط الطرازين معا (١) .
ولكن الأعمال الفنية التي وجدت في مصر حتى الآن تعتبر بوجه خاص من
الدرجة الثانية (٢) . واللوحات الجنائزية المنسوبة الى الاسكندرية أقل اتقاناً
من ذلك اللهم الا في مدة الجيل الذي غادر فيه المقتنون الأثينيون بلدة أثينا
بسبب خطر «ديميتريوس» مواطن «فالرم» فقد هاجروا الى «الاسكندرية»
واستوطنوها وهناك قاموا بعمل قطع فنية من طراز اغريقى خالص .
وفي مصر نشأت عادة عمل شعر التماثيل من الجبس وقد بقى تأثير المقتن
«براكستيليس» (Praxiteles) عظيماً من هذه الناحية ولم يكن ذلك في
الاسكندرية فحسب ، غير أنه عند صناعة التماثيل بولغ في نعومة بشرة الجلد .
وصورة أفروديتى السيرينية الجميلة الطراز تقدم لنا أحياناً مجرد عمل
فنى لا قيمة له ، والواقع أن قوة الاسكندرية من الوجهة الفنية كانت في صنع
القطع الفنية الدقيقة الصغيرة . ومن الجائز أنها هى التى اخترعت «الفسيفساء»
«والكاميو» وهو نقش الأحجار الكريمة أو الشبه كريمة نقشاً بارزاً ، ومن
المدحش حقاً أنه على الرغم من أن المثالية فى الفن الاسكندرى لم يكن لها
نصيب فان المدينة كانت تحتوى على تماثيل الاله «سيرابيس» الذى ينطق
عن مثالية فى الفن غاية فى القوة والجمال (٣) . ومن الممكن حقاً أنه كان من
عمل «پارياكسيس» (Paryaxis) تلميذ «سكوپاس» (Scopas)

(١) راجع Noshy, The Arts of Ptolemaic, Egypt. 1937. P.P. 83 ff;
F. Poulsen, Gab es eine Alexanderinische Kunst? in
From the collections of the Nycarlsberg Glyptothek.
II (1938); G. Kleines, Bull. Soc: Arch. Alex. XXXII,
(N.S. 10.1) 1938, P.P. 41 ff. (Grave Sculpture); and
Adriani Ibid. P.P. 76 ff. (portraits); Social and
Economic History of the Hellenistic World by M.
Rostovtzeff, vol. I, P. 380.

J.E.A. XI, P. 179.

Witz, Sarapis in Rocher, Amelung, Rev. Arch. II, 177;

Lippold, Festschrift Paul Arndt, 1925, P. 115).

(٢) راجع

(٣) راجع

وقد صنع في أيام «بطليموس الأول» ولون باللون الأزرق ورصعت العينان بجوهرتين لتلمعا في أنحاء المعبد المظلم من كوته المزينة والمنارة بصورة فخمة ، وقد وصف وجه التمثال بأنه لطيف عليه جلال ورهبة كما كان ينبغي أن يكون عليه اله عالم الآخرة وكان يرتدى على رأسه مكيال قمح رمزا لمصر لأنها مخزن الغلال العظيم . أما الفن المصرى فى المعابد المصرية فله شأن آخر سنتحدث عنه فى فصل خاص .

أسرة بطليموس الأول

تدلنا المصادر المصرية والاغريقية على أن «بطليموس الأول» كان له على الأقل أربع زوجات سواء أكن شرعيات أم غير شرعيات (١) ، ولكن زوجته التى تدعى «برنيكى» تلقب بالزوجة الالهية وتعرف «برنيكى» الأولى (٢) . وكانت هى الوحيدة التى حفظت لنا الآثار المصرية ذكرها بوصفها الجدة العظيمة للملك «بطليموس الثالث» . أما من جهة أصلها فيقال أنها كانت قريبة لوصى «أتتباتر» ، هذا ولا نعرف أى أثر معاصر ذكرت فيه مع زوجها «بطليموس الأول» ، والواقع أن اسمها جاء على الآثار بعد تأليهما فى عهد «بطليموس الثالث» ، أما بوصفها جدة لهذا الملك الأخير أو بوصفها أم «بطليموس الثانى» . وقد ذكر لنا «بوشيه - ليكر» عن البطلمة (٣) أنه لا يعرف شيئا عن التاريخ الذى اختفت فيه «برنيكى» ولكن من المؤكد أنها ماتت قبل زواج ابنها «بطليموس» الذى أصبح فيما بعد «بطليموس الثانى» بالملكة «أرسنوى الثانية» . ويقول نفس هذا المؤرخ أنه من المحتمل أن موتها هو الذى حدا «بطليموس الأول» الى النزول عن

(Budge History XII, p. 185

(١) راجع

Champollion, Notices II, p. 205, L.D. IX, 10 = Texte, راجع (٢)
p. 53; Sethe, Hierog. Urk., p. 155).

(٢) راجع A. Bouché-Leclercq, Histoire des Lagides Tome, I. P. 101. Note I.

أعباء الحكم لابنه أو اشراكه معه في رواية أخرى (١) . وكان لبطليموس ابنة تدعى «فيلوترا» وتلقب بالابنة الملكية والأخت الملكية (٢) . وجد اسمها على لوحة «نس كدى» التى عثر عليها فى صقاره وهى محفوظة الآن بالمتحف البريطانى (٣) . وكذلك وجد اسمها على تمثال بمتحف اللوفر لامرأة جاء عليه : كاهنة الأميرة «فيلوترا» التى تدعى «حر - سمنخ» ابنة «تفرايب - رع» والسيدة «حر - سمنخ» . هذا ويظن الأستاذ «مهنى» بشىء كبير من الصواب (٤) أن الأميرة التى مثلت بجوار «بطليموس الثانى» وزوجة

«أرسنوى الثانية» على ثالث متحف الفاتيكان وهى التى محى اسمها هناك هى «فيلوترا» وهذه الأميرة عاشت فى الواقع فى بلاط أخيها «بطليموس الثانى» مع زوجاته المتتاليات على اتفاق تام (٥) اذ نجد المتن التالى « حور القوية الساعد عظيمة .. » ومن الجائز كذلك من جهة أخرى أن الالهة التى تسبق «أرسنوى» الثانية على كل جهة من جهتي المنظر الكبير الذى فى الجزء

(١) وقد كان لـ «بطليموس الاول» على اقل تقدير عشرة اطفال منهم خمسة ذكور من زوجاته المتعددت (راجع

Mahaffy, Empire of Ptolemies, P. 105-106; B.L.I., P. 94, Note 3.

والظاهر أن الابن الذى كان يجب أن يخلفه على عرش الملك هو من زوجه «إيريديكى» وكانت ابنة الملك «تراقيا» المسمى «ليزيماكوس» وأخت «كاسندر» ملك مقدونيا ، وابنه هذا كان يدعى «بطليموس» وتلقب بالصاعقة بسبب أخلاقه الفظة المتهورة . ولكن لأسباب لم نعرفها وقت تقرير خلافة الملك طرد بطليموس الاول زوجه «إيريديكى» فهربت من بلاط الاسكندرية مع ابنها وأعلن «بطليموس» أن خليفته على العرش هو بطليموس بن «برنيكى» وكان أصغر سناً من أخيه المبعد ولم تكن أمه من دم ملكى تنطبق عليها شروط الملك . وقد سمي هذا الملك الجديد «بطليموس» وتزوج من «أرسنوى» ابنة الملك «ليزيماكوس» ملك مقدونيا وقتئذ ، ومن المحتمل أنه ولد فى جزيرة «كوس» عام ٣٠٩ أو ٣٠٨ ولم يكن يزيد سنه وقت اشتراكه فى الملك مع والده عن الثالثة أو الرابعة والعشرين من عمره .

L.R. IV, P. 221.

(٢) راجع

Guide British Museum 1909; Sculpture, P. 276, No. 1029 راجع

(Ibid, P. 116

(٤) راجع

Marucchi, Il Musio Egizio Vaticano, No. 10.12.14 ; Sethe. راجع

Hierogl. Urkunden Dergriech Romischenzeit, P. 72).

الاعلى من لوحة «بيتوم» (تل المسخوطة) التى من عهد «بطليموس الثانى»
والتي لم ينقش اسمها وهى التى وجدها «نافيل» هى الآلهة حتحور وقد تكون كذلك
الأميرة «فيلوترا» قد رافقت أخاها «بطليموس» فى عبادة «أرسنوى الثانية»
والواقع أنه جاء فى السطر من ٢٠ - ٢١ من اللوحة المذكورة ذكر مدينة
أسسها «بطليموس الثانى» بالاسم الأكبر لوالده «بطليموس الأول» ، كما
جاء ذكر معبد بنى فى هذه المدينة على شرف أخته ، ولقد وحد «نافيل» هذه
الأخت الملكية «بفيلوترا» (١)

وكذلك نعرف من بين أسماء بنات «بطليموس الأول» العدة «أرسنوى»
ابنة «برنيكى» ومن المحتمل أنها ولدت فى عام ٣١٦ ق.م. وتزوجت من
«لزيماكوس» ملك «تراقيا» حوالى عام ٣٠٠ ق.م.

و «أرسنوى» الثانية هذه يجب ألا تخلط باسم بنت «لزيماكوس» .
وهى التى يطلق عليها «أرسنوى» الأولى ، وقد تزوجت من «بطليموس
الثانى» وقد سرحها الأخير من أجل «أرسنوى» الثانية (٢) . هذا ويحدثنا
«أسترابون» أن «فيلوترا» كانت أخت «بطليموس الثانى» وأنها خلعت
اسمها على مدينة على ساحل البحر الأحمر .

الأثار التى خلفها بطليموس الأول أو جاء عليها اسمه

لم يترك لنا «بطليموس الأول» أثارا كبيرة فى النقوش المصرية وكذلك
لوثائق الديموطيقية التى دونت فى عهده ليست عديدة اذا ما قرنت بالتى عثر
عليها فى عهد أخلافه .

وتنحصر الوثائق المنقوشة على الحجرات التى جاء فيها اسمه أو فى عصره
يما يأتى :-

١ - لوحة مؤرخه بالسنة السابعة من عهد «الاسكندر الثانى» فرعون

المصرى (الفباة ٣ الجدار الشرقى) نقش عليه : ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (ستب - نى - رع - مرى - آمون) ابن « رع » رب التيجان (بطليموس) (١) .

٥ - قطعة حجر وجدت فى « طرانة » بالدلتا (Terenmouthis) جاء عليها : محبوب (١) ... الحياة الاله الكامل ابن « أريس » رب الأرضين (٢) ... تمثال حور معطى الحياة لملك الوجه البحرى حامى والده رب الأرضين (ستب - نى - رع مرى امن) (٣) .

٦ - قطعة حجر أخرى من نفس المكان (٣) . جاء عليها المتن «يعيش حور عظيم القوة الملك القوى : السيدتان المسى المستولى على الصولجان وعلى الحكم » . وقد خمن الأثرى « ناقل » بحق أن اسم القرين « كا » واسم نبتى اللذين ذكرا هنا لأول مرة فى ذلك العهد هما للملك « بطليموس الاول » ٧ - قطعة حجر عثر عليها فى كوم « أبولو » بالدلتا جاء عليها : الملك الكامل رب الأرضين (ستب - نى - رع - مرى - امون) ابن « رع » رب التيجان بطليموس (٤) .

٨ - هذا وتوجد قطعة جميلة من الحجر عليها طغراء الملك « بطليموس الاول » عثر عليها كذلك فى « طرانة » وهى الآن بمتحف « بوسطون » (٥) . ٩ - كما توجد قطعة أخرى من نفس المكان محفوظة بالمتحف البريطانى عليها اسم بطليموس (٦) .

(L.D. IV, P. 217

Naville. The Mound of the Jew etc. P. 60 & Pl. XX (١) راجع
No. 9).

Ibid. P. 62 & PL. XX.

Naville, op. cit. p. 62, Pl. XX. No. 8).

Ibid., P. 62.

B.M. Guide (1909) & Ibid, Sculpture, P. 256. No.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

(٥) راجع

(٦) راجع

١٠ - وأقام « بطليموس الأول » على ما يظهر في الدلتا مدينة أطلق عليها اسم أخيه « منيلاوس » وتقع في الركن الشمالى الغربى للدلتا بالقرب من « كانوب » (١) .

١١ - « بطليمياس » : تعد « بطليمياس » أهم بلد أنشأها « بطليموس الأول » فى عصره وهى مدينة اغريقية الصبغة أنشأها هذا العاهل لتكون مدينة اغريقية خاصة بالاغريق لتضارع المدن المصرية الأصلية مثل « طيبة » و « العرابة » وغيرهما . وتقع (بطليمياس) على مسافة أربعمائة ميل فى الجنوب. وقد أقامها بطليموس الأول على أنقاض مدينة قديمة تدعى «بوزى» فى مقاطعة طينة (المنشية الحالية بالقرب من جرجا) (٢) .

وإذا كانت « الاسكندرية » قد خلدت اسم « الاسكندر الأكبر » وعبادته فان «بطليمياس» قد أنشئت لتخلد اسم «بطليموس سوتر الأول» وعبادته . وهذه المدينة تقع فى وسط اطار محدد بتلال وادى النيل القاحلة يعلوها سماء مصر ، وفى هذه البقعة أقيمت مبانيها العامة ومعابدها ومسرحها ، ولا نزاع فى أن كل هذه المؤسسات كانت فى طرازها ونظمها اغريقية وكانت ثقافتها اغريقية ومواطنوها من دم اغريقى خالص .

هذا وكان نظام الحكم فيها هو النظام الذى كانت تسير عليه المدن اليونانية . وإذا كان هناك بعض الشك فى أن «الاسكندرية» كان لها مجلس (Boule) وجمعية عمومية فان هذا الشك لا يوجد بالنسبة « لبطليمياس » . والواقع أنه كان من الممكن للملك البطالمة أن يسمحوا بحكومة ذاتية لقوم منزلين بمسافة بعيدة عن مقر الحكم العادى للبلاد . ولدينا حتى الآن حجر منقوش عليه منشور أقرته جمعية أهل « بطليمياس » محرر بالصيغ العادية على حسب التقليد السياسى الاغريقى : لقد ظهر أنه من الحسن للمجلس (بول) وللجمعية : « كان المقترح هو « هرماس » بن دوريون (Doreon)

Strabo, XVII, P. 801.

Plautman n Ptolemais. in ober Agypten (Leipzig 1910)

(١) راجع

(٢) راجع

من حى مجيستويس (Megisteus) : فى حين أن « البرتانيس » (١) .
(Prytaneis) الذين كانوا رفاق « ديونيسيوس » بن « ميواوس »
(Muaeus) فى السنة الثامنة الخ ..

ويلحظ أن أسماء مواطنى المدينة أسماء اغريقية حقا : وكان مثلهم كمثل
مواطنى مدينتى الاسكندرية و « نقراش » فى تجنب الزواج من المصريات .
ولا نزاع فى أن « بوزى » القديمة كانت تولف حيا من أحياء « بطليمائيس »
كانت « رقودة » تولف حيا فى « الاسكندرية » يسكنه المصريون الأصليون
بمعزل عن الاغريق مواطنى « بطليمائيس » التى أنشئت لتكون اغريقية لحما
ودما . وكانت مدينة بوزى بدورها تقع على أقباض مدينة المنشية القديمة .
وكانت جماعة المواطنين لمدينة « بطليمائيس » كغيرهم من مواطنى المدن
الأخرى الاغريقية مقسمة قبائل وأحياء . ويقول العالم « شوبارت » من الجائز
أن تكون أسماء الأحياء فى كل من الاسكندرية و « بطليمائيس » قد رتب
بوساطة الحكومة بطريقة لا تجعل اسم أى حى يتكرر فى المدينتين ، وهذا
النظام على أية حال لم يطبق على أسماء القبائل فقد كانت هناك قبيلة
« بطليمائيس » فى « بطليمائيس » وكذلك فى « الاسكندرية » . ولكن أسماء
الاحياء فى « بطليمائيس » على الرغم من أنها مختلفة عن أسماء الأحياء فى
الاسكندرية فانها كانت من نوع واحد . فنجد أن أحد الأحياء التابع لقبيلة
« بطليمائيس » قد خلع اسم الحى على « برنيكوس » ومن المحتمل أنه كان
نسب لنفس القبيلة أحياء أخرى سميت بأسماء أعضاء الأسرة
المالكة ، فنجد مثلا الأسماء « كليوباتوريوس » (Cleopatoreios)

و « فيلوتريريس » (Philoterios) و « مجيستوس » (Megisteus)
كانت من المحتمل مأخوذة من نعوت مرتبطة « ببليموس الأول » فى العبادة
التى كانت تقدم له بوصفه « أكبر اله مخلص » . وكذلك اسما « هيليريس »

(١) الحاكم الرئيسى فى كثير من المدن الاغريقية القديمة

(Hylleus) و«كارانوس» (Karaneus) قد أخذنا من شجرة النسب الملكية في حين أن اسم «دانايوس» (Danaeus) مشتق من دائرة أسطورية تجعل صلة نسب بين مصر وبلاد الاغريق ترجع الى أزمان ماقبل التاريخ . وكانت «ببلياميس» بلدة حرة رسميا محالفة للملك «ببليموس» فكان يرسل اليها شعراء تستقبلهم المدينة باحتفال شعبي (١) . وكانت تتعامل مباشرة مع البلاط لا مع رعايا حاكم مقاطعة «طينه» أو مع المشرف (Epistrategos) على اقليم «طية» وذلك على الرغم من أنه غالبا ما يقيم في «ببلياميس» . ولا نزاع في أن «ببلياميس» كانت في الواقع تحت مراقبة الملك تماما . وهذه المراقبة كان الملك يحصل عليها بأن تكون كل الوظائف الهامة في المدينة في يد موظفين ملكيين ، كما كانت على ما يظهر في خلال القرن الثاني قبل الميلاد وما بعده . فقد كان «كاليماكوس» المشرف على اقليم «طيه» كما كان كذلك الحاكم الأول المقيم (Prytanis) وجمنازيارك «ببليمايوس» . هذا ونجد أن «لزيماكوس» الذي ظهر في احدى النقوش بوصفه حاكما مقيما في بلدة الحياة، وفي نقش آخر بأنه سكرتير الجمعية العمومية (Crammateus) وكان كذلك مدير خيل الجيش الملكي (٢) .

وتفهم من نقوش القرن الثالث ق.م. المنسوبة الى «ببلياميس» أن المدينة كانت تنتخب حكامها وقضاتها وتغير دستورها كما تريد ، ولكن في الوقت نفسه لم يكن لها الحق في ضرب تقودها . هذا ونجد أنه في الجزء الأخير من القرن الثاني ق.م. كان المعسكر الرئيسي لقوات الملك مركزة في «ببلياميس» بالوجه القبلى على ما يظهر . ونجد في عهد «ببليموس الزمار» (Auletes) (مارس سنة ٧٥ ق.م.) أنه قد أرسلت رسالة الى مدينة لأولى الأمر تخبرهم

(١) *Orientalis Graeci Inscriptiones Selectae*. W. Dittenbeger, راجع (1)
Leipzig (1903-5. No. 49).

Ibid. No. 51, & 728).

أن الملك قد أنعم بامتياز (Asytia) على معبد «لازيس» أقامه «كاليماكوس»
المشرف على أقيم «ببليمايس» (١) .

وهذا ويظهر أن المدينة نفسها لم يكن في مقدورها منح امتيازات من هذا
النوع لمعابد حتى في أقليمها .

وكانت «ببليمايس» تتمتع بعباداتها الخاصة أو نظام شعائرها الموجه
الى أشخاص البيت المالك . وأقدم وثائق في متناولنا في هذا الصدد ترجع الى
عهد «ببليموس الرابع» «فيلوبترا» ويظهر لنا فيها أن كاهنا «لببليموس
سوتر الاول» قد عين للاخوين المحيين (اى الملك والملكة الحاكمين) للمرة
الاولى . وكانت تؤرخ الوثائق في اقليم «طيه» بكل من عهد كاهن الاسكندر
وملوك البطالمة وملكاتهما في الاسكندرية (وكذلك كل الوثائق في كل أنحاء
المملكة) وبعهد كاهن «ببليموس» .

ويظن المؤرخ «بلومان» أن هذا التاريخ السنوى باسم الكهنة في «ببليمايس»
كان نظاما جديدا وضعه «ببليموس فبلوپاترا» ، غير أنه كانت توجد عبادة
خاصة تقوم بها المدينة «لببليموس الاول» مميزة عن ذلك وتعرف بعبادة
«تيوث سوتر» (= الاله سوتر) دون ذكر اسمه العلم ، وأن الشعائر التى
كانت تقيمها له المدينة ترجع الى أيام حياة «ببليموس الاول» والواقع أن
البرهان الذى استند عليه «بلومان» ضئيل جدا ولكن فى الوقت نفسه
قد يكون محتملا أو حتى أكيدا لأن «ببليمايس» كانت على وجه التأكيد
أقامت شعائر بصورة مالمؤسسها . واذا كانت «رودس» قد أقامت عبادة
«لببليموس الأول» بوصفه الاله المخلص ، فانه من باب أولى أن المدينة التى
أسسها كان لزاما عليها أن تقيم له عبادة وشعائر ، ولكن يتساءل الانسان هل
كانت هناك عبادة خاصة تقوم بها مدينة «ببليمايس» لمؤسسها بعد تأسيس
نظام الشعائر التى كان يتولاها كاهن خاص عين منذ «ببليموس الثانى»

وسمى باسمه سنو الحكم أم لا ؟ والواقع أن الوثائق التى فى متناولنا تقدم لنا المعلومات التالية فيما يخص بالتغيرات التى أدخلت على عبادة «ببليمايس» التى كانت تسمى باسم الكاهن الذى يقيمها فنجد التغيرات التالية :

١ - فى عهد «ببليموس الخامس» «أبفانيس» كان كاهن «ببليموس لأول» يدعى : كاهن «ببليموس سوتر» والاله «أبفانيس» «ايكاريستوس» (Eucharistus) (= الشاكر) .

٢ - وكاهنة (كانيفوروس) «أرسنوى فيلادلفس» قد أضيفت فى العام الثالث والعشرين من عهد ببليموس الخامس أو قبله (١٨٣ - ١٨٢ ق.م.) .

٤ - ويلحظ أنه ما بين عام ١٦١ و ٤٣ ق.م. أسس نظام جديد بالمرّة، وذلك أنه أضيف كاهن الملك «ببليموس» وأمه «كليوبترا» الى كاهن «ببليموس سوتر» والاله «أبفانيس ايكاريستوس» أى أنهما أصبحا كاهنين لا كاهنا واحدا. وأنه أصبح لكل ملك من البطالمة كاهن جديد سنويا خاصا به. وتبتدىء القائمة «ببليموس الأول» ثم يأتى بعد ذلك الملك الحاكم «فيلوموتر» ، ثم ببليموس الثانى وما بعده : فلان بوصفه كاهن «ببليموس سوتر» ، وفلان كاهن الملك الاله المحب لأمه ، وفلان كاهن الملك ببليموس «فيلادلفس» الخ وهذا النظام قد استمر على مايجتمل . وقد كانت القائمة تزداد ازديادة مطردة حتى نهاية الأسرة . غير أن الأساس الذى نعتمد عليه فى استمرار ذلك أصبح يعوزنا ، وذلك أنه كلما طالت القائمة فقد صبر الكتبة عن أن يكتبوها فى تاريخ الوثائق بل اعتادوا أن يكتبوها هكذا : «هؤلاء الكهنة والكاهنات الذين فى «ببليمايس» الذين كانوا هكذا» .

٥ - وفى عهد «ببليموس السابع» أضيف فى المكان الثالث ، كاهن جديد - وهذا أمر غريب - يدعى كاهن العرش الذهبى للملك «ببليموس الاله المحسن» ، والملك العظيم ، وعنصر قداستهم ؛ وذلك بعد الملك الحاكم ذاته .

٦ - هذا وقد أضيف بعد كاهنات «كليوبترا» الأولى والثانية والثالثة.
على التوالي الى كاهنة «أرسنوى فيلادلفس» .

ومما تجدر ملاحظته أن الثقافة التمثيلية التي كان يهتم بها الاغريق كانت
تنبض بالحياة في مجتمع «ببليمايس» . فمنذ عهد «ببليموس الثاني» نجد
أن «ببليمايس» كانت المكان الذي فيه طائفة الممثلين (وهم مفتونون متصلون
بعبادة ديونيسوس) وكانت مراكزهم هناك تحت حماية الأخ والأخت الالهين^(١)
١٢ - توجد في الكوم الأحمر خرائب يظن أنها موقع معبد أقامه
« ببليموس الأول »^(٢) .

١٣ - يوجد في المتحف المصرى قطعة من نقش من الحجر الجيري جاء
عليها : ابن رع - رب التيجان - ببليموس عاش مغلدا^(٣) . ويظن
« زيته » أن هذا الاسم هو ببليموس الأول .

١٤ - معبد خنسو
جاء اسم « ببليموس الأول » على افريز وأجهة بوابة معبد « خنسو »
بالكرنك ويرجع عهد النقش الى « ببليموس الثالث » (على الواجهة
اليمنى)^(٤) . وجاء في هذا النقش :

الكاهن والد الاله ببليموس ، وجاء على الجهة اليسرى من نفس البوابة
بدلا من عبارة الآباء العظام للملك أى « ببليموس الأول » وزوجه
« برينكى » ابواه أى «ببليموس» وزوجه «أرسينوى» .

١٥ - هذا وقد جاء ذكر « ببليموس الأول » كذلك في السطر ٢١ من
لوحة « بيتوم » التي أقيمت في عهد « ببليموس » الثانى في الفقرة الخاصة

(Strack. P. 35
L.D.I.V. P. 218. Note 3.
(Cairo Mus. Journal D'Entrée, No. 34839
(Sethe, op. cit., No. 31, P. 155.

(١) راجع
(٢) راجع
(٣) راجع
(٤) راجع

بتأسيس مدينة ومعبد باسم ابنة الملك « بطليموس فيلوترا » كما أشرنا الى ذلك من قبل .

١٦ - جاء نعت « بطليموس الأول » وزوجه في « مرسوم كانوب » مع اسمه واسم زوجه « برنيكى » هكذا : « الالهان المخلصان » ، والنعت : « الاله المخلص » . ونحن نعلم في الواقع أن « بطليموس الأول » قد تقبله من أهالى الاسكندرية عقب المساعدة التى قام بها لأهل « رودس » فى الحصار الذى تكبده هؤلاء فى حرب « ديتريوس بوليورسيت (Poliorcet) (من ٣٠٥ - ٣٠١ ق.م) . وقد أشرنا الى هذه التسمية فى مكانها .

هذا ونعلم فى تاريخ غير محدد يتراوح ما بين سنة ٢١ ، ٢٩ من حكم ابنه « بطليموس الثانى » أن الأخير أصدر مرسوما بجعله الها بواسطة الكهنة المصريين وقد ظهر اسمه منذ ذلك الوقت فى عقود ديموطيقية مصحوبة بالنعت (الاله) (١) .

وبعد ذلك أضيف هذا النعت للقب « سوتر » الذى ظهر على النقود التى عملت فى السنين من ٢٦١ - ٢٦٠ أى فى السنة الخامسة والعشرين من حكم (بطليموس الثانى) ، وأضيفت عبارة « بطليموس » الاله المخلص وزوجه وقد أكد « ريفيو » (٢) أن عبادة « سوتر » لم تحشر بين عبادة « الاسكندر » وبين عبادة الالهين (فيلادلفس) الا فى عهد « بطليموس » السادس « فيلوموتر » بن « بطليموس » الخامس « أيفان » ولكن ما جاء على افريز معبد « خنسو » وفى منشور « كانوب » يكذب هذا التأكيد ويظهر أنه فعلا فى عهد « بطليموس الثالث » « أيرجيتيس » كان كل من « بطليموس الأول » وزوجه « برنيكى » قد ضما الى شعائر « الاسكندر » . وذلك فى « الاسكندرية » وفى « منف »

و « طيبة » . وقد أكد « بوشيه لكرك » مع ذلك أن عبادة المخلصين لم تكن قبل حكم « بطليموس الرابع » . ويرى ذلك في الآثار الاغريقية والديموطيقية حتى السنة الحادية عشرة من عهد « كليوبترا » الثالثة وابنها « بطليموس العاشر » « سوتر الثانى » (أكتوبر - نوفمبر عام ١٠٧ ق.م) (١) وذلك من المفهوم ضمنا حتى عام ١٦ من عهد « بطليموس الثالث عشر » (٦٦ - ٦٥ ق.م) في بعض الأوراق الديموطيقية التى جاء فيها الصيغة (تحت ادارة كاهن « الاسكندر » وأولئك الذين كتب اسمهم في « راقودة ») (٢) وكذلك في السنة السادسة والعشرين من عهد « بطليموس الثالث عشر » « بؤنة » (= ٢٤ يونيو سنة ٥٥ ق.م) على بريدية اغريقية في برلين (٣) .

وعلى العكس نجده يذكر على القائمة الهيروغليفية للالهة الأجداد التى وضعها « بطليموس الثالث عشر » في معبد « كوم أمبو » (٤) .

١٧ - وجاء نعت « بطليموس الأول » في نقش مرسوم على « حجر رشيد » باللغة الهيروغليفية وهو « الآلهان المخلصان » وقد أظهر كل من « بروكش » (٥) و « ريفيو » (٦) .

أن كلمة « سوتر » الاغريقية قد ترجمت بطريقتين مختلفتين في المتن الديموطيقى على حسب المكان الذى ألف فيه المتن ، ففى متن الوجه البحرى ترجم لنعت هكذا : « الذى يطر دالشر » ، وعلى حسب متن الوجه القبلى ترجم « الذى يصد » (أى العدو) .

(١) Berliner Griech. Urk. III, No. 969; Otto Priester und Tempel I, P. 182 & No. 5)

(٢) Spiegelberg Cat. Gen. Die Demot. Papyrus. No. 30610, P. 36 & Plate XX.)

(Berliner Griech. Urk. III, No. 1002)

(L.D., IV, 49 A)

(Thesaurus. P. 853-854,)

Rev. Egypt. I, P. 13, No. 5 & V. P. 7, No. 1.)

(٣) راجع

(٤) راجع

(٥) راجع

(٦) راجع

المصادر الديموطيقية التى من عهد بطليموس الأول

لقد دلت الكشف الحديثة التى عملت حتى الآن على أن الأوراق البردية التى كانت من عهد « بطليموس الأول » سواء أكانت اغريقية أو ديموطيقية قليلة العدد جدا ، والواقع أن الأوراق الاغريقية التى نشرت حتى الآن أربع (١) . أما الأوراق الديموطيقية فقد جمع بعضها « زيدل » وبخاصة الأوراق التى تبحث فى الشئون القانونية (٢) ، يضاف الى ذلك الأوراق التى نشرها « جلاتل » (٣) . هذا الى ورقتين فى بروكسل (٤) . ويبلغ مجموع هذه الأوراق سبع عشرة ورقة .

وستتناول هنا بالبحث الأوراق المحفوظة بالمتحف البريطانى التى فحصها الأستاذ « جلاتيل » بحثا دقيقا - نستخلص منها حقائق هامة بالنسبة لهذا العصر الغامض لتاريخ الشعب المصرى ، وأوراق المتحف البريطانى هى جزء من سلسلة أوراق لأسرة كانت قد تركت وثائقها فى جرتين عشر عليهما فى « دراع أبو النجا » وتعرف بوثائق « فيلادلفيا » ويبلغ مجموعها حوالى ٢٧ وثيقة وستتحدث عنها بعد أن نفرغ من فحص أوراق المتحف البريطانى التى بحثها الأستاذ « جلاتيل » .

والأهمية الرئيسية لهذه الأوراق تظهر فى الصورة الطبيعية التى تقدمها لنا . وهى تضع أمامنا تاريخ ملكية صغيرة وجيرانها فى خلال الربع الأول من القرن الثالث قبل الميلاد ، وتزداد أهمية هذه الوثائق عندما نعلم أن متون المتحف البريطانى ترتبط ارتباطا مباشرا مع ثلاثة أوراق أقدم منها (٥) .

(١) راجع O. Rubenshon, Elephantine. Papyri, Berlin. 1907. P. 2-4

Sidel Demotische Urkunden. P. 23

Catalogue of Demotic Papyri in the British Museum)

Spiegelberg Brussels, pp. 8-9

P. Dem. Strassburg (324 B.C.); P. Dem. Rylands X,

(315 B.C.) & P. Dem. Brussels 2 (301 B.C.)

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

(٥) راجع

فترجع بنا الى الورا الى تاريخ الملكية الرئيسية بنحو ربع قرن من الزمان يضاف الى ذلك أربع ورقات ديموطيقية فى مجموعة « رايلاندس » (١) وأخرى فى « فلاديلفيا » (٢) . وهذه الأوراق كلها لها ارتباط بأدوار القصة الختامية كما تصورنا لنا أوراق المتحف البريطانى . وأخيرا دل البحث على أن سجل أوراق « فيلادلفيا » يرتبط ارتباطا وثيقا بأوراق المتحف البريطانى هذا بالإضافة الى سلسلة من الوثائق البطلمية المبكرة التى كتبت بالديموطيقية ومحفظة الآن بمتحف اللوفر (٣) .

وبعد بحث طويل قام به الأستاذ « جلائيل » وصل الى أن هذه الضيقة أو الملكية التى كانت تسمى « بيت البقرة » لا بد أنها كانت تقع شمالى معبد « آمون » وغربى معبد الاله « منتو » بالكرك وكمعبد الاله « منتو » يقع فى شمالى حرم المعبد الكبير لآمون بالكرك . وعلى مسافة من شرقى وسطها توجد خرائب معبد الاله « منتو » الذى كان من أعظم المعابد فى الكرك وهو الذى أسسه « أمنحوتب » الثالث وقد زاد فيه الملوك الذين أتوا من بعده بما فى ذلك اثنان أو أكثر من البطالمة وأحدهم هو « فيلادلفس » أى « بطليموس الثانى » . وغربى هذا المبنى تقع تلال البلد القديم . ولا نزاع فى أنها موقع البيوت التى تبحث الأوراق البردية التى تفحصها الآن ويمتد أجلها الى أكثر من قرن من الزمان .

والآن بقى علينا أن نفسر اسم هذا المركز أى « بيت البقرة » ، فأولا يظهر أن البقرة « حتحور » ليس لها مكان خاص فى « الكرك » ، ويميل الأستاذ « جلائيل » كل الميل بعد بحث طويل الى القول بأن البقرة هنا تشير الى أم العجل « بوخيس » (٤) (وهى التى تسمى « أخت - ورت »

Rylands, XI - XIV)

Phil. XII; Reich Mizraim VIII, 10 & Pls. 19-20.

. (Seidel, Urk. 22-27

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع عن العجل بوخيس مصر القديمة الجزء ٧ ص ٦٢٦-٦٢٨

في لوحات معبد البوخيوم بأرمنت (التي كانت تدفن في « أرمنت » ولكن إنتاجها الذي كان مرتبطا بعبادة الاله « منتو » في المدن الأربع وهي « أرمنت » و « الميدامود » و « طيبة » و « طود » على ما يظهر كان يزور كل واحدة بدورها (١) . وذلك أنه عند الكشف عن عجل « بوخيس » جديد كان يؤتى به الى طيبة ليحتفل بتنصيبه ، وبعد ذلك يأخذ الى « هرموتيس » أى « أرمنت » (٢) . ومن المقول أن البقرة العظيمة (احت أورت) كان من المفروض أن يؤتى بها كذلك الى طيبة على أغلب الظن لتضى بقية حياتها هناك أى الى أن تأخذ الى الصحراء غربى أرمنت لتدفن هناك .

ومهما كان أصل هذا المكان (بيت البقرة) فان وجوده في عدد من مجموعات بردية تحتوى على أسماء اعلام مشتركة فيها وموضوعات متصلة بعضها ببعض، لدليل على أن كل هذه الأوراق ترجع الى سجل واحد شاعت الأقدار أن يمزق ويوزع بين سبع متاحف عن طريق أعمال الحفر أو التهريب . وقد وضع الأستاذ «جلانفيل» ملخصا لعلاقة هذه الأوراق بعضها ببعض (٣) . وتدل شواهد الأحوال على أن هذه الأوراق كان قد عثر عليها جميعا في مكان واحد وهو مقبرة من عهد الأسرة التاسعة عشرة استعملت فيما بعد بيتا للسكن ، وذلك في الحفائر التى قامت في منطقة «ذراع أبو النجا» منذ عام ١٨٩٨ الى عام ١٩٢٢ ميلادية . وقد قام بها الانجليز والأمريكان . ومن الجائز أن بعض أجزاء هذا السجل يحتل أنه وصل الى أوربا من الحفائر التى قام بها «مريت» حوالى عام ١٨٥٩ م في نفس الجهة . أما عن وجود هذه الأوراق في المقبرة رقم ١٠٦ في الجهة الغربية من النيل وسكنة أصحابها في الجهة الشرقية في بيت البقرة فيمكن الاجابة على ذلك بأنه من الجائز أن

Fairman, in Mond and Mayers Bucheum, II, 45 ff.)

(١) راجع

Fairman, op. cit. 7 & 8, Note F.).

(٢) راجع

(Glanville, Ibid. Appendix 2

(٣) راجع

ادارة عمل صاحبها كان في الجهة الغربية وسكناه كان في الجهة الشرقية في بيت البقرة .

وبعد هذه المقدمة القصيرة تتناول ترجمة مجموعة الأوراق التي توجد في المتحف البريطاني . والواقع أن الملكية التي تبحث فيها معظم وثائق المتحف البريطاني تكون في الأصل جزءاً من ضيعة كبيرة كان يملكها بجار معبد «آمون» يسمى «جوف عخي» (ومعناها البردية الخضراء) ابن «وجا - مر - متن» و «تا - ايس» ونسمع عن هذه الشخصية أولاً في ورقة بمتحف ستراسبورج رقم ١ وتحتوى على وثيقة هبة بمقتضاها قسم «جوف - عخي» بين أولاده ومن بينهم أحد أولاده الصغار ويدعى «بدى - خنس» أخذ هذه الملكية المعينة بمثابة نصيبه . وهذه الورقة مؤرخة بشهر «تحتوت» من السنة التاسعة من عهد الاسكندر الأكبر (= ١٢ نوفمبر سنة ٣٣٨ ق.م.) وهذه الوثيقة من الأهمية بمكان بالنسبة لعلاقة الأشخاص الذين يحتلون مكانة عظيمة في وثائق المتحف البريطاني كما أنها الى حد ما تفسر بواسطتها. وبعد مضي ثمان سنين على هذا التقسيم نجد «بدى خنس» يعقد زواج على زوجه «تاس» ابنة رجل رجل يدعى «أمم أوبى»^(١) المؤرخة شهر هاتور السنة الثانية من حكم الاسكندر الأكبر ، وقد وصف مثل والد من قبله بأنه نجار بيت «آمون» ولكن بعد مضي ثمانية عشر شهراً على ذلك نجد أن الأخوين لايزالان يقتسمان البيت نفسه سوياً ؛ وذلك لأنه في ورقة «فيلادلفيا» رقم ٢ (٢) . (مؤرخة بشهر «بشنس» السنة الثالثة من عهد «الاسكندر الرابع» = الثامن من يوليو سنة ٣٠٤ ق.م.) نجد أن حار «چار - عخي» من الجهة الشمالية هي «ت - تف - حتب» ابنة «جد - حر» يتعاقد من أجل مرتب

سنوى مع امرأة تدعى «تامين» ابنة «جح» وتعين حدها الجنوبي بيت «كلوج» بن «باسنتو» انحامال وهو الذى كان ملك نجار بيت «آمون» ، و «بهب» بن «چوف عخى» نجار بيت «آمون» ، و «پدى خنس» والشارع يفصل بينهما ، ومن ثم نرى أن «بهب» و «پدى خنس» قد أصبحا يملكان نصيبهما المخصص لهما فى ضيعة «چوف عخى» . وبعد ذلك بثلاثة عشر عاما نجد خيطا يربطنا بقصة «چوف - عخى» فى بردية بمتحف «بروكسل» (١)؛ وقد أثبت «جلائيل» أن هذه الورقة مؤرخة بالسنة الخامسة من عهد «بطليموس الأول» لاكما قال «سييجل برج» فى السنة الخامسة من عهد «بطليموس الثانى» وهاك نص الترجمة كما أوردها «جلائيل» على الرغم من تهشيم الورقة .

١ - السنة الخامسة شهر بابة من عهد الفرعون «بطليموس» : قال ابن والدته (هى) للكاهن المرتل لجبانة «چمى» (= مدينة هابو) حارسيسى بن «باننا» وأمه هى «بهب» . لقد دفعت لى الثمن ولقد سر قلبى بمبلغ الشراء لبنت المرأة «تشرن خنس» ابنة «بهب» وأمها هى (و ابنة «بهب» (?) وأمها هى «سيتربنى» ولدفن «بهب» والدها ولدفن «سيتربنى» زوجه وحدود البيت المسمى هنا هى :

جنوبه : بيت «كلوج» بن «چوف - عخى» وكوة «تامن» (ابنة) «باننا» . شماله : بيت الكاهن والد الآله ب . (.....) بن «بيتا منموى» (وشارع الملك بينه (الذى فى) الخرائب ولكن جدرانها لا تزال قائمة .

وشرقه : (.....)

وغربية : (....) بيت نجار معبد آمون «پدى خنس» بن «چوف - عخى» وهو الذى ملك أولاده ، مجموع حدود كل بيتى .

أعطيته اياك ، وانه ملكك ، وبيتك المبنى(?) والمسقوف(?) في الشمال من سور
معبد « نى » (= طيبة) . لقد أعطيتك اياه وأنه ملكك وبيتك (كما ذكر)
(لقد تسلمت ثمن الشراء منك وأنه كامل دون باق ، وأن قلبى منشرح به .
وأن الذى يأتى ضدك بسببه فى أى موضوع على الأرض باسمى أو باسم
أى انسان على الأرض فانى سأجعله ينسحب من أمامك وسأجعله (أى البيت)
يحرر لك من كل كتابة ومن كل وثيقة ومن كل شئ على الأرض ومن كل
سجل فى كل يوم . وحجة ملكك (وسجلاته) لكل مكان توجد فيها ، وكل
حجة قد عملت بخصوصه وكل حجة عملت لى بخصوصه وكل حجة بها لى
حق فيه وكذلك ورثى أى ابنى فانها ملكك وكذلك حقوق الوارث .
واليمين أو البيئة الذى سيفرض عليك فى بيت العدالة باسم صحة
العقد المذكور الذى سأعمله لك أو الذى سأجعله يعمل لك ، سأعمله دون
ذكر أى سجل أو أى كلمة على الأرض ضدك .

أوراق البردى فى المتحف البريطانى التابعة للأوراق السابقة .

واليمين أو البيئة الذى سيفرض عليك فى بيت العدالة باسم صحة
مجلد خاص وسنورد هنا ترجمة هذه الوثائق وتبعتها بالوثائق التى جاءت
فى مجموعة « فيلادلفيا » الخاصة بعهد « بطليموس الأول » والأخيرة قد ترجم
بعضها الأستاذ « راينخ » وأكمل ترجمتها الأستاذ « مصطفى الأمير » .

الورقة رقم ٥٢٢ ١٠٥٨٠ أبعادها ٣٨٥ × ١٠٣٨ سنتيمترا اللوحة ١ ، ٢

ومضمون هذه الوثيقة نزول عن بيت نزل عنه « بورتيو » بن « پدى خنس »
الى « تا اميسى » ابنة « بليميش » . وقد كتب على ظهر الورقة أسماء ستة عشر
شاهدا . وكاتب الوثيقة هو « مثرى » بن « هارارو » وتاريخها هو السنة الثامنة
شهر أيب من عهد « بطليموس سوتر الأول » = سبتمبر سنة ٢٩٧ ق.م .

وهاك نص الوثيقة . السنة الثامنة شهر أيب من عهد الفرعون « بطليموس »
(سوتر الأول) : قال نجار بيت آمون « بورتيو » بن « پدى خنس » وأمه

(هى) «تا اسى» للمرأة «تا اسى» ابنة «بمرمشع» وأما هى «تاتو» (?) .
لقد نزلت لك عن حقى فى بيتى المبنى والمسقوف وهو الكائن بمركز «البقرة»
فى مدينة «طيبة» ، وهو الذى عمل لك بخصوصه كتابة مقابل فضة (١) ،
والذى «پدى خنس» بن «چوف عخى» (٢) وأمه هى «استغنى» وحدود هذا
البيت المبنى والمسقوف هى :

جنوبه : بيت نجار آمون «كلوج» بن «چوف - عخى» والمرأة «ترو»
ابنة «پاستو» .

شماله : بيت المرأة «نيرى» (?) «ابنة» (جحو) ، وشارع الملك بينهما
غربه : بيت المرأة «تموت» ابنة «خلوج» .

شرقية : بيت نجار «آمون» (٣) «بهبب» بن «چوف - عخى» ، والبيت
المذكور يفتح شمالا أى مدخله كان شمالا .

وليس لى حق شرعى ولا مقاضاة ولا أى شىء على الأرض عليك بخصوصه
من اليوم فصاعدا . ولن يستطيع انسان على الأرض أن يكون له سلطان عليه
الا أنت . وأنى انسان سيأتى ضدك بسبه - سواء آكان ذلك باسمى أم باسم
أى انسان على الأرض ، وأى انسان على الأرض تابع لى (سيأتى ضدك
سواء آكان والدا أم أما أم أخا أم أختا أو نفسى كذلك فاتى سأجعله يسلم لك

(١) يجدر بنا أن نفهم كلمة فضة (= حز) فى العهد الديموطيقى . وانه
لن الصواب فى هذه المناسبة أن نضع أولا قائمة بالالفاظ المستعملة للعملة
الديموطيقية ونوازن قيمتها الواحدة بالآخرى .

(١) كركر	=	٦٠٠٠ درخمة
(٢) دين	=	٢٠ درخمة
(٣) ستاتر	=	٤ درخمت
(٤) كلات	=	٢ درخمة
(٥) ابولوس	=	٦١١ درخمة

ولا نزاع فى أن كلمة «دين» تتبادل مع عبارة «دين حز» وهذا التعبير
الآخر يعنى عملة فضية ومن ثم فانه من المعترف به أنه بالإضافة الى معنى
فضة ونقد ، تعنى كلمة «حز» الدين الذى قمة عشرين درخمة من الفضة
وهذا المعنى لكلمة «حز» يصادفنا فى متون ديموطيقية عديدة . وقد ظهر
لكلمة «حز» قيمة نقدية أخرى فى عهد القرنين الثانى والاول معا (راجع

بخصوصه . واني لن أجعله يسلم لك وحسب ، بل سأجعله يسلم لك طوعا دون نزاع ..) .

يأتى بعد ذلك ملخص ثم قائمة بالشهود وعددهم عشرة شهود .
الوثيقة رقم ١٠٥٢٣ : أبعادها ٣٧ر٥ × ٨٧ر٤ سنتيمترا .

وهذه الوثيقة هي اعتراف من «تا اسى» ابنة «يتمؤبى» بقرض على تأمين بيتها الى «بليهم» ابن «تيتارتايس» وكاتبها هو «بشتيهم» بن «بارت» . وأرخت بالسنة الحادية عشرة شهر بثونة من عهد «بطليموس الأول» أى ديسمبر سنة ٢٩٥ ق.م. أو يناير سنة ٢٩٦ ق.م.) .

وهاك ترجمة النص : (١) السنة الحادية عشرة شهر بثونة من عهد الفرعون «بطليموس» (سوتر الأول) قالت المرأة «تا اسى» ابنة «يتمؤبى» وأما هي «تا» الى الكاهن المرتل «اب بليهم» ابن «تيتارتايس» وأمه هي «تشنخومتى» (Tschenchomti) لك ثلاث قطع (فضة) وستة قادات وهو مايساوى ثمانية عشر ستاتر (عملة هيلانية) أى ثلاث قطع فضية وستة قادات ثانية ، على (أى دين على) وسأدفعها ثانية لك (أى وقت ؟) حتى آخر يوم من شهر بثونة من السنة الثانية عشرة واذالم أردمالك أى ثلاث قطع الفضة وستة قادات أى الثمانية عشر ستاتر أى ثلاث قطع الفضة وستة القادات ثانية فى آخر يوم من بابه من السنة الثالثة عشر ، فانى سأدفع لك خمس قطع فضة وأربعة قادات أى ٢٧ ستاتر بدلا منها (أى أنها ستدفع غرامة على المبلغ الأصلى) فى اليوم الأول من شهر «هاتور» من السنة الثالثة عشرة ، وهو اليوم الذى بعد اليوم المذكور ، عن طيب خاطر وبدون تأخير ، ولن أعين لك يوما آخر لدفعها الا اليوم المذكور ولن يكون فى استطاعتى أن أقول : لقد أعطيتك تقودا جديدة معها دون صك رسمى (بذلك) ، ولن يكون فى استطاعتى أن أقول لقد أرضيتك فى ذلك (أى لقد دفعت لك المبلغ بالتمام) ولقد أدبت لك حقوق الوثيقة أعلاه . وأى شىء وكل شىء عندى

وأى شيء سأمملكه يكون ضمانا للمال المذكور (٣) فى اليوم المذكور سالفا
وبيانها : بيتى المبني والمسقوف (وهو الذى) فى الحى الشمالى من المدينة
(طيبة) فى «بيت البقرة» الذى حدوده هى :

جنوبه : بيت نجار معبد آمون «كلوج» بن «چوف - عفى» وهو ملك
«بيتنف - حتب» بن «الوج» .

شماله : بيت السقا «زد - حر» (چحو) بن «پاحور» .

شرقه : بيت مرتل القرد «حرسيس» بن «پانا» . وفى غربه جزء (من
الضيعة) ملك المرأة «موت» ابنة «كلوج» . وهذا هو مجموع حدود كل
البيت الذى دوت حدوده أعلاه ، هذا بالاضافة لآى شيء وكل شيء أملكه
وما سأحصل عليه (مستقبلا) . وسأعطيه اياك وستأخذها لنفسك حتى
تموض عنها وحتى تموض عن مالك المذكور سابقا فى اليوم المذكور ، وان
وكيلك هو الذى عنده السلطة ليرغنى فى أى أمر سيقدمه ضدى باسم أى
موضوع ذكر أعلاه ، وسأؤديه (أى المبلغ) عند طلبه عن طيب خاطر
بدون تأخير وبدون مشادة .

كتبه «باشنتيهى» بن «پارت» .

ثم يأتى فى الوثيقة بعد ذلك مضمون التعاقد ثم توقعات الشهود وعددهم
سنة عشر .

الوثيقة رقم ١٠٥٢٨ : أبعادها ٣٩٥ × ٤١٥ سنتيمترا

المضمون : عقد حرر بين «بليهى» بن «تيتارتايس» وبين «حرسيسى» بن
«پانا» وهو خاص بدفع ضرائب للكهنة المرتلين فى جبانة «چمى» (مدينة
هابو) . وكاتب هذا العقد هو «نسمين» بن «بهب» وأرخ ببثونة - يولية
سنة ٢٩١ ق.م. .

وهاك النص : السنة الرابعة عشرة شهر برمودة (= ٢ يولية لأول يولية
سنة ٢٩١ ق.م.) من عهد الفرعون «بطليموس» (سوتر الأول) : قال

الكاهن المرتل للقرود «بليهي» بن «تيتارتايس» وأمه هي «تشنخومتى» لمرتل
القرود «حرسيسى» بن «پانا» وأمه هي «تهيب» : انى مسئول أمامك (٢) أنه
ملكك = ما هو فى ذمتى (فلن أضرارك فى موضوع النقد (أى الفضة) (٢)
وكل المرتلين (الآخرين) الذين فى جبانة طيبة فى أمر خمس القطع من الفضة
التي تساوى ٢٥ ستاتر والتي تساوى خمس قطع فضة ثانية وهى التي
أرسلتها الى موظف (الشرطة أو المالية ؟) قائلا : على بأن أدفع باسم المشرف
على الجبانة النقود وهى التي تدفع مرتبا أى ٢١/٢ قدت لكل فرد ؟ هذا
بالإضافة الى النقود التي تدفع للمشرف على الجبانة للرجال (٣) الذين
يؤتى بهم الى الصحراء «چمى» وكل النقود الخاصة بهم (أى الرجال
المذكورة) ملكى ، وذلك فى مقابل خمس قطع فضة أرسلتها لموظف (الشرطة
أو المالية) وهى النقود التي يجب عليهم أن يعطونها فى مقابل المرتبات
والنقود (المستحقة) للمشرف على الجبانة . وعليك أن تكتب لى صكا بها
قائلا : لقد نزلنا عن حقنا فيها أى النقود التي ستأتى للكهنة المرتلين (٤) من
«حتب - آمون» التي فى اقليم طيبة . وأنى سأدفعه (= المرتب) بدلا منه
(أى الايصال ؟) وانى سأذهب الى اقليم «طيبة» مع الناس الذين ستعطينها
ليذهبوا معى . والنقود التي سأدفعها فى مقابل الصك أو المستند عليك أن
تدفعها لى من (؟) النقود التي ارتبطوا بدفعها لى (؟) وهى القدتان والنصف
تدفعها لى فى (؟) النقود التي ارتبطوا بدفعها لى (؟) وهى القدتان والنصف
التي ستدفع مرتبات . وأن لى قدين ول «بيتى حاربى» بن «حور» الكاتب
الذى يسجل الكهنة نصف القدة الباقى وانى لن أسمح لأى مرتل أن يضار
فيما يخص خمس قطع الفضة السالفة الذكر . وعليك أن تعمل لى على حسب
كل شئ سبق ذكره . وعلى أن أعمل على حسب كل شئ سبق ذكره من
أول السنة الرابعة عشرة شهر برمودة اليوم الأول منه حتى السنة الخامسة
عشرة شهر طوبة اليوم الأخير منه . واذا قصرت فى أن أعمل على حسب كل

شئ سبق ذكره في سنة ١٥ شهر طوبة اليوم الأخير منه فاني سأدفع لك عشر قطع من الفضة ثانية وهو مايساوى خمسين ستاتر ، أى عشر قطع فضة ثانية بضرورة الحال دون أى تأخير ودون مشادة .

كتبه «نسمين» بن «بهيبي» . وشهد على لعقد ١٣ شاهدا .

الوثيقة رقم ١٠٥٢٤ : أبعادها ٣٧ر٥ × ٨٤ر٤ سنتيمترا ، Pls. 1, 5 and 6

عقد اتفاق بين «تاهيب» ابنة «يتنف - حتب» وبين «بليهي» بن «تيتارتايس» ليتمكنها من بناء بيت بجوار الجدار الغربى من بيته يشروط خاصة منها «نوره القديم» (متور كما موجودا فى الأصل) ويشمل ظهر الورقة قائمة بها ستة عشر شاهدا فى الوسط (مكتوبة أقية) وتحت الوسط بقليل عمودية . وكاتب العقد هو «نسمين» بن «بهيبي» .

أرخ بشهر ديسمبر سنة ٢٩٠ يناير سنة ٢٨٩ ق.م.

نص العقد : السنة السادسة عشرة شهر باية من عهد الفرعون «بطليموس» (سوتر الاول) قالت المرأة «تاهيب» ابنة «بتنف - حتب» وأمه هى «تى - محى» لمرتل القرد «بليهي» بن «تيتارتايس» وأمه (هى) «تشنخومتى» . انى مسئولة أمامك (بدين) اذا بنيت بيتى الذى يؤلف (الحد) الغربى من بيتك والكائن فى الحى الغربى من المدينة (طيبة) فى «بيت البقرة» وحدوده هى :

جنوبه : ساحة البيت (٢) ملك «بتنف - حتب» بن «الوج» ، والذى شماله : بيت المرأة «تيتنف - حتب» السقاعة ابنة «چحو» وشارع الملك بينهما .

شرقه : بيتك الذى ترتكز عليه جدران بيتى من الطرفين الجنوبى والشمالى، وجدارك مستعمل لى بمثابة جدار ساند . على شرط ألا أضع كتل خشب عليه . غربه : بيت باييموت ?? ابن «باتى» بن «حور» وبيت الكللازيريس (= جندى) (Kalasiris) لبيت آمون «چحو» (بن «كالوج») ، وهما بيتان بينهما شارع الملك . وانى سأبنى بيتى من جدارى الجنوبى الى

جدارى الشمالى حتى جدارك على شرط ألا أضع خشبا فيه (أى فى الجدار)
الا أخشاب المبنى التى كانت هناك من قبل (?) وستستعمل لى كجدار ساند
على شرط ألا أضع فيها خشبا ، وسأضع كتل خشبى من الجنوب الى الشمال
(٤) حتى يمكننى أن أسقف الطبقة السفلى من بيتى اذا رغبت فى أن أبنى
أعلى من ذلك ، وسأبنى جدارانى السابقة الذكر حتى جدار بيتك الذى
سيستعمل لى بمثابة جدار ساند ، وسأترك المنور المقابل لنا فذيتك الى مسافة
طويلة من الطوب الذى بنى مستندا على بيتك قبالة نوافذك (٥) وسأبنى
جنوبها (أى النوافذ) وشمالها حتى جدارك ، واسقفها من الجنوب الى
الشمال وسيكون جدارك مفيدا لى بمثابة سناد كما سبق ، الا قبالة النوافذ،
على شرط أنى لا أضع خشبا فيها . واذا قصرت فى أن أعمل على حسب كل
شئ ذكر فانى سأدفع خمس قطع فضة أى ٢٥ ستاثر أى خمس قطع فضة
ثانية ، وأن يكون لك الحق فى أن تجعلنى أعمل على حسب كل شئ ذكر من
قبل ثانية .

واذا مانعت بالألا تدعى أبنى بيتى فانى سأعاملك حسب كل شئ سبق ذكره
(يجوز أنها تقصد وضع خشب فى جداره) وانى سأبنى بيتى دون أن أترك
لك منورا من غير مسئولية .

كتبه «نسمين» بن «بهيب» .

يأتى بعد ذلك ملخص العقد ثم ستة عشر شاهدا .

الوثيقة رقم ١٠٥٢٦ : أبعاد الورقة - ٣٧ × ٩١٦ سم تقريبا .

مضمون الوثيقة : نزول «بهيب» بن «أرى» عن حقه فى ملكية «بلبى» بن

تيتارتايس .

كتبها : «تيتارتايس» بن «ثمن» .

التاريخ : سبتمبر - أكتوبر ٢٨٨ ق.م.

الوثيقة ١٠٥٢٧ : أبعادها ٨٣٦×٣٧ سنتيمترا .

وتشمل هذه الورقة نزول « بهيب » بن « أرى » عن حقه في ملكية « حور » ابن « بشنمو » وكاتبها هو نفس كاتب الورقة السابقة . وكذلك تاريخها هو نفس التاريخ السابق وهاتان الورقتان مرتبطتان الواحدة بالأخرى تمام الارتباط ولذلك ذكرتهما معا .

نص الوثيقة الأولى : (١) السنة السابعة عشرة شهر « مسرى » من عهد الفرعون « بطليموس » « سوتر الأول » قال الكلازيريس (١) « بهيب » بن « أرى » وأمه (هى) « اسمح » لمرتل القرد « بليهى » بن « تيتارتائيس » وأمه هى « تشنخومتى » لقد نزلت لك (عن حقى) فيما يخص بيتى المبنى والمسقوف (٢) وهو الكائن فى الحى الشمالى من طيبة فى بيت البقرة شمالى حرم معبد طيبة وحلوده هى :

فى جنوبه : بيت نجار معبد « آمون » ، « كلوج » بن « جوف - عفى » وهو ملك سقاء « امنثوبى » - فى غرب - « طيبة » المسمى « بيتنف حتب » بن « الوج » .

فى شماله : بيت الكاتب « يدى مستو » بن « بخلختس » المبنى والمسقوف والكائن فى ملكية الاغريقى « ايدوروس » (Eudorus) بن ميجافرون (?) ، وشارع الملك بينهما .

شرقيه : بيت المرتل « حرسيسى » بن « پانا » المبنى والمسقوف . وفى غريبه : بيت المرأة « موت » ابنه « كلوج » المبنى والمسقوف وهو يتم حدود البيت الذى اشترته من المرأة « تا اسى » ابنه « بيتأمنثوبى » ، وأما هى « أرسرتائيس » فى السنة الثانية عشرة شهر طوبة من عهد الفرعون العائش أبديا وهو الذى جئت من أجله اليك قائلا : انه ملكى وأنك حررت حقوق المنزل عنه لى . وقد ارتاح قلبى لذلك وليس لدى حق شرعى ولا حق اليمين؟ ولأى

حق على الأرض عليك منذ اليوم . وأى شخص مهما كان سيأتى ضدك بسببه سواء أكان ذلك باسمى أو باسم أى رجل على الأرض فانى سأجعله يخضع لك عن طيب خاطر دون تأخير ودون مشادة .

كتبه « نيتارتايس » بن « ثمن » :

نص الوثيقة الثانية : السنة السابعة عشرة شهر مسرى من عهد الفرعون « بطليموس » (سوتر الأول) قال الكلازيريس (بهيب) بن « أرى » ووالدته هى « أسحب » ، للكاهن مرتل جبانة « چمى » « حور » بن « بشتيمو » وأمه « تيتوزور » : لقد نزلت لك (عن حقى) فيما يخص بيتك المبنى والمسقوف والكائن فى الحى الشمالى لطيبة فى بيت البقرة الواقع شمالى حرم معبد طيبة وحدوده هى :

فى جنوبه : بيت نجار « آمون » ، « كلوج » بن « چوف عخى » وهو ملك السقاء « أمثوبى » - فى غربى طيبة . « بتينفتحب » بن « ألوج » . فى شماليه : بيت الكاتب « بيتستو » بن « بخلخنس » المبنى والمسقوف وهو ملك الاغريقى « أيدوروس » (؟) بن « مجافرون » (؟) وشارع الملك بينهما .

فى شرقه : بيت رئيس خبازى معبد « آمون » « چحو » بن « بارت » المبنى والمسقوف .

فى غربيه : بيت مرتل القرد « بليهى » بن « نيتارتايس » المبنى والمسقوف وهو يكمل حدود البيت الذى من أجله أعطت المرأة « تاوواستى » ابنة « أمپيتى » وأما هى « تى - وشس » أعطت كتابة مقابل فضة لوالدك المحنط (« بشنيمو » بن « حرسئيس » والذى من أجله أتيت اليك قائلاً : أنه ملكى وأنك سلمت بحقى فيه ، وقد ارتاح قلبى لذلك وليس لى أى حق شرعى ولا حق اليمين (؟) (أى حلف اليمين) ولا أى حق على الأرض عليك

بالنسبة له من هذا اليوم وفيما بعد .

وأى شخص سيأتى ضدك بسببه سواء أكان باسمى أو باسم أى شخص على الأرض فانى سأجعله يخضع لك عن طيب خاطر دون تأخير ودون مشادة .
كتبه « تيتارتائيس » بن « تثن » .

باقى بعد ذلك قائمة شهود وهى موحدة فى الوثيقتين الا بعض اسماء فقط قد تغير مكانها .

الوثيقة رقم ١٠٥٢٥ : أبعادها ٩٣×٣٨,٥ سنتيمترا .

الموضوع : رهن « بليهى » بن « تيتارتائيس » بيته الى « وسرور » بن « نختارحب » .

وكتب على ظهر الورقة قائمة بستة عشر شاهدا .

نص متن الوثيقة : السنة الواحدة والعشرون شهرا أيب من عهد الفرعون « بطليموس » (سوتر الأول) قال مرتل القرد « بليهى » بن « تيتارتائيس » وأمه (هى) « تشنخومتى » للكهان والد الاله « أوزيرور » بن « نختارحب » وأمه (هى) تيشى (?) . لديك تسعة قادات من الفضة (وهى تساوى) أربعة ونصف ستاتر أى تسعة قادات فضة على (أى دين على) بخصوص النقود التى أعطيتها ، وانى سأدفعها (ثانية) اليك فى اليوم الأخير من شهر أيب العام الثانى والعشرون (٢) واذا لم أدفع لك ثانية تسعة قادات الفضة أى أربعة ونصف ستاتر أى تسعة قادات فضة ثانية فى اليوم السابق الذكر فانك ستكون قد جعلت قلبى يوافق على الفضة (الثمن) لأجل بيتى المبنى والمسقف وهو الكائن فى الحى الشمالى لطيبة فى « بيت البقرة » وحدوده هى :

فى جنوبه : بيت السقاء « بتنفحتب » بن « الوج » المبنى والمسقف .
فى شماله : بيت المرأة « تيمو » (٣) ابنة « بتنفحتب » وشارع الفرعون يقع بينهما .

في شرقه : بيت المحنط « حرسيسى » بن « يانا » المبنى والمسقوف .
في غربه : بيت المرأة « تاهب » ابنة « بتنفحتب » المبنى والمسقوف : هي
حدود كل البيت ولقد أعطيتك اياه وهو ملكك وبيتك المبنى والمسقوف
المسمى أعلاه . وليس لى أى حق على الأرض (٤) عليك بالنسبة له . وليس
لإنسان على الأرض (وأنا ضمنا) سيكون فى استطاعته أن يمارس سلطة
عليه الا أنت من أول شهر مسمى سنة ٢٢ وما بعد . وأى شخص سيأتى
يعارضك بسبه (أى البيت) سواء أ كان ذلك باسمى أم باسم أى شخص
على الأرض فانى سأجعله يسلم أمامك (بحقك) وسأخليه لك من كل حجة
ومن كل شئ على الأرض بأية حال . وكل الحجج لكل بيت متصلة به هي
ملكك (?) وكل وثيقة قد عملت بخصوصه وكل وثيقة (٥) قد عملت لى من
أجله وكل وثيقة تجعلنى مستحق بالنسبة له (أى البيت) فانها ملكك بالاضافة
لكل الحقوق التى تحملها معها وما استحقه فيها هي ملكك . واليمين أو
الاثبات (?) الذى سيحتاج اليه منك فى محكمة العدل بخصوص الحق
المخول لك بوساطة الوثيقة السالفة الذكر التى أتممتها لك لنجعلنى أؤديه
فانى سوءديه .

المرأة « تيجور » ابنة « حرسيسى » وأما (هي) « تاو باستى » تقول :
أقبل وثيقة من « بليهى » (ابن) « تيتارتايس » زوجى السالف الذكر من
أجل البيت السالف الذكر لتجعله يعمل على حسب كل شئ ذكر من قبل .
وأن قلبى مرتاح لذلك لأن لى حقا عليه بمقتضى الوثائق التى أداها لى لينفذ
شروطها لى فى كل الحالات ولقد نزلت لصالحك عن (حقى) فى البيت السالف
لذكر دون ذكر أية حجة أو أى حق فى العالم عليك .

كتبه « أسمن » بن « بهيب » .

الشهود : توجد قائمتان فى هذه الوثيقة احدهما على الجهة اليمنى من
وجه الورقة ذكرت فيها الأسماء بالألقاب وعلى ظهر الورقة كتبت نفس
الأسماء بدون الألقاب .

اوراق سجل فيلاديفيا المحفوظة الآن ممتحف بنسلفانيا :

وجدت هذه الأوراق في جرتين كما أشرنا الى ذلك سابقا في بيت من عهد البطلمة في « ذراع أبو النجا » . وقد فحص هذه الأوراق مبدئيا الدكتور « ريخ » ثم بدأ في نشرها في عام ١٩٣٣ ق.م ولكن حضره الموت قبل أن يتم عمله (١) ، ولم ينته من ترجمة الا ثلاث وثائق منها أما سائر الأوراق الأخرى فقد قام بترجمتها والتعليق عليها الأستاذ « مصطفى الأمير »

ويبتدىء تأريخ هذه الأوراق من السنة السابعة من عهد « فيليب أريدايوس » ٣١٧ ق.م ثم عهد « الاسكندر الثاني » فرعون مصر فعهد « بطليموس » (سوتر الأول) و « بطليموس الثاني » و « ايوجيتيس الأول » حتى السنة الخامسة من عهد « بطليموس فيليبوتر » عام ٢١٧ ق.م . ويحتوى هذه المجموعة على اثنين وثلاثين وثيقة وتشتمل على مبايعات وتنازلات ورهونات وايجار بيوت وقبور وعلى الخدمات الخاصة بالموميات وعلى عقدى زواج وعقد طلاق وبيانات من حسابات ووثائق متنوعة وهذه الأوراق كلها فى حالة جيدة تقريبا .

والواقع أنها كشفت لنا عن المعاملات والآراء والوظائف وأحوال أسرة واحدة عاشت فى « طيبة » على كلا جانبي النهر وذلك مما يضى على هذه الأوراق أهمية خاصة اذ تصور لنا بصورة ما الحياة الاجتماعية المصرية البحتة فى هذا العهد مما لا نكاد نجده فى الوثائق الاغريقية التى وصلت إلينا من هذا العهد وذلك أن الأخيرة لا تتحدث عن أهل الشعب المصرى قط بل كلها محصورة فى حياة النزلاء اليونان وثقافتهم وعلومهم . يضاف الى ذلك أن كلا من هذه الأوراق لها قيمتها الخاصة من حيث الموضوع الذى تبحث فيه وكتبت من أجله .

وأخيرا دل البحث على أن الأشخاص الذين تناولهم وثائق « فيلادلفيا »

تتضمن في أسرتين كاتتا مرتبطتين برباط الزواج فيما بينهما . هذا ولدنا أربع أسر أخرى موجودة بعض وثائقها في مجموعات الأوراق التي في متحف اللوفر والمتحف البريطاني وكان أفرادها مرتبطين مع أفراد أسر في أوراق « فيلادلفيا » عن طريق الزواج ويرجع تاريخها للعهد الفارسي . وممتلكات هذه الأسر جميعا يمكن أن تجمع تحت أربعة رؤوس وكلها في صعيد واحد وهي :

- ١ - بيت في القسم الشمالي من « طيبة » « بيت البقرة » السالف الذكر .
- ٢ - بيت في القسم الشمالي من « طيبة » غربي حرم معبد الإله « منت » رب « طيبة » .

٣ - بيت في القسم الجنوبي الشرقي من مدينة « جى » (مدينة هابو الحالية) بالقرب من الجدار العظيم (لمدينة هابو) .

- ٤ - مقابر وموميات في جبانة « ذراع أبو النجا » في طيبة الغربية . ويرجع الفضل للأستاذ « مصطفى الأمير » في بحث محتويات هذه الأوراق في مؤلف لا يزال تحت الطبع وفي اعتقادي أنه سيكتب صفحة جديدة في تاريخ الشعب المصري كانت مطوية حتى الآن .
- ومستناول هنا الأوراق التي من عهد بطليموس الأول في هذه المجموعة أما الأوراق الأخرى فستفحص كل في مكانها على حسب تاريخها أي الملك الذي كتبت في عهده .

من عهد بطليموس الأول :

- ١ - عقد بيع مزار من عهد « بطليموس الأول » .

التاريخ : السنة الرابعة من عهد الفرعون « بطليموس سوتر الأول » (= ٧ نوفمبر سنة ٣٠٢ ق.م) .

الطرفان المتعاقدان : الطرف الأول : الحانوتي « أمثوي » في غربي « طيبة » « چحو » بن « باحور » وأمه (هي) « تافرحتب » .

الطرف الثانى : « الكلازيريس » (= الجندى) لمعبد امون « بارت » بن وأمه (هى) « أشاربخرات » .

العقد : لقد أعطيتك (بت لك) هذا المزار (المقصورة) الواقع فى جبانة « چى » وبئرها (أى المكان الذى يدفن فيه) ، ولك أن تدفن أهلک الذين تريد أن تدفنهم فيها ، وأن لك أجور ولينا (١) « بارت » السهل (أى المدفون فى السهل) فى بيوتها العلوية فى هذا المزار الواقع على جانبه الغربى وحدود المزار المذكور هى :

جنوبه : الممر المؤدى الى « أمنحوتب » .

شماله : مزار ولينا (شيخنا) « بتحر برع » اله البحارة ، وفناء معبد آمون بينهما .

شرقيه : مزار ولينا « بانا » وصومعته بينهما .

غريبه : مزار ولينا « باتف » والشارع بينهما .

وهذه هى كل حدود المزار (أى مزار القبر الذى يطلق عليه فى أيامنا حوش المقبرة) وقد أعطيتنى ثمن الاصلاحات التى عملتها فضة (أى تقودا من الفضة) وقد تسلمتها من يدك كاملة دون أى نقص . وقلبى مرتاح لذلك . ولقد بعته لك وهو ملكك ومزار قبرك هو ملكك .

الصيغة القانونية : وليس لى عليك أى حق كان باسمه (أى باسم المزار) وليس لأى رجل مهما كان ولا أنا سيكون فى استطاعته أن يكون له أية سلطة عليه الا أنت من الآن الى الأبد . وأن من سيأتى اليك بسية باسمى أو باسم أى شخص آخر ليستولى عليه منك أو من أهلک قائلاً : انه ليس مزار قبرك فانى سأجمله يتنحى عنك . ولن يكون فى استطاعتى أن أدفن أى شخص كان فى مزار القبر المذكور الذى تركته هنا الا أهلک الذين ستقول

(١) الولى أو الشيخ عند قدماء المصريين كان مثله كمثل اولياء الله الصالحين عندنا وربما كانت كثرة الاولياء عندنا منحدرة من هذا العهد الفرعونى بوجه خاص .

لى بأن يدفنوا فيه . ولن يكون فى استطاعتى أن أفتح الباب الذى ستخته مع وكيلى من اليوم (يقصد باب القبر الذى يختم حتى لا يدفن فيه أجنبى) ولن يكون فى استطاعتى أن أمنعك أنت ولا وكيلك الذى سيأتى إليه اذا دفنت شخصا فى مزار القبر سالف الذكر من اليوم المذكور أعلاه حتى الأبد الا أهلك الذين ستقول لى بأن يدفنوا فيه واذا فتحت الباب الذى ستخته هناك مع وكيلى فانه لن يكون فى استطاعتى أن أمنعك ولا أمنع وكيلك من اليوم فصاعدا الى الأبد . وسأدفع لك عشرين قطعة فضة أى مائة ستائر أى عشرين قطعة من الفضة ثانية فى اليوم الذى بعد يوم المحاكمة الذى ستحضره(?) ولك الحق على بخصوص قبرك المذكور أعلاه فى أن يظهر لك أيضا . وانى سأقل الشخص الذى سأدفنه فيه أيضا . ولن يكون فى استطاعتى أن أفتح الباب الذى ستخته هناك أيضا . وسأفقد لك كل كلمة على حسب ما ذكر عليه مع أولادى .

الجزء الثانى من العقد : لقد بعت لك مزار القبر هذا الكائن فى جبانة « جى » بجوار المزار الذى حدوده دوت أعلاه لأجل أن تضع أهلك فى حجرة الانتظار الخاصة بحجرة الدفن الكائنة هناك ولك الحق فى أن تضع أهلك الذين تريد أن تدفنهم فيها على الوسادات التى فيها من اليوم فصاعدا الى الأبد وحدوده هى :

جنوبه : مزار مقبرة « باويزى » بن « كلوج » .

شماله : مزار مقبرة صانع الفخار .

شرقيه : مزار مقبرة « چجو » بن « ايريز » المحنط .

غريه : التل .

وهذه هى حدود مزار المقبرة المذكورة أعلاه . وانه ملكك ومزار مقبرتك لتسم مزارين (أى ليصبح لك مزارين) . ولن يكون فى استطاعتى أن أضماها لأهلك المنتظرين ، ولن أضايحك أنت ولا وكيلك فى أى وقت ، وسأخلى مزارى المقبرتين المذكورتين أعلاه فى حضرة وكيلك بمجرد انتهاء العمل فيهما .

وأن أطفالك لهم الحق على أطفالي وأطفال أطفالك لهم الحق على أطفال أطفالي في أن يجعلوهم يعملون على حسب كل كلمة ذكرت أعلاه . ولك الحق في أن تقبض على إذا مشيت فيه ، وكذلك أولادى وأولاد أولادى من اليوم فصاعدا . وعليك أن تدفع لى عشرين قطعة من الفضة أى مائة ستاتر أى عشرين قطعة من الفضة ثانية . ولى الحق عندك لأجل الغسل فيهما وكذلك أولادى وأولاد أولادى ولن يكون فى استطاعتك أن تدخل فيهما أى فى المزارين المذكورين آنفا وهما اللذان أعطيتكما الا أنا وأولادى . وسأعمل لك على حسب كل كلمة ذكرت أعلاه ، وانك ستعمل لى على حسب ذلك أيضا . وسأخلى المزارين السالفي الذكر فى حضرتك وفى حضرة أهلك وهما مبنيان ومغلقتان وسأقوم بأى عمل يحتاج اليه فيهما . وقد جهزتهما بعروق الخشب اللازمة لهما وسيكون للوكيل القوة فى أن يوقف أى عمل فيه ضرر باسم أى شىء ذكر سابقا . وانى سأعمله على حسب أمره (أى أمر الوكيل) عن رضى وبدون أى ضرر .
كتبه « تيتارتايس » .

٢ - عقد بيع من عهد « بطليموس سوتر الأول » .

التاريخ : السنة الرابعة شهر توت من عهد « بطليموس سوتر الأول »
(= ٧ نوفمبر سنة ٣٠٢ ق.م) .

الطرفان : الطرف الأول : حانوتى « أمثوبى » فى غربى « طيبة » « جحو » بن « باحور » وأمه (هى) « تاتنفرحتب » . (= تنفحتب) .

الطرف الثانى : « الكلازيريس » لمعبد « آمون طيبة » « برت » بن « بانوفر » وأمه (هى) « أسحاربخرات » .

العقد : لقد أعطيتك (بعت لك) مزار المقبرة هذا الكائن فى جبانة « جحى » وكذلك بئر (مكان الدفن) ولك الحق فى أن تدفن فيه أهلك الذين تريد أن يدفنوا فيه (٢) وكذلك أجور ولينا « بارث » السهل (أى الأجور التى

تحصل من زيارته) فى بيوته العليا فى مزار مقبرته المذكورة الواقعة على جانبه الغربى وحدود المزار المذكور هى : جنوبه : المر المؤدى الى «امنحتب» (يقصد «امنحتب الأول» أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة وكان مؤلها) .
شماليه : مزار مقبرة ولينا « بتحار برع » اله البحارة وردده « آمون » بينهما .

شرقيه : مزار مقبرة « ولينا » « پاتا » (٣) وخلوته بينهما .

غربه : مزار مقبرة ولينا « باتف » .

وهذه هى كل حدود مزار القبر . ولقد دفعت لى ثمن الاصلاحات التى عملتها بالفضة . وقد تسلمتها من يدك تامة ورضى قلبى بها . وقد أعطيتك اياه (أى المزار) وهو ملكك وهو مزار قبرك .

الصيغة القانونية : ليس لى أى حق عليك باسمه ، ولن يكون فى استطاعة أى رجل ولا أنا الحق فى أن يكون له سلطان عليه الا أنت من اليوم فصاعدا الى الأبد . وان الذى سيأتى اليك بسببه باسمى أو باسم أى شخص ما ليخصبه منك أ ومن أهلك قائلا : «أنه ليس مزار مقبرتك فانى سأجعله ينصرف عنك .

بقية العقد : ولن يكون فى استطاعتى ان أدفن فيه أى شخص مهما كان فى مزار المقبرة المذكور الذى ترك هناك الا أهلك الذين تريد أن تقول لى بأن يدفنوا فيه ، ولن يكون فى استطاعتى أن امنعك أو وكيلك الذى سيأتى الى اذا دفنت شخصا فى مزار المقبرة المذكور من اليوم المذكور أعلاه الى الأبد الا أهلك الذين ستقول لى بأن يدفنوا فيه، واذا فتحت الذى ستختمه وكذلك، وكيلك ، لن يكون فى استطاعتى أن امنعك ولا وكيلك من اليوم فصاعدا الى الابد . وسأدفع لك عشرين قطعة من الفضة أى مائة ستائر أى عشرين قطعة فضة ثانية فى اليوم التالى للحكم الذى سيحكم به . ولك الحق على من أجل مزار قبرك المذكور أعلاه فى أن يطهر لأجلك أيضا . وانى سأقل الشخص الذى سأدفنه فيه أيضا ولن يكون فى استطاعتى أن أفتح الباب الذى ختمته أيضا .

ساومن لك على كل كلمة ذكرت أعلاه أنا واطفالي .

(٣) عقد نزول عن مزار مقبرة من عهد «بطليموس سوتر الأول» (١) .

التأريخ : السنة الرابعة شهر مسرى من عهد الفرعون «بطليموس سوتر الأول» (= ٢ أكتوبر سنة ٣٠٢ ق.م) .

الطرفان المتعاقدان : الطرف الأول : المرأة «تامن» صاحبة «حج» وأمها هي «تاريت» . الطرف الثاني : الكلازيريس لمعبد آمون مارت «بارت» بن «بانوفر» وأمه (هي) «اسحربخرات» .

العقد : لقد نزلت لك عن حقى فيما يخص مزار هذه المقبرة الكائن في جبانة «جى» وكذلك البئر وحدوده هي :

جنوبه : الممر المؤدى الى امنحتب .

شماله : مزار مقبرة ولينا «باتحاربوع» اله البحارة وردة «آمون» بينهما شرقية : مزار مقبرة ولينا «بانا» وخلوته (مقامه) بينهما .

غربية : مزار مقبرة ولينا «بانف» والشارع بينهما .

وهذه هي حدود مزار المقبرة ، وهذا المزار الآخر الذى فى جبانة «جى» وحدوده هي :

جنوبه : مزار مقبرة «باويزى» بن «كلوج» .

شماليه : مزار مقبرة صانع الفخار .

شرقيه : مزار مقبرة الكاهن المرتل «جحو» بن «ابريز» .

غربه : التل

وهذه هي كل الحدود لمزار المقبرة . وأهمها هو مزار مقبرتين وهما اللذان من أجلهما عمل حانوتى «امنثوبى» فى غربى طيبة المسمى «جحو» بن «باحور» وأمه (هي) «تتنفرحتب» زوجى ، اتفاق بيع لك فى السنة الرابعة شهر تحوت فى عهد الفرعون العائش أبديا . وهما ملكك وهما مزارا قبريك وستدفن فيهما

أهلك من هذا اليوم فصاعدا أبديا .
الصيغة القانونية :

ليس لى أى حق كان عليك باسمهما من اليوم فصاعدا أبديا وأن الذى سيأتى
اليك من أجلهما باسمى أو باسم أى شخص مهما كان فانى سأجعله ينفذ
عنك ، ولن يكون فى استطاعته أن يدفن شخصا آخر فيهما أى فى المزارين
السائقى الذكر لا أولادى ولا أولاد أولادى أبديا وسأعمل لك حسب كل
كلمة أعلاه ولى حق على «جحو» بن «پاحور» وأمه «تتفرحتب» السابقة
الذكر وذلك بالحق الذى منح لى بالكتابة التى عملها لى ليتيم لى على حسبها
هذا خلافا للكلمات التى كتبت أعلاه . كتبه « نات - اتيس » .

(٤) عقد بيع بيت من عهد بطليموس الأول : (١)

التاريخ : السنة الثامنة عشرة شهر هاتور من عهد الفرعون «بطليموس
سوتر الأول» (= يناير سنة ٨٧ ق.م.) .

الطرف الأول : الكلازيريس «تو» بن «بارت» وأمه هى «تيزى» (Teiese)
الطرف الثانى : حافوتى «امثوبى» فى غرب «طيبة» «وسرور» بن «جحو»
وأمه هى «تامين» .

العقد :

لقد جعلت قلبى يرتاح لبيع بيتى المبنى والمسقوف فى الحى الشمالى من
طيبة فى الغرب من حرم معبد «مونت» رب «واست» .
وحدوده هى :

جنوبه : بيت الكاتب «حرنوفى» بن «أوبتاح المبنى والمسقوف وساحتى
(حوش) المسورة .

شماله : بيت «بيتحر برع» بن «باكوس» المبنى والمسقوف وهو ملك
شارع الملك بينهما .

شرقية : بيت صانع الشمع لمعبد «آمون» «شنسو» بن «وچاحور» المبنى والمسقوف وهو ملك أولادة .

غربه : بيت الكاتب «حرنوفى» بن « اوبتاح » المبنى والمسقوف وردته التى هى عند بابه .

وهذه هى كل حدود البيت . لقد اعطيتك بيتى المبنى والمسقوف والذي كتبت حدوده أعلاه .

الصيغة القانونية :

ليس لى أى حق مهما كان عليك بخصوصه . وليس لأى انسان مهما كان أن يتسلط عليه الا أنت من هذا اليوم فصاعدا وان الذى سيأتى اليك من اجله باسمى أو باسم أى شخص مهما كان ، فانى سأنجيه عنك وسأطهره لك من كل سجل ومن كل أمر مهما كان فى أى وقت . وسجلاته ملكك فى كل مكان هى فيه . وكل شئ عمل بخصوصه وكل كتابة خول لى بها حق فانه لك . هذا بالاضافة الى الحقوق المخولة بها وما هو مخول لى باسمها هو ملكك وأن اليين أو الاثبات الذى سيفرض عليك فى محكمة العدل باسم الحق الممنوح بالكتابة عالياً وهو التى عملتها لك لأجل أن تجعلنى أؤديه فانى سأؤديه اثبات : والمرأة «تيزى» ابنة «حور» وامها هى «تشنخنس» زوجه تقول «أقبل وثيقة «كلازيريس» معبد «آمون» «تتو» بن «بارت» وأمه هى «تيزى» ابنى السابق الذكر لهذا البيت السابق الذكر لتجعله يعمل على حسب كل كلمة ذكرت أعلاه وأن قلبى لمرتاح بذلك دون تقرير أى عمل أو أى حق مهما كان عليك .

كتبه «تيتارتايس» بن «ثمن» .

(٥) عقد نزول عن بيت من عهد «بطليموس الأول» ،^(١)

التاريخ : السنة الثامنة عشر شهر هاتور من عهد الفرعون «بطليموس

سوتر الأول» (= ٢ يناير سنة ٨٧ ق.م.) .

الطرفان المتعاقدان : الطرف الأول : المرأة «تارا» ابنة «پارت» أمها هي «ست حتحور» . الطرف الثاني . كلازيريس معبد آمون «ثمن» بن «پارت» وأمه هي «تيزى» أخى الأكبر .

العقد : لقد نزلت لك عن البيوت والأرض غير المبنية والعبيد والنقود والنحاس والنسيج وأثاث الحجرة وكل شئ ملك «بارت» بن «باترى» وأمه هي «ثارت» أبوك وأبى وهى ملكك من اليوم فصاعدا ، وأنتك قد أعطيتى نصيبى فيها وقلبى مرتاح بذلك .
الصيغة القانونية :

وليس لى أى حق مهما كان عليك باسمها من اليوم فصاعدا وأن من يأتى اليك بسببها باسمى فانى سأجعله يتنحى لك عن طيب خاطر دون أى إبطاء ودون مصادمة .

كتبه «تيتارتايس» بن «ثمن» .

خلاصة سياسة بطليموس الأول ونتائجها فى داخل البلاد وخارجها

من المستطاع الآن بعد أن استعرضنا ما قام به «بطليموس الأول» فى داخل البلاد المصرية وخارجها أن نقرر هنا أن أعظم نصر ناله هذا العاهل الحازم كان فى ميدان السياسة لا فى ميدان الحرب ، وذلك على الرغم من أنه كان قبل كل شئ جنديا ماهرا أظهر بطولة فى مواقف عدة مع سيده ورفيق صباه الاسكندر فى الحروب الطاحنة التى خاض غمارها الأخير وأحرز فيها الانتصار تلو الانتصار بصورة لم يسبقه فيها ولم يلحقه قائد فى كل عصور التاريخ ، وكان «بطليموس» فى كل هذه الحروب ظل «الاسكندر» وساعده الأيمن .

وعندما تولى بطليموس بن «لاجوس» شئون مصر بعد موت «الاسكندر» ظهرت مواهبه الاجتماعية بنجاح فى تحسين حالة البلاد الداخلية وبخاصة بالنسبة لمواطنيه من المقدونيين والاغريق . ولقد كان من جراء هذه السياسة أن أصبحت «الاسكندرية» فى آخر فترة حكمه عاصمة البلاد الجديدة ولقد عرف «بطليموس الأول» كيف يبنى وراء حدود مصر الصعبة المنال من عناصر غير متجانسة ولا متألقة مملكة ثابتة الاركان قوية البنيان فى ظاهرها حتى أصبحت تسير فى ركب الظروف التى فرضها الفتح المقدونى وتندفع فى تيار الحياة السياسية التى كانت سائدة فى هذه الفترة من تاريخ العالم ، ولا نزاع فى أن العمل الذى بدأه وأتمه فى مصر ليس بالعمل السهل اذ الواقع أن مصر كانت منذ فجر تاريخها فى مقدورها على مر الأحقاب أن تهضم فى جوفها أى أسرة أو قوم وفدوا عليها ليستوطنوها أو ليفزوها من الخارج . غير أنه عند

دخوله أسرة البطالمة واتباعها من المقدونيين والاغريق كان الغزاة يتطلبون منها أكثر من ذلك . اذ كان عليها أن تقبل تسلط سيطرة ثقافة أجنبية وقوم اجانب في آن واحد ، مما لم يسبق له مثيل في تاريخ أرض الكنانة . وحقيقة الأمر أن المسألة التي كانت قد وضعت أمام امبراطورية «الاسكندر» بعد وفاته كان لا بد من حلها في مجموعها بوساطة كل من الدول التي تشعبت اليها هذه الامبراطورية التي انهارت على أثر وفاته . والواقع أن ما كان يرمى اليه «الاسكندر» هو أن يكون تحت سلطانه دول مؤلفة من عدة شعوب مختلفة وأن يسمح للاقوام الشرقيين أو على الأقل لبعضهم أن يصبحوا في منزلة تكاد تتساوى مع منزلة الاغريق والمقدونيين ، وذلك مع المحافظة على ميراث الفاتحين وسيادة الحضارة الهيلانستية ونشرها في كل بقاع امبراطوريته . ولا بد أن نذكر هنا أن «الاسكندر» لم يقم بأية تفرقة من أى نوع بين رعاياه الشرقيين . وعندما يتحدث المؤرخون عن المساواة بين الاغريق والأجانب فإن المقصود به بوجه خاص الاجانب الفرس أو بعبارة أعم الايرانيون غير أن «الاسكندر» منذ مروره بمصر أى قبل أن تبلور في ذهنه سياسته في ضم الامم بعضها الى بعض كما حدث بعد فتحه لآسيا نجد أنه قد طبقها على المصريين الذين لم يعاملهم معاملة المقهورين والواقع كما رأينا من قبل أنه ترك لهم ادارة البلاد في أيديهم كانها ادارة مستقلة^(١). وتدل شواهد الأحوال على أن «الاسكندر» قد عظم آلهة البلاد واحترم مؤسساتها الوطنية ، ولا غرابة في ذلك فقد كان يعد نفسه فرعوناً مصرياً . واذا فرضنا أن «بطليموس الأول» أراد أن ينكر هذه السياسة ، فانه كان من الصعب عليه جدا أن يقطعها دفعة واحدة . ويقول بعض المؤرخين أن «بطليموس» شطربة مصر قد أراد أن يحقق سياسة «الاسكندر» الكريمة فيما يتعلق بمصر

مصر ودمجها بالبلاد الهيلانستكية وهى السياسة التى كان يرمى ويعمل من أجلها هذا الفاتح. ولكن «بطليموس» ترك هذه السياسة منذ حوالى ٣١٢-٣١١ ق.م. ومنذ ذلك العهد اتبع سياسة «سيلوكوس» حاكم بابل وكان يعد أول من ميز بين رعاياه من المقدونيين والاغريق والاجانب وذلك بتمييز المقدونيين والاغريق على من سواهم عامة (١).

ويلحظ أن «بطليموس الأول» عندما تولى ولاية مصر صدم فى بادئ الأمر فى شعوره الوطنى وفى منفعته الذاتية من جراء الاجراءات المالية الذى اتخذها الشطرية الأول «كليومنيس» الاغريقى الذى كان قبله يقبض بوجه خاص على زمام الأمور فى الديار المصرية. فكان أول عمل قام به هو محاربة «برديكاس» صديق «كليومنيس»، ثم من بعده «انتيجيوس الأخور». ومن أجل ذلك كان عليه أن يحسب حساب شعور رعاياه وهؤلاء الرعايا لم يكونوا الشعب المصرى وحسب بل كانت هناك طبقة من الاشراف الذين كانت فى يدهم ادارة البلاد، هذا فضلا عن رجال الدين، وهؤلاء كانوا جميعا مخلصين للذكرى الفاخرة التى تركها آخر فرعون من فراعنة مصر المستقلة (٢)، وقد رأى «بطليموس» أنه من الحكمة وسداد رأى ليجعل نفسه مقبولا عند الشعب المصرى الا يحكم البلاد على غير رغبة الاهالى ولا بدونها ولحسن الحظ وجد ضالته ونجدته فى فكرة اتباع نظام الحكم الفرعونى وذلك لأن الفراعنة كانوا يحكمون البلاد فى هدوء وسكينة دون قيام أية ثورات، لأن كل فرعون كان يعد فى نظر الشعب آلهما وأنه ابن «رع» أو ابن «آمون رع» ووارثه وبهذه الصفة كان سيد مصر الذى لا منازع له من كل الوجوه.

وقد اعتنق «الاسكندر» هذه العقيدة من قبله وآمن بها وقد وضحت فى اسماء الفرعون الخمسة، وقد أشرنا الى ذلك من قبل، وقد حمل هذه الالقاب

(١) راجع E. Kornemann, Die Satrapen Politik des Ersten Lagides in Raccolta Lumbroso. P. 235-245.).

(٢) راجع مصر القديمة الجزء ١٣ ص ٤٨٤.

أو الاسماء من بعده «فليب اريداوس» ثم «الاسكندر الرابع» ، وذلك بفضل عناية الشرطة «بطليموس» بن «لاجوس» وحسن فهمه لمقلية الشعب المصرى وعاداته . وعندما أصبح «بطليموس» فرعوناً بدوره أدخل نفسه ضمن أعضاء الاسرة الالهية أى أنه أصبح ابن «آمون رع» ، وعلى ذلك نجد انه قد اتخذ الاجراءات اللازمة لاحترام ديانة القوم التى أصبح هو رئيسها وحاميها على غرار من سبقه من فراعنة مصر ، فصار على نهج أسلافه فى اقامة المحاريب وتزينها وحبس الاوقاف عليها مما أرضى الآلهة .

غير أنه من السهل عليه ارضاء الآلهة ولكن كان من العسير ارضاء كهنتهم ، وسبب ذلك كما هو معلوم أن الكهنة فى مصر كانت تتألف منهم قوة مستقلة فى الديار المصرية . وكان هم «بطلوس» هو الوصول الى أخضاعهم دون ابعادهم أو القضاء عليهم وسرى فيما بعد كيف أن طبقة الكهنة قد خضعوا فى نهاية الامر وأن أملاك الآلهة والاراضى المقدسة التى كانوا يسيطرون عليها من أقدم العهود قد أصبحت معتبرة هدية من الملك ، وأن موظفى الملك هم الذين يديرون شئونها ، كما أن امتيازات المعابد الشاسعة قد حددت ، وأن الخدمات الدينية تتبعها الحكومة ، وأن الكهنة كان يراقبهم ممثل الملك ، وفى مقابل ذلك كانت الحكومة تضمن لجماعة الكهنة بأوقاف خيرية ومرتبات ثابتة مكافأة على الخدمات التى كانوا يقومون بها . ولا نزاع فى أن هذا النظام كان معمولاً به منذ عهد «بطليموس الاول» بل يحتمل قبل ذلك فى العهد الفرعونى (راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ١٦١ - ٢٤٦) ولكن المهم هو أن نعرف الى أى حد كان هذا النظام متبعاً . والواقع أننا نجعل ذلك . والظاهر أن «بطليموس» قد ضاعف من الهبات التى كان يقدمها للمعابد ليكسب بها الكهنة الى جانبه وهذا ما كان يعمل ملوك الاسرة الثلاثين للكهنة كما أوضحنا ذلك فى غير هذا المكان (راجع مصر القديمة الجزء ١٣ ص ٨٤) . يضاف الى ذلك ما نجده فى لوحة

الشرطة المشهورة فقد جاء في نصها تثبيت ملكية ضيعة « باتانون » لآلهة «ب» و «دب» . فقد كان «دارا الثالث» قد اغتصبها وأعادها الى الملك المصرى «خاباشا» الذى ثار على الفرس واستقل بالبلاد فترة . وبكل أسف هذا هو كل ما نعلمه عن هذه اللوحة من هذه الوجهة ، كما أوضحنا ذلك فيما سبق . والواقع أن مركز «بطليموس» كان دون أى شك دقيقا ، فقد كان من واجبه أن يفهم أن الفراعنة أنفسهم كانوا فيما مضى قد فطنوا الى مقدار نفوذ الكهنة فكانوا لا يطلبون منهم أكثر مما يجب .

والظاهر أنه فى خلال القرن الرابع قبل الميلاد فى عهد حكم الفرس كانت الأسر الكبيرة أصحاب الضياع الشاسعة هى المسيطرة على الأرض القابلة للزراعة وعلى الوظائف الادارية فى البلاد ، أما الفرعون نفسه فكان ينتخب من احدى هذه الأسر الشريفة ، ولم يكن فى مقدور «بطليموس» أن يحكم دون أن يكون له أملاك وحوله جماعة من الموظفين الأمناء . ولذلك فإن أول عمل قام به هو وضع يده على الاراضى الملكية ، وكان بدون شك لديه الفرصة فى تسميتها وذلك بنزع أملاك من آخرين بطرق شتى ، ولم يكن أمامه الا أن يعمل على حسب مبدأ النظرية القائلة أن الملك هو المالك لكل الاراضى المصرية . ومن ثم كان هو الواهب لكل ملكية جديدة وأصبح كل شئ ملكه غير أن هذا المبدأ لم ينفذ بكل حذافيره اذ قامت فى وجهه معارضات شديدة جدا ، ولذلك فإن «بطليموس» ترك للعظماء أملاكهم كما نزل لهم عن جزء من ادارة البلاد . والآن يتساءل المرء عن سياسة «بطليموس» تجاه الأسر الكبيرة؟ والواقع أن هذه الأسر كان لها تأثير كبير جدا فى الشرق ، وقد كان على الملوك أن يعملوا لها حسابا ، فنجد مثلا أن «بطليموس» عندما أخذ على عاتقه حكومة البلاد وجد فيها أسراقوية الجاه بعضها مصرى وبعضها الآخراغريقى ، وذلك لأن الآخريين كانوا قد استوطنوا مصر منذ «بستميك الأول» كما اسلفنا ، وليس من باب العلم أن نقول أن «كليومنيس» النقراشى كان ضمن هذه الأسر

الأرستقراطية . هذا ونعلم من نقوش مقبرة «بتوزيريس» أن صاحبها كان من أسرة مصرية عريقة رجالها من طبقة الكهنة . وتدل نقوش هذه المقبرة على أن «بتوزيريس» كان يملك أراضى شاسعة ، وكذلك «نقطان» ابن أخى الفرعون «نقطان الثانى» آخر فراعنة مصر كان لا يزال على قيد الحياة فى عهد «بطليموس الأول» ، وكان يمثل طبقة الاشراف فى الجيش (١) . وبظن المؤرخ «شور» (W. Schur) أن أسرة «نقطان» هذا كان لها أملاك واسعة فى مقاطعات «بوتو» (وعلى الأرجح فى بلوز) و«تانيس» و«سنود» ولكن من جهة أخرى لم تحدثنا النقوش التى فى متناولنا عن هذه الأملاك ؛ وعلى ذلك فإن ما ذكره «شور» ليس الا من باب الحدس والتخمين . وعلى أية حال لم تحدثنا النقوش المعروفة حتى الآن عن اشراف مصر فى عهد القرن الثالث قبل الميلاد بعد عهد «بطليموس الأول» . والظاهر أن طبقة الاشراف فى مصر كانت قد انقرضت فى عهد «بطليموس الثانى» وفى عهد «بطليموس ايرجينيس الأول» خلفه وما ذلك الا لسياسة جديدة أدخلت فى نهاية شطرية «بطليموس الأول» . وعلى ذلك كان الهيلانيون فقط فى النصف الأول من القرن الثالث هم الذين يتكون منهم طبقة الاسياد الأثرياء مثل «أبولونيوس» آخر وزير مالية فى عهد «بطليموس الثانى» ومثل «كريزموس» الاسكندرى (Chryemus) فى عهد «اريجيتس» و«سوسيبيوس» الوزير الأول (Susibios) فى عهد «فيلوبوتر» ، وهو ابن «كريزموس» . وغيرهم ، والظاهر أن ملوك البطالمة قد حذوا حذو جددهم الأكبر «بطليموس الأول» بالألا يتركوا الفرصة لعظماء بلادهم بأن يصبحوا أغنياء أكثر مما يجب أو تتجمع فى أيديهم سلطة كبيرة . هذا ولما كان ملوك مصر يعدون نظريا الملاك الوحيدين لأرض مصر ، فانهم على ما يظن لم يتركوا لغيرهم المجال لامتلاك أراضى هامة جدا ، وقد ظهرت هذه السياسة فى نظام الضيعات كما وصفها لنا المؤرخ الروسى «روستو فستزف» (A Large Estate. P. 40) وعلى حسب رأى هذا

(١) راجع مصر القديمة الجزء ١٣ ص ٢٨٥ - ٢٨٦ والجزء ٩ ص ٤٨٦ - ٤٩١ والجزء ١٢ ص ٢٩٦ .

المؤرخ لم تكن ملكية الضيعة وراثية . والظاهر أن الطبقة المتوسطة بوجه خاص هي التي أراد البطالمة أن يشتوها في أرض مصر على مساحات متواضعة مثل رجال الجنود المرتزقين فقد كان كل واحد منهم يمنح قطعة من الأرض مدى الحياة ما دام يعمل في الجندية أو كان يعمل في الجندية وبلغ سن التقاعد ، وكان نصيب الجندي على حسب جنسيته ومكاته في الجيش . وعلى أية حال كانت ملكية الجندي تتراوح ما بين خمسة وستة أرورات (لأهل البلاد) وكانت تصل الى مائة أرورة أو أكثر لغير المصريين وبخاصة المقدونيين والاعريق . هذا ولا يفوتنا أن نذكر هنا أنه كانت توجد ملكيات تبلغ آلاف الارورات (١) كما أن بعض ملكيات الجنود المرتزقة قد انتهى بها الأمر أن بقيت وراثية في أسر هؤلاء الجنود (٢) . وقد بقيت بعض هذه القطع الكبيرة من الارض التي كان يملكها هؤلاء الجنود لأولادهم الذكور وهي التي كانت في الأصل هبة من الملك ، ومن ثم أمكن تكوين ضيعات كثيرة على مر الأيام على حساب الأراضي الملكية . (وقد تحدثنا عن هذا الموضوع في غير هذا المكان) .

وفي القرن الثاني بعد الميلاد قامت الثورات الوطنية في عهد «فيلوباتور الأول» وفي حكم «ببليوس ايقانوس» وظهر في الصف الأول أعضاء الارستقراطية المصرية أمثال «ديونوسيوس» - «بتوساراييس» الذي قام بثورة في عهد «ببليوس الرابع» «فيلومتور» وهو الذي كان يلقب في البلاد بالسمير (٣) وكذلك يحتمل مثل «پاوس» (٤) وهو الذي وكل اليه الملك

(P. Lille 37

Lesquier, Les Institutions Militaires des Lagides. P. 230. راجع (٢)

(Diod. XXX, 15

(De Riggi, Arch. II, P. 518

راجع (١)

راجع (٣)

راجع (٤)

«بطليموس ايرجيتيس» أمر تهـدئة اقليم «طبية» ، وهؤلاء العظماء كانوا مصريين وقد أصبحوا هيلانيين في ميولهم ، وقد دخل في صفوف هذه الطبقة المتوسطة التى أصبحت هيلانية الصبغة أفراد من الذين يسكنون المدن ، ومن المحتمل أنهم كانوا يملكون فى القرى الجزء الأعظم من الأراضى المنزرعة ، وهذا فضلا عن الأراضى الملكية والأراضى المقدسة ملك المعابد ، وكان لذلك الضم أثر عظيم فى تاريخ مصر فى عهد البطلمة (١) .

وفى عهد «بطليموس الأول» بقيت حال الاهالى على ما هى عليه، فقد ظلت البلاد مقسمة مقاطعات على رأس كل واحدة منها حاكم مقاطعة ، غير أن المقاطعة أصبحت فقط دائرة حرية يديرها ضابط وهو القائد الذى كان يشرف على الشرطة والادارة ، وهذا القائد كان فى العادة مقدونى الأصل ، أو اغريقى المنبت ، وكان حاكم المقاطعة فى أغلب الأحيان مصرىا وذلك حسب السنة التى سنهـا الأسكندر فى بعض شطرياته ، وذلك أنه كان يضع بجانب القائد المقدونى أو اليونانى شطربة أسىويا وكان فى قدرة حاكم المقاطعة أن يدير شئون الجنود الوطنيين بالاشتراك مع القائد المقدونى أو الأغريقى ، وهذه كانت الحال مع الأمير «قطناب» السالف الذكر فى مقاطعات الحدود الثلاث للدلتا وهى «بلوز» و «تانيس» و «سمنود» .

أما السواد الأعظم من أهل مصر وهم الفلاحون وصغار الصناع فى المدن والقرى فقد كانوا يعملون ويكسحون كما هى العادة لضمان ثراء البلاد، وكان الفلاحون مرتبطين بالأرض التى يزرعونها بوصفهم زراعا لأصحاب الارض الاغنياء ، أو للآلهة ، أو للملوك . هذا ولا نعرف موقف المزارعين الملكيين فى عهد «بطليموس الأول» . والظاهر أن حالتهم صارت لا تختلف عما كانت

عليه فيما مضى من عهد الفراعنة ، فقد كانوا يعيشون بمقتضى قانون عقد يربطهم بواجباتهم مع ضمان أرزاقهم ، اذ كان لهم بعض ميزات أو بعض فوائد تحفظ كياناتهم وتسد رمقهم . وكانت أحوال هؤلاء مشابهة للتي كانت تجرى فى الضياع العظيمة ، ولا نزاع فى أن هؤلاء الزراع كانوا يكونون السواد الأعظم من المصريين الذين كان عددهم فى مصر المكتظة بالسكان وقتئذ موضع دهشة الاغريق وسنتحدث عن حالة هذه الطبقة الكادحة وعلاقتها بالادارة الاغريقية وبخاصة فى القىوم فيما بعد .

أما من جهة أصحاب الحرف فانهم كانوا يعملون فى المصانع الملكية ولا غرابة فى ذلك فان مصر كانت فى ذلك تعد البلد العريقة فى الاحتكار . والواقع أن هناك أسبابا قوية تدعو الى الاعتقاد بأن «الأسكند الأكبر» وقد وضع نهاية للاحتكار ، وأن «بطليموس الأول» قد اعاده من جديد وبالغ فيه «بطليموس الثانى» كما سنرى بعد (١) .

وقد كانت هذه السياسة فى صالح العالم الايجى الذى كان يتنازع وده ومصافاته حكام امبراطورية الاسكندر الذين خلفوه ، وكانت هذه البلاد تدفع من أجل ذلك أثمانا بخسة لشراء الحبوب المصرية التى كانت ترد الى أسواقها ؛ وكان الغاء الاحتكار كذلك مفيدا لأصحاب الحرف من المصريين الذين كان عملهم وما يعود عليهم منه من فائدة كبيرة حرا بعيدا عن قبضة الحكومة والتحكم فى أرزاقهم . حقا فقدت خزانة الدولة بذلك مواردغيرة وسنرى أن «بطليموس الثانى» قد عاد الى التقاليد القديمة الفرعونية من حيث الاحتكار وغيره من الشؤون المالية وهى الخطبة التى سينتهجها كل أخلافه . ويكفى أن نذكر هنا قوانين الدخل التى أصدرها «بطليموس

(١) راجع Gustave-Glotz, Bulletin de la Société Royale d'Archéologie d'Alexandrie, No. 25, (1930), P. 83-96

الثاني» في السنة السابعة والعشرين من حكمه ، غير أن متون هذه القوانين ليست في الواقع الا اعادة لنشر اجراءات كانت قائمة من قبل ويحتمل أنه قد عمل فيها بعض تغييرات .

وقد ارتفع من جراء ذلك ثمن ورق البردى منذ بداية حكم «بطليموس الأول» وبعد نزوله عن الملك وقد كان الاحتكار منذ عهد «بطليموس الثاني» ثابتا شائعا في أنحاء البلاد .

ومجمل القول أن المدن المصرية في عهد حكامها الجدد كانت تعيش عيشتها العادية ، ولكن لما كان «بطليموس الأول» يريد أن يظهر احترامه لأهل البلاد فانه اختار أن يجعل مقر حكمه في «منف» المصرية وبخاصة أن هذه المدينة كانت توارى جثمان «الاسكندر الاكبر» ؛ واذا صدقنا رواية رواها المؤرخ «بوزانياس» فانه كان في نيته تركها ، ولكن «منف» لم تكن المدينة الملكية الوحيدة . فعلى حسب عادة أسلافه اتخذ مقره في عاصمة ثانية جديدة لتكون مقرا جديدا لأسرته . وهي قلعة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «الاسكندر الاكبر على شاطئ البحر الابيض المتوسط وتسمى «راقودة» = «الاسكندرية» . والواقع أن اختيار «منف» عاصمة للبطالة كان من الحجج الرئيسية التى أوردتها المؤرخ «كورنمان» عن رجحان عقل «بطليموس» وبعد نظره . فقد كان مقر «بطليموس» بن «لاجوس» فيها ، وقد كان له فيها قصر وكذلك نجح في دفن «الاسكندر» فيها على حسب أحد الآراء ، وعلى ذلك كانت تعد قلب امبراطوريته . والظاهر أن بطليموس قد بقى أمينا على فكرة «الاسكندر» التى كانت ترمى الى أن تبقى المدن الشرقية التى تعددت فيها السلالات مثل «بابل» وان تختلط هذه السلالات بالعالم الهيلانستىكى وتتحدمه من حيث الثقافة والعلوم . ولا نزاع في أن مقالته «كورنمان» في هذا الصدد يحتوى على الكثير من الحقيقة . ومع ذلك فانا عندما نتحدث عن اختلاط السلالات فلا بد لنا من تحديد الكلام عنه . ومن

الجائز أن «بطليموس الأول» لم يكن في مقدوره أو لم يرد أن يحكم على غير رغبة الشعب المصرى الأصيل ؛ ومن الجائز بل ومن الطبعى أنه أراد أن يخلق روابط بين رعاياه الاغريق ورعاياه المصريين كما سنرى . وعلى أية حال يجب أن نستخلص من ذلك أنه أبى أن يعطى المقدونيين والاغريق المكانة الأولى ، وأنه لم يكن له سياسة هيلانية معينة والواقع أن هذا أمر يبعد تصديقه ، اذ نجد أنه عمل بحزم واعتدال لم يقلده فيهما أخلافه ، ولكن كل ما يمكن أن يفهم من بين السطور فيما ورد فى عهد أخلافه يمنعنا أن نحكم أنه كان عنده نفس المقاصد والميول التى كانت تنطوى عليها روح «الاسكندر الاكبر» بالنسبة للشرقيين . ولا ريب فى أن كثيرا من البيانات التى استعان بها «كورنمان» ليس فيها من الأدلة ما يبرهن على ما جاء فيها . حقا كانت «منف» عاصمة البلاد لها مركز ممتاز ، غير أننا لا نعرف اذا كان بطليموس سكن فيها بصفة مستديمة عادية . وقد ذكر لنا «استرابون» القصور الملكية التى قيمت فيها على ربوة بها حدائق غناء وبساتين مشرة وبحيرة عظيمة (١) وهذه كانت موجودة منذ زمن طويل (٢) . وكانت تعرف باسم (المقر الملكى) (٣) . وذلك على غرار ما كانت تسمى به الاسكندرية (٤) . والبردية التى قتبسنا منها هنا تدل على أن «منف» كانت مسكونة فى عهد «بطليموس الثانى» ، فى حين أنه بعد هذا التاريخ بمائتين وخمسين سنة قد رآها استرابون خربة ، غير أن ذلك لا يكفى لان يعطى الاسكندرية أهمية

Strabo, XVII, I, 32; Diod. I.5, 3-6)

Sethe, Untersuchungen, III, P. 121.

C.C. Edgar. ad. P. Zen. 59155).

Bull. Soc. Alex. X, P, 198)

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

عظيمة خارقة لحد المألوف ، فقد كان هناك مقرات ملكية في كثير من مدن مصر (١) وقد كان بجانب العاصمة الوطنية ، «الاسكندرية» وهي العاصمة الاغريقية ، وقد جاء في لوحة الشطربة حرقا انها كانت عاصمة «بطليموس» فهل معنى ذلك أن «الاسكندرية» في هذه اللحظة كانت قد حلت محل «منف» ، وأن «بطليموس» قد غير اتجاه سياسته ؟ ولوحة الشطربة هذه تؤرخ كما ذكرنا من قبل على أكثر تقدير بالسنة الحادية عشرة بعد الثلاثمائة ق.م ، وهذا الوقت كان مبكرا جدا لأن تفكر في التأثير الذي أحدثته سياسة «السليوكين» وهو التأثير الذي ظنه المؤرخ «كورنمان» كان حاسما . وماذا يمكن لانسان أن يقول في رأى الأثرى الرومى «ستروف» الذى يرى أن لوحة الشطربة يظهر تماما أنها تشير الى الحملة التى قام بها «بطليموس الأول» على بلاد «سوريا» عام ٣٢٠ ق.م وفى عام ٣١٧ ق.م (٢) .

ولابد أن نعترف أن هذا التاريخ يمكن أن يقبل تماما وذلك اذا حسبنا السنة السابعة من عهد «الاسكندر الرابع» أنها تبتدى من أول سنة ولادته كما جاء فى ورقة المتحف البريطانى رقم ١٠١٨٨ ، لا على حسب الورقة التى جاء فيها تاريخ موت «فليب اريداوس» كما جاء فى ورقة «الفنتين» رقم ١ والبرهان الذى استخلصه من وجود مقبرة «الاسكندر» فى «منف» له أثر قوى وبه يمكن أن نسلم مع «كورنمان» على حسب ما رواه المؤرخ «بوزانياس» (٣) ان نية «بطليموس» كانت أن تترك الجثة فى العاصمة المصرية .

Scylax Periple. Diod. Geogr. Min. P. 80).

(١) راجع

Struve, Der Zeitpunkt der Erklärung Alexandriens
Zur Hauptstaat Agyptens, Bulletin de l'Académie
des Sciences de l'Union des Républiques Soviétiques
Socialistes VII, Série. Cl. des Sciences Historico-
Philosophiques (1928), No. 3. P. 197.

(٢) راجع

(Pausanias, I, 6, 3

(٣) راجع

وذلك على الرغم من أنه كان من الطبيعي أن تدفن الجثة في المدينة التي وضع أساسها . ومع ذلك فانه لو كان هذا الاجراء قد تم بالنسبة لمنف المصرية فانه لا يمكن أن نرى فيه ميلا غير ملائم للهيلانية، اذ الواقع أن كل شيء كان اغريقيا حتى في «منف» حول قبر «الاسكندر» . فكان الكاهن الموكل باقامة الشعائر له وهو الذي كان يمكن التاريخ بسنيه في الكهانة مثل الفرعون، هو الذي جاء ذكره في ورقة الفنتين رقم واحد ويظهر أنه كاهن الاسكندر. وكان يحمل اسما اغريقيا . وقد احتفل بجناز «الاسكندر» ، هذا ويوضح لنا المؤرخ «روبنسون» أنه لابد أن نستنبط أن قبر «الاسكندر» في «منف» كان كالمقابر التي اقيمت في الاسكندرية من هذا العصر . والظاهر ان الاسكندر لم يعامل كأنه فرعون ، وذلك ان «منف» كانت تحتوى على أحيائها ومجتمعاتها الاغريقية التي كان لابد أن يكون لها ميزاتها الهامة ، ولا يمنع ذلك من أن يعتقد المصريون بأنه فرعون منحدر من صلب الاله «آمون رع» كما أوضحنا ذلك في حينه وان كان الاغريق لا يقرون ذلك . والرواية التاريخية أو على الأقل بعض الرواية التاريخية التي نجدها فيما كتبه «بوزانياس» (٢) وذكرها «روبنسون» على ما يظهر (٣) قد تأثرت بتعصب بعض الأوساط الاغريقية المقدونية بالنسبة «لبطليموس الثانى» ، واذا كان الأمر كذلك فان الاغريق المقدونيين لم يعدوا اختيار «منف» مضرا لصالح الهيلانيين . والواقع أن الاسكندرية مدينة اغريقية أو على أية حال فان المدينة الشاسعة التي كانت تحتوى على خليط من السكان كانت تشمل بلدة اغريقية كانت بطبيعة الحال لابد أن تفرض نفوذها اذا لم تكن تفرض

(١) راجع O. Rubensohn, Bull. Soc. Arch. Alexandrie XII, (1910). P. 83-6.

(Pausanias I,7, 1,
Rubensohn, Ibid. P. 86).

(٢) راجع

(٣) راجع

قوانينها على السكان . وذلك لأن بطليموس لم يكن في مقدوره أن يؤسس شيئاً ثابتاً دون مساعدة الهيلانيين كما كانت الحال مع الاسكندر وأخلافه (١) ولا غرابة في ذلك فقد كان «بطليموس الأول» نفسه مرتبطاً بالثقافة الاغريقية ولم يكن له معرفة بالشعب المصرى الا معرفة سطحية جداً ولذلك لم يكن في مقدوره أن يتصور قط أن يكون له حكومة لم يكن للهيلانيين فيها مكانة مرموقة محسنة ، وسنرى أن أخلاف «بطليموس الأول» الذين جاءوا على أعقابهم كانوا يتبعون سياسة هيلانستىكية متعصبة اتهمت بوضع المصريين أبناء البلاد في منزلة منحلة اذ قد أبعدوهم عن الوظائف العالية كما انتقصت أملاكهم الوراثية لفائدة المهاجرين من الاغريق وغيرهم ممن وفدوا على مصر في الثراء والغنى . ولا نزاع في أن هذا النظام قد أثار رد فعل عنيف وقيام ثورات كانت في النهاية سبباً في اضعاف أسرة البطالمة مما ستحدث عنه في حينه . والآن يتساءل الانسان هل رد الفعل هذا كان قد أوجده خالق مصر الفرعونية ؟ وهل نستطيع أن نعرف الفكرة التى جالت بذهن «بطليموس الأول» ليجعل مصر دولة هيلانية الصبغة ؟ وهل رأى أن تحكم المدينة نفسها بنفسها على غرار نظم الحكم في المدن الاغريقية لتتحقق الحياة الهيلانية التى رسمها جميع مقوماتها ؟ ولأجل تنفيذ مثل هذا النظام في مصر كان لابد من تأسيس مدن كالمدين الاغريقية في مصر . وقد ترك لنا «الاسكندر» مدينة «قراش» كما وجدها عند الفتح وهى مدينة ميليزية انشئت في العهد الساوى وأسس مدينة «الاسكندرية» كما أسس «بطليموس الأول» في اقليم «طية» على مقربة من جرجا (المنشية الحالية) مدينة «بطليمياس» . وليس في هذا ما ينافى التقليد الفرعونى فقد رأينا «بسماتيك الأول» دعا الى بلاده الجنود الاغريق المرتزقين وأسس لهم بلدة قائمة بذاتها كان لها حكومتها

الخاصة كأنها حكومة أخرى في قلب حكومة البلاد المصرية ، على أن الصعوبة في وجود مثل هذه المدن في مصر هي التوفيق بين سلطة الفرعون وحكومة المدينة المستقلة . والواقع أن القانون الخاص بمدينة «سيريني» (في لوييا) قد عثر عليه ومن ثم يمكن به توضيح بعض ميول « بطليموس الأول » بالنسبة للمدن الاغريقية ونوع الدستور الذي كان يفضلها وبخاصة عندما نعلم أن «سيريني» كانت مدينة اغريقية لحما ودما منذ زمن بعيد على الرغم من أنها في «افريقيا» . وكان دستور هذه المدينة يتألف من جماعة من المواطنين يقدرون بمائة فرد ولكن كان عددهم في «سيريني» أكبر من ذلك اذ يتراوح بين مائة الى ألف وكانوا يجتمعون في جمعية خاصة ، كما كان للمدينة مجلس شيوخ يتألف من خمسمائة عضو ينتخبون بالتصويت ، وكانوا مكلفين بمراقبة الادارة ، ومن مجلس مديرين مؤلف من مائة وواحد ن القدامى يختارهم عشرة آلاف ، ومن كاهن تسمى به السنة للاله «أبوللو» ، ومن تسعة حكام يكلفون بالسهر على تنفيذ القانون ومن خمسة حكام منتخبين لمقاومة سلطان الملك ، وكان لهم عليه نفوذ (Ephors) ومن اثني عشر قائدا . ومن بين الحكام الذين كان لهم أهمية عظيمة أولئك الذين كانوا يديرون شئون البلد وهم القواد وكانوا يغيرون سنويا الا واحد كان يعنى مدى الحياة وهو الشرطة (١).

ولا نزاع في أن جمهورية «سيرين» التي كانت ضمن فتوح « بطليموس الأول » - وقد كان سبب الاستيلاء عليها الاضطرابات الداخلية التي حدثت فيها كما أسلفنا القول في ذلك ، لا يمكن تشبيهها بالمدن الحديثة التي أسست في مصر كما لا يمكن قرنها «بنقراش» ، والواقع أنه على الرغم من اعترافها بخضوعها لمصر فانها لم تكن تكون جزءا لا يتجزأ من مصر كالمدين الأخرى التي نشأت في وادي النيل ، وليس بصحيح أن النظام الذي وضعناه الآن لا يمكن

أن يعبر عنه بالارستقراطية المهدبة (١) .
ومن ثم يمكن معرفة نظام الحكم في الاسكندرية ففيها نجد جماعة المواطنين
وكانت المدينة مقسمة أقساما ادارية أو أحياء (Demes) وكان لها مجلس
شيوخ هو جمعية محدودة العدد من المواطنين ، ومن المحتمل كذلك أنه كان
لها مجلس من القدامى (Gerousia) وحكام ومحاكم كما ذكرنا من قبل (٢)
أما مدينة « بطليميس » فكان لها بلا نزاع مجلس شيوخ وجمعية
عمومية ، وكذلك كان لها مجلس مؤلف من ستة حكام بمثابة بمديرين كما
كان لها (Prytane) وهم الحكام الرئيسيون في كثير من المدن ، كما تحدثنا
عن ذلك في مكانه . (وفي أثينا كان كل واحد من الخمسين شيخ الذين
تألف منهم مجلس « الترييون » له الحق بدوره في الصدارة . وكان الملك
بحكم المدينة بواسطة مبعوثيه (٣) .

وكانت كل مدينة من هذه المدن تؤلف بذاتها دنيا صغيرة مصدقة للعالم ، ولم
نسمح فيها القوانين بالاتحاد مع المواطنين المصريين ، وكان أهلها يدفعون عن
نقاء ثقافتهم ودمهم (٤) .

والواقع أن مصر كانت لا تطبق الا تحمل جزء صغير من أرضها ليخصص
لهذه الجماعات الاجنبية ، وذلك على شرط أن يكون عدد هذه الجماعة
كبيرا جدا . وما هو جدير بالملاحظة هنا أن المدن الاغريقية في مصر
كانت تنحصر في « قراش » و « الاسكندرية » و « بطليميس » ، غير أن الاثرى
« ريناخ » يضيف الى هذه مدينة « براتونيون » (مرسى مطروح) (٥) .

(Gloltz Journal des Savants .(1916), P. 23

(Connus. Par. P. Halle. 1,

Dittenberger, O.G.I.S. No. 47-9, 728.

Wilcken, Chrest. 27; & Mitteis. Chrest. 372. Col. 4.

Un Code, Fiscale de l'Egypte, Greco-Romaine. Rev.

Histor. de Droit, 1921, P. 88.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

(٥) راجع

وما أعظم الفرق بين مصر وسوريا في هذا الصدد إذ نجد أنه عندما استولى السليوكيون على زمام الأمور فيها بعد عام ٣٠٢ ق.م شرع «سليوكيس» في ملء البلاد بمدن اغريقية الصبغة مثل انطاكية و «سليوكيس» و «أباما» وغيرها فقد تجمعت كلها في مساحة واحدة . والظاهر أن نفس المبادئ كان قد طبقها «بطليموس الأول» على مدينة «بطليمائس» في مصر العليا ، غير أنه على ما يظهر كره أن يطبقها تطبيقا كاملا . فهل معنى ذلك أن «بطليموس الأول» أراد باتباع هذه الطريقة تسير أحوال رعاياه المصريين مع بقاء دنيا الاغريق في مصر بعدد قليل من سكان مرتبطين بهذه المدن الثلاث التي وضعت فوق المجتمع المصرى الوطنى الذى احترمت مصالحه وعاداته وقوانينه ، والواقع أن خلفاء «بطليموس الأول» المباشرين لم يزدوا في عدد المدن الاغريقية في مصر ، على أن ذلك على ما يظهر لم يكن احتراما للمصريين وذلك لأن البطالمة قد فضلوا الاستعمار الزراعى للبلاد الذى كان ينفذ بتعمق واتقان على اقامة المدن وهذا النظام كان أكثر سهولة للملأمة الحكم الملكى المستبد ، وذلك لأنه كان من الممكن أن يعمل بدون المراكز المستقلة أو بعبارة أخرى المدن التى كانت تؤلف حكومات ذاتية لنفسها . وقد نزل البطالمة عن أراضي للمقربين اليهم ولجنودهم المرتزقين وانشئوا على بعض الأراضى ضياعا متوسطة وصغيرة أصبحت وراثية وذلك لمصلحة الاغريق، وهذه الطريقة كان ميزاتها أنها تسمح باستقلال البلاد استقلالا متينا بوساطة طرق جديدة وبرجال كانوا في الوقت نفسه أصحاب نشاط وفير وموارد عظيمة ، ولكن لا بد أن نلاحظ أن هذه الطريقة كانت من الوجهة الاغريقية تعرضهم الى خطر التأثير الشرقى عليهم هذا بالإضافة الى تدهور سلالتهم بالتزاوج مع المصريين على أن هذه الطريقة كانت في الوقت نفسه فيها اجحاف بالمصريين وظلمهم فقد كانوا يرون أرضهم الطيبة في طوال وادى النيل وعرضه قد أصبحت في يد الاجنبى وقد صار من التزاماتهم أن ينزلوا له عن جزء من منازلهم لسكناء وهذا ما كان يجب عليهم للجنود المرتزقين عندما كانوا ينزلون في قرية

من قرى مصر لهم فيها أراضى أقطعها لهم الملك، وعلى ذلك فانه من الأمور الرئيسية أن نعرف اذا كان الاستعمار الزراعى للأراضى يرجع الى عهد «ببليموس الأول» أم لا . والواقع أنه على الرغم من عدم كفاية المصادر لدينا فانه من المؤكد أن هذا الاستغلال الزراعى يرجع الى عهد «ببليموس الأول» . فقد كان من نتائج واقعة غزة أن استولى «ببليموس» على أكثر من ثمانية الاف أسير وأرسلهم الى مصر حيث وزعهم فى المديرىات مع اعطائهم أراضى ، وذلك لأنه كان يجندهم فى جيشه . وقد كانت أول نواة لسكان «ببليبياس» مؤلفة من جنود مستعمرين كان كل منهم يملك قطعة أرض مساحتها خمسة وعشرين أرورة (١) ، على أن ذلك لم يكن بالعمل الذى يسمع به من قبل بل نجد ما يقابله فى العهد الفرعونى وقت الدولة الحديثة اذ كان الفرعون يمنح كل جندي ما بين سبعة أو اثني عشر أرورة ليعيش من دخلها ولكن فى الحالة التى نحن بصدددها كان هؤلاء المستعمرون الحريون من الاغريق . وما نريد أن نقدره حق قدره هو الحمل الذى كانت تضعه هذه السياسة على عاتق البلاد . والواقع أن هذا الاجراء قد لا يكون غريبا على أهل مصر من العصر الفرعونى ولا فى غير مصلحة البلاد فى العصر البطلمى اذا كان قد طبق فى الحالين باعتدال ، ومن المحتمل أن الضمان للاعتدال فى عهد البطالمة وبخاصة فى عهد «ببليموس الأول» كان موجودا الى حد ما ، ولدينا الشواهد التى تدل على حكمة «ببليموس الأول» فيما تركه لنا المؤرخون فى هذا الصدد .

وعلى أية حال فإن الاغريق الذين كانوا منتشرين بالصورة التى وصفناها فيما سلف بالاقليم المصرى لم يكونوا جنودا وحسب بل كان الكثير منهم قد غادروا بلادهم الاغريقية الحقيقية بسبب الموارد العظيمة والخيرات الكثيرة التى كانت تتمتع بها مصر وأهلها ، ومن ثم نرى أن مستعمرات كاملة كان يعيش أهلها فى المدن الكبيرة مثل «منف» ويتمتعون بلا ريب بحريات وامتيازات شأن كل

مستعمر اجنبى قوى ، وكان هؤلاء المستعمرون يوجدون حتى فى كل قرية صغيرة من اقليم طيبة مثل الالفنتين على أن هؤلاء لم يكونوا دائما من اغريق مدينة « الاسكندرية » أو « بطليميس » بل كانوا يأتون من كل بقاع العالم الاغريقى وكانوا مميزين بسياسة مدنهم الأصلية مثل جيلا (Gela)

و « تيمنون » و « سيرينى » الخ وهذا برهان على أن هذه الميزة كانت تمنحهم قانونا خاصا ، وكانوا فعلا قد جمعوا أنفسهم فى جماعات رسمية معترف بها من قبل الحكومة . والظاهر أنهم فى بادىء الأمر لم يختلطوا كثيرا بسكان البلاد غير أننا سنرى أن الأمر لم يكن كذلك مع نسلهم فى مصر .

ومن ذلك نرى أن مصر فى عهد « بطليموس الأول » قد فتحت أبوابها على مصاريعها للهيلانيين وكان من رأى « بطليموس الأول » أنه لا بد من تسلط الاغريق على المصريين ولكن كان عليه فى الوقت نفسه أن يعمل على وجود رابطة بين المدنية الاغريقية وبين المدنية المصرية ، وقد كان انتصار المدنية الاغريقية معدا بالصيغة الهيلانستىكية التى كانت سائدة فى بلاط الاسكندرية ، وكان لا بد أن يتلاقى فى اتحاد المدينتين فى ديانة سيراپيس كما أوضحنا ذلك من قبل . وقد كان رجال البلاط وكذلك رجال الجيش المقدونى الصبغة والمقدونيون عامة يؤلفون جماعة مميزة ، ولكن هؤلاء المقدونيين كانت ثقافتهم اغريقية . وكان المطلوب وقتئذ أن يجذب الى « الاسكندرية » كل ما فى المدنية الهيلانستىكية من لامتأخذ ، ومن ثم نهض « بطليموس الأول » نهضته العلمية فى مصر فأغرفها بعلوم الاغريق وجعل « الاسكندرية » محط رجال العلم من كل أنحاء العالم الهيلانستىكى كما اسهبنا فى ذلك القول فى موضعه ، غير أن الروح الذى كان سائدا فى تحصيل العلوم والآداب ونشرها كان بعيدا كل البعد عن العلوم المصرية وديانتها وأدابها الى درجة أن الاغريق عملوا على تشويه كل مجهود مصرى بأن وضعوه فى قالب اغريقى ممسوخ ولا أدل على ذلك من أن عبادة « أوزير ايس » قد أصبحت هيلانستىكية وأصبح يدعى « سيراپيس »

والبس لباسا اغريقيا حتى ضاعت معالمه المصرية ولكن المصريين حافظوا على صورته وعبادته القديمة ولم يحدوا عن ذلك قيد شعرة وقد أثبتت الحفائر التي عملت في الاسكندرية حديثا على أن ملوك البطالمة انفسهم كانوا يمجدون هذا المعبود في صورته المصرية فقد عثر في ودائع أساس من عهد «ببليوموس الثالث» أن هذا المعبود كان يدعى «أوزير حابي» فقد وجدت لوحة عليها نص يؤيد ذلك .

والآن يحق للانسان بعد بسط سياسة «ببليوموس الأول» أن يتساءل هل وصلنا في غرضنا الى حقيقة الأمر وأتينا لم نجد عن الواقع في تصويريا ؟ والحقيقة أن بعض المؤرخين أصحاب الآراء الصافية والنظريات الممتعة قد حاولوا بما لديهم من معلومات ضئيلة عن «ببليوموس الأول» اختراق حجب الظلمات التي كانت تغمر حياته وقد وصلوا ببحوثهم الى أنهم اسبقوا عليه مظهر الوحدة المتناسكة من حيث سياسته الداخلية والخارجية ، غير أن هذه الصورة التي رسموها لا تخرج عن كونها سراب خداع . والواقع أن ظواهر الأحوال تدل على أن «ببليوموس الأول» كان بوده على ما يظهر في بادىء الأمر أن يطبق على شطريته السياسة التي وصى بها الاسكندر وهي التي كانت في صالح الشرقيين عامة ، ولكن هذه السياسة كانت في تفصيلها أقل اهتمام بتأمين السيادة الهيلانستكية منها على اتحاد أقوام العالم عامة ولكن «ببليوموس» لم يسر شوطا بعيدا في تنفيذ هذه السياسة وبخاصة عندما رأى أن ملك بابل «سليوكيس» قد نبذ هذه السياسة التي رسمها «الاسكندر» وأخذ يفتح الباب للعنصر المقدوني الاغريقى لاستعمار بلاده ، وقد سار «ببليوموس الأول» على نهجه وبخاصة عندما رأى الحاجة ماسة للجنود المرتزقين من أهل وطنه وبلاد الاغريق ، وبعد ذلك نرى أن «ببليوموس» أخذ في توطيد عزمه على أن يعطى السيادة في البلاد المصرية للعنصر المقدوني الاغريقى . وهذا التطور قد ظهر أثره بجلاء في عبادة الاله «سيرابيس» المصرى وهو الذى أصبح هيلانيا مصرى في عام ٢٨٦ ق.م وذلك عندما ظهر «سيرابيس» في الاسكندرية والبراهين التي تركز

عليها هذه النظرية الهامة ليست بعيدة المنال. ونحن نجهل تماما تواريخ هامة في هذا الصدد فمثلا لا نعرف تاريخ تأسيس مدينة «بطليميس»، وكذلك تاريخ ظهور عبادة فمثلا لا نعرف تاريخ تأسيس مدينة «بطليميس»، وكذلك تاريخ ظهور عبادة الاغريق للمعبود «سيرابيس»، وذلك لان التواريخ التى قدمها لنا الحساب التأريخى لهذه الحوادث يمكن ان يطبق فقط على اقامة التمثال فى المعبد، يضاف الى ذلك أن التأريخ الداخلى لمصر فى هذا العهد يكاد ينقصنا تماما. والحقيقة القائلة بأن الاحتكارات لم تكن قد استقرت نهائيا بعد عهد «بطليموس الاول» تكشف لنا عن ثبات فى المبادئ. وذلك أن الفضل يرجع كثيرا الى «بطليموس الثانى» فى أنه هو الذى يمكن أن يكون قد أخذ هذا الاتجاه الجديد. واذا كان قد حدث فى عهد «بطليموس سوتر» تغيرات كما هو المحتمل فانها لم تكن عميقة بدرجة كبيرة كما أنها لم تكن قد حدثت فجأة كما يدعى بعض المؤرخين والواقع ان «بطليموس» لم يكن فى مقدوره أن يفعل شيئا بدون الهيلانية، وكان فى الوقت نفسه مضطرا أن يعامل بحزم ورفق رعاياه من المصريين وهاتان الضرورتان كانتا فرضا على حسن تصرفه وكياسته فى سياسته الحكومية وطوال مدة حكمه^(١) وعلى أية حال نفهم من كل ما سبق على أنه قد رسم لابنه بطليموس الثانى الخطة التى كان مفروضا انه سينتهجها فى حكم البلاد غير أن الاخير لم يلبث أن رسم لنفسه سياسة فى حكم البلاد كان الغرض منها ابتزاز الاموال من الشعب المصرى بكل الوسائل لتنفيذ سياسته الامبراطورية فى الخارج وللصرف منها على ملاذ ومظاهره البراقة فى داخل البلاد. وهذا ما سنراه فى العرض الذى يلى هنا.

عصر بطليموس الثاني

١١١ م

١١١ م

بتوليس - وسر - كا - رع - مري - امن

مدة حكمه : تقول المصادر الاغريقية أنه حكم ثمانية وثلاثين عاما ، غير أن الآثار الباقية تدل على أنه حكم تسعة وثلاثين عاما (١) .
اشترك «بطليموس الثاني» مع والده «بطليموس الأول» في عرش مصر :
لم يتول «بطليموس الثاني» حكم أرض الكنانة فجأة بل أشركه والده بطليموس الاول معه على عرش مصر حوالي عامين دربه في خلالها على نظام الملك وتسيير دفة الحكم في داخل البلاد كما اوقعه على أحوال امبراطوريته في الخارج وبخاصة مركز مصر بالنسبة للدول المجاورة لها وما كان ينتظر من مغامرات وحروب بين مصر والدول التي تشعبت من امبراطورية «الاسكندر الاكبر» .

واذا نظرنا الى داخلية مصر في تلك الفترة وجدنا ان «بطليموس الاول» قد وطد أركان السلام الأصلية . والواقع أن «بطليموس الأول» قد وضع كل الاسس الهامة والدعامات القوية التي سارت على نهجها ملوك البطالمة الذين أتوا من حيث السياسة الداخلية والخارجية معا . وقد دل ما تركه خلفه من نظم على أنه كان منظما عظيما واداريا واجتماعيا من الطراز الاول .

كما كان جنديا ممتازا وسياسيا محنكا ماهرا . ولقد كان «بطليموس» يحس في قرارة نفسه بكل ما تحتاج اليه مصر وشعبها العريق في المدينة من اصلاح ، وما كان ينتظره من عقبات ، ومن أجل ذلك أخذ يدرّب ابنه «بطليموس» على فنون الحكم وأساليب السياسة وبذلك رباه من أول

نشأته على كل ما يجب ان يعرفه ملك في عصره . والواقع أنه وضعه بين أيدي امهر المربين والعلماء في عصره حتى لا يفوته ما فات والده الذي كان قد نشأ من أول حياته جنديا في ساحة القتال حتى نصب بعد ممات «الاسكندر» شطربة على مصر . وتدل الأحوال على أن مصر قد ارتفعت في عهد «بطليموس الثاني» الى أوج مجدها المادى والسياسى كما بلغت القمة من حيث العلوم والمعارف . ويتساءل المرء ملحا هل ينسب كل هذا الى «بطليموس الثاني» ؟ والجواب عن هذا السؤال قد تضاربت فيه الأقوال واختلفت فيه الآراء فبعض المؤرخين ينسبون النهضة الى «بطليموس الثاني» لأنه كان رجلا نال حظا وفيرا من التعليم على يد أعظم العلماء في العالم الاغريقى ، في حين أن بعضهم الآخر ينسبون ذلك الى «بطليموس الاول» والده لأنه قد استعان منذ أن استتب له الأمر في مصر بكل الرسائل التى مهدت لخلفه الاستمرار فيما بدأه هو من وسائل العمران في البلاد . ويخيل الى أن هذا الرأى الأخير هو الحقيقة بعينها ، «فبطليموس الاول» هو الذى بذر بذور الاصلاح والنظام الذى سار على نهجه «بطليموس الثاني» ومن بعده ملوك البطالمة، فقد سقى الزرع الذى غرسه والده حتى نمت وترعرع وأتى ثماره الوفيرة ، غير أنها كانت ثمارا مقصورة على طائفة المستعمرين المقدونيين والاغريق الذين نمت والسده بذرتهم فى أرض الكنانة ليكونوا درعا له فى الحرب وسندا فى ادارة شئون البلاد . أما أهل البلاد أنفسهم أى الشعب المصرى الأصيل فكانوا بعيدين عن كل مظاهر الحضارة أو الحكم فى البلاد فكانت تجبى منهم الضرائب بكل أنواعها على كل مختلف المحاصيل التى يزرعونها بدرجة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ العالم كما سنفصل فى ذلك القول فى حينه . أما العلوم والمعارف التى كانت تزدهر فى بعض مدن مصر وبخاصة «الاسكندرية» فلم يكن للشعب المصرى اية صلة بها أو نصيب منها ، ومن أجل ذلك نجد أن المصرى الاصيل قد ظل يرقب الحالة طوال مدة حكم «بطليموس الثاني» بصبر وأناة مزوجين بالضجر والضيق

الملحين . وقد شعر «بطليموس» بكل ذلك الحرج الذى بدأت بوادوره تظهر، ومن ثم أخذ يسعى الى الوصول الى ما يمكن أن يستميل به الشعب المصرى من الناحية الدينية علما منه بأن رجال الدين كانوا فى مصر ولا يزالون حتى عهده هم قادة الشعب ورعاه من الناحية الروحية . ومع ذلك فإن بذور التذمر والحقْد على الحكام وعلى نظام الحكم الأجنبى قد أخذت تظهر طلائعها ويستشرى فسادها فى البلاد . كل هذا و «بطليموس الثانى» فى غفلة عن ذلك لا مطمع له الا جمع المال وارضاء طبقة الاجانب اعوانه فى حكم البلاد ، وكذلك الجنود المرتزقة ، غير مراعاة عواطف أفراد الشعب المصرى وما هم فيه من بؤس وشظف عيش ، ومن ثم كانت نهاية حكمه بداية يقظة الشعب الذى لم يرض يوما من الأيام أن يظل ذليلا مهينا تحت حكم أية دولة أجنبية .

ولا نزاع فى أننا اذا قسنا الأشياء بأشباها أن أيام «بطليموس الثانى» كانت تشبه أواخر أيام «أمنحيب الثالث» ، فقد بلغت مصر فى عصره غاية مجدها وقمة ثرائها وسؤددها فى الداخل والخارج ، ولكن عوامل الانحلال وأسباب الضعف كانت قد أخذت تستقر وتخر فى عظام الدولة وتميل بها الى الهاوية ، وكذلك تشبه أيامه الى درجة عظيمة بعصر «لويس الرابع عشر» الذى كان يقول : «أنا الحكومة» فقد كانت امارات الضعف والانحلال بادية فى بلاده بسبب ما أصاب الشعب من ظلم وجور وشدة بالغة فى عصره ، وكان عهد خلفه «لويس الخامس عشر» كمهد «بطليموس الثالث» ينذر بسوء المنقلب اذ بعده أخذ الشعب المصرى يحس بالهم الجوع والفقر والظلم ومن ثم بدأ يقوم بثوراته المشهورة التى ظلت مستمرة تقوم تارة وتضعف تارة أخرى طوال عهد البطالمة حتى قضى على عهدهم نهائيا بدخول الرومان الى مصر . فكان مثل المصريين فى ذلك كمثّل المستجير من الرصاص بالنار ، وسنرى فى وصف عهد «بطليموس الثانى» وعظمته أنه كان كعصر «أمنحيب

الثالث» . «لويس الرابع عشر» في كثير من نواحي الفخفخة والأبهة كما كان مثلها نذيرا بالتدهور ، غير أن التدهور في عهد البطلمة كان بطيئا وثيدا ولكنه انتهى الى نفس النهاية : السقوط والخراب .

تولى «بطليموس الثاني» الملك : تولى «بطليموس الثاني» عرش أرض الكنانة وهو لا يزال لدن العود غض الاله اب لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره . وما يؤسف له جد الأسف أن معلوماتنا المباشرة عن حكمه ضئيلة هزيلة عديمة الجدوى لا تقدم لنا مادة صالحة للثولك الذين ينقبون وراء القصص الغريبة والافصاف الخيالية الخارجة عن حد المألوف ، فقد روى عنه أنه كان رجلا منعما تعاطى من كل علم طرفا ، ولكن لم يكن صاحب عمق في أى علم فكان اذا رجلا سطحيا ، كما وصف بأنه كان صديقا لليهود ، وقد كافأه احد كتابهم بان وصفه بأنه ملك مثالى . والواقع أن من أراد ان يعرف شيئا أصيلا عن «بطليموس الثاني» فلا بد من الرجوع الى أعماله في كل مدة حكمه ، وحتى من درس ذلك لا يستطيع أن يحكم عليه حكما صحيحا ، وذلك لأن التاريخ لم يذكر لنا كل مساوىء الحكام وما كانت تنطوى عليه نفس كل حاكم من أشياء خفية ، وربما كان فى مقدور المؤرخ ان يصل الى شىء عن أخلاقه بما جاء فى رسائله . واذا وازنا بينه وبين والده نجد فرقا واضحا . فبطليموس الأول كان رجل حرب فيه خشونة الجندى وشدة بأسه ، وهذا مالم نجده فى ابنه الذى شأ فى أحضان الترف والبذخ والكتب والعلم ، ومن ثم نجد فيه نعومة الحياة والدعة والترف التى نجدها ظاهرة محسنة فى الملوك البطلمة الذين أتوا بعده ، ومع ذلك فاز دراسة أخلاقه قد كشفت لنا عن ناحيتين مميزتين من أخلاقه ، فقد كان من جهة ملكا طموحا صاحب امارة وكبرياء محبا للسلطان والفخفخة والملذات مضياعا متلافا للمال سخي الكف على شهواته ، ومن جهة أخرى كان محبا للعلوم والآداب ، هذا فضلا عن أنه كان أول سياسى فى عصره ، كما كان رجل قيادة فى الصناعات التى تدر

عليه المال ، فكان يجرى وراء انجاز المشاريع الاقتصادية مبتكرة بدرجة عظيمة ، هذا الى أنه كان صاحب ملحوظات دقيقة في أصغر الأمور . ولا غرابة في ذلك فقد تلقى علومه على يد نخبة من علماء عصره من أفاضل نوابغ العهد الهيلانستيكي نخص بالذكر منهم «فيليتاس» الشاعر واللغوي وهو من مواطني جزيرة كوس . وقد تلقى على «فيليتاس» هذا كثير من علماء هذا العصر علومهم ، ونخص بالذكر من بينهم «زنودوتوس» (Zenodotus) الذي أصبح امينا لمكتبة الاسكندرية ، وكذلك علمه «ستراتو» أحد عظماء رجال العلم الذين كانوا يمثلون مدرسة «ارسطوطل» في ذلك العهد ، وقد كان آخر عالم اغريقي اعتنى بعلم الطبيعة ودراسته ، هذا الى أن غرام «بطليموس الثاني» وشغفه بعلم الجغرافيا وعلم الحيوان قد شجعه على دراستهما . وقد انكب تلاميذ «ارسطوطل» على درس هذه العلوم . ولا نزاع في أن تعلم «بطليموس» على أيدي أمثال هؤلاء العلماء كان يعنى بطبيعة الحال السير قدما بالعلوم والآداب ، ولم يقصد بذلك قط الفلسفة الاخلاقية أو علوم ما وراء الطبيعة ، ولا غرابة في ذلك فان شواهد الأحوال تدل على أن الاسكندرية مهد العلم في عصره كانت مهتمة بدراسة الآداب والعلوم بوجه خاص وبذلك لم يكن للفلسفة مجال يذكر فيها .

أما عن حب «بطليموس الثاني» لمتع الحياة ومباهجها فلامثلة كثيرة ولا أدل على ذلك من أن اسطوله النيلي الذي خصصه لمتعه ولياليه الحمراء ، وكذلك ما كان يملك من محاظ هذا بالاضافة الى الأمراء الذين جردوا من أملاكهم وأصبحوا يعيشون في بلاطه ، والاعياد الفخمة التي كان يحتفل بها واىوانه الانيق الذي أقامه خصيصا لهذه الأعياد البهجة ، وسفنه الحربية الفخمة التي كانت تنخر عباب البحار ، والاستعراض الاسكندري الذي كانت تسير فيه من انقلاط الفجر حتى غسق الليل مواكب الجنود والممثلين والعبيد ، كان يفعل هذا الملك كل ذلك ليمثل للشعب ما كان عليه من سلطان

وثرء ، هذا وكان حبه وحمايته لأهل الفكر أمر طبيعى لأنه جبل على حب العلم قبل أن يعتلى كرسى الملك ، وبين هؤلاء «سوستراتوس» مواطن «كنيدوس» وهو الذى أقام منارة «الاسكندرية» والخارجات المعلقة فى «كنيدوس» نفسها ، وقد أرسله كذلك «بظليموس» عام ٢٥٥ ق.م مبعوثا من قبله «لاتيجونوس» لمفاوضته فى الصلح فنال منه صلحا فى صالح مصر (١)

وتحدثنا أوراق البردى انه كان مغرما بالعلوم الزراعية ، هذا وقد نقلت الينا عنه التقاليد الأدبية انه كان مولعا بجمع الحيوانات الغريبة والطيور الافريقية والهندية ، فكانت حديقة حيوانه تحتوى على فهود ونمور وعناق الأرض ، وجاموس افريقى وهندى وزراف وحير وحشية من «سوريا» وثعبان أثيوبى طوله خمس واربعون قدما ، ووحيد القرن ودب أبيض من القطب مما يدل على أن قبيلة من قبائل القطب قد سمعت عنه وهو لم يسمع عنها .

ومن أعظم ما يلفت النظر فى أمر هذا الملك الذى كان يجمع بين كل هذه الأشياء أنه كان يمتاز بعقل رياضى يستطيع أن يحسب الارباح والفوائد المثوية كأنه أمر تاجر يعمل على نطاق واسع ، والواقع أن أية عملية مهما كانت لا تعد كبيرة أمامه ، كما كان يلتفت الى أى دخل مهما قل مقداره ومن ثم كان واليهود فى هذه الناحية فرسى رهان .

حقا كان هناك من يساعده على تنفيذ تفاصيل النظام الاقتصادى الذى خلقه هو ، غير ان الاصلاحات الرئيسة التى تحتاج الى اصلاح كان هو الذى يضع أسسها ، وذلك بسبب أنه لم يكن هناك من يجزأ على عملها غيره . ولا غرابة اذا أن نسمع كثيرا اشارات عابرة تدل على اعتلال صحته . والواقع أن الرجل الذى يقوم بكل هذه الأعمال التى ينوء بحملها عدة رجال لا يمكن

أن يجمع بين هذه الأعمال الضخمة وصحة الجسم ، ومن أجل ذلك يتساءل المؤرخ «تارن» فيما اذا كان هذا هو السبب الحقيقي الذى جعل بطليموس نصرف عن قيادة جيشه بنفسه فى ساحة القتال ؟ وواقع الأمر فى هذا أنه لم يكن لديه موهبة حرية تؤهله للقيادة الحرية (١) .

طراز الحكم الذى سار على نهجه « بطليموس الثانى » :

على الرغم من أن «بطليموس الاول» قد وضع لابنه ووريثه «بطليموس الثانى» طراز الحكم الذى سار عليه فان قوة ملوك البطالمة وطراز حكمهم قد انعكست صورته فى الوثائق التى لدينا من عهد «بطليموس الثانى» ، ومن جاء بعده ، وذلك فى ثلاثة وجوه مختلفة . أولا اعتقادهم أنهم ورثة «الاسكندر الاكبر» ، ومن أجل ذلك عملوا أن يكون بينهم وبينه صلة سب مباشرة باختراع شجرة نسب تتفق مع هذا الرأى فزعموا أنهم كانوا ملوك جالية المقدونيين الذين كانوا معه فى مصر ، وكانوا فى الأصل جنودا فى جيش «الاسكندر الاكبر» ، وهم الذين ساعدوه على فتح أرض الكنانة ، وقد كانت مصر من وجهة البطالمة ملكا للملوك المقدونيين ، وكانت فى نظر جيشهم المقدونى بلادا اكتسبت بحد السيف أو بعبارة أخرى كانت ضيعة للملوك مقدونيا ، ولما وطد سلطان البطالمة فى مصر حذوا حذو «الاسكندر الاكبر» فى ادعائهم أنهم الخلفاء الشرعيون لفرعنة مصر ، وقد اعترف بهم رؤساء الكهنة المصريون فراعة شرعيين ، ولم يكن لديهم وسيلة غير التسليم بالأمر الواقع ، وذلك تمشيا مع الفكرة القديمة الدينية والسياسية التى كانت مسيطرة على البلاد من حيث الملكية ، وهى أن الفرعون كان يعد ابن الاله «آمون رع» ، وانه كان يعتبر الها عائشا على الأرض مدة حياته وبعد موته يعد «أوزيرا» يحكم فى عالم الأموات ، ومن أجل ذلك كان هو المسيطر على

كل اوراق البلاد ومرافق حياتها جميعا . وكان المصريون قد قبلوا هذا النوع من الحكم عن طيب خاطر منذ أن نشأت الملكية بسبب نظرية قديمة بقيت مسيطرة على عقول الشعب المصرى بدأت منذ عهد «مينا» على ما يقال واستمرت حتى نهاية العهد الفرعونى . ولا نزاع فى أن البطالمة قد أخذوا عن المصريين هذه الفكرة وساروا على نهجها فى حكم مصر . ومضمون هذه النظرية أو بعبارة أصح الاسطورة هو أن المصريين كانوا يعتقدون أن أول ملك حكم على الأرض هو اله الشمس «رع» الذى وضع نظاما لحكومته على الأرض سماه «ماعت» . ومعنى هذا اللفظ لا يمكن التعبير عنه بكلمة واحدة ، وذلك لأنه كان يعبر عن نظام او قانون يشمل فى طياته العدالة والصدق والحق والمساواة والعدالة الاجتماعية بين الناس . وقد سار ابناءؤه من بعده يحكمون على حسب قانون «ماعت» بعد أن ارتفع «رع» الى لسماء . وكان المفهوم أن كل ملك جاء بعد «رع» لا يجيد عن «ماعت» فإذا حاد عنه فهو ليس «ابن رع» وليس له الحق فى حكم مصر . وقد سارت البلاد على هذا النهج . وتدل الظواهر على أنه منذ عهد «مينا» موحد الارضين كان الملوك يحكمون على حسب نظام «ماعت» حتى نهاية الدولة القديمة بوصفهم ابناء «رع» ، وفى نهاية هذه الفترة قام الشعب المصرى بثورته لاجتماعية على ملكهم الذى حاد عن قانون «ماعت» وخلعوه عن عرش الملك وأخذت البلاد تتخبط فى ظلام دامس حتى قبض الله لها من نسلها من وهدتها على يد ملك جديد من ابناء «رع» أعاد لها نظامها القديم فأخذ القوم يخضعون لسلطانها فى باكورة الدولة الوسطى (١) . ولقد رضى الشعب المصرى بهذا النظام من الحكم الذى على حسب زعمهم كان الفرعون فيه ليس الا ممثلا للاله «رع» ومنفذ قانون والده ، فهو لا يملك من الأمر شيئا ، ومن ثم تدل شواهد الأحوال على أن الحكم الملكى المطلق لم يكن مفروضا على

الشعب المصرى من قبل ملك بعينه بل كان حكما الهيا عادلا ينفذه ابن «رع» . وهكذا بقيت نظرية نظام «ماعت» مهيمنة على عقول الشعب المصرى مدة تاريخه الطويل الأمد ، ولا يريد عنها بديلا مهما كانت الأحوال ، وذلك لأن حكم هؤلاء الملوك كان حكما الهيا وليس لهم فيه من الأمر شيئا الا تنفيذ القانون الذى وضعه «رع» والدمهم . ومن أجل ذلك كان الملك فى نظر الشعب المصرى لا يخطئ ، وأن قوله هو القانون المنزل . ولقد كانت الثورات تقوم فى مصر من وقت لآخر عندما كان الملوك ينحرفون عن طريق قانون «ماعت» ، فاذا ما عادت الأمور الى نصابها سارت البلاد فى سبيلها السوية على حسب قانون «ماعت» . والواقع أن الفرعون كان هو الحكومة فى كل مظاهرها . وعندما تولى البطالة حكومة مصر لم يكونوا يعرفون هذا النوع من الحكم بل كانت الملكية عندهم مقيدة بشروط وقيود فكان الجيش مثلا هو الذى ينتخب الملك عندما يصبح عرش الملك خالياً ، وذلك على حسب تقاليدهم القديمة فى مقدونيا . وقد رأينا أن «بطليموس الأول» عندما تولى عرش مصر لم ينتخبه أحد بل اعتلى اريكة الملك على الطريقة المصرية بوصفه ابن «رع» . فما هو السبب الذى دعى الى ذلك يا ترى ويوجب المؤرخون الذين كتبوا تاريخ هذا العصر بأن بطليموس كان شطربة مصر من قبل «الاسكندر الثانى» فرعون مصر وعند موت الأخير ادعى «بطليموس» لنفسه عرش مصر بوصفها بلادا فتحت بحد السيف وبحكم القانون المقدونى كانت حقا له ، ولكن هذا التفسير يعد مغالطة وتشويها للحقائق ولا يتفق مع مجريات الأمور فى مصر . وذلك أن «الاسكندر الثانى» كان فرعوناً على مصر ، وعلى الرغم من أن قدمه لم تخطأ أرض مصر فانه كان يدعى ابن «رع» على الآثار المصرية ، ومن ثم نفهم أن المصريين أو بعبارة أدق رجال الدين نصبوه فرعوناً على البلاد ولقبوه بكل القاب الملك وعلى رأسها

لقب «ابن رع» . يضاف الى ذلك أنه كان قد تولى من قبله بنفس هذه الطريقة «فليب اريداوس» ولم يكن قد أتى الى مصر قط . وكان «الاسكندر الاكبر» كما سبق ايضاحه قد فطن الى هذا الأمر عندما دخل مصر فاتحاً فكان أول عمل قام به هو أنه توج نفسه فرعوناً في «منف» وذهب الى واحة «سيوة» حيث لقبه الكهنة ابن «آمون رع» من صلبه . والواقع ان كل من أراد أن يحكم مصر ويصبح فرعوناً عليها كان لابد له أن يكون ابن «رع» من صلبه ، ومن ثم نفهم أنه كان لزاماً على «بطليموس الأول» ان يكون «ابن رع» ومنحدراً من صلبه ، ولكن الوثائق التي في متناولنا من عصره لم تحدثنا بحديث توليه عرش الفراعنة ، وذلك على الرغم من أنها تذكر لنا القابه الفرعونية ، وأنه «ابن رع» . وسنرى أن ابنه «بطليموس الثاني» هو الذى وضع تاريخ أسرة البطالمة ونسبتها للاله «رع» لأن كل الأحوال كانت مهيأة له كما سنرى بعد القيام بذلك . وقد اتخذ «بطليموس الثاني» لنفسه كل الحقوق التى كان يتمتع بها فرعون مصر فى كل نواحي الحياة المصرية فى الداخل والخارج . فقد كان مطلق التصرف فى كل شئ ، ولكن وجود عنصر جديد فى البلاد المصرية قد غير الأوضاع بعض الشيء وأعنى بذلك الجنود المقدونيين والاغريق المستعمرين الذين وفدوا على البلاد مع البطالمة أو بدعوة منهم ، ومع كل ذلك اذا استثنينا المدن التى كان يسكنها الاغريق وهى «نقراش» و «الاسكندرية» و «بطليمائس» (موقعها المنشية القرية من سوهاج) التى كانت تتمتع ببعض الامتيازات فان «بطليموس الثاني» كان مسيطراً سيطرة تامة على كل شبر من أرض الكنانة بما فى ذلك أراضي المعابد وأراضي الاشراف أصحاب الاقطاع الذين قضى عليهم «بطليموس الأول» ، كما كان هو أمير الأسطول وقائد الجيش ، والمنبع الذى يصدر منه القانون ، كما كان كل مكتوب يصدر منه له قوة القانون، وذلك على حسب ما كان يسير عليه ملوك مصر القدامى . هذا وكان الوزراء والموظفون من صنع يده يزل

منهم من يشاء ويولى من يشاء ، وقد كان لكل مواطن من رعاياه الحق فى أن يقدم له شكايته شخصيا وعلى الرغم من أن بعض التظلمات لم تكن تتمدى حاكم المركز أو القرية فإن بعضها كانت تصل الى القصر الملكى ، وكان الملك يفحصها بنفسه (١) .

النضال بين بطليموس الثانى وإخوته :

على الرغم من أن «بطليموس الأول» قد مهد لابنه «بطليموس الثانى» (الذى يدعى خطأ فيلادلفس) الملك فإنه ترك وراءه مناضلين ومنازعين له فى العرش . والواقع أن أولاد الملكة «ايرديكى» الذين كان ينتظر منهم أن يقفوا فى وجه «بطليموس الثانى» ، قد تركوا على ما يظهر «الاسكندرية» قبل أن يحرمهم والدهم وراثته العرش ، فوجد أن بكر أولاده «بطليموس كرانىوس» (= الصاعقة) الذى كان صاحب الحق شرعا فى الملك ، قد استجار «بليزيماكوس» ملك «تراقيا» فأجاره ، وهناك اجتمع بأخته الأولى وكانت زوج «اجاتوكليس» بن «لزيماكوس» واسمها «ليسندرا» وهى اخته من أمه «ايريدىكى» والثانية تدعى «ارسنوى» وكانت زوج «لزيماكوس» وهى ابنة «برنيكى» وقد كان «بطليموس كرانىوس» هذا عازما على أن يسترد حقه فى ملك مصر الذى حرمه منه والده «بطليموس الاول» . وقد شاءت الأقدار أن تحبك مؤامرة محزنة كان لها نتائج بعيدة المدى بين أفراد أسرة «ليزيماكوس» . وذلك أن «ارسنوى» اتهمت ابن زوجها «اجاتوكليس» بالتآمر على قتل والده «لزيماكوس» وكان لها سلطان عظيم على زوجها المسن كما كانت فى الوقت نفسه مكروهة فى بلاط زوجها ، فقد قيل عنها أنها كانت تسبح فى وجه كل من يقف فى سبيلها أو يعصى لها أمرا ، كما كان الهجو الذى تنثر عنه شفتاها كالصواعق . وقد انخدع «ليزيماكوس» وضعف أمامها

(١) راجع P. Collop. Recherches sur la Chancellerie et la Diplomatique des Lagides (1926), Chap. III).

فصدق وشايتها في ابنه وبخاصة أن «أجاتوكليس» كان محبوبا عند جمهرة الشعب . فادعت عليه انه تأمر على قتل والده وانه انتهى الأمر بأن قبض عليه ووضع تحت نصرف «أرسنوى» لتتقضى عليه بالطريقة التى تحلو لها . فقتلته سرا وألقت بجثته بعد ذلك في غياهب جب عام ٢٨٤ ق.م غير أن سر قتله لم يلبث أن فضح في الحال ، ولم تكذ تسمع «ليساندرا» بهذه الفاجعة حتى آثرت الهرب مع أولادها الى «سليوكوس» مستجيبة به فأجارها ، وقد هرب معها أخو الاسكندر خوفا من الموت^(١) وانضم «بطليموس كرانيوس» الى المطالبين بدم «أجاتوكليس» ، وقد رحب به «سليوكوس» في «انطاكية» وعامله معاملة بوصفه الوارث الحقيقى لعرش مصر . وقد كان «سليوكوس» ملك «سوريا» ينتظر موت «بطليموس الأول» الذى كان قد بلغ من الكبر عتيا ، ليخلع «بطليموس الثانى» من عرش الملك ويسلمه الى ايته البكر الذى استجار به . هذا وكان «كرانيوس» قد بنى آماله على ذلك ، ومن ثم أخذ «بطليموس» حذره من نوايا جاره ، غير أن «كرانيوس» صدم صدمة عنيفة عندما علم أن «سليوكوس» بعد موت «بطليموس الأول» الذى كان يرقبه بفارغ الصبر ، فضل غزو بلاد «آسيا الصغرى» على غزو مصر ، وبذلك لم يف بوعده لكرانيوس ، ومن ثم كان «كرانيوس» فى يأس قاتل من أمره . هذا وكان حاكم «برجام» المسمى «فيليتاروس» يخاف شر «أرسنوى» ، فحرض «سليوكوس» على الأخذ بثأر «أجاتوكليس» وعرض عليه أن يخلى له «برجام» بما فيها من كنوز^(٢) ، وفى تلك الفترة أخذت القوضى تشيع فى كل بلاد آسيا الصغرى ، وهناك التقى «سليوكوس» بجيش «ليزيماكوس» فى موقعة «كوروبديون» (Koroupedion) فى ربيع عام ٢٨١ ق.م وكان من نتائجها أن سقط «ليزيماكوس» صريعا فى ساحة القتال ، وبذلك أصبح كل

Paus. I 10, 4; Appian. Syr., P. 64.

Strabo., XIII, 623; Paus. 1, 10, 4.

(١) راجع

(٢) راجع

ما كان يملكه في «آسيا الصغرى» نظريا ملك «سليوكوس» وعندما علمت «أرسنوى» بموت زوجها فرت من «أفيسوس» خوفا من انتقام «ليسندرا» التى أرادت الانتقام لزوجها «اجاتوكليس» بالتمثيل بجثة «ليزيماكوس» أشنع تمثيل وذلك بعد دفنها.. هذا ولم تكن مطامع «سليوكوس» لتقف عند هذا الحد ، اذ كان يريد أن يضم الى املاكه كل «آسيا الصغرى» و«تراقيا» ليقدمها لأولاد «اجاتوكليس» ويحفظ لنفسه بلاد مقدونيا حتى يضى البقية الباقية من حياته فيها . وقد نسى أن بجانبه «كرانيوس» الذى لم يف بوعده له وهو تنصيبه ملكا على مصر ، ومن أجل ذلك تحين «كرانيوس» الفرصة للقضاء عليه فطعنه وهو فى طريقه الى «ليزيماكا» عاصمة ملكه ، ثم ذهب فى الحال الى العاصمة واستولى على تاج الملك وقد لقي ترحابا من جانب الجنود ، وبخاصة انه قد أغدق عليهم مالا وفيرا . وهكذا لقي «سليوكوس» الذى كان يعتبر وقتئذ آخر رفيق «للاسكندر الأكبر» حتفه فى نهاية عام ٢٨١ ق.م. ولما كان «كرانيوس» يخشى انتقام «انيوكوس بوليورسيت» فانه أخذ فى طلب ود أخيه «ببليموس الثانى» قائلا له أنه لا يحمل فى صدره أى حقد عليه بسبب حرمانه من عرش الملك ، ولا يطلب اليه الا أن يساعده على حفظ ما كسبه من عدو والدهما «ببليموس الأول»، والواقع أن «ببليموس الثانى» قد رحب بهذا العرض ، ومن المحتمل أنه قد أخذ وقتئذ فى تجهيز حملة لاسترداد «سوريا الجوفاء» التى كان فيما سبق اقليما مصريا ، وقد كان دائما يرفض «سليوكوس» ان يعيدها الى «ببليموس الأول» ، ومن المحتمل أنه كان قد أغار عليها «ببليموس الثانى» . أما «أتتيوكس» فكان فى موقف لا يحسد عليه اذ كانت مملكته على شفا جرف هار لأن كل بلاد «آسيا الصغرى» قد قامت تطالب بحريتها التى سلبها منها «سليوكوس» ، وقد استقل فعلا معظم حكامها . هذا فضلا عن أن المدن الأغريقية قد حذت حذو هؤلاء الحكام وقاموا بشورات وانضم

«الهيراكليوتيون» الى «الكسديين» و «بيزنطة» الى «ميتراديس» من جهة ومن جهة أخرى قدموا أسطولهم الى «كرانيوس» ليصبح جزءا من أسطول سد البوسفور (١) وقد أراد «أتتيوكوس» أن يلحق «ببليموس» ، غير أنه كان عليه في تلك الفترة أن يهدى الأحوال في «أسيا الصغرى» ، ولكن لسوء الحظ أرسل جيشا بقيادة «باتروكليس» (Patrocles) اليها كان مصيره الفشل (٢) . وخلاصة القول نجد أن «أتتيوكوس» قد أصبح أمام كل هذه المخاطر الجبارة لا يدري ماذا يفعل . وتدل شواهد الأحوال على أنه كان يعمل في جانب «كرانيوس» ، وبعد مناقشات ومحاولات بائسة عقد «أتتيوكوس» صلحا مع «ببليموس كرانيوس» في نهاية عام ٢٨٠ ق م ، ومنذ هذه اللحظة أخذ «كرانيوس» يعمل على القضاء على «ارسنوى» وأولادها الذين لم ينزلوا حتى الآن عن حقهم في ملك والدهم «ليزيماكوس» . وكان كل من «ارسنوى» و«كرانيوس» يعرف ما انطوت عليه نفس خصمه من مكر ودهاء وسوء نية . وقد اقترح «كرانيوس» على «أرسوى» أن ينزج منها ويتبنى أولادها ، غير أنها بقيت على حذر منه وظلت مقيمة حبيسة في «كاسندريا» . وقد حاول «كرانيوس» أن يبدد مخاوفها فلعب معها دور العاشق المدله بحبها ، وقدم لها كل الموائيق على اخلاصه وفي نهاية الامر قبلت «ارسنوى» الزواج منه ولكن بعيدا عن «كاسندريا» حيث تركت أولادها . وبعد أن تم الزواج وسط تهليل الجيش وابتهاجه بنى أولاد اخته وزوجه . بعد ذلك دعا «ارسنوى» للحضور الى «كاسندريا» وهناك انقض على أولادها من «ليزيماكوس» وهم بين دراعها وقتلهم ، وعلى أثر ذلك هربت «ارسنوى» الى «ساموتراس» حيث ندمت على عدم موتها مع أولادها (٣) وقد أسف «كرانيوس» على أنه لم يأت على أكبر أولادها

الذى قدر له أن يعيش عيشة هادئة بعيدا عن عرش الملك .
والآن بعد أن ارتكب «كرانيوس» كل هذه الآثام جاء دور انتقام العدالة
الالهية منه ، فنراه وقد طعن طعنة نجلاء وهو في ساحة القتال يحارب
«الغاليين» . وقد اختار بعده المقدونيون أخاه «ميليجر» (Meleager) ملكا
عليهم ، غير أنه لم يكن كفاً فزلوه بعد أن حكمهم ستة أشهر ، وبعد ذلك
تولى فرد آخر يدعى «أنتيبار» عرش مقدونيا وهو ابن «كاسندر» لمدة
أشهر قلائل ثم عزل واحتفى «بالاسكندرية» بعد خلعه ، وكان يلقب
بالخمينى (وهو الهواء الذى يهب خمسة وأربعين يوما) . وقد كشفت لنا
عن حقيقته بردية جاء فيها عن طريق الصدفة أنه كان حاميا لصناع زهر الطاولة
المصنوع من عظام الأصابع (١) .

هذا وقد حاول «اتيوكوس الأول» بن «سليوكوس» والأميرة الفارسية
«أباما» فى «آسيا الصغرى» أن ينصب نفسه ملكا مكان والده ، ولكنه لا
يمكنه توطيد سلطانه الا بحرب تنشب هناك بقوى جديدة قام بها الامراء
الوطنيون والامر الفارسية القديمة ، على امارة «برجام» الاغريقية وكانت
صاحبة نفوذ وقوة هناك .

وعلى أية حال نجد فى نهاية الأمر بعد انقضاء نصف قرن على موت
«الاسكندر الأكبر» كانت فيه أحوال الامبراطورية جدمرتبة - ان عالم
شرقى البحر الأبيض المتوسط قد استقرت احواله وتألفت فيه مجاميع من
الدول القوية ، فنشاهد فى مقدونيا «اتيجونوس» كما اصبح شمالى
«سوريا» وجزءا كبيرا من «آسيا الصغرى» و «مسوبوتاميا» وبابل الفرس
فى قبضة بيت «سليوكوس» . هذا ونرى فى أجزاء أخرى قيام ملوك صفار
جدد محليين . اما «مصر» و «فلسطين» و «سيريى» و «قبرص» فكان على

(١) راجع Edgar Zenon, Pap. 70; A.S. XXII, (1922) P.P. 222; Cf. P. 231.

رأسها ملوك أسرة البطالمة . يضاف الى ذلك أن بلاد الاغريق نفسها والجزائر وسواحل بحر ايجة وشاطئ «البوسفور» والبحر الأسود ، ومدن الاغريق القديمة قد بقيت كلها تتمتع بشيء من الحرية على حسب ما تساعدهم به الأحوال للتخلص من عبودية الممالك العظيمة التي كانت تحيط بها .

وقد حدثت بين هذه الدول العظام أحداث عظيمة حربية وسياسية في عهد «ببليوموس الثاني» غير أنه مما يؤسف له جد الأسف أنه تعوزنا في هذه الفترة بالذات المعلومات التاريخية ، وبخاصة لأنه الوقت الذي وصلت فيه مصر الى أوج عزها وعظمتها . والواقع أن المصادر التاريخية التي في متناولنا لم تسعفنا الا بالنذر اليسير هذا بالإضافة الى أن ترتيب الحوادث التي نستقيها مما لدينا من مصادر غير مؤكدة في هذه الفترة ، وعلى ذلك فإن كل ما ذكر عنها لا يخرج عن الحدس والتخمين ولا يضع أمامنا الحقيقة الناصعة أو ما يقرب منها وبخاصة في الحروب التي سنذكرها فيما يلي .

الحرب السورية الأولى :

كان هم «ببليوموس الثاني» في وسط هذه الأحداث المفعمة بالخاطر والحروب أن يعيد الى ملك مصر بلاد «سوريا» ، التي كان يعدها من حقه مند أكثر من عشرين عاما مضت : وتفسير ذلك أن معاهدة التحالف التي كانت عقدت في عام ٣٠٣ ق.م لمقاومة «انتيجونوس» وإيقافه عند حده ، قد أعطت «ببليوموس الأول» حق الاستيلاء على «سوريا» ان هو اشترك في الحرب مع حلفائه ، غير أن ببليوموس لم يرسل جنودا الى «ابسوس» حيث دارت المعركة الفاصلة ، ولذلك فانه عند تقسيم مملكة «انتيجونوس» بعد هزيمته وانتهاء الحرب ، كانت «سوريا» من نصيب «سيلوكوس» أي أن المنتصرين تمسكوا بحرمان ببليوموس من الغنيمة لعدم قيامه بنصيبه في الحرب ، ولكن ببليوموس على الرغم من ذلك احتل «سوريا» الواقعة جنوبى «لبنان» ودمشق بما في ذلك فلسطين «وفنيقيا» جنوبى نهر «اليتيروس» (Eleutherus)

عدا «صور» و«صيدا» اللتين استولى عليهما من «ديمتریوس» عام ٢٨٦ ق.م وقد ادعى «بطلیموس» على ما يظهر أنه في عام ٢٨٢ ق.م قد ثبت حقوقه في «فلسطين» وجنوبی «سوريا» بما في ذلك «فلسطين» وسوريا الجنوبية (Cole Syria) بالاختصار ، أى وادی «مارسیاس ماسیاس» بالإضافة الى لبنان وما وراءها و«دمشق» بمثابة ثمن لحیاد مصر واشغال الحرب على «لزیماکوس» .

والواقع أن سياسة كل فرعون قوى في الأزمان السالفة كانت المحافظة على حدود مصر بمدىها في الأراضي السورية ، ومن جهة أخرى نلاحظ أن «سلیوکوس» قد استمر في ادعائه بحقه في كل «سوريا» حتى حدود مصر بما في ذلك فنیقیة بمقتضى تقسیم عام ٣٠١ ق.م . وهذا الموضوع هو المسألة السورية التي شغلت مصر أجيالا طويلة كما سنرى بعد .

وعلى أية حال نجد أنه في مدة حياة كل من «بطلیموس الأول» «سلیوکوس» كانت هناك روابط ألفة وصداقة بينهما منعت قيام أيه حرب وعندما شبت نار أول حرب بعد موت «سلیوکوس» ، وكانت ضمن سلسلة حروب قامت في «آسیا الصغرى» لا في «آسیا» ، وكان موقد نارها هو «بطلیموس الثاني» بطبیعة الحال . وآیه ذلك أن «بطلیموس الأول» كان قد استولى في عام ٣٠٩ ق.م. على بعض أماكن في «كاريا» وليسيا غير أن فقدهما ثانية في عام ٣٠٦ ق.م (١) . هذا ولا نعلم اذا كان أول متلکات ثابتة لمصر في «لیسیا» قد حصل عليها «بطلیموس الأول» في عام ٢٩٥ ق.م عندما استولى على قبرص من «ديمتریوس» أو استولى عليها «بطلیموس الثاني» بعد عام ٢٨٠ ق.م فذلك الأمر لا يمكن البت فيه، ولكن في عام ٢٨٥ ق.م. نعم ان بطلیموس الأول استولى على «كونوس» (Caunus) في «كاريا» وظلت ملکه . وقد اختلف المؤرخون هنا لنضوب المصادر .

وقد ظلت مصر على هذه الحال حتى عام ٢٨٠ ق.م لا تتدخل في إقليم « سليوكوس » ، وذلك لانه لم تكن « ليسييا » ولا « كونوس » ملكا « لسليوكوس » . ولكن عندما مات « سليوكوس » أخذ « بطليموس الثانى » يقلب ظهر المجن واستحال الى مغير . فكما سبق اعترف بان « كراونوس » قد أصبح ملكا على مقدونيا وكان « انتيوكوس » يدعى ملكها ، ولم يمض عام ٢٧٨ ق.م. حتى استولى على « ميليتوس » ، غير أننا لا نعرف كيف حدث ذلك . وقد أعاد اليها قطعة من الأرض كانت فقدتها منذ زمن بعيد . ولابد أنها كانت قد أصبحت أرض الملك ، ومن الواضح أنه اذا استولى على أرض الملك من « انتيوكوس » فان ذلك يعنى قيام الحرب . وعلى أية حال فان مقتضيات الأحوال فى عام ٢٧٩ ق.م كانت توحى بأن « انتيوكوس » لم يكن فى مركز يجعله يحقد على أى شىء يقوم به « بطليموس » ، وذلك لأنه كان لا يزال فى حرب مع « انتيجونوس » والحلف الشمالى الاغريقى، ومن المحتمل أنه كان قد واجه لعصيان فى « سلوكيس » موطن السليوكيين على نهر « الارنت » حيث قد استولى العصاة على ما يظهر على « أباما » وكل القبيلة هناك وعلى الرغم من أنه عقد صلحا مع « انتيجونوس » فى عام ٢٧٩ ق.م ربما كان سببه الخوف من غارة يقوم بها « بطليموس » فان « نيكوميديس » قد أحضر فى عام ٢٧٨ ق.م « الغاليين » لمساعدة الحلف الشمالى ، وبذلك ازدادت مصاعب « انتيوكوس » سوءا على سوء ، ومن المحتمل أن عام ٢٢٧ ق.م فان اسوأ عام مر به من حيث الرعب والذعر اللذين سببهما الغاليون فى آسيا الصغرى . وعلى الرغم من أن « انتيوكوس » كان مسيطرا على العصيان فى « سلوكيس » (Seleucis) فى هذا العام فانه لم يكن فى مقدوره أن يترك « سوريا » حتى الشتاء (١) .

هذا ونعلم أن «اتتيوكوس» وابنه الأكبر «سليوكوس» الذي اشركه معه في الملك عام ٢٨٠ ق.م قد قضيا الشتاء في «سرديس» ، ولم يكن مقدرا له أن يحارب الغاليين حتى الآن ، وذلك لأنه في ربيع ٢٧٦ ق.م غزت جنود «بطليموس الثاني» «سوريا الجوفاء» واستولوا على دمشق ووادي «مارسياس» الواقع خلف جبال لبنان . وعندئذ ترك «اتتيوكوس» ابنه «سليوكوس» يحمي «آسيا الصغرى» ، وعبر جبال «توروس» ثانية وهزم الغزاة وردداهم على أعقابهم واستعاد «دمشق» ، وقد شغلته «سوريا» كل عام ٢٧٦ ق.م. وأمضى الشتاء في ربوعها . ومن المحتمل أنه في خريف عام ٢٧٦ ق.م كانت قواته البرية في «آسيا الصغرى» وكذلك اسطوله قد طوق جزيرة «مليتوس» . وكان البحر أمامه مفتوحا ، اذ كان في امكانه أن يرسل أخته فيلا (Phila) الى «بلا» (Pella) عاصمة مقدونيا ، وكان اسطول مصر القوي وقتئذ يساعد حملة «بطليموس» في «سوريا» . ومن المحتمل أنه في عام ٢٧٥ ق.م كان أمير البحر «كاليكراتيس» (Callicrates) من أهالي «ساموس» هو الذي خلف «فيلوكليس» (Philocles) بعد عام ٢٧٨ ق.م. ورفع الحصار البحري الذي كان مضروبا على «مليتوس» . غير أن الضغط برا كان شديدا ، ولم يكن في مقدور «بطليموس» بعد هزيمة سوريا الا أن يكتب الى «المليزيين» حاثا لهم على الثبات ، وقال لهم أنه سيعمل جهده لحمايتهم . وعلى أية حال لا نعلم مصير الحرب فيها بعد ذلك . ولكن حوالى مارس من عام ٢٧٥ ق.م وصلت اليه جنوده من «بابل» في «سوريا» ، وكان قد سبق ذلك بمدة شهر ارسال عشرين فيلا من فيلة القتال . وعندما عبر جبال «طوروس» في ابريل أو مايو ساق هذه الفيلة معه . وقد عمل حسابه على أن الفيلة كانت فتاكة بالرجال الذين لم يكونوا قد رأوهم من قبل ، وقد تحقق له ما حسبه ، فقد كسب بها المعركة التي هزم فيها الغاليين وهي الواقعة المعروفة « بنصر الفيلة » . وباتهاء عام ٢٧٥ ق.م يبدو أنه قد أظهر نشاطا

مدهشنا ، وأنه وصل الى بر السلامة . وفي هذه الآونة اطراه حلف «الليوم» (Illium) على ما أسداه من سلام للمدن واعادة مملكته الى ما كانت عليه من قخار حتى بعد هزيمة «ببليموس» . ومن أجل ذلك منحوه لقب «المخلص» بسبب الهزيمة التي تكدها «الغاليون» . وقد لقب «المخلص» (سوتر) وهو الاسم الذي يطلق على عبادته .

ومما سبق نفهم أن «اتتيوكوس» قد كسب الجولة الأولى في الحرب ، ولكن سنرى أنه في الوقت الذي أخفق فيه «ببليموس الثاني» و«الغاليون» قد ظهرت على مسرح التاريخ امرأة نالت نصرا مبينا عزيزا على أعداء مصر وهذه المرأة هي «أرسنوى الثانية» أخت «ببليموس الثاني» وأرملة كل من «ليزيماكوس» ومن بعده «كراونوس» على التوالي . وذلك أن مكثها في «ساموتراس» لم يطل اذ قد عادت الى مصر بعد موت «كراونوس» وأخذت تلعب دورها المنقطع النظر حتى الآن في تاريخ البطالمة ، فقد تقربت بمكرها ودهائها من أخيها «ببليموس الثاني» وكانت النتيجة النهائية لمكايدها في القصر أن سرح ببليموس زوجه «أرسنوى الأولى» بحجة اشتراكها في مؤامرة لاغتياله ، وبعد ذلك تزوج من أخته «أرسنوى الثانية» . وفي الوقت نفسه بنى ابنها الذي أنجبته من «ليزيماكوس» واسمه «ببليموس» (Ptolemaeus) وقد تبنت هي بدورها بكر أولاده من «أرسنوى الأولى» . وهو الذي أصبح فيما بعد «ببليموس الثالث» . أما «ببليمايوس» الذي طرده «أتيجونوس» في عام ٢٦٧ ق.م من مقدونيا فكان يحكم «ميليوس» منذ حوالى عام ٢٧٥ ق.م ، وقد كان السبب الذي دعا «ببليموس الثاني» لتبنيه هو بلانزاع أنه بوصفه ابن «ليزيماكوس» كان له بحق الوراثة عن أبيه أن يحكم «أيونيا» التي كان يأمل «ببليموس» أن يفيد منها ، بل يحتمل أنه كان يرغب في أن يشترك معه في حكمها . ومن الجائز أن زواج «أرسنوى الثانية» من «ببليموس الثاني» كان في عام ٢٧٧ ق.م ، وأن طموحها هو الذي دعا الى

غزو بلاد «سوريا» عام ٢٧٦ ق.م ، ولكن يغلب على الظن أكثر أن هذه الغزوة وقعت في أواخر عام ٢٧٦ ق.م أو في أوائل عام ٢٧٥ ق.م ويستنبط ذلك من الحركات التي قام بها «ببليوس الثاني» . وعلى الرغم من أن فكرة زواج ببليوس من «أرسنوى» قد أتت من جانبها هي ، فإن «ببليوس» لابد كان لديه سبب قوى للزواج من اخته من أبيه وأمه ، وذلك على الرغم من أن زواج الاخ من أخته كان يعتبر حدثا مستنكرا في بادئ الأمر بالنسبة للتقاليد الاغريقية ، ولكنه كان من جهة المصريين يعتبر تقليدا لازما عند فراغة المصريين بوجه خاص . وذلك لأن كل من يحمل لقب فرعون مصر كان لازما عليه أن يتزوج من أخته ليحفظ الدم الآلهي خالصا .

ومن الغريب أن مؤرخى العصر الحديث في أوروبا وغيرها يقرنون سبب زواج «ببليوس الثاني» من أخته بهزيمته في «سوريا» عام ٢٧٦ ق.م. ويقول أحدهم (١) ، أنه على الرغم من طموح هذا الملك وقدرته السياسية - وذلك لأنه كان رجل أعمال ولم يكن قط مجرد رجل سطحي في معلوماته - فانه لم يكن يفهم الحرب ولم يقد قط بنفسه جيشا في ساحة القتال وأنه كان في حاجة الى نضج عقلها وقوة ارادتها في تدير أمور الحرب التي كان يخسرها كما حدث في حرب «سوريا» حيث لم يكن هناك من أحد يساعده ، وفي نهاية عام ٢٧٥ ق.م بل من المحتمل قبل ذلك أخذت «أرسنوى الثانية» شئون الحرب في يديها .

والواقع أننا لا نعلم من جهتنا عن «أرسنوى الثانية» شيئا من الوجهة الحربية غير أنها كانت امرأة صاحبة مكر ودسائس تدبرها لمن تريد أن يختفى من أمامها تنفيذاً لرغائبها وشهواتها وطموحها ، وأن سلطانها على الرجال الذين تزوجت منهم كان بالجسم لا بالعقل ولم تر قط أنها قادت لأى من

زوجها السابقين قيادة معركة حرية ، وفي اعتقادي أنه كان هناك سبب آخر لهذا الزواج ولا بد أن يكون مرجع هذا السبب أولا وآخرا الى الدين . وقد كتب العالم «ملن» مقالا صغيرا في هذا الصدد يتفق مع العقائد المصرية وقد برهن فيه على أن «أرسنوى» قد نقلت فكرة عبادة «آمون» عن زوجها «ليزيماكوس» ونشرتها في مصر بعد أن كانت لا تعد شيئا بالنسبة لمباداة «سيرابيس» (١) .

وذلك أن تطور عبادة «آمون» في مصر في عهد البطلمة تقدم لنا أدلة هامة للسياسة الدينية التي سارت على هديها أسرة البطلمة . فمما يلحظ أولا أنه ليس لدينا برهان أكيد على اهتمام «بطليموس الأول» بوجه خاص بمباداة «آمون» . وقصة زيارة «الاسكندر» لواحة «سيوه» كما ذكرها لنا «بطليموس الأول» نفسه يظهر مما ذكره لنا المؤرخ «أريان» أنها قد كتبت من الوجهة الحرية . وذلك على حسب ما اقترحه المؤلف «رادت» (٢) وذلك كان الهدف الرئيسي «لأريان» . ومن جهة أخرى قد برهن «فلكن» بصفة قاطعة جدا أن التفاصيل الخلافة التي جاءت في «قصة الاسكندر» فيما يخص هذه الزيارة قد كتبت بعد عهد «بطليموس الأول» .

وعلى حسب هذا الرأي يكون تمثيل «الاسكندر الأكبر» بقرني كبش على معبده ، وهو تمثيل عادي مألوف بوصفه طراز نقذ ، ولا بد أن الغرض منه كان ربط «الاسكندر الأكبر» بالاله «آمون» ، غير أنه لم يظهر في مصر في عهد «بطليموس الأول» ، وذلك لأن رأس «الاسكندر» الذي كان يمثل على قطع نقود الدرخمة التي كانت تضرب لمصر قبل عهد «بطليموس الأول» كان يمثل صورته على النقود بلباس رأس في هيئة جمجمة فيل وربما كان لغرض منها أن يظهر بأنه البطل مؤسس «الاسكندرية» ، ولكن من المؤكد

لم يكن لها أية علاقة بمعبادة آمون . وكذلك نلاحظ في النقود الصغيرة المصنوعة من البرنز في نفس هذا العهد أن الصورة التي كانت عليها هي صورة آدمية للاسكندر دون أن تحلى بقرنيز أو أى شئ آخر .

يضاف الى ذلك أن «آمون» لم يعط نصيبا في ديانة الدولة الجديدة التي كانت تدور حول عبادة «سيراييس» وذلك لأن المجلس اللاهوتي (وهو الذى على حسب ما جاء في التقليد كان مكلفا بإيجاد اله يرضى الاغريق والمصريين على السواء) قد تلقى الهامه من عدة مصادر . ولكن لا نجد على وجه التأكيد أى أثر لأى تأثير لآمون في التصوير الفنى بصورة «سيراييس» ، هذا فضلا عن أن السجلات المبكرة الخاصة بالعبادة لا تظهر أنه كان هناك مثل هذا التأثير . والواقع أن «بطليموس الأول» لم يضرب صفحا عن «آمون» وحسب بل حقره بصورة محسة . وذلك عندما حرم طيبة التي كانت تعد المركز الأول لعبادته من أن تكون صاحبة القيادة في الوجه القبلى ونقل تلك السيادة الى «بطليمائيس هيرميو» مدينته الجديدة التي أسسها في الوجه القبلى ومن المحتمل أنه في عهد «بطليموس الثانى» قد بدأت قصة زيارة «الاسكندر» لمعبد «آمون» بواحة «سيوة» تزخرف بالاساطير . ونجد هنا ثانية أن النقود يمكن أن تستعمل مصدر الهام . وذلك أن رأس الاسكندر المحلى على النقود بقرنين قد ظهرت للمرة الأولى بوصفه طراز نقود في «تراقيا» على النقود المصوغة من الذهب أو الفضة التي صكها «ليزيماكوس» لنفسه . فنشاهد أن الرأس ذو الصبغة الفضة قد لا تكون لآمون بل لابنه «كارنيوس» (Carneius = أبولو) وأن المقصود بها كان تمثيل وجه «الاسكندر» (١) . وسواء أكانت الصورة تمثل «آمون» أو «كارنيوس» فإن طرازها كان اغريقيا ، ولا بد أنه قد اشتق من عبادة اغريقية

ستوطنة في مملكة «ليزيماكوس» ، وعلى ذلك فانه لدينا بعض الأسباب التي تحملنا على أن نعتقد أن المذهب القائل أن «الاسكندر» كان ابن «آمون» قد تطور الى قصة شعبية في «تراقيا» في عهد «ليزيماكوس» . وعلى ذلك فانه من المهم أن نفهم أن عودة عبادة «آمون» في مصر كانت على وجه التقريب معاصرة لعودة «أرسنوى» أرملة «ليزيماكوس» الى مصر وزواجها من «بطليموس الثانى» .

ومن المحتمل أن «أرسنوى» قد تحققت من أن الفكرة الاكاديمية لعبادة «سيراپيس» قد أخفقت في أن تجذب اليها قلوب الاغريق أو العناصر المصرية على وجه عام . وذلك أن المعبود الاغريقى الذى توجد صفته بصورة بارزة في عبادة «هاديس» (Hades) اله الموتى لم يكن آلهة ذا شخصية جذابة بوجه خاص ، في حين أنه من جهة أخرى نجد أن «أوزير» اله الموتى عند المصريين كان أكثر أهمية في اللاهوت المعنوى منه في الشعائر العادية . وكان «آمون» اللوى يمثل للعقل الاغريقى الاله «زيوس» وللعقل المصرى «آمون رع» ، وعلى ذلك مزجت عبادتان شعبيتان شائعتان ببعضهما بعضا . ومن المعقول أن «أرسنوى» كانت قد تقلت لأخيها كيف أن أفادة زوجها المتوفى من «آمون» مقتنيا في ذلك خطى «الاسكندر» قد وجدت قبولا حسنا عند الاغريق في أوروبا وفي «آسيا» . وعلى ذلك اقترحت عليه أن نفس العلاقة بين هذين الالهين لا بد أن يفاد منها في مصر . وعلى أية حال فانه من الواضح أن كلا من «آمون» و «سيراپيس» قد أصبحا موحد الواحد بالآخر أكثر فاكثرا في السنين الأخيرة من عهد أسرة البطالمة لدرجة أن عدة آلهة وحدث في اسم واحد هو «زيوس - أمون - هليوس - سيراپيس» وقد استمر التطور أكثر في العهد الرومانية فاضيفت صفات «بوزيدون» و «نيلوس» (اله النيل) و «اسكليبيوس» ، و «هرقليس» للاربعة آلهة السابقة ولكن ذلك لم يحدث حتى القرن الثانى بعد الميلاد .

هذا ولدنا براهين أثرية عن استعمال «بطليموس الثانى» لآمون ، فمن ذلك العملة النحاسية الجديدة التى ادخلت فى عهده وقد كان القصد فى ضربها هو أنها تناسب الاستعمال الوطنى بوصفها أداة مبادلة فى أعمانهم . وذلك لأن كلا من معيارى الذهب والفضة الذى كان مستعملا فى الممالك الهيلانستىكية كان غريبا على مصر التى كانت فى العادة تستعمل نظام العملة النحاسية ، أما النظام النقدى الاسكندرى الذى اتجه «بطليموس الأول» ، فانه أعيدصكه فكان طراز وجه العملة رأس «آمون» لا رأس «سيراپيس» . وكانت العملة بالأسلوب الاغريقى فكانت الى حد كبير تمثل «ذىوس» أو «سيراپيس» بوصفها نموذجا لأى منهما عندما ينظر إليها نظرة عابرة ، غير أنها مع ذلك كانت معلمة بأنها مصرية بالقرص الذى يتوجها . وهنا نجد ثانية علاقة مع «أرسنوى» وذلك أنه على حسب «سفورونوس» (Svoronos) أن العملة النحاسية الجديدة ابتدأت فى الاستعمال عام ٢٧٠ ق.م وهو العام الذى مات فيه «أرسنوى» وفى نفس الوقت ضربت سلسلة من النياشين الكبيرة من الذهب والفضة عليها صورتها واسمها .

وأهم وثيقة تحمل فى طياتها علاقة أرسنوى بهذا النوع من العبادة هى لوحة «منديس» (١) ، وقد كان أول من نشرها «بركش» (٢) ، فوجد فى نقوش هذه اللوحة (السطر ١٣) أنه فى شهر بشنش من السنة الخامسة عشرة من عهد «بطليموس الثانى» أن الملك قد أمر باقامة تماثيل «لأرسنوى» بوصفها الالهة برأس تيس وقد أنعم عليه بلقب محبوبة «منديس» ، وكذلك «فيلادفلس» . غير أنه ليس واضحا فى المتن على وجه التأكيد الى أى درجة من الحيوانية توجد فى ترجمة عبارة «صورة تيس» التى نجدها فى المتن المصرى ، غير أنه من البدهى أنها كانت قد مثلت فى صورة توحيدها بالتيس

المقدس من حيث قداسته وحسب لا من حيث صورته ، وقد كان يكفى لان يفهم الاغريقى ذلك أن تمثل بقرن كبش كما فهم «لزيماكوس» من تمثيل «الاسكندر» . أما المصرى فكان يذهب الى أبعد من هذا ، ولكن لسوء الحظ لم نجد لها تماثيل بهذه الصفة فيما خلفته لنا الآثار المصرية . أما حقيقة أنه كان تيس «منديس» لا «آمون» الذى كان موضوع البحث فعلا فليس لذلك أهمية تذكر ، وذلك أنه تنفيذا لاغراض بطليموس كان اله الكبش يمكن أن يقوم مقام غيره من الآلهة ، والواقع أن «منديس» كانت مركزا للعبادة أكثر ملائمة لبلاط «الاسكندر» عنها فى «طيبة» أو «سيوة» . وذلك لأن هذين المكانين كانا أبعد بكثير عن العاصمة . هذا فضلا عن أن «طيبة» لم تكن محبوبة فى نظر الأسرة الجديدة ، ومع ذلك فانه مما تجدر ملاحظته أنه كانت قد قامت نهضة بناء جديدة فى «طيبة» فى عهد «بطليموس الثانى» ، - فى حين أن قبضة مصر على «سيوة» لم تكن مؤكدة . والنقطة الهامة حقا فى هذا الموضوع هى أن أميرة أغريقية مثل «أرسنوى» كانت قد أوثقت علاقتها باله مصرى وهذا كان يعد اجراءا جديدا فى بابه ، وقد عمل هذا بأمر من الدولة . أى بدافع من الاغريق لا من المصريين لأنه لم يكن لهم من الأمر شئ (١) ، ولكن عمل لأرضاء الكهنة المصريين والشعب المصرى الذى كان عماد ثروة البطالة .

وتدل كل القصة التى تحتويها لوحة «منديس» على علاقة وثيقة على غير المؤلف بين «أرسنوى» وعبادة «الكبش» التى كان يمثلها تيس «منديس» . واذا كان «بطليموس» قد أراد أن يمنح أخته مجرد مكانة فى مجمع الآلهة الوطنى فانه كانت توجد فى مصر عدة الهات تتلاءم أكثر معها ، ويمكن توحيدها بها أكثر من الاله «منديس» : والواقع أن المنشور الذى جاء فى

لوحة منديس» يأمر باقامة تماثيل لها بوصفها الهة ضمن الآلهة في كل المعابد . وحقا نجد أنه في السنين القليلة التي أتت بعد ذلك عدة آثار لها تدل على ادخالها في عدة عبارات أخرى ، ولكن اندماجها في عبادة «منديس» لم يكن الأول من حيث الزمن وحسب بل كان يعد غريبا في بابها من حيث شكل توحيد «أرسنوى» بهذا الاله . ولا بد أنه كان هناك سبب خاص لهذا الاجراء والسبب الذى يعد مفتاحا لبراهين أخرى في هذا الصدد هو أن «أرسنوى» كانت المسئولة عن تعظيم عبادة «التيس» وذلك بأن جعلت آمون رتبط ارتباطا وثيقا بأقدار أسرة البطالمة ، وذلك باحضارها من تراقيا الفكرة بأن «الاسكندر» كان معترفا به ابنا «لآمون» (الذى كان يمثل أحيانا في صورة تيس) ومما سبق نفهم أن «أرسنوى» كانت تريد أن تحقق أمنية الشعب المصرى الذى كان يتمسك بتقاليده ولو كان في ذلك ما يناقض العادات الاغريقية . وقد تبعها في ذلك زوجها «ببلييموس» . وقد عمل كل من «أرسنوى» و «ببلييموس» على السير بهذه الفكرة الى أبعد حدودها . ومع ذلك اذا فرضنا أن زواجه من أخته كان لغرض سياسى فلماذا لم يقتصر حادث الزواج هذا عليه هو واخته «أرسنوى» وحسب ، بل الواقع أنه أصبح سنة في ملوك هذه الأسرة لا مندوحة عنها حتى انقرضت . ولقد علل ذلك بعضهم أن مثل هذا الزواج قد وقع مع الآلهة الاغريق فلا غرابة أن يحدث مع ملوك البطالمة الذين كانوا ينسبون أنفسهم للآلهة ، فقد تزوج «زيوس» من «هيرا» . والمطلع على تاريخ الديانة الاغريقية وأصولها يجد أن هذه مأخوذة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة عن الديانة المصرية القديمة في كثير من الأحوال فالاله «زيوس» والآلهة «هيرا» يقابلهما عند المصريين «أوزير» و «إزيس» الخ ...

حقا كانت «أرسنوى» امرأة واهية ماهرة صاحبة سلطان عظيم على زوجها الرخو السمين لدرجة أنها لم ترض أن تكون ملكة وحسب ، بل اشتركت

معه في الحكم فعلا اذ كانت تضع صورة رأسها على النقود ولبست التاج مثل والدتها ، ولما أخذت تدير شئون الملك بمهارة عظمتها الاغريق واحتلوا لزوجها البغيض في نظرهم من أخيها — والمحب في أعين المصريين — بأنه زواج مقدس على غرار زواج «زيوس» من أخته «هيرا» وان كان ذلك غير الحقيقة . وفي اعتقادي أن هذه هي المرة الثانية التي حاول فيها ملوك البطالة التقريب بين الشعبين الاغريق والمصري عن طريق العقائد الدينية والتقاليد الوطنية فكانت الأولى كما ذكرنا آنفا عندما حاول «بطليموس الأول» التقريب بين معبود المصريين «أوزير أيس» ومعبود الاغريق «سيراييس» ، والمرة الثانية هي التي قامت بها «أرسنوى» وهي التقريب بين «آمون» و «سيراييس» وذلك بالعودة الى عبادة «آمون رع» والتمسك بمبادئها والتي من مقوماتها حفظ الدم الملكي الالهى طاهرا في الأسرة المالكة بزواج الملك من أخته وشقيقته ، وكان هذا الاجراء أحب شيء عند الشعب المصري . (أنظر فيما بعد ترجمة لوحة منديس) .

وفي تلك الأثناء نرى أن «اتيكوكوس» قد وطد العزم على غزو مصر عام ٢٧٤ ق.م. اذ تراه قد ضم الى جانبه «ماجاس» أخ «بطليموس» الذي كان وقتئذ حاكما فينيقيا ، وقد زوجه «أتيكوكوس» من ابنته «أباما» ، ومن أجل ذلك أعلن استقلاله عن مصر . وعلى اثر ذلك نجد أن «ماجاس» قد بدأ زحفه على مصر عام ٢٧٤ ق.م. وكاد يصل في زحفه الى الاسكندرية بسبب عصيان الغالين المرتزقين ، وهنا تظهر «أرسنوى الثانية» على مسرح الحرب فقد توصلت بتدبيرها أن جعلت جنود «مرميقا» الليبيين يقومون بثورة على «ماجاس» من وراء ظهره ، وذلك بفضل ما اتهم به من مال ، وعلى ذلك لم يجد «ماجاس» بدا من أن يرتد على عقبيه عائدا الى بلاده ، أما الجنود الغاليون العصاة فانها حصرتهم في جزيرة وأتت عليهم جميعا ولم تأت نهاية هذا العام حتى كانت قد ضمنت لنفسها عدم تدخل «اتيجونوس»

اد كانت قد ضمت الى جانبها «بيروس» ملك «أبيروس» ومدته بالمال فأعلن الحرب على خصمها ، غير أن «أتتيوكوس» لم ينهض قط لمساعدة «ماجاس» ، وذلك لأنه كان مضطرا للبقاء في آسيا الصغرى ، لأن الأسطول الذى كان يقوده «كاليكراتس» كان مجهزا تماما بسفن قتل وجنود مرتزقين ، وقد أرسله «بطليموس» لمهاجمة «كليشيا» التى كانت تعد مفتاح «آسيا الصغرى» وبذلك يضطر الى المحاربة من أجل المواصلات بين أتتيوك (أنطاكية) و «سرديس» ، فى حين أنه كان قد استأجر قرصان بحر لتخريب سواحله ، ومن المحتمل أن الغالين قد سدوا الطريق الثانية فى وجهه ، كما كان من الجائز كذلك أن بعض العرب قد هاجموا مصر من جهة الصحراء ، وذلك لأنه فى شهر هاتور (يناير) سنة ٢٧٣ ق.م. كان كل من «بطليموس» و «أرسنوى» فى مدينة «هيروبوليس» قد تشاورا معها فى أمر حماية مصر من الأجانب هناك ، وفى عام ٢٦٩ ق.م. حفر «بطليموس الثانى» قناة لحماية مصر فى هذه الجهة تربط بين البحر الأبيض والبحر الأحمر بواسطة النيل (راجع مصر القديمة الجزء الثالث عشر صفحة ٦٦٥ الخ)

وفى عام ٢٧٤ ق.م قامت مصر بفتوح واسعة على شاطئ «آسيا الصغرى» ، ولكن لا يمكن القول بأن «أتتيوكوس» قد اضطر فى عام ٢٧٣ أو ٢٧٢ ق.م الى إبرام صلح . وقد أفلح الأخير فى المحافظة على شرقى «كليشيا» ، وكانت أملاك «بطليموس» عند إبرام الصلح تشمل النصف الغربى الواقع خلف نهر «كاليكادنوس» (Calycadnus) من «كليشيا» حيث نجد بلدين الأولى باسم «فيلادلفيا» والثانية باسم «أرسنوى» . وكذلك الساحل الشرقى «لبامفيليا» مضافا الى ذلك «فازيليس» (Phasilis) ويحتمل كذلك «اسبندوس» (Aspendus) ومعظم «ليسيا» و «مليارد» (Milyard) حيث أصبحت «باتارا» تدعى «أرسنوى» ، وكذلك استولى «بطليموس»

في «كاريا» و «أيونيا» على «كاونوس» (Caunus) و «هليكارناسوس» (Halicarnasus) و «ميدوس» (Myndus) و «كنيدوس» (Cyclades) ويحتمل كذلك ميائتوس (Miletus) ، وفي بحر ايجه استولى «ببلييموس» خلافا «لساموس» «وقيرا» (Thera) و «سيكلادس» (Cnidus) على «ساموتراس» التي قدمتها له «أرسنوى» مهرا لها على الأرجح وعلى الرغم من أن دمشق بقيت في يد «السليوكيين» فانه حصل على «أرادوس» (Aradus) و «ماراتوس» (Marathus) وبذلك جعل كل فنيقيا مصرية ، يضاف الى ذلك أن «ماجاس» حاكم «سيريني» قد اعترف بسيادة أخيه «ببلييموس الثاني» فكان ذلك نجاحا عظيما لمصر .

ولا نزاع في أن الأعوام من ٢٧٢-٢٧٠ ق.م عندما طارت «أرسنوى» صاعدة الى السماء في التاسع من يولية كانت أعواما ذهبية في تاريخ المملكة المصرية. فقد كانت «الاسكندرية» تنمو بسرعة عظيمة من حيث الفخامة المادية والأعمال العقلية التي انجزت في خلال تلك الفترة وقد تحفنا الشاعر «تيو.كريتوس» (Theocritus) بمدائحه «لببلييموس» فقد وصفه بأنه أعظم ملوك العالم وأكثرهم ثراء اذ كان تحت سلطانه ١٣٣٣٣ مدينة . وقد تنبأ له الشاعر «كاليماكوس» في أنشودة دبجها ببراعة لمدينة «ديلوس» - والمرجح أن «أرسنوى» قد طلبت اليه أن ينشدها في «بطولاميا» التي في «ديلوس» وجاء فيها أن «ببلييموس» سيحكم العالم من مشرق الشمس الى مغربها .

وقد أقام خلف الجزيرة تمثالا «لكاليكراتيس» (Callicrates) الذي كان نائب البحر مثل «فيلوكليس» وقد كرمه في جزيرة «ساموس» فرد من أهلها هو والملك والملكة ، وهذا حادث فريد في بابه لم يعمل من قبل لأحد أفراد الرعية . ولكن «أرسنوى» ربة الكثرة وسيدة مصر التي علت مصر كيف تستعمل أسطولها والتي قلبت الخيبة الى فوز ، كرمت في حياتها

وبعد ممانها بما لم يعمل مثله الا للقليل من النساء . فقد كانت تحمل اسم تنويج كاسم تنويج الملك ، وأقيم لها تمثال بين تماثيل ملوك البطالمة وضع أمام «أوديوم أثينا» وبجوار تمثال «بطليموس الثاني» ، وكان المهدى لهما هو «كاليكراتيس» في «أولمبيا» . وفي الاسكندرية كان يسمى باسمها عدد كبير من شوارعها كما كان يطلق على عدد كبير من المدن الواقعة حول شواطئ بحر ايجة . وهناك أسطورة تقص علينا أنه كان لها تمثال منحوت في الياقوت الأصفر المستخرج من البحر الأحمر .

هذا وقد وضع تصميم لأرسينويون (Arsinoeion) حجرة مغناطيسية حيث كان يوجد تمثال لها من الحديد يجب أن يسبح حرا في وسط الهواء بوصفه خالدا . وقد أصبحت «أرسنوى» فعلا خالدة . فنجذ في كل معبد وطني قد نصب تمثالها بجانب آلهة مصر الخالدين وأصبحت تعبد مثلهم . وكانت تعد في نظر الاغريق الاله «فيلادلفوس» أى حبيبة أخيها مثل «هيرا» ملكة السماء . ومن بين الأسماء التي كانت تعبد بها اسم «هيرا» نفسه . وقد انتشرت عبادتها خارج مصر في كل عالم الجزر الاغريقية ، هذا وقد أصبحت بعد موتها موحدة بالالهة «افروديت» و «ازيس» . أما في عبادة الأسرة الرسمية فقد كان لها مكانها وكاهنتها على حدة . وأقيمت لها المحاريب في الاسكندرية وفي «ديلوس» وأقام لها «كاليكراتيس» معبدا في «زفيريون» (Zephyrion) بوصفها أفروديت «زفيريتيس» وقد أشاد بذكره الشاعر «پوزيديپوس» (Poseidippus) ، أما من حيث اعتقاد القوم الذين كانوا في خدمتها فقد ابرزه في أحسن صورة «هيرمياس» مشرف «بطليموس الثاني» على الجزر، فقد أقام هذا المشرف بعد موتها بمدة قصيرة في «ديلوس» آنية عيد «فيلادلفيا» (١) على شرف آلهة «ديلوس» وعلى شرف الالهين

(١) وهذا العيد كان يقام سنويا وكان القصد منه تقديم انية منقوشة تقدمها مجموعة من العذارى وهي تفضى .

الجديدين «بطليموس الثانى» و «أرسنوى» . وفى حين نجد فى الاهداء الذى نقش على الأوانى ان اسم «بطليموس الثانى» قد وضع فى آخر الاهداء ، فان اسم «أرسنوى» احتل المكانة الأولى على الكل فتقدم على «أبولو» نفسه (١) .

« كرىمونيدىس »

لقد ترك موت «أرسنوى» فى نفس «بطليموس الثانى» أثرا عميقا لدرجة أنه ألهمها ، فقد وجدناه منذ شهر بشنس من السنة الخامسة عشرة من حكمه أى بعد موتها مباشرة يؤلفها ويقيم لها الشعائر على حسب الطريقة المصرية فى معبد «تيس منديس» كما يشاهد ذلك على لوحة «منديس» (Mendes Stele L-11-31) ، اذ نرى فى الجزء الأعلى من هذه اللوحة «بطليموس الثانى» مثلا وهو يقدم الطاعة للتيس وقد صفت خلفه عدة آلهة وفى نهاية الصف ترى «أرسنوى» فى هيئة الهة . هذا ونشاهده فى السنة التالية فى لوحة «بتوم» (تل المسخوطة) وهو منهمك فى ادخال عبادة زوجه «فيلادلفس» فى معبد آتوم وقد أقام فى مدينة «أرسنوى» الجديدة معبدا له ولأختا «أرسنوى» . وهذه المدينة أسسها على مياه «كمور» (اقليم البحيرات المرة) (راجع مصر القديمة الجزء الثالث عشر ص ٧٠١) . وكانت الأخفال الافتتاحية لاقامة شعائر عبادة «أرسنوى» تتابع سنويا فى معابد مصر المختلفة على الطريقة المصرية . أما فى الاسكندرية فقد أقام لها عبادة خاصة على حسب الشعائر الاغريقية يقيمها كهنة خاصين ولم تلبث الا قليلا حتى انتشرت عبادة الآلهة «فيلادلفس» فى كل البلاد الاغريقية كما ذكرنا من قبل . والواقع أن روح هذه الملكة المؤهلة باسم «أرسنوى فيلادلفس» قد استمرت تبث قوتها فى السياسة المصرية ، وأنها لو امتد بها الأجل لكان للسياسة المصرية شأن آخر . ولما حلت بها الهزائم التى اتتبتها بعد موتها .

ومما يؤسف له جد الأسف ان السنين التي أعقبت موتها جاءنا تاريخها غامضا لدرجة بعيدة ، ولذلك فان ما سنذكره هنا بعد ، عن الحروب التي قامت في تلك الفترة بين «ببليموس الثاني» وخصومه لا يعتمد على وثائق أصلية وأن الحدس والتخمين قد لعبا دورا في قصتها .

وعلى أية حال يظهر أن «ببليموس الثاني» بعد موت «أرسنوى» أخذ في حل المسائل العويصة في سياسة البلاد وهى التى كانت تسمى «أرسنوى» الى أن تحلها على حسب آرائها الخاصة وخططها الماكرة . ففى عام ٢٧٣ ق.م مات «بيروس» فى الحرب التى شنها على «اتيجونوس» ، وقد كان ذلك سببا فى تقوية مركز الأخير ، ومن ثم أصبح واضحا أنه اذا قويت مقدونيا فان ذلك معناه تهديد لمصر ، ومن ثم كان لا بد من إيقافه عند حده . وكانت «أرسنوى» تطمع فى أكثر من ذلك ، اذ كانت ترمى الى الاستيلاء على عرش مقدونيا لابنها «بطوليمايوس» بن «ليزيماكوس» ، ومن المحتمل أنها كانت تعلم فى جمع شمل امبراطورية «ليزيماكوس» من جديد وتنصيب ابنها على عرش والده الذى مات غدرا . على أنه كان هناك خطر اذا ما أصبح «ببليمايوس» ملكا على مقدونيا ، اذ كان من الممكن أن ينحاز الى المقدونيين فى عدائهم لمصر ، وعلى ذلك فانه من الجائز تقاديا لذلك أن نجد «ببليموس الثانى» عندما رأى أنه لا مناص من الحرب اشرك «ببليمايوس» هذا معه فى الملك عام ٢٧٦ ق.م ، وبذلك كان يحكم كذلك أملاك «ليزيماكوس» السابقة . وتدل الظواهر على أن «أرسنوى» كانت قد كونت حلفا من بلاد اليونان لمحاربة «اتيجونوس» ، غير أن الحلف لم يقيم بمحاربة الأخير الا بعد موت «أرسنوى» ، وذلك لأن «ببليموس» كان يسير على هدى سياستها . وكانت الخطة التى وضعت لهذه الحروب هى مهاجمة «اتيجونوس» بحلف اغريقى قوى تمده مصر بالمساعدة .

وقد جاءت مبادرة الحرب من ناحية «أثينا» ، وذلك أنه على الرغم من أن

أصدقاء « اتيجونوس » كانوا يحكمونها فيها حوالى عام ٢٧١ ق.م . هذا وكان أهل « أثينا » يبعون التحرر التام والتخلص من نير مقدونيا . ومما يجب ملاحظته هنا أن أثينا كانت فى حاجة الى الغلال من الخارج ، ولم يكن لها وقتئذ مصدر للحصول على هذه المادة الا عن طريق مقدونيا أو مصر ؛ ولذلك لم يكن فى مقدور الأثينيين أن يهاجموا مقدونيا الا اذا وثقوا من معونة مصر لهم واتفق أنه فى تلك الفترة زارت بعثة مصرية « أثينا » ، وقد دعى لاستقبالها فلاسفة مختلفون من بينهم « زينو » والظاهر أن الحديث الذى دار بين المصريين والفلاسفة الأثينيين كان ينطوى على عداوة للمقدونيين بدرجة عظيمة ؛ ولا أدل على ذلك من أن أحد المبعوثين سأل « زينو » فى حفلة غداء ، وكان ملازما الصمت : « ما الذى يزيد أن ينقله عنهم للفرعون بطليموس الثانى ؟ » فأجابه « زينو » : « خبره أن هناك رجلا واحدا فى « أثينا » يعرف كيف يحفظ لسانه » .

وفى عام ٢٦٧ ق.م سقط الحزب الموالى لمقدونيا وبذلك أصبح الحكم فى أيدي الحزب الوطنى وهو الذى تحالف مع مصر . وكان قائد هذا الحزب جلوكون (Glaucion) ابن « اتوكليس » (Etocles) وكان أخوه الصغير المسمى « كريمونيديس » (Chremonides) أحد تلاميذ الفيلسوف « زينو » واكبر داعية لاعلان الحرب على المقدونيين ومن أجل ذلك سميت هذه الحرب باسمه (حرب . كريمونيديس) . وقد انضم الى مصر فى هذه الحرب « اسبرتا » ومعها « اليس » (Elis) وأخايا (Achaea) و « وأركاديا » الشرقية وتجيا (Tegea) وماتينيا (Mantineia) و « أوركومونوس » (Orchomenus) وكافيا (Caphyae) وفبجالا (Phigalea) هذا بالاضافة الى عدة مدن كورثية طوتها السياسة المصرية الى جانبها . ولكن على الرغم من أن هذا التغيير السياسى كان بوجه خاص من عمل الفيلسوف الرواقى « جلوكون » وأخيه الصغير « كريمونيديس » وهما من

تلاميذ «زينو» كما ذكرنا من قبل فانه قد ظل مع ذلك صديق «اتيجونوس» وفي سبتمبر عام ٢٦٧ ق.م حرض «كريمونيديس» الحلف على محاربة «اتيجونوس» واتخذ اقرارا كان بمثابة اعلان لتخليص البلاد من نير الاستعباد المقدوني ، ولا يزال لدينا متن اعلان الحرب على حسب اقتراح «كريمونيديس» (١) .

وقد جاء في مقدمة هذه الوثيقة بعد الاشارة الى الاعمال العظيمة التي قامت بها كل من «اسبرتا» و «أثينا» معا لمقاومة طغيان الفرس ، ان نفس الأيام السود قد عادت ثانية الى بلاد الاغريق على يد رجال كانوا يسعون في القضاء على القوانين كما عملوا على تحطيم دساتير الأجداد في كل مدينة اغريقية ، وأن الملك «ببليموس الثاني» قد عزم على تحرير الاغريق متبعا في ذلك سياسة والده وأخته «أرسنوى الثانية» . وبعد اتخاذ هذا القرار تقرر عقد محالفة بين «أثينا» و «اسبرتا» وحلفائهما وبذلك تكون كل بلاد الاغريق يدا واحدة لتحارب الى جانب «ببليموس» ضد أولئك الذين خانوا الأمانة مع المدن الاغريقية وحرموها استقلالها ، وبذلك يمكنهم أن يخلصوا «هيلاس» من ربق العبودية .

على أن هذا القرار الذي اتخذ كان يخفى في طياته انه اذا انتصرت «أثينا» فانها ستصبح بمثابة تابعة لمصر ، وقصارى القول أن المعاهدة التي أبرمت بين «أثينا» ومصر لم تكن وافية بالفرض الذي أبرمت من أجله ، فقد كانت «بوشيا» (Boeotia) و «ايتوليا» (Aetolia) على الحياد ، بل وعلى ود مع «اتيجونوس» في حين أن «أرجوس» و «ميجالوبوليس» (Megalopolis) كاتتا في جانبه وفضلا عن ذلك كانت تزرح بلاد اليونان في قبضة يده .

والظاهر أن «اتيجونوس» لم يكن يرغب في انحراب ، غير أنه اضطر الى خوضها دفاعا عن مصالحه ففي عام ٢٦٦ ق.م بجده يعزو «اتيك» بقوة من جيشه في حين كان «آريوس» ملك «اسبرتا» قد خف من جهة الشمال بجيشه لملاقاة عدو البلاد . أما «بظليموس» فقد أمر أسطوله الذي كان بقيادة «بتروكلوس» (Patroclus) المقدوني الذي خلف «كاليكراتيس» وكان كاهن «الاسكندر» في عام ٢٧٠ ق.م - أن يسير لمساعدة الاغريق فرسى عند جزيرة صغيرة بعيدة عن رأس «سونيوم» (Sunium) وقد عرفت لمدة طويلة باسم معسكر «بتروكلوس» ، ومن ثم كان في استطاعة هذا الاسطول أن يشرف على خليج «سارونيك» ، وكانت قاعدة الأسطول الأمامية بلدة «بويسا» (Poissa) في جزيرة «سيوس» (Ceos) أما «اتيجونوس» فلم يكن لديه أسطول كاف للدخول في حرب مع «بظليموس» ، ولكن من جهة أخرى لم يكن لدى «بتروكلوس» جنود للحرب ، وعلى ذلك فانه لم يكن في استطاعته أن يفعل شيئا الا معاكسة طرق مواصلات «اتيجونوس» ، ولكنه أخبر «آريوس» انه اذا هاجم «اتيجونوس» فانه على ذلك سينزل بحارته لينقض عليه من الخلف ، ولكن في تلك الأثناء كان «كراتيروس» أخ «اتيجونوس» وقائده في «كورتث» قد حصن خطوط دفاعه على البرزخ الذي لم يكن في استطاعة «آريوس» أن يعبره ، هذا ولم يسهل «بتروكلوس» لجيش «آريوس» العبور ليحيط بكورتث ، ويحتل أن سبب ذلك هو سيطرة «اتيجونوس» على كل مرسى في هذه الجهة . هذا وقد زحف «اتيجونوس» نفسه في داخل «مجريد» (Megrid) لمقابله «آيوس» ولكن جنوده الغالين ثاروا عليه ، وعلى الرغم من أنه قضى عليهم فان عملياته الحربية فشلت ، وقد عاد في خريف هذا العام كل من «آريوس» و «بتروكلوس» الى بلاده ، ثم عاد «آريوس» ثانية في العام

التالى ٢٦٥ ق.م فهزمه «اتيجونوس» وقتله بعد معركة عنيفة دارت خارج «كورثه» ، ومن المحتمل أنه قتل فى خلال هذه المعركة «هالسيونوس» (Halcyoneus) ابن «اتيجونوس» ، وكان من نتائج هذه الكارثة انتفاض محالقة «البلوبونيز» وسلمت «آخيا» (Achaea) وانضمت «ماتينيا» (Mantineia) الى حلف «أركاديا» . هذا ولا نعرف ماذا فعل «بتروكليس» وقتئذ ، ومن المحتمل أن «بطليموس الثانى» لم يكن يرغب كثيرا فى القضاء على «اتيجونوس» خوفا من «بطلوليمايوس» . هذا ونعرف أن «بتروكليس» قد استولى على «متانا» (Methana) «لرجوليد» التى ظلت فى حوزة مصر مدة قرن من الزمان وقد سميت «آرسنوى» . هذا ولم تدون لهذا القائد البحرى أعمال أخرى الا استيلاؤه على مؤن «اتيجونوس» ، وعلى أثر ذلك أرسل اليه هدية مؤلفة من سمك وتين أى غذاء الأغنياء والفقراء ، وقد أخبر «اتيجونوس» مجلسه أن هذه الهدية معناها أن لابد له أن يسيطر على البحر أو يموت جوعا ، ولم ينس الملك ذلك . وقد كان من سوء تصرف «بطليموس» أن أصبح فى استطاعة «اتيجونوس» أن يتناول أعداءه كلا على حدة . فنجد أن الاسكندر ملك «أبيروس» كان مشغولا بعد وفاة والده فى حرب «ميتيلوس» (Mitylus) ملك «الليريا» (Illyria) ، ولكنه فى النهاية هزمه واستولى على أملاك «بيروس» فى «الليريا» ، ولحسن حظ «اتيجونوس» أنه لم يدخل الحرب ويفزو جزءا من مقلونيا الا بعد موت «أريوس» حوالى عام ٢٦٤ ق.م . هذا وقد اقتضت الأحوال أن يترك «اتيجونوس» بلاد الاغريق ، غير أنه كان على ما يظهر فى استطاعته أن يترك أمور الدفاع خلفه لجيشه المدافع عن وطنه وهو الجيش الذى كان يرأسه اسميا ابنه «ديميتريوس» بن «فيلا» ولم يكن قد تجاوز الثالثة عشرة من عمره فهزم «الاسكندر» ملك «أبيروس» وأجلاه عنها ، وحوالى عام ٢٦٣ ق.م تحول الأسطول المصرى

الى « آسيا الصغرى » وتركت « أثينا » تحارب وحدها دون مساعده
أمام قوة « اتيجونوس » . هذا وقد حفظت لنا قصة عن آخر أيام « أثينا »
بوصفها دولة فى الصدارة : وذلك أن الشاعر « فيلمون » (Philemon)
المسن ، الذى كان فى مقدوره أن يذكر « ديموستين » ، وقد مات أثناء
حصار المدينة ، روى لنا أنه رأى فى منام تسع عذارى يغادرن بيته ، وعندما
سألهن اذا كن قد ذهبن الى « الميوزس » أجبنه أنه يجب عليهن البقاء لرؤية سقوط
« أثينا » . وقد قاومت المدينة الى آخر مالديها من قوة ، ولكنها سلمت جوعاً
فى نهاية عام ٢٦٢ ق.م ؛ وفى عام ٢٦١ ق.م عقد كل من « بطليموس » و
« اتيجونوس » صلحا قصير الأمد (١) . وقد اتخذ « اتيجونوس » احتياطاته
خوفا من قيام ثورة أخرى ، فوضع حاميات حتى فى المدينة نفسها وفى
« الميوزيون » وطرده أصحاب المؤامرات . أما « كريمونيديس » وأخوه
« جلوكون » فانهما استجارا « ببطليموس » الثانى فأجارهما . يضاف الى
ذلك أن الأثرى « فيلوكريس » الذى كان يوقد نار الوطنية فى صدور
الأثينيين لمحاربة أعداء الخرية قد حكم عليه بالاعدام لموالاته « لبطليموس
الثانى » (١) ، وقد ادعى « اتيجونوس » أن الثورة التى قامت فى « أثينا » لم
تكن الا نتيجة دسائس مغلظة قام بها ملك مصر « بطليموس الثانى » (خريف
عام ٢٦٣ ق.م) . والواقع أن عدم قيام بطليموس فى هذه الحروب بدور
بارز كان يعتبر خيانة لحلفائه . وقد اسف بدوره لذلك فيما بعد أسفا شديدا .
ففى الوقت الذى كان فيه اسطوله لا نشاط له على حسب أوامره الا
ملاحظة « الأرخيل » وأخذ المؤن لنفسه من « آسيا الصغرى » ، كان
« اتيجونوس » يستعد لمهاجمته . والواقع أنه لم تكن تنقصه السفن ، وكان

في امكانه أن يبنى سفنا في أحواض «تسالونيك» و«كاليب» و«كورث» بل وفي «بيروس» أيضا . يضاف الى ذلك أنه في تلك الفترة كان في مقدور «بطليموس» أن يرسل أسطوله على أعدائه في الأرخيل الذي كان يعتبر وقتئذ بحيرة مصرية . ولكن مما يؤسف له جدد الأسف أننا لا نعرف شيئا عن هذه الحملة تقريبا ، وكل ما نعرفه من نتائجها لا يخرج عن تلميحات متناثرة هنا وهناك ، فقد انتصر «أتيجونوس» بالقرب من «كوس» عند رأس «لوكولا» انتصارا حاسما على أسطول مصرى أكثر عددا من أسطوله (١) وقد أحدثت هذه الواقعة دويا في العالم الهيلانستىكى ، وكان من جرائها أن شهرة «بطليموس» الفاتكة قد ضاعت ولم تسترد مكاتها الأولى ثانية قط . والواقع أن هزيمته وسقوطه كان أكثر مما عبر عنه «كاليماكوس» في شعره عن «كوس» إذ قد أصبح سخرية وهزاء . وقد اعتنى «أتيجونوس» بأن يستغل هذا النصر ، وأن يجعل منه حادثا يمكن قرنه بالانتصار الذى احرزه والده على والد «بطليموس الثانى» ، وذلك أن شعار موقعة «سلاميس» السالفة الذكر هو تاج الملك وتمثال «نيكا - ساموتراس» أما شعائر انتصار «كوس» فقد أقيم على المرتفع الذى يواجه الجزيرة في حرم «أبولون تريوبين» (Apollon Triopien) الذى كان يعتبر مركز الحلف الدورى . وقد كان ذلك يمثل بالسفينة ذات الثلاث أسطح التى أصبحت منذ ذلك الوقت مقدسة فهى السفينة التى هزم من على ظهرها قواد «بطليموس الثانى» (٢) . هذا وقد أتم «أتيجونوس» صلواته وقربانه في «ديلوس» الواقعة في وسط خلف الجزائر . ولا نعلم اذا كان قد استغل انتصاره هذا ليضع قدمه في «آسيا الصغرى» بحجة تحرير المدن التى

(B.L.I., P. 193, Note 2)

(١) راجع

Athen. 122

(٢) راجع

كان يسيطر عليها عدوه . والواقع أن «انتيجونوس» كان قد عركته تقلبات الدهر ومفاجآته فلم يدخل في مخاطرات حديدة غير مضمونة العاقبة وقد رأى أن الدخول في حرب جديدة قد يؤدى الى ارتباكات جديدة في بلاد الاغريق أو مقدونيا .

وتدل شواهد الأحوال على أن المناوشات بعد موقعة «كوس» قد أوقفت دون عقد صلح أو حتى مفاوضات لابرام معاهدة ، وذلك على ما يظهر حرصا من ناحية الغالب واستسلاما من ناحية المغلوب وهذا التسليم من جانب «بطليموس الثانى» قد بدى أمرا غريبا من ملك محب للزهو والفخر . والواقع أنه قد خرج من هذه المعركة وهو مجروح بفقدان سيطرته على البحار ، غير أن الخسارة التى لحقت بأسطوله كان من الممكن اصلاحها ، ولم يكن ينقصه غير المال . وكان بطبيعة الحال يهمل أن يثار لنفسه ، غير أن الحزم الذى كانت تصحبه قوة الارادة الجبارة التى كانت عند والده قد تحولت عنده الى جبن وخور . هذا الى أنه كان يحشى بعد هذه الهزيمة من قيام محالفة هجومية بين «اتتيوكوس» و«انتيجونوس» ، فضلا عن ذلك كان يعد نفسه سعيدا ، ان يرى «سليوكوس» يلقي السلاح مبكرا جدا أو أن يشغل فى الاستيلاء من جديد على «برجام» بوصفه وريثا «لفيلتروس» الذى كانت قد عاجلته المنية (عام ٢٦٣ ق.م) حتى يمكنه أن يتدبىء الحرب فى «سوريا» من جديد . ولما كان لدى «انتيجونوس» من الأسباب القوية ما يجعله يكف عن الهجوم فان الأحوال قد ظلت على ما هى عليه ، وأخذ كل منهما يقوم بتدبير أموره على حسب مقتضيات الأحوال .

وعلى ذلك نرى «بطليموس الثانى» قد وجد لديه فى خلال حكمه بضع سنين استراحت فيها البلاد من أهوال الحروب فصرفها فى الاهتمام بشعرائه وعلمائه وفى بناء صرح مالىته واعادة تنظيمها على أسس جديدة امتاز بها هو،

وكذلك أخذ في العمل على اتساع رقعة بلاده من جهة البحر الأحمر حيث أقام عدة مؤسسات لتنمية علاقاته التجارية مع الهند وجنوب أفريقيا . والواقع أنه حوالى هذه الفترة اخترق قواده بلاد «التروجلوديت» وتمسقا في داخل بلاد «أثيوبيا» بوصفهم روادا فاتحين وقد أفاد العلم من كل هذه الحملات كما ذكرنا في غير هذا المكان، فقد وجدنا أن ضباط «ببليموس» مثل «تيموستينيس» (Timosthenes) قد جمعوا ملحوظات ومقاييس استعمالها علماء العلوم الطبيعية والجغرافية الذين كانوا يعملون في «ميوزيون» «الاسكندرية» . هذا وقد رفض «ببليموس» الثاني أن ينفس في الحروب التي كانت مشتعلة بين «روما» و «قرطاجنة» (حوالى عام ٢٦٤ ق.م). وكان صديق «روما» ، غير أنه لم يرد أن يجعل علاقته تسوء مع «القرطاجنيين» الذين كان في يدهم طرق التجارة البحرية ، وكان في وسعهم ان يتفاهموا مع «السيرينيين» . هذا وقد طلب اليه «القرطاجنيون» ان يقرضهم الفى تالنتا ولكنه لم يقرضهم شيئا الا توسطه بينهم وبين عدوهم قائلا أنه صديق الطرفين وسنتحدث عن ذلك فيما بعد .

حرب «ايمينييس»

وعلى الرغم من هدوء الأحوال ظاهرا في العالم الهيلانستيكي، فانه كان على «ببليموس» أن يكون يقظا لما يجرى حوله في بحر ايجة من أحداث، وبخاصة بعد الهزيمة الساحقة التي حاقت بالدولة المصرية ؛ اذ الواقع أنه كان من المحتمل أن تحل به كوارث جسام أخرى وبخاصة اذا كان «سليوكوس» قد اتحد مع «اتيجونوس» عليه ، ولكن لحسن الحظ كان الأخير منهمكا في متاعبه داخل امبراطوريته وذلك أنه كان مشغولا في حرب أعلنها «ايمينييس» ملك «برجام» حوالى عام ٢٦٣ ق.م وهو الذى كان قد خلف عمه «فيلاتيروس» : وكان «ايمينييس» يريد أن يعترف به ملكا ، واتخذ لنفسه سياسة منظمة تسير عليها من بعده أسرته وهى مناهضة «السليوكيين» (٢٥)

والتحالف مع مصر . وكان أعداء « ايمينيس » لبيت « السليوكيين » في صالح مصر ، ولكن من المحتمل أن مساعدته « لبطليموس الثانى » كان وراءها غرض اقتصادى ، وذلك أن مصر كانت دولة بحرية عظيمة وفى حاجة الى مادة (الزفت) ولكن المحصول السورى من هذه المادة كان قليلا على ما يظهر، وكانت ترد الى العالم الهيلانستىكى هذه المادة من «مقدونيا» ومن جبل «ادا» (Ida) الواقع فى اقليم طروادة . وكان جامعو زفت «ادا» لهم علمهم التقليدى وطرقهم فى تحضيره ، وكانت هذه الطرق تختلف بعض الشيء عن الطرق المقدونية . والظاهر أن «اتيجونوس» كان فى مقدوره أن يرخس بالتصدير ، ومن المحتمل انه كان فى استطاعته بواسطة الضرائب أن يرفع أو يخفض ثمن الزفت المقدونى لمدينة ما على حسب وقوعها فى دائرة مصر أو فى دائرته هو. وهكذا كان فى امكان كل من «اتيجونوس» و «اتيوكوس» فيما بينهما أن يجعلوا مصر تدفع أثمنا باهظة للزفت فى زمن السلم . ومن المحتمل أنه كان يمكنهما قطعه عنها فى زمن الحرب . ومن ثم كان من صالح مصر اذا كانت لها دولة صديقة مثل «برجام» أن تحصل على نصيب فى السيطرة على زفت «ادا» . والواقع أن تأسيس «ايمينيس» لبلدة «فيلتيريا» تحت سيطرة «ادا» يوحى أنه فى وقت ما قد أفلح فى أن يكون له مثل هذا النصيب .

وفى عام ٢٦٣ ق.م دخل «ايمينيس» الحرب وقد استطاع «اتيوكوس» فى وقت ما قبل ابريل أن يعيد «سليوكوس» الى مكاتته بوصفه مشتركا معه فى الحرب ، وقبل أن يحل ديسمبر مات «سليوكوس» . وتقص علينا رواية متأخرة أن «اتيوكوس» أعدمه بسبب خيانة ارتكبها . هذا ولدنا تقود تشير الى محاولة من جانبه اقامة مملكة مستقلة يحتمل أنها فى بابل . ومهما تكن هناك من حوادث وراء هذه البيانات المجردة عن كل تفصيل فان «اتيوكوس» لابد كان قد أعيق بشدة عن متابعة الحرب . ولا شك فى أنه

فى خلال عام ٢٦٣ ق.م كان اسطول «بىروكللىس» قد تحول الى «أسىا الصغرى» ، وبحلول عام ٢٦٣ ق.م كانت مصر مسيطرة على «مىلىتوس» بل و«أفىسوس» التى كانت محط الاطماع . وقد وضعت تحت حكم «بطلىمايوس» هذا بالاضافة الى ساحل «كارىا» ما بين «مىلىتوس» و «هالىكارناسوس» فى حين أن «ايمىنىس» بعد أن جمع جيشا عظىما من المرتزقة بمساعدة «بطلىموس الثانى» هزم «اتىوكوس» فى عام ٢٦٣ ق.م بالقرب من «سردىس» وثبت استقلاله وزاد فى مساحة امارته التى أصبحت فى عام ٢٦١ ق.م تشمل جانبى وادى «كاىكوس» (Caicus) من أول متبعه حتى البحر ، هذا بالاضافة الى شريط طويل من أرض الساحل . وقد مات «اتىوكوس» فى المدة التى تقع ما بين اكتوبر عام ٢٦٢ وابريل سنة ٢٦١ ق.م. وهذا الرجل الذى لم تعرف شخصيته كان مشغولا بالحروب المتلاحقة والاضطرابات فى مملكة مترامية الاطراف ومع ذلك فانه قد أفلح بعض الشئ فى نشر المدنىة الهىلانىستىكىة فى «آسىا» وهو يعتبر الثانى بعد «الاسكندر الاكبر» فى تأسيس المدن الجديدة . ولعمرى أنه من الاسرار التى لم يكشف التاريخ عنها بعد ؛ كيف وجد «اتىوكوس» الوقت للقيام بكل ما قام به من أعمال . وقد خلفه على عرش الملك ابنه الاصغر «اتىوكوس» الثانى وهو الذى لقب فىما بعد بالاله .

أما انتصارات مصر وهزائمها فى كل هذه المغامرات فتدل شواهد الأحوال أن سببه كان راجعا أكثره الى حلفائها لا اليها .

الحرب السورية الثانية

كان الملك «أنتيوكوس الثاني» نشطا حازما وكان أول عمل قام به هو السعى في استقرار الأحوال في ملكه الشاسع ، ومع ذلك قامت الحرب السورية الثانية في عهده ، غير أننا لا نعرف شيئا عن أصلها ولا عن سيرها وتقلباتها . ولن نبالغ اذا قلنا أن حقبة عشر السنوات التي تلت موت «أنتيوكوس الاول» تعد أظلم فترة في تاريخ هذا العصر . فلم يمكن حتى سرد حوادثها ، وكل ما يستطيع المؤرخ عمله في هذه الحالة هو أن يشير الى حوادث مختلفة وما نتج عنها في تلك الفترة وحسب .

وتدل الظواهر على أن كلا من «أنتيوكوس الثاني» و«أنتيجونوس» كان له حساب عسير لا بد من تصفيته مع «بطليموس الثاني» ؛ ومن أجل ذلك شد كل واحد منهما أزر الآخر للانتقام من عدوهما المشترك . وعلى الرغم من أن «أنتيجونوس» كان المنتصر في حرب «كريمونيدس» فانه لم يكن في استطاعته القضاء على مصر ، لانها كانت لا تزال صاحبة السيادة في البحار ، غير أن «ديمتريوس» كما هو معلوم كان في وقت ما صاحب السيادة في البحر ؛ وقد عزم «أنتيجونوس» ان يستعيد ممتلكات والده «ديمتريوس» ، ومن أجل ذلك فان التفرع الذي وجهه اليه «بتروكليس» أمير البحر قد شحذ من عزيمته . فأفاد بطبيعة الحال من صلح عام ٢٦١ ق.م لينشئ لنفسه اسطولا . وكان في استطاعته ان يتعلم من «سيراكوزة» في قاعدته البحرية في «كورنث» تفاصيل الأسطول الذي كانت تبنيه رومة ، غير أن مخاطراته في الحرب مع بطليموس الثاني كانت أكثر من مخاطرات روما ، وذلك لأن عدد

أسطول بطليموس في وقت ما على ما يظهر كان يربو على ثلثمائة سفينة حربية وكان من بينها عدد كبير من السفن الضخمة لدرجة ان متوسط سفن هذا الأسطول كانت من التي لها خمسة اسطح ، وهذا متوسط لم يصل اليه «ديمتريوس» أو «رومة» من قبل ، هذا فضلا عن أنه كان يسيطر على «فنيقا» التي كانت تورد الى «ديمتريوس» أحسن سفنه ، وإذا كان عدد أسطول بطليموس مبالغا فيه بعض الشيء فإن امكانيات «أنتيجونوس» من حيث موارد بلاده ومن حيث التقاليد كانت لا تجعله يأمل في ان يجهز لنفسه أسطولا يربو على مائة سفينة أو على أكثر من مائة وعشرين من التي لها خمسة أسطح. وعلى أية حال فانه كان يفوق خصمه في أمر واحد ، وذلك أن «كورتث» التي كانت في قبضة يده كان مثلها كمثل «سيراكوزة» لها طريقتها التقليدية في حرب البحار . فمى حين نجد أن كلا من «أثينا» وفنيقا تفضل في صنع سفنها السرعة في تحريك المجدفات بمهارة فانهما من جهة أخرى كانت تعتقد في أهمية السفن الثقيلة في المعارك الحربية . وكما ان «سيراكوزة» قد علمت رومه فان «أنتيجونوس» لابد كان قد تعلم فن بناء السفن من «كورتث» وعلى ذلك فانه اذا كان في استطاعة الأسطول المقدوني الهجوم على الأسطول المصري فان النصر لا محالة يكون في جانبه . والواقع انه لم يكن لدى بطليموس قوى بحرية يمكنها ان تقف في وجه المقدونيين . هذا وكان «أنتيجونوس» يعتمد في حروبه البحرية على اقتحام سطح مراكب عدوه . ولا أدل على ذلك مما قامت به سفينة قائد بحريته الشهيرة ، فلقد كانت كل السفن الحربية الكبيرة وقتئذ ذات طابع خاص ، اذ كانت جوانب السفينة تعلو سطحها لحماية المجدفين من قذائف العدو .

ومن المحتمل ان الحرب كانت قد بدأت في «آسيا» ، وذلك عندما اعلن «بطليموس» العصيان . فقد فطن انه بخيبة مصر في حربها مع «أنتيجونوس» قد ضاعت امامه كل فرصة في الحصول على تاج مقدونيا سواء أكان بطليموس

عند ابرام الصلح مع عدوه قد نزل عن حقه أم لا ، ولكنه فكر في ان ابن «ليزيماكوس» كان لا يزال له مطمع في «أونيا» (Ionia) ، فقد قام في عام ٢٦٠ ق.م في «افيسوس» بشورة على «بظليموس الثانى» وقد رجب «اتيجونوس» بهذه الثورة وأرسل اليه طائفة من الجنود التراقيين ، فضلا عن ذلك ساعده قائده «تيماركوس» مواطن «ايتوليا» في «ميليتوس» وفي هذا العام أصبح «ابوللو» ثانية حاكم «ميليتوس» وأطلق عليه اسم العام ، وقد استولى «تيماركوس» بحسارة على جزيرة «ساموس» التى كانت احدى القواعد البحرية المصرية ، وذلك بطبيعة الحال عندما كان اسطولها فى البحر. غير ان «بظليماس» لم يكن فى استطاعته المقاومة . ومن المحتمل ان ذلك كان بمناسبة قيام ثورة عليه قام بها انصار السليوكسيين ، ومن ثم استولى «اتيوكوس» على «افيسوس» ثانية (عام ٢٥٩ ق.م) وبعد ذلك فرض «تيماركوس» نفسه حاكما مطلقا على «ميليتوس» ونهب الشعب ، ولكن «اتيوكوس» قضى عليه فى باكورة عام ٢٥٨ ق.م واستولى ثانية على «ميليتوس» حيث كرمت زوجه «لاؤديس» (Laodice) وبعد ذلك استولى على جزيرة «ساموس» وطرد مصر من «أونيا» وأعاد للمدن الاغريقية حريتها وحكمها الذاتى ، وقد سماه المواطنون فى هذه المدن اعترافا بجميله «الاله» ، وهذه علامة تدل على ان مركزه بالنسبة لهؤلاء الحلفاء الاحرار كان كمرکز «الاسكندر الأكبر» ، وأن مركزه بينهم يتوقف على تأليهه . اما «ايمينيس» ملك «برجامم» وحليف بظليموس فلم يكن فى استطاعته مساعدته ، وذلك لأنه كان مكبل الأيدى فى ثورة قام بها أحد أقاربه الذى يدعى ايمينيس أيضا. ولا بد من ان «اتيوكوس» كان هو المحرض عليها ، يضاف الى ذلك ان جنوده المرتزقة كانوا قد قاموا بعصيان عليه . وفيما بعد نجد أن «اتيوكوس» طرد مصر من «كليشيا» و «بامفيليا» ، وبذلك استرد كل ما فقدته والده فى هذه المديرىات ، ولكنه لم يستول على «ليسيا» ، والظاهر ان مصر قد

حافظت على أملاكها في «كاريا» . وعلى أية حال نجد أنه استولى على «ساموتراس» وأماكن مختلفة في تراقيا ، وهدد «بيزتيوم» ، ولكن «هيراكليا» أرسلت مددا إلى السفن البيزنطية وهو أسطولها القوي ، وعلى ذلك أفلح «اتتيوكوس» عن محاربتها . أما في «سوريا» فقد استولى «اتتيوكوس» على كل فنيقيا إلى شمالي «صيدا» ومنح «ارادوس» حريتها، وقد أضاف لها «سليوكوس الثاني» فيما بعد امتيازات مادية كبيرة جدا . ومن ثم نرى أن «اتتيوكوس» قد انتقم لوالده انتقاما تاما من الهجوم الذي قام به بطليموس عليه وذلك في المحيط الاسيوى .

أما في «افريقيا» فنجد أن الأحداث فيها قد فتحت له بابا للتدخل ، وذلك ان «ماجاس» ملك «سيريني» مات حوالى عام ٢٥٩ ق.م وترك خلفه واثرة له في الرابعة عشرة من عمرها تدعى «برنيكى» . وكان قد زوجها وهو على فراش الموت من بطليموس بن «بطليموس الثانى» ، وهو الذى أصبح فيما بعد «بطليموس الثالث» . وقد عارض فى هذا الزواج الحزب الوطنى الكبير فى «سيريني» ، وذلك على الرغم من وجود حزب مصرى هناك . وكان الحزب الوطنى على رأسه الملكة أم واثرة العرش ، وكانت بدورها فى عنفوان الشباب وتدعى «أباما» أخت «اتتيوكوس» . وكانت هذه الملكة ترغب فى استقلال بلادها ، ومن أجل ذلك قدمت عرش ملك زوجها لآخ «اتيجونوس» المسمى «ديميتريوس الجميل» وكان بدوره حفيد «بطليموس الأول» من جهة أمه «بطليماس» . وكان من المنتظر ألا يقبله الحزب الموالى لمصر ، وقد حضر «ديميتريوس» فعلا إلى «سيريني» وتولى عرش الملك ، ولا شك فى ان ذلك أغضب الحزب المصرى ، هذا فضلا عن أن الملك الجديد قد أبعد «برنيكى» عنه لوقوعه فى غرام أمها التى كانت تأمل بدورها أن تصبح ثانية ملكة على البلاد . وأخيرا نصبت له «برنيكى» كميناً قتلته وهو فى فراش والدتها حوالى عام ٢٥٨ ق.م ، ومن المحتمل ان هذا الحادث كان

قد وقع بعد ذلك بعدة سنوات كما جاء في رواية أخرى . ومنذ ذلك الحادث قامت الخصومة بين الحزبين المتعادين في «سيريني» . وفي عام ٢٥١ ق.م انتصر الحزب الوطنى . ولكن نجد انه قبل ان يلقب «ببليموس الثالث» بلقب «ايرجيتيس» بمدة استولى ثانية على «سيريني» . وكان لا بد من الاستيلاء على مدينة «ايهسيريديس» (Euhesperides) على الأقل ، وقد سميت من جديد «برنيكى» .

وقد كانت الحادثة الفاصلة على ما يظهر في هذه الحروب في عرض البحر، وذلك ان كلا من «اتيجونوس» و «اتيوكوس» قد توصل الى محالفة «رودس» . وكانت الأخيرة على الرغم من مصادقتها لمصر تعتبر اعتداءات «ببليموس» المستمرة بمثابة خطر على التوازن البولى . وعلى الرغم من أن اسطول «رودس» كان صغيرا فانه كان احسن أسطول معد في بحر «ايجه» . ونجد في أوائل الحرب ان قطع الاسطول المصرى الذى كان يحمى «افسوس» بقيادة «كريمونيديس» الآينى المنفى قد هزمها أمير البحر الرودىسمى المسمى «آجاتوستراتوس» (Agathostratus) وكان يساعد وقتئذ «اتيوكوس» على استرجاع «افسوس» (عام ٢٥٩ ق.م) . وفي هذه الفترة تقابل الأسطول المصرى الرئيسى مع الاسطول المقدونى على معافة من جزيرة «كوس» ، وكان الاسطول المقدونى يقوده «اتيجونوس» بنفسه على ظهر سفينته . وقد دار بين الاسطولين القتال فى اثناء العاصف البرزخ الرياضية . والظاهر ان الواقعة وقعت فى عام ٢٥٨ ق.م لا فى عام ٢٥٦ ق.م كما يظن بعض المؤرخين ، ويرجع السبب فى ذلك الى ان بعض انتصارات «اتيوكوس» توحى بان مصر كانت قد كسرت شوكتها فى البحر . وعلى الرغم من ان الاسطول المصرى كان يفوق كثيرا اسطول «اتيوكوس» فان الاخير قد انتصر انتصارا تاما على عدوه مما جعل فى يده قيادة البحر ، وقد انتهت الحرب بان ضاعت على مصر فرصة جعل بحر ايجه بحيرة مصرية .

وفي عام ٢٥٥ ق.م عقد بطليموس الثاني صلحا مع «اتيجونوس» ، هذا ولدنا قصة تحدثنا ان سفيره «سوستراتوس» مواطن «كنيدوس» وهو مهندس العمارة الذى قام ببناء منارة الاسكندرية وبناء الخارجية المعلقة فى «كنيدوس» ، قد حصل له على شروط صلح كريمة من «اتيجونوس» وذلك بفضل الاقتباس الذى ذكره هذا المهندس بمناسبة الصلح من الياذة « هومر » وهو اقتباس مناسب للمقام (١) فاستمع اليه : « ان القلب العظيم يرق » . غير انه جاء فى هذا الاقتباس كذلك ما معناه : على الرغم من ان اتيجونوس كان « بوزيدون » (أى اله البحر الابيض المتوسط فان بطليموس كان لا يزال «زيوس» (أى أخ بوزيدون) .

وقد نزل فى هذا الصلح «بطليموس الثانى» لاتيجونوس عن جزر الحلف، ولكنه استبقى لنفسه تيرا (Thera) وقد اصبحت فيما بعد قاعدة بحرية مصرية فى بحر ايجة . ولا نزاع فى ان «اتيوكوس» قد حافظ على فتوحه باشتراكه فى هذا الصلح ، غير ان بعضهم يقول انه قد استمر فى الحرب مع بطليموس الثانى حتى عام ٢٥٢ ق.م ، ولكن ذلك كان أمرا مستحيلا ، لأنه لو كان «اتيجونوس» قد تخلى عنه فى عام ٢٥٥ ق.م فان علاقاتهم الودية لا بد كانت قد انتهت ، فى حين أنه فى عام ٢٥٣ ق.م نجد ان «ستراتونيس» أخت «اتيوكوس» قد تزوجت من «ديمترىوس» بن «اتيجونوس» .

وقد اثبت «اتيجونوس» أمام العالم بانتصاره هذا استرداد سلطانه على البحر الذى كان يعده ارثا ورثه عن اجداده ، باقامة خارطة ذات عمد على «ديلوس» تحمل اسمه . وهناك أقام أثرا نقش عليه شجرة نسبته نحت فى الرخام ، ويحتوى على خمسة عشر تمثالا لاجداده فى حين ان «ديلوس» نفسها أقامت تمثالا للملكة زوجة «فيلا» كما أقام خلف الجزيرة تمثالا «لاجاتوستراتوس» أمير البحر الرودىمى ، غير ان معظم أحفاله كانت تتركز حول سفينته الحربية التى كانت تحمل علم البلاد ، وهى التى كان قد نذرها

ملك لئله «ابولو» قبل المعركة فى حالة النصر (١) بداية الحرب السورية الثالثة :

لم يصبر «بطليموس الثانى» على الهزيمة التى منى بها فى عرض البحر على يد «انتيجونوس» بل أخذ يعمل على استرداد سيادة مصر البحرية . فكان أول عمل قام به لتحقيق أمنيته هو انه فى اواخر عام ٢٥٣ أو بداية عام ٢٥٢ ق.م حرض أو ساعد «الاسكندر» ملك كورنث على القيام بثورة فى وجه «انتيجونوس» ، وكانت النتيجة ان حرم من قاعدتيه الحريتين فى بلاد الاغريق وهما «كورنثة» و «كالسيس» . ربحتم كذلك انه استولى على اسطوله هناك ، وبذلك أصبح مشلول اليد فى البحر . على اننا لا نعرف ما الذى حدث فى عرض البحر لقلعة المصادر التى فى متناولنا ، ومن المحتمل ان «انتيجونوس» كان لا يزال حتى عام ٢٥٠ ق.م مسيطرا على «ديلوس» . وعلى الرغم من أن بطليموس الثانى قد استعاد هذه الجزيرة الأخيرة فى عام ٢٤٩ عندما اسس عيد الآنية المسمى «بطولميا» (Ptolemaieia) فان «حلف الجزيرة» قد شئت شمله حوالى هذه الفترة . وهذا يعنى ان «انتيجونوس» قد أفلح فى الاحتفاظ ببعض الجزر ، وعلى ذلك فان انتصار بطليموس الثانى فى البحر لم يكن على ما يظن انتصارا حاسما .

ولكن من جهة اخرى نجد ان «بطليموس الثانى» على أية حال قد نال انتصارا سياسيا ، وذلك لأنه حوالى ٢٥٣ ق.م قد أفلح فى كسب «انتيكوس» الى جانبه . فقد تزوج الأخير ابنة عمه لأوديس (Laodice) بنت آخايوس (Achaeus) وهو أخ أصغر للملك انتيكوس الأول وقد انجبت منه ذكرين وابنتين وكانت امرأة صاحبه شخصية مسيطرة . وقد أفلح بطليموس فى اغرائه اغراء تاما على الزوج من ابنته «برنيكى» التى كانت اصغر منها سنا ، وقد زاد فى اغرائه بانه سيقدم له مبلغا عظيما من المال مهرا لها

والظاهر ان هذا المهر كان مضرب الأمثال في تلك الفترة ، ولكن بشرط ان يثول ملك «اتتيوكوس» لابن «برنيكى» ان هى انجبت ذكرا . والواقع ان هذه الصفقة كانت كسبا منقطع القرن للملك بطليموس . غير أن السؤال المحير فى هذا الموضوع هو : لماذا قبل «اتتيوكوس» هذا العرض ؟ وعلى أية حال فانه على أثر قبول «اتتيوكوس» عرض «بطليموس» ارسل الأول زوجه «لاؤديس» وأولادها الى «افسوس» ، وبعد ذلك جاءت «برنيكى» الى «فنيقيا» عن طريق البحر فى أواخر عام ٢٥٣ ق.م وتم الزواج فى العام التالى . والآن يتساءل المرء فيما اذا كان «بطليموس الثانى» يأمل فى ان يبذر بذور الشقاق بين أسرة سوريا الملكية على حساب ابنته ، ويعمل على أنه لو حدث ان «اتتيوكوس» لم ينجب ذكرا من زواجه الجديد فان حقوق أولاد «لاؤديس» يمكن ان تكون دائما موضع نزاع . ومهما يكن من أمر فان المؤرخ «هيرنوم» قد حدثنا ... ان بطليموس صاحب ابنته حتى «بلوز» ، وانها دخلت انطاكية فى موكب فاخر ، وان الشائعة كانت عظيمة عن الثروة التى حملتها هذه الأميرة لزوجها (١) . وقد حكى عن عظمة هذه الأميرة الرفيعة الشأن العظيمة القوة انها لا تشرب الا من ماء النيل الذى كان يرسله اليها والدها بصاريف باهظة (٢) . ويجب علينا ألا نغفط «لاؤديس» حقها فقد كانت تعتبر قبل زواجها الهة ، هذا الى الغبن الذى لحق بأولادها . وعلى أية حال فان كبرياء «لاؤديس» المنحدرة من ظهر ملك قد أبى عليها ان تكون حظية وحسب . وقد ظن «اتتيوكوس» بما فطر عليه من صفات مخزية حرمة الحس الخلقي الرفيع ، ان «لاؤديس» ستدخل معه فى مغامرات السياسية النفعية وتخضع لمشيئته وترضى بما عرضه عليها من ثراء ونعيم مقيم اثناء اقامتها فى «افسوس» مقرها الذى أرسلها اليه . وقد كان «اتتيوكوس» مع ذلك لا يشك فى الحقد الدفين الذى يكمن فى صدر هذه المرأة ، وبالثمن

الذى سيدفعه يوما ما جزاء خيائه لها ولاولادها عندما تحين الفرصة والواقع ان «بطليموس» الذى ظن انه قد عمل عملا سياسيا يعد نسيج وحده لم يكن قد فكر فى انه ارسل ابنته لتلقى حتفها ، وان مؤامره المصطنعة سيقضى عليها بضربة واحدة من يد الزوجة التى ديس شرفها وحط من كرامتها . أما ما كان من أمر «برنيكى» فانها رزقت ابنا من «اتتيوكوس» ، وبحلول عام ٢٥٠ ق.م ظهرت مصر وكأنها قد كسبت بالمال والسياسة ما لم يكن فى مقدورها ان تكسبه بحد السيف غير ان مشروعات بطليموس قد أصابها الفشل لوقوع ثلاث وفيات أولاها موت «الاسكندر» ملك كورنثة الذى وقع فى عام ٢٤٧ ق.م . وعلى أثر ذلك لم يمض عام ٢٤٦ حتى استرد «اتتيجونوس» كورنثة وسفنه التى كانت فيها . وعلى حسب ما لدينا من معلومات يمكن ان يكون «اتتيوكوس» قد مات ما بين اكتوبر ٢٤٧ ق.م ويناير سنة ٢٤٧ ق.م وهذه هى الوفاة الثانية . أما الوفاة الثالثة فكانت وفاة بطليموس الثانى نفسه فى يناير سنة ٢٤٦ ق.م وخلفه على عرش الملك ابنه بطليموس الثالث ايرجيتيس .

هذا ولم يكن لدى بطليموس الثانى فى آخر ايامه شئ يشغل باله الا شيخوخته فقد اعتلت صحته وانحطت قواه ، وأين المفر ؟ ومع ذلك نسع انه انكب على النساء . وعلى الرغم من ثقافته العالية وجهه للعلوم الطبيعية وبحثه فيها فان حبه لنفسه وتمسكه باهداب الحياة وطول البقاء قد حوله الى رجل مغفل يصدق ما يقال له ما دام خاصا بصحته . فقد كان يطلب الى الدجالين ما لم يجسر اطباؤه على الوعد به . وفى الحق بلغ هذا الملك مبلغا عظيما من البدانة والرخاوة مما اتلف صحته وأقعده . وقد كان الوهم يسيطر على نفسه لدرجة انه كان يحسب انه سيعيش مخلدا ، وانه هو الوحيد الذى عرف سر الخلود (١) . والواقع ان بنيته التى لم تكن يوما من الايام قوية

(١) راجع Phylarch. Ap. Athen. XII. P. 536; Mahaffy, Empire of the Ptolemies. P. 163.

قد بدأت تنوء تحت عبء السنين التى عاشها ولم يكن يعزف فى خلالها قط الزهد أو الاعتدال . فما يحكى عنه أنه ذات يوم عندما كان يعانى آلام النقرس الذى كان سببه الافراط الفاحش ، نظر من نافذة فرأى مصريين يتناولون وجبة غذائهما على شاطئ النهر بما كان لديهم من طعام ، وقد قعدوا على الرمل فى حرية تامة والصحة بادية عليهما، وعندئذ صاح بطليموس قائلا : ما اتعسنى ليتنى كنت واحدا من هؤلاء الناس (١) . على انه ليس لدينا حاجة لذكر مثل هذه الاساطير التى كثيرا ما نسمعها عن اصحاب اليسار الذين اصابتهم الأمراض ، لاجل ان تقتنع بان «بطليموس الثانى» عندما حلت به الشيخوخة كان يحس أحيانا ان الثراء ضار وان الصحة والعافية مفضلتان على الثراء . وعلى أية حال فان الموت الذى كان يرهب شبحه ، والذى حلم من أجل تحاشيه سنين طويلة كلها أمل بطول العمر قد وافاه وهو فى التاسعة والثلاثين من سنى حكمه والثالثة والستين من سنى حياته (عام ٢٤٦) . وافاه فى الوقت المناسب فقد خلصه من خيبة أمل كانت لا بد نازلة به فتصيه فى كبريائه وعظمته .

وتدل الاحوال على ان «بطليموس الثانى» على ارجح الاقوال قد دفن مع والديه الالهيين فى «سيما» Sema الاسكندرية ، وذلك قبل ان يشهد المصائب التى حلت بابنته برنيكى زوج «اتيوكوس» وابنه الصغير . وكان «بطليموس الثانى» يشبه أمنتب الثالث فى ثروته ورخاء البلاد فى عصره (٢) وكذلك من حيث الفخفة ، كما كان مثله منكبا على النساء والوقوع تحت تأثيرهن (٣) . والواقع ان الكتاب الاغريق قد ذكروا لنا فيما كتبوه عن عدد من حظياته ونخص بالذكر منهن مصرية تدعى باسم اغريقى «ديدم» (Didyme)

Phylarch. loc. cit.

(١) راجع

(٢) راجع مصر القديمة ، الجزء الخامس ص ١٣٢

(٣) راجع مصر القديمة ، الجزء الخامس ص ٢٥١ - ٢٥٣ .

وأخرى تدعى «ميرتيون» (Myrtion) وكانت تعمل في مسرح كوميديا وهى من أصل وضع فلما تعلق بها بطليموس واستولت على له كان بيتها يعد من أجمل بيوت الاسكندرية ، وكذلك كان بيتا حظيته منيسيس (Mnesis) وبوتين (Pothine) وهما مغنيتان صاحبتا شهرة عظيمة ، معروفتين بمظهريهما وكان له حظية أخرى تدعى «كليو» وقد أقبل القوم على شراء تماثيلها الصغيرة والكبيرة بشغف ، وقد مثلت وهى ترتدى قميصا فصيرا فقط حاملة قرن الكثرة تمثالا بالملكة «أرسنوى» (١) ومن حظيات بطليموس الثانى كذلك «سترتونيس» وتعرف بضريحها الفاخر فى «الوسيس» (Eleusis) المقام بالقرب من الاسكندرية. اما اشهر حظيات هذا الملك فهى «بيلستيش» (Bilistiche) ، غير ان اسمها لا يدل على انها اغريقية الأصل وذلك على الرغم من أنها على ما يظن اغريقية المنبت . فيقول «بلوتارخ» أنها كانت أجنبية اشترت من أحد الأسواق (٢) . أما المؤرخ «باوزانيوس» فيقول انها جلبت من ساحل بحر مقدونيا (٣) . ويقص علينا أتناوس (٤) أنها من أهالى «أرجيف» من أسرة كريمة منحدره من أتريوس (Atreus) وسواء أكان نسبها يرجع الى أصل وضع نسب اليها حقدا وحسدا أم من أصل وضيع قد اخترع لها من باب الملق ، فانه لا جدوى من الرجم بالغيب فى هذا الموضوع الآن . وقد ذكر عنها انها جرت فى سباق الخيل بمرتها التى كان تجرها كرائم الخيل ، وكسبت الرهان فى ألعاب أولمبيا فى عام ٢٦٨ ق.م ، ومن المحتمل ان «بيلستيس» هذه هى ابنة فيلو التى كانت تعمل كاهنة (Kanephoros) للملكة «أرسنوى الثانية» عام ٢٦٠ - ٢٥٩ ق.م (٥).

Chronique d'Egypte, XXXIII (1957 & Bevan. P. 77

(Plut. Amator, 9

(Paus. V, 8, 11

(Athen. XIII, ٣٥٤

Edgar. Zen. Pap. No. 46; see Wilcken Archiv. VI. P. 453

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

(٥) راجع

ومن المحتمل ان بطليموس الثانى لولوعه الشديد بها أعلن انها آلهة . وقد أقيمت لها المحاريب وقدمت لها القرابين باسم «افروديت ييلستيش» .
حالة املاك بطليموس الثانى ضد وفاته :

شاهدنا فبا سبق ان مصر بعد موت الملكة «ارسنوى الثانية» قد أخذت تتدهور من الوجهة الحربية . وتدل الاحوال على أنه لو امتد بها الأجل لوسعت رقعة الامبراطورية المصرية ، ولكن لحظنا انه مند وفاتها كانت الحروب التى شق غمارها بطليموس الثانى فاشلة ، فقد رأينا انه فقد السيادة البحرية كما استولت مقدونيا على جزر «سيكلاديس» واحتلت أسرة «سليوكيس» جزءا كبيرا من ساحل آسيا الصغرى ، وكذلك فقدت مصر سلطانها على قرنيقة . ولا غرابة فى ذلك فان بطليموس الثانى كان ماهرا فى كل الميادين الحيوية الا ميدان القتال ، وكان يشعر هو بذلك بدليل انه قبل مماته قد حسن مركزه بين الدول العظمى عن طريق السياسة . وتدل شواهد الأحوال على أن كل هذه الحروب التى خاض غمارها والتى لم تخمد نارها قط طوال مدة حكمه لم تسبب اضرارا سادية كثيرة لمصر نفسها ، ولكن من جهة أخرى نجد انها أوقعت ضررا اخر بالغ الخطورة ، وهو انها قد عاقت سير المدنية الاغريقية عن متابعة توطيد اركانها بقوة اكثر فى مصر . وقد نصاربت الاقوال عن سبب رغبة «بطليموس الثانى» فى العمل على توسيع رقعة امبراطوريته . فهل كان يقصد من ذلك مهاجمة املاك غيره أو كان يقصد الدفاع عن بلاده والمحافظة على تخومها كما فعل من قبله ملوك العهد الساوى وملوك الاسرتين التاسعة والعشرين والثلاثين ؟ وقد تكون الفكرة الاخيرة هى التى كان يرمى اليها بطليموس الثانى ، وذلك ان «سوريا» كانت فى الواقع تعد دائما اقليما واقيا لمصر ، هذا بالاضافة الى ان سوريا وجزيرة قبرص كانتا دائما اقتصاديا ضرورتين لمصر . ولا غرابة فى ذلك لأن مصر كانت لا تنتج أخشابا ولا معادن الا الذهب بدرجة محدودة فى تلك الفترة ، هذا الى أن خشب «قبرص» و «لبنان» كان لازما لبناء السفن ، كما كان

فى مصر ويميل اليها المصريون الوطنيون للتعامل بها كما سنرى بعد . ولكن هذه الاماكن كانت فعلا ضمن املاك مصر عندما تولى بطليموس الثانى عرش الكنانة ، ومن جهة أخرى نجد أن فتوحه التى قام بها أثناء حكمه فى آسيا الصغرى ، وكذلك محاولاته للسيطرة على بلاد بحر ايجيه وسواحه لا يمكن أن نعدّها لازمة للدفاع عن بلاده . وقد رأينا أنه هو الذى قام بالمبادرة الى الاعتداء على هذه البلاد الاغريقية ، وعلى ذلك فانه من المؤكد ان عمله على امتداد رقعة امبراطوريته كان غرضا ثابتا فى قرارة نفسه .

ويمكن الانسان أن يتساءل : هل كان بطليموس الثانى مدفوعا الى هذه الفتوح جريا وراء اطماع أسرية ؟ أو كان يجرى وراء ارباح تجارية ؟ ولا نزاع فى ان التجارة الشرقية والهندية كانت عاملا مهما فى حياة مصر الاقتصادية ، وان الطرق البرية التجارية العظيمة فى خلال القرن لثالث قبل الميلاد كانت تصل الى البحر فى «فنيقيا» و «أيونيا» أولا عن طريق «صور» و «افسوس» غير أن بطليموس كان مسيطرا على «صور» دون منازع . هذا الى أنه حصل على أهم الفوائد من التجارة الهندية التى كانت تأتى عن طريق البحر الى جنوب بلاد العرب ، وعلى الرغم من احتمال وجود اعتبارات تجارية دعت لشنه حروبا ، فانه من المرجح ان بطليموس كان طموحا كثير الاطماع ، اذ كان يرغب فى أن يحكم امبراطورية مترامية الأطراف ويستغل مواردها بقدر المستطاع فى نيل أطماعه ، ولا أدل على ذلك من أن كل قطر جديد كان يستولى عليه يجعله مصدر ربح ، فكان يثقله بالضرائب الفادحة ، ولم يكن يفكر قط فى عمل أى اصلاح لتحسين حالة البلاد المفتوحة الا اذا كان هذا الاصلاح لصالحه هو والواقع الذى لا مراء فيه ان «بطليموس الثانى» كان يستغل كل منتجات مستعمراته الى أقصى حدود الاستغلال ، هذا الى تدخله فى الحكم الذاتى الذى كانت تتمتع به المدن الاغريقية قد فاق تدخل الممالك الهيلانية العظمى الاخرى فى زمنه ، هذا فضلا عن انه قد بذل بعض الجهود فى اخضاع تلك

نحاس قبرص ضروريا لضرب النقود النحاسية التي كانت شائعة الاستعمال المدن للإدارة المالية المصرية . وقد امتدت علاقاته الخارجية الى ما وراء العالم الهيلانستيكي قفى عام ٢٧٣ ق.م أرسل بعثا الى رومه يحتل أنه كان لهمام تجارية ، كما أرسل رسولا يدعى «ديونيسوس» الى الامبراطور «الموراني» امبراطور فندوسارا (Vindusara) في بلاد الهند للحصول على مدرين للقيلة من الهنود لأجل تدريب فيلته التي اصطادها من افريقيا . هذا وقد وجد «بوزيون» هنودا في مصر في القرن الثالث قبل الميلاد . والمعتقد أنه شاهد قبرا عليه عجلة البوذى في الاسكندرية (١) . ومن المحتمل انه قامت صعوبة في ارسال ديونيسوس الى بلاد الهند عن طريق البلاد «سليوكوس» ويرجح أن بطليموس قد استخدم ضابطا أعرايا لينقله بطريق البحر كما فعل «بطليموس سوتر» عند ما سدت الطريق في وجهه الى هذه البلاد فكلف شيخا أعرايا ليقود رسولا مستعجلا له على ظهور الابل الى بابل عن طريق الصحراء .

اما عن علاقات بطليموس الثانى بالعالم العربى فغامضة . ونعلم انه فى عام ٢٧٣ ق.م عمل الاحتياطات لحماية بلدة «هروبوليس» الواقعة بالقرب من السويس من غدر بعض العرب سواء آكانوا من القبائل المحلية أم من التي عبر مياه البحر وقد ارسل ضابطا يدعى «ارستون» (٢) ومعه أوامر للكشف عن ساحل البحر حتى المحيط الهندى وقد طاف «ارستون» حول شبه جزيرة سيناء حتى خليج العقبة ، ولكن لا نعرف الى أى نقطة وصل جنوبا بعد ذلك .

وقد أرسل بطليموس حملة حربية الى بعض الأماكن عبر البحر الأحمر فزارت بعض أماكن لم تحقق حتى الآن فى بلاد العرب (٣) . ويحدثنا

W. Flinders Petrie J.R.A.S. (1898). P. 875.

(١) راجع

P. Cairo, Zen. 5947.

(٢) راجع

(٣) راجع من هذا الموضوع اى بطليموس الثانى وبلاد العرب J.E.A. Vol. XV, P. 150.

ديدور (١) . انه عندما أخذ البحارة المصريون يختلفون على خليج العقبة هاجمهم النباطيون من بترا (بلاد العرب) وهم الذين كانوا يغيرون على تجارتهم ، وينهبوهم حتى طردوهم من البحر باسطول مصرى . ومن الجائز جدا ان نربط هذا الحادث بحملة بطليموس الثانى ، وعلى ذلك فانه اذا كان قد صور لنفسه الامنية التى كان يحلم بها «انتيجونوس الاول» وهى السيطرة على «بترا» ورأس طريق القوافل العظيمة من بلاد البخور الواقعة فى جنوب بلاد العرب (بلاد بنت) فانه بلا شك قد اخفق فى تحقيق حلمه. ولقد بدأ «بطليموس» حركة كان لها نتائج كبيرة على الجانب الافريقى للبحر الأحمر . والواقع انه اندفع رغبة فى الحصول على فيلة للحرب فابتدأ فى كشف الساحل بصورة منظمة ، فقد أسس ضباطه أثناء ذلك بلادا ومحاط تجارية جنوب «ارسنوى» وهى السويس الحالية ، حتى مدينة بطليماس الخاصة بصيد الفيلة وتقع بالقرب من «سواكن» الحالية . وقد استمر اخلافه بثبات فى هذا العمل الى أن وصل ضباطهم الى قطرالبخور فى بلاد الصومال وقرن الجنوب (أبى رأس جاردفوى) . وقد أدت هذه الكشف فى النهاية الى القيام بسياحات مباشرة من مصر الى جنوب الهند . وقد كانت فيلة بطليموس عندما تصاد تشحن الى «برنيكى» المقابلة لاسوان فى سفن نقل خاصة ومن ثم كانت تساق الى ققط على طريق معبدة مجهزة بكل ما يلزم عمله من قبل ، ثم تشحن فى النيل حتى «منف» . هذا وقد ادخل بطليموس الثانى خلافا للفيلة الجمل فى مصر وكانت الجمال تذكر كثيرا فى الوثائق المصرية (٢) . وفيما بعد توجد محطة جمال تبتدىء من الجنوب حتى الاسكندرية . هذا وقد حفر بطليموس الثانى قناة جديدة بجوار المحطة التى كان قد حفرها ملك

(Diod. III, 43, 5

P. Cairo, Zen. 59143, 59207,

P.S.I. VI, 562, Athen. V, 200 F. Cf. B.G.U., VI, 1351.

(١) راجع

(٢) راجع

الفرس دارا الأول ثم طمرت فيما بعد وقد تحدثنا عن قناة بطليموس هذا مليا (١) . وهى القناة التى تربط بين النيل والبحر الأحمر وقد طمرت بدورها ثم خفها الامبراطور هديران ومن بعده عمرو بن العاص .

الفيوم وفيلادلفيا

أما أعظم شئ عمله لاصلاح الأراضي الزراعية فى مصر فهو أنه عين مهندسين اغريق لتجفيف بحيرة مورييس وبذلك كسب مساحة عظيمة من الأراضي الصالحة للزراعة وهى الفيوم الحالية ، وقد أصبحت مركزا لمستعمرة اغريقية عظيمة . وقد تحدثنا عن الفيوم وما حدث فيها من اصلاح ومشاريع فى مصر القديمة وبخاصة فى عهد الأسرة الثانية عشرة فى مصر القديمة الجزء الثالث من صفحة ٣١٥ - ٣١٩ . وعندما تولى بطليموس الثانى مقاليد الحكم فى البلاد كان يعمل جاهدا لاصلاح الأراضي الزراعية أينما وجدت فى وادى النيل وذلك لأجل الحصول على المال للصرف منه على حروبه ومشاريعه الأخرى وقد وجد فى الفيوم ضالته المشودة وذلك ان أراد أن يستصلح أراضى زراعية وفى الوقت نفسه ينشئ اقليما بكرا يقيم فيه مستعمرة اغريقية مقدونية فى قلب مصرفيقطن فيها جنوده المرتزقة هم وأسرهم ومن جهة أخرى لا يحرم الفلاح المصرى من أرض كان يزرعها ويستغلها لحساب الملك . وقد قام بهذا العمل مهندسون فى عهد كل من بطليوس الأول وبخاصة فى عهد ابنه بطليموس الثانى . ولم تمض بضع سنوات حتى جفت رقعة عظيمة من بحيرة مورييس وزرعت بكل أنواع الحبوب والفاكهة والأشجار وريت فيها الحيوانات من كل نوع وجلبت اليها اصناف عدة من الأشجار والحيوان من خارج البلاد وثمرت فيها ، والواقع أن مساحة الأرض الصالحة للزراعة فى الفيوم بعد تجفيف جزء كبير من البحيرة قد يبلغ أقل من نصفها بشئ يسير ، ولم يبق حتى الآن الا الجزء الشمالى العميق منها . ولا تزال

(١) راجع مصر القديمة الجزء ١٣ ص ٧٣٣ .

الأرض التى أصلحها مهندسو بطليموس الثانى تزرع حتى الآن فى مديرية الفيوم ، وكلمة الفيوم كلمة مصرية قديمة معناها « الماء » وبالغربية « اليم » وبالاغريقية Helimne أى البحيرة . وقد احتل هذه الأراضى التى أصلحت طائفة من الاغريق يزيد عددهم فيها اكثر من أى مديرية أخرى من مديريات مصر ولكن اليد العاملة فيها كانت من الفلاحين المصريين والواقع أن معظم الاوراق البطلمية المبكرة قد وجدت فى الفيوم مثل الوثائق الثمينة التى وجدها بترى فى غراب وهى التى نشرها المؤرخ مهنى والعالم سمبلى (Smyly) (١)

ولدينا سلسلة أخرى من أوراق البردى من الفيوم جمعها «جوجيه» «ولفبر» عثر عليها فى فى الركن الجنوبى الغربى من الفيوم فى الجبانة الواقعة بالقرب من قرية «مجدولا» (٢).

ومن المحتمل أنه وجد كذلك فى الفيوم أكبر ورقة من عهد البطالمة وهى ورقة «قوانين الايرادات» من عهد بطليموس الثانى وقد نشرها «جرتنل» (٣) كل هذه الأوراق وغيرها تلقى ضوءا على تاريخ مصر فى الفترة الاولى من عهد البطالمة ولكنه كان لا يزال ضوءا ضئيلا . وبخاصة فيما يتعلق بالحياة الاقتصادية فى البلاد والدور الذى لعبه الاغريق والأجانب الآخرون، وكذلك العلاقات التى كانت بين الوفود الجدد على مصر والسكان المصريين الأصليين ، هذا بالاضافة لأهمية كل من هذين العنصرين فى اصلاح القوة

(١) J.P. Mahaffy and J.G. Smyly, The Flinders Petrie Papyri, راجع 3 vols. (Dublin 1889-1905.

(٢) P. Jouguet, P. Collart, J. Lesquier, M. Xoual, Papyrus راجع Grecs, 2 vols. (Paris, 1907-1912.

(٣) B.P. Grenfell, The Revenue Laws of Ptolemy Philadelphus راجع (Oxford 1896).

الاقتصادية لتلك الدولة الجديدة التي كانت تتألف من افرق ومصرين على وجه عام . ولحسن الحظ قد عثر في تربة الفيوم على مجموعة جديدة من الأوراق البردية تكشف لنا النقاب لحد ما عن حالة مصر في هذا العهد المبكر من تاريخ البطالة وذلك انه كشف في خلال الحرب العالمية الأولى سلسلة من الأوراق البردية غنية بما فيها من وثائق من القرن الثالث ق.م. عثر عليها في عام ١٩١٥ في خرابة الجرزة بالفيوم وهي موقع قرية فيلادلفيا القديمة وهذا الكنز من الأوراق البردية المدونة باللغة الاغريقية يؤلف وحدة غاية في الاهمية فكل الأوراق البردية الخاصة بهذا الكنز كانت موضوعة في ملفات عليها ملخصاتها بخط فرد يدعى «زينون» ومن ذلك نفهم أنها كانت تؤلف جزءا من مراسلاته ، أى سجله الخاص . وقد كان الكشف عن هذه الأوراق مجرد صدفة ، والذين عثروا عليها هم فلاحون مصريون أثناء الحفر في تلك المنطقة للحصول على سجاد لأرضهم ، والواقع أنه ليس لدينا أية بيانات حقيقية عن الأحوال التي كشفت فيها وبخاصة عندما نعلم أن تجار الآثار لم يدلوا بأية بيانات عن مصدر هذه الأوراق . وكل ما نعلمه في هذا الصدد قد ذكره الاثرى «ادجر» في مجلة مصلحة الآثار (١) . وكما كانت العادة - ولا تزال - استولى تجار الآثار على كل المجموعة التي لا يعلم عدد وثائقها أحد ، وقسمت فيما بينهم أجزاء عدة وبيعت هذه الأجزاء تدريجا للمشتريين . فاستولى متحف «فلورنسه» على جزء كبير منها واشترى المتحف المصرى جزءا آخر وحصل المتحف البريطانى على كيتين هامتين كما استولت مكتبة ميشيجان على كمية منها ، وهناك كميات أخرى لم تظهر بعد وعلى أية حال قامت الهيئات العلمية بطبع الكثير من هذا الكنز وقد لخص لنا محتويات هذه الأوراق جميعها وغيرها مما كشف عنه في فيلادلفيا في كتاب

فهم ألقه العالم الروسى روستوفيتزف (١) .

والواقع أن الضيعة الكبيرة التى يقصدها «روستوفيتزف» هى قرية فيلادلفيا ، وهذا الاسم يوحى بأن هذه التربة كانت ضمن القرى التى أسست فى عهد بطليموس الثانى نتيجة لاعمال التجفيف التى عملت فى بحيرة «موريس» فى عهده . ونحن نعلم مقدار اتساع الأعمال التى قام بها البطالمة فى الفيوم وعظم نجاحها ، والواقع أن قائمة القرى التى فى الفيوم الموجودة فى عهد البطالمة المبكر قد بلغ ١١٤ قرية ومستعمرة منها الكبيرة ومنها الصغيرة . فمن بين المائة والأربع عشرة قرية السابقة الذكر ست وستون تحمل أسماء اغريقية وثمانى وأربعون تحمل أسماء مصرية ، وحتى القرى التى كانت تحمل أسماء مصرية لم تكن بأية حال من الأحوال كلها قائمة . قبل العهد البطلمى بل إن معظمها أنشئ فى العهد البطلمى بالإضافة الى القرى التى تحمل أسماء اغريقية ، ويدل على ذلك أن كثيرا منها كان يحمل نفس الأسماء التى تحملها بعض المدن الكبيرة والصغيرة فى الدلتا ومصر الوسطى والواقع أننا نجد فى الفيوم كما هى الحال فى الولايات المتحدة الأمريكية قطرا عظيما للاستعمار حيث نجد القرية تلو القرية تحمل أسماء موحدة بأسماء مدن شهيرة فى مصر . وفى هذه الحالة التى نحن بصدددها نجد هذه المدن تقع فى الوجه البحرى ومصر الوسطى بأسمائها التى تحمل جزئيا الصبغة الهيلانستىكية وجزئيا الصبغة المصرية الوطنية ، ولا نزاع فى أن هذه الأسماء تعيد الى الذاكرة أسماء الأماكن التى أتى منها المستعمرون الجدد الى الفيوم ، ومن المحتمل أسماء المقاطعات التى كانوا تابعين لها من قبل هجرتهم ، وذلك بسبب أن الأسماء المسجلة هى أسماء عواصم مقاطعات فى الدلتا ومصر الوسطى . هذا ومن المحتمل أن أسماء قرى مصرية محضة فى الفيوم يمكن أن تكون استعيرت بنفس الطريقة من أسماء أماكن أخرى أقل شهرة . غير أن هذه

(١) راجع Michael A Large Estate in Egypt in the Third Century B.C., Rostovtzeff (1922).

النقطة تحتاج الى فحص أكثر والمحتمل أن الفرق الوحيد بين المستعمرات التي تحمل أسماء اغريقية والتي تحمل أسماء مصرية هو أن الأولى كانت أغلبية سكانها الجدد من الاغريق والأخرى كانت أغلبية سكانها من المصريين أى أن القرى التي تحمل أسماء اغريقية كان معظم سكانها من الجنود المرتزقين في حين أن القرى التي تحمل أسماء مصرية كان سكانها فلاحين للنتاج.

ومن الغريب أن نجد في اقليم قد احتل معظمه بجنود مرتزقين ان الأسماء تحتل فيلادلفيا مكانة استثنائية اذ في الواقع تعد ضمن المستعمرات الجديدة في القيوم التي اشتق اسمها من اسم حكام مصر أى البطلمة .

ومن الغريب أن نجد في اقليم قد احتل معظمه بجنود مرتزقين ان الأسماء الأسرية تؤلف استثناء ولكن هذه حقيقة لا مرأ فيها ففى كل اقليم القيوم ليس لدينا الا اربع عشرة «كاماى» (قرية) تحمل أسماء أسرية وذلك من بين ست وستين تحمل اسماء اغريقية وهى اثنتان تحمل اسم برنيكى واثنتان تحمل اسم «ارسنوى» وواحدة باسم ايريديكى» وواحدة باسم «تيادللفيا» وخمس باسم بطليموس وواحدة باسم فيلوتريس وواحدة باسم «فيلوباتور» وواحد باسم فيلادلفيا .

وقد كانت العادة الأكثر شيوعا أن تسمى القرى بأسماء مشتقة من أسماء الآلهة أو أسماء لها علاقة بالأسرة الحاكمة وبخاصة الأفراد أصحاب المكانة الرفيعة في البلاد وعلى ذلك فانه من المرجح أن قرية «ابولونيوس» قد سميت باسم وزير المالية الذى كان يحمل هذا الاسم في عهد بطليموس الثانى ، ومن المحتمل أن قلة وجود الأسماء الملكية بين هذه القرى هو أن التسمية بأسماء ملكية كان يحتاج الى اذن خاص . وتدل شواهد الأحوال على أن «فيلادلفيا» قد سميت بهذا الاسم بتصريح خاص . وهذا الاسم كما نعلم كان لقباً على كل من بطليموس الثانى و«ارسنوى» (= المحب لأخته) .

والواقع أننا لا نعلم الا القليل جدا عن تاريخها المبكر قبل الكشف عن

مراسلات «زينون» فيما عدا أنها أمست في عهد بطليموس فيلادلفس . وتدل بعض الأوراق التي كشفها «بترى» على أنه قد نفذت أعمال هامة في محيط فيلادلفيا على يد المهندسين الملكيين «كليون» و «تيودوروس» وان هذا المكان كان محاطا بمستعمرات تحمل أسماء مصرية ، ومن المحتمل أنها مستعمرات كان يسكنها فلاحون ملكيون وذلك لأن هذه كانت تسمى بأسماء مشتقة من أماكن شهيرة في الدلتا مثل بوبسطه وتانيس و«باتسونتيس» (Patsonthis) وأنها أصبحت مركزا هاما لمحصول النبيذ^(١) . هذا وتعلم أن فلادلفيا في عهد الملك «ايرجتيس الأول» كانت عاصمة المركز (Toparchy) أى مقر حاكم المركز (توبارك) وفي عهد الملك «فيلوباتور» نعلم أنه كان يسكن في فيلادلفيا تاجر جملة يملك قطيعا عظيما من الغنم وكان يسكنها في الوقت نفسه عدد عظيم من الجنود المرتزقة يخدمون في فرقة الفرسان . وقد كان سكان فيلادلفيا يدفعون مبالغ كبيرة ضرائب على التجارة الداخلية وعلى النطرون وهذا يسمح لنا أن نقرض أن المجتمع فيها كان ناجحا وأنه قد نمت نشاطه التجارى والصناعى الى حد ما فى شئون لنسيج مثلا وفى النطرون الذى يستعمل لغسيل النسيج . وقد كان لهذه القرية نشاط فى عهد الرومان لا يدخل فى موضوعنا هنا .

وهكذا نرى أن الفيوم وقراها التى كان معظمها من عمل عهد بطليموس الثانى كانت مقاطعة ثرية زادت فى ثروة مصر بدرجة محسنة فى تلك الفترة وسنفرد فصلا خاصا عن حالة الطبقة الدنيا فى مصر على حسب ما جاء فى أوراق زينون وعن علاقتهم بالادارة الاغريقية .

وخلاصة القول كانت مصر فى عهد بطليموس الثانى قد بلغت الذروة من حيث ثروتها الزراعية والتجارية . ولا غرابة اذن اذا شبهنا عصره كما قلنا بمصر امنحبت الثالث ، وقد فاخر «تيوكريتوس» بأن بطليموس الثانى حكم ١٣٣٣٣٣ مدينه ولكن من المحتمل أن هذا العدد كان عبارة عن عدد كل البلاد

والقرى الصغيرة في كل امبراطورية بطليموس الثانى ؛ هذا وقد تنبأ «كليماكوس» بأن بطليموس سيحكم العالم من مشرق الشمس الى مغربها وهذا التعبير هو في الواقع التعبير المصرى القديم الذى جاء ذكره كثيرا في المتون المصرية القديمة وبخاصة في عهد الدولة الحديثة وما بعدها : ان الفرعون يحكم على كل ما تحيط به الشمس ولا يبعد أن هذا التعبير البطلمى مأخوذ من التعبير المصرى القديم .

وقد ظن بعض المؤرخين أن بطليموس الثانى لم يبلغ مثل هذه القوة التى ذكرها «كالليماكوس» (١) . غير أننا نرى مما كتبه «هيرونداس» كيف كانت تمثل مصر في عيني رجل الشارع في تلك الفترة حيث يقول في وصفه الغريب في مصر : ان مصر هي تقس بيت الآلهة ، وذلك لأن كل ما يوجد وكل ما ينتج في العالم موجود في مصر ففيها الكثرة والغنى وميادين المصارعة ، والقوة والسلام والشهرة والمعارض والفلاسفة والمال والشبان وضياح «الأخوين المؤلهين» ، والملك وهو واحد طيب ، والميوزيون ، والخمر ، وكل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، وهذه هي مصر في عهد بطليموس الثانى ولا بد أن سكانها قد زادوا بازدياد ثرائها زيادة عظيمة ، وقد قيل ان عدد سكانها بلغ حوالى تسعة ملايين نسمة ؛ وليس هذا ببعيد اذا صدقنا ما كتبه الأقدمون في أواخر عهد البطالمة .

بطليموس الثانى والنهضة العلمية التى قامت في عهده

تحدثنا ببعض التفصيل عن النهضة العلمية والأدبية التى نشأت في الاسكندرية في عهد بطليموس الأول بوصفه المؤسس الأول على أرجح الأقوال لمكتبة الاسكندر والميوزيون أو بعبارة أخرى أكاديمية العلوم وقد ساقنا الحديث عن التحدث عن هاتين المؤسستين الى نمو العلوم والمعارف في عهد بطليموس الثانى وأخلافه فيما سبق .

نظام الحكم فى عهد بطليموس الثانى

على الرغم من الكثير الذى نعرفه عن عهد البطلمة فى نواح شتى من حياتهم فانه تنقصنا المعلومات الأكيدة المحددة عن نظام الحكم فى مصر فى عهدهم والواقع أن معلوماتنا فى هذا الباب ليست واضحة جلية كالمعلومات التى وصلت إلينا عن عهد الرومان فى مصر ؛ وعلى ذلك فإن كل وصف لهذا النظام سيكون ناقصا الى أن تكشف لنا عن معلومات جديدة تسد هذا النقص ، وذلك لأن خيوطه سواء أكانت إدارية أو اقتصادية تتجه نحو الاسكندرية . ول سوء الحظ لا نعرف شيئا عن الإدارات الرئيسية فى هذه المدينة العظيمة لقلة المصادر عنها .

وعلى أية حال فانه مما لا نزاع فيه أن نظام الحكم فى مصر كان نظاما ملكيا محضا . وكان الملك فى مصر مثله كمثل فرعون مصر هو الملك لكل البلاد جميعها . ويدل ما لدينا من معلومات على أن البطلمة كانوا يتأثرون خطأ الفراعنة فى نظام حكمهم للبلاد . فقد كان معظم مساعديه الأول فى إدارة البلاد من أفراد أسرته ، وهؤلاء بدورهم كانوا مرتبطين ارتباطا وثيقا بأقاربهم ووكلائهم فى العمل ، على أنه من الصعب أن يميز الإنسان بوضوح بين المهام العامة والخاصة التى كان يقوم بها أى فرد من أعضاء بيت بطليموس . وقد تطور بيت بطليموس شيئا فشيئا حتى أصبح أعضاؤه يتألف منهم بلاطه . وتدل الظواهر على أن هذا البلاط كان قد اتخذ البلاط المقدونى نموذجا له فى بعض الأمور ، غير أن معظم النظام كان فى صلبه مصرية محضا ، ولا أدل على ذلك من أن البطلمة قد نقلوا الى بلاطهم كثيرا من الألقاب التى كانت مستعملة فى البلاط المصرى منذ الدولة القديمة مثال ذلك لقب «قريب الملك» (رخ نسوت) وقد بقى هذا اللقب يعد ضمن ألقاب الشرف فى البلاط المصرى حتى أواخر العهد الفرعونى ؛ وكذلك لقب

«السمير الوحيد» (سمروعتي) فقد كان لقباً يحمله رجال البلاط في مصر الفرعونية وظل حتى نهاية عهدهم ، وكان كذلك يستعمل لقب «سمير الملك» وحسب . وهذه الألقاب وجدناها في العهد البطلمي تمنح للمقربين من الملك . يضاف الى ذلك أنه كان في البلاط البطلمي من يحمل لقب «رئيس الحرس» وهو مصرى أيضاً على أنه من جهة أخرى كانت هناك ألقاب مقدونية محضة مثل لقب «الخلفاء» (Diadochoi) وهو لقب كان يحمله أولئك الضباط العظام الذين خلفوا الاسكندر في ادارة امبراطوريته ، فضلاً عن ذلك كان هناك موظفو البلاط مثل النحاتين والساقين والسائسين وما الى ذلك من وظائف أخرى كان لابد منها في البلاط . هذا الى وجود مؤسسة للفيلمان الملكيين وهكبا (١) .

ومن الغريب أن هذا النظام في بلاط الملك كان له نظيره عند كبار الموظفين وهذا يذكرنا بحكام الاقطاع في مصر في كثير من عهودها ، غير أن الفرق بين الاثنين كان كبيراً . وأبرز مثال لدينا في عهد البطالمة هو النظام الذي كان يسير عليه بلاط وزير مالية بطليموس الثاني المسمى «ابوللونوس» . وهذا الوزير الذي يعد أكبر شخصية في عهد بطليموس الثاني معروف لنا تماماً من المراسلات التي كانت تدور بينه وبين مساعدة المخلص وان شئت قل مدير ماليته «زينون» وقد تحدثنا عن الأحوال التي عثر فيها على هذه المراسلات .

وقد شغل «زينون» هذا وظيفة مدير أعمال للوزير «ابوللونوس» مدة الخمس عشرة سنة التي كان فيها «ابوللونوس» وزير مالية بطليموس الثاني وعندما تبدىء المراسلات بينهما نجد أن «زينون» كان على سفر في الخارج يقوم ببعض أعمال التجارة لسيدة وتصريف شئونه ، وفيما بعد نجده يرافقه في سياحات طويلة في داخل مصر ، وفي نهاية الأمر نجد «ابوللونوس» في

عام ٢٥٦ ق.م يأوى الى فيلادلفيا حيث كان لا يملك الا ضيعة كبيرة كان قد وهبها له الملك أو أقرضها له مدة حياته ، ولحسن الحظ أحضر «زينون» معه كل الأوراق التى كان قد جمعها طوال مدة خدمته «ابوللونىوس» ويبلغ عددها أكثر من ألفى بردية ثم أخذ يضيف اليها ما كان يصله من مكاتبات حتى عهد بطليموس الثالث ومن هذه المراسلات يمكن أحيانا أن تتبع بوضوح أحوال هذا الوزير «ابوللونىوس» من سنة الى أخرى ، ومن المحتمل أنه مات فى فيلادلفيا ، وعلى أية حال فانه سواءا كان قد مات فى هذه القرية أم هاجر الى أخرى فان الأوراق التى جمعها «زينون» قد ظلت مدفونة فى تربة مصر لم تمس حيث تركها أكثر من عشرين قرنا من الزمان .

وقد كان بلاط «ابوللونىوس» يتألف من أمين سره وادارته ومن أمين خزائنه ومدير بيته ومديرى الضياع والأطباء ومديرى الشحن ومديرى التعليم والرياضة البدنية ، هذا الى عشرات المساعدين الذين لا يحملون ألقابا معينة ومئات الخدم من الأحرار والعبيد من بينهم الموسيقاريون والفقيات الراقصات وكل هؤلاء مجتمعين يقدمون لنا فكرة عن تكوين بلاط بطليموس الثانى . والمطلع على تكوين بلاط الفرعون فى العهود القديمة يجد أن نظامه كان مطابقا للنظام الذى اختاره بطليموس الثانى (١).

وأمثال حاشية «ابوللونىوس» هذه كانت تعد فى بلاط بطليموس الثانى بالعشرات. والواقع أن من يدرس تاريخ ابوللونىوس فى ضيعته فى «فيلادلفيا» يجد أن نظامها كنظام حكم بطليموس الثانى فى مصر أى أن نظام الحكم فى ضيعة ابوللونىوس هو مصغر لنظام حكم مصر ذاتها . وستتناول هنا ادارات الحكومة وأقسامها مدلين بكل ما لدينا منها من معلومات الجيش (٢) . ولا نزاع فى أن بطليموس الثانى كان يعتمد فى بلاطه على أولئك الرجال

(١) راجع مصر القديمة ٧ ص ٣٤ ، الجزء الثالث ص ٣٧٩ وما بعده .
(٢) راجع عن نظام الجيش فى عهد الرعامسة مصر القديمة الجزء الثامن ٤٦ - ٤٩ .

الذين كانوا يديرون له شئون البلاد في داخلها وخارجها وهؤلاء هم الذين كانوا يشغلون أكبر المناصب في عهده وبخاصة قواد جيشه وأسطوله ومدير ماله. ومما يؤسف له جد الأسف أن نظام الادارة الحربية ووظائفها وتسلسلها لم يصل إلينا حتى الآن ، وذلك على الرغم من أننا قرأنا عن ضباط يقودون الجيوش ، وكان ذلك فضلا عن وجود وزير حربية وسكرتير للقوات المسلحة وكان الأخير يقوم بعملية التجنيد ودفع مرتبات الجنود وتوزيع الأراضي على الجنود المرتزقة . هذا ونعلم كثيرا عن نظام الجيش نفسه وبخاصة في عهد بطليموس الثاني وخليفته «ايرجيتيس» وكذلك «فيلوباتور» . فقد كان الحرس الملكي المعسكر في الاسكندرية أو على مقربة منها يحتوى بصفة رئيسية على الجنود المقدونيين والمشاة الثقيلة الذين كانوا قد دربوا على طريقة الحرب المقدونية . والواقع ان الجيش البطلمي كان يتألف تقريبا من الجنود المرتزقين الذين وفدوا على مصر من ممالك هيلانستكية مختلفة، وذلك لأن البطالة منذ باكورة حكمهم لم يثقوا بالجنود الذين من أصل مصرى ، وقد برهن على صدق اعتقادهم هذا ما حدث فيما بعد عندما جند جيش من المواطنين المصريين بدرجة كبيرة وانخرطوا في سلك الجيش النظامى . وذلك عندما تمت الحاجة لاشتراكهم في الحرب الكبرى التى شنها البطالة على «اتيوكوس الثالث» العظيم ، وهى التى انتصر فيها الجيش المصرى عند رفح (٢١٧ ق.م) ومنذ انتصار المواطنين المصريين فى هذه الحرب أخذتهم العزة القومية وبدأوا يقومون بشورة على البطالة ، ومنذ ذلك العهد أخذ البطالة على أنفسهم العهد ألا يؤلفوا جيشا يكون فيه العنصر المصرى بل يختار من المقدونيين والاعريق ومن على شاكلتهم من الموالين للبطالة . وقد حل ملوك البطالة هذه المسألة بأن اسكنوا جنودا أجانب فى الأراضي المصرية وبذلك كونوا جيشا جديدا محليا له كل الميزات التى كانت لجيش الجنود المرتزقين . وهذا الجيش الجديد كان له جنوده النظاميون ومستحفظوه ومشاته وفرسانه واداراته ؛ وكانت فرقة الفرسان التى كانت تعد أعظم فرقة

فى الجيش من حيث الجاه الارستقراطى كما كانت الحال فى الجيش المصرى فى عهد الدولة الحديثة^(١) تتألف من كتائب تدعى بالأولى والثانية والثالثة الخ . وكانت تسمى هذه الكتائب بأسماء أقوام مختلفين كما كانت الحال فى الجيش المصرى^(٢) .

وكان جنود المشاة مقسمين كذلك الى سرايا تسمى بأسماء البلاد التى أتوا منها فمن بين فرق الفرسان نذكر التراقيين والتساليين والميسيين والفرس وكل هذه الفرق قد نظمت منذ القرن الثالث قبل الميلاد . وكان يشرف على سكنى الجنود الأجانب فى مصر موظفون خاصون كان واجبهم أن يقسموا الأرض اقطاعات صغيرة المساحة تعطى كل منها جنديا مستعمرا وقد كان نصيب الضباط وبخاصة الفرسان منهم نصيب الأسد فكان نصيبه يتراوح ما بين ثمانين ومائة ارورا ، وكانت تمنح من أقل منه درجة فى الجيش قطعة أصغر تتراوح ما بين ٢٤ و ٦٠ أرورا . وكان الجنود يسكنون فى الأماكن التى تقع فيها اقطاعاتهم ، وذلك فى وقت السلم ، ومعهم أسرهم . وكان الأهالى من المصريين يقدمون لهؤلاء المستعمرين مساكن منفصلة أو مساكن دائمة يقطعونها من بيوتهم ، وكان فى ذلك اجحاف بالفلاح ومضايقة له فى مسكنه . وكان هؤلاء الجنود يقومون فى وقت السلم بزراعة أرضهم وفى زمن الحرب كانوا يجندون ويرسلون كل الى الفرقة التى هو تابع لها مجهزا بكل ما يحتاج اليه من عدة وعتاد . وقد أصبحت الخدمة العسكرية بطبيعة الحال وراثية فى هذه الأمور . وقد شجع على ذلك البطالة ، ولا نزاع أن ذلك كان من شروط ملكية الأرض التى كان يستولى عليها الجنود المرتزقة ، وقد شجع على بقاء الجنود فى خدمة الجيش أنهم كانوا يتزوجون من المصريات اللائى كن يسكن معهم ويشغلون فى وسطهن أثناء السلم ؛ ومن ثم كان ينشأ من هذا الزواج جيل صغير يشب على التقاليد الحربية . وكان الجيل الصغير

(١) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ٥٤١ - ٥٤٩ .

(٢) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٢٣٨ (الصورة رقم ٩)

من أولاد المستعمرين من الجنود يدعى ايبجون (Epigone) ولا كان هذا الجيل يعتبر بمثابة مورد مستديم للجيش فان هذه اللفظة أخذت معنى مستحفظ الجيش . وكان على كل جندي عند تقديم اسمه لأمر رسمى أن يذكر أصله أى الفرقة التى ينتمى اليها (مقدونى أو تراقى مثلا) كما كان عليه أن يذكر اذا كان جنديا نظاميا أو مستحفظا . وهكذا على هذا النظام المركب نشأ الجيش المصرى الذى أوجده البطالة وبخاصة بطليموس الثانى فى خلال القرن الثالث ق.م (١) .

وعلى أية حال فان هذا النظام قد ضمن للبطالة جيشا ثابتا من الجنود المدربين السواد الأعظم فيه من الاغريق أو من غيرهم من الذين صبغوا بالصيغة الهيلانية الظاهرة كاليهود وغيرهم .. والواقع أنهم كانوا قد دربوا منذ الطفولة على فنون الحرب ، وكان المفروض أنهم منذ نعومة أظفارهم قد شربوا مع لبن أمهاتهم كأس الحب الخالص لأسرة البطالة التى كانوا مدينين لها بسعادتهم ومكاثتهم الممتازة ، وعلى الرغم من اختلاط الاغريق بالمصريين فان الاغريق كانوا يحتقرون المصريين الذين كانت قيمتهم الحرية فى نظر الاغريق تقاس بملكياتهم الصغيرة التى منحتها لهم الحكومة ، ولكن بعد مدة قصيرة نجد أن الجيش الذى كان أفراده يملكون أطيافا واسعة قد فقد رجاله صفاتهم الحرية وأصبحوا مثل زملائهم من المصريين الذين يحتقرونهم وهذا ما كان يحدث عادة للجنود الذين اتخذوا لانفسهم مستعمرات يعيشون من ثمراتها ، يضاف الى ذلك أن هؤلاء الجنود المرتزقين لم يستمر عددهم كبيرا بل أخذ فى النقصان ، ويرجع ذلك الى أنه عندما أخذت الأراضى الزراعية التى كانت توزع عليهم فى النقصان فان مساحة الأراضى التى كانت لكل جندي أخذت تنقص بطبيعة الحال ؛ وعلى ذلك فان الجنود المرتزقين الذين كانوا يفدون على البلاد من الخارج بسبب الأرض وامتلاكها قد نقص عددهم،

(١) راجع J. Lesquier, Les Institutions Militaires de l'Egypte sous les Lagides 1911:

ولا أدل على ذلك من أن الجنود المرتزقين قد قل عددهم شيئاً فشيئاً في سوق القرن الثاني قبل الميلاد ؛ ومن أجل ذلك لم يكن لدى البطالمة مصدر لتجنيد جيش لمحاربة أعدائهم إلا من السكان المصريين الذين أخذ عددهم يزداد في الجيش بصورة محسنة ، هذا على الرغم من أن البطالمة كانوا لا يثقون بالجندي المصري من حيث الولاء ومن حيث الكفاية الحربية .

وهذا النظام البطلمي في تكوين الجيش ونظامه كان هو نفس النظام الذي سار على نهجه من قبل فراعنة مصر وبخاصة في الفترة الأخيرة من تاريخهم ، ولا أدل على ذلك من أن منح أراضي للجنود المرتزقين كان معمولاً به في مصر القديمة منذ العهد الاقطاعي (١) .

وقد استمر هذا النظام في مصر حتى القرن الخامس قبل الميلاد . فقد كان كل جندي يملك قطعة أرض مساحتها حوالى تسعة أفدنة ونصف الفدان من الأراضي الصالحة للزراعة . وكان يعد نفسه عائشاً في رغد من العيش (٢) . حيث نجد أنه منذ بداية الألف سنة الأولى قبل الميلاد كان كل جندي من الجنود المرتزقة من اللوبيين وغيرهم يشغل وظيفة متوارثة وكان يسمى « مى » وهى كلمة مختصرة لاسم القبيلة اللوبية المعروفة باسم مشوش ، وهذا الاسم الأخير حرفه اليونان فأصبح ماشيموى (Machimoi) وكان هؤلاء الجنود ينقسمون فرقتين أحدهما تسمى « هرموتير » والأخرى تدعى « كلازيرى » وكان جنودهم يسكنون في مستعمرات حربية مغلقة أى قائمة بذاتها في مقاطعات الدلتا ، وكان كل جندي يملك اقطاعية من الأرض معفاة من الضرائب تبلغ مساحتها اثني عشر أروراً . وفي عهد بسمتيك الأول الذى أخذ يستعمل الجنود المرتزقة من الاغريق وغيرهم كان يقطعهم اقطاعات تغريهم على البقاء في مصر (٣) .

Revue d'Egyptologie, T. III. P. 213.

(١) راجع

راجع مصر القديمة الجزء الثاني ص ٤٩٧

(٢) راجع مصر القديمة الجزء ٩ ص ٤٨٢ - ٤٩١

(٣) راجع مصر القديمة الجزء ١٢ ص ٤٠٠ الخ

وفي عهد الأسرتين الأخيرتين من عهد الفراعنة كان ملوك مصر يستأجرون الجنود المرتزقة من الإغريق للدفاع عن مصر ، غير أنهم لم يسكنوا البلاد إلا مدة الحرب فإذا ما انتهت أخذوا أجورهم نقداً وغادوا إلى بلادهم ومن ثم لم يكونوا أصحاب اقطاع (١) .

والواقع أننا لو قرنا ما كان يدور في الجيش المصرى في عهد الفراعنة حتى نهاية حكمهم وبخاصة في العهد المتأخر بما كان يجرى في الجيش البطلمى لوجدنا أن البطالمة كانوا يتبعون نفس الخطط والأنظمة التى كان يتبعها ملوك مصر في تكوين جيشهم ونظام تموينه مع بعض فروق طفيفة وإضافات بسيطة جديدة . والواقع أن أهم تجديد في الجيش البطلمى هو استعمال الفيلة في حروبهم ، والظاهر أن ملوك البطالمة أخذوا استعمال هذا السلاح الجديد عن ملوك السليوكيين الذين كانوا يجلبون هذه الحيوانات من الهند ، ثم أخذ بعد ذلك البطالمة يصطادونها من بلاد أثيوبيا . وقد ذكر لنا استرابون حملات بطليموس الثانى في هذه الاقطار كما حدثنا عن إقامة الموانى التى كانت تقام بمثابة قواعد للقيام منها لصيد الفيلة على أن استرابون كان يظن أن هذه الرحلات لصيد الفيلة لم تكن إلا مجرد هواية عند بطليموس (٢) .

والظاهر كما جاء في بعض المتون المصرية أن أول صيد للفيلة في مصر يرجع عهده للملك بطليموس الثانى وذلك في بلاد التروجليديت (٣) . وقد ظهر في ركب بطولمايا (Ptolemaieia) الذى وصفه كاليكسين (٤) . فيلة هندية وكلها كانت مزينة بالذهب . والظاهر أنها لم تكن بعد قد جهزت

(١) راجع مصر القديمة الجزء ١٣ ص ٤٧٢

(٢) راجع Strabo XVI, 769 & XVII, 789, Cf. Agatharchide in Geor.

Gr. Min. I, P. 171; Diod. III, 36, 3.

Adulis (O.G.I.S. 54).

Athenée, (V, P. 200 d-f.

(٣) راجع

(٤) راجع

بمعدات الحرب (١)

على أن صيد الفيلة نجده قد جاء ذكره في الربع الأخير من القرن الثالث قبل الميلاد . ومنذ عام ٢٢٤ ق.م. تقرأ في خطاب ملىء بالنشاط عن صيد الفيلة كتبه فرد يدعى «مارنيس» (Marnes) وقد وجه لأهل قريته الذين كانوا في جزع ليفادروا محط صيد الفيلة البعيد . وقد أخبرهم بأنهم سيبدلون بغيرهم في القريب العاجل ، وأنه سيرسل لهم سريعا سفينة من «هرونبوليس» مشحونة بالغلل هذا بالإضافة الى سفينة خاصة لنقل الفيلة ستبحر من «برنيكى» ؛ وهذه السفن التى كانت تحمل المؤن كانت بطبيعة الحال تعود محملة بالفيلة (٢)

وعلى أية حال كانت هذه الفيلة محمية بدروع ، ومعظمها من التى صيد فى افريقيا ، وكان صيدها وتدريبها ينظمه البطالة . وأخيرا نجد أنه بجانب الجيش العامل قوات من الجنود المرتزقة أما المستحفظون المصريون فكانوا يستخدمون لنقل مهمات الجيش .

الأسطول

لم تصل الينا معلومات أصيلة عن الأسطول المصرى فى عهد البطالة ، والواقع أن كل ما نعلمه عن الأسطول فى هذه الفترة مستمد من الاشارات التى وردت عنه فى مختلف الحروب وهذه بدورها معلومات ناقصة جدا لا تشفى غلة .

(١) راجع بداية صيد الفيلة فى عهد البطالة ما يأتى :

P. Hibeh 110, 1.79; W. Wilcken, Punt-Fahrten in der Ptolemaerzeit. Z.A. 60, 1925, PP. 86-87; Kortenbeutel, Der Agyptische Sud-und Osthandel in der Politik der Ptolemaer, und Romischen Kaiser, Berlin 1931. PP. 24-25.

M. Merzagora, la Navigazione in Egitto, nell'eta greco-romano (Aegyptus 10, 1929. PP. 119-20. راجع (٢)

وعلى أية حال نعلم من أوراق زينون ^(١) أنه كان يوجد أسطول ملكى يعده فؤاد للاسطول البطلمى ، كانت تساعد سفن أجرة أو أساطيل . ومن المحتمل أن هذه السفن كانت مصرية يديرها بحارة مرتزقة من الاغريق ، وكان لزاما على البطالمة محافظة على أملاكهم التى وراء البحار ومحافظة على الاسكندرية وعلى تجارتهم الخارجية أن يكون لهم أسطول عظيم، فنجد أنه منذ بداية العصر الهيلانستى كان الملوك قد أخذوا فى المسابقة فى التسليح البحرى ليكون لهم التفوق على مناهضهم من الدول الأخرى المنافسة لهم ، والواقع أن المسابقة فى التسليح البحرى بين «اتيجونوس» وأمرة البطالمة كان يشبه التسليح البحرى الذى نراه بين الدول الكبرى فى عصرنا الذى نعيش فيه . ولا أدل على ذلك من أنه كان قد أصدر الأوامر ببناء سفن حربية من طراز جديد . والواقع أنه قد فاق كل ملوك عصره من حيث أهمية التسليح البحرى ^(٢) .

وكان بطليموس يملك سفينتين فى كل منهما ثلاثون صفا من المجدفين . هذا ويصف «كاليكسين» ^(٣) فى كتابه الاول عن الاسكندرية سفينة تحتوى على اربعين صفا من المجدفين، وهى التى أمر بطليموس «فلوباتور» ببنائها فى مصنع السفن ، ويبلغ طولها حوالى ٣٨٠ ذراعا وكان تناسب أجزائها مدهشا ، وكانت مزينة بأشكال فضة فى المقدمة ومزخرفة بالكاليل من أزهار مختلفة ألوانها . وهذه السفينة العظيمة كانت تشتمل على أكثر من ثلاثة

(١) P. Cairo Zen. 5903. & P.M. Meyer in Klio XV, PP. 376 sqq; Cf. P. Lond. 1, P. 60, 3 and the Songs of Soldiers and Sailors, Powell Collectanea Alexandrina, Lyr. Adesp. 16-21, PP. 190 sqq. & 32, PP. 195 sqq.)

Athenée V, 203; Theocritus id. XVII.

Callexine. Ap. Athenée V, 203-204,d; Cf.

Plut. Demetrius 43).

(٢) راجع

(٣) راجع

آلاف مجدف وعلى حوالى ثلاثة آلاف جندى مقاتل ، غير أن مصر فى هذا العهد كانت قد فقدت سيادتها البحرية ، وعلى ذلك فإن مثل هذه السفينة الجبارة لم تكن الا مجرد سفينة استعراض صنعتها ملك مريض يحب العظمة والصفخة الجوفاء .

والواقع أن كل ما يمكن معرفته عن الأسطول فى عهد البطالمة هو ما أمكن جمعه من تاريخ حروبهم كما أشرنا الى ذلك من قبل ، ومع ذلك فإن هذا المصدر لا يكاد يسفنا كثيرا (١) . ففى خلال القرن الثالث قبل الميلاد لم تقم أية حرب فى الواقع الا ظهرت فيها السفن المصرية . وكانت وظيفتها حماية البحر فى حين كانت الجيوش البرية تسير على السواحل . وكان أول من وضع هذه الخطة فى تاريخ العالم أى السير بمحاذاة الشاطئ لحماية الجيش البرى ومعاوته هو تحتمس الثالث (٢)

وكان الاسطول الذى حارب به بطليموس الأول الملك «ديميتريوس» فى موقعة سلاميس (سلامين) فى رودس يبلغ عدد سفنه مائتى سفينة ، وقد هزم بطليموس الأول فى هذه الموقعة هزيمة منكرة كما تحدثنا عن ذلك من قبل (٣) .

هذا ونلاحظ فيما بعد عام ٢٩٦ ق م عند ما كان «ديميتريوس» قد اوقع «اتيكا» فى شرك الحصار ارسل «بطليموس الاول» مائة وخمسين سفينة لتحتل «أثينا» (٤) . وليمهد سبيلا لحمولة الغلال التى كانت ستعود على مصر تجاريا بفائدة كبرى والقصة التى يقصها علينا «بلوتارخ» عن

(١) راجع Lumbrroso, Recherches sur l'économie politique des Lagides. PP. 233-234; Lesquier Les Institut Militaires de l'Egypte, sous les Lagides. PP. 256-60.

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٥٠٦

(٣) راجع Diod. xx, 49-53; Plut. Demetr. 15; Polyn. IV, 7, 7;

Cf. B.L.I., P. 69.

Plut. Demetr. 33; B.L. I, 38

(٤) راجع

هذه المحاولة الفاشلة تقدم لنا مقدار ما كان لحرية البحار من أهمية عظمى لاسعاد مصر وراثتها . ولا نزاع في أن أهمية السيطرة البحرية على مستقبل مصر من الوجهة السياسية وكذلك من الوجهة التجارية والاقتصادية كانت عظيمة . ولا ريب في أن أكبر نقطة ضعف عند المصريين من حيث التجارة البحرية كانت منحصرة في سفنها ، وقد كان أعداؤها يعرفون موطن الضعف هذا جيدا ، ومن ثم نجد أن « اتيجونوس » الذي كان يريد أن يجبر اهل « رودس » على الدخول معه في ابرام معاهدة قد نصح سفنها التجارية التي كانت تقلع نحو مصر الا تتجر معها كما أشرنا الى ذلك من قبل ولكن « ديمتريوس » كان يعد اكبر علو تها به مصر في عرض البحار . ففى عام ٢٨٧ ق.م قام ببناء اسطول يبلغ عدده خمسمائة سفينة في عدة احواض خاصة ببناء السفن في بلاد الاغريق وأوصى بالأقل عدد السفن المصرية في جمالها او طولها . يضاف الى ذلك انها لم تكن مجهزة كالسفن المصرية باجهزة لا فائدة منها . واقل ما يقال عنها انها كانت أقل في سرعتها عن السفن المصرية واكثر فائدة ، وفوق ذلك لم تكن هناك قوة بحرية لمقاومة خطر هذا الاسطول حتى لو عملت أساطيل بطليموس وليزيماكوس وسليوكوس و « بيروس » مجتمعة . وكل هؤلاء كانوا يتنازعون السلطة على بحر « ايجيه » (١) .

هذا ولا بد ان نعلم انه لحماية السيطرة المصرية التي فرضت شيئا فشيئا على مدن ساحل اسيا الصغرى كانت من عمل السياسة والاسطول ففى اثناء انشغال « اتيكوكوس » في حروب مع الغاليين كان على ملك مصر الذى صار مسيطرا على البحار ، ان يمد يد المساعدة لمدن الساحل وذلك لفائدته هو (٢) . وفى عام ٢٧٢ ق.م. ونعلم ان الاسطول المصرى اثناء الحرب التي اعلنها

(١) راجع Plut. Demet. 43-44; Pyrrhus II, Cf. B.L.I. P. 91.

B.L.I., P. 169.

(٢) راجع

«اتتيوكوس» أن بطليموس الثانى بعد أن ضمن لنفسه فتح كل لىسيا و «كاريا» اقلع باسطوله الى الساحل وحرص المدن الاغريقية الخائفة على الخروج على «اتتيوكوس». وقد اتخذ جزيرة «ساموس» قاعدة له وبذلك هدد كلا من «مليتوس» و «افسوس» (١). هذا ونعرف ان بطليموس الثانى لضمان السيادة على الجزر ولحماية المدن التى كان يسيطر عليها ، وكذلك للمحافظة على لوبياء، وزع على امبراطوريته فيما وراء البحار اكثر من اربعمائة سفينة (٢). ولكن على الرغم من المجهود الذى بذله بطليموس الثانى فانه لم يكن كافيا لنيل غرضه ، وذلك لان سيادة البحار المصرية كانت قد تحطمت فقد هزم «اتيجونوس» اسطولا مصريةا بالقرب من كوس فى عام ٢٥٦ ق.م. ، أكثر عددا من أسطوله (٣).

وكانت هذه الواقعة هى نهاية السيادة البحرية المصرية فى بحر ايجة (٤) وبعد ذلك لم نسمع قط بهزائم تكبدها مصر ، وذلك على الرغم من انه فى المناوشات التى سبقت موقعة « رفح » رأينا ان القائد المصرى نيكولاوس (Nicolaos) كان يساعده اسطول مؤلف من ثلاثين سفينة مجهزة بكبارى ، هذا بالاضافة الى اكثر من اربعمائة ناقلة . والواقع ان تاريخ البحرية فى عهد البطالمة يحتوى على النقاط الهامة فى تاريخ مصر فى عهد هذه الأسرة . هذا ولا يفوتنا ان نذكر ان مصر كانت تراقب فى هذه الفترة البحر الاحمر ؛ فقد كانت حراسته موكلة الى قائد اقليم طيبة ، وهو الذى كان عليه خلافا لذلك حراسة البحر الهندى ، ويرجع ذلك الى «ايودوكوس» أحد اهالى

B.L.I., 176-177.

Athenée V, 203d.

Preaux, l'Economie Royale des Lagides, P. 40.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

S. Fergusson Egypt's Loss of Sea Power (Journal of Hell. Studies (1910), PP. 189-208. (٤) راجع

« سيزيكوس (Eudoxus Cyzicus) الجغرافى الذى جاء الى مصر من وطنه وسكن الاسكندرية وقد استخدمه بطليموس ايرجيتيس وزوجه كليوبترا فى سياحات الى الهند ولكن فيما بعد صرف كل متاعه فى عهد بطليموس الثامن سوتر الثانى لاتيروس (Lathyrus) ، وقد انحدر فى سياحته فى البحر الاحمر حتى «جاديس» (Gades) وقد حاول فيما بعد ان يدور حول افريقيا من الجهة المقابلة ولكنه لم يفلح (١) : ومن المحتمل أنه عاش حتى عام ١٣٠ ق.م.

والواقع ان الاسطول المصرى كان لازما للبطالة بسبب ما كانت تحتاج اليه البلاد من وقاية للمحافظة على ممتلكاتها خارج مصر . هذا بالاضافة لما كانت فى حاجة اليه من خشب وقطران وزفت وحديد ، ومن أجل ذلك نفهم لماذا كان يحتم بطليموس الثانى فرض توريد سفن على مدن آسيا ، وهذا هو ما استخلصناه من وثيقة ضمن أوراق زينون ، وهى توضح لنا بجلاء فرض توريد سفينة على مدينة هليكارناس لملك مصر (٢) . على أنه ليس من الغريب أن نجد البطالة على اتصال ببلاد شرقى البحر الأبيض المتوسط لان ذلك ليس بالامر المستحدث فقد دلت البحوث الاثرية على أن مصر كانت لها علاقة بجيرانها الاسيويين منذ عهد ما قبل التاريخ ، وبعبارة اصح منذ العهد الجرسى (٣) .

وفى الازمان التاريخية يمكننا ان نعيد بناء السياسة المصرية للعلاقات المصرية مع « آسيا » على الاقل فى خطوطها العريضة ، وذلك على الرغم من أن المصادر التى فى متناولنا ليست جلية تماما من حيث التفضيلات الفنية ، ومن ثم لم يظهر لنا بصورة واضحة الى عهد الدولة الحديثة الى اى حد لعب

(١) راجع (Strabo II, PP. 98-100)

(٢) راجع Rostovtzeff, Foreign Commerce of Ptolemaic. Egypt.

(Journal of Economic and Business History), 4.

(1932). PP. 735-6.

(٣) راجع Scharff, Die Fruhkultur Agypten und Mesopotamiens. Der Alt Orient, Bd. 41, Lpz. 1941.)

الاسطول المصرى دورا حاسما فى نشاط مصر البحرى .
والباحث فى تاريخ مصر القديمة يجد ان السياسة المصرية فى اسيا كان
مرماها مزدوجا واعنى بذلك تأمين الحدود المصرية من جهة والحصول على
المحاصيل الاسيوية (سوريا) من جهة أخرى . فنجد فى العلاقات التى
كانت قائمة فى سوريا ان المصالح التجارية كانت اكثر أهمية من غيرها ، فى
حين نجد أن فلسطين كانت أهميتها لمصر تنحصر بوجه خاص فى موقعها
الاستراتيجى من الوجهة الحرية . وقد كانت أهمية بلاد أسيا لا تقل فى
نظر مصر عن أهمية بلاد السودان . ومن أجل ذلك كان يقيم فى الاخيرة
نائب ملك مصر الذى كان يسمى ابن الملك ونائب الملك فى بلاد كوش ، غير
ان سيطرة مصر على الجزء الاسيوى من امبراطوريتها عندما كانت تفقد
بسبب تراخى الحاكم هناك يعرض مصر الى خطر عظيم وهذا هو نفس ما
وجدناه فى عهد البطالمة الأول . ويلحظ أنه كانت هناك مراقبة ملحوظة فى
فلسطين كما كانت توجد فى سوريا فى فترات ، وهذه المراقبة كانت تتمثل
فى اقامة معازل أو حاميات فى البلاد الهامة^(١) . وذلك بمساعدة رؤساء المدن
الذين نصبهم فرعون ، لأنهم هناك كانوا مرتبطين معه بالمواثيق والهبات
التى كان يقدمها لهم ، وكذلك بالرهائن التى كانت فى الواقع من فائدة ابناء
هؤلاء الحكام^(٢) . وهذا هو نفس ما نجده فى عهد البطالمة . ومما تجدر
ملاحظته هنا انه لم تدخل فى هذه الاصقاع الاسيوية أية ادارة مصرية
خالصة بالمعنى الذى نفهمه الان .

(١) راجع Urk. IV 739, Gebel Barkal Stele of (A.Z. 69. P. 35; Cf. Rowe, The Topography and History of Bethshan, Philad. 1930. P. 21; & for the Amarna period. J., De Konig, Studien over de El Amarnabrieven, Delft 1940, Deel II, Hoofstuch II.

(وراجع كذلك مصر القديمة الجزء الرابع ص ٤٠٦ - ٤١٢)
(٢) راجع Urk. IV, 690; El Amarna Tablet 296, 25 ff.

هذا وكان المصريون مهتمين بالحصول على الخشب الذى كان مصدره بلاد «لبنان» وبخاصة من بلدة «بيلوص» الواقعة على الساحل . وكانت احسن ميناء لتصدير الخشب فى هذا الاقليم ، فقد كان لها نشاط تجارى عظيم مع مصر يرجع الى العهد الطينى ، كما تدل على ذلك البراهين الأثرية^(١) ولا نزاع فى أن هذه المواصلات كانت عن طريق البحر ، وقد جاء على حجر «بلرم» ان الملك «سنفرو» قد أحضر اربعين سفينة محملة بخشب (عش) من هذه الجهة^(٢) ؛ هذا ولدينا رأس بلطة للملك «خوفو» او «سحورع» وجد فى «سوريا» جاء عليه اسم بحار مصرى^(٣) ، وفضلا عن ذلك نجد سفنا مصرية مصورة فى معبد سحورع . ولا نزاع فى أنها كانت قادمة الى مصر من السواحل السورية^(٤) . واهمية هذه التجارة البحرية بالنسبة لجبيل يمكن أن تفهم من أن السفن التى كانت تخرج باب البحر فى الرحلات الى بلاد «بنت» كانت تسمى غالبا سفن «جبيل» نسبة الى البلدة التى صنعت فيها . هذا ونجد فى تحذير حكيم مصرى^(٥) الفقرة الشهيرة التى تشير الى انقطاع هذه التجارة فى العصر المتوسط الاول من تاريخ مصر ، وهو العهد الذى قامت فيه أول ثورة اجتماعية فى تاريخ البشرية حيث يقول : ان القوم لا يسبحون شمالا الى «بيلوص» (= جبيل) اليوم فماذا سنعمل من أجل خشب الصنوبر (عش) وهو الذى يحفظ به الرؤساء حتى «كفتيو» ؛ (اي كريت) .

والواقع أنه كان لا بد لتيسير وجود المواصلات النشطة بين مصر و«بيلوص» ان يكون هناك اتصال عن طريق البحر لانه كان من الصعب ان تسلك الطريق

Montet Byblos et l'Egypte; Le Drame d'Avaris. PP. 19 ff; راجع (١)
J.E.A., 12, P. 83 ff.

Urk. I. P. 236,

Rowe Catalogue of Egypt. Scarabs PP. 283 ff.

(Rowe, op. cit. P. 288.

Gardiner Admonition of an Egyptian Sage. P. 32.

راجع (٢)

راجع (٣)

راجع (٤)

راجع (٥)

برابوساطة «فلسطين» . فكان لابد للوصول الى هذه الجهة من وجود سيطرة قوية على كل الساحل حتى «ببلوص» ، وذلك لأن طريق البر كانت وعرة لقلة الماء فيها، هذا فضلا عن وعورة الشعب والممرات الجبلية التي تعترض الانسان في سيره حتى يصل الى جيبيل أو غيرها من البلدان (١) . ولا نزاع في ان الاسطول المصرى كان من حين لآخر على الأقل يستعمل في الحروب في فلسطين لتجنب وعشاء السير على الاقدام في الصحراء ، ولا أدل على ذلك مما قرؤه في النقوش التي تركها لنا القائد « ونى » وهى التي دونها على لوحته المشهورة ، ويرجع عهدا الى الاسرة الخامسة المصرية . فقد ذكر لنا ان جنوده المصريين قد أرسلوا الى ساحل فلسطين في سفن خاصة للقضاء على عصابات هناك كما اشير الى ذلك من قبل . هذا ولا نعرف الا القليل عن التفاصيل الخاصة بحروب الدولة الوسطى المصرية في «سوريا» ، ومن أجل ذلك لم يكن معرفة الدور الذى قام به الاسطول المصرى فيها ، وفى خلال العصر المتوسط الثانى يمكننا ان نرى من البراهين الاثرية وبخاصة من اوانى «تل اليهودية» العظيمة الانتشار فى ذلك الوقت ، انه كانت هناك اتصالات غاية فى النشاط بين مصر وآسيا ، ولكن دون أن نعرف أى شئ عن التفاصيل الفنية ، وهذا ينطبق كذلك على النشاط المصرى بين البلدين فى خلال الجزء الاول من الاسرة الثامنة عشرة فى عهد ملوكها الاول . فقد ذكرت لنا النقوش ان ملوك مصر كانوا نشطين فى اسيا وان «تحتس الأول» كان فى استطاعته ان يصل الى نهر الفرات ، وكان رئيس المجدفين «احمس ابن أبانا» قد اشترك فى الحملة التى قام بها «تحتس الأول» على «نهرين» ، غير انه لا يكاد يكون لنا الحق فى ان نظن ان الاسطول قد قام بدور حاسم فى هذه الحملة . والظاهر انها كانت مجرد غارة عابرة اكثر منها محاولة جدية

(١) راجع Volten Analicta Aegyptiacæ . IV, PP. 47; Gardiner J.E.A.I. P. 30.

قصد منها جعل كل هذا الاقليم تحت سلطان مصر ، بل كان المقصود على ما يظهر مطاردة «الهكسوس» الى اقصى حد ممكن لابعادهم جملة عن الديار المصرية . وعلى أية حال فانه كان على «تحتس الثالث» ان يتدبّر فتح هذه البلاد من جديد وذلك لقلّة نشاط «حتشبسوت» فى العمليات الحربية بوجه عام .

وحملات «تحتس الثالث» معروفة لنا جيدا ولا داعى لتحليلها هنا بالتفصيل ويكفى ان نقول انه أولا هذا الاحوال فى فلسطين وعلى ساحل سوريا . ومن هذه القاعدة نجح فى تخريب بلدة «قادش» التى كانت من أشد المدن مقاومة له ، ثم ضرب قوم «ميتن» ضربة قاسية وكانت هذه البلاد أقوى اعدائه واطهرهم عليه والواقع انه خرب بلادهم على كلا جانبي نهر الفرات . ولدينا من الاسباب ما يحملنا على الاعتقاد ان هذا النجاح فى شمالى سوريا يرجع بوجه خاص الى استراتيجية جديدة اخذت فى عام ٣٠ من حكم هذا الفرعون . والواقع ان الحملة التى قام بها تحتس الثالث فى هذا العام وهى التى انتهت بتخريب «قادش» يعتقد انها أول حملة استعملت فيها السفن لتتنقل جنود الجيش ، ومن ثم قد تكون هذه أول عملية بحرية عرفت فى تاريخ العالم اجمع . ومع ذلك فان البراهين المباشرة على ذلك قليلة لدينا . فقد أشير الى هذه الحملة فى تواريخ تحتس الثالث بكلمة «حملة» وقد خصصت هذه الكلمة بصورة سفينة مما يدل على أن تحتس قد قام بهذه الحملة عن طريق البحر الى سوريا ، ومن ثم بدأت قوة مصر البحرية تزداد اتصالا ببلاد فلسطين حتى نهاية الاسرة الثامنة عشرة الى ان جاء عهد اخناتون ففقدت فى تلك الفترة سلطانها البحرى كما فقدت كل ممتلكاتها فى الجزء الشمالى من امبراطوريتها الاسيوية ، وقد حل محلها السوريون . وعندما أخذت مصر تفيق من سباتها كان الوقت متأخرا لان تعود الى مصر سيادتها البحرية من جديد، لأن المواقع الحربية كانت تدور فى فلسطين وجنوبى سوريا . ولم يكن هناك أى أمل فى استرجاع المديرية الشمالية

التي فتحها تحتس الثالث واخلافه ، كما ان الاسطول الذي كان يستعمل فيما بعد لنقل الجنود ومعدات الحرب لم يكن ضروريا كما كانت الحال من قبل ، وذلك لانه في الحروب التي جاءت بعد ذلك لم نسمع عنه ابدا فقد سار «سيتى الاول» بجيشه مخترقا الصحراء في فلسطين ، والظاهر كذلك ان «رعسيس الثانى» لم يستعمل اسطولا لنقل جنوده عندما شن الحرب على «الخيتا» . هذا الى ان «رعسيس الثالث» قد قابل سفن أقوام البحر عند مصب النيل وقضى عليهم بمساعدة سفن نيلية ومعاضدة الرماة الذين كانوا يرمون سفن العدو من الشاطئ بالنبال (١) ، وأخيرا يفهم من قصة «ونأمون» الشهيرة ان قوة مصر البحرية التي كانت في يوم من الايام سيدة الجزء الشرقى من البحر الابيض المتوسط قد قضى عليها قضاء مبرما (٢) .

وقد ظلت الحال كذلك الى ان جاء عهد الاسرة السادسة والعشرين وهو عصر النهضة المصرية وفيه أخذت مصر تتصل ببلاد الاغريق اتصالا وثيقا وبدأت تستخدم الجنود الاغريق والبحارة الاغريق في حروبها برا وبحرا مع بابل ثم فارس . وقد اضطرت الاحوال العالمية الملك «نيكاو» ثانى ملوك الاسرة السادسة والعشرين (٦٠٩-٥٩٤ ق.م) ان يعزز قوة بلاده البحرية في البحر الابيض المتوسط وكذلك في البحر الاحمر ، وذلك ببناء سفن من ذوات ثلاثة الاسطح على كل سطح منها صف من المجدفين وذلك على غرار السفن الاغريقية . وقد لوحظ انه في السنين الاولى من حكمه قد بدأ بداية حسنة في تقوية اسطوله لدرجة ان الفنيقيين المعروفين وقتئذ بمهارتهم البحرية قد اصبحوا تحت سلطانه . هذا الى انه قد عمل على اعادة الطرق المائية التي كانت تربط بين البحرين الأبيض المتوسط والأحمر وهى التى على أرجح بالاقوال كانت موجودة من قبل منذ الاسرة الثانية عشرة على الاقل وهى عبارة

(١) (راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٣٠١)

(٢) (راجع كتاب الأدب المصرى القديم الجزء الأول ص ١٦١ - ١٧٠)

عن قناة تأخذ ماءها من فرع النيل البلوزى الذى يصب فى البحر الابيض ويوصل الى البحر الاحمر (١) . غير انه لسوء الحظ لم يتم حفر هذه القناة التى توصل بين البحرين . وعلى أية حال فان الاسطول الذى بناه «نيكاو الثانى» كان النواة الاولى فى تجديد مجد مصر البحرى فى خلال الاسرة السادسة والعشرين ، ونجد كذلك انه بعد ان استولى الفرس على مصر ثم جلوا عنها أخذت مصر تميد بناء اسطولها الذى حاربت به الفرس وساعدت به الاغريق على قهر الفرس . ولا غرابة اذا أن نجد ان «بطليموس الأول» أخذ فى اعادة بناء اسطول مصرى ليتسلط به على البلاد الاسيوية التى كان لا غنى لمصر عنها لحفظ كيائها السياسى والابقاء على حدودها سليمة ومد تجارتها فى كل انحاء شرقى البحر الابيض المتوسط والهند وجنوب افريقيا كما فصلنا فى ذلك القول فيما سبق .

أقسام مصر الجغرافية فى عهد البطلمة الأول :

تحدثنا فيما سبق عن الجيش والاسطول وقبل ان نتناول بالبحث ادارة البلاد الداخلية يجب أن نلقى نظرة خاطفة على نظام تقسيم البلاد جغرافيا فى عهد كل من بطليموس الاول والثانى لئلا نرى ما حدث من تغير منذ نهاية الحكم الفرعونى .

تحدثنا عن تقسيم مصر الجغرافى الى مقاطعات منذ اقدم العهود فى الجزء الاول من هذه الموسوعة (٢) ، كما تحدثنا عن الآلهة التى كانت تعبد فيها (راجع مصر القديمة ص ٢٣٧-٢٥٥) وأخيرا وضعنا كتابا صغيرا عن «اقسام مصر الجغرافية فى العهد الفرعونى» وتحدثنا فيه بشئ من التفصيل عن المقاطعات المصرية منذ الدولة الحديثة حتى العهد الفارسى . وقد وجهنا عنايتنا فى هذا البحث الى الاسماء المصرية القديمة التى بقيت حتى عهدنا

(١) راجع مصر القديمة الجزء ١٢ ص ١٩٢

(٢) مصر القديمة الجزء الأول ص ١٦٩-١٧٤

الحالى وان كانت مجرفة بعض الشيء . وسنحاول هنا ان نلقى نظرة خاطفة عما وصل اليها من معلومات عن جغرافية مصر فى عهد الفرس ثم نتناول بالبحث مقاطعات مصر فى عهد البطالمة وما طرأ عليها من تغير خلال حكمهم .
جغرافية مصر فى العهد الفارسى :

ومما يؤسف له جد الاسف انه لم تصل اليها معلومات جغرافية عن مصر فى فترة الحكم الفارسى وما بعده حتى فتح الاسكندر لمصر الا ما ذكره لنا «هردوت» الذى زار وادى النيل فى العهد الفارسى وكتب عنه من عدة نواح ووصف مصر وصفا متعلا لا يزال يعد المصدر الاول لدينا عن هذه الفترة الغامضة فى جغرافية البلاد . وأغلب الظن أن «هردوت» جاء الى مصر فى عهد الملك «ارتكزر كزيس الأول» (٤٦٥-٤٢٤ ق.م) . على ان ما كتبه «هردوت» عن مقاطعات مصر لا يدل على انه كان يقصد به ان يعددها لنا بل ان المقاطعات التى ذكرها لنا كان الغرض منها ان يبين لنا المقاطعات التى كانت توردها جنودا ومقدار ما كان يوردها من كل منها . ومن المهم لدينا جدا اسماء المقاطعات التى ذكرها «هردوت» وقال عنها ان هؤلاء الاجناد كانوا يعسكرون فيها ، فنجد من بينها اسماء عدة لانجدها فى قوائم اسماء المقاطعات فيما بعد فى الكتابات المصرية ولا فى قوائم المقاطعات التى وجدت منقوشة على جدران معابد عهد البطالمة ، لأنها تختلف عنها اختلافا كبيرا من حيث التسميات ، ومن ثم استعصى على الباحثين تعيين مواقعها بالضبط او على الاقل تعيين جزء منها وهذه المقاطعات تقع كلها فى الدلتا عدا «طيبة» التى تشمل كل الوجه القبلى ، وسنضع عند تعداد اسماء تلك المقاطعات رقما بين قوسين ليبدل على رقم المقاطعة بالنسبة لموضعها الاصلى فى القوائم العادية للمقاطعات فى الوجه البحرى وذلك كما أوردها «هردوت» على حسب توزيع الجنود المرتزقة الذين كانوا يسكنون فى هذه المقاطعات فكان جنود «هرموتير» يسكنون فى المقاطعات :

المقاطعة البوصيرية (رقم ٩) ، والمقاطعة الساوية (رقم ٥) والمقاطعة

الخية أى مقاطعة «خميس» وهى الجزيرة التى فى «بتو» (١) حيث نشأ «حور» بن «ازيس» فى مستنقعاتها ، ومقاطعة «بابرميس» Papremis (٢) ومقاطعة بروزويتيس Prosopitis ، وناتو (٣) وقد جاء ذكرها فى متن «اشور» بنيال بوصفها اسم امارتين حيث يقول هردوت انها كانت مزدهرة. أما المقاطعات التى كان يسكنها جنود «كلازيرى» فهى : مقاطعة خيبه ومقاطعة بوباسطة (رقم ١٢) ، والمقاطعة المنديسية (رقم ١٦) ، والمقاطعة السنودية (رقم ١٢) والمقاطعة الاتريية أى «بنا» (رقم ١٠) ، والمقاطعة القرباتية وهى على حسب ما ذكره «أسترابون» (Si rabo XVII, 1, 20) تقع فى الجنوب الغربى من تانيس ، والمقاطعة التمتوية (Thmutes) فى «منديس» ، والمقاطعة «انوفيس» (Onuphis) الواقعة شمالى «اتريب» ، والمقاطعة «انيسيس» (Anysis) (٤) وتقع فى مناطق الدلتا وقد نشأ فيها الملك «انيسيس» وهى «خبس» (كوم الخيضة) فى الوجه البحرى هيركليوبوليس الصغرى فى اقليم بلوز « (الفرما) وهى عاصمة المقاطعة لم يعرف اسمها ، وقد كتبت فى متن اشور بنيال «هنيشى» (Henisi) وأخيرا مقاطعة «ميكفوريت» وتقع فى جزيرة «قبالة» بوبسطة وهى غير معروفة ولم يذكرها أحد غير هردوت (٥) .

مقاطعات مصر فى العهد البطلى :

لدينا من العهد الذى يتبدى بفتح الاسكندر لمصر وينتهى بالاحتلال الرومانى من عام ٣٣٣ - ٣٠ ق.م وثائق عدة عن المقاطعات التى كانت تحتوها مصر ونخص بالذكر منها أولا الورقة الاغريقية المؤرخة بالعام السابع

(١) Hekat, fr. 303; Jacoby Herod. II, 156

(٢) Herod. II, 59, 63, 73 III, 12

(٣) (راجع ما كتب عن هذا المكان فى ورقة فلبور فى مصر القديمة الجزء الثامن صفحة ١٦٨ ومعناها كما يقول (ادورد مير) مناطق الدلتا)

Herod. II, 137.

Gauthier Les Nomes D'Egypte. P. 25-27.

(١) راجع

(٢) راجع

(٤) راجع

(٥) راجع

والعشرين من عهد بطليموس الثانى وهى المعروفة بورقة «قوانين الايرادات» هذا بالاضافة الى الورقة الجغرافية الموجودة فى مجموعة «امهرست» . وقد دوت فى عهد الملك بطليموس السابع وكذلك الورقة الجغرافية المعروفة بورقة «موريس» وهى من عهد نفس الملك السابق ، وأخيرا لدينا القوائم الهيروغليفية التى نقشت على الجزء الأسفل من جدران المعابد البطلمية وبخاصة معبد «ادفو» ويرجع تاريخها الى حكم بطليموس السابع «ايرجيس الثانى» وابنيه «بطليموس الثامن» «سوتر الثانى» و «بطليموس التاسع» «الاسكندر الأول» .

وقد صرح بعض المؤرخين على حسب ما رواه لنا المؤرخ أريان (١) ، ان مصر كان قد قسمها «الاسكندر الأكبر» قطرين اداريين يشمل احدهما مقاطعات الوجه القبلى والآخر مقاطعات الوجه البحرى أو الدلتا . ويضيف أحد هؤلاء المؤرخين : « ومع ذلك فانه على ما يظهر نجد ان الملوك المقدونيين والرومان الذين اتوا بعد الاسكندر لم يقيموا وزنا لهذا التقسيم . ولكن اذا قرأنا بالتفات عبارة «اريان» نجد ان احد هذين الحاكمين المصريين الذين قسم بينهما الاسكندر ادارة البلاد المصرية قد تنهى عن عمله ، وان الآخر وهو المسمى «دولو ابييس» قد أخذ كل مقاليد الحكم جميعها فى يده. ومن جهة أخرى نعلم انه لم يكن بطليموس الثانى الذى جعل من اقليم طيبة قيادة حربية واحدة ، وبذلك اصبحت كل مقاطعات الوجه القبلى تنطوى تحت لوائها باسم «توبوس» . والواقع ان اقليم طيبة بوصفه مركز قيادة عليا يجمع تحت قيادته العليا كل المقاطعات المصرية من أول الاشمونيين فصاعدا لا يبدو انه يرجع فى تاريخه الى عهد «بطليموس السابع» .

وعلى الرغم من أن ملوك البطالمة قد أظهروا ما أمكنهم من براعة ليسلكوا سياسة تنطوى على المحافظة على تقاليد الشعب المصرى وعاداته القديمة التى كان يسير على هديها منذ أقدم العهود فى كل الشؤون الممكنة . هذا مع

جعلها تتفق مع الاراء الاغريقية التى كانوا هم المثلين لها وجالبيها فى البلاد فان مقتضيات الأحوال التى كانت تحتّمها الضرورة من حيث الادارة ، وبخاصة الالتزامات المالية الملحة قد أوجبت عليهم ان يكمشوا أو يغيروا الى درجة محسة نظام المقاطعات التى كانت تنقسم اليها البلاد . ونحن نعلم انه منذ عهد الفرس قد طرأ تغير على نظام المقاطعات ومساحاتها واسمائها فى كثير من جهات القطر وبخاصة فى الوجه البحرى .

ويلد ما وصل الينا حتى الآن من معلومات انه ليس فى متناولنا قائمة رسمية باسماء المقاطعات التى كانت تحتويها مصر باللغة الاغريقية كما انه ليس فى متناولنا حتى الان قائمة هيرغليفية غير القائمة التى عثر عليها فى تقرأش (كوم جعيف) عام ١٩١٤ . وعلى أية حال لا يمكننا ان نستخلص منها اية معلومات تفيد فى الموضوع الذى نحن بصده . وهذه القطعة نشرها الأثرى « ادجار » (١) . وفى العام السابع والعشرين من حكم بطليموس الثانى (٢٥٩ ق.م) صدرت وثيقة مالية رسمية حصل عليها لحسن الحظ (فى عام ١٨٩٣ - ١٨٩٥) كل من « بترى » والاسناذ « مهنى » وتعرف باسم قوانين الايرادات (٢) . ويوجد فى هذه الورقة فى الاسطر من ٢١ و ٦٠ الى ٧٢ سلسلتان من المقاطعات المصرية يحتمل ان السلسلة الثانية كانت أسبق من الأولى من حيث التأريخ وهاتان السلسلتان هما قائمتان باسماء المقاطعات المصرية التى كانت تحتويها مصر . غير انها لا يتحدان مع القوائم القديمة التى وجدت منقوشة على جدران المعابد المصرية كما لا تتفقان مع القوائم الاغريقية التى تركها لنا « هردوت » من حيث مقاطعات الدلتا ، فضلا عن ذلك نلاحظ ان هاتين القائمتين لا تتفقان معا . ولا شك فى ان كلاهما يحتوى على عدد

A. S. XXII, P. 2-6.

(١) راجع Revenue Laws. P.P. Grenfell, Revenue Laws of Ptolemy
(٢) راجع Philadelphus (Oxford) 1689; Ibid., vol. I, Introduction, P. XLV sq.

موحد من المقاطعات وهو اربع وعشرون مقاطعة لا يدخل فيها اقليم طيبة . هذا الى ان كل قائمة من القائمتين تحتوى على ثمانى عشرة مقاطعة خاصة بالدلتا وست مقاطعات فقط خاصة بمصر الوسطى . ومن المؤكد ان ست المقاطعات الخاصة بمصر الوسطى هى نفس المقاطعات فى كل من القائمتين وتقابل فى القوائم الهيروغليفية المنقوشة على جدران المعابد المقاطعات ١٥ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ . وعلى ذلك نجد ان المقاطعتين السادسة عشرة والثامنة عشرة من هاتين القائمتين قد اختلفتا فعلا ، اذ قد امتصتهما المقاطعات المجاورة لهما . اما من حيث مقاطعات الدلتا فان الفروق بين القائمتين كثيرة . ويطيب لنا ان نلاحظ هنا انه من بين مقاطعات الدلتا التى توجد فى قوائم المعابد ولا توجد فى قائمتى بطليموس الثانى وهى المقاطعات ٣ ، ٦ ، ٨ ، ١٥ ، ١٧ . ومن جهة أخرى نجد ان البردية تذكر ثلاث مقاطعات من مقاطعات الدلتا لم يأت ذكرها فى قوائم المعابد التى من قبل «بطليموس الرابع» وهى المقاطعة ١٨ أى المقاطعة البوسطية والمقاطعة التاسعة عشرة (أى ليوتوبوليس) والمقاطعة العشرون أى مقاطعة العرب . وعلى أية حال فان السبب فى عدم وجود خمس المقاطعات هذه هو انه قد حل محلها ثلاث أخرى وهى التى زيدت فى كل من قائمتى بطليموس الثانى .

والآن بعد ذكر هذه الملحوظات الأولية ، وهى فى الواقع ملحوظات عامة يجب علينا ان نبحث عن التجديدات التى ظهرت فى قائمتى بطليموس الثانى وهما اللتان وجدتا فى بردية قوانين الايرادات فمن جهة مقاطعات مصر الوسطى فليس لدينا الا القليل الذى يدعو الى البحث فيه ، اذ ان كل ما يجب الاشارة اليه هو ان المقاطعتين السادسة عشرة والثامنة عشرة قد اندمجتا فى المقاطعات المجاورة لهما والدليل على ذلك انها لم يذكر فى كل من القائمتين . ومن ثم لم يذكر فى مصر الوسطى الا المقاطعة الخامسة عشرة وهى مقاطعة هرموبوليس ، والمقاطعة السابعة عشرة سينوبوليس (قيس) ، والمقاطعة

التاسعة عشرة وهى اوكسيرنيكوس (البهنسا) ، والمقاطعة العشرون وهى
اهناسيا المدينة ، والمقاطعة الواحدة والعشرون (كروكودبوليس) (= الفيوم)
والمقاطعة الثانية والعشرون (افروديتوبوليس) (= اطفيج) .

هذا وقد جاء اسم مقاطعتين كل منهما باسم مقاطعة البحيرة فى كل من
قائمتى بطليموس الثانى وقد اطلق عليهما اقليم البحيرة . وقد وجدنا ثانية فى
ورقة «بترى» ثم اختفتا فيما بعد فى اواخر عهد «بطليموس الثانى» عندما
سميت مقاطعة «الفيوم» باسم الملكة «ارسنوى الثالثة» وبذلك حل هذا
الاسم الاخير محل الاسم القديم « مقاطعة التمساح » وعاصمتها «شدت»
المشهورة بحرابها الخاص بالاله «سبك» وهى المعروفة الآن « بكيمان
فارس» القريبة من مدينة «الفيوم» الحالية .

هذا ويمكن توحيد ست عشرة مقاطعة من مقاطعات قائمتى بطليموس
بقوائم المعابد المصرية القديمة وهى :

- ١ - مقاطعة لوبيا وتقابل المقاطعة السابعة فى القائمتين .
- ٢ - المقاطعة الساوية وتدخل فيها «تقراش» وقد كانت مستقلة عن ادارة
المقاطعة وتمثل المقاطعة الخامسة
- ٣ - مقاطعة «بروزوبيتيس» (Prosopitis) وتقابل المقاطعة الرابعة
وهى التى عدّها هرودوت جزيرة .
- ٤ - مقاطعة اتريبيتس وهى المقاطعة العاشرة فى قوائم المعابد
- ٥ - مقاطعة سبنوتوس أى المقاطعة السنودية وتقابل المقاطعة الثانية
عشرة فى قوائم المعابد .
- ٦ - مقاطعة بوزيريس ، وتقابل المقاطعة الثانية عشرة (بوصير) .
- ٧ - مقاطعة «منديس» وتقابل المقاطعة السادسة عشرة .
- ٨ - مقاطعة «ليوتوبوليس» والمقاطعة التاسعة عشرة («تل المقدام»
الحالى) .
- ٩ - مقاطعة فراپوتوس (= هريبط) وتقابل المقاطعة الحادية عشرة .

١٠ - مقاطعة أرايا (= العرب) وهى المقاطعة العشرون وعاصمتها «صفط الحناء» .

١١ ، ١٢ - المقاطعتان «ستوريت» و «تانيس» وتقابلان المقاطعة الرابعة عشرة .

١٣ - مقاطعة «بوباتريت» وتمثل المقاطعة الثامنة عشرة من مقاطعات قوائم المعابد .

١٤ - مقاطعة «منفيس» وتمثل المقاطعة الاولى من مقاطعات قوائم المعابد .

١٥ - ليتوپليتيس (أوسيم الحالية) وتمثل المقاطعة الثانية

١٦ - مقاطعة (هليوبوليتيس) وتمثل المقاطعة الثالثة عشرة .

وعلى أية حال فان هذه المقاطعات اذا كانت تقابل بصفة عامة الاسماء التى وجدت فى القوائم الهيرغليفية فانه من المفروض انها من حيث المساحة والحدود لا تقابل بالضبط ما كانت عليه فى العهود القديمة . ومن المعلوم ان البراهين التى تؤكد لنا ذلك تنقصنا ، ولكن على أية حال لدينا مثال واحد يوضح لنا ذلك تماما ، ونجده فى مقاطعتى سوتيريت و «تانيس» فهما فى الواقع مركز مقاطعة فرعونية واحدة بعينها وهى المقاطعة الرابعة عشرة المعروفة بنهاية الشرق وعاصمتها تل أبو صيفة الحالى (تانيس) .

وفى النهاية يجب ان نذكر هنا ألا جدوى فى ان تقابل بين مقاطعات ورقة بطليموس الثانى والمقاطعات التى ذكرها «هردوت» . والاخيرة تعد أقدم من الأولى بنحو قرنين من الزمان ، وذلك لانه توجد سبع مقاطعات من التى ذكرها «هردوت» لا توجد بوجه خاص فى قائمتى بطليموس الثانى وهى : « انيسوس » (Anysios) و « أفنتيت » (Aphthite) و « خيت » Chemmite و «ميكفوريت» Myecphorite ونصف « ناتو » (Natho) و «بابريميت» (Papremite) و «تمويت» (Thmouite) ومع ذلك فليس لنا الحق بأن نقرر ان هذه المقاطعات قد اختفت اختفاء تاما

وان ما وقع هو انه قد حدث بعض تبسيط في الانظمة الادارية في عهد بطليموس الثانى فمزجت بعض المقاطعات ببعضها الآخر بعد ان كانت فى الأصل مميزة . هذا ولما كان الرومان قد انشئوا فى الدلتا بوجه خاص مقاطعات جديدة فانه من المدهش لحد ما انهم لم يعيدوا أية مقاطعة من المقاطعات القديمة من التى ذكرها هردوت . الا مقاطعة تمويت (Thmouiti) ، وعلى ذلك فانه يكون أكثر صوابا أن نعترف بأن تلك المقاطعات التى ذكرها هردوت لم تذكر فى ورقة بطليموس الثانى المالية . اما انها لم توجد قط بوصفها مقاطعة بالمعنى الحقيقى واما انه قد تغير اسمها بسبب الانظمة الادارية البطلمية الجديدة . وعلى ذلك محيت اسمائها القديمة التى كانت تحملها فى القرن الخامس ق.م ولم يبق منها الا اسم مقاطعة «تمويت» ، وقد حول تقرب هذه الاسماء التى أوردها «هردوت» مثل انيسوس (Anysios) و «افثيت» Aphthite ، ولكنها لا تزال موضع شك حتى الآن وعلى أية حال سنضع الآن جانبا الاسماء غير المؤكدة ونكتفى بدرس اربع مقاطعات لا شك فى وجودها فى ذلك العهد وهى لوبيا و «منيلايوس» و «الدلتا» و نيتريوتيس Nitriotis : أى مقاطعة وادى النطرون .

١ - مقاطعة «لوبيا» : جاء ذكر هذه المقاطعة فى القائمتين اللتين فى ورقة بطليموس الثانى المالية غير انها لم تسبق فى كل من القائمتين بكلمة مقاطعة ، ومع ذلك نجد ان الاستاذ «زيتة» قد ذكر مقاطعة لوبيا فى مقال له (١) . وليس لدينا ما يؤكد ان مقاطعة «لوبيا» كانت موجودة فى البلاد اللوبية القديمة التى ذكرها «هردوت» (٢) . وقد جاء ذكر هذه المقاطعة فى نقش يرجع تاريخه الى القرن الثالث ق.م (٣) . هذا ولم يذكر «استرابون» هذه المقاطعة فى وصفه للمقاطعات المصرية ، ويحتمل ان السبب فى ذلك يرجع الى ان هذا الاقليم

(١) راجع Pauly-Wessowa-Kroll, Real. Encyc. IV. Col. 2701-2702.

Herod. II, 18.

Dittenberger, O.G.I.S. No. 54, 1, 6.

(٢) راجع

(٣) راجع

الذى يقع فى أقصى الشمال الغربى من البلاد على امتداد البحر الايض المتوسط لم يكن وقتئذ ضمن المملكة المصرية . هذا ونجد «لوييا» تظهر ثانية فى القرن الاول الميلادى باسم «اقليم لوييا» فى كتاب «بلىنى» (١) . وجاء ذكر «لوييا» على أوستراكا مختلفة ، وفى اوراق بردية وبخاصة الورقة رقم ٢٣ التى عثر عليها فى الفيوم وتؤرخ بالقرن الثانى (٢) ، على غرار ما جاء فى الورقة المالية التى من عهد بطليموس الثانى ، هذا وكان أول من استعمل عبارة مقاطعة «لوييا» هو الجغرافى بطليموس حوالى عام ١٥٠ بعد الميلاد . والظاهر ان هذه المقاطعة كانت قسمت وقتئذ قسمين كل منهما يحمل اسم مقاطعة ، وذلك لان «بطليموس الجغرافى» قد عدد فى فقرتين من جغرافيته الواحدة منها بعيدة عن الأخرى . فذكر أولا واحدا وعشرين مكانا من مقاطعة «لوييا» التى على شاطئ البحر ثم ذكر عشرين بلدة من مقاطعة لوييا (٣) . والأخيرة من هذه البلدان هى «مريوط» التى تتاخم من جهة الشرق مقاطعة «لوييا» .

ومن ثم نرى ان هذه المقاطعة لا توجد بأية حال من الاحوال كما ظن «بركش» بالمقاطعة الثالثة من قوائم المعابد أو مقاطعة الغرب التى عاصمتها «بر - نب - يامو» (= بيت شجرة يامو) وكانت تقع مكان «كوم الحصن» الحالى مديرية البحيرة مركز «كوم حمادة» (٤) .

وهذه المقاطعة على حسب ما جاء فى الجغرافية بطليموس بوضوح عظيم تقع بين «ممرىقا» فى الغرب و «مريوط» فى الشرق ، وواحة «آمون» (واحة سيوة) فى الجنوب . وعلى ذلك فانها توجد جزئيا

. Pline, Hist. Nat. V, 49.

(١) راجع

Preisgke, Worterbuch der Griechischen Papyrskunde III, P. 309.

(٢) راجع

(Ptol. IV, 53; IV, 5, 14.

(٣) راجع

Sethe, Die Aegypt. Ausdrücke für rechts und links (1922)

(٤) راجع

P. 229, note 2 & P. 237; Urgeschichte (1930). P. 55.

IV, 5, 23, 31.

على الأقل في المقاطعة السابعة في القوائم المصرية القديمة وهي المسماة مقاطعة الخطاف الغربى ، وتصل حتى البحر الأبيض المتوسط . ومن بين مدنها الرئيسية الموانىء العديدة التى كانت على الساحل الغربى «الاسكندرية» ، وكانت تمتد فى الجهة الغربىة حتى كاتاباتموس (Katabathmos) التى كانت تفصلها عن ممرىقة. هذا وكانت «ممرىقة» تعد فى العهد الرومانى فى سرينىكى أى خارج مصر . و «بطلیموس الجغرافى» هو أول من أدخلها فى قائمة المقاطعات المصرىة .

٢ - مقاطعة منىلايت : نعد اسم هذه المقاطعة للمرة الاولى فى الورقة رقم ٩ من أوراق «زینون» التى من عهد بطليموس الثانى . وقد جاءت فى العبارة التالية : فى معبد «منىلايس» من مقاطعة «فىلايت» (١) .

ومن ثم ليس هناك أى شك فى وجود مقاطعة بهذا الاسم فى عهد «بطليموس الثانى» ، وفضلا عن ذلك فإن «سترابون» قد ذكرها أيضا . ولدينا مصدران هاما لتحدید موقع مقاطعة «منىلايت» هذه وهما برديتان فى «برلین» جاء فىهما ان هذه المقاطعة ملاصقة لاقليم الاسكندرية (٢) . وفى عهد الامبراطور «جلبا» أى عام ٦٨ ميلادىة قرأ ان فى منشور الحاكم «نى» ان «یولیوس» الاسكندر» يقرب كذلك كثيرا هذه المقاطعة من اقليم الاسكندرية (٣) . وبعد هذا التاريخ بقليل نجد «بلینى» يذكر اسم «منىلايت» بانها تقع بين «جتىكوبوليتيس» واقليم الاسكندرية . وعلى أية حال ظل موضوع هذه المقاطعة موضع نقاش الى ان تناوله الاثرى «دارسى» (٤) ، وأخذ يشرح حقيقة اسطورة «كانویوس» بحار البطل المسن «منىلاوس» الذى ذكر فى «أودسى» «هومر» ، والخلط بين منىلاوس هذا سميّه وهو أخ بطليموس الأول مما

(١) راجع Edgar, Zenon Papyri in the University of Michigan Collection (Ann. Arbor 1931). P. 69.

B.G.U., No. 1123, 1, 2, et No. 1159, 1, 5.

Dittenberger. O.G.I.S. No. 669, 1, 59-60.

Revue d'Egypte Ancienne II, P. 20 sq.

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

أدى الى الخطأ الذى وقع فيه بطليموس الجغرافى ، وهو الذى على حسب رأيه تكون « كانوب » عاصمة مقاطعة منيلايت . والواقع أن ما جاء فى « استرابون » من أن « منيلايت » تقع على اليمين ، اى شمال قناة « كانوب » يحتم علينا أن نضع هذه المقاطعة على الحافة الشمالية الغربية من الدلتا بين فرع كانوب وبحيرة « مريوط » وفيما بعد فى عهد « بلىنى » عندما حدث تقسيم مقاطعة منيلايت مقاطعتين وحدت مقاطعة جديدة تسمى « ميتليت » ومن ثم نلاحظ أن مقاطعة منيلايت قد نقصت مساحتها نقصانا محسا ، وبذلك انحصرت فى الجهة الشمالية القصوى من مقاطعة منيلايت البطلمية ، ولكن فى العهد الذى كتب فيه سترابون كانت هذه المقاطعة متصلة بجزء من اقليم الاسكندرية وجزء آخر من مقاطعتى « جنيكوبوليتس » (المقاطعة الثالثة فى قوائم المعابد « هرموبوليس برفا » وعاصمتها (دمنهو) والمقاطعة السابعة (المقاطعة الخامسة = سايس) . وكانت تشمل على الأقل الجزء الأعظم من المقاطعة السابعة من مقاطعات قوائم المعابد (مقاطعة الخطاف الغربى ميلتيس فوه) ، وعلى ذلك لم تكن عاصمتها قرية من « كانوب » ولا من « أدكو » على ما يظن بل كانت تقع عند تل « لوكين » على مسافة ٣٥ كيلو مترا من الجنوب الغربى من « الكريون » وعلى مسافة ٣٢ كيلومترا من « الاسكندرية » وهذا التل يمثل لو كيتا (= بلد الكلب) ، هذا ويضيف « دارسى » الى ذلك أنه فى عهد البطالمة قد تخلت هذه المدينة عن مكاتها بوصفها عاصمة المقاطعة السابعة ، غير أنه لم يعط براهين على ذلك .

واذا كانت مقاطعة « منيلايت » تقع فى المكان الذى اقترحه « دارسى » فانه لا يوجد ما يعارض أنها كانت المقاطعة « منيلايد » التى وجد اسمها ممزقا فى السطر السادس من العمود الواحد والثلاثين من ورقة بطليموس الثانى الخاصة بقوانين الايرادات ، وذلك لأننا فى هذه الفقرة نجد أنفسنا فى الاقليم المناسب لموقع هذه المقاطعة .

أما عن مدينة « منيلاوس » التى جاء ذكرها فى فقرة من « سترابون » وهى

غير المتعلقة بمقاطعة «منيلابيس» الواقعة في وادى النطرون فانها تختلف بالتأكيد عن مقاطعة «منيلات» ومع ذلك فاننا لا زلنا غير متاكدين من موقعها تماما .

٣ - مقاطعة الدلتا : جاء في ورقة «ببليوس الثانى» الخاصة بقوانين الايرادات فى السطر السادس من العمود الواحد والثلاثين أن بعد كلمة متيلابيس وقبل كلمة سبنوتوس (سمنود) ذكرت مقاطعة «الدلتا» وقد وحدها المؤرخ «مهنى» بمقاطعة هليوبوليس؛ غير أن بعض العلماء شكوا فى ذلك، الى أن جاء الأثرى وهذا هو رأى الصواب اذ نعرف من «سترابون» أنه توجد فى قمة الدلتا قرية تدعى «دلتا» . Strabo, XVII (19, 4 (C. 788) وقد يكون من الجائز أنه أطلق اسم هذه القرية على كل الاقليم الذى كانت عاصمته هليوبوليس الواقعة قريبا جدا من نقطة انقراج فرعى الدلتا على الشاطئ الأيمن للنهر .

٤ - مقاطعة تريون (وادى النطرون) : يظهر أن هذا الاسم ليس له الا وجود مؤقت وذلك خلافا لذكره مرة واحدة فى ورقة « ببليوس الثانى » المالية فى احدى القائمتين جاء ذكره فى (استرابون) ^(١) وقد ظن كل من المؤرخ مهنى والأثرى جرتسل ان عدم ذكر هذه المقاطعة فى القائمة الثانية من الورقة قد يفسر بأنه يقابل اسم المقاطعة «منيلابيد» المهشم ، غير أن هذا فيه شك كبير . والواقع ان اسم مقاطعة «تريوتيس» قد اشتق من وادى صحراء لوبيا المعروف عند قدماء المصريين من اسم «حقل الملح» (شخت حمت) وعاصمته « شرب » (= مدينة النطرون) . وهذا الوادى يعرف كذلك بالأسماء التالية فيتريا ، نيتريوتاس ، نيترياقليس (Nitria Vallis) واحة بحيرات النترون والواحة ترية الخ . وهذا الاقليم يتبع فى قوائم المعابد الجغرافية المقاطعة الثالثة من

مقاطعات الوجه البحرى أى مقاطعة الغرب وهى بلا شك الذى أطلق عليها بطليموس الجغرافى اسم سكياتيك كورا (Ptol. IV, 5, 15) وفى منتصف القرن الثانى بعد الميلاد لم تعد بعد مقاطعة مستقلة بذاتها بل أضيفت من جديد لمقاطعة الغرب التى أصبحت تدعى جينكوبوليت Gynecopolite وهى التى كانت مميزة عنها تماما فى القرن الثالث قبل الميلاد .. ومن الجائز أن مقاطعة نيتريوت ينبغى أن تشمل فوق وادى النطرون واقليم اسكياتيك جزءا من الأرض الزراعية على حافة الدلتا أى جزء من المقاطعة التى سماها استرابون فيما بعد جينكوبوليت .

قوائم المقاطعات فى المعابد البطلمية

وبعد التحدث عن قوائم المقاطعات وما فيها من ملابس كما جاء فى الأوراق البردية الاغريقية يجدر بنا أن نتحدث بعد ذلك عن قوائم المقاطعات كما جاءت على المعابد البطلمية وما طرأ عليها من تغييرات بالنسبة للمعهد الفرعونى .

تدل الوثائق التى فى متناولنا على أن القوائم الجغرافية الخاصة بالمقاطعات المصرية التى وجدت على جدران المعابد فى المعهد البطلمى كانت مجزأة الى الى وحدات كثيرة أكثر مما كانت عليه فى عهد الفراعنة ، وذلك بصورة محنة .

فمنذ الأسرة التاسعة عشرة يلحظ أن قائمة المقاطعات التى نقشت على جدران معبد «رعمسيس الثانى» بالمرابة المدفونة قد زيد فى عددها مقاطعتان على ما كانت عليه قبل ذلك العهد .

حقا نجد كذلك فيما نقله الأثرى «دميخن» فى كتاباته الجغرافية (١) ومن بعده «ماريت» أنه قد نقل قائمة أشخاص جغرافيين من القاعة I من معبد سيتى الاول ، وكان الذين مثلوا الوجه البحرى فيها ثلاثون بدلا من العدد العادى وهو عشرون (وأحيانا ستة عشر فقط) . وقد فحص «بترى» هذه

القائمة في عام ١٩١١ في كتابه « دراسات تاريخية » (١) .

ولم يتردد في القول بوجود ثلاثين مقاطعة في الوجه البحرى بدلا من عشرين، غير أن البحوث الجغرافية الدقيقة التى قام بها «بترى» نفسه ثانياً و«دميخن» وأخيراً «دارسى» قد أسفرت عن أن نصف هؤلاء الأشخاص الجغرافيين لا يدل على مقاطعات ومن ثم يتبين أن قائمة القاعة D في معبد سيتى الأول كانت بعيدة كل البعد عن أن تقدم لنا أقساماً جغرافية جديدة للدلتا إذا ما قرئت بالقوائم التى سبقتها ، بل على العكس نجد أنها كانت ناقصة (٢) .

أما عن التغيرات التى وجدت فى قوائم البطالة بالنسبة لمعد المقاطعات وحدودها بالتوالى فلدينا معلومات فى هذا الصدد خلافا لما جاء ذكره فى ورقة قوانين الإيرادات التى من عهد بطليموس الثانى ، وذلك فى وثائق عدة من أصول مصرية ، فلدينا قوائم جغرافية بأسماء المقاطعات قشست على الجزء الأسفل من جدران المعابد. هذا بالإضافة الى بعض أوراق هيراطيكية ذات صبغة جغرافية أسطورية . ويكفى أن نذكر هنا بوجه خاص البرديات المسماة «أوراق موريس» الجغرافية وهى موجودة بمجموعة «أمهرست» .

« أوراق موريس »

قام بنشر أوراق «موريس» بعض العلماء وأهمها مخطوط «هاريس» رقم ٧ وقد نشره «لانزون» (٣) .

ولم يذكر فى هذه البردية فى الواقع أسماء مقاطعات بل ذكرت عواصم المقاطعات مع ذكر الآلهة المحليين الذين كانوا يعبدون فيها بالتوالى . وعدد هذه العواصم أربعون ، ويلحظ أنها قد مثلت دون مراعاة أى ترتيب جغرافى حقيقى وفضلاً عن ذلك نجد أن بعضها قد ظهر عدة مرات فى حين أن بعضها الآخر على العكس قد حذف ، وعلى ذلك نجد أنه من بين اثنتين وأربعين

(Historical Studies, P. 22-29

(Gauthier Ibid. P. 50.

Lanzone, Les Papyrus du Lac Moeris, Turin (1896).

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

عاصمة قد ذكر اثنتان وثلاثون فقط . خصصت منها ست عشرة للوجه القبلى
والست عشرة الأخرى للوجه البحرى فنجد أن المقاطعات الأولى والثانية
والثالثة من مقاطعات الوجه القبلى والمقاطعتين الحادية عشرة والتاسعة عشرة
(وهما مقاطعتا الآله «ست») والمقاطعة السابعة عشرة لا وجود لها وكذلك
المقاطعات السادسة والحادية عشرة والرابعة عشرة والثامنة عشرة من مقاطعات
الدلتا ليس لها وجود .

أما ورقة «أمهرست» الجغرافية فتحتوى على صفحتين كل منهما مقسمة
أربعة أعمدة عمودية وتحتوى كل صفحة على عشرين قسما (١) .
وقد خصصت كل خانة من هذه الأقسام للآله الذى فى صورة تسمح
«سبك» آله الفيوم بوصفه سيد عاصمة هذه المقاطعة أو تلك . هذا عدا
مقاطعة «الفيوم» . ومن ثم نفهم أن هذه ليست أسماء المقاطعات نفسها بل
عواصمها كما جاء فى مخطوط ورقة بحيرة موريى ؛ وذلك فى حين أن
«الفيوم» تشغل وحدها (خاتتين) . هذا ونجد أن عاصمة المقاطعة الثانية
والعشرين من مقاطعات الوجه القبلى التى تواجه الفيوم على الشاطئ الأيمن
للنيل قد حذفت ، أما عن الوجه البحرى فليس لدينا الا ثمانى عشرة عاصمة
بدلا من عشرين ويلاحظ أن ترتيبها الجغرافى لم يكن مقيدا قط .. ولدينا من
بين هذه المقاطعات واحدة تختلف عن القائمة التقليدية وهى العاصمة «رع-نفر»
« = نوفرىس » أو «أونوفيت» وهى التى جاء ذكرها فى قائمة «هيدوت» .
ومما سبق نفهم أن أوراق البردى الهيراطيقى المؤرخة بالقرن الثانى ق.م
لا تمدنا بأية معلومات عن المقاطعات .

(١) The Amherst Papyri, being an account of the Egyptian
papyri in the collection of the Right Hor. Lord Amherst, etc.,
London (1899) see P. 44-46, and PL. XV XVII for the Geogr.
pap.

قوائم المعابد

نتنقل بعد ذلك الى قوائم المعابد التى نقشت على الأجزاء السفلية من جدرانها بالهيرغليفية فى عهد البطالمة . فمن بين هذه القوائم اثنتان جديرتان بالاهتمام أولهما القائمة التى نقشت فى عهد الملك «ببليموس السابع» «ايرجيتيس الثانى» على الجزء الأسفل من الدهليز الكبير لمعبد «ادفو» وهو الدهليز الذى يحيط بكل البناء الذى سماه الأثرى «شاسينا» الناووس . فنشاهد منقوشا عليه فضلا عن العشرين مقاطعة المعادية للوجه البحرى وكذلك أسمائها ، بعض أسماء مقاطعات اضافية (١) .

ولكن نشاهد بوجه خاص على الجزء الأسفل من الواجهة الداخلية من جدار الحرم الغربى للمعبد قائمة أحدث من السابقة بعض الشيء أى من عهد «ببليموس التاسع الاسكندر الأول» ، وتحتوى على عدد أكبر بكثير من المقاطعات الاضافية لكل من الوجهين القبلى والبحرى . وسنقتصر هنا فى التحدث عن مقاطعات الوجه البحرى على ذكر مقاطعتين جديدتين ذكرنا فى القائمة الأولى ويرمز لهما بصورة سمكة ومزلاج على التوالى ، وقد خصص لهما العددان ٢١ و ٢٢ على التوالى . هذا ولدينا قائمة أخرى جاء عليها ذكر مقاطعة ثالثة اضافية وخصص لها رقم ٢٣ (٢) .

وسنوجه العناية هنا بوجه خاص لقائمة «ببليموس التاسع الاسكندر الأول» وهو الذى يطلق عليها بعض المؤلفين اسم «قائمة الثمانى والاربعين مقاطعة» .

وكان أول من لاحظ وجود هذه القائمة وأهميتها البالغة هو الأثرى «دميخن» ومن بعده «هنرى بروكش» (٣) . وقد تناول هذه القائمة بالفحص

(١) Chassinat, Le Temple D'Edfu, t. IV, P. 39-4; & t. X PL. XCVI. راجع

Chassinat, Le Mammisi D'Edfu. P. 66 & Pl. XXI.

A. Z. I., P. 2- 9.P. 16.

(٢) راجع

(٣) راجع

والدرس علماء الآثار ، غير أن فحصها المثير لم يتبدى إلا بعد أن نشر «شاسينا» نقوش معبد «ادفو» (١) . والواقع ان هذه القائمة الغريبة في بابها وهى التى نقشت على جدران حرم المعبد من الجهة الغربية من معبد ادفو تتبع القائمة التى نقشت على الجزء الأسفل من جدار الحرم الشرقى وجدت بكل أسف مهشمة جدا ، وذكر عليها أسماء الاثنتين والعشرين مقاطعة التى يحتوى عليها عادة الوجه القبلى ، وذكر مع كل مقاطعة عاصمتها على التوالى (٢) .

وبعد ذلك ذكرت مقاطعات الوجه البحرى العشرين ، ولكن القائمة لم تقف عند هذا الحد بل نجد بعد المقاطعة العشرين من مقاطعات الدلتا وهى مقاطعة العرب ، أنه قد أضيف ثمانية وعشرون شخصا يحمل كل واحد منهم رمزا خاصا بالمقاطعة فوقه اسم مصحوب بسطر من النقوش على غرار المقاطعات السابقة (٣) .

والآن يتساءل الانسان ما الذى يمثله الثمانية والعشرون شخصا الجدد هذه التى أتت بعد مقاطعات الوجه البحرى العشرين ؟ والواقع أنه عندما ينظر الانسان الى هذه الشخصيات بامعان يفهم بسهولة ان هذه المراكز الثمانية والعشرين الاضافية تنقسم بالضبط قسمين كل منهما أربعة عشر ، والقسم الأول خاص بالوجه القبلى والثانى بالوجه البحرى . وهنا يتعرف الانسان مرة أخرى على مبدأ الثنائية عند قدماء المصريين فى كل شيء ، وذلك محافظة على توازن المساواة بين القطرين أى بين شطرى الوادى ، وعلى ذلك فان الملك البطلمى الذى انشأ هذه المراكز قد أراد أن يعدل بين القطرين اتباعا لسنة الثنائية التى كانت متبعة فى كل شيء بالنسبة للقطرين الوجه القبلى والوجه البحرى .

Le Temple d'Edfu t. VI. P. 38-48.

Chassinat, Le Temple d'Edfu, t. VI. P. 209-213.

Chassinat, op. cit. P. 42-48, No. LXXII- XCIX

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

وعلى ذلك نجد أن الشخصيات الجغرافية التي تبتدىء من رقم ٢١ حتى رقم ٣٤ من هذه القائمة ، وهي التي كان يجب على حسب الوضع الصحيح أن تمثل على جدار حرم المعبد شرقا عقب الاثنتين والعشرين مقاطعة التي يتألف منها الوجه القبلى ، تمثل أقاليم خاصة من مقاطعة كذا أو مقاطعة من مقاطعات الوجه القبلى وهي التي لأسباب مجهولة - قديمكن أن تكون أسبابا مالية على الأرجح - قد فصلت من اقليم المقاطعة التي كانت تؤلف منها جزء التصبح مستقلة اداريا بثرواتها وتكون خاضعة لنفس النظام الذى عليه المقاطعات القديمة التي خرجت منها . وليس لدينا حتى الآن البرهان على أن هذه التغيرات والانشاءات يمكن أن ترجع بالنسبة للوجه القبلى الى عهد قبل حكم «بطليموس الاسكندر الاول» اللهم الا اذا قبلنا ما ذكره «بركش» عن حدوث مثل هذا الانفصال منذ عهد الدولة الحديثة (١) .

غير أنه لا يوجد مثل ذلك الانفصال في الوجه البحرى حيث كان يوجد كما ذكرنا من قبل - منذ حكم «بطليموس ايرجيتيس الثانى» على الأقل مقطعتان (؟) كوتتا حديثا وأضيفتا الى العشرين مقاطعة العادية التي كانت تتألف منها أرض الدلتا .

المراكز الاضافية في الوجه القبلى:

(١) المركز الأول : وهو الواحد والعشرون من قائمة الأثرى «ديمخين» (Dumichen) وهو الذى يأتى مباشرة بعد المركز العشرين والأخير من مراكز الدلتا ويحمل رقم ٧٢ فى نقوش «ادفو» التى نشرها الأثرى «شاسينا» واسم هذا المركز «نبى» واسم جباتته «نبتى» (وهو الاسم المدنى) أما الاسم المقدس فهو «بر - حر» ومما يطيب ذكره هنا انه لما كان «بركش» متشبعا بفكرة أن هذا الاقليم يقع فى الدلتا فانه قرب الاسم «نبى» من المسميات الجغرافية العربية مثل «بانوب» و «تانوب» و «تханوب» وكذلك الى الاسم الاغريقى «كانوبس» (Kanobos) وقد ترجمه «مدينة

الذهب» غير أن المقصود هنا مجرد المركز الذى كانت فيه أمبوس (كوم أمبو الحالية) وهى العاصمة.

وهذا المركز يؤلف الجزء الشمالى من المقاطعة الأولى من مقاطعات الوجه القبلى التى عاصمتها «ابو» = «الفتين» وهى الآن جزيرة أسوان . وهذا المركز لم يكن مفصولا فى الأصل عن هذه المقاطعة .

ولدينا بعض متون اغريقية من العهد البطلمى تبرهن على أن هذا المركز وقد استمر يؤلف جزءا من مقاطعة «الفتين» حيث نجد أن مدينة «نبى - أمبوس» قد أخذت الصدارة بدلا من «الفتين» وهذا التبديل يؤدى الى جعل عاصمة بدلا من أخرى يرجع عهده على الأقل الى عهد بطليموس السادس «فيلوميتور» (١٧٠ - ١٤٥ ق.م) وهو الذى فى عهده نجد ذكر المقاطعة «أمبوس» . هذا وكانت قائمة «بطليموس العاشر الاسكندر الأول» (١٠١ - ٨٨ ق م) فى معبد «ادفو» عبارة عن صورة تغاير هذا الوضع ، وذلك انه من غير احلال الاسم القديم « تا - ستى » وهو اسم المقاطعة الأولى محل الاسم الجديد «نبى» ذكر الاسمان الأول فى مكانه العادى على رأس مقاطعات الوجه القبلى والثانى على رأس سلسلة المراكز الاضافية التى أنشئت حديثا . وفيما بعد فى نهاية عهد البطالمة نلاحظ أن الفصل بين «الفتين» و «أمبوس» قد تم نهائيا وأصبحت مقاطعة «أمبوس» منفردة وعاشت طويلا ؛ وذلك لأننا لا نجدها تذكر فى ما كتبه المؤلف القديم «بلىنى» ، وكذلك على النقود المحلية للمقاطعات فى القرن الثانى من العهد المسيحى .

والاسم المقدس «بيت حور» المخصص هنا لمدينة «أومبوس» قد ثبته ما جاء على معبد «كوم أمبو» الذى كان مقدسا مناصفة بين ألهىن وهما «سبك» (التمساح) و «حور الكبير» (الصقر) . ولكن من الاشياء الغريبة أن نجد أن مركز «أمبوس» لم يصور فى قائمة المراكز الاضافية المنقوشة على هذا المعبد وكان حريا بذلك .

المركز الثاني والعشرون (١). عاصته السياسية تسمى «مخت» واسمها المقدس «بيك» (= باشق) أى مدينة الباشق أو الصقر . واسم المدينة هذا يوجد فى قائمة معبد «كوم أمبو» الجغرافية ويرجع تاريخها الى عهد الامبراطور «فيسبيان» . أما اسم العاصمة السياسى فقد كتب فى معبد ادفو «مخت» وعلى ناووس العريش «مختوت» . والأرجح أنه يمثل الاسم القديم «نخن» وهو اسم المدينة التى يسميها الاغريق «هيراكونبوليس» أى مدينة الصقور هى الآن «الكوم الأحمر» الواقعة على الشاطئ الأيسر للنيل وهى تواجه مدينة «نخيت» القديمة وهى «ايليتياسبوليس» (Eileithyaspolis) عند الاغريق والكتاب الحالية

ومدينة «نخن» هذه التى ترجع الى عهد ما قبل التاريخ وكانت فى الوقت نفسه عاصمة الوجه القبلى تعد من المدن التى نشأ فيها الآله حور (الصقر) . ومن ثم نجد فى العهود المتأخرة هذه الذكرى العتيقة للآله الأول الذى كان يعبد فى الجنوب فى شكل صقر جاثم معبرا عن اسم المركز الجديد الذى أسس فى «هيراكونبوليس» بعد اتزاعه من المقاطعة الثالثة وأصبح مركزا مستقلا ، له عاصته الخاصة . والتسمية الاغريقية «هيراكونبوليس» هى بطبيعة الحال الترجمة للاسم المصرى «مدينة الصقر» . وهى الكوم الأحمر الحالية الواقعة قبالة «الكتاب» الحالية .

ومن المحتمل أن «نخن» كانت العاصمة القديمة للمقاطعة الثالثة من مقاطعات الوجه القبلى ، ولكن كان قد حل محلها فى وقت مبكر «نخيت» أى الكتاب الحالية . وهذه الأخيرة بدورها قد انطفأ سراجها وحل محلها مدينة أخرى تقع على مسافة قليلة شمالا وتقع على نفس الشاطئ الذى تقع عليه نخن ، وهى أونيت (مدينة العمدة ؟) (٢). وهى «لاتوبوليس» فيما بعد

Chassinat. LXXIII

(١) راجع D.G. III, P. 17-18; Sethe Urgeschichte § 200

(٢) راجع Gnomastica. II. P. 7 (No. 320).

P, (Hommet Ethnologie, P. 802 ff.

(٣) راجع

الاغريق (مدينة سكة اللوت) وهى «اسنا» الحالية ، والظاهر أنه بعد عهد طويل من التدهور تمتعت «نخن» (الكوم الأحمر) فى عهد البطالمة باستعادة مجدها القديم ، وذلك لأننا نراها فى قائمة «بطليموس الاسكندر الأول» فى معبد «ادفو» أصبحت عاصمة مركز خاص .

ويطيب لنا أن نضيف هنا انه اذا كانت مقاطعة «أومبوس» قد ثبت وجودها من الوثائق الاغريقية الرومانية ، فان الحالة لم تكن كذلك فى مقاطعة «هيراكونبوليس» ؛ اذ الواقع ان مثل هذه المقاطعة لم توجد قط ، ومن ثم كانت هذه الملاحظة محرجة وتدعونا لحد ما أن نتحفظ بشدة عند تفسير المراكز الاضافية التى دوت فى قائمة «بطليموس العاشر الاسكندر الأول» ، وذلك لأن كل هذه المراكز لم تكن بالتأكيد مقاطعات أى أنها ليست وحدات ادارية مستقلة يقوم بالاشراف عليها حاكم خاص ، والواقع أن البطالمة كانوا بعيدين عن مضاعفة عدد المقاطعات المصرية ، بل يظهر العكس من ذلك ، فقد كانوا يختصرون عددها ولا أدل على ذلك من أن «استرابون» الذى زار مصر بعد حكم «بطليموس الاسكندر الأول» بزمان قليل — وهو الذى كان يأخذ معلوماته الجغرافية من أحسن المصادر ، ومن ثم فان قائمة المقاطعات المصرية التى وضعها لنا عن عصره كانت تمثل أوثق صورة للاقسام الادارية فى نهاية عهد البطالمة . وقد ذكر لنا «استرابون» عن قصد أن مقاطعة «سغا» (المقاطعة السادسة من مقاطعات الوجه البحرى) قد امتزجت بالمقاطعة السنودية (المقاطعة الثانية عشرة) ولاشك فى أن المسألة كانت آدى بالنسبة لمقاطعات الوجه القبلى ، وذلك لأن «سترابون» لم يقدم لنا قائمة مرتبة منظمة لهذه المقاطعات ، ولكن اذا فحصنا بصورة عاجلة الوثائق الادارية للعهد الاغريقى الرومانى فانه يكفى أن نجد أن المقاطعتين السادسة عشرة والثامنة عشرة قد اختفتا بالنسبة للقوائم المصرية ، وان المقاطعة الرابعة عشرة قد اندمجت فى مقاطعة «هرموبوليس» (المقاطعة الخامسة عشرة) وان المقاطعة الثانية عشرة

قد انضمت للمقاطعة العاشرة أى مقاطعة افروديتوبوليس والمقاطعة الحادية عشرة
قد امتزجت فى المقاطعة الثالثة عشرة (أى مقاطعة ليكوبوليس) «أسيوط» .
وعلى ذلك نجد أنفسنا أمام أحد أمرين : اما أن يكون الموكب الجمرافى
الذى مثل على جدران معبد ادفو فى عهد «بطليموس الاسكندر» من نسج
الخيال مجرد زينة وأن الصور الجديدة التى يحتوى عليها هذا الموكب
لا تمثل تقسيما حقيقيا لعصر هذا الملك وزيادة عدد عظيم من المراكز الجديدة،
بل انه نتج عن مجرد تحليل تصويرى خصص عدة أشكال لمقاطعة واحدة (١).
وأما على العكس يقدم لنا فعلا هذا الموكب أقساما جديدة للعصر الذى
صور فيه ، غير أن وجود هذا التقسيم كان عرضا ولم يستمر فيما بعد ، وعلى
حسب النظرية الأخيرة يلحظ أن مقاطعة «هيراكنبوليس» الجديدة (?) التى
ليس لدينا أى دليل على وجودها فى مؤلفات المؤلفين القدامى أو فى النقوش
والأوراق البردية الاغريقية واللاتينية) لم يكن هناك ما يمنع من أن تضاف
من جديد لمقاطعة لاتوبوليت (المقاطعة الثالثة) التى تفرعت منها .

المركز الثالث والعشرون :

يلدعى «ججستى» أى مركز الغزال ومن المحتمل أن كلمة «ججستى»
تطلق على المكان الذى جاء ذكره فى متون الأهرام بأنه المكان الذى مات
فيه أوزير ، وفيما بعد كان يعبد فيه الالهين «خنوم» و «نفتيس» . وعلى
أية حال فان قائمة «ادفو» جاء فيها أن عاصمة هذا المركز المقدسة هى
«بر - عنقت» أى بيت عنقت فى حين أن قائمة كومامبو تقول ان العاصمة هى
«بر - مرو» . وهذا المكان الأخير موحد ببلدة كومير الواقعة على الشاطئ
اليسر للنيل على مسافة ١٢ كيلو مترا فوق «اسنا» . والواقع أنه توجد فى
الصحراء خلف «كومير» جبانات مكدسة بموميات غزلان ، وكذلك يوجد
فى المتحف المصرى أومستراكا عثر عليها فى الدير البحرى وقد مثل عليها كاتب

يتعبد الى غزال واقفا عند سفح جبل ومعه النقش التالى : صلوات قدمها ..
«حامى» الآلهة «عنقت» (١) . وكذلك نجد فى قوائم الكرنك ومدبنة هابو
للبلدان أن «انوكيس» بوصفها آلهة «بر - مرو» ومن أجل ذلك نجد أن الغزال
كان بلا نزاع مقدسا للآلهة «انوكيس» وان هناك علاقة بين الغزالان وكومير
من جهة وبين عنقت و «بر - مرو» من جهة أخرى وفضلا عن ذلك نجد
مقطع «بر» فى تركيب كلمة «كومير» فى ألفاظ قبطية وقد ذكر مسيرو أنه توجد
بقايا معبا فى «كومير» وقد ذكر «ويجول» هذا الاسم بصورة أخرى كوم
المرّة وكومير الخ (٢). وعلى أية حال نجد مركز الغزال هذا قد مثل فى قائمة معبد
«كوم أمبو» الجغرافية التى يرجع عهدها الى حكم الامبراطور «فسبسيان»
حيث نجد اسم العاصمة السياسى وهو «ججستى» والاسم المقدس
«بر - عنقت» .

المركز الرابع والعشرون :

صور اسم هذا المركز بطائرين وقراءة الاسم غير مؤكدة ويحتمل أنه
يلفظ «رخوى» أو «رخيت» وعاصمته تدعى «أونيت» والعاصمة المقدسة
«رخويت» أو «رختى» وفى حين نجد ان المقاطعة الأولى من مقاطعات الوجه
القبلى قد قسمت مركزين وهما «الفنتين» و «أومبوس» وأن المقاطعة الثانية
وهى «بحدت - ابو للونويوليس مجنا؟ = «ادفو» لم تكن قد تأثرت
بالنظام الجديد الذى كان معمولاً به فى عهد «بطليموس الاسكندر الأول»،
فان المقاطعة الثالثة (لاتوبوليس = اسنا) قد حل محلها فى قائمة «بطليموس
الاسكندر الأول» أربعة مراكز (١) . هذا ونجد أن نواة هذه المقاطعة أى
مركزها الدينى الذى كان يقع على الشاطئ الأيمن للنيل قد بقى فى عاصمتها
القديمة «تجيت» (الكاب الحالية) وهى التى على أية حال لم تكن بعد منذ

A.S. XIII, 77.

Onomastica II. P. 9.

Gauthier Nomes. Ibid. P. 61, note 1.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

زمن طويل عاصمة مقاطعة ، وذلك لأنه كان قد حل محلها بلدة أونيت (اسنا) ولكن توجد مدينتان هامتان تابعتان للجزء الغربى من المقاطعة الثالثة من القوائم التقليدية قد رفعتا لأسباب غابت عنا الى عاصمتى مركزين مستقلين: وهاك هذين المركزين من الجنوب الى الشمال على حسب الترتيب الذى تذكره القائمة التى نحن بصدددها :

(١) مخت = هيراكنيوليس = الكوم الأحمر

(٢) جحستى (?) = كومير وهو اسم اغريقى غير معروف .

(٣) أيونيت = لاتوبوليس = اسنا

أما عن المدينة الثالثة الغربية «أونيت» فان قائمة «فمباسيان» بمعبد «كوم أمبو» تبرهن على أنها لم تكن شيئا آخر غير عاصمة المركز «رختى» . المركزان الخامس والعشرون والسادس والعشرون :

ويقعان بين «لاتوبوليس» (= اسنا) فى الجنوب و «أرمنت» فى الشمال . والظاهر أنهما يحتلان موقعين متقابلين على كلا شاطئى النيل ويحملان الاسمين «شرق حور» و «غرب حور» على التوالى وكذلك فان عاصمتيهما المقدستين تسميان على التوالى «مسكن حور الشرقى» و «مسكن حور الغربى» أما عاصمتهما المدينتان فهما «حقات» و «حسفن» على التوالى أيضا . وعلى أية حال فان العاصمتين «حقات» و «حسفن» وهما اللتان كانتا على التوالى عصمتين لمركزين قديمين كنتا قد رفعتا الى مقاطعتين وهما «شرق حور» و «غرب حور» وهما معروفتان تماما . فالأولى وجودها ثابت منذ عهد الأسرة الحادية عشرة وهى موحدة بقرية «المحلة» الحالية الواقعة على الشاطئ الأيمن للنيل (١) . والأخرى وهى «حسفت» أو «حسفن» هى اسفينيس Asphynis الاغريقية الرومانية وموقعها الآن «اصفون المطاعنة» على الشاطئ الأيسر للنيل قبالة «المحلة» ، ولكن على مسافة قليلة

شمالا أى على مسافة اثنتى عشر كيلومترا تحت «اسنا» (١) .
المركز السابع والعشرون :

ويسمى «ايونو شسمو» أى «ايون» الوجه القبلى مقابل «ايونو محو»
أى أيون الوجه البحرى أى هليوبوليس . وندعى كذلك ايون منت (٢)
وبالاغريقية «هرفتس» وأقدم كتابة لها «أونى» وكتب بالقبطية «أرمنت»
وبالعربية «أرمنت» أيضا ، وتقع على الشاطئ الأيسر للنيل بالقرب من
النهر على مسافة ١٣١/٢ كيلومترا جنوبى الأقصر .

هذا وقد برهن «لاكو» على أن الاسم الاغريقى كان مشتقا من
«اون منتو» لا من «برمنت» (بيت منتو) كما كان المظنون من قبل (آ) .
وهذا المركز الذى لم يصبح مقاطعة مستقلة الا فى عهد البطالمة يظهر أنه قد
انتزع من المقاطعة الرابعة التى عاصمتها «واست» = (طيبة) .

وعلى أية حال فإن مقاطعة «هرمنتيس» تعد الوحيدة من بين المراكز
السبعة الجديدة من القائمة الهيروغليفية التى من عهد «بطليموس الاسكندر
الأول» مع مقاطعة أونيت ، التى وجدت فى الوثائق الاغريقية . ومما يؤسف
له جد الأسف ان الاسمين المدنى والدينى لعاصمة هرمونتيت قد فقدوا مع
المتن الخاص بهذه المقاطعة ، ولكن يجب أن يكونا على التوالى «اونوشمع»
أى «أونو» الوجه القبلى و«برمنتو» «مسكن منتو» اله الحرب .

وبقيت مقاطعة هرمنتيت مدة طويلة مذكورة فى العهد الرومانى ، ذكرها
«بلينى» (٣) ، وكذلك جاء اسمها على نقود الامبراطورية للمقاطعات وأخيرا
ذكرها «بطليموس الجغرافى» (٤)

المركز الثامن والعشرون :

ويقع شمالى طيبة ويسمى «قس» واسم العاصمة المدنى هو «قست» واسم

Ibid. IV. P. 42.

Gnosmastica II. P. 22.

Pline V, 49, G. Nomes. P. 64.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

العاصمة المقدس هو «حت قرست» (أو «حتت قس») والمقصود هنا بادهتهو «قوص» عاصمة مركز قوص الحالى الواقع على الشاطئ الأيمن للنيل . ويحتمل أن هذه البلدة تابعة للمقاطعة الخامسة (أى ققط) وقد انتزع منها لتصبح عاصمة مركز مستقل . ولما كانت هذه المدينة تعبد الآله «حورالكبير» فانها أصبحت بالإضافة الى «ادفو» و «كوماسفات» واحدة من ثلاثة الأماكن المصرية التى أطلق عليها الاغريق اسم «ابولونوبوليس» وذلك لتوحيدهم الآلهة «حور» بالآله «ابولون» (٣) .

المركز التاسع والعشرون :

قرأ «بركش» اسم هذا المركز «اون محيت» والواقع ان اسم المركز فى المتن الذى يصحبه هشم تماما . والظاهر ان «بكش» كان فى فكر مقاطعة «دندرة» المقاطعة السادسة من مقاطعات الوجه القبلى ، غير أنه قد يظهر غريباً ان هذه المقاطعة تمثل هنا بين هذه المراكز الإضافية ، فى حين أنها قد مثلت فى مكانها العادى فى نفس القائمة بين المقاطعات المتفق عليها .

المركزان الثلاثون والواحد والثلاثون .

وهذان المركزان قد احسم اسمهما كذلك الاكلمتين قرأهما «بركش» . «تانونب» . والظاهر ان القراءة الصحيحة هى «تاوى سوتنج اى بلاد الاله «سوتنج» = (ست) . ونحن هنا فى اقليم المقاطعة السادسة (دندرة) او فى المقاطعة السابعة (ديوسبوليس الصغرى) «هو الحالية» . والواقع ان ورقه «جوليتشف» الجغرافية تذكر بعد مدينة «اون - تاترت» الخاصة بالالهة حتحور اى «دندرة» عاصمة المقاطعة السادسة مكانا يدعى «ناشوو - ن - سوتنج» أى سنط الاله «سوتنج» هذا ويؤدى بنا الى مكان مقدس يوجه خاص للاله المناهص حور ، ومن الجائز ان له علاقة ببلاد الاله «سوتنج» التى جاءت فى القائمة التى تفحصها الآن . وقد ذكر هذا المكان فى قائمة جغرافية

نقشت على معبد «هابو» من عهد «رعيس الثالث» باسم «سوتخ ناشنو» وقد وحده دراسى بحق باسم «خنوبوسيون Chenoboseion الاغريقية وموقعها الآن قرية القصر والصيد بمركز نجع حمادى حيث توجد جبانة قديمة (١)

المركز الثانى والثلاثون

وجد هذا المركز مهشما ولم يبق منه الا الجزء الاخير من اسم العاصمة المدنية ويحتمل ان يكون «تاور» (المقاطعة الثامنة اى مقاطعة طينة) ويحتمل جدا انها بالقرب من جرجا وذلك لان الهما «أوزريس» (ان - حرت) وانما يركب تركيبا مزجيا فى اسماء الاعلام مع المواقع القريبة من «نجع الدير» « ونجع المشايخ » . وهناك مكان آخر يمكن ان يكون الموقع الذى قامت عليه هذه المدينة وهو «البربا» وتقع على مسافة نحو الغرب ، ولكن عند هذه النقطة يطيب لنا ان نحذيرا عاما بالنسبة للجبانات الى تقع على الشاطئ الايمن اذ نجد هنا ان التلال تقترب جدا من النيل ولا تترك مكانا لوجود مقابر صخرية ، فى حين أنه لا يوجد مكان لاقامة بلدة عظيمة مثل «نس» ، التى يمكن ان تكون قد أقيمت فى المزارع عبر النهر مع مسافة من الجهة الغربية (١)

المركز الثالث والثلاثون

وجد اسم هذا المركز مهشما ولم يبق منه الا كلمة «حور» مما يدل على ان المركز كان مخصصا لعبادة صورة من صور الاله «حور» والاسم المدنى هو نشيت والاسم المقدس لم يذكر . وقد جاء ذكر مدينة «نشيت» من قبل فى قائمة جغرافية من عهد الاسرة التاسعة عشرة فى نقوش العرابة المدفونة . وقد وجد الاسم بصورته الكاملة «نشيت» فى ورقة هاريس الكبرى (٣) ، والظاهر ان هذا الاسم قد اختفى عندما اقام «بطليموس الاول» على

(D.G. V. P. 139.

Gnomastica II, 18.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٤٥٤

اقاضها مدينة «بطولميس» وتقع على الشاطئ الايسر بالقرب من النهر وقد بقى اسمها في العربية «المنشاة» و (المنشية) وتوحيدها «بيطولميس» قد برهن عليه من عدة نقوش وجدت في نفس المكان (١) . ويقول «مسبرو» انه أخذ بعظمة التلال التي اقيمت عليها المدينة الحديثة وبجمال المراسى ذات الجهاز الاغريقى وتمتد هذه المدينة لمسافة تتراوح ما بين ستماية وثمانماية متر أمام البيوت (٢) ، ولا تزال تستعمل مرسى للسفن حتى يومنا هذا (٣) .

ويلحظ من قائمة «ادفو» التي نتحدث عنها أن هذا الاقليم قد سعى في عهد بطليوس الاسكندر الأول باسم الآله «حور» وقد انتزع من المقاطعة الثامنة (المقاطعة الطينية) ليصبح مركزا مستقلا . ومما تطيب الإشارة اليه انه لأجل تمييز «بطولميس» هذه من المدن الكثيرة التي تحمل هذا الاسم سميت «بطولميس الطيبة» وكذلك لتمييز «المنشاة» التي تقع على اقاض «المنشاة» القديمة من البلاد الاخرى التي تحمل هذا الاسم قد سميت «منشاة اخميم» المركز الرابع والثلاثون هذا الاقليم يقع في اسبوس «ارتيميدوس وبنى حسن» . واسم هذا المركز معناه «سلة الجبل» (٤) او «نمجة الجبل» (?) وهو (٥) ينخرج في جبال العرب على مسافة قريبة من الجنوب من مقار «بنى حسن» وذلك لان عاصمة هذا الاقليم المقدسة هي مدينة «الآلهة» «بخت» وهذه الآلهة لصيادة مثلت في صورة لبؤة وقد وحدها الاغريق بالآلهة «ارتيميس»

(١) Dittenberger O.G.I.S II, 736
Pluamann, Ptolemais, in Oberagyp ten, 109
Gnomastica II, P. 39 ff.

(١) راجع
(٢) راجع

(٣) ومما تجدر ملاحظته هنا ان السلة والآلهة نجت قد قرننا الواحدة بالآخرى في الجملة الآتية عملت في صورة نجت التي تطير كالسلة في وجه الناس وكذلك جاء في نقش في هذا المعبد الصخرى يدل أن الآلهة نجت قد حفرت وادى الجبل الذى يقع فيه محراب سبوس ارتيميدوس ، وكذلك المحراب الصغير المعروف ببطن البقرة

(٤) راجع Onomastica II. P. 90 & P. 277, J.E.A. Vol. XXXIII, P. 13 ff.

عندهم وكذلك اطلقوا على المعبد الجبلى الذى نحت فى الجبل منذ الأسرة الثانية عشرة اسم «سبوس ارتيميدوس» (Speos Artimidos) وهذا الاقليم وعاصمته كانا يؤلفان جزءا من المقاطعة السادسة عشرة وكان يذب اليه فى كل عيد محلى عدد عظيم من السكان الجائلين ، مما جعله «يضى اهمية على المدينة المنذورة للالهة «نبت - ارتيميس» لدرجة ان الادارة البطلمية على ما يظهر جعلتها عاصمة لمركز خاص .

المراكز الاضافية للوجه البحرى

يبلغ عدد المراكز التى أضيفت للوجه البحرى اربعة عشر مركزا . وهى كعدد مراكز الوجه القبلى بالضبط وتبتدىء من اول المركز الخامس والثلاثين حتى المركز الثامن والاربعين كما ذكرها الاثرى «دميخن» ومن ٨٦ الى ٩٩ كما جاءت فى مؤلف شاسيتا عن ادفو .

المركز الخامس والثلاثون

ويسمى «برجمبى» مسكن «جمبى» (اله النيل) . وعاصمة هذا المركز تسمى بنفس الاسم . والمقصود هنا هو الجزء الجنوبى من المقاطعة الثالثة عشرة من مقاطعات الوجه البحرى اى مقاطعة هليوبوليس . و«مسكن جمبى» هذا معروف منذ الاسرة العشرين من ورقة هاريس الكبرى (١) وقد لعبت دورا هاما منذ الفتح الكوشى كما جاء على لوحة ييعنخى (٢) . وقد اختلفت الآراء فى موقع «برجمبى» غير ان «جاردنر» قد بحث هذا الموضوع بحثا مسهبا . ويظن فى النهاية ان مكان هذه المدينة هو «أثر النبى» الحالية ويقول ان «خرعحا» و «برجمبى» موحدان تقريبا لانهما متلاصقتان (٣) .

المركز السادس والثلاثون

ويسمى «عين» ويقول «جاردنر» بعد بحث طويل انه من الممكن ان يعد

(١) راجع مصر القديمة الجزء ٧ ص ٤٠٣

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الحادى عشر ص ١١

(٣) راجع Ancient Egyptian Onomastica, vol. II. P. 131. No. 379

مرادفا لطرة الحالية او طرة وما جاورها (١) .

المركز السابع والثلاثون

ويسمى «حتب» وكذلك تسمى عاصمته بنفس الاسم وهو اقليم يقع في ضواحي هليوبوليس اى المقاطعة الثالثة عشرة وهو مخصص لعبادة الاله «حتحور» .

المركز الثامن والثلاثون

ويسمى (شن - قبح) ، وعاصمته تسمى «است - اب» ويحتمل أنه في المقاطعة الثالثة عشرة أيضا (٢) .

المركز التاسع والثلاثون

ويدعى «منستي» (٣) واسم عاصمته تسمى بنفس الاسم . وهو في المقاطعة الثالثة عشرة ايضا . والظاهر انه في عصر متون الاهرام كان يوجد في مدينة «هليوبوليس» او بجوارها مكانان يدعيان منست العليا و «منست» السفلى (٣) ولا بد ان هذين الاسمين هما اللذان اطلق عليهما المصريون مثني لقطة «منست» ويجوز ان المقصود هنا هو «منستي العليا» التي كانت على الاربع اهم المكانين ، وذلك على الرغم من ان الكلمة في المتون المتأخرة في صورة

Ibid. P. 130

Gauthier Les Nomes, etc., P. 73.

(١) راجع

(٢) راجع

(١) يظهر ان كلمة منست تدل على اسم مكان في هليوبوليس او بالقرب منها

(Wb. 11, 88) فعبارة منست العليا متصلة بالاله شوا والسفلى (Cl. 1811 b)

متعلقة بروجة تفنوت . وفي الدولة الحديثة نجدهما بوصفهما اماكن امن

(Wb II, 88) ومخصصها هنا يمكن ان يشير الى جزيرة سماويه (راجع عن

هذه الكلمة

A.Z. 57. P. 111, Urgeschichte, 126 & No. 2 & P

وترجمة السطريين هي : كما ان اسم الاله شر رب « منست العليا يبقى في

« هليوبوليس » فكذاك ليت اسم الملك يبقى .

وكما ثبت اسم «تفنوت» في «منست» السفلى في «هليوبوليس» فكذاك

ليت اسم الملك ثبت (راجع

The Pyramid Texts by Samuel A.B. Mercer. Vol. II. P.

785; Vol. I. P. 254, L. 1661 a. & 1662 a.

Texte Pyr. 4, 1661 a, 1662

(٣) راجع

المثى . وعلى اية حال فان الآراء مختلفة في موقع هذا المركز (١) .
المركز الأربعون

من الصعب تحديد موقع هذا المركز كما انه من العسير الوصول الى معرفة نطق اسمه وهو يقع على ارجح الأقوال في الاقليم الشرقى من الدلتا . والكلمات الجغرافية الأخرى التى بقيت فى متنه هى «ختم خنت» مكان مربية الطفل ؛ و«شن - ن - تا» = «دائرة محيط الارض(?)» ويقسول «جوتيه» ان هذا الاقليم هو وعاصمته يدعى «خنس» أو «شنس» دون ان يفضل أحدهما على الآخر . اما عن موقعه فانه على ما يظهر يقع فى الاقليم الأوسط من برزخ السويس . والمحتمل انه فى محيط وادى الطميلات أو اعلى من ذلك شمالا فى قليم «دفنى» وهو تل دفته الحالى (١) .
المركز الواحد والأربعون

ويدعى اتف حز (?) (= مركز الشجرة اتف البيضاء كما نجده مذكورا بانه فى المقاطعة الثالثة والعشرون من مقاطعات الدلتا فى فى قائمة العهد الأول للملك بطليموس التاسع . سوتر الثانى (٨٨ - ٨١ م)
فى «ادفو» وقد حاول بعض العلماء جعل عاصمة هذا المركز «سابجدت» أى تل البلامون الحالى فى المقاطعة السابعة عشرة الواقعة على مسافة خمسة كيلومترات فى الجنوب الغربى من محطة «رأس الخليج» على خط السكة الحديد «المنصورة» «دمياط» (٣) .

المركز الثانى والأربعون

ويسمى «حت نجم» (ومعناه مكان الرقة) ويقع فى اقصى الشمال الشرقى من

-
- (١) راجع Gauthier Les Nomes. P. 74.
(٢) راجع Budge Egyptian Dictionary. P. 1040, Cledat. Bull. Instit. Franç. d'Archéol. XXIII. P. 41, note 2.
(٣) راجع D.G.I. P. 13 & 5. P. 33-4

الدلتا في محيط « بلوز (القرما) » (١) . المركز الثالث والأربعون

وبدعى «انبو» (= الجدران) وكذلك تدعى عاصمته «مدينة الجدار» (أو الجدران) . والمقصود هنا ليس «منفيس» التي كانت غالبا تدعى «الجدار» أو «الجدران» أو مقاطعة «منفيس» ولكن المقصود هو المركز الذي كان يقع في اقصى الحد الغربى لمصر اى فى اقليم «خليج السويس» . وفى بدايـة الاسرة الثانية عشرة جاء فى قصة «سنوهيت» هذا الاسم : «انبو حقا» = «جدار الملك» ، وهو جدار طويل للحماية وكان مقاما على طول «خليج السويس» ويفصل مصر عن صحراء سيناء وفلسطين . وكذلك جاء ذكر هذا الجدار فى لوحة «بتوم فى السطر السادس عشر : «انبو - اتى» = جدار الملك . وكان لا يزال موجودا بعضه فى عهد البطالمة . ومن المحتمل ان هذا الاقليم هو الذى نحن بصددہ الآن . وقد اتى فى صيغة الجمع : «الجدران» .. هذا وقد جاء ذكر مكان يدعى «تا انبت» : اى اقليم الجدار» ويقع بجلاء على الطريق الحربى الذى يؤدى من مصر الى فلسطين فى الشمال من النقطة المحصنة (المجدل) التى اقامها الملك «سيتى منفتاح» اى فى جهة ما فى الشرق او فى الشمال الشرقى من القنطرة الحالية (٢) .

المركز الرابع والأربعون

وجد اسم هذا المركز مهشما على الاصل فى القائمة ، غير ان ما بقى من اسم العاصمة يمكن ان يكون «شدنت» . وهذه المدينة معروفة باسم «سدنو» وهى مؤسسة حديثا نسبيا لاننا لم نجد لها مذكورة فى المتون التى قبل العهد البطلمى الا فى العهد السامى . والظاهر انها حلت محل عاصمة المقاطعة الحادية عشرة «جس» وهى حبست القديمة وتعد مدينة سيتية اى منسوبة للاله «ست» اله الشر ومن اجل ذلك كانت تعتبر بخسة مما ادى الى حذفها احيانا

في القوائم الجغرافية الرسنية . وموقع مدينة «شدن» هذه هو «هريبط» الحالية على مسافة عشرين كيلومترا من الزقازيق واسمها الاغريقى «فرباتوس» ومن المحتمل ان هذا الاسم مشتق من اسم العاصمة المقدس ، هو بر - حر - مرتى (= بيت الاله حر - مرتى) . وقد لفظ اسمها في القبطية «فريبط» كما جاء في المقرئى وينطق الآن «هزيبط» ..

المركز الخامس والأربعون

ويسمى «ر - ث نفر» (= الباب الطيب) . والظاهر كما يقول «جوتيه» انه توجد مدينتان بهذا الاسم واحدة منهما في الشمال الغربى من مقاطعة الخطاف الغربية وهى المقاطعة السابعة وقد اصبحت في العصر المتأخر عاصمة مقاطعة «أنوفيب» التى لم يعرف مكانها بالضبط ، والثانية في الشمال الشرقى في المقاطعة السادسة عشرة المنديسية أو في الشرق في المقاطعة الثامنة وهى مقاطعة الخطاف الشرقى . ومن المحتمل انه بسبب الموقع الذى يحتله مركز «ر نفر» في القائمة التى نحن بصددھا هنا اى بين المركز «شدنت» (هريبط) والمركز «حبت» اى «بهيت الحجر» ، ينبى علينا ان نفضل وقوعه في الدلتا الشرقية . وعلى أية حال فان بلدة «ر - ث نفر» كانت منبذرة للآلهة «ازيس» كما نجد ذلك على لوح صغير من البرنز من عهد الأسرة السادسة والعشرين وهو محفوظ الآن بمتحف القاهرة ، وكذلك في متن من معبد أوزير «بدندرة» وكانت تعبد هناك كذلك الآلهة نفتيس (١) . والظاهر انها كانت مجاورة للمدينة التى خصصت لعبادة «ازيس» وهى المعروفة باسم «ازيوم» وهى الآن «بهيت الحجر» مركز طلخا مديرية الغربية ، غير ان الأمر الذى ليس مؤكدا في هذا الموضوع هو ان الاسم المصرى «ر - ث نفر» قد اخذ صورة غريبة في الاغريقية وهو «أنوفيس» . وهذا لا يساعدنا على تحديد موضع «ر - ث نفر» ، لأن مقاطعة «اونوفيت» التى عاصمتها «أنوفيس» قد ذكرها لنا «هردوت» ثم

(١) راجع Dumichen. Geogr. Inschr. II. Pl. LXXIII, No. 12; Ibid. I Pl. LXXIII, No. 12

جاء ذكرها ثانية على ما نعلم بمد ستة قرون في جغرافية «بطليموس» وعلى أية حال لم يمكن تحقيق موقعها بصورة قاطعة فيتردد العلماء في وضعها بين تل طبللة وبين محلت منوف ، ومن المحتمل انه كانت توجد مقاطعتان مختلفتان باسم «أوتوفيت» ، الأولى التي ذكرها «هردوت» والثانية التي ذكرها بطليموس الجغرافي (٢) .

المركز السادس والأربعون

وجد اسم هذا المركز مهشما وقد اقترح «بركش» مما بقى منه ان يسمى «حب» وان اسم العاصمة الذى اختفى كذلك كان يدعى «حبت» . والواقع اننا الآن امام مركز يقع في المقاطعة الثانية عشرة اى المقاطعة السنودية وقد أصبح مركزا مستقلا في عهد البطلمة . والاسم «حبت» قد ركب تركيبا مزجيا في اسم الملك نبطاتب الثانى آخر ملوك العهد الفرعونى (نخت - حر - حبت) وقد ظهر في العربية «بهييت» على ما يظن . ولما كانت هذه المدينة منذورة للالهة «ازيس» فقد سماها المؤلفون الاغريق واللاتين «ازيون» او ازيوم واسم المدينة المقدس كان «تريت» أو «تترت» (= المقدسة) . هذا ولم تذكر لنا الوثائق الاغريقية الرومانية مقاطعة منذورة خصيصا للالهة «ازيس» ، وعلى ذلك فانه لما كان وجود المركز الاضافى لم يظهر الا في قائمة «بطليموس الاسكندر الأول» بادفو فانه من المحتمل ان كان قصير العمر .

المركز السابع والأربعون

وجد اسم هذا المركز مهشما ، ولكن تدل شواهد الاحوال على انه كان يقرأ على ما يظهر «محيت» اى «الشمالى» . وقد اختفى اسم عاصمته . ولكن نجد في المتن الذى يتبع هذا المركز أثرا لاسم مدينة «ب» مما يخول لنا القول اننا في اقليم مدينة «بوتو» وهى التى كانت مؤلفة من مكانين قديمين جدا وهما «دب» و «ب» ويضع حجر «بلرم» هذه المدينة (بوتو) في عهد الأسرة الخامسة في المقاطعة الخامسة . وعاصمتها «سخا» ، ولكن نجد انها في

العهد المتأخر تابعة لمقاطعة «فتنتو» (Phtenetou) أو بوتيكوس Buticus في الوثائق الاغريقية الرومانية وكانت العاصمة ، وهى الآن تل الفراعين في مديرية الغربية مركز «دسوق» (١) .

المركز الثامن والأربعون

ويسمى «بحدتى» وتسمى عاصمته بنفس الاسم . وفى المتن الذى يتبع هذا المركز جاء ذكر مدينة «دمنهو» الواقعة فى الاقليم الشمالى الغربى للدلتا . مما يجعلنا نفكر فى أن القائمة التى نحن بصددھا ينبغي ان تستمر ويذكر بعد اقليم لشرق والوسط اقليم الغرب بدلا من ان تنتهى بهذا المركز والواقع أن بلدة «بحدت» التى فى الدلتا كانت منذورة لاله «حور» وهى بلاشك أقدم بكثير من التى تسمى باسمها فى الجنوب وهى المندورة لاله حور (ابوليتوبوليس) وتحتل الآن مكان «ادفو» الحالية وهى التى على ما يظهر كانت مستعمرة لها . ولكن الأخيرة اى «ادفو» فاقتها فى الأهمية والشهرة على مر الايام . واذا كانت «دمنهو» بدلا من ان تسمى فى العهد الرومانى اسم «ابوليتوبوليس برفا» قد سميت كما هو المعتقد بوجه عام «هرموبوليس برفا» فانه يجب علينا ان نعترف انه بجانب عبادة الاله «حور» التى نمت وقويت هناك منذ اقدم العصور ، قد ظهرت فيما بعد بجانبها عبادة الاله تحوت . وعلى أية حال فانه ليس لدينا اى أثر او متن يؤكد هذا الزعم . وعلى ذلك فان «جاردنر» لا يميل الى توحيد هذين البلدين بصورة قاطعة (٢) .

هذه نظرة عاجلة على حالة البلاد من الوجهة الجغرافية وما تحتويه من مقاطعات ومراكز مستقلة .

أما عن نظام الحكم فى هذه المقاطعات فقد ذكرنا فى بادىء الأمر ان «الاسكندر الاكبر» لم يغير كثيرا فى النظم المصرية القديمة ، ولكن فى عهد البطالمة اخذ الحكم فى المقاطعات يتشكل بصورة جديدة الغرض منها جعل

(Gauthier Les Nomes, P. 80-81.

(١) راجع

(٢) راجع Onomastica II. P. 196-7, Gauthier Les Nomes. P. 81-2.

مقاليد الحكم في أيدي الاغريق ، وجمع اكبر مقدار من المال بشتى الطرق لخزانة البطالمة . وبعد هذه النظرة السريعة في نظام المقاطعات تنتقل الى نظام الحكم فيها .

نظام الحكم في المقاطعات

كانت البلاد المصرية مقسمة مقاطعات ومراكز (Toparchies) وفري (Komai) وكان يدير شئونها موظفون يعينهم الملك . وهؤلاء الموظفون كانوا يستمدون قوتهم قانونا من الملك مباشرة ، ولكن عمليا كان يعينهم موظفون كبار من رجال البيروقراطية البطلمية . والواقع انه كان من الصعب ان نرسم خطا فاصلا مضبوطا بين السلطات التي كان يتمتع بها موظف عن الذي يليه ، ولم يكن ذلك سببه قلة المعلومات لدينا وصعوبة تتبع التطور التاريخي لكل وظيفة ، ولكن يحتمل ان ذلك كان يرجع الى عدم وجود تمييز مضبوط وضع للوظائف التي كان يشغلها الموظفون المختلفون . فقد كانوا اعمال الملك وكانوا يعملون على حسب التقليد الذي وضع قبل عهد البطالمة وعلى حسب التعليمات والتوجيهات التي كانت تصل اليهم من رؤسائهم أو من الملك . وهذه التعليمات على حسب ما وصل الينا حتى الآن لم تدون في قانون خاص بل صدرت في مراسم الواحد تلو الآخر دون نظام معين ، وكثيرا ما كانت تتضارب بعضها مع بعض . يضاف الى ذلك ان الموظفين كان رائدهم في سلوكهم توجيهات ذات صبغة عامة وصلت اليهم من الملك وتحمل اسم «القانون» (Nomi) . ولا أدل على تمقيد النظام الاداري في مصر البطلمية من قصة المجند الصغير «ابولونيوس» الذي عاش في عهد بطليموس «فيلوموتور» (٢٢١-٢٠٥ ق.م) الذي منحه تصريحاً ليتنقل الى «منف» فشاهد كيف ان «ابولونيوس» هذا لأجل ان يثبت مكانه ويحصل على مرتبه الذي يستحقه (على الرغم من أنه كان في استطاعته أن يطلع الذين في أيديهم الأمر على

التصريح الذى تسلمه من الملك نفسه) كان عليه أن يمر من موظف مسئول
لآخر فى مصلحة الحرية ثم الخزانة والسلطة المحلية ؛ وأخذ ملفه ينتفخ من
كثرة المكاتبات بدرجة مدهشة . ويمكن ملاحظة نفس الاجراء المعقد فى فرع
القضاء (١) .

ومن الغريب ان تأليف وظائف العمال الذين يديرون المقاطعات المختلفة لم
يكن قط ثابتا فنراهم يتغيرون امام اعيننا ، ومع ذلك لم يكن فى استطاعتنا
معرفة السبب الذى كان يدعو لهذه التغيرات . والظاهر أنه فى عهد «بطليموس
الأول» كان لا يزال النظام العادى الادارى المتبع هو الذى كان سائدا فى
الازمان السابقة وهو الذى لم يكن قد تغير فى اى من اصوله فى عهد «الاسكندر
الأكبر» فكان رئيس المقاطعة كما كان فى الازمان القديمة هو الحاكم اى حاكم
المقاطعة ، وكان أحيانا يعين من المصريين ، وهو الذى كان فى الازمان القديمة
سيدا اقطاعيا عظيما . وفى عهد الملك بطليموس الثانى تغيرت الاحوال كلية
فقد اختفى حكام الاقطاع نهائيا ولم يبق لهم أثر ، فقد قسمت ادارة المقاطعة
وكل امرها لكل انواع الموظفين ، وكلهم كانوا تحت اشراف ملك ووزرائه ،
ولم يكن بعضهم يشرف على بعض . فكانت الشئون الحرية فى المقاطعة فى
يدى قائد حربى (Strategos) وكان له بعض السلطة القضائية وبخاصة فيما
يخص مسائل الجرائم . وكان تحت سلطانه الى حد ما شرطة المقاطعة ، وقوادها
والشرفون على ادارة القضاء (Epistatai) ورؤساء الشرطة (Archiphylaktai)
وكبار رجال الشرطة وصغارهم . وكان يقوم جنبا لجنب معه السكرتير المالى
وكانت له فى العادة وظائف واسعة النطاق متعددة النواحي فى الاقتصاد والمالية
(Oikonomos) وكان بجانبه مديرو مالية ، خليوز (Dioiketai) ووكيل مالية
(Hypodioiketai) وكان يشتغل معه المراقب (Antigraphus) ويقول «فلكن»
ان هذا الموظف كان له عمل مستقل عن كل من مأمور التحصيل (Epimeletes)

وعن السكرتير المالى (Oikonomos) بوصفه موظفا في ادارة المالية عامقوكان يمكن الرجوع اليه اما بوساطة وكيل مدير المالية (Hypodioketes) أو بوساطة مدير التحصيل (Epimeletes) للاستعلام عندما يكون الأمر خاصا بالصادر أو الوارد من المال . وكان الأقليم الذى يسيطر عليه كل مراقب محددا من حيث المساحة . على أنه لم يكن من الضروري ان يكون الاقليم الذى يسيطر عليه موحدا مع المقاطعة (١) وكان هذا المراقب بالنسبة لحاكم المقاطعة يعد زميلا لا مرءوسا له . وكان أمراء المقاطعات القدامى لا يزالون موجودين ، غير انهم لم يكونوا في قوة الحكام الحريين ولم يكونوا اصحاب جاه ، ومع ذلك فانهم لم يكونوا تحت سلطان السكرتير المالى ولم تكن حدود سلطتهم دائما موحدة كحكام المقاطعة . فقد نجد في مقاطعة واحدة احيانا مثلاً عدة امراء مقاطعات ، كما كانت الحال في مقاطعة «ارسنويت» (القيوم) ، والواقع ان وظائفهم كانت متنوعة ومن الصعب تعريفها . والظاهر ان عملهم الرئيسى كان متصلا بتنمية أرض الحكومة في المقاطعة . ومع ذلك فان هذا العمل لم يكن خارجا بالكلية عن سلطة السكرتير المالى للمقاطعة (Oikonomos) هذا وكانت كل الاعمال الخاصة بالتقويم ، وعدد السكان وكيفية تقسيم الأرض والأعمال الأخرى الخاصة بالعقار وواجبات السكان للحكومة مثل الضرائب وأعمال السخرة ، وعمل المذكرات عن الضرائب المستحقة . وبالاختصار فان الاعمال الكتابية واعمال الحسابات الخاصة بالمقاطعة والبلد والقرية كانت تقع على عاتق سلسلة من الكتاب الذين كانوا يعتبرون أعظم ما تميز به مصر القديمة من حيث الموظفون . فكان الكاتب الملكى (Basilikos Grammateus) يتخذ مقره في عاصمة المقاطعة كما كان يوجد كاتب مركز (Toparch) في كل مركز من مراكز المقاطعة (Topogrammateus) وكذلك كان لكل قرية كاتبها (Komogrammateus)

هذا وكان جمع المحصول ونقله وتخزينه بوصفه ضرائب وإيجارات مستحقة على الاهالى من عمل رؤساء المراكز والقرى فى كل مركز وفى كل قرية وهؤلاء كانوا منتخبين ومعينين بوصفهم ممثلين للسكان المصريين . وكانوا يعملون بالتضامن مع رؤساء مخازن الحكومة (Thesauroi) الذين كان يطلق عليهم اسم محصلى الغلة (Sitologoi) ، ومع مديرى القروع المحلية للخزانة (Trapezitai) وهؤلاء كانوا نصف موظفين ونصف جامعى ضرائب يقومون بعمليات بنوك مختلفة على حسابهم الخاص . وكان هناك جامعو ضرائب خاصون (= Logeutai) وملتزمون (Praktones) يعملون مع الموظفين السابقين ، ومع صف من مؤجرى الضرائب . وهؤلاء كانوا وسطاء بين الحكومة ودافعى الضرائب من الفلاحين واصحاب الحرف والصناع والتجار . وكانت توكل مهمات خاصة تتعلق بفروع الدخل الذى كان يجبى ، وبفروع أخرى خاصة بالحياة الاقتصادية لمديرى التحصيل (Epimeletai)

هذا وكانت ادارة المقاطعة متصلة بالمعابد بوساطة مشرفين (Epistatai) كانوا يسيرون على أحسن الأنظمة وأثبتها . والواقع أن الحكومة يديرون اعمال المعابد ، وكانوا مسئولين عن تأدية واجباتهم للحكومة ، وذلك لأنهم كانوا الممثلين أمام الدولة عن كل طائفة الكهنة المصريين العديدين الذين كان لديها سلسلة من الموظفين يقومون بشئون المعبد ، وهؤلاء كانوا أحيانا يعينون لغرض خاص ، غير ان تفاصيل ذلك لا تزال تعوزنا .

وأخيرا كان يقف على آخر درج السلم الادارى آلاف الحراس من شتى الانواع قد وكل اليهم أمر السدود والترع والطرق ، والمحاصيل المزروعة والكروم والمخازن والمراعى والماشية وما شاكل ذلك . وهذه الالتزامات كانت تقع على عاتق القرويين الذين كانوا يتحملونها على مضض بوصفها أعباء مقبولة بغيضة .

ومما تجدر ملاحظته هنا ان موظفى المهدالبطلمى لم يكونوا طائفة منفصلة،

فلم يتلقوا تعليما حرفيا كما انهم لم يتعلموا تعليما خاصا يتعلق بوظائفهم ، وكان معظمهم مهاجرين من الاغريق (اللهم الا الطبقة الدنيا من الموظفين ورجال الشرطة ومشايخ القرى Komogrammaties & Phylakitai الذين كان من الممكن أن يكونوا من الأهالي الذين كانوا محاسبين موظفين كبيرين من الاغريق ، وغالبا ما يكونون من أهل البلد الذى أتى منه ، وهؤلاء كانوا ينحطون فى سلك الوظائف من أجل المرتب الذى كانت تدفعه لهم الحكومة . هذا الى أن الرجل المستقيم صاحب الكفاية كان يطمح فى ان يصبح غنيا ويتخذ مكانة سامية بين اخوانه من المهاجرين الذين لم يأتوا الى مصر الا من أجل الغنى ، ونجد فى التظلمات العديدة الدالة على منتهى الخضوع التى كان يقدمها افراد الشعب المصرى لكبار المصريين انهم كانوا يتمنون لهم مجال الحياة فى نطاق حظوة الملك وميله . ومن جهة أخرى نجد أن الوظائف الدنيا الخاصة بالقرى لم تكن الا أعباء ذات مسئولية ثقيلة لا توصل الموظف الى الغنى أو المستوى الرفيع

ويجب ان نشير هنا الى ان ملخص النظام الادارى الذى ذكرناه عن مصر لا منطبق الا على القرن الثالث قبل الميلاد وذلك لانه فى نهاية القرن الثالث وفى خلال القرن الثانى حدثت عدة تغيرات على هذا النظام ، لا نعرف الا القليل جدا منها وكل ما يمكن التصريح به ان نظام الادارة كان يتجه نحو التركيز والتجمع للقوى المحلية فى يدى قائد المقاطعة الذى كان أحيانا يقبض فى يديه وظائف الحاكم المالى الذى أخذ مكان السكرتير المالى العام فى المقاطعة (Oikonomos) وهى وظيفة أصبحت من الدرجة الثانية . ومن التجديدات التى حدثت فى القرنين الاخيرين ق.م فى الادارة هو دخول العناصر الفنية والمتمدينة من المصريين الذين صبغوا بصبغة اغريقية سطحية . غير أن ذلك كان تدريجيا وقد كان من نتائج ذلك فى نهاية القرن الاول ق.م تجدد فى مصر النظام نصف الاقطاعى الذى كان سائدا فى مصر قبل عهد البطالمة على يد المصريين الذين

اصبحوا حكاما للمقاطعات التى كان لا يشغلها الا حكام عسكريون اغريق (Strategoi) يضاف الى ذلك أن المصريين الأغنياء أخذوا يشغلون الوظائف الحكومية اكثر فأكثر . ولما كان الموظف مسئولا أمام الملك عن شخصه وماله فانه كان من فائدة الحكومة ان تجند موظفيها ومؤجرى جمع الضرائب (= الملتزمين) من الطبقة الغنية بصرف النظر عن أصلهم . ولم تكن الوظيفة حتى الان تعد عبئا ولكن كانت تقترب جدا من هذا المصير . وأخيرا نجد انه تحت ضغط الحاجة بسبب ازدياد التذمر فى الوجه القبلى والثورات المتتالية اضطر الملك الى ضم كل الوجه القبلى تحت حكم قائد عام واحد (Epistrategos)

الادارة فى الممتلكات المصرية خارج مصر

تحدثنا فى الفصل السابق عن الادارة الداخلية فى البلاد فى عهد البطلمة الأول ، ويجدر بنا ان نتحدث هنا عن نظام الادارة فى الاقاليم التى اخضعتها مصر لحكمها وبخاصة فى عهد كل من «بطليموس الأول والثانى» اذ الواقع ان مصر قد ضمت لها املاكا شاسعة خارج حدودها وسارت فى حكمها ونظام ادارتها على حسب مقتضيات كل بلد ضمته اليها . والواقع ان مصر فى خلال القرن الثالث قبل الميلاد وهو أزهر عصر فى عصور تاريخها وبخاصة فى عهد كل من بطليموس الأول وبطليموس الثانى ، قد فتحت أقاليم عدة وضمتها تحت سلطانها كما اشرنا الى ذلك من قبل . ولا نزاع فى ان بعض هذه الممتلكات كان ضروريا لحفظ كيان مصر من الغارات الاجنبية كما كان ضروريا لتجارها الخارجية ونخص بالذكر من هذه الممتلكات جزيرة «قبرص» و «سيزينى» و «قرنيقا» ، وشمال سوريا (سوريا الجوفاء) هذا بالاضافة الى «فنيقيا» و «فلسطين» . اما فى «اسيا الصغرى» فكانت مصر تسيطر على «ليسيا» الشهيرة بغاباتها الثمينة التى كانت مصر تحتاج الى خشبها ، وعلى «كاريا» المشهورة بتجارها مع مصر ومصنوغاتها ، يضاف الى ذلك جزء من «أونبا» و «ميليتوس» و «افيسوس» كما كانت تسيطر على حلف من جزر بحر ايجا وكان أكثر هذه

الجزر ولواء لمصر جزيرة «تيرا» THERA وجزء من جزيرة «كرت». كل هذه البلدان والجزر كانت تؤلف جزءا من الامبراطورية البطلمية . واخيرا كان لمصر سلطان على جزء من بلاد تراقيا بما في ذلك «كرسونيس» (Chersonese) وجزيرة «ساموتراس» ، وكذلك وطدت قدمها لمدة قصيرة في «بلوبونيز» وقد تحدثنا فيما سبق عن كيفية استيلاء مصر على هذه الممتلكات وعن ضياعها في الحروب التي استمر لهيها بينها وبين الممالك الأخرى التي كانت تناهضها في تلك الفترة .

نظام الحكم في «قبرص» في عهد البطالمة الاول : الواقع انه لدينا معلومات تامة عن نظام الملك في جزيرة قبرص في عهد البطالمة فقد كان يحكمها قائد حربي (Strategos) يسيطر على قوات كبيرة معسكرة في مختلف مدن الجزيرة وكان نظام الجنود على الطريقة المصرية . وهؤلاء الجنود كانوا بطبيعة الحال قد أخذوا من الجيش المصرى النظامى . وفي خلال القرن الثانى كان حاكم الجزيرة له أسطوله الذى كان من المحتمل ان يستمد جنوده ويجهزها من بلدان سواحل «قبرص» نفسها، وكان يحمل لقباً اضافياً هو أمير البحر (Nauarchos) هذا وكان هذا الحاكم يحمل لقباً رئيساً آخر ، وذلك بسبب الدور الذى كانت تلعبه معابد قبرص الكبيرة الغنية في حياة الجزيرة الاقتصادية والسياسية . يضاف الى ذلك انه كان يوجد في هذه الجزيرة على الدوام حاكم خاص يحتمل انه كان يتمتع بسلطة حربية تامة (Antistrategos) ، كل اليه أمر ادارة مناجم قبرص الثمينة . وكانت كلها على ما يظن ملك الحكومة التي كانت تستغلها أيضاً . ومن المؤكد ان مدن قبرص لم تتمتع قط بالحكم الذاتى الذى كانت تتمتع به المدن الاغريقية . والواقع اذا ان حكام المدن القمليين كانوا قواد الحاميات . وكانوا هم الذين يصدرون أوامرهم للاعضاء الوطنيين المتخفين في الحكومة . وكان الدخل الذى تأخذه مصر من قبرص بلا شك هائلا جدا فمن هذه الجزيرة كانت مصر تحصل على كل ما تحتاج اليه من نحاس وفي موانئ قبرص

كانت مصر على ما يظن تبنى كثيرا من السفن اللازمة لأسطولها وتجارتها هذا ولا نعلم الا القليل جدا عن نظام قبرص المالى والاقتصادى . ويحدثنا «بوليوس» (١) أن قبرص فى العهد الأخير من حكم البطالمة كانت تجبى منها الضرائب ثم ترسل الى وزير المالية فى الاسكندرية . وتدل شواهد الأحوال على ان ما ذكره المؤرخ «بوليوس» ينطبق فقط على القرن الثانى الميلادى وذلك لانه قبل ذلك كان لوزير المالية عمال فى قبرص وغيرها من الممتلكات المصرية يقومون بجمع الضرائب (٢) .

نظام الحكم فى «قرنيقا» : الواقع اننا لا نعلم شيئا تقريبا عن النظام الذى كان متبعا فى قرنيقا فى خلال حكم البطالمة . والواقع أن المسألة الكبرى هو تقرير طريقة للسير على مقتضاها مع مدينة «سيرينى» الاغريقية القديمة. وهذه الطريقة كانت قد وضعت على حسب القانون الجديد الذى كشف عنه وهو الذى يرجع تاريخه لعهد الملك بطليموس الأول حوالى عام ٣٢٢ أو ٣٠٨ ق.م. وفى هذه الطريقة للتعايش ثبت الملك وغير دستور الحلف السيرينى فنجد انه أساسا لم يغير الدستور القديم لسيرينى الا قليلا . هذا مع زيادة بعض مواد اضافها بطليموس ليضمن مراقبة شئون «سيرينى» ، وبها حفظ «بطليموس» لنفسه بعض الحقوق والامتيازات بوصفه المسيطر على المدينة : أولا جعل لنفسه الحق فى ان يضيف للقبائل بعض مواطنين جدد ويحتمل ان هؤلاء كانوا مستعمرين من جيشه المرتزق ، ثانيا جعل لنفسه الحق فى اعادة المنفيين الذين كانوا من حزب بطليموس مع حفظ حقوقهم. ثالثا كان له الحق فى تعيين أعضاء فى مجلس شيوخ اليهود (Gerusia) رابعا يكون لبطليموس حق التصرف فى وظيفة الحاكم . خامسا يكون له الحق فى التدخل فى الشئون القضائية فيما يخص المنفيين السابقين . سادسا جعل لنفسه بعض امتيازات فى منح لقب

Poly. XVIII, 55

(١) راجع

A History of Cyprus by Sir George Hill. Vol. I, P. 173 ff. راجع (٢)

P. Cairo Zen. 59016; P.S.I. 505, & 429.

(٣) راجع كذلك

مواطن . وكما يفهم كانت بعض هذه الامتيازات مؤقته مثل الامتيازات الخاصة بالمنفيين . ولكن حقه في تعيين أعضاء في مجلس الشيوخ اليهودى والحق في ان يكون الحاكم العسكري الدائم كانت بطبيعة الحال مواد مستديمة كما كانت حقوق ملوك براجمين على مدينة «برجام» . ونظام الحكم في مدينة «بطلومايس» في الوجه القبلى التى أسسها على نظم اغريقية . والواقع ان البناء الاجتماعى لسيرينى و«قرنيقا» كما عزى للجغرافى «استرابون» (١) يشبه تماما ما كان فى الاسكندرية ومصر . وذلك ان المدينة كانت تحتوى على عدد كبير من السكان من غير الاغريق وبوجه خاص من اليهود فكانوا يعيشون جنبا لجنب مع المواطنين الذين لهم حقوق كل المواطنين ، أولئك الذين كانت حقوقهم محدودة ، يمثلون عددا عظيما من الاجانب ولم يكونوا مواطنين ابدا بل كانوا جزئيا من أهالى لوبيا . وكان سكان الارياف يتألفون من فلاحين يزرعون أراض تملكها المدينة أو يملكها الملك ، وهؤلاء كانوا على أغلب الظن جنودا استعمروا البلاد بوصفهم جنودا مرتزقة اصحاب ضياع صغيرة .

على أن المسألة الأساسية التى واجهت البطالة فى قرنيقا قد واجهتهم كذلك فى كل مستعمراتهم التى كان يقوم بالدور الهام فيها المدن الاغريقية وفى حلف سكان الجزر والجزر الاغريقية المنفصلة ، وفى «كاريا» و «أونيا» و«ليسيا» والى حد ما «تراقيا» . واذا حكمنا بما لدينا من مادة ضئيلة فان البطالة كان احترامهم قليلا للحكم الذاتى الذى كانت تتمتع به المدن الاغريقية فقد كان سلطانهم على هذه المدن بصورة واضحة ، وذلك لان كل الوثائق الرسمية للمدن الاغريقية فى الممتلكات البطلمية كانت تبتدىء لا بأسماء المدن وأهلها ومجلسها وحكامها بل باسم الملك ، والواقع ان أكثر احترام البطالة كان موجها لحلف سكان الجزر ، وذلك لأنه كان قوة عظيمة منظمة تنظيما حسنا يدعو فعلا الى الاجلال ، ولكن نشاهد حتى فى هذا الحلف ان مثل البطالة الذى

يحمل لقب نيزيارك (Nesiarch) كان هو الحاكم المطلق للحلف . فهو الذى يأمر بعقد اجتماعات نوابه ، وهو الذى ينفذ قرارات مثل هذه الاجتماعات ، وهو الذى يصدر الاوامر للقوات الحربية التابعة للحلف ، ويظهر البحار من القرصان ويجمع المال من أعضاء الحلف ويعين المحكمين للفصل فى المنازعات . ومن جهة أخرى نلاحظ أن البطالمة عملوا من جهتهم أثناء سيطرتهم القصيرة على ألا يتدخلوا فى شئون هذه الجزر الداخلية .

هذا وكانت الأحوال على خلاف ذلك مع البلاد الاغريقية التى فى الاقاليم القرية . فنجد انه على الرغم من وجود مؤسساتهم وجمعياتهم العامة ومجالسهم وحكامهم فانه لم يكن فى استطاعتهم ان يبتوا فى أى أمر هام دون الحصول على الموافقة الأولية من الملك . أى من موظفيه . وخلافا لذلك كانت الادارة دائما تتدخل فى أمور الحياة الصغيرة للمدينة ، وذلك اما مباشرة باعطاء أوامر معينة أو بطريقة غير مباشرة ، وذلك بالرسائل الخاصة والتعليمات . فمثلا نشاهد ان «هليكارناسواس» لا يمكنها ان تبني جمنازيوم دون تصريح من الملك . ونجد فى «ساموتراس» ان الملك هو وحاكمه هما صاحب الحق فى التصريح باستيراد القمح الى الجزيرة أو منعه . كما كان لحاكم الجزيرة الصوت الأعلى فى تقسيم الاراضى بين المواطنين . وفى جزيرة «ميلينوس» كان الملك هو الذى يمنح الاراضى كما يحب ، وان كانت ليست ارض المدينة . ومن الوثائق المفيدة بوجه خاص رسالتان عثر عليهما فى أوراق «زينون» وهما يتحدثان عن «كاليندا» فى اقليم «كاريا» . ففى واحدة منهما تقرأ انه لأجل الحصول على دفعة صغيرة من المال من المدينة لجأ أحد المواطنين الى الوزير «أبولونيوس» ليضغط على الحاكم العسكرى وعلى موظف المالية فى المديرية لاجابة طلبه ، وكذلك ليضغط على الجمعية ومجلس المدينة لتلبية طلبه والرسالة الثانية أكثر أهمية من الأولى وذلك انه فى «كاليندا» كما هى الحال فى المدن البطلمية فى الاقاليم الأخرى كان الملوك يحتفظون بحاميات وكان

الجنود فيها عيالا على المواطنين فكانوا يقدمون لهم المسكن والمأكل دون مقابل. هذا الى ان بعض اصحاب الاملاك كان عليهم ان يقدموا العلف للخيال التي يملكها فرسان معينون وبدهى أن هذا العبء كان يسبب استياء بالغا عند المواطنين ، ومن أجل ذلك نجد ان أحد هؤلاء الذين وقعوا تحت هذا العبء كان من ذوى رحم «زينون» وقد توصل بوساطته ان يحصل على اعفاء من هذه الضريبة. ولكن بعد وفاته كان على أسرته ان تخضع لاداء هذا العبء القديم وقد قابلت هذه الرسالة هوى في نفس «زينون» فقدمه بدوره الى «أبولونيوس» لأجل ان يعيد الحق الذي انتزع من اقاربه . ولم يكن هناك أية فائدة من الاحتجاج على حكم القوة والتدخل المستمر ، وذلك لأن المدن كانت تحت رحمة حامية البطالمة وقائدها . وتدل الاحوال على ان البطالمة كانوا يعلنون بالقول انهم يأتون بالحرية للمدن الاغريقية ولكن كانوا بالفعل أقل تسامحا من السليوكيين بل من الانتاجونيين جيرانهم واصحاب الجاه في تلك الفترة .

والواقع ان اظلم نواحي الحكم البطلمي كان فرض الضرائب بصورة مستمرة منظمة لفائدة الحكومة المركزية وذلك ان المدن الاغريقية قبل ان تخضع لحكم الدول الهيلانستية كانت لها نظامها الخاص بالضرائب والعوائد والاحتكار، ومن المحتمل ان هذه الانظمة قد بقيت معمولا بها مع قليل من التعديلات . ولكن المهم هو ان جزءا من دخل المدينة كانت تستولى عليه خزانة الملك . وقد زاد الطين بلة ان الموظفين الملكيين كانوا يراقبون ما بقى من دخل الاهالى وهذه المعاملة تتفق تماما مع ما جاء من بيان في هذا الصدد في أوراق نشرت أخيرا وفي نقوش أيضا . ففي إحدى هذه الاوراق (١) . التي تحتوى على مقتطفات من رسائل موجهة من وزير المالية الى مديرى الخزانات في مختلف الاقاليم البطلمية ، نجد صورة عامة عن الضرائب تتفق في جملتها مع ما نعلمه عن

الصورة العامة للنظام المالى البطلمى وبما يجرى فى المدن المتعددة . فترى ان ضرائب الأطلان (Phoroi) وعلى حدة منها ايجارات الامتعة العامة ، كان يدفع جزء منها تقدا والجزء الاخر عينا وكانت العوائد تحددها الحكومة المركزية ، هذا وقد ادخلت الاحتكارات فى الاصباغ الارجوانية والزيت العطرية .

وعلى أية حال فان النظام الذى كانت تجبى به هذه الضرائب كان على اساس اغريقى وهو نظام تأجير المحصول . فكان مؤجرو الضرائب افرادا محليين ، ولكن الضرائب كانت تشهر فى المزاد فى الاسكندرية لا محليا ، يبرهن على ذلك الرسائل العدة التى وجدت فى مكاتبات زينون (١) ، حيث نجد ان صورة المزاد الخاصة بضرائب اقليمية وهى التى رسمها لنا جوزيفس فى قصته العجيبة عن مؤجر للضرائب من سوريا الشمالية (٢) ، كانت بوجه عام مضبوطة . هذا وعندما كانت توضع الضرائب فى مزاد لسنة جديدة ، كان أشهر الناس واغناهم فى المكان الذى يعلن فيه المزاد يذهبون الى الاسكندرية ويتنافسون بتقديم أى مبلغ من الرشوة ، وكذلك الغنى فى المزاد الذى يعقد نبيع الضرائب والخراج . واذا حكمنا من المبالغ التى اقتبست فى البردية التى ذكرناها الآن (٣) فان الدخل الذى كانت الحكومة تتسلمه من الأقاليم التى تسيطر عليها كان هائلا . ولا نزاع فى ان دخل البطالمة من الذهب والفضة كان ناتجا من مكاسب تجارتهم الخارجية كما كان كذلك من ابتزاز الأموال من الاقاليم التى كانت تحت سلطانهم . وكان أهم مورد لهم من ذلك العوائد والضرائب التجارية التى كانت تجبى من مدن الساحل فى سوريا الشمالية و «فنيقيا» و «فلسطين» وبخاصة «غزة» وكذلك الضرائب التى كانت تجبى

(١) راجع بوجه خاص الرسالة رقم ٥٩٠٣٦ ، من رسائل زينون ، P. Cairo. Zen. =

59037,59039

Ant. XII, 169 sqq.

P. Teb 8

(٢) راجع

(٣) راجع

من «الاسكندرية» و «بلوز» على السلع التى كانت تأتى من «سوريا» و«فلسطين» كما يمكن ان نستخلص ذلك من مراسلات «زينون» (١) ، ففى الورقة رقم ٥٩٠٧٧ نجد اشارة الى توريد زيت أجنبي لمصر .

هذا وكان مؤجرو الضرائب المحليين يعملون تحت مراقبة موظفى البطالة المستمرة وهم عمال وزير المالية فى الاسكندرية يساعدهم فى انجاز عملهم جنود الحاميات واسماء هؤلاء المؤجرين قد كررت باستمرار فى مراسلات «زينون» الذى كان بدوره وكلاء فى سوريا وفلسطين لسيده الوزير «ابولونيوس» ونجدهم كذلك المذكورين فى الرسائل التى كان يرسلها أو تأتى اليه من اقليم «كاريا» موطنه ومن «كاونوس» (Caunus) و «كاليندا» (Calynda) و «هليكارناسوس» . ويوجد من بين رسائل «زينون» رسالة كلها من مساعده مؤجر ضرائب فى الاسكندرية (٢) ومن المحتمل انه كان يريد تأجير الضرائب . ومن ثم يمكن ان نرى ما يعنى ذلك من وجود شبكة دسائس ورشاو ومناورات تنطوى على الغش والخداع .

هذا وكان وكلاء الوزير كما كانت الحال فى مصر يحملون اللقب المتواضع صراف الخزينة وكان مساعده يسعون كتابا ، ولكن يلحظ أن معظم مساعديه لم يكونوا يحملون القابا فكان الرجل يدعى رجل ابولونيوس وحسب ، كما كانت الحال فى مصر الى عهد قريب جدا ، وهذا يدل بوضوح كيف كانت المديرىات التى تحت سيطرة البطالة تعد مثل مصر نفسها ملكية شخصية للبطالة الواحد تلو الآخر . هذا وكان وكلاء الوزير كذلك يقومون بتجارته الشخصية وكانوا يسعون فى ايجاد وقت للتجارة الحسابه الخاص فكانوا يشترون له زيت الزيتون والنبذ والروائح العطرية والخيول والعبيد ، وكانوا يقرضون قروضا محلية فى ضيعته المشهورة «بفيلادلفيا» من أعمال الفيوم ، وكانوا يسعون فى القيام بتهريب البضائع دون ان يدفعوا عليها ضرائب

والحصول على ترخيص قانونى وهو ما يفعل فى كثير من البلدان المتحضرة حتى الآن .

والواقع ان وزير المالية كان فى يده كل ادارة الحياة الاقتصادية والعناية بخزانة الدولة وما يتبع ذلك من دخل سواء أكان ذلك نقدا أم عينا . ولكن مما يؤسف له ان هذا النظام العظيم وما يحتويه من مؤسسات وادارات كان يقع تحت اسم مبهم وهو «الملكية» وذلك لان الملك والحكومة كانا موحدين . وذلك لانه لم يكن من الممكن التمييز بين ما هو للملك وبين ما هو للدولة . وهذه الظاهرة بعينها كانت سائدة فى العهد الفرعونى . والرجل الذى كان يدير حركة هذه الآلة المركبة المعقدة لحياة البلاد اقتصاديا وماليا كان يحمل لقب مدير Dioiketes . ولدينا معلومات كثيرة كما اشرنا من قبل عن أحد هؤلاء المديرين (وهذا اللقب يقابل فى عهدنا وزير الخزانة) وهو «ابولونيوس» الذى عاش فى عهد بطليموس الثانى وشغل وظيفته حوالى عام ٢٦٨-٢٦٧ ق.م وبقي يشغلها طوال مدة عهد هذا الملك . وهناك ادلة على انه كان قد خلع من وظيفته فجأة وحرّم من ثروته فى أوائل حكم بطليموس الثالث كما سنرى بعد ، هذا ونعرف بعض الشئ عن حياة واحد أو اثنين ممن تولوا بعده هذا المنصب غير انه يصعب علينا ان نميز بين أمور هذا المدير الشخصية وبين نشاطه الرسمى ، اذ نجد كما اشرنا الى ذلك من قبل ان مساعديه ورجال بلاطه وسكرتاريته كانوا يقومون باعماله الخاصة ويشتركون كذلك فى أعماله الرسمية . وكان يرتبط باعمال هذا الوزير ارتباطا وثيقا موظف آخر يدعى محاسب (Eklogistes) وكان يجتمع فى شخصه عمل مراقب المالية وأمين الخزانة وكان له عماله فى كل انحاء البلاد يحمل كل واحد منهم على ما يظهر اللقب الاغريقى Antigrapheus أى مراقب كما اشرنا الى ذلك عند التحدث عن المقاطعات ونظامها .

وان عدم وجود وزير للشئون الداخلية ليكون على رأس الادارة العامة

وليكون في قبضته كل سلطات وواجبات وزير المالية لما يوضح لنا الموقف الفريد الذي كان يحتله دخل البلاد في نفس بطليموس الثاني . ولا نزاع في ان وزير ماليته «ابوللونئوس» كان عند بطليموس الثاني في مركز نائب عنه تقريبا ولا أدل على ذلك من انه كان يستعمل لفظة «نحن» الذي كان لا يستعملها الا الملك كما انه كان يصدر أوامره بالفاظ لا ينطق بها الا الملك (١) .

وهذا يتمثل فيما قاله خدام معبد بوبسطه فاستمع اليهم وهم يقولون : لقد اغفانا الملك من القيام بالخدمات الشعبية وكذلك اغفانا منها «ابوللونئوس» (٢) . وفضلا عن اشراف «ابوللونئوس» على كل موظفى المالية وضيعة الخاصة، فانه كان يهتم باعمال أخرى مختلفة مثل التأثير على حكومة مدينة اغريقية من التى تسيطر عليها مصر فى «كاريا باسيا الصغرى» ، بسبب مسألة مالية (٣) . وفى حالة أخرى نجده مهتما بتجهيز السفن التى حملت ابنة بطليموس الثانى الى «فنيقيا» لزواجها (٤) . فقد أمر هذا الوزير وكيله «زينون» ان يجهز المعدات اللازمة للسفن التى ستحمل الأميرة ومتاعها ، فى حين كان على «ثيون» ان يشحن هذه المعدات على ظهر السفن ويحضرها بالنهر ، وكان كذلك ملزما بان يقوم بهذا العمل على وجه السرعة ، لانه قد وصلت الى ابوللونئوس رسالة مستعجلة لارسال السفن الى الاسكندرية استعدادا للقيام برحلة بنت الملك لزواجها ملك سوريا «اتيوكوس» . يضاف الى ذلك ان «ابوللونئوس» كان يقوم بالاتجار لحسابه الخاص وعلى ذلك كان فى استطاعته ان يؤثر على سير العدالة فى البلاد لمصلحته هو .

القضاء :

وكان نظام العدالة فى عهد البطلمة غاية فى التعقيد ، وذلك لان الاساس

P. Hal. I, L. 200

P.S.I. IV, 440

A.S. XX. P. 32. Cf. Cairo. Zen. 59037, & Wilcken

Arenivj VII, 75

P. Cairo. Zen. 59242

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

الذي بنى عليه تطبيق العدالة هو ان القانون لم يكن مرتبطا في أية مسألة بالمكان الذي يسكن فيه الفرد ، ولكن كان يحدد الدائرة التي يتبعها هذا الفرد . وكانت في البلاد محاكم وقضاة ، كما كان يوجد قانون مدنى وآخر جنائى خاص بالمدن الاغريقية وهى الاسكندرية وبطلومايس ونقراش ، وقانون للطائفة اليهودية الذين يسكنون خارج المدن وللموظفين الاصليين . وكان يطلق على قضاة السكان الاغريق اسم *Chrematistai* . وكان عليهم ان يقوموا بجولات في انحاء البلاد ، ولكن لدينا بردية عثر عليها حديثا في أوراق «زينون» نعلم منها وجود قضاة يعملون بوصفهم نائبين عن «ابولونيوس» ويتلقون الاوامر منه (١) . هذا ونلاحظ انه حتى عندما كان الأمر خاصا بافراد من الاغريق فان دخل الملك كان يوضع فوق القانون ، وهذه كانت حالة مفرعة تدل على منتهى التعسف والاجحاف ، اذ نجد ان استيلاء الملك يمتد حتى الى مصالح الاغريق الذين كانت تركز عليهم قوته وسلطانه . فلم يكن مسموحا لأى فرد من أفراد الرعية ممن يقفون في وجه الخزانة ان يعين محاميا محترما للدفاع عنه . ولا أدل على ذلك من رسالة فى متناولنا كتبها بطليموس الثانى بنفسه لابولونيوس (أى لم يكتبها سكرتيره) خاصة بهذا الموضوع وهى توضح لنا هذه النقطة بجلاء . ولذلك يطيب ان ندونها هنا فاستمع لما جاء فيها تحية الملك بطليموس الى «ابولونيوس» . لما كان بعض المحامين ممن ذكروا بعد هنا قد أخذوا فى الدفاع فى قضايا خاصة بالدخل مما يضر بدخل البلاد فعليك ان تجعل هؤلاء الذين وكلوا عن انفسهم محامين أن يدفعوا ضعف مقدار الخسارة بزيادة العشر للتاج ، وامنعهم من ان يكونوا محامين فى أية قضية مهما كانت . واذا حدث ان ضبط أحد هؤلاء الذين يقومون بالاضرار يدخل البلاد ، يقوم بالمحاماة فى أية قضية فعليك ان ترسله الينا مقبوضا عليه وجرده من ممتلكاته بجعلها ملكا للتاج (٢) . ومن ذلك نفهم أنه عندما قرأ فى

الازمان التى تلت عصر بطليموس الثانى التظلمات التى كان يقدمها صغار القوم وكذلك ما كان يقصه علينا الرواة مظهرين فيه ما فطر عليه هذا الملك من عدل وحق فما علينا الا ان نعود الى قراءة رسالاته كالتى خطها بيده هنا لنعرف الحقيقة الناصعة ، وكيف يكذب الناس على التاريخ ارضاء للملك .

هذا ولم يكن من الواضح أن تسوى القضايا عندما كانت مصلحة فرد من المصريين المواطنين تتعارض مع فرد آخر من الاغريق المستعمرين . وقد رأينا أنه فى وقت من الأوقات كانت اللغة التى كتبت بها الوثيقة التى يركز عليها عصب لقضية المدنية هى التى كانت تحدد فيما اذا كان الفصل فى القضية المقاضى الاغريقى أو القاضى المصرى ومن أجل ذلك نجد أن المبالغ التى كانت تذكر فى الوثائق الديموطيقية قد ذكرت بالعملة المصرية التى كان يتعامل بها المصريون المواطنون وبجانبها تقديرها بالعملة الاغريقية الحديثة المتداولة فى هذا العهد . وكان من الطبيعى أن المصريين أهل البلاد كانوا يفضلون أن يفصل فى قضاياهم عند أقرب موظف من أن تفصل فيها المحاكم المعقدة التى كانت تحتاج الى وقت طويل وتجهيزات طويلة شاقة وبخاضة انهم كانوا لا يعرفون اللغة اليونانية عندما تكون القضية بين مصرى واغريقى . هذا وكانت منشورات الملك ومرسوماته وقوانينه هى القوة المنظمة التى كان لابد للمحاكم والموظفين السير على مقتضاها ، وهى التى بمقتضاها وعلى أساسها أخذ يتألق شيئا فشيئا فى البلاد ما يشبه قانونا موحدا .

القانون المصرى :

والقانون الذى تحدثنا عنه كان فى الواقع قانونا مختلطا ولكن المصريين كان لهم قانونهم الخاص الذى كانوا يسرون عليه منذ عهد الفراعنة ويرجع الى أقدم العهود وكانت سياسة البطالة منذتولى الحكم فى مصر أن يتركوا المصريين بقدر ما تسمح به أحوال الحكومة ونظمها أن يتمتعوا بنظمهم القانونية التقليدية التى كان يسميها الاغريق قانون البلاد والريف فى حين كانوا يطلقون على

قوانينهم القوانين المدنية التى كان يصدرها الملك لأولئك الذين كانوا يتمتعون بلقب المواطنين وهم الاغريق . وهذه القوانين كانت للاغريق فقط وقد راعى البطالمة فى وضعها القانون الاغريقى وعلى ذلك كان هناك نظامان من القوانين يسيران جنبا لجنب فى مصر وقد تحدثنا فيما سبق عن القانون الاغريقى الذى كان مستمدا من الوثائق الاغريقية أما القانون المصرى فقد استخلص من الوثائق الدسوطيقية ومنفرد له بابا خاصا فيما بعد .

النظام الاقتصادى فى عهد بطليموس الثانى :

تحدثنا فيما سبق عن الحكم فى عهد بطليموس الثانى من حيث الملكية والجيش والأسطول وأقسام البلاد الجغرافية وما طرأ عليها من تغيير ونظام الحكم فى المقاطعات وفى المديرىات التى كان يسيطر عليها البطالمة خارج مصر وعلاقته بها وعن الوزير والمهام التى كان يقوم بها ، وأخيرا تحدثنا عن النظم القضائية الاغريقية . والآن يجدر بنا أن نتحدث عن النظام الاقتصادى نفسه الذى كانت تسير عليه البلاد وأساسه تربة مصر التى كانت ملكا لبطليموس الذى كان فى تصرفاته من حيث ملكية الأرض لا يختلف عن تصرفات الفراعنة طوال مدة حكمهم لأرض الكنانة من أول «مينا» مؤسس المملكة المصرية المتحدة حتى تقطاب الثانى آخر من اعتلى عرش الفراعنة . ولما كانت مصر تعد دائما فى الأزمان الغابرة بلدا زراعيا لخصب تربتها فان جل هم بطليموس الثانى الحصول من تربة أرضها على أكبر محصول ممكن . فكان يعطى جزءا من أراضى مصر لآخرين لزراعة ويقوم هو بزرع جزء كبير لحسابه الخاص ، ولاسيما فى أرض الدلتا والفيوم التى قام باصلاح مساحة عظيمة منها بتجفيف جزء كبير من بحيرة قارون وكانت هذه الأراضى فى يده فعلا يقوم بشيرها له الفلاحون المصريون الذين دربوا على هذا النوع من العمل منذ أزمان سحيقة . وهذه الأراضى كان يطلق عليها أراضى الملك كما أن الفلاحين الذين كانوا يقومون بفلاحة الأرض وزرعها يلقبون بالفلاحين الملكيين .

وكانت الأراضى التى يمنحها الملك موزعة على أربع طبقات (١) من سكان مصر . فأراضى المعابد كان يتولى الملك زرعها على غرار زرع أرضه هو ، على أن يعطى المعبد ما يحتاج اليه من محصولها ، ثم الأراضى التى كان يمنحها الملك للجنود المرتزقين وقد تحدثنا عنها فيما سبق ، أما الطبقة الثالثة من ملاك الأرض فكانت تمنح لملاك خاصين وهذا النوع من الملاك قد زاد كثيرا فيما بعد . وهذه الأرض كان يقصد بها فى العهد الأول من عصر البطالة فى الواقع البيوت والبساتين . والطبقة الرابعة من هؤلاء الملاك كان يقصد بها ملاك الضياع الكبيرة وهى التى كانت تعطى منحة . وذلك أن بطليموس الثانى كان يمنح بعض كبار الموظفين مساحات عظيمة من الأرض لزراعتها وتنمية مواردها ، على أن الملك كان له الحق فى أن يستردها عندما يريد . وقد وصلت إلينا معلومات كثيرة عن إحدى هذه الضياع الشاسعة فى القيوم وتبلغ مساحتها حوالى ٥٥٠٠ فدان وتشمل قرية فيلادلفيا وكانت منحة من بطليموس الثانى لوزيره «ابولونيوس» . ويرجع الفضل فى معرفة الشيء الكثير عن هذه الضيعة الى الكشف عن معظم المراسلات الخاصة بمدير بيت ابولونيوس هذا المسمى زينون ، ويمكن أن تتبع أحوال هذه الضيعة وريها ومبانيها وزراعتها بصورة دقيقة لحد كبير وتدل هذه المراسلات على أن «ابولونيوس» هذا كان ملكا صغيرا كما أشرنا من قبل ، فى ضيعته هذه . والواقع أن مثله كان كمثل أمراء الاقطاع فى العهد المتوسط الأول من تاريخ مصر القديمة فكان ابولونيوس كأمر الاقطاع يتمتع بكل ما كان يتمتع به الملك ولا ينقصه الا الاعتراف له بلقب الملك قانونا ، فقد كان له بلاطه وجيشه من الموظفين الخاصين به ولكن الفرق الوحيد هنا بينه وبين الأمير المصرى الاقطاعى هو أن بطليموس كان على اتصال تام بمملكة ابولونيوس الصغيرة ، يدل ذلك على أن الملك ذات مرة

(١) راجع نظام تقسيم أرض مصر فى عهد الرعامسة فى مصر القديمة الجزء الثامن صفحة ١٥٧ - ٢٤٦

أمر ابولونيوس أن يجرب في تربة ضيعته بعض المزروعات وذلك أن ابولونيوس كتب لمدير ضيعته «زينون» يخبره أن الملك أمر بأن يزرع زرعة أخرى في ضيعته التي لم تكن تزرع الا مرة واحدة ، وقد فعل ما أمر به وبعد حصاد الغلة المبكرة كان على «زينون» لأجل أن يحصل على محصول ثان أن يروى الأرض بالشادوف اذا احتاج الأمر الى ذلك ، أمر بالآلا يفرق الأرض بالماء أكثر من خمسة أيام ، وبعد جفاف الأرض كان عليه أن يزرع القمح الذى كان لا بد أن يمكث في الأرض ثلاثة أشهر . وأخيرا كان عليه أن يخبر «ابولونيوس» عن الميعاد الذى سيكون فيه قادرا على جنى المحصول . والواقع أنه ليس فى الامكان معرفة ما يقصده الملك بالضبط اللهم الا اذا كانت طريقة تشير الأرض مرتين فى السنة قد عرفت فى عهد بطليموس الثانى فتروى زرعة بالحياض وأخرى بالشادوف وهذا جائز جدا (١) .

ومما سبق نفهم أن أرض مصر كانت على الأقل نظريا ملك بطليموس الثانى، كما كانت ملك كل فرعون فى العهود القديمة وكان الفرعون أو بطليموس فى كلتا الحالتين يمنح آخرين حق القيام باجراء تجارب معينة فيها . ويمكن القول بصورة عامة أن هذا التصرف كان يتخذ ثلاث طرق رئيسية :

(١) : كانت توجد معاملات يقبض بطليموس على زمامها ويديرشونها هو بنفسه وهذا كان نظام الاحتكار المشهور (٢) وهناك معاملات أخرى كان له فيها قسط فقط أى أنه كان يأخذ قسطا من أرباحها ويسمح لأفراد رعيته بأن يأخذوا الباقي من انتاجها (٣) وأخيرا كانت هناك عمليات ليس للملك فيها أى قسط من الربح ، ولكن كان له مبلغ معين سواء أكان ذلك جزءا من المحصول

أم دفع مبلغ للترخيص بإجراء أشغال وهذا يعنى أن الملك قد باع لرعاياه حق السماح بالقيام بعمل أو مصلحة .

أما حرية التجارة أو القيام بمزاولة عمل حر فلم يكن على ما يظهر من الأمور المعروفة في مصر البطلمية إلا في ثلاث من المدن الاغريقية وهى تقرأش والاسكندرية «بطليمائس» وهى التى كانت تعتبر مدنا حرة على غرار المدن الاغريقية الى حد معين كما شرحنا ذلك من قبل . ومن المحتمل أن تجار التجزئة لم يكونوا الاعلاء للحكومة في توزيع السلع وبخاصة في السلع المحتكرة . هذا وقد كان الفرد يدفع للحكومة ضريبة للحصول على امتياز كسب اللقمة . حقا كلنا يدفع ضرائب ، ولكن في مصر في عهد البطالمة كان القوم يدفعون ضرائب فادحة تتعدى حدود الضرائب المعقولة . ولم يشذ عن هذا النظام الا المدن الثلاث السالفة الذكر على ما يظن ، فقد كانت الارض التى يستغلونها ملكا لهم ، وكذلك يحتمل أنه كان لهم حق التجارة الحرة بالتجزئة ومن الجائز أنه كانت في الاسكندرية جمعية تصدير السلع تتمتع ببعض حقوق وحرية خاصة ، وذلك لأنه ليس في استطاعة الانسان أن يفهم كيف كانت الصادرات تسير بغير هذه الطريقة . والواقع ان الحكومة كانت تراقب كل شئ خلافا لما كانت تتمتع به هذه المدن ، وتدل الظواهر على وجود ثلاثة أنظمة كانت تتبعها الحكومة لجمع دخل البلاد وهى أولا مبالغ معينة تدفع للحكومة وثانيا : نصيب من أرباح الأفراد يستولى عليه التاج وثالثا : دخل ما ينتج من الاحتكار الحكومى لبعض السلع ، وكل هذه الأمور كانت تسير جنبا لجنب فيما يخص ثلاثة أنواع الأغذية الرئيسية وهى القمح والنبذ والزيت . ويمكن أن نقص عن هذه المواد الثلاث لئرى ماذا كان يفعل بطليموس الثانى ومن جاء بعده وسار على منهاجه لجمع المال بصورة لم يعرفها التاريخ من قبل : القمح : كانت مصر في كل عهودها القديمة بلادا زراعية وأهم محاصيلها القمح في كل العصور ، وفي عهد البطالمة نجد أن كل الأراضى كانت تزرع

قمحا بالأيدي العاملة وكان للملك جزء من محصولها .

ولكن نجد في الأرض التي كان يقوم الملك بزرعها لحسابه تجديدا مشيرا في نصيب الملك فقد كانت العادة منذ أقدم العهود الفرعونية والاسيوية أن يستولى الملك على عشر المحصول . وهذا كان يعنى أنه كان شريكا آمينا مع فلاحيه فقد كان ما يأخذه من المحصول لا يزيد عن كسر بسيط وهو العشر ومن ثم فانه كان في السنة التي ينقص فيها المحصول بسبب الآفات أو قلة الماء كان يشارك المزارع في النقص الذي كان يلحق بالأرض التي يزرعها ، ولكن نجد أن بطليموس الثاني كان في عهده لا يتحمل أية خسارة من ذلك . فقد كان يأخذ من كل فلاح مقدارا معيناً من القمح سواء كان المحصول حسنا أم سيئا ، وعلى ذلك كان الفلاح لا يأخذ أى شيء من محصول أرضه الا بعد أن يوفى بطليموس نصيبه المحدد ، فكان على الفلاح أن ينقل نصيب الملك من جرن القرية الى مخازن بطليموس وهناك كان يوزن ويتسلم به ايصالا من الموظفين المختصين . ولا نزاع في أن هذا التغير عما كانت عليه الحال في عهد الفراعنة يعد خروفا فظيحا لما تعود الفلاح واجحافا بحقه ، وفي الوقت نفسه كان ربعا عظيما للملك . وقد كان القمح يؤخذ من جرن القرية الى جرن المقاطعة ثم يشحن في سفن تسير على النيل الى مخازن الملك في الاسكندرية ليكون جاهزا للتصدير . وكان بطليموس الثاني أكبر مصدر للقمح من بين تجار مصر ، هذا وقد حفظ لنفسه كذلك الحق في شراء الفائض من الغلال في البلاد بالثمن الذي كان يحدده هو .

وكان بطليموس الثاني يصدر أمرا سنويا بتحديد مساحة الأرض التي تزرع قمحا من الاسكندرية . وعندما كانت تصل القائمة بمقدار الأرض التي كانت ستنتب القمح من الاسكندرية الى عاصمة المقاطعة كان يتدبى عمال الملك في توزيع كمية البذور التي ستزرعها كل قرية . والظاهر أن هذا الاجراء كان خاصا فقط بأراضى التاج أو الاراضى التي كانت تحت إشرافه كأراضى المعابد

أما الاراضى الأخرى مثل أراضى الجنود المرتزقين فكان ملاكها يتصرفون في زرعها حسبما يشاءون وذلك فى عهد بطليموس الثانى .

وكان المواطنون المصريون يزرعون أراضيم قمحا فى حين أن السكان الاغريق كانوا بوجه عام يزرعون أرضهم كروما ، وكذلك كان مباحا للجنود المرتزقين أصحاب الأراضى الصغيرة المساحة أن يزرعوا أرضهم كروما اذا رغبوا فى ذلك . وكثيرا ما كانوا يفعلون ، وذلك لأن الفائدة من محصول الكروم كانت تبلغ على وجه التقريب خمس مرات قدر فائدة محصول نفس المساحة من الأرض المزروعة قمحا (١) .

هذا وكانت توجد ضريبة قديمة تسمى ابومويرا (Apomoira) تقدر بسدس المحصول على الكروم وكانت تدفع للمعابد . وقد حول بطليموس الثانى هذه الضريبة لاقامة شعائر دينية لزوجه المؤلمة «ارسنوى فيلادلفس» . وقد ظن بعض المؤرخين أن هذه الضريبة كانت تدفع لبيت مال بطليموس الثانى ، وعلى أية حال قد تنفس الصعداء الاغريق الذين كانوا يدفعونها لأنهم تحلصوا من دفعها لرجال الدين المصريين الذين كانوا على غير دينهم . وستحدث عن هذه الضريبة فيما بعد .

والواقع أن زراعة الكروم كانت من أهم المحاصيل المصرية القديمة ، وكانت توجد كروم ملكية تعتبر فى الأصل ضياعا شخصية للملك وأفراد أسرته وكانت البيوت الملكية محاطة بالكروم (٢) . وكان من المعقول أن يكون للفرد الذى يزرع الكروم أو الأشجار المثمرة حق ملكية ثابتة نسيلا لأن كل الاراضى كانت تعتبر ملك بطليموس ، وذلك لأن أشجار العنب كانت لا تؤتى ثمارها الا بعد عدة سنوات ، هذا فضلا عن أن الكروم كانت تحتاج الى التهذيب والرعى كما كانت تحتاج الى مهارة كبيرة . ومع ذلك فإن الملك كان يشرف على زراعة

(١) راجع A. Jardé, Les Céréales dans l'Antique Grec : I, 1925, 187

(٢) راجع Preaux, L'Economie Royale des Lagides. P. 165; Rostovtzeff Kolonat. PP. 14 ff; & A Large Estate. P. 94.

الكروم والفاكهة ، ومع السماح بإنشاء كروم جديدة كان في استطاعته أن يشرف على تقدم محصولها كما كان في مقدوره أن يمنع ازدياد الأرض المزروعة بالكروم على حساب الأراضي التي كانت تزرع قمحا ، ومن أجل ذلك كان يفضل الإغريق دون المصريين على زرع الأرض التي أصلحت حديثا أو التي لم تكن صالحة لزراعة الحبوب بالكروم ، وكان من إجراءات التسهيل التي نهجها الملك في هذه السبيل أنه أعفى الأراضي التي كانت تزرع حديثا بالكروم والبساتين من الضرائب كما خفض الضرائب من السدس إلى العشر . والواقع أن أهمية الكروم كانت عظيمة في نظر ملوك البطالمة كما كانت عند قدماء المصريين وترجع زراعة العنب في مصر إلى أقدم العهود وكذلك استخراج النبيذ منه يرجع إلى عهد الأسرة الأولى (١) . وقد اهتم بطليموس الثاني بزراعة أشجار العنب بوجه خاص في الضياع الواسعة المساحة ، ولا أدل على ذلك من أنه يلحظ في ضيعة «ابولونيوس» في «فلادلفيا» من أعمال الفيوم اهتمام عظيم من قبل الملك بزراعة الكروم فنقرأ في سلسلة من الرسائل المستعجلة ما بين عامي ٢٥٧ إلى ٢٥٥ ق.م أن آلافا من شجيرات العنب وشجر الزيتون والتين والنخيل والتفاح والكمثرى والجوز والرمان قد قُلت من ضياع «منف» وحتى من بساتين الملك لتزرع في فيلادلفيا ، وهكذا تقرأ في بطاقة من وزير المالية «ابولونيوس» أنه يعلن أن مدير بيته «زينون» بارسل عشرة آلاف شجرة عنب وألف وسبعمائة شتلة وخمسمائة شجرة رمان (٢) . في حين نجد شكوى قد وجهت إلى رئيس الشرطة في «فلادلفيا» أعلن فيها مقدمها سرقة ٣٠٠٠٠ من قوائم الغاب من كرم مساحته ستون أرورا ملك «زينون» وصديقه «سوترات» (٣) ، وهذا يقدم لنا دليلا على أهمية الكروم في اقتصاد

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثاني ص ٨٣ - ٨٥

P. Cairo, Zenon 59162

(٢) راجع

(٣) راجع

مصر (١) . وقد تحدث «روستو فتزف» عن الاهتمام بزراعة أنواع عنب من أجود الأصناف مجلوبة من بلاد الاغريق واستخراج أنواع جيدة من النبيذ منها (٢) . هذا نجد اهتماما بأقلمة انواع الاشجار الغريبة وجعلها تنمو في مصر . من ذلك أن «زينون» وجه لأحد رجال الكروم نصائح منقولة عن بحث في زراعة الكروم (٣) . ونجد في قائمة النباتات التي أمر بزرعها في ضياع «ليزيماكوس» الثرى (ويحتمل أن يكون ابن الملك) وهى من أهم الوثائق التاريخية المثيرة ، وتحتوى على شتلات تين برى من كيوس Chios وتين ليدى حلو وأحمر ورماني ثمرته بدون بذور وشجر مشمش يثمر مرتين وعنب قطوفه قاتمة اللون من كليسيا وغير ذلك من أنواع الفاكهة النادرة (٤) . وهذا المجهود الذى بذل لأقلمة أشجار ثمار جديدة في مصر لتدر الأموال الكثيرة لزيادة دخل بطليموس الثانى كان عملا قام به الاغريق في مصر لصالحهم هم ، وقد جلبت هذه الأشجار من مقدونيا وتراقيا وجزر بحر ايجه . وكانت كلها أنواعا مثمرة طعمها لذيذ وألوانها مختلفة . ولا نزاع في أن بطليموس قد شجع هذه المشروعات الزراعية ، بل ويجوز أنه هو الذى أمر بها . وذلك لأن النبيذ الاغريقى كان محببا بدرجة عظيمة لأهل الاسكندرية وكان يباع بأثمان أعلى من أثمان النبيذ الوطنى الذى كان أقل جودة، وكان الأخير هو المحصول القديم الذى يستخرج من الكروم التى كانت منذ أقدم المهور ويزرع في جهات مختلفة في أنحاء القطر المصرى ، ونخص بالذكر منها «بوتو» و«بلوز» و«مريوط» والوجه القبلى والوجه البحرى عامة. وقد تناولت موضوع النبيذ وأنواعه وألوانه في غير هذا المكان (٥) .

A Large Estate 93-103

A. Large Estate. P. 95.

P.S.I. 624; A Large Estate 96

P. Cairo Zenon 59033

Excavations at Giza. The offering List in the Old Kingdom. (٥) راجع

Vol. VI. Part II. P. 399-402.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

وقد كان يسبق جمع الضرائب مراقبة شديدة على عصير العنب. ولا غرابة في ذلك لأن «بطليموس الثاني» كان له ضريبة على محصول الكروم تقدر بنحو ٣/٣٣١. وذلك على قاعدة متوسط ثلاث سنوات ، كما كان له عوائد بنفس النسبة على أنواع النبيذ الأجنبي . ولكن مما تجب ملاحظته في هذا الموضوع هنا أن النبيذ بخلاف القمح كانت تؤخذ ضريبته بنسبة معينة من المحصول أى أن الحكومة كانت تشارك أصحاب الكروم وهم اغريق في الخسارة في حين أنها لم تشارك زراع القمح في خسارتهم ، إذ كان عليهم أن يدفعوا مقدار معيناً من القمح عن كل أرورا من الارض سواء أكان المحصول جيداً أم رديئاً . وهذا مثال صارخ في تفضيل الاجانب على المصريين .

احتكار الزيت

من أهم السلع الضرورية للحياة في مصر الزيت بأنواعه وقد أحدث بطليموس الثاني أعظم تجديد عرف من الوجهة الاقتصادية في هذه المادة ؛ وذلك بإدخال نظام الاحتكار في الاتجار به . ولا نزاع في أن بطليموس قد اقتبس فكرة الاحتكار هذه عن نظام الاحتكار الذي كان سائداً في المعابد المصرية وعند ملوك مصر القديمة ومن المحتمل أنه قد نقلها عن ممالك أخرى مجاورة له ولكن الأمر الذي يلفت النظر في نظام الاحتكار الذي اتبعه بطليموس الثاني هو أنه قد بالغ في تنفيذه الى حد لم يعرف من قبل (١).

وقد أصدر «بطليموس الثاني» مجموعة قوانين للدخل في السنة السابعة والعشرين من حكمه أى عام ٢٥٩ ق.م والظاهر أن هذه الوثيقة عبارة عن مجهود لوضع تشريع للقواعد التي تنظم أجزاء اقتصاد الدولة ودخلها الذي كان يجمعه مؤجرو الضرائب . ويلاحظ أن بعض الضرائب التي تناولها القانون الجديد كانت تجبى قبل صدور هذا التشريع . ويلاحظ كذلك انه بالنسبة

(١) راجع Claire Preaux, L'Economie Royale Des Lagides, P. 65 ff. Real Encyclopadie de Paul-Wissowa by Fè Heichelheim (1930).

لبعض الضرائب نجد نظام بيع الضرائب قد أدخل أولا في القانون الجديد وقد نشر مخطوط القانون بأمر من بطليموس الثانى وقام بنشره الوزير «ابولونيوس» وقد ألقه موظفوه . والملاحظات التى وجدت فى نسخة القانون وهى التى حفظت لنا الأنظمة واللوائح كتبها الرجل الذى أرسل الى الاسكندرية بنسخ القانون الخاص بموظفى الفيوم وهو الذى نسخ الصورة التى كانت فى مكتب الوزير «ابولونيوس» (١) . وكان من أهم المواد التى جاء ذكرها فى هذا القانون احتكار الزيت بكل أنواعه . والواقع أننا نجد فى هذا القانون وصف استيلاء الملك على محصول المواد التى كان يستخرج منها الزيت ، كما كان يسيطر على معامل الزيت وتجارته فى داخل البلاد وخارجها . هذا وكانت أنواع الاحتكار الأخرى ، للسلع والمواد المتنوعة تسير على نفس النظام الذى اتبعه فى احتكار الزيت وستحدث أولا عن احتكار الزيت لأنه كان يعد مصدر دخل عظيم لبطليموس الثانى . وكان أعظم شئ اهتم به بطليموس الثانى بطبيعة الحال فى هذا الصدد هو زراعة النباتات الدهنية التى يستخرج منها الزيت فكان أول عمل يقوم به عمال بطليموس هو حصر الأراضى التى خصصت فى كل مقاطعة لزراعة السمسم ونبات حب الملوك (كرتون) . هذا ولم يذكر حصر الأراضى التى كانت تزرع زيتونا لأنه كان خارجا عن حدود الاحتكار ؛ وكان يعرف فى مصر القديمة ، غير أنه لم يكن يزرع على نطاق كبير (٢) . وكان من محصول هذه المواد يورد على القور الى محصل الاحتكار . واليك مثال يضع أمامك صورة الزراعة فى المقاطعة الساوية بما فيها مدينة قراش المستقلة كانت المساحة التى تزرع سمسا تبلغ عشرة آلاف أرورا وزراعة حب الملوك ١١٨٤٣٣٢/٣ أرورا وكان يزرع لتموين الاسكندرية

وحدها حوالى ٢/١٠٠٦٦٦١ أرورا^(١) . وكان الملتزم بمنتجات هذه المساحات فى المقاطعة الساوية لا يحصل أية ضريبة . وخلافا لذلك كانت تستولى الاسكندرية على ثلاثة آلاف أردب من السمس لاستهلاكها الخاص . وهاك حالة مقاطعة أخرى لا تنتج من هذه المادة بقدر ما تستهلك ، ففى مقاطعة وادى النظرون كانت مساحة الأرض التى تزرع سمسا هى ثلثماية « ارورا » وعلى ذلك كان يورد إليها من مقاطعات أخرى أربعة آلاف أردب من حب الملوك . وكان يجب معالجتها بمعرفة مؤسسة التأمين . هذا وكانت الضريبة المفروضة على «حب الملوك» يدفعها العميل الذى كان يؤجر ضرائب مقاطعة وادى النظرون . ومن ثم نرى أن ادارة الوزير كانت تنظم بين المقاطعات التبادل فى المواد الأولية فتمد المدن والأقاليم الفقيرة بما تحتاج اليه ، وذلك بأن تفرض على المقاطعات الخصبة مقادير معينة من الاراضى الصالحة لزراعة الحبوب . هذا ونجد خلافا للمقاطعة الساوية أن المقاطعة اللوية (بروبوزيت المقاطعة الرابعة من مقاطعات الوجه البحرى) والمقاطعة السمنودية واقليم طيبة كلها كانت تزرع نبات «حب الملوك» لتموين الاسكندرية ، وكانت تمون «منف» مقاطعة الفيوم فى حين أن مقاطعة وادى النظرون وكذلك المقاطعات غير الصالحة لانتاج هذا الصنف كانت تأخذ ما تحتاج اليه من جيرانها الغنية فى زراعته وعلى أية حال فانه اذا كان هناك نظام يسيطر على توزيع مادة أولية فى كل أنحاء البلاد فانه لم تكن مصر بل كانت المقاطعة هى التى تؤلف الكيان الاقتصادى ، وذلك لأنه لم تكن تجمع فى كل مصر مخازن موحدة عامة لكل محاصيل البلاد ، وذلك لأن الشئ المثالى فى هذا الصدد كان على العكس هو أن كل مقاطعة كانت تعمل على أن تكفى نفسها بنفسها فى حدود مواردها ، وان تستورد أو تصدر قليلا بقدر المستطاع . وكانت الضمانات أو الالتزامات لتأجير الضرائب تباع فى كل

مقاطعة . ولا نزاع في أنه لم يكن في مصر أصحاب رؤوس أموال كبيرة من أولئك الذين كانت عندهم القدرة المالية لشراء ايجار كل الأراضى المصرية الخاصة بالاحتكار الملكى لصناعة الزيت . واذا كان «بطلبوس الثانى» قد أدار على الفور زرع أراضى هذا النوع من الاحتكار بدلا من تأجيرها فانه بذلك كان في مقدوره أن يكون من مصر وحدة اقتصادية ويحقق نظام المركزية التام ، ولكن الاتجار من جانب الملك كان يكشف عن قصدين يرمى اليهما . أولهما أنه يؤكد ضمانات للدخل وثانيهما ألا يربط نفسه برؤوس أموال في استغلال الأرض ، وهذا الحذر المزدوج - وقد كان بلا شك أمرا ضروريا - يسيطر كما سنرى على طرق ادارة الجزء الأعظم من الدخل - وسنفسر هنا كيف كان يتفق استقلال المقاطعات مع وجود الحكومة المركزية . ويتساءل المرء كيف يتسنى للملك أن يأخذ على عاتقه توريد كمية معلومة من المواد الأولية للمتزين ؟ ولا نزاع في أن الملك بأخذه على عاتقه هذه المسئولية كان ينتظر حدوث عجز ، ولكن الجهاز الملكى كان كهيلا في حالة وقوع عجز لسد هذا العجز بواردات تأتي اليه من مقاطعات أخرى ، ولأجل أن يكون هذا الجهاز كهيلا بتوريد المتزين محصولا معيناً ، فانه من الواجب أن يكون لهم بعض الحق لأخذ هذه المحصولات من المزارعين وهؤلاء فضلا عن أنهم كانوا يخضعون لمراقبة كان مفروضا عليهم تأدية ما عليهم من التزامات ومن الجائز أن هذا الأمر كان سهلا ميسورا اذا كانت كل مصر ضيعة الملك وحسب . ولكن الأمر لم يكن على هذا الزعم ، وذلك أنه لو كانت الأملاك الملكية بالمعنى الحقيقى ممتدة جدا في الفيوم في خلال القرن الثالث ق.م فانه مع ذلك كانت هناك أراض قد نزل الملك عن حق استغلالها مثل الاقطاعات التى يملكها الجنود المرتزقة والضيايع وأراضى المعبد هذا بالإضافة الى الأراضى الخاصة . وتدل الشواهد على أن موظفى الملك كانوا يشرفون على كل هذه الأراضى ، ولكن اذا شاهدنا في الضيايع كتبة الملك يقومون بمسح الأراضى المزروعة

مسمما وكذلك اذا لاحظنا أن أحد الجنود المرتزقة من المستعمرين يشهد على عقد تم ابرامه مع حاكم البلد بأنه بذر اقطاعته التى تبلغ مساحتها ثمانين أرورا وأنه تسلم مقدما مبلغا للصرف منه على زراعة الاقطاعة فان ذلك لا يدلنا على أن زراعة الحبوب الدهنية أمرا مفروضا على هذه الأراضى وأخيرا نقرأ فى ابجارات أراضى الجنود الاقطاعيين مادة تفهم منها أن المؤجر يسمح للمستأجر أن يبذر الأرض بالحب الذى يرغب فيه وأحيانا يضيف بذر سبسم . وهذا الشرط الخاص بالسبسم يفسر بلا شك بأن مقدار الايجار يجب أن يختلف باختلاف الزرع الذى ينبت فى الأرض (١) . وعلى ذلك لا يمكن أن نؤكد أن المستولين على الأرض التى نزل عنها الملك وهى الضياع والأراضى المقدسة كانوا مرغمين على زرع نباتات دهنية ، ولكن هذا كان ضروريا ، ومن جهة أخرى كانت الأراضى التى فى حوزة الملك فعلا تؤجر ، ولكن لا تفهم بالضبط كيف كانت تفرض على المؤجرين الالتزام الذى كان ضروريا لتحقيق منهاج الانتاج بصرف النظر عن قبول العقود التى أبرمت بحرية . وتلافيا لهذه الصعوبة كان هناك علاج للتغلب عليها وهو مسؤولية الموظفين . وذلك أنه كان عليهم فرض قائمة المزروعات على المستأجرين . ولدينا وثائق عدة تظهر لنا العناية التى كانت تقوم بها الادارة لتحديد أرض قرية لم تكن قد زرعت ذلك بفرض زراعة انواع ذكرت فى قائمة المزروعات .

هذا وقد ثبتت مسؤولية الموظفين بصورة أوضح فى قانون الإيرادات فنجد فيه أن حاكم المقاطعة وحاكم المركز ومعهما وكيل الخراج وسكرتيه والمراقب كانوا يطلعون النائب على زراعة الأرض المستأجرة فاذا لم يجدوا بعد مساحة الأرض أن عدد الأرورات المحدلهم يبذرفانه كان على كل من حاكم المقاطعة وحاكم المركز والمحاسب والمراقب أن يدفع غرامة على غلطته للخزانة الملكية قدرها ثالنتان كما كان عليه أن يدفع لأصحاب الضمان غرامة مشروطة

قيمتها . وكذلك كان هؤلاء الموظفون مسئولين عما يجب توريده لمؤجرى الاقطاعات التى فيها تقص فى التوريد . هذا وكانت البذور المخفوظة فى مخازن الدولة تباع لموظف خاص بتوزيع البذور سواء أكان حاكم مقاطعة أم حاكم مركز . وكان يدفع ثمنها من النقود التى دفعها له السكرتير المالى . وكانت توزع بعد ذلك على الزراع قبل ميعاد الحصاد بستين يوما . وإذا كان موظف التوزيع لم يقوم بواجبه لدرجة أن الزراع لم يبدؤوا المساحة المحددة على حسب القانون فانه كان يلزم بأن يدفع للمؤجر الغرامة المقررة ، ويكون له الحق فى الرجوع على الزراع اذ اكانوا قد عصوا أوامره . وعلى هذا الوضع كان ينظم بين الموظف والفلاح اختيار المزروعات ، ويرجع الفضل فى ذلك الى نظام الاقراض على البذور التى كانت توزع قروضا .

وكان الأفراد المعفون من الضرائب وكذلك ملاك الأراضى والقرى بوصفها ضياعا ، وأولئك الذين كان لهم حق التمتع بالأرض بوصفها هبة كل هؤلاء جسيما كان لهم الحق فى استعمال البذور التى احتفظوا بها عندهم من المحصول السابق .

وعندما يقارب المحصول النضج يعلن الزراع رجال ادارة الملك سواء أكان حاكم المقاطعة أم حاكم المركز أم صراف الخزينة . وهؤلاء اكانوا يحضرون الى الحقول مع مؤجر الأرض (الضامن) يأخذون فى تقدير المحصول . وكان كل المزارعين وهم مزارعو أرض الملك وغيرهم يقدرون المحصول ويكتبون محضرا بذلك مع الملتزم ويختمون به . أما عن مزارعى الملك فكانوا يعلنون كتابة بعد حلف اليمين كمية الحبوب من كل نوع بذروه والقيمة التى يساويها ، ثم يختمون هذا الاعلان الذى كان يضع عليه مندوب عن حاكم المقاطعة أو حاكم المركز ختمه ، وبعد الانتهاء من ذلك كان يباع المحصول للملتزمين بأسعار على حسب التعريفه الموضوعه لذلك ، وكان محرما على المزارعين بيع الحبوب الدهنية لأى شخص آخر خلاف الملتزم . وكانوا يدفعون

عينا ضريبة تساوى ربع ثمن البيع . وما يجدر ذكره أن هذه الضريبة لم تكن تحصل على الثمار الدهنية التى كانت تورد للمقاطعات التى كان محصولها لا يكفيها .

وكانت الحبوب الموردة يتسلمها عمال صراف الخزانة . وكانت تودع فى مخازن خاصة . هذا وكان الصراف يراجع الحسابات والسلع ، وكل عجز كان يقع على عاتق حاكم المركز والملتزمين (١) .

ومن بين الوثائق التى تثبت هذه التوريدات عدد كثير عثر عليه فى أوراق «رينون» أو فى ملفات الجنود المرتزقين أصحاب الاقطاعات الصغيرة (٢) . وكانت الميزة الوحيدة التى يتمتع بها ملاك الأرض التى نزل عنها الملك لتشيدها ، وكذلك الأفراد المعفون من الضرائب هى أنهم كانوا يحفظون عندهم الحبوب الضرورية للبذر المقبل (٣) . أما عن دفع الضرائب فان هؤلاء لم يكونوا يتمتعون باعفاء حقيقى فيما يخص الضرائب التى كانت تجبى على الحبوب الزيتية ، وذلك لأن الملتزم كان يدفع لهم تقريبا ثلاثة أرباع الثمن الذى يدفعه للمزارعين الآخرين . وهكذا نرى أنه من وقت البذر الى وقت الحصاد كان محصول الحبوب الزيتية مفروضا على المزارع ومراقبا ، وكان كله يتسلمه رجال الملك الذين كان يشرف عليهم الملتزمون . والواقع أنه لم يكن هناك أى نوع من الارض ولا أى طائفة من المزارعين تفلت من قبضة الملك . ولم يحذف من قائمة الاحتكارات فيما يخص المواد الدهنية الا أشجار الزيتون لأنها لم تكن تزرع كثيرا فى مصر لعدم صلاحية التربة والمناخ .

ولا نزاع فى أن المراقبة الشديدة التى وصفناها فيما سبق لم يكن لها أى غرض الا المحافظة على الاحتكار المطلق لصناعة الزيت والاتجار فيه اذ كان المقصود من كل ذلك العمل على أن تصادر الحبوب الدهنية التى أخذت

P. Tebt 703, II. 126-134.

Large Estate 90-91.

P. Columbia Zenon, 53.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

خلصة والا تستعمل خفية ، وللوصول الى ذلك كان يوضع تصدير الجبوب الدهنية تحت مراقبة يشرف عليها حاكم القرية فكانت الجبوب لا تخرج من القرية بأية كمية كانت من مادة أولية دون أن تكون قد سلمت له من مكتب الملتزمين وعمال الملك بمستند عن كل ما ورده كل مزارع ، وفي حالة وقوع جزاء فان حاكم القرية كان يدفع غرامة قدرها ألف درخمة للخزانة الملكية كما كان عليه أن يدفع للملتزم خمسة أضعاف الخسارة التي تصيبه .
صناعة الزيت :

وكانت آلات صنع الزيت مميزة بنقش تعرف به . والظاهر أن هذا النقش يعد بمثابة تصريح يضعه الصراف وعامل مالية الملك على الآلة يشاركها في ذلك المراقب ، ومن المحتمل أن الملتزم كان يشاركهم في ذلك ، لأن هؤلاء كما سنرى بعد هم الذين كانوا يختصمون الآلات التي تصنع الزيت وهذه المصانع كانت تورد على حساب الأفراد ، غير أنه كان لابد من طابع الملك عليها ، ومن ثم نرى أن مراقبة الملك كانت قد أدخلت في اقتصاد منظم . فكان الملك له حق ملكية الجهاز الصناعي في مصر دون أن يستولى عليه أو يدفع ثمنه .

هذا وكانت مطاردة المصانع التي تقام خلصة عنيفة شديدة. فكان محرمًا على الفرد ان يملك في بيته لأى سبب من الاسباب، مهاريس أو اهوان .. أو معاصر أو اية آلة تستعمل لعصر الزيوت ، ومن ثم كان يعاقب صاحبها بدفع غرامة قدرها خمسة تالنتات للخزانة الملكية ، كما كان عليه أن يدفع للمؤسسة (الملتزمين) خمسة اضعاف الخسارة التي كانت تتحملها : اما هؤلاء الذين كانوا يملكون آلات عصر زيت قبل صدور القانون فكان عليهم ان يبلغوا عنها في مدة عشرين يوما لنائب المؤسسة والسكرتير المالى والمراقب ، وعليهم ان يطلعوهم على المهاريس والمعاصر التي في حوزتهم وكان على الملتزمين ونوابهم والسكرتير المالى والمراقب ان ينقلوها الى معاصر الزيت الملكية . على ان كل من كان يضبط فجأة مستعملا بأية صورة من الصور وهو يعصر السمسم أو حب الملوك (أو بزر الكتان) فانه يقدم لمحاكمة خاصة من قبل الملك للملتزمين غرامة قدرها

ثلاثة الاف درخمة وكذلك كان يصادر الزيت الذى استخرجه والمواد الأولية التى كانت توجد عنده ، وكان على السكرتير المالى والمراقب ان يحصلوا منه الغرامة واذا كان المجرم عاجزا فانها كان يدفعانها ... أما الآلات التى كانت لا تستعمل للمصر سواء اكان بسبب فصل العطله ام بسبب عدم وجود مادة للمصر فانها كانت تؤخذ من المعامل الملكية وتنقل الى مستودعات حيث كانت تحفظ مختومة حتى لا يمكن لأى فرد ان يستعملها خلسة (١) .

وكان رجال الشرطة فى اراضى الضياع يقومون بتأدية وجباتهم باشراف صاحب الضيعة . ومن ثم كانت مراقبة عمال الملك تنفذ فيها بصعوبة ، وعلى ذلك لم يكن من المستطاع اقامة معاصر زيت فيها اما أولئك الذين كانوا يصنعون الزيت فى المعابد فكان عليهم ان يعلنوا الملتزم ومندوب السكرتير المالى والمراقب بعدد المعامل التى فى المعبد وكذلك بعدد المهارس والمعاصر فى كل معمل ، كما كان عليهم ان يقدموا معاصرهم للتفتيش عليها وان يختموا المهارس والمعاصر.... واذا حدث تقصير فى تنفيذ ذلك ، كان على موظفى المعبد ان يدفعوا - كل رئيس على حسب مسؤوليته - ثلاثة تالنتات للخزانة الملكية ويدفع للملتزمين خمسة اضعاف الخسارة التى تحملوها . وكان عندما يريد المعبد صناعة زيت مسمم فان القائمين بذلك كانوا يجتمعون بنائب الملتزم والسكرتير المالى والمراقب المالى وفى حضرته يصنع الزيت. هذا وكان المعبد يصنع ما يحتاج اليه لاستعماله خلال السنة فى مدة شهرين اما ما كان يحتاج اليه المعبد من زيت الخروج فكان يورده لهم الملتزمون بالسعر المعين الجارى ومن كل ذلك قههم انه لم يفلت مصنع واحد من مراقبة عمال الملك . وكان الضرب على ايدى الغاشين شديدا ، وذلك لأن الملك كان يقيم نفسه من أجل ذلك قاضيا خارقا حد المؤلف (٢) .

P. Tebt. 703 II, 149-158

(١) راجع

E. Berner, Die Sondergerichtsbarkeit im Griechischen Recht Aegyptens. (1935). PP. 59 sq.

(٢) راجع

فقد كانت الغرامة هائلة ، ولما لم يكن يستطيع دفعها الا القليل من الناس؛ كان العقاب البدني جزءا كل غاش لم يدفع الغرامة. والواقع ان مثل هذه القسوة في المعاملات توضح لنا صعوبة احترام الناس قانونا صار ما بهذه الصورة . والواقع ان الاقتصاد الملكى كان مضرا هنا ضرا كبيرا بمصالح عديدة . وقد اوشك ان يجد معارضين له . اما اصحاب الحرف الذين كانوا يرغبون فى ان يدبروا لانفسهم مصانع خلسة فلم يكن لدى الملك اى وسيلة لردعهم . اما الكهنة فكانوا يحترمون التقاليد المصرية القديمة ، وذلك لأن المعابد كانت تعد مراكز اقتصادية مزهرة . فكانت تبقى على معاصرها ، ولكن صناعاتها كانت مراقبة رقابة شديدة من قبل الملك (١) .

ومما يلفت النظر ان الملك كان يعامل الاغريق الذين من طبقة رفيعة وبخاصة الذين يساعدونه فى تنفيذ مشروعاته واصحاب الضياع معاملة أخرى وذلك انه كان قد وضع اتفاقا بينه وبينهم . فاذا كانت مراقبة الملك تقف عند حدود ارضيهم فانهم مع ذلك كانوا لا يصنعون فيها زيتا ، غير ان هذا الاجراء الاخير قد عدل بعد زمن قصير جدا ومهما يكن من أمر فانه حتى لو كان نفس النظام المتبع فى المعابد قد اصبح يشبه الذى فى الضياع من حيث الاعفاء ، فان الملك كان لا يعطى المستفيدين من الاغريق بمقدار ما كان يعطى الكهنة ، اذ فى الواقع كان يهيم امتيازات ضئيلة لا تؤثر بشئ فى مراقبة الملك المطلقة .

ومما لا نزاع فيه ان كل المصانع والآلات التى تصنع الزيت كانت ملك الالهة فى المعابد . وكان استيلاء الملك عليها يعتبر مراقبة ؛ اما المصانع الأخرى فكانت طوال مدة قيامها بصنع الزيت تحت مراقبة السكرتير المالى والمراقب والملتزم وكانت سلطتهم فى ذلك تحفظية . والواقع ان هؤلاء العمال لم يكونوا بعيدين عن هذه المصانع . ولم تكن حقوق الملتزم الا لمدة سنتين . وليس له من الحقوق على المصانع الا حق الاستعمال . والان يتساءل المرء هل كان للملك

(١) راجع Rostovtzeff, C.G.A. 1909. P. 630-632, Cf. W. Otto; (١) Priester Und Tempel I, PP. 291 ff.

حق الملكية على هذه المعاصر الملكية حيث كانت تنقل الآلات التي كان يملكها الافراد او كان يؤجرها منهم فقط فيسخرها لنفسه ؟ والواقع انه لا يمكن الاجابة على هذا السؤال الا بموازنة ذلك بمصانع النسيج التي ظلت ملك النساجين . غير ان هذه كانت طريقة غير مؤكدة تماما وعلى ذلك يجب علينا منذ الآن ان نرفض فهم أساس قانوني للحق الذي كان يستعمله الملك في صناعة الزيت وهو حق المراقبة او حق الملكية .

وكانت معامل الزيت ممونة بالمادة الأولية بواسطة الجهاز الملكي فكان الصراف يتسلم الجبوب الدهنية التي كان المزارعون مجبرون على بيعها له فكان يجمعها في مستودعات يقوم هو بحراستها (١) . وبعد ذلك كان على كل من السكرتير المالي والمراقب ان يمد كل معمل بالسهم وحب الملوك وبزر الكتان اللازمة، واذا حدث انهما لم ينظما المصانع كما هو المطلوب او اذا لم يمداهما بالمواد الأولية بكمية كافية وبذلك يسببان ضررا للملتزم فانه كان عليهما ان يدفعا الخسارة التي تنجم من ذلك . وكان الوزير يحاكم السكرتير المالي الذي ارتكب الخطأ . وهذا الاخير يكون عرضة لدفع غرامة درختان وضعفا الضرر الذي نجم عن ذلك .

وكان من المهم الا تعطل المعاصر بسبب عدم وجود مادة اولية لتشغيلها ، كما انه كان من الواجب تجنب تقديم مواد تزيد من قدرة انتاج المصانع وذلك لأجل الا يقع الفائض في ايدي المختلسين كما جاء ذلك في بردية يوصى فيها النص بالألا يورد للعمال مادة اولية لا يمكن عصرها في المهارس التي توجد في المعامل (٢) . ولا نزاع في ان ذكر وجود هذين الاجراءين في قانون الدخل وفي ورقة تبتنيس يظهر لنا مقدار الدقة التي يدار بها الاقتصاد في مصر . وهذا الاجراء المزدوج كان متبعا في الآلات التي كانت تستعمل في المعامل وذلك ان

المحصل كان في الواقع متقلبا كل سنة ، فكان لابد من مهارس كافية للمادة التي كانت تمصر كل سنة . وقد نصح الوزير السكرتير المالي بما يأتي : « اعمل بطريقة بحيث انه اذا كان ممكنا ان تكون كل المعاصر في حركة او على الاقل أكبر عدد منها . أما العاطلة منها فراقبها تماما . وضع عليها أختاما ، واجمع كل الآلات الزائدة والتي لا تعمل ويجب ان تكون مختومة ومخفوفة في مستودعات » .

نتقل الآن الى نظام العمال . كان على السكرتير المالي والمراقب والملتزم ألا يسمحوا للعمال المعينين للعمل في كل مقاطعة بان ينتقلوا من مقاطعة الى مقاطعة اخرى ، وذلك لمصلحة الملتزم والسكرتير المالي والمراقب . وكان محظورا على أى فرد أن يجمع عمالا ، وكل شخص يجمع عمالا عن فصد او يمتنع عن تسليمهم متحديا أمرا صدر بذلك ، فانه كان يدفع غرامة قدرها ثلاثة آلاف درخمة عن كل عامل ؛ كما انه يصبح عرضة للقبض عليه وسيكون للملتزمين والكاتب الذى ينوب عن السكرتير المالي والمراقب حق التسلط على كل عمال مضانع الزيت في المقاطعة ، وكذلك على المصانع كلها مع كل معداتها ويختمون الآلات في خلال فصل العطلة .

وكانت صناعة الزيت يشرف عليها السكرتير المالي وكان هو ومعه المراقب والملتزم يجبرون العمال على القيام بعملهم اليومى كما كان يساعدهم في عملهم . وهذا الواجب كان محددا كما كان مرتبهم يحسب بالاردب من القمح . وخلافا لذلك كان السكرتير المالي او نائبه يعطى العمال درختين وثلاثة أوبولات عن كل مترت سعتة اثنا عشر خوس (Ghoes) منها درخمة واربعة أوبولات لعمال مصنع الزيت وكذلك للطحانين ، وخمسة أوبولات للملتزمين ، واذا لم ينفذ ذلك فانه يدفع للخزانة ثلاثة آلاف درخمة وللعمال اجورهم وللمؤسسة ضعفى الخسارة التي نجمت عن ذلك . وكان من المحرم على السكرتير المالي وعلى الملتزم لأى سبب أن يirma اتفاقا مع العمال يخص انتاج

الزيت وكان عليهما الا يتركاً في المصانع الآلات التى ليست مختومة اثناء فصل العطللة واذا حدث ذلك كان عليهما ان يدفعما غرامة قدرها ثلثتا واحدا لخزانة الملك ، وكذلك غرامة للمؤسسة . وهذه المراقبة الشديدة قد عرفتنا ورقة «تبتيس» بأنها من الواجبات الجبارة التى يقوم بأعبائها السكرتير المالى وقد أكد تأثيرها بما جاء من زيادة فى دخل الخزانة . اما نظام العمل فيستنبط من أمرين وهما توريد عمال للملتزمين دون ارتكاب خطأ ومنع عمل الزيت خلصة .

وارتباط العمال بالمقاطعة يجيبنا عن الأمر الأول . فهل فى الاستطاعة توحيدهم بمؤسسة معروفة ؟

وقد اتجه التفكير الى نوع العمال المستديمين اى الذين كانوا مرتبطين بالأرض التى يعملون فيها ، ولكن نظام العمال المستديمين نظام متغير وغاية فى التعقيد الى درجة ان مثل هذه المقارنة لا تؤدى الى أية نتيجة دقيقة . رالواقع اننا لا نعلم اذا كانت حالة عامل مصنع الزيت من الحالات الدائمة او الوراثة ، كما لا نعلم الى اى حد كان الفرد مضطرا لمزاولة هذه المهنة ، وكذلك لا ينبغي ان تفكر فى أنها كانت سخرة . وذلك لان المهنة كانت تتطلب كميات خاصة . والواقع أن نظم «قوانين الدخل» التى وضعها «ببليوس الثانى» تحترم الاتفاقات ولكى يبقى الفرد فى مكانه توجد عقود عدة خاصة بالاعمال الحرة المتفق عليها (١) .

والواقع انه كان يوجد فى العقد شرط جزائى يطبق ينص على كل من تخلف عن العمل الذى اتفق على مزاولته .

تجارة الزيت

وبعد الانتهاء من عصر الزيت كان لابد ان يصرف ، وفى هذا الصدد تقول قوانين الدخل : كان على السكرتير المالى والمراقب ان يقوموا بعمل قائمة

(١) راجع P.S.I. 515; P. Cairo-Zenon 59133; B.G.U. 12057; P.S.I. 1001 & 1002.

باسماء التجار المحليين وتجار التجزئة وكان الفرد الذى يستمد منه السكرتير المالى والمراقب سلطانه يقوم بعمل قائمة بالتجار المحليين وتجار التجزئة وباتفاق مع وكلاء المؤسسة يعين نوع زيت السمسم والخروج الذى يجب تسلمه للبيع اليومى . وفى الاسكندرية كانوا يرمون اتفاقا مع كبار التجار، يضاف الى ذلك انهم كانوا ينصون فى عقد كل اتفاق من هذه الاتفاقات على تجار الاقاليم الذين يتعاملون كل شهر مع تجار الاسكندرية . وكانت الكمية التى تخصص لكل فرد تجهز قبل تسلمها بعشرة ايام وكانت النتيجة تدون وتعلن فى خلال عشرة الايام هذه فى عاصمة المقاطعة ، وكذلك فى القرية ، كما كانوا يحررونها فى عقد .

وكانت كمية زيت السمسم وزيت الخروج التى اتفق على بيعها للتجار المحليين وتجار التجزئة فى كل قرية يوردها لهم السكرتير المالى والمراقب قبل بداية الشهر . وكانوا يقدمون لهم الزيت كل خمسة ايام ويحصلون الثمن اذا كان ممكنا فى نفس اليوم . واذا لم يمكن فى ظرف خمسة ايام وكانوا يدفعون هذا الثمن فى المصرف الملكى . وكانوا يخصمون مصاريف النقل من حساب المؤسسة Farm وكان حق بيع الزيت يعطى للملتزمين اى أصحاب الضمان . وقد يتفق احيانا على ان يكون الشخص الواحد تاجرا ومستأجرا للاحتكار (١) .

ولم يكن الثمن الذى يشتري به تاجر التجزئة الزيت هو الذى يكون موضوع الفصل بل هذا الثمن كان يقرره الملك . ولدينا متون من عهد «ايرجيتيس» يظهر منها التسعيرة التى عمل بها فى سنة معينة ، وهو اثنان واربعون درخمة عن كل متر (٢) .

وتحتوى قوانين الدخل على التعريف التالية : كان يباع فى الدلتا زيت

P. Lille 9 (3rd Century)

(١) راجع

P. Petrie, II, 28 = III, 66a & III, 66 b., Grenfell. R.L. راجع

P. 197.

السمسم وزيت الخروع بسعر ٤٨ درخمة تدفع بالعملة النحاسية عن كل مترت مكون من اثني عشر كوس^(١) Choe من زيت الخروع وكذلك كان يباع زيت الحنظل وزيت الاستمباح (أي زيت الكتان) بسعر ثلاثين درخمة. وكان يباع كل ربع لتر Cotyle بؤبلين، غير أن الأسعار تغيرت فجأة فقد بيع الزيت الذي من صنف رديء بنفس السعر الذي كان يباع به زيت السمسم وزيت الخروع. وقد اتخذت مثل هذه الاجراءات في تجارة الزيت في الاسكندرية.

هذا وتكشف لنا العوامل التي رفعت سعر الزيوت الرديئة النوع خمسين في المائة على مقدار سيطرة الملك على هذه التجارة، فقد كان هو في الواقع المنتج الوحيد والصانع الوحيد والبائع الوحيد لها وكان هو المسيطر على كل العناصر الخاصة بهذه التجارة ما عدا القوة الشرائية لربائنه فقد كانت خارجة عن ارادته وكان الملتزم هو المعرض للتأثر بهذا العامل.

والواقع ان ثمن الزيت الذي فرض بهذه الصورة المرتفعة كان يفوق كثيرا جدا الثمن الذي كان متداولاً في العالم الاغريقي. وتدل وثائق «ديلوس» في العصر الذي نشرت فيه (قوانين الايرادات) على اثمان تتراوح ما بين ١٧ و ٢١ درخمة اتيكى عن كل مترت. ومن ذلك نفهم ان سعر الزيت في مصر كان أعلى بكثير عنه في غيرها. ومن ثم كان لابد من حماية الاسعار من المنافسة الاجنبية، وكذلك أصدر بطليموس الثاني منشورا بألا يسمح لأى سبب من الاسباب توريد زيت من الاسكندرية الا اذا كان للمخازن الملكية. وكل من يستورد كمية زيت من الاسكندرية اكثر مما يلزم لاستعمال مدة ثلاثة ايام يستولى على بضائعهم ويدفعون فضلا عن ذلك غرامة قدرها مائة درخمة عن كل مترت، وكذلك كان محرما استيراد زيوت لمصر بقصد البيع من الاسكندرية و«بلوز» أو من أى مكان. وكل من فعل ذلك كان يعاقب بغرامات ماثلة. اما الزيت الذي كان للاستعمال الشخصى وهو المجلوب من الاسكندرية الى مصر فكان

(١) الكوس = ٣/٤ جالون وعلى ذلك الزيت يساوى ثمانية جالونات.

لابد من اعلانه في الاسكندرية . وكان يدفع عنه ضريبة على حساب اثني عشر درخمة عن كل «مترت» . ولابد من أخذ ايصال يدل على دفع الضريبة . وكان نفس هذا الاجراء يتخذ لواردات الزيت التي لم يكن الفرض منها التجارة في «بلوز» . وكان العمال الذين يجبون هذه الضريبة في الاسكندرية وفي «بلوز» يدفعونها لحساب المقاطعات التي تورد اليها السلفة . أما اولئك الذين كانوا يستوردون الزيت من الخارج لاستعمالهم الشخصي ولا يدفعون ضرائب فكان يستولى على زيتهم وتفرض عليهم غرامة قدرها مائة درخمة عن كل مترت . اما الواردات التي صرح باستصدارها من «بلوز» السى الاسكندرية من الزيت الاجنبى أو السورى فكان لا يدفع عليها ضريبة ، ولكن كان يتسلم عنها اعلاما من محصل «بلوز» ومن السكرتير المالى كما وضع بالقانون . والواقع انه لما كان محرما تصدير حبوب دهنية الا اذا كان ذلك بتصريح ، فانه كان كذلك محرما تصدير زيت الا اذا كان معه ورقة تدل على أن صاحب السلعة قد دفع للجابى كل ما عليه من ضرائب . ولسوء الحظ وجدنا متون تسوية واردات الزيت الذى كان يذهب الى مستودعات الملك قد فقدت ، على انه يمكن فهم هذه العملية من متنين من المتون التى عثر عليها في أوراق «زينون»^(١) والمتن الأول من هذه المتون مؤرخ مايو - يونيو عام ٢٥٩ ق.م. ونجد فيه تقدير السلع المختلفة الواردة من «سوريا» ومن «بلوز» الى «ابوللونىوس» فنجد في التعداد العجيب الذى جاء فيه ذكر النيذوالشهد والسيك المحفوظ واللحوم المحفوظة والجبن والاسفنج، ان الزيت الابيض قد ذكر ؛ وكانت الضريبة المفروضة عليه خمسين في المائة من ثمنه . فاذا كانت هذه السلع مصيرها الاستعمال الشخصى للوزير «ابوللونىوس» فان ضريبة الخمسين في المائة التى فرضت على الزيت تقابل في الضريبة اثنتى عشر درخمة عن كل مترت وهى التى نجدها مفروضة في «قوانين الدخل» ، ولكن يحتمل

(١) راجع (P. Cairo-Zenon, 59012 & 59015; Cf. A.S., 23 (1923) PP. 73-98.

كذلك ان هذا الزيت كان مصيره الى المخازن الملكية : وهذه هي الحالة التي نجدها مذكورة في البردية رقم ٥٩٠١٥ من أوراق «زينون» ويرجح انها مؤرخة بعام ٢٥٩ او ٢٥٨ ق.م . وهذه الوثيقة تحتوى على شحنة زيت ثمن المترت فيها قدر باثنين وخمسين درخمة وقد وصلت السفينة الى الاسكندرية غير أنه لم يذكر من اين أتت . وكتب لنا «زينون» في ملاحظة على هامش البردية قرر فيها قيمة العملية التجارية فقال : قيمة ما نزل عنه لمستودع الملك بسعر ٤٦ درخمة عن كل مترت هو تسعة تالنتات و ٣٦٥١ درخمة وأوبول . ويخصم من هذا المبلغ عوائد جبرك ٥٠ ٪ / وكذلك ضريبة صغيرة مصاريف نقل . ومن ثم نرى ان الملك يشتري بسعر ٤٦ درخمة المترت الواحد من الزيت ويجبى عليه ضرائب قدرها ٢٨ درخمة ويكسب ستة درخمات ببيعه بمبلغ ٥٢ درخمة ، وعلى ذلك يكون دخله ٣٤ درخمة عن كل مترت . وكان المستورد يجب ان يشتري الزيت بسعر أقل خمسة عشر او اربعة عشر درخمة ليكون له مكسب بسيط . هذا وقد رأينا ان ذلك كان ممكنا . وعلى أية حال فانه من المحتمل ان الزيت المستورد هنا كان مجلوبا من احدى ضياع «ابولونيوس» في اسيا الصغرى وبخاصة بتانات (Betanat) (١) .

والواقع اننا نرى انه في عام ٢٥٧ ق.م كان يستورد الزيت من عنده ويرجو «زينون» في ان يذهب لتسلم الشحنة من الميناء لتخزينها - ومن الممكن ان الاستيراد في هذه الاحوال يكون مربحا وعلى ذلك نرى ان عددا كبيرا من فواجيد الزيت قد عدد في قائمة بضائع مخزونة في المستودعات التي كان يملكها الوزير التاجر (٢) وكان زيت سوريا المستورد للملك يوضع في مخازن مختومة بعناية على يد وكلاء أرسلوا من قبل الملتزمين في «بلوز» وفي «الاسكندرية» وكانوا هم الذين يتولون عملية البيع .

والواقع ان الملك كان يجنى ارباحا طائلة من تجارة الزيت المصنوع في

داخل البلاد لبيعة للسكان كما كان يربح كثيرا من الزيت المستورد من الخارج نبيعه في الاسكندرية للسكان الاغريق . وعلى ذلك نجد ان مصر من حيث تجارة الزيت كانت مفصولة تماما عن العالم ، وذلك لأن الاحتكار الملكي لهذه السلعة قد أدى الى اقتصاد مغلق لا يتأثر بتقلبات الأسواق الخارجية .

ولكن في داخل البلاد كانت هذه التجارة محمية من نزول الاسعار بالنسبة للملك ، غير انه من جهة أخرى لا بد له من تقادى صعود الاسعار كذلك ، لان ذلك كان فيه خطر تقييد الطلبات ، ومن ثم ينقص دخل الملك ؛ وذلك لأن التجار الذين حصلوا على حقوق بيع الزيت بالتجزئة في المدن والقرى كانوا متحررين من كل منافسة بعد ان أعلن انهم أصحاب الحق في هذه التجارة . وعلى ذلك كان هناك خوف في ان يبيعوا خلسة باسعار عالية (السوق السوداء) بالتجزئة ، وفي هذه الحالة كان الملك يتدخل ؛ ولا ادل على ذلك من توصية عامة ارسلها الوزير للصراف وهي توضح اهتمام الملك وآراءه في هذا الصدد : وهي : لا تدع السلع تباع باثمان تهوق الاثمان التي فرضها المنشور (١) .

وقد كان من الضروري كذلك ألا يفش التجار الزيت الذي ورد لهم ، لأجل ان يحصلوا على ربح اكبر . وهذه العملية كانت تؤدي الى نقص فيما يبيعه الملك . هذا وكان الملك يراقب شحم الحيوان . فكان على الجزارين ان يبيعوه يوميا امام الملتزم وكان محظورا عليهم بيع الدهن غير المتبل لأي فرد لأي سبب كان ، وكذلك كان عليهم ألا يتخذوه مؤنا ؛ وكل فرد يخالف ذلك كان عليه ان يدفع غرامة للملتزم قدرها خمسون درخمة .

هذا وكان للمعابد حق صناعة الزيت الضروري لاستهلاكهم الا زيت الخروج فكان الملك يمدهم به والمقصود من ذلك هنا هو الابتعاد عن بيع الزيت المصنوع في المعابد بقصد التجارة : ولذلك فان كل من يتجر في زيت صنع في المعبد كان يستولى على الزيت الذي يباع ويغرم مالكة بمبلغ مائة

درخمة عن كل مترت (١) هذا وكان الملك يمد المعابد التى يريد محاباتها بزيت الخروج بشن مخفض (٢) .

الضرائب على الزيت

هذا وكان الملك فضلا عن الاحتكار المطلق المادة الزيت يجبى ضرائب على هذه السلعة . وقد ذكرنا من قبل الضرائب التى كانت تحصل من المزارعين على المواد الغفل التى يصنع منها الزيت وعلى الزيوت التى كانت تستورد والظاهر انه كانت توجد ضريبة أخرى لم يعرف عنها بعد .

نتائج احتكار الزيت فى الاقتصاد البطلمى

الواقع ان الفرق بين ثقات استخراج الزيت وثن يبعه بالتجزئة كان عظيما . وقد حددت «قوانين الدخل» السعر الذى يسترده الملك للزيت الذى لم يصرفه الملتزمون . وهذا يدلنا على وجه التقريب على ثمن النفقات : فكانت اثمان البيع المفروضة تفوق اثمان التكاليف بسبعين فى المائة فى زيت السمسم وثلاثمائة فى المائة فى زيت الحنظل (المستخرج من لب القرع) . على ان ذلك ليس هو المكسب الصافى الذى يبيع به الملك، وذلك لأن سلسلة من الملتزمين والبائعين للمؤسسة يضيفون مكسبهم فى سلسلة عملياتهم التجارية ؛ ذلك الى أن السلعة كانت خاضعة لعدة ضرائب . والواقع ان دخل الاحتكار كان عظيما ومؤكدا ومنتظما لانه كان مضمونا بالمستأجرين ومحيا من الغش .

ولا نزاع فى أن زيت السمسم الذى كان يعادل الزيت والسمن عندنا الآن قد اعتبر من المحاصيل الغذائية التى لا غنى عنها (٣) . وفى الحق افلح البطالمة فى المحافظة على ميزتهم التجارية الثمينة اذ نفهم من بردية من القرن الثانى ان ثمن حبوب السمسم كانت تساوى سبعة أضعاف حبوب القمح هذا

Rev. Laws. Col. 51, II, 248

P.S.I. 531

L. Bandi, I. Conti privati (Aegyptus, 17, 1937, PP. 103-407 & 437-438.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

مع العلم ان الزيت والقمح كانا يعدان العنصرين الدائمين اللذين وهبتهما الطبيعة أرض مصر (١) . اما الزيت الذى كان من نوع ردىء فكان يستعمل للاستصباح ، ولدينا حساب فى السجلات التى تركها لنا «زينون» فى القيوم يقدم لنا مقدار ما كان يصرف فى البيت الواحد من بيوت ابوللونيوس ، وكذلك كان يستعمل فى تحضير الأدوية والألوان اللازمة للرسم وفى العطور وفى المواد الصابونية وفى اماكن الرياضة .

ولا نزاع فى أن اختيار مادة الزيت للاحتكار فى الحضارة المصرية كان من الاعمال التى تدل على مهارة كبيرة جدا . وقد كان الملك فى الواقع بيايملك من حقول شاسعة وبماله من حق المراقبة على كل أرض مصر يساعده فى ذلك رجال ادارة عديديون لديهم احصاءات هامة وجمهرة من الملتزمين وهم اصحاب رءوس الأموال ، يحذقون كل عناصر التجارة على حسب القانون ، لا يجد أية مقاومة لهذه التجارة الراجعة الا المقاومة النفسية، غير انها كانت عنيفة : وذلك لأنه كان امامه صعوبة اجبار الفلاحين على زرع المحاصيل التى فرضها هو ، يضاف الى ذلك رغبة العمال فى الحصول على حريتهم ، وحيل المختلسين التى لا يكبح جماحها واهمال نواب الملك فى اداء اعمالهم وامتيازات المعابد وأصحاب الضياع . كل هذه الامور النفسية كان لابد للملك من ان يعالجها وتلك كانت العقبات التى تقف فى سبيل الاحتكار الملكى .

وبعد هذا الاستعراض المطول عن احتكار الزيت يتساءل المرء من أين اتى هذا الاحتكار أهو مصرى قديم أم اغريقى اتى به البطلمة من بلادهم او من جهة أخرى ؟ والواقع ان هذا الموضوع قد بحثه «اندريدس» فى مقال خاص (٢) . وقد قال هذا المؤلف ان هذا الاحتكار قد أخذ عن قدماء المصريين بداهة ولما لم يكن فى امكانه اعطاء براهين قاطعة فانه يميل الى الظن انه

Preaux L'Economie, etc. P. 92.

(١) راجع

A. Andreadés, De l'origine des Monopoles Ptolémaïques راجع

Melanges Maspero II, Le Caire, (1934). PP. 289-295.

لأسباب نظرية قد أخذ البطالة هذا النظام من احتكار الصناعة التي كانت تتمتع بها المعابد المصرية بالنسبة للمصانع . وقد وافقه على هذه الفكرة المؤرخ العظيم فلكن (١) الذي اقتبس رأى المؤرخ «روستوفتزو» (٢) في موضوع مصانع النسيج في المعابد قبل اقامة المعابد البطلمية . غير انه حديثا كتبت الباحثة كليريو مقالاً عن أصل الاحتكار في مصر (٣) . فتقول ان البحوث عن أصل الاقتصاد المصري في عهد البطالة قد كشفت عن مصدر جديد اضاف الكثير وذلك بما جاء في ورقة «فلبور» وقد عالج هذا الموضوع المؤرخ هيخلهيم (٤) . والواقع انه قد كشف عن اوجه شبه بدئية وعديدة بين الادارة الرعسية وادارة عهد البطالة خاصة بشمير الارض بزرعها قمحا على حسب تصميم ملكي . ويقول انه لن يكون جدال في المستقبل عن وجود بعض مبادئ بارزة وتعبيرات بطلمية خاصة بالتصميمات الزراعية أخذت عن تقليد فرعونى على الرغم من انها قد تغيرت كثيرا بالعقلية الاغريقية . وقد تناولت هذا الموضوع في كتابي مصر القديمة (الجزء الثامن ص ١٥٩-٢٤٦) وبخاصة الأطيان ونظم زرعها وانواعها وايجارها الخ غير ان «بريو» تقول ان نظام الاحتكار الذي وضعه بطليموس الثانى على الزيوت في مصر البطلمية كان له نظير في العهد الهيلانستىكى عند السليوكيين في عهد «انتيجونيوس» ، ولكنه كان احتكارا للقمح وتظن ان بطليموس الثانى قد نقل هذا الاحتكار الى بلاده، ولكن في الزيت بدلا من القمح وذلك لأن القمح المصري في العهد الهيلانستىكى كان يصدر الى بلاد كثيرة في عالم البحر الابيض . وعلى أية حال لا يمكن

Wilcken, Grundzuge, PP. 245-6.

(١) راجع

Rostwzew Gottengische Gelehrte Anzeigen (1909), راجع, PP. 632.

Chronique D'Egypte, Tome XXIX, No. 58, Juillet 1958. راجع (٣) P. 512-527.

Heichelheim, Recent Discoveries in Ancient Economic History, Historia II, (1953), PP. 129-136. راجع (٤)

الجزم بالرأى القائل ان بطليموس قد قلد «انتيجونيوس» عندما احتكر القمح فى بعض اجزاء آسيا الصغرى فاخذ عنه ذلك وطبقه على الزيت وبعض مواد أخرى .

أحتكار ورق البردى

وتدل شواهد الاحوال على ان بطليموس الثانى لم يكتف باحتكار الزيوت فى مصر بل تعدى ذلك الى بعض مواد أخرى ولكن بطريقة مخففة ونخص بالذكر منها الورق .

والورق مادة من اختراع قدماء المصريين . وقد بدأت صناعته فى مصر منذ عهد الدولة القديمة ، وقد كان ذلك أمرا طبيعيا لان الكتابة قد اخترعت أولا كما هو الرأى السائد فى مصر منذ ظهور الملكية المتحدة . والورق مادة مستخرجة من نبات البردى الذى كان ينمو فى مصر بدرجة كبيرة ، وبخاصة فى مستنقعات الدلتا وغيرها من جهات القطر . وقد تحدثنا عن نبات البردى وصناعة الورق منه فى الجزء الثانى من هذه الموسوعة (١)

وتدل شواهد الاحوال على ان الورق الذى كان يصنع فى عهد البطالمة ويصدر للخارج من السلع التى كانت تجلب الى مصر من الخارج ما كان ينقصها من نقد أجنبى ومعادن مفيدة وخشب

وعلى الرغم من الرأى السائد القائل ان بطليموس الثانى كان يحتكر تجارة الورق فانه ليس لدينا وثيقة واحدة تشير الى ان الملك كان يسيطر على زراعة نبات السقى (البردى) ، بل الظاهر ان زراعته كانت خاضعة للقواعد العامة التى كانت تسير على حسبها الزراعة بعامة . ومن المحتمل ان الملك كان يراقب زراعة البردى من الوجهة المالية كالمراقبة التى كان يفرضها على زراعة الكروم والاشجار .

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثانى صفحة ٧٧ ومن صفحة ٨٨ الى ٩٠ راجع كذلك عن صناعة الورق فى المهدىين البطلمى والاغريقى راجع

N. Lewis, L'industrie du Papyrus dans l'Egypte Greco-Romaine, Paris, 1934; Heichelheim, Monopole, Pauly-Wissowa, Real Enc. (1933), Coll. 185-186.

والظاهر ان صناعة البردى كانت تحتم ان يكون صنعه بالقرب من الاماكن التى يزرع فيها وذلك لأن الجزء الذى كان يصنع ورقا من البردى هو سيقانه، وكان يجب ان تكون هذه السيقان غضة طرية ليتمكن صنعها ، ومن أجل ذلك كان لابد ان تكون مصانعه قريبة جدا من مزارع البردى حتى لا يحتاج الى نقل هذه السيقان الى أماكن بعيدة فتجف ، ومن ثم لا تصبح صالحة لصنع الورق . وعلى ذلك فان هذا لا يمنع وجود مصانع ملكية كبيرة . وعلى أية حال فانه وان لم يكن يوجد احتكار ملكى لبيع الورق فانه كان هناك مراقبة مالية على صناعته وبخاصة ان مصانعه على ما يظهر كانت متفرقة فى انحاء البلاد هذا وليس لدينا وثائق عن سلسلة العمليات الخاصة بالبردى الا وثيقة واحدة وهى الخاصة ببيعه ، وما جاء فيها غامض بعض الشيء وهذه الوثيقة ليست من عهد بطليموس الثانى وتتهم من محتوياتها وجود تجارة ملكية فى الورق (١) . ويستخلص من مضمون هذه الوثيقة ان الملك كان يحتكر تجارة الورق الملكى وكان يحدد فى الوقت نفسه تجارة انواع الورق الاخرى ويفرض عليها الضرائب ويراقبها كما كان يفعل فى صناعة الكتان والمنسوجات الاخرى هذا وتدل الوثائق على ان المعابد كانت تصنع ما يلزم لها من الورق فى مصانمها الخاصة قبل عهد البطالمة . واذا كان بطليموس الثانى قد أسس احتكارا شديدا بعض الشيء للورق فانه لابد كان قد ترك للمعابد بعض الأمتياز فى صناعة الورق ، غير أن هذا رأى لا يخرج عن انه مجرد نظرية مقبولة . والواقع أن كل الوثائق التى اعتمد عليها المؤرخون فى احتكار الورق فى عهد البطالمة مأخوذة من العهد الرومانى فى مصر ومن ثم لا يمكن الباحث المدقق ان يعتمد على ذلك بصفة قاطعة .

والآن يتساءل المرء هل يوجد فى القرن الثالث توزيع التجارة والملاء بين الملك والتجار الاحرار وان الآخرين كانوا مقيدين ويدفعون ضرائب بصورة ما؟

(١) راجع P. Tebt. 709; Cf. Wilcken Archiv. II, (1933). P. 150; Cf. Lewis. Ibid. PP. 128-133.

والواقع أنه كانت توجد في هذا المعهد تجارة حرة في الورق ، ولا أدل على ذلك من أنه في ضيعة «ابوللونيوس» كان يستعمل بدرجة عظيمة فنجد في أحد مكاتب مسك الدفاتر التي كانت تصحب الوزير ابوللونيوس في تنقلاته انه كان يلزمه ما يبلغ متين اضمائه (١) لمدة عشرة ايام . وكانت بعض هذه الاضمائات تبلغ خمسين صفحة وكان متوسط عدد ورقات الاضمائة في العادة عشرين صفحة (ورقة) . هذا وقد حسب عدد الاضمائات في بعض المكاتب الخاصة بالحسابات والسكرتارية التابعة للوزير «ابوللونيوس» في مدة ثلاثة وثلاثين يوما فبلغ اربعمائة واربعة وثلاثين اضمائة (عام ٢٥٨ - ٢٥٧ ق.م) ونحن نعلم ان الموظفين لم يكونوا يتسلمون الورق اللازم لهم من الملك (٢) .

هذا وقد رجا أحد مراسلي «زينون» عندما كان يجهز نفسه لرحلة ان يأمر له بصرف خمسين اضمائة من البردى تحتوى كل منها على خمسين ورقة ومائة اضمائة من أجود الورق الموجود فعلا (٣) ، هذا ونعلم أنه عمل صفقة شراء ورق مع صانع ورق او بائع (٤) يضاف الى ذلك أن مصنعا في «تانيس» ورد الى «ابوللونيوس» دون وسيط صفقة ورق قيمتها اربعمائة درخمة (٥) . وكذلك كان عمال وزير المالية عندما يسبحون في انحاء البلاد كانوا يقومون بأنفسهم بمشترياتهم من الورق ويضيفونها على الحساب ضمن المصروفات العادية . ويلاحظ ان ثمن الورق كان متقلبا ، ولكن لما كانت مقاييس الورق ونوع الاضمائات متغيرا فان ذلك لا يدل على ان التجارة كانت حرة . ومع

P. Cornell I.

(١) راجع

P. Columbia-Zenon 4, Complété par P. Cairo-Zenon 59688 verso, Cf. P. Cairo-Zenon 59687 & P. Cairo-Zenon 59317.

P. Cairo-Zenon, 59054, II. 46-48.

(٣) راجع

P.S.I. 519

(٤) راجع

P.S.I., 333 = Sel. Pap. 1, 89. 11

(٥) راجع

ذلك نلاحظ ان كل شيء كان يسير طبيعيا فان زينون قد اشترى الورق اللازم له من عند تجار احرار تماما في تجارتهم ؛ ومن ثم لا يمكننا ان نحكم ان بطليموس الثانى كان يسيطر بطريقة ما على تجارة الورق . ولكن كمثل الظواهر على ان بطليموس الثانى كان قد اكتفى بالنزول للمصانع التى تصنع الورق عن بعض انواع من الورق فى مقابل دفع اجر لذلك او ليعطى تصريحاً فى مقابل مبلغ من المال على حسب المكسب الذى سيجنيه صاحب العمل . وكان الصانع هو التاجر وهو ملتزم الحكومة على ما يظهر ويراقبه احد اعمال الملك ينتدبه السكرتير المالى .

اما عن نظام تصدير الورق فانا لا نعلم شيئا عنه . غير أن المؤرخ جلوتز الذى درس ثمن الورق فى «ديلوص» (١) ، يقول : كان ثمن الورق غاليا فى بلاد الاغريق قبل ان يحتل الاسكندر مصر ولكن الحرية الاقتصادية التى أقامها هذا الفاتح فى بلاد مصر كان من نتائجها نزول ثمن الورق ، وقد لوحظ ذلك فى بلاد الاغريق حتى عام ٢٩٦ ق.م على أقل تقدير ، وبعد ذلك نجد ارتفاعا فى ثمن الورق فيما بين عامى ٢٩٦ ، ٢٧٩ ق.م من أبول واحد الى درخمة واربعة اوبولات وحتى الى درخمتين عن كل اضمامة . ومن أول عام ٢٧٩ ق.م كانت أسعار الورق فى اتران ملحوظ . ويقول المؤرخ «جلوتز» ان هذا الارتفاع فى الاثمان هو نتيجة الاحتكار الذى وضعه «بطليموس الثانى» على الورق ، وقد يكون ذلك برهانا على ان نجعل بداية الاقتصاد الذى كان يدير دفته بطليموس الثانى فى سياسته عام ٢٨٠ ق.م اى قبل عشرين عاما من صدور قوانين الايرادات التى سنها لاقتصاد مصر .

واذا أمكن موازنة اسعار الورق فى «ديلوص» بأسعاره فى مصر كان فى استطاعتنا تقدير أهمية الضرائب التى كاثت تفرض على تصدير الورق . فقد

(١) راجع G. Glotz, Le prix du Papyrus dans l'Antiquité Grecque (Ann. es l'Histoire Economique et Sociale I, 1929. PP. 1-13 et Bull. Soc. Arch. d'Alex. 25 (1930). PP. 83-96.

كانت الاسعار في (ديلووس) تتراوح ما بين درخمة وثلاثة اوبولات ودرختين وابول واحد اما الاسعار في مصر فكانت تتراوح ما بين اربعة اوبولات ودرخمة وثلاثة اوبولات . هذا ونجمل بالتأكيد اذا كانت الاثمان التي ذكرناها كانت تدفع ثمننا لورق من نوع واحد ومقاييس واحدة ؛ ولكن الظاهر ان الفروق لم تكن كبيرة جدا في الاثمان وبخاصة اذا فكرنا في مصاريف النقل . ويتساءل الانسان لماذا لم تكن هذه المصاريف كبيرة . والواقع ان الورق ليس بالسلعة الغالية ، وذلك على الرغم من انه مادة مفيدة فانه ليس من المنتجات الضرورية مثل القمح الذي لا يمكن الاستغناء عنه . ولا نزاع في ان ما يحدد ضرورة الاحتكار هو قلة الطلب ومنافسة المواد الأخرى التي تستعمل عوضا عن السلعة المعروضة . ومن ثم يمكن ان نتصور ان أحد البطالة الاول قد قلل أو حرم لمدة من الزمن تصدير الورق ليرفع ثمنه كما اتخذ نفس هذا الاجراء كليونيس النقراشي في القمح . غير أن اختراع مواد أخرى للكتابة عليها كالكاغد واللوحات والاستراكا والنسيج يدل على وجوب تحديد الحاجة الى الورق . ومن الجائز ان مثل هذا الاجراء يرجع أصله الى الاسطورة التي رواها المؤرخ بليني (١) . نقلا عن فارون (Varron) (٢) . وتحديثا الاسطورة أن الملك بطليموس بعد أن حرم تصدير الورق بسبب المناقشة بينه وبين الملك ايميس في موضوع « المكتبات » اخضع الأخير الكاغد (جلد الغزال) للكتابة عليه بدلا من الورق في «برجام» وسواء اكانت هذه القصة حقيقية ام لا فانها قد ترجمت عن محاولة مشابهة في النظام الاقتصادي ، وتتفق مع اقتصاد الاحتكارات . ومن الجائز ان المادة التي كانت تقدم للتصدير كانت تنقص على قدر المطلوب منها ولم يكن ذلك على حسب قانون التصدير بل بتحديد زراعة البردي .

ومهما يكن من أمر فإن قبضة الملك بطليموس الثانى على التجارة الخارجيه للورق لم تكن بادارة مباشرة ؛ فقد كان من المحتمل ان بطليموس الثانى كان يريد ان يتجنب الاخطار بنزوله للمصنع عن حق تصدير الورق واكتفى بفرض حقوق مالية على تصديره .

احتكار الثروة المعدنية

تدل البحوث على ان المواد التى كانت تحتكر فى مصر لم تكن قاصرة على الزيت والورق بل امتد هذا الاحتكار الى منتجات البلاد المعدنية بوجه عام وقبل ن نتحدث عن تمييز الثروة المعدنية فى مصر فى العهد البطلمى يجدر بنا أن نلفت النظر الى اننا قد تحدثنا عن احجار مصر ومعادنها بشئ من التفصيل فى بعض اجزاء هذه الموسوعة وكذلك عن الدور الذى لعبته فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والحربية فى تاريخ دولة الفراعنة من أول نشأتها حتى دخول الاسكندر الاكبر ، ويكفى ان نشير هنا الى بعض احجار مصر ومعادنها . والواقع ان الطبيعة حبت أرض مصر انواعا عدة من الاحجار الصلبة واللينة الجميلة مما جعل مصر مهد صناعة الاحجار واستعمالها منذ عصر ما قبل الاسرات (١) وهناك أحجار اخرى استعملها المصرى فى غير البناء مثل حجر الطران والبرشيا وغيرهما (٢) . هذا وتحتوى أرض مصر على احجار كريمة وشبه كريمة استعملوها للزينة (٣) .

هذا وتدل الاثار المكشوفة فى مصر على ان سكان وادى النيل كانوا يستعملون معادن مختلفة الانواع وجد معظمها فى تربة مصر وكان الملك هو المسيطر على استخراجها وصناعتها وأهمها الذهب والحديد والقصدير والفضة والرصاص والسمام والنحاس والشب والنظرون قد تحدثنا عنها ببعض التفصيل فى الجزء

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثانى من صفحة ١٤٤ - ١٥٥

(٢) راجع مصر القديمة جزء ٢ ص ١٥٥ - ١٦٤

(٣) راجع مصر القديمة ج ٢ ص ١٦٩ - ١٨٠

الثانى من مصر القديمة (١) ، وقد كانت كل هذه الاحجار والمعادن تستعمل فى مصر بدرجة كبيرة ويسيطر على استخراجها فراغة مصر الى حد بعيد فى المهود الأولى من تاريخ البلاد عندما كانت كل السلطة تتجمع فى يد الفرعون وقد بقيت على أية حال ملك الفراغة بدرجة عظيمة حتى نهاية حكمهم

وتدل كل الظواهر على ان البطالة قد استغلوا هذه المحاجر والمناجم وان كان المصريون القدامى لم يتركوا لهم شيئا كثيرا فى مناجم المعادن وبخاصة الذهب والنحاس . وعلى أية حال استولى البطالة على كل المحاجر والمناجم حتى أصبحت نهب احتكار لهم ، كما كانت الحال فى مصر القديمة وكذلك لم يستعمل البطالة الاحجار الصلبة فى مبانيهم الدنيوية بل كانوا يقيمونها على غرار بيوت قدماء المصريين من اللبن . وقد لوحظ ذلك فى مباني المستعمرين من الاغريق فى قرية فيلادلفيا من أعمال الفيوم (٢) . هذا وكان الاهالى يضعون على المباني المصنوعة من اللبنة طبقة ملاط بلون المرمر ، كما كان يفعل المصريون من قبلهم . وقد شوهد ذلك فى مباني مدينة تل العمارنة «اختاتون» . ولم تستعمل الاحجار فى المباني الدنيوية الا فى الاسكندرية التى كانت مقر البطالة اما معظم استعمال الاحجار الصلبة فكان فى اقامة المعابد وصنع التماثيل .

والظاهر ان البطالة كانوا يطرحون قطع الاحجار فى مزاد وكان المقاول يتسلم أجره من بطليموس تقدا أو عينا كالقمح والزيت ، وكانت المستودعات الملكية هى التى تمد العمال بالالات اللازمة لقطع الاحجار وتهذيبها . وكان الملك هو الذى يقوم بنقل الاحجار .

والظاهر ان اعمال السخرة واستعمال الاسرى والمجرمين فى المحاجر لم يكن

(١) راجع جزء ٢ ص ١٨٠ - ٢٠٦

R. Columbia-Zenon 38 & P. Cairo-Zenon 59758; Columbia-Zenon 36-39.

(٢) راجع

شائعا وذلك لان المحاجر دائما كانت قريبة من الاراضى الزراعية . وكان الملك يفضل بقاء الفلاحين فى زراعة الارض لان المحاصيل الزراعية كانت مفضلة على قطع الاحجار لحاجة البلاد الى قوتهم . يضاف الى ذلك ان قطع الاحجار وتهذيبها كان يحتاج الى عمال مهرة . وفى كثير من الاحيان كان الملك يستعمل الجنود فى غير أوقات الحرب فى قطع الاحجار منذ أقدم العهود (١)

هذا وكان العمال الاحرار الذين يعملون فى المحاجر يتقاضون أحيانا اجرا محترما نسبيا فكان مرتب الفرد فى الشهر يبلغ أحيانا اثنى عشرة درخمة ، هذا بالإضافة الى أردب من القمح ومقدار من الزيت شهريا أيضا ما الاسرى فكان على كل واحد منهم ان يقطع اكثر من متر مكعب يوميا (٢) وذلك على حسب ما جاء فى احدى برديات «زينون» الذى عاش فى عهد بطليموس الثانى . واذا قرنا ما كان يأخذه العامل الماهر من أجر بما كان يتقاضاه العامل فى عهد الفراعنة وجدنا ان الاخير كان أحسن حالا بدرجة عظيمة فقد ذكر لنا « رعسيس الثانى » فى احدى لوحاته التى يتحدث فيها عن قطع تمثال ضخم له بما لم نسمع به حتى فى أيامنا هذه من حسن معاملة العمال والعناية بأمرهم (٣) . فاستمع اليه وهو يخاطب عماله : « كل واحد منكم عليه عمل شهر ولقد ملأت لكم المخازن من كل شئ من خبز ولحم وفتائر ونعال وملابس وعطور لتعطير رؤسكم كل اسبوع ولأجل كسائكم كل سنة ولأجل أن تكون أخصم أقدامكم صلبة دائما ، وليس من بينكم من يمضى الليل يثن من الفقر ، ولقد عينت خلقا كثيرا ليمونوكم من الجوع وكذلك ساكين ليحضروا لكم سكا وآخرين بستانين لينبتوا لكم الكروم ، وصنعت أوان واسعة على عجلة صانع القفار لتبريد الماء لكم فى فصل الصيف . وفى الوجه القبلى يحمل لكم

A.S. 25, 1925. PP. 242-255

(P.S.I. 423

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع مصر القديمة الجزء السادس ٦٢٣ - ٦٢٤

حب للوجه البحرى ، والوجه البحرى يحل للوجه القبلى قمحا وملحا وفولا
بكميات وفيرة . ولقد قمت بعمل كل هذا لأجل أن تسعدوا وأنتم تعملون
بقلب واحد . » ولسنا فى حاجة الى التعليق على ماجاء فى خطاب «رعسيس
الثانى» هذا فهو حلم العامل الحديث ولا أظن بعد هذا يمكن أن يصدق ماجاء
فى الاساطير عن ظلم الفراعنة وجبروتهم .

وإذا قرنا ما جاء فى خطاب رعسيس الثانى هذا بالمعاملة التى كان يعامل
بها البطالة المصريين وجدنا انه كان هناك فرق شاسع وعسف وظلم لا يتصوره
العقل . فقد حدثتنا بردية من هذا العصر انه فى الاقاليم الصحراوية التى
كانت مهددة بالقحط والبرد اذا تأخرت عن العمال البعير أو السفن لتسليم
الاحجار التى تم قطعها فان ذلك كان خطرا على العمال الذين كانوا كثيرا
ما يكون قد أعياهم العمل ، هذا فضلا عن عدم تسلم اجورهم بانتظام فيشيع
بينهم الجوع (١) ، وسواء أكان هؤلاء العمال من الذين يعملون بأجر أم من
الجنود أم من الاسرى فانهم كانوا يشكون فى مثل هذه الاحوال مر الشكوى
بل كانوا أحيانا يهددون بالعودة الى بلادهم العامرة ، وإذا لم تجب طلباتهم
فانهم كانوا يهددون بالاضراب عن العمل خوفا من ان يتركوا فى مجاهل
الصحراء فى بؤس وضنك قاتلين (٢) .

هذا وكان العمل فى مناجم المعادن وبخاصة مناجم الذهب قاسيا فقد صور
لنا بأبشع وأفظع صورة كما سنرى بعد .

والآن نتحدث عن بعض هذه المنتجات الطبيعية التى كانت تستخرج من
مصر :

الملح : الواقع ان الملح قد لعب دورا هاما فى تاريخ الضرائب فى معظم
ممالك العالم فى الازمان الحديثة . ولا غرابة اذا ان نجد احتكار الملح فى مصر

P. Petrie. II, 13, 1

(١) راجع

P. Petrie II, 13 (1) = III 42, C (12); Ibid. II, 4 (8) راجع (٢)

= III, 42 C. III 43 (3); P. Hibeh 71; P. Petrie II, 4 (9).

كان شديدا وعليه مراقبة تامة ، غير اننا لا نعلم بكل أسف النظم التى كانت تستعملها البطالة للحصول على الملح ولا شك فى انه كان يحصل عليه من مناجم الملح ومن بحيرات ملحة ومن ماء البحر . ولا نزاع فى ان اوانى الملح كانت ملك الحكومة . وعلى أية حال لم تكن تجارة الملح حرة فقد كان حق بيعه بالتجزئة يعلن فى مزاد علنى . والوثيقة التى تحدثنا عن ذلك يرجع عهدها الى حوالى عام ١٤٢ ق.م ولكن تدل شواهد الاحوال على ان هذه العملية كانت ترجع الى القرن الثالث (١) . هذا وكان مثل الملح كمثل السلع الأخرى كالزيت والشعير والنطرون يسلم للتجار بوساطة عمال الملك. هذا ونجد فى الوثائق الاغريقية التى عثر عليها فى «الفيوم» وترجع الى القرن الثالث ضريبة كانت تضرب على الملح (٢) تنسلمها الحكومة .

الشب : ومن المواد التى كانت تجبى عليها ضرائب يفرضها الملك مادة الشب وكان مثلها كمثل المعادن الأخرى التى تستخرج من أرض مصر ، وكانت ملكا للملكها . وهذه المادة تستعمل فى تثبيت الوان النسيج . ومما يؤسف له انه ليس فى متناولنا وثائق من العهد الهيلانستىكى تؤكد فرض ضريبة على الشعب والوثيقة الوحيدة التى لدينا تؤكد دفع ضرائب على الشعب ترجع الى نهاية النصف الأول من القرن الثانى بعد الميلاد (٣) . وهذه المادة كانت تستخرج من الواحيتين الداخلة والخارجة . هذا وكانت أول اشارة لوجود انشب فى مصر قد جاءت على لسان «هردوت» وذلك عندما قال ان الملك أمسيس الثانى (٥٦٩ - ٥٢٦ ق.م) قد أرسل كمية من الشب لبلاد اليونان ، وذلك عند إعادة بناء معبد «دلفى» وقد سى مادة قابضة (٤).

تحدث بعد ذلك عن المعادن الشهيرة التى كانت موجودة فى مصر منذ

(١) راجع Heichelheim, Monopole Coll. 159-161; B.L. III. P. 239

(٢) Petrie III, 121 (B)

B.G.U. 697 = Wilcken Chrest. No. 321.

(٣) راجع

(٤) راجع مصر القديمة الجزء الثانى صفحة ٢٠٤ - ٢٠٥

لقدّم واستغل مناجمها البطالمة :

المعادن : ولا نزاع في ان شهرة مصر من حيث المعادن الثمينة كانت تنحصر في كمية الذهب التي كانت تستخرج من مناجمها التي كانت عالمية ويضرب بها الامثال . والواقع ان قدماء المصريين قد استغلوا المناجم الشاسعة الواقعة بين وادى النيل والبحر الاحمر وبخاصة الصحراء الشرقية جنوبا من طريق قنا والقصر الى حدود السودان . والوديان التي وجد فيها الذهب كانت مجهزة بطرق معبدة ومحاط قديمة حفرت فيها ابار ماء (١) .

هذا ولا تزال اثار عمليات استخراج الذهب في العهد الفرعوني باقية في اماكن عدة ببلاد النوبة . ونجد كذلك في وادى فواخير بالقرب من مناجم وادى حمامات على الطريق الذى يربط ققط ببيناء « لوكوس ليمن » Leukos Limen معبدا أقامه بطليموس « ايرجيتيس » لاله « مين »

وهناك نقوش تدل على ان الاغريق قد جاؤا الى هذا المكان للبحث عن الذهب (٢) . وكذلك وجدت في ققط كثيرة في الصحراء شرقى « ادفو » وفي وادى علاقى ببلاد النوبة اثار لاستغلال البطالمة لمناجم الذهب (٣) .

ومن أهم المعادن التي كانت تحتاج اليها مصر الفضة غير انها لا توجد في التربة المصرية كثيرا (٤) . وقد كشف أن الذهب يحتوى أحيانا على جزء من الفضة أما الحديد الذى يستخرج الان من الصحراء الغربية فلم يكن معروفا عند قدماء المصريين . هذا ولا نجد أثرا للحديد الا في منجم واحد يرجع الى عهد قدماء المصريين (٥) .

(١) (راجع مصر القديمة الجزء الثانى ١٨٩ - ١٩٥ ، والجزء السادس ٢٣١ - ٢٣٦ ، والجزء العاشر ١٣٥ - ٤٠٤ - ٤٠٥) .

(٢) راجع Wilkinson, The Manners and Customs of the Ancient Egyptians II. P. 238.

(٣) راجع K. Fitzler Steinbruche und Bergwerke. PP. 6-7; J.E.A. (1925), Pl. XI; Dykman, Histoire Economique, etc. PP. 142-146.

(٤) (راجع مصر القديمة الجزء الثانى ص ٢٠٠ - ٢٠٣) .

(٥) راجع Wilkinson, Op. Cit. II, p. 250. ومصر القديمة الجزء الثانى ص

أما النحاس الذى كان يوجد فى مصر بكثرة فى العهد القديم وبخاصة فى شبه جزيرة «سيناء» فلم يهتم بالبحث عنه البطالة لانه كان يوجد بكثرة فى جزيرة قبرص التى كانوا يسيطرون عليها (١).

وأخيرا نجد فى الصحراء الشرقية بالقرب من برنيكى فلزات زمرد فى «سكت» حيث يوجد معبد منحوت فى الصخر عليه نقوش اغريقية تشهد بنشاط البطالة فى هذه الجهة (٢) .

وكل هذه الفلزات المعدنية والحجرية تقع فى الاقاليم الصحراوية أو فى مواقع جبلية وعرة . غير ان المعضلة كانت فى كيفية استخراج هذه المواد سواء أكانت مناجم نحاس أم فلزات كوارتز تحتوى على ذهب أم أستخراج قطع الزمرد والزرجد والكورنالين والامتست والاحجار نصف الكريمة . والواقع أن استخراج هذه المواد من الصحارى والجبال كان يحتاج الى عمل شاق مضمّن .

تنظيم العمل : كان لا بد من جمع العمال المهرة المختصين فى استخراج هذه المعادن وامدادهم بكل ما يلزم فى مكان العمل نفسه ، كما كان يحتاج الى عمال آخرين لنقل هذه الكنوز بعد استخراجها . وهذا كان من أصعب الأمور . يضاف الى ذلك ان الأمر كان يحتاج الى معالجة هذه المعادن فى المكان الذى عثر فيه عليها الى درجة يمكن بعدها ان يصبح الشئ الذى سينقل أقل ما يمكن من حيث الوزن .

هذا وكان لا بد من تنظيم جماعة من رجال المناجم على ان يكون معسكرهم محروسا بشرطة خاصين بهم ، ويكون لهم رؤساء وآلهة يتعبدون لهم وأخيرا كان لا بد من المحافظة على المناجم والطرق المؤدية لها . ومما سبق نفهم ضمنا

(١) J.R. Partington, Origin and Development of Applied Chemistry (1935). PP. 362-5.

Murray, J.E.A. Vol. II, Pl. XI, P. 144, Pl. XV, I; Strabo, XVII, P. 815.

(٢) راجع

ان الملك وحده هو الذى كان فى استطاعته القيام بكل ذلك كما كانت الحال فى عهد الفراعنة . أما من الناحية لمالية فكان الملك يمكنه ان يعطى المشروع للمتزمين من اصحاب المؤسسات المالية الذين كانوا يقومون بمثل هذه الاعمال . ولا نعلم اذا كان البطالمة قد مارسوا مثل هذه العمليات المالية الخاصة باستغلال المناجم أو أنهم لم يمارسوها .

اليد العاملة : وما سبق لا يمكننا ان نصف سير العمل فى مثل هذه المناجم الا التى كانت تحت السلطة الملكية مباشرة . ولحسن الحظ لدينا سلسلة قصص مما تركها لنا «ديدور» الذى عاش فى عهد قيصر وأوغسطس (١) ، أى انه كان قريبا من عهد البطالمة وسأنتقل هنا الصورة التى وضعها «ديدور» للعمل فى مناجم الذهب والمعاملة التى كان يعامل بها العمال المصريون فى عهد البطالمة وعلى القارىء أن يحكم بعدها على هؤلاء الملوك بعد قرنها بالصورة التى نقلناها عن رعمسيس الثانى ومعاملته للعمال فى مناجم قطع الأحجار . وهاك ما ذكره ديدور حرفيا :

« عند نهاية حدود مصر وفى الاقليم المتاخم لكل من بلاد العرب واثيوبيا يوجد اقليم يحتوى مناجم ذهب كبيرة عدة حيث كان يمكن الحصول على الذهب بكميات عظيمة بعد متاعب كثيرة ومصاريف كبيرة . وذلك لأن الارض هناك سوداء بطبيعة الحال وتحتوى على طبقات وعروق من حجر الكوارتز وهى على غير العادة بيضاء وتنفوق فى نصوع بياضها أى شئ آخر يلعب باشراف بطبعه ، وهنا يحصل المشرف على العمل فى المناجم على الذهب بواسطة جم غفير من الكادحين وذلك ان ملك مصر كان يجمع سويا لاستخراج الذهب أولئك المدنيين الذين أدينوا بجريمة ، هذا بالإضافة الى أسرى الحرب وأولئك الذين اتهموا ظلما والقى بهم فى السجن بسبب غضبهم . على ان ذلك لم يقتصر على مثل هؤلاء الاشخاص بل أحيانا كان يؤخذ معهم كل

أقربائهم أيضا . وبهذه الكيفية لم يكن العقاب يوقع على أولئك الذين وجدوا مجرمين بل كان في الوقت نفسه يجنى الملك دخلا عظيما من كدحهم . وهؤلاء المحكوم عليهم بهذه الطريقة - وكانوا جمهرة عظيمة كبلوا كلهم في الاغلال - يكدحون في عملهم دون انقطاع ليل نهار لا يتمتعون براحة كما أن سبل الهرب قد انقطعت عنهم ، وذلك لانه كان يراقبهم حراس من الجنود الاجانب يتكلمون لغة مختلفة عن لغتهم لدرجة ان الفرد منهم لم يكن في استطاعته بالمحادثة أو التحاب ان يفوى واحدا من حراسه . وكانت الارض التي تحتوى على ذهب وهى اصلب ما يكون تحرق أولا بنار حامية وبعد ان يفتتوها بهذه الكيفية يستمرون في العمل فيها باليد ، وكان الصخر اللين الذى يمكن التغلب عليه بقوة معتدلة يهشم بمطارق من الحديد يستعملها عشرات الالاف من أولئك الاشقياء الذين أخطأهم الحظ . وكانت ادارة كل العملية في يد عامل ماهر يعرف كيف يميز الحجر ويريه للعسال ، وكان أقوى هؤلاء الذين خصصوا لهذا العمل المضىنى هو الذى يوكل اليه كسر صخر الكوارتز بمطارق من حديد ، وكان لا يقوم بأى عمل يحتاج الى مهارة غير مجرد القوة . وكانوا يقطعون النفق في الحجر لا في خط مستقيم بل على حسب ما يقودهم اليه الصخر اليراق . وهؤلاء الكادحون الذين كانوا يعملون في الظلام كانوا يحملون مصابيح معقودة على جباههم بسبب الانحناء والالتفاتات التى فى المرات ، ولما كانوا فى معظم الوقت يغيرون أوضاع اجسامهم ليتتبعوا طبيعة الحجر فانهم كانوا يلقون قطع الحجر كلما قطعوها على الارض ، وكانوا يكدحون فى هذا العمل دون هواة خوفا من صرامة سوط المشرف وضربات القاسية .

أما الاولاد هناك الذين لم يكونوا قد بلغوا الحلم فكانوا يدخلون النفق فى المرات التى تتجت من ازالة الاحجار ويجمعون بشقة قطع الصخر الملقاة قطعة قطعة ويحملونها الى الخارج فى خارج المدخل . واما اولئك الذين

جاوزوا الثلاثين من عمرهم فكانوا يأخذون هذه الاحجار التى قطعت
ويطحنون مقدارا مميّزا منها فى هاونات من الحجر الى أن تصبح كل قطعة فى
حجم حبة الجليان (مثل الفول) وبعد ذلك كان على النساء والرجال الأكبر
سنا ان يأخذوا منهم الاحجار التى بهذا الحجم ويلقونها فى المطاحن المنصوبة
صفا هناك ويأخذون اماكنهم فى جماعات مؤلفة كل واحدة من شخصين أو
ثلاثة عند مقبض كل طاحون ويطحنون هذه الاحجار الصغيرة الى ان تصبح
كالدقيق الناعم جدا . ولما لم تكن لدى أى واحد منهم فرصة للعناية بجسمه
ولم يكن لديهم كذلك من الملابس مايستر عورتهم فانه لم يكن فى استطاعة
أى فرد ان ينظر الى هؤلاء النساء دون ان تأخذه الشفقة بسبب الآلام البالغة
التى يقاسونها . وذلك أنه لم يكن يمنح أى تساهل أو هدنة من أى نوع
لأى فرد أصابه المرض أو بتر عضو من أعضائه ، أو أقعده الشيوخوخة . اما
النساء فلم يكن يشفع لهن ضعفهن أو مرضهن بل كان الكل سواء دون
استثناء مضطرين تحت تهديد السياط الى الاستمرار فى كدحهم الى درجة أنهم
كانوا يموتون غارقين فى آلامهم وعذابهم . ومن ثم فان هؤلاء الفقراء
البائسين كانوا يعتقدون بسبب ما كانوا يلاقون من عقاب صارم ان المستقبل
سيكون أعظم فظاعة اكثر مما هم فيه الآن ، ومن أجل ذلك كانوا يتطلعون
الى الموت على انه أحب اليهم من الحياة .

وفى آخر خطوة من البحث عن الذهب كان مهرة العمال يتسلمون الحجر
الذى طحن حتى أصبح كالدقيق لآخر مرحلة من معالجته ، وذلك أنهم كانوا
ينظفون بالفرك قطع الكورتز التى كانت قد وضعت على لوح عريض مائل
بعض الشيء وصب عليه الماء كل الوقت ، وعلى ذلك كانت المادة الطينية التى
فيه تذوب بفعل الماء وتجرى الى اسفل اللوح المائل فى حين ان المادة التى
تحتوى على الذهب تبقى على الخشب بسبب قتلها . وكانت هذه العملية تكرر
عدة مرات ، فكانوا أولا يفركون المادة برفق بأيديهم ثم يضغطون عليها

باسفنج ذى مسام مفتوحة وبذلك كانوا يزيلون الأجسام الغريبة ولا يبقى
الا التبر فقط . وبعد ذلك يأخذ عمال آخرون مهرة ما بقى ويضعونه بمكيال
ووزن محدودين فى أوانى من الطين ويخلطونه بكتلة من القصدير مناسبة
للمادة وكذلك يقطع من الملح وبعض الصفيح ثم يضاف الى ذلك نخالة شعير .
وبعد ذلك يسد الاناء بسدادة محكمة ويوضع عليه ملاط من الطين ، ثم
يؤخذ الى الفرن لمدة خمسة ايام متتالية بلياليها وفى نهاية هذه المدة تبرد
الوانى ، وبعد فتحها لا يوجد فيها الا الذهب الخالص ، وليس هناك من
المواد الغريبة الا الشيء القليل » .

هذا وكان الاشراف على مثل هذه المناجم موكلوا الى ضباط عظام كان عليهم
ان يؤمنوا السلع التى كانت تأتى من الشرق كما كان عليهم ان يؤمنوا الطرق
المؤدية الى قطع الاحجار والبحث عن المعادن . وأكبر دليل لدينا على ذلك
نقش عثر عليه للاله «مين» رب «قفط» الذى يحفظ الطريق ويؤمنها للباحثين
عن المعادن والاحجار الصلبة (١) .

ومما يؤسف له ان الأوراق البردية لم تكشف لنا عن شئ عن الاعمال
الثانوية الخاصة بالقرى التى كان يعيش فيها عمال المناجم من حيث ثقلهم
وتجهيزهم ونظامهم المدنى ومن المتوقع أن يكون لهم فى هذه القرى على
الأقل قضاتهم وشرطتهم . والآن يتساءل المرء هل يمكن أن تقرر ذلك بما
كان عند قدماء المصريين فى مثل هذه الأحوال وان تفرض أن الأحوال لم
تتغير منذ عهد الفراعنة ؟ اذا كان ذلك صحيحا فان النص الذى تركه لنا
رعسيس الرابع فى نقش شهير نعرف منه انه أرسل بعثتين الى محاجر
« وادى حمامات » : الأولى كشفية والثانية عملية وتعد أكبر بعثة معروفة
لدينا حتى الآن فقد كانت تحتوى على كل ما يلزم على غرار الحملات الحديثة
الآن فلم يكن ينقص رجالها شئ قط وقد تحدثنا عنها باسهاب فى الجزء

الثامن من مصر القديمة ص ٣٤ - ٤٩ . ولم تكن هذه هى الحملة الأولى المنظمة التى أرسلت لقطع الأحجار بل سبقتها حملات (١) .

قيمة المناجم : ليس لدينا نقوش تمكننا من تقدير محصول المناجم فى عهد البطالمة كالتى وجدت فى عهد الفراعنة وان كانت الاخيرة غير شاملة كما جاء فى حملات تحتمس الثالث من ذكر محصول مناجم بلاد النوبة من الذهب . غير أن الذهب لم يكن المادة الهامة التى يحتاج اليها ملوك البطالمة كما كانت الحال فى عهد الفراعنة ، بل ان مقتضيات الأحوال كانت تحتم الحصول على الحديد حتى تقوم بدورها فى العالم الهيلنستىكى ، وذلك لأن الحديد كان ضروريا لصناعة آلات الحرب والزراعة وكان لابد لهم من الفضة كذلك لأنها كانت تعد العيار النقدى الاغريقى السائد فى تلك الفترة من تاريخ العالم (٢) .

والآن يتساءل الانسان هل كان فى مقدور مصر أن تدفع بما لديها أو بما تستخرجه من مناجمها ثمن البضائع التى تشتريها من الخارج . ويجب على ذلك «ديدور» بقوله ان مناجم الذهب كانت تدر على الملوك دخلا عظيما (٣) غير أن هذا لا يخرج عن كونه تعبيراً نسبياً . وذلك لأن مناجم الذهب فى مصر كان استغلالها صعبا ومحصولها قليلا لا يكفى ثمنا لتبادل السلع . وهذا هو السبب الذى يفسر لنا الجهود التى كان يبذلها البطالمة فى التشديد على زيادة المحصول ومراقبة الاحتكار للبضائع التى كانت تصدر للخارج مقابل نقد . وهذا يكشف لنا الغطاء عن الريح المفرط الذى نلاحظه فى الاقتصاد البطلمى (٤) .

(١) (راجع مصر القديمة جزء ٣ ص ١٠٩ - ١١٠) .

(٢) راجع Rostovtzeff Foreign Commerce of Ptolemaic Egypt.

Journal of Economic & Business History IV, (1932). PP. 732-4.

Diod. 12, 2.

(٣) راجع

(٤) راجع Wilcken Alexander der Grosse und hellenistische Wirtschaft

(Schmollers Jahrb, 45 (1921). PP. 387-389).

وسرى بعد في السياسة النقدية التي سار على نهجها البطالة أن مصر استعانت بالذهب الأجنبي وفق سياسة بطليموس الثانى الى أن زيفت قطع النقود في البلاد، كما نشاهد ذلك في نهاية القرن الثالث مما أفقر البلاد في المعادن الثمينة .

والواقع أن ثمن تكاليف الذهب الذى كان يستخرج من تربة مصر كان أغلى من الذهب الذى يدخل البلاد بوصفه ثمن بضائع مصدرة فقد دل الفحص على أن ثمن تكاليف الدرخمة الواحدة من الذهب المستخرج من أرض مصر لا يساوى أكثر من الذى يبذله الانسان من تكاليف من مقدار القمح المباع في الخارج في مقابل درخمة من الذهب . وعلى أية حال يظهر أن المصريين القدامى كانوا قد استنفدوا كل مناجم الذهب فلما جاء البطالة لم يجدوا فيها ما يساوى النفقات التى تصرف عليها كما هى الحال في أيامنا .

ولم تقتصر مصادر مصر المعدنية على وادى النيل في عهد البطالة ، وذلك لأنه عندما مد البطالة سلطانهم في عهد بطليموس الأول ومن بعده ابنه بطليموس الثانى على أقاليم كانت فيها النقود وفيرة ، هذا بالإضافة الى أن الخراج الذى يجبى من هذه الأقاليم والأسلاب التى يستولى عليها بالفتح كان كل ذلك يؤلف دخلا من المعادن الثمينة عظيما لا يكلف مصر شيئا .

يضاف الى ذلك مقدار ما كانت تجلبه تجارة مصر من ذهب الى خزانة البلاد. ويقول استرابون ان الاسكندرية في زمنه كانت تصدر أكثر مما تستورد ، غير أننا لا نعلم اذا كانت قيمة البضائع المصدرة أقل من المستوردة أم لا . وعلى أية حال فإن الأحوال كانت قد تغيرت في مدة ثلاثة القرون التى حكمها البطالة حتى العهد الذى كتب فيه «استرابون» . وأخيرا يجب علينا كذلك بهذه المناسبة أن نفرق من الوجهة الاقتصادية بين مصر وبين ملك مصر . والواقع أن ريف مصر وقراه في مقدوره أن يعيش باقتصاد مغلق (مكتفى ذاتيا) في حين أن ملك مصر كان مرتبطا بالمعاملات الخارجية، ولذلك فإن سكان مصر الاصليين كان لهم تاريخهم وحياتهم التى ورثوها منذ أقدم المهور وظلوا محافظين عليها حتى نهاية العهد الرومانى .

وبجانب المصادر الخارجية التى لها علاقة بثروة البلاد المعدنية لا بد أن نشير هنا الى كنوز المعابد المصرية ، فهذه كانت تكس في خزائن الكهنة منذ قرون طويلة ، وكانت تعتبر دليلا على جمود اقتصادى . ومع ذلك نجد على عقود عهد البطالمة خاتم الآلهة كما نجد أن تماثيل العباد كانت مصنوعة من الذهب ومرصعة بالأحجار الكريمة ، وكذلك نلاحظ أن الأثاث المقدس كان كله مشغولا بالفضة هذا الى القرابين التى كان يقدمها الأتقياء للمعابد ، وهذه الكنوز هى التى كانت تهر الغزاة الاجانب من آشوريين وفرس هذا ولا بد أن نفهم ان ثروة البلاد كانت أحيانا في يد الملك وأحيانا في يد المعابد عن طريق القربان والمصادرات ، وهنا كذلك نجد دورة في نقل المتاع لم يكن للقرى فيها نصيب .

وسواء أكانت المعادن تأتي عن طريق المناجم أم عن طريق الخراج من البلاد الاجنبية أم كانت تمثل أثمان البضائع المصرية المصدرة الى الخارج فانه كان لا يدخل البلاد المصرية الا القليل من المعادن التى لم تكن معروفة للإدارة الملكية . غير أننا نجهل اذا كان هناك احتكار مطلق لتجارة المعادن الثمينة وبخاصة الطرق التى كان يمكن ان تدخل بوساطتها هذه المعادن في الاقتصاد المصرى ولم يكن للملك حق في السيطرة عليها بطرق قانونية مختلفة .

وهاك الأوجه الرئيسية لبيان المصروفات والواردات من الذهب أو المعادن الثمينة كان على الملك أن يدفع مرتبات موظفيه وجيشه والاشغال العامة وشئون العبادة ومصاريف السياسة الاجنبية ، غير أنه يجب علينا ألا ننسى أن جزءا كبيرا من مرتبات رجال الحكومة كان يدفع عينا وذلك اما قمحا أو مقابل ايجار أرض .

وكان الملك يشتري من الفلاحين منتجات متنوعة كالقمح والنسيج والحبوب الدهنية ، ولكن النقود التى كان يدفعها تعود اليه ثانية من وجوه

عدة ، وذلك أن المنتجين الذين تسلموا هذه النقود كانوا يشترون بها عن طريق الملتزمين منتجات مصنوعة مثل الجعة والزيت ، وكانوا يدفعون له فضلا عن ذلك بعض ضرائب ، وفوق كل ذلك كان الملك يشتري منتجات أخرى ويبيعها في الخارج اما بنفسه أو بأشخاص اشتروا حقوق بيعها . ومن جهة أخرى كانت مصر تشتري بضائع من الخارج لاتنتجها مصر ، ويقول «استرابون» أن البضائع التي كانت تصدر من الاسكندرية أكثر من التي ترد اليها بدرجة ملحوظة ، ولكن لا يغيب عن الذهن انه على الرغم من ان كثيرا من البضائع المصدرة كانت قد أتت من الخارج من الجنوب والشرق ، فان الاسكندرية لم تكن ميناء التوريد للشرق بل كانت السلع السورية تأتي عن طريق « بلوز » . وكانت «رودس» على ما يظهر في خلال القرن الثالث مستودع تجارة الشرق .

ومن بين « الدخوليات » التي كانت ترد الى مصر دون مقابل جزية البلاد البطلمية في البحار النائية في خلال القرن الثالث . وأخيرا كان الملك مضطرا أن يقدم للمعابد هدايا نقدية أو أشياء ثمينة . وكانت هذه عبارة عن حماية اجبارية .

ويبقى بعد ذلك كمية قليلة نسبيا تورد للصناعة . والآن يتساءل المرء هل الملك هو صاحب الحق الوحيد في أن يبيع ما يحتاجه الصياغ وصناع الجواهر الذين كان عددهم كبيرا في الاسكندرية وفي المدن الكبيرة من الذهب والفضة والأحجار شبه الكريمة والنحاس والصفير لصناعي البرونز ؟.

والواقع انه ليس لدينا معلومات عن نظام صناعة المعادن الثمينة . وأقل ما يقال في هذا الصدد أن تجارة الذهب والفضة التي لم تصنع نقودا كان يفرض عليها دفع مبلغ من المال بمثابة ترخيص أو ضريبة ، وذلك لأننا وجدنا في قرية مقاطعة « البهنة » في خلال القرن الثالث أو القرن الثاني ملتزمين

ينزلون لفرد آخر عن حقوق جمع دخل على الذهب (١) .
هذا ولدنا قائمة ضرائب جمعت من قرى عدة بالقيوم جاء فيها ما يثبت
وجود ضريبة على صناعة الصياغة التي كانت على ما يظهر تباع للمتزين في كل
قرية لجمع الضرائب عليها (٢) .

وليس لدينا شك في ان صناعة المعادن وبخاصة انتاج الالواح من الذهب
والفضة والبرنز كانت منتشرة في مصر القديمة ، كما انه ليس لدينا اى ريب
في أن مصر الهيلانستكية قدورثت هذه التقاليد القديمة الفاخرة. ولدينا براهين
كثيرة على ذلك نشاهدها في الكنوز العدة من الواح الذهب والفضة واواني
العبادة والمجوهرات التي عثر عليها في باكورة القرن الثالث ق.م في مصر
وسنذكر هنا بعض الامثلة وأغنى الكنوز التي عثر عليها من هذا القبيل كنز
طوخ «القرموص» (٣) ويحتوى على نقود من عهد بطليموس الأول والسنين
الأولى من عهد بطليموس الثانى وقد كشف عام ١٩٠٥ ميلادية وهذه القرية تقع في
شمال الدلتا. وتحتوى على مجموعة مؤلفة من لوحة من الذهب والفضة ومقدسات
شعيرية ومجوهرات مصنوعة محليا طرازها اغريقى ومصرى واغريقى فارسى
ويشبه هذا الكنز ولكنه أقدم منه بقليل الآثار التي عثر عليها في منديس (٤).
ويأتى بعد كنز «طوخ القرموص» بعدة قصيرة الكنز الذى عثر عليه في
«ميت رهينة» ويحتوى على قوالب من الجبس مصنوعة من أوان من المعدن
وأشياء أخرى من المعدن ، ومعظم هذه الأشياء ترجع الى القرن الثالث ق.م
ولا نزاع في أن هذه القوالب كانت لمصنع ملء بالمعادن في «منف» . هذا
ولا يغيب عن الذهن أنه توجد قوالب ونماذج كثيرة مصنوعة من الجبس

· B.G.U. 1242.

(١) راجع

(٢) P. Petrie III, 117 (e) (f), 119 (a); Heichelheim Monopole, راجع
Col. 186.

Edgar, Le Musée Egyptiens II, (1907): PP. 57 ff.

(٣) راجع

(٤) Social & Economic History of the Hellenistic World. راجع
Vol. III, P. 1410.

والطين والحجر لأشياء مختلفة من المعدن عثر عليها في مصر . والعدد الأكبر من هذه القوالب التي يرجع الى العهد الهيلانستيكي وجد في مصانع «منف» . والكشوف العديدة التي عثر عليها في «منف» تشهد بأهمية هذه المدينة بوصفها مركزا لصناعات الأدوات المعدنية .

الحديد :

وأخيرا نجد أن البطالمة قد أدخلوا صناعة الحديد في مصر وتعد من أعظم الأعمال التي تمت على أيديهم . وقد تحدثنا عن الحديد في عهد الفراعنة ورأينا أن استعماله كان محدودا (١) والواقع أن الحديد لم يدخل في مصر الا منذ الدولة الحديثة . والآن يتساءل الانسان هل احتكر البطالمة تجارة الحديد في مصر وهل سيطروا على مراقبة تجارة استيراده من الغرب وبخاصة من إيطاليا ؟ وقد شرح لنا الإجابة على هذا السؤال المؤرخ رستوفتزوف فقد عزاها لأسباب اقتصادية ترجع الى مهارة بطليموس الثاني في الاقتصاد . وفي خلال الحرب التأديبية التي وقعت بين «روما» و «قرطاجنة» عرف كيف يظهر ميوله الى «روما» التي كانت قابضة على مواد الحديد كما أظهر عطفه على قرطاجنة التي كانت مشهورة بمواردها من القصدير ، وذلك دون أن يغضب واحدة منهما (٢) .

وعلى أية حال يظهر أنه حتى في مصر لم يكن استعمال الحديد سائدا بالدرجة المطلوبة في خلال القرن الثالث ق.م على الأقل اذ نجد أن الفلاحين كانوا لا يملكون آلات من الحديد اذ في ضيعة «ابولونيوس» نجد أن المناكيش والمسامير والمحاور والأذرع (للمقاس) والخردوات والسلاسل وسنارة الصيد كل هذه الأشياء كانت توزن بعناية قبل أن تعطى الصانع

(١) (راجع مصر القديمة الجزء الثاني ص ١٩٥ - ١٩٩) .

(٢) راجع Rostovtzeff, Foreign Commerce of Ptolemaic Egypt. (Journal of Economic & Business History), 4, (1932). P. 754.

لاستعمالها . هذا وقد وجدت قائمة من هذه الأشياء المصنوعة من الحديد مدونة على إحدى أوراق «زينون» (١). هذا ولدينا دفنر تسجيل من السنة التاسعة والثلاثين من عهد بطليموس الثانى يحتوى مناكيش وزعتها الادارة على موظفين وأصحاب كروم يظهر أنها كانت كروما ملكية .

وفى خلال القرن الثالث كذلك كان نقل الحديد اما محرما أو مراقبا كما يشهد بذلك موظف كبير . وذلك أن قارباً من التى كان يملكها هذا العظيم قد جرده مراقبو الملك من آلات السياحة التى لا غنى عنها (٢) .

ولا بد أن نبحث عن أسباب هذا لاحتكار المشدد ، فالواقع أن بطليموس لم يكن يريد من وراء ذلك أن يجنى كسبا بل كان يريد الاقتصاد فى هذه المادة الى وقت الحاجة وبخاصة فى الاستعمال الحربى ، ولاسيما أن الحديد لم يكن بعد مادة غزيرة فى مصر فى تلك الفترة من تاريخها وعلى أية حال فإن الحديد لم يكثر وجوده فى مصر الا تدريجاً عن طريق الاستيراد ، هذا فضلا عن أنه لم يبحث عنه بطرق علمية .

وعلى أية حال نجد أن الحديد المستورد كان مستعملاً بدرجة عظيمة فى فيلادلفيا . ويحتمل أن السبب فى ذلك لأنها كانت قرية نموذجية أريد استعمال كل الآلات الحديثة فى تنمية ثرواتها (٣) .

احتكار النقد والمصارف فى عهد البطالمة الاول :

تحدثنا فيما سبق عن المواد والأشياء التى كان يحتكرها بطليموس الثانى وتكلمنا عن احتكار الزيت والبردى ثم الثروة المعدنية وستحدث الآن عن احتكار النقود والمصارف فى العهد البطلمى . ولكن قبل أن نتحدث عن المصارف والدور الذى لعبته فى تاريخ الاقتصاد البطلمى يجدر بنا أن نتحدث

P. Cairo-Zenon 5978.

(١) راجع

P.S.I., 629, 630.

(٢) راجع

Social & Economic History of the Hellenistic World. P. 362-363. راجع (٣)

عن النقود وتاريخ استعمالها في مصر منذ أقدم عهودها الى أن أصبحت مادة تودع في المصارف التي يراقبها الملك ويحتكر استعمالها . والواقع أننا لم نسمع بوجود مصرف أهلى في العهد البطلمى الأول . ولا غرابة في ذلك فان البطالة كانوا هم القابضين على زمام كل ثروة البلاد تقريبا ، ومن ثم كان على الملك أن يختار العيار الذى تضرب على حبه النقود ، وكان هو الذى يحدد احتكار العملة واقاص وزنها وهبوط سعرها كما يشاء .

النقود في مصر القديمة :

تحدثنا عن النقود في العهد الفرعونى في الجزء الثانى من مصر القديمة من صفحة ٢٣٧ الى ٢٤٦ ، وقد برهنا في هذا الباب بقدر ما وصلت اليه معلوماتنا على أن مصر كان لها نقدا ، وان لم يكن مسكوكا ، تتعامل به منذ الأسرة الرابعة وهو «الشعت» وقد استمرت البلاد تستعمله مع بعض تغيير في الاسم حتى نهاية العهد الفرعونى اذ قد استعملت «الدين و «الكنت» طوال الدولة الحديثة حتى نهاية الأسرة الثلاثين . وحتى في عهد البطالمة استمر السكان المصريون يستعملونه أول ظهور النقد المسكوك في مصر القديمة^(١). دلت المعلومات التى وصلت إلينا حتى الآن على ان النقود المسكوكة بمعناها ومنظرها الحقيقيين لم تظهر في دائرة البحر الأبيض المتوسط حتى عهد الأسرة السادسة والعشرين المصرية ، ولم تظهر هذه النقود في مصر وقتئذ لان اقتصاد مصر لم يكن في حاجة الى وجود نقد . وعلى أية حال لم يعثر على أى نقد بمعناه المتعارف بيننا في مصر في تلك الفترة^(٢) .

هذا وتوجد لدينا الآن بعض البراهين الدالة على وجود نقد فرعونى خاص

(١) راجع J.E.A. Vol. 43. P. 71; Preaux. L'Economie Royale Des Lagides. P. 267; Rostovtzeff Social and Economic Hist. P. 89, 263, 264.

(٢) راجع Curtis Media of Exchange in Ancient Egypt in the Numismatist 1951. P. 482-491.

ضرب في مصر في عهد الأسرتين التاسعة والعشرين والثلاثين (١) .
والدوافع الأولى التي اقتضت ضرب عملة نقدية في مصر كانت في الواقع
مفقودة ، فقد كان انعدام المشاريع الحرة ووحدة البناء الاقتصادي والقوى
المنتجة بالإضافة الى انزال سكان مصر عن باقي العالم نسيباً واحتكار
الفراغة للتجارة وعيشة ملايين الفلاحين الذين يتألف منهم السواد الأعظم
من سكان مصر على هامش الاقتصاد، كل هذه الأمور مجتمعة كانت عوامل لا
توحى بضرب نقود بل كانت تكتفى البلاد بالمبادلة . ولكن عند قيام الأسرة
السادسة والعشرين ونهوضها بالبلاد دفعة واحدة كان قد تغير كثير من
هذه العوامل ، اذ قد تطورت الحياة الاقتصادية في الوجه القبلي بسبب
الفتح الفارسي ، وأهم من ذلك التأثيرات التي أحدثها التجار الاغريق الذين
كان قد شجعهم ملوك الأسرة السادسة والعشرين على التعامل مع مصر
بدرجة محسنة مما زاد في المعاملات التجارية بين البلدين ، غير أنه كان لا بد
من وجود دافع أقوى للاسراع الى ضرب نقود وقد خلق هذا الدافع عندما
وجدت مصر نفسها في حاجة الى استخدام جيش قائم من الجنود المرتزقين فقد
كان الملك «أوكوريس» ثاني أحد ملوك الأسرة التاسعة والعشرين هو الذي
ألف شبه فرقة ثابتة من الجنود المرتزقة من الاغريق في مصر ، وذلك عندما
أجبر قوة بلاد الفرس الحربية على التحول عن بلاده بالثورة التي هبت في قبرص
على يد ملكها «افاجوراس» وظلت أمدا طويلا كما شرحنا ذلك في غير هذا
المكان ، غير أنه مع ذلك لم يهمل المحافظة على وجود جيش من الجنود
المصريين في نفس الوقت . هذا وقد حافظ أخلاف «أوكوريس» في عهد
الأسرتين التاسعة والعشرين والثلاثين على هذا الجيش الاغريقي أكثر من
خمس واربعين سنة ، وكان من جراء ذلك أنه صد غزو الفرس عن البلاد

(١) راجع Jenkins, Greek Coins recently acquired by the British Museum in The Numismatic Chronicle (1955). PP. 144-50.

خلال السنين الأولى من عهد كل من تقطاب الأول وتقطاب الثاني .
والمهم في بحثنا هنا أن نشير الى أن هؤلاء الأجناد المرتزقين من الاغريق
لم يطب لهم تسلم أجورهم عينا أى بمحاصيل البلاد الطبيعية بل حتموا أن
بتقاضوا مرتباتهم نقدا ؛ ومن ثم كان لزاما على ملك مصر الدفع بالعملة
النقدية ذهباً أو فضة . وقد حلت المعضلة منذ بدايتها بمهارة ، وذلك أن
«أوكوريس» بعد توليه عرش البلاد بأربعة أعوام عقد محالفة مع «أثينا»
فحواها انخراط الاغريق في صفوف جيشه . وقد كان ضمن التزامات
«أثينا» أن تمد مصر بعملة من نقودها المعترف بها لتستعمل في مصر لدفع
أجور الجنود المرتزقين . وقد وجد عدد من هذه النقود المضروبة في مصر (١) .
ولكن هذه النقود لم تكن توجد قط خارج «أثينا» ، وكانت الفضة التي
استعملت في النقود التي قدمها «أوكوريس» وأخلافه من بعده قد حفظت
من حيث نقائها على حسب معيار النقود التي كانت تضرب في «أثينا» . فقد
حافظت على وزن العيار المتفق عليه ، وقد كانت هذه النقود الأثينية التي
ضربت للفرعون على غرار التي كانت تضرب في «أثينا» من حيث النقاء
والوزن والشكل .

هذا ويجدر بنا أن نبين عند هذه النقطة أنه قد عملت محاولات للتمييز
بين قطع العملة الأثينية التي تساوى قيمتها أربع درخمات وهي التي ضربت
لحساب ملك مصر وبين القطعة العادية التي تساوى أربع درخمات التي
ضربت لأثينا ، وذلك بواسطة رسم مميز بين النقيدين . ويمكن تمييز أى من
هذه النقود التي عثر عليها في مصر وضربت فيها ، اذا أمكن توحيد الطابع
الذى على وجه النقد أو ظهره بطابع نقد كان قد وجد في مصر أيضا ، وعلى
أية حال فإن هذا التمييز على الرغم من امكان قبوله الا أنه يحيطه الشك فيما

(١) راجع Vermeule Ancient Dies & Coining Methods in The Numismatic Circular (1953). PP. 397-401).

يخص نقود عثر عليها في كنوز يظن أنها وجدت في صناديق حربية أو في كنوز تحتوى على نقد واحد أو أكثر مرتبط بالطابع الخاص الذى ذكر آنفا ، ففى كنز قل المسخوطه (١) الذى يحتوى على عدة قطع من التى قيمتها ثلاث درخمت من الطراز الذى نبخته يمكن أن يحتوى على نقود ضربت فى مصر. (راجع اللوحة رقم ٩)

على أن ضرب النقود باسم مصرى لم يظهر الا فى عهد الأسرة الثلاثين عندما استقر الحكم فى البلاد ، وقد ظهرت أربعة أنواع من هذه النقود كما يشاهد ذلك فى اللوحة (رقم ٩ - ٥٤٤،٣،٢)

فالعملة رقم ٢ يمكن أن تكون قد ضربت فى مصر فى عهد «نقطاب الأول» والمملتان رقم ٣ و٤ يمكن أن تكونتا قد ضربتا فى عهد الملك «تيوس» ؛ فى حين أن العملة رقم ٥ يظهر أنها ضربت فى عهد «نقطاب الثانى» . على أن الآراء قد اختلفت فى ذلك .

أما العملة الصغيرة التى ضربت للملك «نقطاب الأول» فيظهر أنها أون عملة يمكن نسبتها للمهد الفرعونى من حيث الأسلوب والطراز . والواقع أن صورة الآلهة «أثينا» الخشنة الصنع التى ظهرت على وجه العملة كان لا يمكن أن تظهر الا فى نقود ضربت بعد بداية القرن الرابع ق.م بقليل . أما طراز صورة ظهر هذا النقد فهو تنوع لبومتين تمثلان الآلهة « أثينا » . أما النقد المصرى الصريح فهو الذى أدخلت فى سكه علامتان هيروغليفيتان. (قهر ، نب) على ظهر النقد ، وقد ظهرت علامة «نفر» بين بومتين متقابلتين فى حين أن علامة «نب» قد ظهرت فى الجزء الأسفل .. والمعنى الذى تحمله هذه العلامات الهيروغليفية يمكن ترجمته ببعض التصرف هكذا . الكل (فضة) خالصة أو « صالح لكل (الأغراض) » .

وهذا النقد السالف الذكر كان قد عرض فى المتحف البريطانى ، ثم سحب

من هناك . وعلى أية حال لا يمكن تحديد مكانه بين النقود بدقة. أما العملاتان رقم ٣، ٤؛ اللتان في اللوحة وهما من الذهب الخالص فيحملان بعض اسم «تاخوس» بالحروف الاغريقية على ظهر العملة . هذا ويلحظ أن طراز طابع الوجه والظهر قد عمل على حسب المتبع في النقد الاثيني وهو يحتوى على رأس «أثينا» وبومة واقفة . أما قطعة الفضة رقم ٣ فليس من المؤكد نسبتها على وجه التأكيد الى عهد الملك «تيوس» . وقد طبع على الوجه صورة ابن آوى (انوبيس) ويقول «جنكنز» ان ظهر هذه العملة يحتوى فضلا عن صورة البومة طغراء ملك مصرى غامض ، وقد ظهر من تكبير صورة هذه العملة وجود الاشارة الهيروغليفية = ماعت = الصدق وهى تعنى أن قيمة هذه العملة ونوعها قد تؤكد من صحتها أى لا غش فيها ولا خسران فيوزنها وهناك تفسير آخر لهذه العملة وهو نسبتها الى الملك «تيوس» على الرغم من أنه قد مات .

هذا ولدينا في هذه المجموعة عملة أخرى يمكن نسبتها الى الملك «تيوس» بشئ كبير من التأكد وهذه العملة تشبه القطعة التى قيمتها أربعة درخمت (انظر اللوحة رقم ٩) ونقش عليها حروف اغريقية وعلى ظهر هذه العملة من الجهة اليمنى حل محل الحروف الاغريقية نقش ديموطيقى يقرأ هكذا = تيوس فرعون . ومن ثم يمكن أن نذهب الى أن «تيوس» الذى ذكر هنا هو والد «تقطانب الأول» أو أمير البحر المصرى للأسطول الفارسى فى نهاية القرن الخامس قبل الميلاد والمرجح أنه الفرعون الذى حكم فى عهد الأسرة الثلاثين . هذا ومن بين النقود التى تساوى أربعة درخمت والتى وصلت الى مصر نجد فيها خلافا من حيث الأسلوب والنوع ، وعلى ذلك قد يكون من الغريب اذا لم يكن بعضها يحتوى على صور تدل على قدم أصلها .

بعد ذلك نعود الى النقود المصورة فى اللوحة وتفحص النقد الذى يحمل

رقم ٥ وهو الذى يشار اليه بـ « نر - نب » . والظاهر أن هذه القطعة قد ضرب منها عدد كبير ، اذ عثر منها على ٢٤ قطعة حتى الآن على وجه التقريب . وقد طبع على وجهها ثلاثة طوابع مختلفة وعلى ظهرها على اقل تقدير طبعتان ، وقد نسبت الى عهد البطالة الأول منذ عدة سنين ، ولكن «جاستون مسبرو» أثبت على أية حال بعد فحص دقيق أنها أقدم من ذلك ، وترجع للعهد الفرعونى . وقد وافقه معظم العلماء على رأيه هذا . ومن المحتمل جدا أن هذا التقدير يرجع الى عصر الملك ققطان الثانى (١) .

هذا وقد طبع على ظهر هذا النقد حصان فى منتهى الروعة والجمال الفنى وهو يشب الى الامام بروح عالية ، ويطيب لنا أن نذكر هنا أن النقد المصرى الذى كان قد ضرب فى بادئ الأمر ليكون حلا لدفع أجور الجنود المرتزقة يعتبر نقدا ذا صبغة أجنبية تماما ثم أخذ يتطور شيئا فشيئا ليصبح مصرى الصبغة . فى عهد الأسرة الثلاثين الى أن صار فى نهاية الأمر منظورا الى عملة ذهبية تعد من القطع الفنية العظيمة القيمة وهذا التطور الذى جاء شيئا فشيئا يظهر أنه كان قد جاء طبقا لضرورة محلية اذ الظاهر أنه كان يعد شيئا اضافيا لاستمرار ضرب نقود آثينية الطراز وهى التى كان يحتاج اليها بمثابة قاعدة لدفع أجور الجنود الاغريق المرتزقين .

والواقع أن النقد الذى يحمل اسم « نر - نب » قد يكون له علاقة بالجيش ، وذلك على غرار «الذباة الذهبية» التى كانت تمنح نيشانا للشجاعة عند المصريين فقد وجدت مرسومة بفخار واعجاب فى كثير من القبور المصرية فى عهد الدولة الحديثة ولكنها قد أصبحت فى العهد المتأخر مهملة . وكانت الحاجة الآن تدعو الى منح مكافآت من الذهب فى صورة أكثر فائدة وأكبر قيمة للجنود المرتزقة ، كما كانت أحسن قبولا عند الشجعان من أبناء الوطن ؛ ومن الجائز اذا أن العملة «نر-نب» قد استعملت لهذا الغرض وبخاصة عندما

نعلم أن صورة الجراد المتوئب المرسوم على ظهر هذا النقد كان علامة على الشجاعة والاقدام في كثير من ثقافات البحر الأبيض المتوسط في هذا العصر وبالإضافة الى قطع النقد القضية الصغيرة التي وصف سابقا قد نشر غيرها في مطبوعات متنوعة ، وتدل الظواهر على أنها ضربت في عهد الأسرة الثلاثين . فقد شرح جنكنز (Jenkins) في مقاله السابق الذكر قطعة تشبه في حجمها وصناعتها القطعة التي نقش عليها «انويس - ماعت» وهي التي تحمل رقم ٣ في اللوحة . وطبع على وجه هذه القطعة رأس الآلهة «أثينا» في حين أنه رسم على ظهرها بومة ، غير انه رُئي على الظهر كلمة «واح» ومعها حروف اغريقية وهذه القطعة محفوظة الآن بالمتحف البريطاني ، ويميل الانسان الى نسبتها الى السنين الأخيرة من عهد نكتاناب الأول لا بعد ذلك ، لأنها لا تزال تحتفظ كثيرا بالصبغة الآثينية وترجم كلمة «واح» بمعنى «مستر» أو باقى أو الكثرة أو الوفرة .

وقد يدهش الانسان عند استعراض ما نسب الى عهد الملك «تيوس» من نشاط تقدي ؛ ولكن لا يلبث أن تزول هذه الدهشة عندما يعلم ما كانت عليه نفسية هذا الفرعون وما له من سمعة تاريخية مجيدة فقد كان ملكا طموحا ثائرا يطمح في أن يعيد الى مصر ما كانت عليه من مجد غابر في عهد أسلافه وبخاصة تحتمس الثالث . ومن ثم أخذ في اعداد حملة جسارة لاسترجاع امبراطورية مصر في آسيا . ومن أجل ذلك فإنه جمع كل ما يمكن جمعه من ذهب وفضة من بلاده بالإضافة الى الضرائب الفادحة التي ضربها على التجارة ، وما استولى عليه من كنوز المعابد التي كانت مكتظة بكل غال وثمين . ومن كل ذلك أمكنه جمع مقادير هائلة من المعادن النفيسة ليدفع معظمها أجورا لآلاف الجنود المرتزقة من الاغريق ومن ثم نجد أن هذا الفرعون قد جمع مادة هائلة لضرب النقود التي سكت على عجل ؛ ولكن كان من جراء تعسفه في جمع المال أن قامت ثورة داخلية كان من نتائجها أن

عرقلت في الحال حملته ثم أدت الى خلعه عن عرشه ، على أن أمانية هذا الرجل لم يكن في الامكان اقناعها بسك نقود دون أن يكون عليها اسمه بل كان لابد أن يحمل بعضها اسمه بالاغريقية لتوطيد جنوده المرتزقين . وبالديموطيقية لفائدة رعايا المصريين . والخلاصة أنه يمكن أن نضع تاريخا لاستعمال العملة المسكوكة في مصر الفرعونية كالآتي : من ٣٩٢ - ٣٨٠ ق.م. كان الملك «اوكوريس» يناهض بلاد الفرس وقد عقد محادثات مع أثينا وقبرص واستخدم في جيشه فرقا اغريقية بقيادة قواد اغريق . وقد ضرب من أجل ذلك نقودا من طراز اثيني لدفع أجور الجند الاغريق .

وفي ٣٧٨-٣٦١ ق.م هزم تقطاب الأول نفرتيس الثاني وبذلك وضع أساس الأسرة الثلاثين وكان للجنود المرتزقين الذين جهزهم «أوكوريس» اليد العليا في حماية البلاد المصرية من هجوم الشطربة «فارناساسوس» واستمر استعمال قطع النقد المضروبة على النمط الاغريقى . وفي العهد الذى تلا ذلك - وكان عهد سلام ورخاء - استمر ضرب بعض نقود اضافية من العملة الفضية الصغيرة عليها صور اغريقية ، غير أنها كانت تحتوى على صور هيروغليفية وبذلك كانت تؤلف أول نقد مصرى حقيقى .

٣٦١ - ٣٥٩ ق.م وفي تلك الفترة كان الملك «تيوس» يجهز جنودا مرتزقين وجيشا مصرى لغزو «آسيا» . وقد ابتز من مصر مقادير كبيرة من الذهب والفضة لضرب العملة وكان من جراء ذلك أن ضربت نقود آثينية أضيف اليها الاستائر الاغريقى (Staters = ١٠٥ قرشا تقريبا) عليه اسم الفرعون بالاغريقية ، وكذلك قطع من ذوات ثلاث الدرهمات عليها اسم فرعونى ولقب ، وقطع صغيرة من الفضة تشبه قطع نقود «تقطاب الأول» ولكن على ظهرها رسم مصرى .

٣٥٩ - ٣٤١ ق.م قمع في هذه الفترة تقطاب الثانى بمساعدة الجنود الاسبرتيين الاضطرابات الداخلية التى قامت بسبب عزل «تيوس» وتولى

هو حكم مصر . وبعد ذلك بعامين هزم الحملة الفارسية التي حاولت غزو مصر بمساعدة جيش من المصريين والاسبيرتين والآثينين ، وفي خلال سنين الرخاء التي تلت ذلك بقى جيش الجنود المرتزقين قائما يتألف من عدد كبير من هؤلاء الجنود لدرجة أن فرقا منه كانت ترسل لمساعدة حلفاء مصر مثل «صيدا» وفي تلك الفترة استمر ضرب النقود الآثينية وأدخل كذلك ضرب النقود الذهبية بالأسلوب المصرى . وكانت تمك بعدد لا بأس به ، ومن المحتمل أن نقودا مصرية مختلطة الأسلوب قد استمر سبكها حتى نهاية هذا العصر .

٣٤١ ق.م وفي هذا العام هزم الفرس على يد القائد الفارسى « باجوس » الملك نقتاناب الثانى الذى هرب الى أعلى النيل ومعه كنز كبير يشمل عددا كبيرا من النقود التى نقش عليها «نقرب» .

النقد المصرى فى العهد الهيلانستىكى البطلمى

عندما تولى الاسكندر الأكبر زمام الأمور فى مصر لم يكن استعمال النقود المسكوكة باسمه بالشئ الغريب عن المصريين وبخاصة بين الأوساط الراقية ، فقد كانت هناك نقود مسكوكة باسم آخر فرعون وان كان معظمها يصرف أجورا للجنود المرتزقين . وتدل شواهد الأحوال على أن كثيرا من من النقود التى كانت تتداول فى مصر وقتئذ قد أحضرها المهاجرون الى مصر معهم (١) هذا الى قطع نقود عليها صور أخرى .

وفى خلال العهد الذى كان فيه بطليموس شطربة مصر وكذلك فى السنين الأولى من توليه عرش مصر نجده قد قفا السياسة النقدية التى كان يسير على نهجها الاسكندر فسك نفس العملة الذهبية والفضية التى كانت تتبع المعيار الاتيكى ، كما كان المتبع فى كل العالم الهيلانستىكى . ونجد أنه فى عهد «الاسكندر الرابع» كان النقد الذى سك فى حكمه مميذا بخاصية وهى أن

(١) راجع Svoronos, Coll. 3-4 ; W. Grisecke Das Ptolemaergeld. PP. 3-4.

رأس الاسكندر المصورة على النقد كانت مغطاة بمسلاخ فيل بدلا من مسلاخ الأسد الذي كان مستعملا من قبل هذا ونشاهد على ظهر النقود في تلك الفترة صورة الإلهة «آثينا» المحاربة وبذلك حلت محل الآله «زيوس» الذي صور قاعدا على عرشه . هذا وقد شوهد كذلك نسر بطليموس على النقد ، وأخيرا نجد على بعض قطع أن اسم بطليموس قد أضيف الى اسم الاسكندر . ومن سلسلة هذه الصور يمكن تتبع ما كانت تنطوي عليه نفس بطليموس من طموح متزايد شيئا فشيئا (١) . وبلغت النظر أنه في عقد زواج مؤرخ بالسنة ٣١١ ق.م أى عندما كان بطليموس لا يزال شطربة قد اشترط فيه أن يكون المهر بالدرخمت المسكوكة من الفضة التي عليها صورة الاسكندر . وهذا المقدر عشر عليه في الفنتين (٢) وهذه الدرخمت كان عيارها كعيار الدرخمة الاثيني .

وعلى أية حال فإن بطليموس الأول لم يلبث ان ابتدع سياسة نقدية جديدة فغير العيار بسك عملة فضية أخف وزن من العملة الاثينية ؛ وربما كان غرضه من ذلك أن يجعلها تتفق مع أثمان المعادن الثمينة التي كانت آخذة في الارتفاع بثبات في حالة الفضة وآخذة في النقصان من حيث الذهب . فحضر نقوده على حسب العيار المتبع في جزيرة «رودس» وهو الذي كان أخف وزنا . وربما كان الغرض من ذلك تسهيل التجارة بين مصر وهذه الجزيرة . وفي عام ٣٠٥ ق.م بدأ «بطليموس الأول» يسك نقوده مزينة بصورته ؛ فكانت أول نقود بطلمية عرفت لنا ، وكانت نقوده عبارة عن استاتر اغريقى (= ١٠٥ قرشا تقريبا) ، وقطعا من ذوات ثلاث الدرخمت من الفضة و«ابولات» من النحاس . وقد تخلى عن المعيار الروديسي واستعمل العيار الفنيقي وبخاصة في سيريني . وكانت مصانع السكة موجودة في «سيريني»

والاسكندرية (١) .

ومما تجدر ملاحظته هنا أن «بطليموس الأول» لم يتخذ الميار الفيني الا في أواخر حكمه وقد كان غرضه من ذلك أن يخفض وزن النقد الفضي على حسب العيار الذى كان مستعملا في البلاد الفينيقية وهذا الميار قد قد استمر حتى نهاية العهد البطلمى .

وقد كانت الفضة التى استعملت العيار الرئيسى تتبع تقلبات السعر التجارى للذهب والفضة في عالم البحر الأبيض ، فكانت السكوك المتتابعة تعطى للقطع النقدية الوزن الذى يجعل النسبة دائما محفوظة بين كل النقود المسكوكة من حيث القيمة دائما . فكانت نسبة الذهب للفضة واحدا الى عشرة في القرن الخامس ، وقد نزلت هذه النسبة الى حوالى واحد الى عشرة بعد حملات الاسكندر الذى شتت شمل خزائن الدولة الفارسية .

وفي بداية القرن الثالث ازداد نزول قيمة الذهب كذلك في كل العالم الاغريقى ؛ ومن ثم كانت نسبة وزن العملة هي واحد الى ثمان . وفي نهاية النصف الأول من القرن الثالث ازدادت قيمة الذهب شيئا فشيئا . ويرجع السبب في ذلك الى انقطاع وصول الذهب من « البنجاب » في نفس الوقت الذى انسحب من هذا الاقليم التسلط المقدونى ، يضاف الى ذلك أن استغلال مناجم الفضة في اسبانيا بكثرة قد حط من قيمة هذا المعدن بالنسبة الى الذهب . وفي حوالى ٢٥٨ - ٢٥٧ ق.م وجد في تقدير محتويات كيس من المال جاء ذكره في ورقة من أوراق «زينون» ما يدلنا على أن النسبة بين الذهب والفضة هي واحد الى ثلاث عشرة وثلاث أى أنها بالضبط النسبة التى كانت متبعة في القرن الخامس . وقد أكد ذلك أن استغلال مناجم الذهب في مصر لم يكن له تأثير على سوق هذا المعدن .

أما من حيث المكانة التى كان يشغلها الذهب بالنسبة للفضة فإن مصر

(١) راجع Gresecke, Das Ptolemaer geld, PP. 4-7, Pl. 1, Nos. 5; 6, 7.

الفرعونية كانت حتى عهد الرعامسة على أقل تقدير في موقف مختلف عن الذي كان فيه عالم شرقى البحر الأبيض المتوسط فلا بد من أن الفضة كانت تستورد اليها بمصاريف باهظة فكانت غالية نسبيا ونادرة . ففى الأسرة العشرين كانت نسبة ثمن الذهب للفضة ، كنسبة اثنين لواحد . هذا ولا نعلم ماذا حدث لهذه النسبة عند فتح الاسكندر للبلاد المصرية (١) ، حيث يقول ان النسبة كانت تتراوح ما بين ١٥ و ١ وهذا يختلف عما ذكره المؤرخ «ملن» (Milne) وعلى أي حال فانه ليس لدينا ما يجعلنا نأخذ بهذه النسبة في آخر العهد الفرعوني .

والواقع ان الفضة التى كانت نادرة في مصر في عهد البطلمة كما يدل على ذلك قلة ذكرها في ورقة «هاريس» الكبرى قد أخذت تدخل الى البلاد بفتح باب التجارة بين مصر وبلاد الاغريق بمقدار قليل ، ونجد في المعابد الكبيرة سبائك فضة كانت تتداول . وقد جاء ذكر الفضة في العقود والأثاث وشراء العبيد والحيوان وبوجه خاص ذكرت بمثابة مهر زواج .

اصلاح العملة في عهد بطليموس الثانى

تحدثنا فيما سبق عن التغير الذى أدخله «بطليموس الأول» في عيار الذهب والفضة على حسب العيار الفينيقى . وهذا النظام في العملة كان على حسب النظام المتبع في كل العالم الهيلانستىكى . ويتلخص في أنه ضرب عملة من الذهب والفضة مقدرة على حسب قيمة هذين المعدنين في السوق كما ضرب قطع عملة من النحاس يصل قطرها حتى ثلاثين مليمترا ذات قيمة اسمية ، أو يعبر عنها بمثابة رمز لقيمتها كما هو الواقع في أيامنا .

ولكن في عهد بطليموس الثانى حدث تغير محس في عام ٢٧٠ ق.م وأهم مميزات لهذا التغير وهو ادخال قطع كبيرة من النعد النحاسى يحتوى على ثلاثة مسميات جديدة في العملة النحاسية يبلغ قطر كل منها على التوالى ٣٦،٤٢،٤٨

وهذه العملات هي التي أصبحت قطع العملة السائدة الاستعمال في كل بلاد القطر ، وهذا التغير لم تكن أهميته اقتصادية وحسب، بل كان له أهمية أخرى سنذكرها . وأول ما يجب ملاحظته في هذا الصدد أن مثل هذه القطع الضخمة من النحاس لم يكن لها نظير في كل العالم الاغريقى . والواقع ان هذا التجديد يعد انفصالا مميزا عن تقاليد النقد الهيلانستيكي بالنسبة لملك من أصل هيلانى كبطليموس الثانى .

والسبب في هذا التجديد مقتضيات الشؤون الداخلية للملكة المصرية . وذلك ان استعمال النقود المسكوكة في البيع والشراء لم يكن يعد تجديدا في مصر وحسب ، بل ان فكرة استعمال عيار للفضة كانت فكرة غريبة لدى عامة الشعب المصرى الأصيل . فان معاملتهم التقليدية منذ أقدم المهود كما أشرنا من قبل كانت بالنحاس ؛ وعلى ذلك فانه من المحتمل أن التجار قد أظهروا ميلهم بصورة محسة الى بقاء استعمال النحاس في معاملتهم لدرجة جعلت الحكومة تمدهم بنقود من المعدن الذى اعتادوا التعامل به ، وهذا الغرض قد يعضده الطابع الذى كان على ظهر العملة الجديدة . ففى ماسبق كانت الصور التى تطبع على النقود ذات طابع اغريقى ، بل وكانت اغريقية محضة فنجد على وجه النقود المصنوعة من الذهب بعد أن أصبح بطليموس ملكا على البلاد صورة رأسه ، فى حين كان على النقد النحاس صورة رأس الاسكندر (وذلك فى نوعين واحد منهما بمسلاخ فيل والثانى عار) ورأس الآله «زيوس» وفى حين نجد من جهة أن هذه الصور قد بقيت لمدة على قطع النحاس الصغيرة القديمة ، نجد من جهة أخرى أن القطع الأكبر التى ضربها بطليموس الثانى قد طبع عليها رأس اله له علاقات محلية بمصر وهو الآله «آمون» فى «سيوه» . ومن الجائز أن هذا الطراز قد انتخب ليميز هذه النقود بأنها نقود مصرية محضة .

ومما تجدر ملاحظته أن صورة «آمون» التى انتخت هنا كانت صورة

«آمون» في شكله الاغريقى أى آله ذو لحية وقرن قصير ملتو حول الأذن ؛ ومن الجائز أنه قد جرى به الى «سيرينى» بالمستعمرين الدورين ، ومن هناك حمل الى الواحة . وعلى أية حال فإن طراز هذا الاله كان موجودا في «سيرينى» من أقدم عهد فنى سجلت فيه صورته ، هذا وقد أشرنا فيما سبق الى أن الوحى فى «سيوة» قد ظهر فى التاريخ الاغريقى قبل أن يظهر فى التاريخ المصرى ، وإن كان وجود الاله آمون فى «سيوة» يرجع الى زمن بعيد ، ولكن منذ غزو الفرس لمصر كانت عبادة آمون رع قد وحدت بعبادة «آمون» سيوة كما أوضحنا ذلك فى غير هذا المكان فى فصل سابق من هذا الكتاب . ومن المحتمل أن سبب ذلك يرجع الى جماعة من كهنة آمون طيبة قد هربوا من الاضطهاد الفارسى واحتموا فى واحة سيوة وغيرها حيث كانت المعابد المصرية قائمة هناك . وكان توحيد الالهين سهلا ميسورا ، وذلك لأنه كان يوجد فى «سيوة» اله يتفق فى الاسم والمظهر مع الههم آمون وكان له قرنان ، غير أن قرنى الاله المصرى الذى كان يمثل فى طيبة وغيرها فى صورة انسان برأس كبش من فصيلة أخرى . وهذا التوحيد بين اله اغريقى واله مصرى كان يتفق مع السياسة البطلمية كما تحدثنا عن ذلك من قبل . وعلى ذلك فانه عندما دعت الحاجة الى انشاء طراز ليوضع على النقود بوصفها مصرية فانه كان لابد أن يوجد فى رأس اله صفاته وعلاقاته معترف بها من قبل الكهنة المصريين .

هذا وقد قال بعض المؤرخين أنه توجد علاقة فى هذا الاختيار - وبين التطور الذى حدث فى نفس المدة على ما يظهر ، بالنسبة لقصة الاسكندر التى تؤكد بحق الأهمية الدينية لزيارته آمون بواحة سيوة . هذا ولا بد أن نلفت النظر الى التطور الفنى فى تمثيل الاسكندر بقرن على معبده فقد كان المقصود أن يعبد بوصفه ابن آمون . ويقول بعض الاثريين ان هذا القرن ليس مأخوذا بوجه التأكيد عن آمون أى أنه ليس مشتق من قرن آمون - رع

وذلك لأنه صور دائما قرنا قصيرا مقوسا من طراز اغريقى أى أنه ليس بالقرن الطويل المزدوج الالتواء الذى نشاهده فى قرنى آمون المصرى ، وعلى الرغم من أنه مثل قرن آمون فإن رأسه الذى يدل على الشباب يشبه أكثر الرأس الذى يظهر على نقود سيرينى الاغريقية الصبغة ، وقد وحد برأس الاله الدورى «كارنيوس» (Carneius) الذى كان يعبد هناك . وفى أجزاء عدة من بلاد الاغريق مع آمون وكان له قرن مثله . والواقع أن «كارنيوس» قد يعد بأنه ابن آمون ، وهذا يمكن أن يفسر استعمال رأسه ليمثل رأس الاسكندر ، غير أن النقطة الهامة بالنسبة للموضوع الذى نبخته هى أن صورة الاسكندر ذى القرنين لم تظهر الا بعد موته بعدة سنين ولم تظهر وقتئذ فى مصر بل فى «تراقيا» على نقود «لزيماكوس» . ولما لم يكن لدينا برهان على عبادة آمون و «كارنيوس» فى شمالى بحر ايجيه فانه من المحتمل أن «لزيماكوس» قد أخذ هذا الطراز من عبادات محلية وأنها قد جلبت الى مصر على يد «أرسنوى» كما تحدثنا عن ذلك من قبل . وعلى أية حال يحتمل أن «أرسنوى» هى التى ابتدعت ضرب العملة الجديدة من النحاس التى تنفق مع التقاليد والعادات المصرية وصور عليها رأس آله معروف فى مصر وكانت علاقته مع الاسكندر معروفة بأنه ابنه ووريثه على عرش الفراعنة ومن ثم أخذت «أرسنوى» كما تحدثنا عن ذلك من قبل ، تعمل على احياء هذه الفكرة التى ظلت سائدة حتى نهاية عهد البطالمة . ومن المحتمل انه اعترافا لهذه الملكة بايقاظ هذه الفكرة التى وضع أساسها الاسكندر ، من مرقدها ، أن القوم قد أتبعوا ضرب هذه النقود النحاسية الضخمة الحجم لضرب عدة نقود كبيرة ذات روعة من الذهب والتفضة كان حجمها خارجا عن حد المألوف مزينة بصورة «أرسنوى» واسمها (١) .

ومما تجدر ملاحظته أنه منذ ظهور العملة النحاسية الكبيرة الحجم في عهد «بطليموس الثاني» وانتشارها اختفت العملة الفضية من خزائن العملة في مصر وأخذت تحل محلها العملة الجديدة ، ومن ثم فهم أن النقد النحاسي الذي ابتدعه «بطليموس الثاني» كان رمزا آخر وتوضيحا للنشائية التي أسست في مصر على طريقة النظام البطلمي . فمصر القديمة أى مصر التي كان يقطنها الفلاحون كان لها عملاتها الثقيلة العتيقة المصنوعة من النحاس ، وجنبا لجنب معها قامت مصر الجديدة أى مصر الاسكندرية والاغريق بنقدها الأنيق الخفيف الوزن من الفضة والذهب الفاخرة . غير أن غرض بطليموس لم يكن ارضاء مطالب المواطنين المصريين بادخال هذه العملة المصنوعة من البرنز بل رأى أن هذا النقد الجديد يمكن أن يمنع الفضة والذهب من التداول ، وأن العملة المصنوعة من هذين المعدنين يمكن أن تعود شيئا فشيئا الى الخزائن الملكية حيث تكثر هناك ويستعملها الملك لأغراضه الخاصة . وهذا هو نفس ما حدث بعد حكمه .

والواقع أن نقد البطالمة كما ذكرنا كان الغرض منه أولا أن يستخدم في شئون تجارتهم وفي حاجيات مصر كما نظموها . وهذا الغرض نجده واضحا في فرض قطع عملة ثقيلة الوزن كان مصيرها أن تصبح لعملة الرئيسية في الأرياف (القرى) ، هذا الى قطع العملة التي تساوى ثلاثة درخمات المصنوعة بكثرة من الفضة ، وهى التي كان لها عيار ثابت ، وكانت لا تستعمل تقريبا الا في الاسكندرية والأملاك المصرية في الخارج وفي الممالك الاجنبية التي تتجر مع مصر . ولكن نجد من جهة أخرى أن العملة البطلمية كانت سلاح دعاية داخلية ، وكان الذهب هو الوسيلة . وذلك ان الذهب لم يكن يستعمل في تجارة البلاد الداخلية وبخاصة أجمل النقود ونخص بالذكر منها القطع ذات خمس الدرخمات التي ظهرت في عهد «بطليموس سوتر» . وفيما بعد القطع ذات ثمانى الدرخمات ، وغيرها التي ضربت في عهد «بطليموس الثاني»

كانت تستعمل بوجه خاص في التجارة الخارجية والأمور السياسية، ولا نزاع في ان هذه النقود كان لها تأثير على معاصرى بطليموس بما كانت تدل عليه من فخامة وغنى وقوة .

وبعد أن وُطد «بطليموس الثاني» تقدمه وأصبح يباهى به أخذ يراقب استيراد النقود الاحبية ويفصل النقد المصرى عن نقد العالم الهيلانستىكى ، وذلك لأن «بطليموس الثاني» أراد ان تكون امبراطوريته وحدة محكمة النسيج وبناء قويا له نظام نقد منسجم . وهذا الميل الى نظام نقد منسجم والكفاية الشخصية قد ظهر في اتخاذه عدة اجراءات في هذا الصدد وذلك انه سعى في ان تكون عملته هي النقد الوحيد لكل امبراطوريته المترامية الاطراف وبهذا يكون قد خالف ما كانت عليه مملكة السليوكيين في سوريا و «بابل» ، وأول خطوة اتخذها في هذا السبيل أنه عمل على اجبار ممتلكاته على ان يستعملوا نظامه النقدي وعملته المصرية وكانت القاعدة أن المدن الاغريقية التي كانت تحت حكم «بطليموس الثاني» لم يكن مسموحا لها ان تبقى على عملتها الخاصة ، وفي الحالات الخاصة التي كان يسمح لها بذلك كان لزاما على البلد المصرح له ان تحول عيار عملته الى العيار الفنىقى . يضاف الى ذلك ان هذا الخطر الذى فرضه بطليموس على النقد قد فرض على المدن الفنىقية وفلسطين ، وعلى ذلك بطل العمل بنقدهم . وقد اتخذت اعظم هذه المدن «فنىقية» مراكز لضرب النقود البطلمية ، وكان من جراء هذه السياسة ان أصبح النقد البطلمى النقد الوحيد المستعمل في الأملاك البطلمية . هذا ولم تسفر اعمال الحفر الحديثة عن وجود اى نقد بطلمى في الطبقات الأرضية التى تنسب الى عهد البطالمة وبخاصة في المدن الفلسطينية التى عمل فيها حفائر على الطرق العلمية مثل «جيزر» و «ماريسا» و «سماريا» و «بيت زور» . والواقع انه لم يكن هناك شئ غير عادى في مثل هذا التوحيد في عملة الممتلكات المصرية . وهذا هو ما و «ارسنوى» وعليها صورتا بطليموس وزوجه «ارسنوى» . وهذه النقود

نجده الآن في توحيد عملة الاسترليني والدولار ، ولكن بنظام آخر يختلف بعض الشيء عن نظام البطالة . وعلى أية حال نجد ان «بطليموس الثاني» لم يكتف بهذا الوضع بل اتخذ خطوة أخرى أكثر أهمية وأكثر اعتيادا في نفس الاتجاه اذ نجد انه لم يفعل ما كان يفعله السليوكيون وهو السماح بدخول النقد الأجنبي الذي كان بنفس الميار في بلادهم والتعامل به بل اتخذ اجراءات خاصة لمنع النقد الاجنبى من دخول السوق المصرية وهذا يمكن ان يفسر به ما جاء في بردية وصلت الينا من سجلات « زينون » . وهذه الوثيقة عبارة عن خطاب ارسله موظف يدعى «ديمتريوس» (يحتمل انه كان هو المسيطر على العملة في الاسكندرية) الى «ابولونيوس» وزير مالية «بطليموس الثاني» وقد كتب «ديمتريوس» هذا الخطاب بسبب صعوبات قد ظهرت له بسبب منشور الملك عن اعادة سك النقود الذهبية المسوحة وكذلك النقود الأجنبية التي لم تضرب في مصر وجلبت اليها (١) .

وهذا الخطاب يقدم لنا برهانا واضحا على اقامة مصر نوعا من الاحتكار لتبادل العملة وعلى الاقل العملة الذهبية التي كانت مربحة جدا للملك وخسارة ظاهرة للتجار، وذلك ان لم يكن مسموحا بوجود صرافي عملة خاصين ولا يوجد مصارف حرة او ملكية للقيام بهذه العملية بل كانت كل هذه العملية مركزة في الاسكندرية في يد موظف ملكي خاص . ولم تكن مثل هذه الاجراءات معروفة في العالم الاغريقى فيما مضى . والواقع ان مجرد وجود هذا الاحتكار كان يعنى منع الذهب الاجنبى من دخول السوق المصرى ، يضاف الى ذلك ان أمر الملك بضرب هذه النقود من جديد كان أشد خطرا . وهذا يعنى ان الملك قد فرض انه من المسلم به ان كل اعمال التجارة الهامة في مصر التي كان الذهب يستعمل فيها سبيلا للمبادلة، لا بد ان تقام على أساس العملة البطلمية

(١) راجع P. Cairo-Zenon, 59021; A.S. 18, P. 167-171 ; Bekerman, Inst. des Seleucides. PP. 213-214 ; Preaux Econom. PP. 271 ff.

على ان مثل هذا الحظر على حرية التجارة قد زاد في خطورته اتسیر على حسب النظام الیروقراطی المبالغ فيه مما جعل عملية الصرف واعادة ضرب النقود الأجنبية بطیئة وغير منظمة مما سبب غضب التجار الأجانب وسخطهم ..

ومما سبق نفهم ان السياسة النقدية في عهد كل من بطليموس الأول والثانی كانت تتمثل في وجهتين فمن وجهة تدل شواهد الاحوال على ان مصر كانت ملك بطليموس أو بعبارة أخرى ضيعته التي كان لها وجود منفصل ، وكانت متصلة بسائر العالم الهيلانستيکی عن طريقه هو وحده وهذا كان معناه ادخال العملة المضروبة من النحاس في مصر وتعميمها فيها ومن وجهة أخرى قد ادعى البطالمة الأول لانفسهم مكانة استثنائية في العالم الهيلانستيکی، ولم يرغبوا في أن يكونوا أعضاء في توازن القوى الهيلانستيكية بل صمموا على أن يعيشوا في برج عاجی ، اللهم الا اذا كان في مقدورهم ان يجذبوا شيئا فشيئا سائر العالم الهيلانستيکی الى حظيرة دائرة نفوذهم، ومن أجل ذلك مالوا الى قبول عيار النقد الفينيقي وفرضهم الاحتكار الملكي وذلك باستعمال تقدمهم على كل امبراطوريتهم. وقد توجت سياستهم بالنجاح ؛ وعلى الرغم من أنه لم يكن في مقدورهم فرض سيادتهم على العالم الهيلانستيکی، فانهم بلا نزاع اصبحوا بمعزل عن سائر هذا العالم وهذه العزلة قد أصبحت شيئا فشيئا المميز الرئيسي لحياة البلاد المصرية وقتئذ .

وعلى الرغم من ان النقد البطلمي كان في جملته اداة سياستهم الخارجية ومعاملاتهم التجارية مع المديریات التي يسيطرون عليها ، وكذلك سائر العالم فانه غير كثيرا من أحوال مصر نفسها ، فكما نعلم لم يكن استعمال العملة المسكوكة مجهولا قبل عهد البطالمة في مصر كما ذكرنا من قبل . فقد كانت هناك كميات كبيرة من العملة الأجنبية والمحلية المسكوكة متداولة في البلاد، غير ان استعمالها بمثابة عملة كان محصورا في الطبقات العليا من السكان وبخاصة بين الاجانب . وكانت المعاملة بالمبادلة تضرب باعراقها بين السكان

الاصليين وبعد عهد «الاسكندر» أخذت النقود المضروبة تحل محل التبادل، وقد استعمل النقد بين سكان البلاد من الاغريق كانه أمرطبيعى ، ولكن لانعرف لأى مدى وبأية سرعة حلت النقود محل المبادلة بين المصريين اتفهم اذ الواقع ان هذا موضوع يصعب البت فيه . وعلى الرغم من ان معلوماتنا عن هذه النقطة كثيرة فانها ليست كافية وذلك انه فضلا عن مجاء فى سجلات «زينون» وبخاصة ما كان منها خاصا بالاحصاءات لدينا مئات من الوثائق هذا بالإضافة الى مواضيع خاصة متعلقة بسياسة البطالة الداخلية : مثال ذلك أجور الجنود والموظفين والعمال الذين يأخذون أجورهم عينا ومنح الجنود اراضى مقابل أجورهم كل ذلك يوحى بنقص فى العملة فى مصر، ومن جهة أخرى نجد ان الاهالى المصريين كانوا متمسكين بعاداتهم القديمة مما أدى الى تعلقهم بالمبادلة فى كثير من نشاطهم الاقتصادى فى مصر . فمن ذلك نجد فى سجلات زينون حسابات نقد وحسابات سلع قد سددت بأرقام تكاد تكون متساوية ، ونجد مشابها لذلك فى النظام البطلمى المالى المبكر ضرائب كثيرة دفعت عينا مثال ذلك أجور فلاحي الملك وضريبة السدس *Apomoir* وغيرها ، وذلك جنبا لجنب مع الضرائب التى دفعت نقدا . وتدل شواهد الاحوال على ان قلة النقد المسكوك قد ادت الى رفع سعر الفائدة على كل القروض فى كل من المصارف الملكية وعند عامة الناس، غير ان سعر القرض كانت تحدده الحكومة وقد حدد سعر الفائدة وهو ٢٤ ٪ . وكان أعلى بكثير عن السعر الجاوى فى بلاد اليونان حيث كانت النقود المسكوكة كثيرة (١) .

تلك كانت حالة النقد فى عهد كل من «بطليموس الأول» و «بطليموس الثانى» بشئ من الاختصار .
المصارف وأعمالها فى عهد بطليموس الثانى :

لا نزاع فى أن تطور النقد فى العهد البطلمى ووضعه على أسس قوية

(١) راجع . Wilcken Alexander etc., Schmollers Jahrb. XLV (1921).
PP. 78 (382) ff.

بوصفه وسيلة للتعامل كان له دخل في اقامة مصارف في طول البلاد وعرضها شيئا فشيئا ، ثم امتد هذا لنظام الى الخارج والواقع ان النقد هو اداة للمعاملات المتنوعة يقوم بها رجال المصارف بوجه خاص ولكن المصارف لم تكن في مصر البطلمية حرة كما كانت في الممالك الهيلانستية المحاورة لها ، وذلك لاننا نجد أن المصارف منذ بداية نشأتها كانت كسائر معظم المؤسسات الأخرى يحتكرها البطالمة ويؤجرونها للمتزمين ، كما كانت الحال في احتكار الزيوت بأنواعها . والواقع اننا نجد في حثويات «قوانين الإيرادات» منشورا خاصا بتأجير المصارف ، غير انه لسوء الحظ وجد هذا المنشور ممزقا ولم يبق منه الا بعض أسطر مهلهلة . ومع ذلك يمكن ان نستخلص منه بعض حقائق (١) . فكان بطليموس يضمن لأصحاب الامتياز أو بعبارة أخرى اصحاب المؤسسة الحق المطلق في بيع العملة وشراؤها وتحويلها . وكان الملك يورد للمصارف جزءا من المال الذي تتعامل فيه المؤسسة ، وذلك لأن الخزانات الملكية التي في القرى والمدن والمصارف الملكية كان يودع فيها حصيلة الضرائب لحساب المصارف المؤمن عليها وهي صاحبة الامتياز ، كل عشرة أيام والا عوقب من خالف ذلك بدفع غرامة ، من ثم تفهم ان الملك كان يمون ملتزمي المصارف بالمادة الأولية وهي العملة كما كان يضمن لمعاصر الزيت المواد الدهنية التي يستخرج منها الزيت وهي السمس وغيره .

وكان الملك يصدر مرسوما بسعر النقد كما كان يحدد سعر بيع الزيت . وكان على أولئك الذين يشترون حق ادارة هذا المورد الملكي (أى المصرف) ان يجعلوه ينمو ويربح . هذا وقد وصفت لنا العمليات التي خولت لرجال المصارف في العمودين ٧٧ - ٧٨ من «قوانين الإيرادات» ، غير ان هذين العمودين بكل أسف قد وجدا ممزقين في البردية كل ممزق ، ومن الجائز ان الملك قد دون فيها سعر الفائدة التي تقرر على القروض . وتدل الظواهر على

ان رجال المصارف لم يكونوا محصنين ومحمين فيما يخص موضوع القروض كما كانوا محصنين في موضوع سمر تحويل النقد والاتجار فيه من جهة المنافسة الحرة فقد وجدنا في سجلات بردى «زينون» المشهورة انه توجد بوجه خاص وسائل عدة للاقراض عقدت بوساطتها قروض بين أفراد الشعب . والواقع ان السعر القانونى للوارد من العملة يجب ان يكون محددًا بحيث يكون هناك توازن بين الشارى والمشتري وقبل كل شئ فى صالح الملك الذى كان يقرر هذا السعر . ولذلك كان على الملك أن يحتفظ بسعر مرتفع لخدماء، لأجل ان يشتري منه الملتزمون بشئ أعلى حق ثمن ادارة المصارف ، وكذلك لأجل أن يودع أصحاب رؤوس الأموال تقودهم عن طيب خاطر فى مصر . غير ان هذه الاتجاهات التى ترمى الى ارتفاع السعر كانت محددة فيما يخص المقرضين من أفراد الشعب، ولكن منافساتهم كانت فى الواقع ضعيفة، وذلك لان طلب رؤوس الأموال كان يأتى غالبا من الملك نفسه أو من ملتزمى المصارف . هذا وكانت رؤوس الأموال كذلك مقيدة بصعوبات الدفع التى كانت تجبر فى ذبولها ربعا فاحشا . وعلى أية حال اذا كنا لم نجد سعر القرض قد دون فى « قوانين الايرادات » فان سعر القروض الحرة كان قد حدد بمقتضى القانون منذ منتصف القرن الثالث ق.م (١) . وهذا السعر هو على وجه التقريب ٢٤٪ وقد استمر ثابتا طوال عهد البطالمة . هذا ونعلم من القانون الذى وضعه الملك « بوكوريس » فرعون مصر على حسب ما رواه ديدور (٢) ، انه بمقتضى القانون كان محرما ان يكون مجموع الارباح المتراكمة على المدين زائدا عن قيمة القرض الاصلى وهذا القانون كان لا يزال معولا به فى عهد « بطليموس الثانى » أو انه جدد فى عهده وأصبح معولا به ، ويمكن ان نستنبط ذلك مما جاء فى احدى وثائق « زينون » التى تحدثنا عن قضية

P. Columbia-Zenon 272.

Diod. I, 79.

(١) راجع

(٢) راجع

راجع كذلك مصر القديمة الجزء الحادى عشر ص ١٠٧ - ١٠٩ .

أقامها دائن نفس (١) .

وإذا قرنا سعر الفائدة في مصر بغيرها من بلدان العالم الهيلانستيكي لوجدنا انها كانت مرتفعة في مصر بدرجة كبيرة فكان في «ديلوس» وفي «رودس» مثلاً من ٨٪ الى ١٠٪ (٢) . وعلى أية حال فإن هذا الفرق في سعر الفائدة كان لا يمكن ان يستمر في بلد فيها نظام اقتصادي حر ، فاذا كانت هذه الحرية الاقتصادية موجودة في مصر لرأينا رءوس الاموال الاجنبية تغزو البلاد ، ومن ثم كان لا بد ان ينخفض السعر ، ولهذا السبب اتخذ « بطليموس الثاني » الحيلة للاحتفاظ بهذا السعر المرتفع . وذلك باصدار قانون غاية في الشدة فيما يخص استيراد رءوس أموال أجنبية ، كما نص على احتكار ذلك لنفسه . وذلك لانه كان في حاجة لرءوس اموال أجنبية ، ومع ذلك نجد انه اذا اجتذب أصحاب رءوس الأموال الى بلاده فانه كان لايسمح لهم بصورة أكيدة ان يقوموا بأية منافسة مالية في مصر ، ومن ثم نصل الى نتيجة واحدة وهي ان مصر كانت لا تتصل بالعالم الخارجي الا عن طريق ملوكها .

وكان يجب ان تحدد قوانين الايرادات والضمانات التي في أيدي رجال المصارف بالنسبة للأفراد الذين يقرضونهم من أموال الملك . ونم يكن الضمان الذي يقدمه أصحاب المصارف من ممتلكات كافيا على وجه التأكيد . ومن ثم نجد ان الملك كان حذرا اكثر من اللازم من هذه الناحية ، فلم يكن يسمح أن يقرض نقد ايراداته الا اذا كان ذلك مقابل رهن عيني أو ضمانات عقارية . وسنفحص هنا بعض الوثائق الخاصة بالضمانات التي كان يتخذها الملك لحفظ أمواله في المصارف ونرى اذا كانت تؤكد وتكمل ما جاء ناقصا في «قوانين الايرادات» ومن أهم هذه الوثائق خطاب جاء في برديات «زينون» (٣) وهذا الخطاب يكشف لنا في سياقه عن نظام ترتيب الوظائف في المصارف

P. Cairo-Zenon 59355 = P. Edgar 365.

Heichelheim Wirtschaftliche Schwankungen. PP. 126-127

P. Cairo-Zenon, 59503.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

ومما يؤسف له ان كلمة مصرف قد وجدت ممزقة في هذا الخطاب الذى كُتبه رجلاّن من رجال المصارف بعد بضع سنوات خلت من وضع « قانون الايرادات » ولكن لما كان هذا الخطاب صادرا عن رجل يدعى « بيثون » (Python) الذى كان يشغل وظيفة مدير مصرف فى مقاطعة « ارسونيت » (= الفيوم) ومن أحد زملائه ، فانه من المحتمل ان الكلمة الممزقة هى كلمة مصرف . وهذان الماليان قد عرضا هذا الخطاب على « باناكستور » Panakestor. الذى كان وكيلًا لوزير المالية وقتئذ الذى اتفق على ان يأخذ هذا المصرف لنفسه ولا يؤجره لأحد لانه ملك الملك . ولكن كان فى مقدوره ان يؤجر المصارف الاخرى التى فى المقاطعات التابعة له . وقد نسلّم هذان الماليان من «ابوللونىوس» الوزير هذا الضمان .

والمصرف الذى أقامه الملك هو على ما يظهر المصرف المركزى بالاسكندرية فهل كان «أبوللونىوس» يديره بوصفه أحد موظفى الملك ومدير مالهته أو بوصفه ملتزما ؟. وتدل شواهد الأحوال على ان الوزير «أبوللونىوس» كان ملتزم مؤسسات . وعلى أية حال فان المتن يكشف عن وجود مصرف رئيسى وهو مصرف الملك ، وكذلك مصارف المقاطعات التى تعمل تحت اشرافها مصارف المراكز والقرى ، غير اننا لا نفهم على وجه التأكيد وظيفة المصرف المركزى بالاسكندرية . ولكن يحق لنا ان نقول انه كان يدير مجموع كل ايرادات الملك ويمد مشاريعه الكبرى بالمال اللازم لانعامها .

وقد ذكرنا أن رءوس أموال المصارف كانت تحتوى على الاقل على جزء من أموال المصارف الملكية التى فى المدن والقرى . ونشاط هذه المصارف معروف جيدا فقد كانت تتسلم من الممولين ومن جباة الضرائب أو من الملتزمين كل المبالغ المستحقة بكل أنواعها للخزانة . وبخاصة الأموال المحصلة على رخص الحرف والضرائب بكل أنواعها ، وكذلك حقوق نقل الملكية وعلى اثمان المشتروات التى تعمل للملك أو للتمزى احتكارات البيع ، وعلى ثمن

شراء الأرض التى باعها الملك، وعلى ثمن بيع الوظائف الدينية (١) والغرامات. هذا وكانت مؤسسات الايداع بوصفها ادارات إيرادات ملكية تسلم كذلك الرهونات المينة أو الرهونات العقارية التى أودعها الملتزمون المملكون أو من ضمنهم ، والاثمان التى حصلت عن بيع المنتجات التى قدرهن عليها وفاء ضرائب معينة ، والمبالغ المستحقة للحكومة على المدنيين .

وقد استنبطت المهام التى تقوم بها هذه المصارف من وثائق عدة . وهى عبارة عن المخالصات التى كان يصدرها رجال المصارف وايصالات الدفع ، كما جاء ذكر دفعات أودعت لحساب الملك فى كثير من حسابات أوراق «زينون» أو فى خطابات من سجلاته وفى دفاتر الوارد التى كان يستعملها رجال المصارف ، وتسجيل عقود بيع حيث كان يشهد موظف المصرف بأن حقوق تقل المدفوعات قد حصلت . ومن جهة أخرى نجد ان المصارف كانت تدفع مبالغ بمقتضى مستند يصدره موظف مختص ، كما كان يؤخذ عن بعض المصاريف الملكية ايصالا ، وذلك مثل المرتبات ومصاريف الادارة وصيانة الضيعة وثمان المشتروات والمبالغ اللازمة للمشروعات العامة . والظاهر ان عمليات بعض المصارف كانت مقصورة على هذه المبالغ الخاصة بإيرادات الملك ومصرفاته . ووظائف هذه المصارف نجدها موضحة فى اليمن الذى اقسامه «سنتوس» عندما تسلم مهام وظيفته بوصفه مندوب مدير مصرف المقاطعة فاستمع اليه : اقسام : بان ادير بمقتضى أوامر كليتارك (Glitarque) مساعد مدير المصرف «اسكلييادى» خزانة الايرادات فيبيخيس (Phebichis) من أعمال «مقاطعة «كوييس» (Koites) وان أقدم على نهج صحيح وبأمانة تهريرا عن كل المبالغ التى تودع امانة فى الخزانة الملكية وعن النقد الذى سأتسلمه من «كليتارك» عدا النقود التى احفظها (؟) ، وان ادفع هذه

المبالغ في «مصرف» «اهناسية المدينة» (أى مصرف المقاطعة) ، واذا طلب منى بعض مصاريف فانه يجب على أن أدفعها في الحال ، وأن أقدم حسابا الى كليتارك من المبالغ المدفوعة ، وكذلك عن الرصيد وعن المستحق وان اقدم ايصالات عن كل ما صرفته فاذا وجد أننى مدين بشئ ما عند تقديم الحساب فأنى ساكون ملتزما دفعه للمصرف الملكى فى مدة خمسة ايام . وسيكون لكليتارك الحق فى تنفيذ الحكم على شخصى وعلى ممتلكاتى . وأقسم بأنى لن أبدد شيئا من هذه الممتلكات ، واذا خالقت ذلك فان الاتفاق الحالى سيكون حربا على . واقسم بأنى لن أخفى شيئا من «كليتارك» ولا عن وكلائه ، وان ابقى خارج اى معبد أو مذبح أو حرم مقدس ولن التجئ لأى حماية . واذا حافظت على قسمى فمن صالحى ، واذا حنثت فى يمينى فأنى اكون قد ارتكبت اثما . والواقع ان «كليتارك» ، هذا كان المدير العام لمصرف (Koites) فى نهاية عهد «ايرجيتيس الأول» وهو معروف لنا من اضمامة بردى عثر عليها فى الحية (١) اما «اسكلييادس» رئيسه الذى جاء ذكره فى نفس لاضامة فيظهر انه كان فى وقت واحد السكرتير المالى والمدير العام لمصرف مركز «كوييتيس» Koites . وهذه الاوراق ترينا بالضبط ان «كليتارك» هو الذى كان ينفذ فى المصرف الذى تحت ادارته كل العمليات التى وعد «ستوس» Sentneus نائبه بالقيام بها .

ووكلاء خزانات الملك لم يكونوا ملتزمين ، وعلى ذلك يتساءل الانسان عن الفائدة التى كانوا يجنونها فى الواقع من مثل هذه الادارة ؟ ولا نزاع فى ان «ستوس» الذى تتحدث عنه كان موظفا من موظفى المالية ، ولكنه كان موظفا مسؤولا ، قد كان محصلا فى المصرف وكان عرضة لان ينفذ على شخصه أو على ممتلكاته اى حكم عند ظهور عجز فيما عهد اليه . هذا وكان التعهد باليمين على أية حال يقويه تعهد برهن أخذ على نفسه ان يقدمه عند أى طلب (٢) .

P. Hibeh, 66-70 (b) & 160-3.

P. Gradenwitz, 3.

(١) راجع

(٢) راجع

ومهما يكن من أمر فإن ادارة هذه الخزانات كان يراقبها السكرتير المالى
وهاك ما يقول فى أعلام ورقة من أوراق تبتيس (١) . راجع حسابات
الايرادات فى كل قرية اذا أمكن - وهذا على ما يظهر ليس بالامر
المستحيل اذ كنت مخلصا للاعمال - والا ففى كل مركز ، ثم صوب
مراجعتك فيما يخص الدخل النقدي على المبالغ الوحيدة التى
أودعت فى المصارف ، وفيما يخص الايرادات التى دفعت قمحا أو ثمارا
دهنية على الدفعات التى وردها مديرو مخازن القمح ، واذا كان هناك بعض
عجز فعليك أن تجبر حكام المراكز والملتزمين بالايرادات على أن يدفعوها فى
المصرف . أما عن العجز فى القمح فعليهم أن يدفعوه بالثمن المحدد وعن
المواد الدهنية بثن الزيت الذى كان يجب أن تباع به المواد الدهنية وذلك
بالسعر المحدد لكل نوع من الزيت . ومن ثم نرى أن مخازن الغلال العامة
والمصارف كانت مراقبة بنفس الطريقة وبنفس الموظف . وقد يلحظ الانسان
أن المسئولية المالية الواقعة على عاتق مدير المصرف وهى التى اعترف بها
«ستوس» لم يأت ذكرها هنا .

والواقع أن هذه المسئولية قد جاء ذكرها فى أوراق أخرى وذلك أن اليمين
الذى جاء فى ورقة «تبتيس» السالفة الذكر واليمين الذى ذكره فى
ورقة أخرى (٢) هما من عهد واحد ويظن المؤرخ «روستوفتزف» الذى علق
على هذه الورقة السابقة ان مطاردة مديرى المصارف المسئولين لا تدين
السكرتير المالى فى شئ . والواقع أن ورقة تبتيس رقم ٧٠٣ ليست الا
ملخصا لواجبات السكرتير المالى . وعلى ذلك لا يجب أن نستنبط شيئا من
هذا السكوت عن مسئولية السكرتير المالى ؛ ولكن من الممكن أن المطاردات
كانت رسالة الموظفين المكلفين خاصة بجميع المبالغ المتخلفة .

وأخيرا لدينا وثيقة ترجع الى القرن الثالث تدل على أن السكرتير المالى

P. Tebt. 703 II, 117-134.

P. Gradenwitz 4.

(١) راجع

(٢) راجع

هو الشخص الذى يلى الوزير بعد الوكيل العام فى شئون المقاطعة المالية، وذلك لأن موظفى الخزنة كانوا يعينون عن طريقه ، ولدينا خطاب توصية ورد فى سجلات «زينون» يثبت ذلك (١) .

وقد اتضح من قوانين الإيرادات أن الارصدة الفعلية من الإيرادات التى دخلت الخزنة الملكية قد وكل أمرها لمديرى لمصارف الذين أجروا من الملك الحق المطلق لاستثمارها .

وكان مجمل المبلغ الذى تملكه المؤسسة يمثل الربح لصافى الذى يجنيه الملك من محصول إيراداته .

ولم يكن عمل رؤساء المصارف قاصرا على أموال الملك فى التعامل بل كانوا يستغلون رءوس الأموال التى كان يودعها أفراد الرعية . فمن ذلك أن الوزير «ابوللونىوس» كان له حساب فى عدة مصارف فى القرى . والظاهر أن هذه الأموال لم تكن تستعمل بالربا .

وكافت الودائع فى المصارف تزداد بإيداع دفعات متتالية ، فقد وجدت بعض ايصالات تدل على توريد مبالغ مضافة الى الرصيد الأسمى : وهالك مذكرة بإيداع تقود لحساب الوزير ابوللونىوس جاء فيها : « تسلم المبلغ المذكور أدناه وقيد لحساب «ابوللونىوس» ... » . وكان مديرى المصارف يقومون لمعاملتهم بعمليات مختلفة . والواقع أن الصيغة التى ذكرناها هنا تظهر أنه كان فى الامكان اضافة مبالغ لحساب شخص ثالث ، وذلك بأمر من صاحب الرصيد . ولدينا عدة برديات تبرهن على ذلك ، وذلك أن وكلاء «زينون» و«ابوللونىوس» الذين كانوا يقومون بأسفار لبيع محاصيل الضيقة وشراء السلع التى كانوا يبيعونها فى أماكن أخرى ، كان لابد أن يجدوا لتيسير أمورهم فى محاط تنقلاتهم مصارف يمكنهم أن يودعوا فيها

(١) راجع P. Cairo-Zenon 59342. (Cf. Wilcken Archiv. (1930) P. 231.

أو يسحبوا نقودا منها (١) .

من ذلك تفهم وجود مراسلات بين مديري المصارف مما يجعل عمليات التعامل في نقل النقود عملية واحدة لرصيد شخص بعينه .

والواقع أن عدد الدفعات التي أجريت بواسطة المصارف بهذه الصورة بين رجال الأعمال الذين التقوا حول «ابولونيوس» كانت كثيرة فكانت المرتبات تصرف بشيكات، وكذلك تعطى وكلاء التجار شيكات لمدهم بالمال، كما كانت تدفع حسابات مقاولين عدة من الذين يعملون في الضيعة بالشيكات، وتحول مبالغ من حساب شخص لآخر بشيكات ، غير أنه ليس لدينا أمثلة مؤكدة في هذا الصدد . ومع ذلك فانه كان لابد أن «ابولونيوس» عندما كان يدفع بعض الضرائب المستحقة على ضيعته للملك قد اتبع طريقة التحويل . وعلى أية حال فان هذه الطريقة لم تكن معروفة في العالم الاغريقى خلال القرن الرابع ق.م كما لم تكن معروفة في مصر في العهد البطلمى ، ومع ذلك فانه ليس لدينا ما يدعو لعدم استعمالها في حسابات أبولونيوس المختلفة .

والمصارف الملكية التي وصفناها حتى الآن تعد مؤسسات ايداع ولكنها كانت كذلك تقرر النقود اذ توجد فقرة في « قوانين الايرادات » توحى بشروط بمقتضاها كانت المصارف الملكية تقرر المال والواقع أن أصحاب المصارف كانوا يقرضون نقودا مقابل رهونات (٢)

وكذلك كانت تعطى قروضا على رهن عقارى . حقا أن الوثيقة الوحيدة التي تبرهن على الرهن العقارى كانت لصالح عميل من عملاء صاحب المصرف (٣) . ومن ثم تفهم أنه لم تكن نقود الملك هي التي يقرضها مدير

(١) راجع P. PSI., 333, 324 & 325; P. Lond, Inv. 2093; P. Mich. Zenon 32. P. Col.-Zenon 43.

P. Cairo-Zenon 59327, 1, 95.

(٢) راجع

(٣) راجع P. Cairo-Zenon 59327, 1. 95 ; P. Enteuxeis 38; P.S. 512 ; P. Tebt. 890, 1. 130 (Second Century B.C.

المصرف الملكي .

وتصريف عمليات المصارف بهذه الصورة تفسر لنا النشاط الاقتصادي حيث كانت تستخدم واردات الملك وهي محصول العمل في مصر ، وكذلك رموس الأموال التي كان يدعها الاغريق على قبة العمل المصرى وكانت أعمال المصارف هذه تجرى بوجه خاص بين السكان الاغريق ، ولكن الصانع المصرى كان له كذلك حسابه في المصرف ، ولا نزاع في أن مصرف الايداع كان أداة لا يمكن الاستغناء عنها لتجارة نشطة ، بل هو في الواقع المنشئ للحياة التجارية . ومما تجدر الاشارة اليه هنا أن رجال المصارف في القرن الثالث الذين ظهرت أسماؤهم غالبا في أوراق «زينون» وأوراق «بترى» وأوراق «ليل» وفي خلاصات الملح (١). وحتى في الاستراكا وفي تسجيلات المصارف التي من القرن الثاني ق.م. في اقليم طيبة اتنا نجد كل أصحاب هذه الوثائق كانوا يحملون أسماء اغريقية . حقا توجد أسماء كبة مصريين وكذلك بعض موظفين يعملون في المصارف مثل «ستوس» (راجع P. Gradenwitz 4) كانوا على الأقل من أصل مصرى ولكن نجد أن «بيثون» في «أرسنوى» (الفيوم) و «ستراتوكليس» (Stratokles) في «ديوسبوليس» الوجه البحرى و «برومتيون» (Prometheon) في «منديس» (تل الربع الحالية) و «بوزيديوس» (Posidonios) في «منف» و «ارتميدوروس» (Artemidoros) وعشرين غير هؤلاء كانوا رجال أعمال من أصل اغريقى يعاملون اغريقا مثلهم ، والظاهر أن طرقهم في المعاملة كانت لا تختلف عن طرق رجال المصارف الاغريق في القرن الرابع ق.م.

ولأجل أن تقدر أهمية المصرف المصرى كان لابد من معرفة عنصر هام وهو مقدار الأعمال التي كان يقوم بها والواقع أنه ليس لدينا أية فكرة عن مقدار المبالغ التي كان يتصرف فيها فرد مثل «بثون» أو المبالغ التي كانت

نعامل فيها مصارف «الاسكندرية» .

هذا وكانت نسبة العمليات المالية التى تجرى لحساب الملك كما وجدت فى الوثائق الخاصة بالقرى تؤلف الجزء الأكبر من حيث النقد ، وذلك لأن الفلاح المصرى كان لا يظهر فى المصارف الا عندما كان يأتى اليها لدفع مبالغ لحساب الملك أو ليتسلم مرتبه ؛ ولكن من جهة أخرى نجد أن الصانع أو التاجر المصرى أو الاغريقى كان يحتاج الى خدمات المصرف الذى كان يصفى له كل أعماله . والواقع أن المصرف الاغريقى كان متأصلا فى حياة المجتمع المصرى . ومع ذلك فان ما كان يؤديه المصرف من خدمة للمواطنين المصريين لم تكن الا عملية مربحة تنحصر فى دفع مبالغهم التى كانت كل فائدتها تعود على الملك وحده ، ومن ثم نجد أن الأوضاع الاغريقية التى أدخلت فى مصر لم تغير من حياة الفلاح المصرى ، ومن أجل ذلك نفهم لماذا كانت تعود الحياة المصرية الى ماكانت عليه عندما كان يضعف سلطان الملك فى البلاد . هذا واذا كان لدينا معلومات عن مصارف الاسكندرية التى كانت لا تعتبر جزءا من مصر لأنمكتنا دون شك أن نرى وتقدر اقتصادا مختلفا حيث كانت الاعمال الحرة فى بلد حرة هى صاحبة السيادة .

ومع ذلك فان الشعب المصرى لم يفقد كل شخصيته من هذه الناحية فى أمور أخرى ، فقد كانت هناك وحدات اقتصادية قائمة بذاتها منذ أقدم العهود وأعنى بذلك الشعائر الدينية التى كان يمدحها الملك بالمال والآلهة المصريين الذين كانوا يملكون الحدائق والكروم الشاسعة التى كان دخلها من النقد ينفق منها على خدمتهم ، وجماعات الكهنة الذين كانوا يتمتعون بمعاشات ملكية ، والمعابد التى كانت تنظم مراكز صناعة مزدهرة ، كل هذه الوحدات كان مثلها كمثل المعابد القديمة تعتبر مؤسسات تملك أموالا هامة . وهذا أمر لا نزاع فيه لأن الامتيازات كانت من الأشياء الموروثة عن مصر الفرعونية وظلت باقية مستمرة فى عهد البطالمة الذين كانوا يعملون جهدهم فى اكتساب

حب رجال الدين الى جانبهم وأهم وثيقة تحدثنا عن مبلغ سلطان رجال الدين ومقدار نفوذهم وامتيازاتهم في عهد الفراعنة هي ورقة « هاريس » الكبرى التي خلفها لنا رعمسيس الثالث . ففى هذه الوثيقة نجد شرحا مستفيضا عن مكانة رجال الدين والآلهة في العهد الفرعونى . وقد أسهنا القول في محتويات هذه البردية وبخاصة أن كل التراجم التي وضعت لها قد اخطأها التوفيق بصورة مشينة مما قلب الأوضاع رأسا على عقب (راجع مصر القديمة الجزء السابع من صفحة ٣٣٧ - ٤٩٤) . وسنتحدث فيما بعد عن الحياة المصرية في عهد البطالة الأول بما لدينا من وثائق ديسوطيقية من عهده بطليموس الأول والثانى .

وعلى أية حال لابد أن نميز وجود عهدين في تاريخ اقتصاد المعابد المصرية في عهد البطالة فالعهد الأول يمتد حتى ظهور منشور «حجر رشيد» حيث كانت ممتلكات المعابد على ما يظهر تديرها الحكومة بقوة وحزم ، والعهد الثانى وهو الذى أعقب الأول وأصبحت فيه المعابد ثانية بفضل الهبات والمصانع والاعفاء من الضرائب ، وحدات سياسية واقتصادية . ففى العهد الأول كان النشاط الاقتصادى فى المعابد نشاطا ملكيا . ولدينا ما يبرهن على أنه كان للملك فى حرم هذه المعابد خزانة للإيراد والمصروفات ، وأن نفوذ الآلهة قد أودعت فى مصارف للقرض كما كانت تقرض نفود الملك لاستثمارها (١) . هذا ومن الجائز أن المعابد قد حصلت على بعض امتيازات فى هذا الصدد منذ القرن الثالث ، غير أنه ليس لدينا وثائق تشير الى ذلك . وعندما تغلى الملك عن حقوق ادارة ثروة المعابد أصبح من البدهى أن هذه المعابد قد شرعت فى القيام بأعمال مالية لاستثمار عقاراتهم ومحاصيلهم ؛ ومن

(١) راجع P. Eleph. 10 = Wilcken Chrestomathie. No. 182 (223- 232); U.P.Z. 149, 1. 30 (time of Philopator); Wilcken Archiv. 5, 1913, PP. 211 Sqq.

الجائز أنهم كانوا يقرضون أموالهم للملك (١) وستحدث عن ذلك في حينه

هذا وقد كانت للمصارف أوجه نشاط أخرى لا نعرف عنه الا القليل وأغنى بذلك الرصيد الدولى . ولابد أن ذلك كان معمولاً به فى الاسكندرية بوجه خاص لأنها كانت بلدا حراً ، غير أنه مما يؤسف له أن الوثائق التى وصلت إلينا من هذه المدينة فى هذا الصدد نادرة . وهالك مع ذلك عملية تسليم دولية حفظت لنا فى احدى أوراق «زينون» (٢) . وتتلخص فى أن مدينة «هليكارناسوس» التى كانت تعتبر جزءاً من امبراطورية بطليموس الثانى قد أجبرها الملك على مده بسفينة ووكل تنفيذ هذا الامر لرجل يدعى «كراتيبي» (Xanthippe) ولما لم يكن لديه المال اللازم لتنفيذ أمر الملك فان «أبولونيوس» الذى كان على ما يظهر يقوم بوظيفة السكرتير المالى للملك فى «هليكارناسوس» قد أقرضه مبلغ ألفى درخمة من خزانة المدينة خصماً على المتحصل من ضريبة الطب ؛ على أن يعاد هذا المبلغ يدا بيد لشخص يدعى «مديوس» (Medios)

ومن جهة أخرى كلف «أبولونيوس» مدير المصرف المسمى «سوبوليس» Sopolis الذى دفعت له خزانات مدينة «هليكارناسوس» المبلغ المتحصل من ضريبة Stephanos وهى المستحقة للملك على أن يدفع على حساب هذه الوظيفة الى «كراتيبي» مبلغ ثلاثة آلاف درخمة . وقد ضمن الوزير «أبولونيوس» كراتيبي هذا ودفع له هذا المبلغ ، ومن ثم كان على «كراتيبي» أن يعترف بدفع مبلغ ثلاثة الآلاف درخمة فى الاسكندرية .

ومن هذا التابع فى العمليات نفهم أن المبالغ التى كان يستحقها الملك من مدينة «هليكارناسوس» قد أودعت فى المصرف ، وأن هذه الأموال كان يمكن أن تستعمل فى عمليات مالية ، وأن سلفيات هامة كانت تعمل بمال

P Tebt. 6, 140 ff.

P. Cairo-Zenon 59036 = P. Edgar 67.

(١) راجع

(٢) راجع

الملك الذى كان يعتبر صاحب رأس مال ضخم ، وأن النقل الفعلى للنقد الى ما وراء البحار قد تجنب ، وذلك لأن المال المقترض كان قد استعمل فى مكانه فى «هليكارناسوس» لاعداد سفينة ، وانه كان سيدفع ثمانية فى الاسكندرية للوزير «ابولونيوس» ممثل الملك ودائن المقترض وهو مدينة «هليكارناسوس» . هذا ولا نرى أن هذه السلفيات كانت مربحة ، ولكن من المحتمل أنها كانت تأتى بأرباح غير مباشرة .

هذا وتدل شواهد الأحوال على أن البطالة كانوا يربطون برباط وثيق بين السياسة والشئون العامة . وهذا أمر عام فى كل العالم ، فمن الممكن مثلا أن سلفية تمنح فى مناسبة طيبة قد تكون سببا فى أن تجذب محبة الشعب نحو الملك وهذا نفس ما فطن له وعمل به «ببليوموس سوتر» عندما أقرض الكهنة المصريين مبلغ خمسين درخمة لتجهيز حفل دفن العجل أيبس (١) . وقد قدمها لهم دون فائدة والظاهر أنه لم يستردها . وهذه لفظة تدل على حكمة وبعد نظر من جانب ببليوموس الذى كان يرى أنه فى حاجة الى محبة المصريين .

ومن جهة أخرى نجد أن البطالة الأول كانوا على استعداد لقرض سلفيات للمالك الأجنبية . فقد طلب القرطاجيون الى ببليوموس الثانى أن يقرضهم ألفى تلتنا (٢) . وإذا كان ببليوموس الثانى قد رفض اقراضهم هذا المبلغ فى نهاية الامر فان ذلك لم يكن بسبب أن هذا الطلب فى غير موضعه ، بل لأنه لم يكن يريد أن يفضب الرومان الذين بدأوا يلعبون دورا هاما فى السياسة العالمية وقتئذ . وكانوا فى الوقت نفسه أكبر مناهضين للقرطاجيين .

(Diod, I, 84, 8).

Arch. Pap. IX (1930). P. 233 f.

(١) راجع

(٢) راجع

موارد الضرائب الأخرى التي لم يشدد عليها الاحتكار الخفاق بصورة
سيرة :

(١) النسيج : كان النسيج من أهم موارد الإيرادات للدولة في عهد
البطالة وقد عني «بطليموس الثانى» بأمر هذه الصناعة فقد ذكرها في بردية
«قوانين الإيرادات» ولكن مما يأسف له أن الفقرة التي جاء فيها ذكر هذه
الصناعة وجدت ممزقة .

وصناعة النسيج صناعة قديمة في مصر ترجع الى أقدم العهود . وكان
النبات الوحيد الذى استعملت أليافه في صناعة النسيج طوال عهد الفراعنة
هو الكتان ، وتقول الأساطير أن «أوزير» آله الموتى كان أول من كفن في
نسيج الكتان بعد انتقاله الى عالم الآخرة . وتدل بقايا النسيج الذى عثر
عليه منذ عصر «البدارى» على ان صناعة النسيج الكتانى كانت منتشرة في
مصر منذ أقدم عهودها وبخاصة عندما نعلم أن الأستاذ «ينكر» عثر في مقابر
«مرمده» (بنى سلامة) على قطع من غزل الكتان أقدم عمرا من التي وجدت
في «البدارى» (١) وكذلك عثر على قطع نسيج من العهد الحجري في منطقة
القيوم (٢) .

لا نزاع اذا في أن الغزل والنسيج كانا من أقدم الحرف في مصر القديمة ،
ولكن تمثيل هذه الصناعات لم يعثر عليه بصورة جلية الا في عهد الأسرة
الثانية عشرة المصرية في مقابر «بنى حسن» حيث مثلت الأدوار التي تمر
بالنبات بعد نضجه من تعطين ودق وتمشيط وغزل ونسج . هذا الى أنه كشف
عن نماذج لنساء يشتغلن بالغزل والنسيج في مقابر الأسرة الحادية عشرة
في طيبة وهذه النماذج محفوظة الآن في متحف القاهرة (٣) .

Badarian Civilisation. Brunton. P. 46-7.

(١) راجع

Caton Thompson, The Neolithic Industry of the N. Fayum Desert, in Journal of Anth. Inst. LVI (1926). P. 315.

(٢) راجع

H.E. Winlock, The Egyptian Exp. 1918-1920. In Bull. Met. Mus. of Art, New York, 1920. P. 22.

(٣) راجع

والواقع أن النماذج التي وجدت في مقبرة «مكت رع» التي عثر عليها «ونلك» في جبانة طيبة من عهد الأسرة الحادية عشرة بعد الأولى من نوعها قبل المناظر التي وجدت في مقابر بنى حسن . وقد ظهرت هذه النماذج في كتاب حديث أصدره الأستاذ «ونلك» وشرح فيه الخطوات التي اتخذت لاعداد النسيج في صورته النهائية (١) .

وتدل البذور الكثيرة التي عثر عليها في المقابر المصرية على أنه كان هناك نوع خاص من الكتان يختلف عن النوع الذى يزرع فى البلاد (٢) الآن . وقد تكلم مؤرخو الاغريق عن نسيج الكتان المصرى ودقه وصنعه وبخاصة عن نوع منه دقيق جدا حتى أنهم قالوا أنه نسج بالهواء ، ويطلق عليه اسم «بيسوس» Byssus (٣) . ويعتقد الأثرى «لوريه» أن هذه اللفظة تقابل فى الهيروغليفية الكلمة القديمة «نيسوت» أى الملكى للدلالة على أنه أفخر نوع من نسيج الكتان (٤) . وقد استمرت هذه الصناعة حتى العهد الهيلانىستى حيث نجد أن البطالة كانوا يهتمون بها بل كانوا يعتكرون صناعتها الى حد ما (راجع عن صناعة النسيج واحتكاره) (٥) .

والواقع أن إيرادات النسيج كان مثلها كمثل إيرادات الزيت تؤجر للملتزمين ويشرف على تحصيلها السكرتير المالى للمقاطعة ومندوبوه ، أما المواد التى كانت تستعمل للنسيج فهى الكتان والصوف والقنب .

وكان وزير المالية يصدر قرارا سنويا يحدد فيه مقدار المساحات التى كان لابد من بذرها بالكتان . وقد علمنا ذلك من شكوى وصلت إلينا مؤرخة

(١) Winioc Models of Daily Life in Ancient Egypt, From the Tomb of Meket-Re at Thebes. P. 29-33, Pls. 25-28. راجع

Bull. Inst. Egypte, 1884. (P. 5)

Decret de Canope, Ligne 17.

Loret, l'Egypte au temps des Pharaons. P. 178,

Heichelheim Pauly-Wissowa, Real Enc. Coll. 175-181; راجع (٤)

Wilcken Grundzüge, pp. 243-246. راجع (٥)

بنهاية القرن الثالث ق.م ، غير أنه مما يؤسف له أنه عثر عليها ممزقة (١) ويتلخص ماجاء فيها ان ماترماسيىء الطالع وصف لنا في هذه البردية أن ادارة مزارع كتان واسعة قد تعهدا هو خلال فصول عدة . وذكّر لنا بعد ذلك هذا الملتزم بوجه خاص أن الوزير قد أصدر أمرا بأن يبذر العام التاسع بعنابة واخلص ما مساحته ألف وخمسمائة وخمسون أرورا كتانا اضافية ، وأنه اذا لم يكن لدى الفلاحين بذور فيقرضون ثمنها ولا نزاع في أن مثل هذا الأمر يؤكد وجود عجز في زراعة الكتان يرجع عهده الى القرن الثالث (٢) وفي هذا المصدر نجد أن الكتان قد اعتمد من بين النباتات التي فرضت زراعتها والرقابة عليها وتدل شواهد الأحوال على أن توزيع البذور أو القرض لشرائها قد وكل أمرهما لحكام المقاطعات أو المراكز المسئولين أمام الملك والملتزم المسئول عن توريد دخل المحاصيل في الحال . هذا وكان السكرتير المالى موكلا بالاشراف على جمعها (٣) « والظاهر أن تحديد زراعة المساحات المخصصة للكتان لم تكن اجبارية كما أن زراعة الكتان لم تكن قاصرة على أراضي الملكية وحسب .

P. Tebt. 769 (237-6 or 212-11.

S.B. 4369 a. I. 40 ; Cf. Petrie III. 75.

Rev. Laws, Col. 87.

(١) راجع

(٢) راجع

صناعة النسيج

وتدل ظواهر الأحوال على أن صناعة النسيج كانت مسألة عويصة أكثر تعقيدا من صناعة الزيت ، يضاف الى ذلك أنها كانت من الصناعات التي امتازت بها مصر القديمة كما أشرنا الى ذلك الآن .

صناعة الصوف

وتأتى بعد صناعة الكتان فى الأهمية صناعة المنسوجات الصوفية ، وأخيرا منسوجات أخرى كانت تصنع من القنب وبخاصة فى تجهيز معدات السفن . ويجدر بنا عند التحدث عن المنسوجات أن نذكر المقادير الضخمة من الغزل التى كانت تصنع فى البيوت المصرية الخاصة ، وكذلك التقدم العظيم الذى وصلت اليه صناعة النسيج فى المعابد المصرية . ولا نزاع فى أن «قوانين الايرادات» التى وضعها «بطليموس الثانى» ذكرت المواد الثلاث التى كانت تستعمل فى النسيج وهى التى ذكرناها فيما سبق ؛ وقد ذكرت تحت عنوان واحد . غير أننا نجد فى التعليمات التى تركها لنا وزير المالية فى ورقة «تبتيس» (١) أنه لم تذكر الا صناعة الكتان ؛ ومن ثم يجوز أن صناعة المادتين الآخرين وهما الصوف والقنب كانتا منظمتين على نفس النسق الذى كانت تسير عليه صناعة الكتان .

على أن ما لدينا من مصادر يدل على أن ادارة صناعة الكتان كانت معروفة أكثر من غيرها، وعلى أية حال لاتزال توجد بعض نقاط غامضة فى ادارة هذه الصناعة . وقد قدمت لنا ورقة «تبتيس» التى تعد أحسن مصدر لدينا حتى الآن الخطوط العريضة عن نظام هذه الصناعة . ويتضح من فحص محتويات هذه الورقة أن نظام صناعة الكتان يشبه كثيرا نظام صناعة الزيوت النباتية.

والظاهر كما ذكرنا آنفا أن صناعة انتاج الكتان لم تكن محددة ؛ غير أنها مع ذلك كانت تحت مراقبة الحكومة (١) ؛ وذلك لأن الفلاح كان يورد من المحصول مقدارا معيناً للحكومة ، في حين أن الفائض كان يتصرف فيه المنتج كما شاء . هذا وكان للملك مصانع كتان خاصة لصناعة ما تحتاج اليه الحكومة . ويحتل كذلك أن ما كان يبيعه أو يصدره للخارج كان لحسابه أيضا . وكانت جهات القطر المصرى تعج بأعداد عظيمة من النساكين المدبرين الذين يعملون لحساب الملك ؛ غير أن السواد الأعظم من بينهم كانوا ينتجون فى بيوتهم ، حيث كانت توجد أنوالهم الخاصة بهم . وكانت تصنع فى كل عام كمية من النسيج والملابس للإدارة الحكومية الرئيسية . وهذه الكميات كانت تخصص لكل من المقاطعات وكان العمل يوزع بمقتضى هذا النظام فى كل من المدن والقرى التى تحتويها المقاطعة . وكانت الأخيرة توزع بدورها أنصبتها بين أفراد النساكين . وكانت الحكومة تبرم عقودا مع هؤلاء النساكين فيتسلم كل واحد نصيبه المفروض عليه نسجه أو الذى كلف بعمله ملابس من التى ميز نوعها بدقة . ويلحظ أن بعضها كان يحلى أحيانا بالتطريز . أما ما كان يلزم هذه المنسوجات من خيوط وتترات لغسلها فكانت الحكومة على ما يظهر تورده للنساكين . وعلى الرغم من أن المصادر البطلمية لم تذكر لنا من الذين كانوا يغزلون هذه الخيوط فإن المنطق والقياس يحتمان علينا القول أنها كانت تغزل فى البيوت ، كما كانت الحال فى مصر القديمة كما أشرنا الى ذلك من قبل ؛ وكما كانت الحال فى مصر الحديثة حتى عهد قريب جدا ، بل ولا زلنا نرى هذه الصناعة فى بعض القرى التى لم تدخلها المدنية بصورة ظاهرة فى عصرنا الحالى .

وبعد توريد النسيج والملابس على الوجه المطلوب كان يفحصها السكرتير المالى بكل دقة وعناية وكانت تدفع للنساكين أجورهم على حسب التعريف

الموضوعة لذلك . واذا اتفق حدوث نقص في الكمية أو النوع المتفق عليه فكان يفرم النساجون بالفرق على حسب التعريفة التى على ما يظهر كانت كالسابقة . أما فيما يتعلق بالأنوال التى كانت لا تدار فكانت تؤخذ من النساجين وتحفظ فى مخازن عاصمة المقاطعة خوفا من تشغيلها خلسة .

أما عن بيع المنسوجات فليس لدينا الا بيانات ضئيلة جدا ؛ ولم تحدثنا ورقة «تبتيس» (١) بشئ عنه ، فى حين أن ماوصل إلينا من وثائق أخرى يتضارب مع بعضه بعضا والظاهر أن النسيج والملابس التى كانت تصنعها المصانع الملكية أو التى كانت تنسج للملك فى مصانع خاصة كان الغرض منها هو أن تسد قبل كل شئ حاجة الملك الخاصة ، وكذلك ما يلزم لأفراد بيته وحاشيته وهؤلاء كانوا عديدين . ومن الجائز أن بعض المنسوجات الدقيقة الصنع كانت تباع لتجار أجانب غير أننا لا نعرف مقدار ما كان يوزع منها على السوق المصرى ، كما لا نعرف الشروط التى كانت توزع على حسبها . هذا وليس لدينا أى بيان عن التخفيضات التى كانت تفرض على الإنتاج المحلى وعلى المصانع الحرة . أما المعابد فكانت لا تزال تنتج على ما يظهر على نطاق واسع الكتان الجميل المسمى بيسوس (Byssus) منذ أقدم عهود التاريخ المصرى ، وكان جزء منه يورد للملك الذى كان يشدد بدرجة عظيمة فى توريد طلباته كاملة من حيث النوع والكمية . وكان نساجو المعبد مثلهم كمثل نساجى الملك يدفعون غرامة عن مقدار النسيج الذى يعجزون عن توريده ، كما كان عليهم أن يدفعوا غرامات خاصة عن النسيج الجميل الذى لم يكن قد نسج على حسب الحجم والنوع المطلوبين . ومن الجائز أن بعض النساجين الأحرار كان لديهم تصريح أو رخصة لإنتاج المنسوجات اللازمة للسوق الحرة ، وهذا التصريح كان على ما يظهر تدفع عليه ضريبة . هذا ولا نعلم حتى الآن اذا كانت مثل هذه

المنسوجات تباع بثمان محدد وضعت الحكومة أو بثمان وضعه تجار مرحص لهم من قبل الحكومة . أما المعابد فكان لها الحق على وجه التأكيد في بيع نسيج كتانها لتجار أجنب . ولدينا نقش نعلم منه أن تاجر عربيا - كان في الوقت نفسه كاهنا لمعبد مصرى قد - قد استورد بعض العطور من بلاد العرب وصدر مقابلها كتان بيسوس من المعبد الذى يعمل فيه (١) .

ومما يؤسف له أن معلوماتنا عن صناعة النسيج المصنوع من الصوف أقل من معلوماتنا عن صناعة الكتان . وكان على ملوك البطالمة أن يعتنوا اعتناء كبيرا بتنميتها . فقد كانت الملابس الصوفية والأبسطة والسجاجيد والمراتب تستعمل كثيرا في مصر وبخاصة عند الاغريق ؛ وذلك لأن المصريين كانوا يرتدون الملابس المصنوعة من الكتان ويستعملون الحصر المصنوعة من البوص وخصوص النخل ومن مواد أخرى . ولما استوطن الاغريق مصر كانوا قد أحضروا معهم عادة صنع ملابسهم وملابس أسرهم بأيدي زوجاتهم وخادمااتهم . هذا ويذكر كل فرد وصف « تيوكريتيس » لربة البيت الاسكندرى ، فقد كانت تتميز من الغيظ من زوجها بسبب شرائه صوفا من نوع رخيص له من السوق . والظاهر من ذلك أن البطالمة على ما يظن لم يضعوا تحفظات بعيدة المدى على تجارة الصوف أو على الاتاج المحلى من النسيج والملابس والصوفية ، ويجوز أنه كانت لهم مصانعهم الخاصة للصوف في الاسكندرية وأماكن أخرى في مصر . ولدينا برهان على ذلك في الاسكندرية في خلال القرن الأول ق.م (٢) ولا يحتمل ان البطالمة قد انشأوا أى شئ يشبه الاحتكار الملكى لنسيج الصوف وتجارته ، ومما لا شك فيه أنه كانت هناك بعض لوازم للحكومة من الصوف ، كتوريد نوع خاص من نسيج الصوف الذى يعرف « بالسورى » وكان مستعملا كثيرا في الجيش ، فقد كان ينسج اجبارا بأيدي صناع اخصائيين قد نظموا بنفس الطريقة التى نظمت بها صناعة الملابس الكتانية ، غير أن هذا كان اجراء استثنائيا .

Rost, S. Econ. I. P. 388.

Ibid. P. 307.

(١) راجع

(٢) راجع

ولدينا وثائق عدة تحدثنا عن تجارة الصوف بعبارات تدل على أنها كانت تجارة حرة ؛ فمثلا نعلم من مراسلات «زينون» أن سيده الوزير «ابوللونيوس» كان له مصانع في مدينة « منف » ويحتل كذلك في بلدة «فيلاذلفيا» وكان يصنع فيها الصوف بكميات كبيرة . ونعلم أن المصانع فيها كانت تعمل لسد حاجات أولئك الذين كان يستخدمهم «ابوللونيوس» في ضيعته وللسوق أيضا . ولا نطق أن حالة «ابوللونيوس» هذه كانت حالة فردية ، اذ لدينا وثائق عدة تتحدث عن النسيج ويحتل أن معظمه ملابس من الصوف كان يبيعها لخلق مختلفين ، وعلى وجه عام يظهر من المحتمل أن صناعة الصوف كانت منظمة بنفس الطريقة العامة التي كانت متبعة في الكتان مع الفارق أن التحفظات التي كانت تتبع في صناعتها أقل .

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن الصوف كان ينتج في مصر نفسها ، وذلك لأن «ابوللونيوس» كان يستورد الغنم من آسيا الصغرى ويأقلمها بجو «القيوم» على يد رعاة أحضروا معها خصيصا (١) ، وستحدث عن ذلك فيما بعد . وعلى أية حال كان البطالة يبذلون مجهودا لاتاج صوف يعادل في جودته الصوف الذي كان ينتج في بلاد الاغريق و«آسيا الصغرى» و«بلاد العرب» ، وأسهل طريق للوصول الى ذلك كان باستيراد غنم أجنبية وأقلمتها في مصر . وقد كان للوزير «ابوللونيوس» اليد الطولى في مساعدة «بطليموس الثاني» في تنمية هذا المورد من الثروة فقد كان «ابوللونيوس» هذا يملك قطيعا مدهشا من غنم «ميليوس» . وقد جاء ذكره كثيرا في أوراق «زينون» (٢) وقد كتب «ابوللونيوس» الى «زينون» و«باناكستر» خطابا مؤرخا بعام ٢٥٤ ق.م (٣) وهذا الخطاب له أهمية خاصة وذلك لأن «ابوللونيوس» كان قد أرسل راعيا مدربا يدعى «مارون» الى «فيلاذلفيا» لأجل أن يقوم على رعاية القطيع المليزي . وكان على «باناكستر» و«زينون» أن يسلما له الغنم

P. Cairo-Zenon, 59430, 59195.

P. Cairo-Zenon, 59142, 59195, 59430.

P. Cairo-Zenon, 59195.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

وكل الأدوات اللازمة ، وأن يضعا رعاة الغنم وأربعة صبية تحت أوامره . وكان هناك أمل كبير في أقلمة الغنم الميليزية ، وذلك لأن مراعى القيسوم المشبعة بالماء لم تكن تختلف كثيرا عن تلك التى على شواطئ نهر «مايندر» هذا وكانت التجربة أكثر نجاحا فى أقلمة الأغنام العربية وذلك لأن الأغنام العربية والرعاة العرب كان يشار اليهم كثيرا فى مراسلات «زينون» وغيرها^(١) وما تجدر ملاحظته أن الموكب العظيم الذى نظمه «ببليموس الثانى» قد وصفه « كاليكزينوس » (Callixenus) ^(٢) وكان قد عرض فيه على العامة أغناما عربية و « أثيوبية » و « ايوبية » (Euboean) ؛ وذلك ليبرهن على اظهار المجهودات العظيمة التى كان يبذلها «ببليموس الثانى» لسد حاجيات رعاياه من الاغريق حتى من صوف الأغنام الذى تعودوا لبسه فى بلادهم .

صناعة الجعة

كان قدماء المصريين يعدون على ما يحتمل أعظم قوم فى العالم يحتسون الجعة . وتدل الآثار الباقية على ان الشعب المصرى كان يشرب الجعة منذ عصر ما قبل الاسرات . فقد وجد مدفونا مع رجل ما قبل الاسرات وما قبل التاريخ جرار من الجعة فيها بقايا هذا الشراب . وعلى أية حال لا يمكن ان نضع تاريخا محددا لبداية استعمال المصرى للجعة . وبعد ان بدأ المصرى يعرف الكتابة والقراءة وجدنا على كل لوحة قبر صلاة ودعاء يطلب فيها ان يموت المتوفى بأهم مقومات الحياة فى نظره وهى الخبز والجعة ، وأحيانا النبيذ . هذا ونجد أحيانا قائمة حقيقية بالمواد التى تتألف منها وجبة المتوفى . فكانت الجعة تعد من الزم المواد وأهمها له . وأقدم مصادر ذكرت فيها الجعة قوائم القربان ويرجع عهدا الى حوالى ٥٤٠٠ سنة ق.م أى منذ عصر بناء أهرام

(١) راجع P. Cairo-Zen. 59430, Cf. 59405 & Perhaps 59404; PSI. 429. 17, 377, 14; Hib. 36. 6. 11; Arabian wool, P. Cairo 59287; if. Edgar 107.

Athen. V, P. 201.

(٢) راجع

الجيزة وقبله . وتسمى الجعة فى المصرية القديمة « حنكت » ، وكانت تصنع بنقع الخبز المصنوع من الشعير أو الشعير المحمص بعض الشيء فى الماء لمدة يوم ثم ينشر فى الهواء ثم ينقع فى الماء ثانية لمدة خمس ساعات يصفى بعدها ثم يوضع ثانيا فى مكان دافئ حتى يتخمر ثم يوضع عليه قيع بعض الاعشاب المرة وفى هذا الوقت كانت تؤخذ المادة المرة من الترمس لأن المصريين كانوا لا يعرفون وقتئذ حشيشة الدينار الأصلية .

والمناظر التى كان يرسمها المصريون والتى لا تزال باقية حتى الان على جدران مقابرهم التى عثر عليها منذ زمن قريب ، تدلنا على الطرق المختلفة لصناعة الجعة . وكانت تصنعها عادة النسوة . هذا وكان الملوك والاشراف واثرياء القوم يضمون جمعهم فى منازلهم ، أما رجل الشارع فكان يحتسى جمته فى حوانيت الجعة العامة التى ترجع اقامتها وفتح أبوابها للشعب الى ما يقرب من أربع آلاف سنة مضت ، وكانت تعرف باسم حوانيت الجعة .

وعلى مر الزمن أصبح التعبير إقامة حانوت جعة يعنى حفلة سر . ولا أدل على ذلك من انه فى عهد رمسيس الثالث أى حوالى ١١٩٨ ق.م قد اتهم بعض رجال المحكمة العليا للقضاء بأنهم أقاموا حانوت جعة بصحبة بعض السيدات الهينات القضييلة من حريم القصر الملكى وكن قد اتهمن بالخيانة العظمى فى مؤامرة لاغتيال حياة رمسيس (١) .

هذا وكان المصرى القديم يحتسى أنواع عدة من الجعة . وقد وصلت الينا قائمة بأنواع الجعة التى كان يعلها الملك «أوناس» (حوالى ٢٦٢٥ ق.م) ضرورية لحياته الآخرة . ولا نزاع فى أنه كان يفرج بها عن نفسه من هموم الحكم ومتاعبه . ومن هذه الانواع الجعة العادية (حنكت) وجعة الصداقة (خنس) والجعة الفاخرة (سزرت) وجعة زويو . وكلها قد نقشت اسماءها على جدران قاعة دفنه بهرمه فى «سقارة» . وكانت الجعة السوداء كذلك

معروفة فقد جاء اسمها بعد ذلك بالف سنة في النقوش أى منذ ٣٠٠٠ سنة مضت . وتدعى «شدح» وكانت تحلى بمسل النحل ، وهناك نوع آخر يدعى «قده» كان يؤتى به من بلاد تحمل نفس الاسم في آسيا الصغرى . ولكن على الرغم من ذلك كانت مصر تعد أهم بلد لانتاج الجعة والموطن الاصلى لصناعتها . وكانت الجعة تلعب دورا هاما في حياة المصرى القديم فقد كانت تستعمل كاحدى وسائل المعاملة (التبادل) ولدينا نقش من عهد الاسرة الخامسة تركه لنا أحد نبلاء القوم دفن في مقبرة عظيمة بجوار الهرم الاكبر بالجيزة ويقول فيه : لقد أقمت قبرى هذا ودفعت أجر اقامته خبزا وجعة ، وعلى أية حال كانت الجعة من أهم دواعى جلب السرور للقوم حتى ان التعبير «شرب الجعة» كان معناه اقامة وليمة وقد أخبرنا «هردوت» ان الاعياد التى كانت تقام في «بوسطة» كان شراب الجعة فيها هو الشراب المفضل .

وقد استمرت الجعة تحتل مكانة الصدارة بين المشروبات المصرية في عهد البطالمة وكانت تصنع من الشعير كالعادة وهناك صنف منها كان يصنع من الجبب (١) .

وكان استغلال مصانع الجعة في طول البلاد وعرضها في يد مؤسسات يديرها ملتزمون قائمون على ادارتها . هذا وليس لدينا الا بعض خطابات من قانون بلدة فيلادلفيا وهو الذى نظم حقوق الملتزمين ، غير اننا نجد بين أوراق البردى الاغريقية عناصر تدل على احتكار الملك للجعة . ويوجد أوجه شبه بين احتكار صناعة الزيت وصناعة الجعة . فقد كان صناع الجعة يأخذون على عاتقهم صناعة كمية من الشعير جعة . وهذه الكمية كانت توردها لهم مصالح الحكومة المختصة بذلك مقابل ثمن معين . ففى القرن الثالث كان السكر تير المالى بمساعدة

(١) راجع Reil, Beitrage sur Kenntnis des Gewerbes im Hellenistischen Aegyptens 1913(PP. 164-165; Heichelheim Monopole, Pauly-Wissowa, Real. Enc. Coll. 170-1720; Wilcken Grundzuge, PP. 251-252; Rost, Large Estate. 118-120.

الكاتب الملكي هما اللذان يوفان مصانع الجعة في المقاطعة (١). كما كان السكرتير المالي هو الشخص المكلف بتوريد مصانع الزيت بالبذور الدهنية . هذا وكانت توجد مصانع جعة في القرى التي كانت تعتبر ضياعا . ولدينا خطاب من سجلات «زيتون» تكشف محتوياته عن المشاكل التي كانت تنشأ عن الاتجار في هذه المادة . ففي عام ٣١ من حكم الملك «ببليوس الثاني» كتب «أبولونيوس» خطابا الى «زيتون» جاء فيه : « لا بد ان تعلم ان «بياس» قد أجر حانوت الجعة الكائن ببلدة «فيلادلفيا» . وقد أخذ على عاتقه أن يدفع للخزانة على حسب الانتاج اليومى من بيع الجعة من اثني عشر اردبا من الشعير . فحرر معه عقدا . وبعد حلف اليمين سلمه حانوت الجعة ، وكذلك عين معه محصلا أميناً لمراقبة العمل . أما عن صانع الجعة الحالى فيجب عليه ان يقوم بالتزاماته عن المدة التي كان يدير فيها هذا العمل » . ثم تحدث بعد ذلك بقليل في نفس السنة قائلا : ان صانع الجعة «أمناس» قد اتهمه صراف الخزينة أو المراقب بأنه فاه بكلام يعد جريمة ومن أجل ذلك ارسل «أبولونيوس» قاضيا خاصا ليستمع للقضية ، فهدد «أمناس» بأنه اذا ثبتت عليه التهمة فإنه سيساق في الشوارع وبعد ذلك ينفذ فيه حكم الشنق . والظاهر ان الموضوع كان سياسيا اكثر منه اقتصاديا وسيأتى ذكره فيما بعد .

أما عن «بياس» السالف الذكر فإنه على أثر وصوله الى فيلادلفيا ادعى ان اتفاه مع «أبولونيوس» كان على أحد عشر اردبا . فكتب زيتون في هذا الى الوزير «أبولونيوس» ، وبعد مضي ثمانية أيام جاء رد الوزير على ذلك مظهرا فيه دهشته وحيرته وقد أخبره الوزير بأنه كذب عليه ، ثم قال : « أحجزه حتى أصل ومر بملاحظة حانوته » . وتحليل هذا الموضوع هو ان الملتزم الذى قيد اسمه ضمن جماعة صنّاع جعة مقاطعة «أرسنوى» قد اتفق مع «أبولونيوس» على ان يدير حانوت جعة بلدة «فيلادلفيا» بصنع اثني عشر اردبا من الشعير

يومية جعة . وقد أخذ على نفسه عهداً بأن يشتريها يوميا من مخازن الدولة . ومن الواضح أنه بصرف النظر عن ضيعة «ايولونيوس» نجد أن مثل هذه العقود لم تكن تبرم بواسطة الوزير بل بواسطة مدير مؤسسات المقاطعة وهو السكرتير المالي الذي يورد الشعير يوميا لحانوت الجعة وكان العقد يوافق عليه بحرية غير أن الخطابات التي أوردناها هنا تكشف عن الحالة السيئة التي كانت عليها الادارة التي تباع مثل هذه الامتيازات للمتزمين . فنجد ان «بياس» لاجل ان يحصل على الصفقة وعد بشراء كمية اعلى من التي كان يمكنه ان يصرفها ، ولكنه بمجرد تسلم حانوت الجعة نجده أخذ يتلاعب بالتراجع في قوله وبدلاً من شراء ١٢ اردبا لم يرغب الا في شراء أحد عشر اردبا على اننا نعرف قبل الثور على هذه الاوراق التي جملناها هنا بأن صانع الجعة وصاحب حانوتها كان في العادة فردا واحدا في كل حالة أى أنه هو الذي كان يصنعها ويبيعها ، وذلك لان صناعة الجعة كانت لا تحتاج الى كبير عناء أو الى آلات خاصة كما شرحنا ذلك من قبل . هذا ونعلم ان حقوق صناعة الجعة وبيعها لم تكن مباحة لكل فرد . فقد كان على صناع الجعة ان يحصلوا على رخص خاصة بذلك يدفعون عليها رسوما . وهذه الرخص كانت تحرر في صورة عقد خاص يبرم بين صانع الجعة وهو صاحب الحانوت والمتزمين بصناعة الجعة وموظفي الحكومة . والآن نعلم أكثر من ذلك فنعرف ان صناع الجعة كانوا يتسلمون موادهم الففل أى الشعير من الحكومة أو من ملتزم صناعة الجعة في صورة «قرض» كان عليهم ان يصنعوه جعة ويبيعوه . وكان كل مقدار من الشعير يتسلمه صانع الجعة يحدد المبلغ الذي كان عليه ان يدفعه من ايجاره . أما الجعة التي كان يصنعها فكانت تباع كلها في حانوته . وكان ثمن ما يباع لا يتسلمه هو بل كان يستولى عليه الصراف والمراقب وعلى ذلك فكانا اما مشتركين معه في الجريمة أو من الداعائه . وكانت النقود المتحصلة تدفع لخزانة الدولة وتضاف الى حساب المؤسسة . وبعد خصم ثمن الشعير يعمل

حساب ختامى عام ، وبعد خصم المصروفات كلها منه كان صناع الجعة يتسلمون ما يبقى بوصفه دخلهم الخاص .

ومما هو جدير بالملاحظة هنا ان الملك وبخاصة «بطليموس الثانى» كان يستغل المنافسة التى كانت تقوم بين الملتزمين عند تقديم عطاءاتهم فيكسب بذلك أعلى الاثمان لا يجاره . ولكن لما لم يكن فى مقدور من رضى عليهم العطاء ان يقوموا بالتزاماتهم دفعة واحدة ، فانه كان ينجم عن ذلك سلسلة مشاكل تؤدى الى استيلاء الملك على ما قدمه الملتزمون من ضمانات أو الحبس بسبب الدين للخزانة . وكان أحيانا يستولى على الملتزمين الفزع فكانوا يعملون على التخلص من الوقوع فى الخطأ وذلك بارتكاب الغش والتزوير فى امضاءاتهم أو بالبيع باثمان أعلى من التسعيرة المفروضة . وفى هذه الحالة كانوا يمرضون انفسهم للمراقبة والمحكمة . ولا أدل على ذلك مما فعله «بياس» السالف الذكر . هذا وكان العقد الذى يصحبه اليمين يحتوى فضلا عن ذلك على الرهونات الخاصة به كما هى العادة . ومعلوم أن الجعة غذاء ضرورى ، غير ان استهلاكها كان أقل من استهلاك زيت الاستصباح على وجه التأكيد . وعلى ذلك كانت فرص المؤسسة قليلة فى الربح . فكل نقص فى عدد السكان وكل تأخير فى دفع المرتبات وكل تخفيض فى عدد سكان القرية كان يؤثر فى دخل حوانيت الجعة . وكذلك نجد فى جانب اولئك من كان ينازع مثل «بياس» وهو من القلة الذين كانوا يأملون فى استغلال كبير وخاب ظنهم فكانوا يطلبون اعادة النظر فى عقودهم .

والواقع أن الملتزم لم يخرج عن أنه كان وقتئذ فى أغلب الأحيان رجل مال يضمن للملك تحصيل ايراده . فقد كان يؤجر ايراد قرية أو عدة قرى دفعة واحدة . ولم نجد فى الاقتصاد الملكى ما يشير الى وجود مشاريع تدار بالوراثة من الأب الى الابن مع العناية بالمحافظة على ثقل ثمرة مجهود طويل فى الأسرة . والواقع ان الاقتصاد البطلمى كان يجهل الصناعة الأسرية اى التى كان يرثها

الأبن من الأب ولذلك نجد ان الفرد يكون مده عام ملتزم زيت قرية مثلا وبعد ذلك يكون في عام آخر مؤجرا للجمة ، وفي الوقت نفسه مؤجرا لمادة الملح مثلا. وعلى أية حال نجد أن العمال الذين يعملون في ذلك كانوا مرتبطين بمقاطعتهم فلا يغادرونها الى مكان آخر . هذا ويلحظ اختفاء هذا التمييز في المجهود الذى يسعى اليه الانسان ليصبح ملتزما ، وذلك عن طريق اشتراك رجل مال وعامل لا يعرف الواحد منهما الآخر . وهذا من خواص اقتصاديات أصحاب رؤوس الأموال في هذه الفترة . وقد ظهر في نظام حانوت الجمة هذا الخطأ في الاقتصاد البطلمى أكثر مما ظهر في احتكار الزيت ؛ وذلك لأن البطالة أرادوا تفريق الخطر والعمل والمكسب والمبادرة ، وبذلك خفقوا عند الفرد حاسة التجارة . ومن المحتمل أن هذا هو سبب الركود الاقتصادى الذى وقعت فيه مصر منذ القرن الثانى ق.م .

هذا وكانت المعابد دائما صاحبة امتياز بصورة ما حتى لا يتعلمها الاقتصاد الملكى ؛ ولذلك كانت لها حوائث جعتها الخاصة بها^(١) وأخيرا نجد ثانية أن البطالة وفقا لنظام الاحتكارات البطلمية أعطوا مركزا قانونيا منفصلا لحانوت الجمة^(٢). والمنشورات التى صدرها بطليموس «ايرجيتيس الثانى» وهى التى تمنح امتيازات فى صالح كل أولئك الذين كانوا فى خدمة الدخل الملكى بصورة ما ، تعفى أصحاب حوائث الجمة من تحمل تقديم مسكن للجند المرتزقة^(٣). هذا وتدل شواهد الأحوال على أنه كانت تفرض ضريبة على كل ما يستهلكه كل فرد من الجمة^(٤)

- (١)راجع Otto, Priester und Tempel, I, PP. 298-300; & II. P. 60.
 (٢)راجع P. Cairo-Zenon 59202. Cf. E. Berneker, Die Sonderge-
 richtsbarkeit im Griechischen Recht Aegyptens (Munich 1935).
 PP. 146 & 166.
 (٣)راجع P. Tebt, 5, II, 168-173.
 (٤)راجع O. Tait. Bol. 125 (122).

زراعة الزيتون والنباتات الأخرى

التي فرمت في عهد « بطليموس الثاني »

كانت اشجار الزيتون تزرع في مصر في المهود المصرية القديمة لاستخراج الزيت منها (١) ، غير انها كانت تزرع على نطاق ضيق . ولكن لما جاء البطلمة والسكان الاغريق الذين وفدوا معهم الى مصر قاموا بعمل يعد فتحا جديدا في زراعة الزيتون في مصر ، ولا غرابة في ذلك فقد كان ولا يزال الزيتون وزيته يمدان من أهم المواد الغذائية عند الاغريق ولا يرضون عنه بديلا ، وذلك لأنهم منذ نعومة أظفارهم قد اعتادوا على استعمال زيت الزيتون الاصيل . وقد صمموا على ان يكون لديهم الكمية الكافية منه في مصر . حقا كانت تزرع في مصر بعض اشجار زيتون كما قلنا من قبل ، ولكن كان المقصود منها الحصول على زيت الطعام . هذا ونجد في بعض الاماكن ان زراعة اشجار الزيتون كانت نابتة ، ومن ثم يحدثنا « ثيوفراستوس » (الفيلسوف الاغريقى مواطن ارسوس (Eresus)) إحدى مدن جزيرة « لربوس » . وقد عاصر كلا من « أفلاطون » و « أرسطوطل » وله كتب في الخطابة والشعر) انه عرف زراعة الزيتون في اقليم « طيبة » ، ويحتمل كذلك في الواحة الخارجة بوجه خاص حيث لا تزال زراعة الزيتون باقية حتى الان ، ثم يحدثنا ان زيت الزيتون الذى كانت تنتجه مصر لم يكن أقل جودة من الذى ينبت في بلاد الاغريق . وعلى أية حال كان للبطلمة الفضل في زيادة مساحة الارض التى تزرع اشجار زيتون ، وتكثير مقدار الزيت الذى يستخرج من ثمارها . وليس لدينا من القرن الثالث ق.م بيان كاف عن زراعة الزيتون ، ولكن نعلم من مراسلات « زنون » أى في عهد بطليموس الثانى ان « أبولونيوس » غرس أشجار زيتون في ضيعته وأراد ان يزيد فيها شيئا فشيئا (٢) . وكانت نتيجة هذا المجهود ان أصبح بلا ريب

(١) راجع مصر القديمة - الجزء الثانى ص ٨٧ - ٨٨ .

(٢) (راجع مصر القديمة الجزء الثانى ص ٨٧ - ٨٨)

أحد المنتجين لزيت الزيتون في السوق . ومن الجائز ان هذا الوزير حمر
لزينون رسالة في هذا الصدد (١) . وفي هذه الرسالة يقول «أبولونيوس»
الوزير لوكيله «زينون» ان يفرغ شحنة زيت الزيتون عند وصولها الى ميناء
الاسكندرية من قرية «ايكوس» *Uikou* وأن يحافظ عليها بقوة في مخزن
حصين الى أن يصبح في مقدور «أبولونيوس» الحضور بنفسه بمصرويبشرها
ويظن الاثرى «ادجار» ان زيت الزيتون قد جرى به من ضيعة سورية ملك
«أبولونيوس» وهذا جائز. ولكن يجوز كذلك أن تكون رسالة صدرت من
الفيوم الى الميناء النهرية للاسكندرية وفرغت هناك .

والواقع ان «أبولونيوس» عندما زرع اشجار الزيتون بكثرة لم يكن قد
اتى بعمل استثنائي. فقد حدثنا «استرايون» (٢) ان مقاطعة «ارسنوى» (الفيوم
قديما) كانت تنتج في أيامه مقادير وفيرة من زيت الزيتون، في حين ان الاراضى
التي كانت حول الاسكندرية كانت مغروسة باشجار الزيتون لتغذى المدينة بما
تحتاج اليه من هذه المادة . وهذا دليل على ان الزيتون كان يزرع في مصر في
العهد الهيلانستيكي بمقدار كبير وبخاصة في المهود المتأخرة عن عصر البطالمة.
وقد عزز بيان «استرايون» هذا وثائق عدة تثبت كثرة اشجار الزيتون في
«الفيوم» في العهد الرومانى كما كانت تزرع في جهات أخرى من مصر . ولا بد
ان نلاحظ هنا على أية حال ان زيت الزيتون الذى كان يستخرج في مصر من
صنف ردى جدا .

هذا ولا نعرف الى أى حد كانت الحكومة المصرية في عهد البطالمة تراقب
انتاج زيت الزيتون المصرى وبيعه . ولم تتناول «قوانين الايرادات» التى سنها
«بطليموس الثانى» زيت الزيتون . على ان هذا لا يعنى ان الكمية التى كانت
تنتج من هذا الزيت فى مصر كانت قليلة بحيث انها لم تلفت نظر الحكومة .
ومن المحتمل ان موضوع زيت الزيتون قد عولج في لوائح خاصة به وعلى أنه

P. Col. Zen. 14; Arch. Pap. XI (1935). P. 218.

(Strab. XVIII, I, 35).

(١) راجع

(٢) راجع

حال قد يجوز على حسب ما جاء فى الرسالة السالفة الذكر انه قد فرضت بعض تحفظات على توريد زيت الزيتون الى الاسكندرية من مصر . وذلك لان «ابولونيوس» على ما يظهر قد اراد ان يحضر بنفسه لمصل الاجراءات الرسمية والمبالغ الخاصة بتوريد كمية عظيمة من زيت الزيتون الذى يعد أمرا مستحدثا (هذه الوثيقة مؤرخة بعام ٢٥٤ ق.م.) هذا وليس لدينا معلومات عما اذا كان زيت الزيتون يخضع لنفس القواعد التى كانت تخضع لها النباتات الأخرى الدهنية . ولم يكن ثمن زيت الزيتون أقل من ثمن الزيوت النباتية المحددة وعلى أية حال لم نعرف حتى الآن ثمن زيت الزيتون . وكانت الضريبة التى تجبى على زيت الزيتون المستورد كبيرة جدا فقد بلغت ٥٠٪ من ثمنه . وكان الغرض من ذلك حماية الزيت الوطنى بما فى ذلك زيت الزيتون . يضاف الى ذلك اننا لا نعرف الى أى زمن بقيت حماية الزيت . وفى خلال القرن الثانى لم تكن هذه الحماية شديدة كما كانت فى القرن الثالث (١) . وعلى أية حال نعلم على وجه التأكيد انه قد عملت محاولة فى عهد البطالمة الأول لامداد السكان الاغريق فى مصر بزيت وطنى وبذلك اصبحت مصر من هذه الوجهة كذلك مستقلة عن الوارد الأجنبى من هذه السلعة .

الفاكهة والخضر :

هذا ونعلم ان البطالمة الأول قد قاموا بعمل تجارب عدة خاصة بزراعة نباتات كثيرة لم تكن معروفة فى مصر من قبل . وقد كان الغرض من ذلك هو مد الاغريق الذين يعيشون فى مصر بالخضر والفاكهة التى تعودوها فى بلادهم ، وبذلك يقللون من استيرادها ، ومن أجل ذلك غرست أشجار فاكهة متنوعة فى ضيعة «ابولونيوس» فى بلدة «فيلادلفيا» بنفس النشاط الذى بذل فى زراعة العنب والزيتون . فغرست احسن انواع اشجار التين الوارد من البلاد الأجنبية (٢) كما غرست أشجار السفرجل والربان وأشجار التفاح المبكر

والتأخر والمشمش (?) والبندق . وهناك اسباب تدعو الى الاعتقاد ان اشجار
الفسد قد زرعت في مصر للمرة الاولى خلال تلك الفترة . وقد اتخذت
خطوات مماثلة لزراعة الخضر فنعرف مثلا ان الثوم قد ادخلت زراعته في مصر
وهو نبات يستعمل بكثرة عند الاغريق والطيان حتى يومنا هذا ، وقد زرع
منه نوعان في ضيعة «أبولونيوس» والنوع الشهير أتى به من «تلوس»
في «ليكييا» من أعمال آسيا الصغرى ، ونوع آخر كان ينمو في واحات
مصر (١) .

وقد عملت محاولة في نفس الوقت لتعسين نوع الكرنب الذي كان يزرع
في مصر ، وذلك باستيراد بذوره من جزيرة «رودس» (٢) .
هذا ويمكن الاشارة هنا الى احدى وثائق مراسلات «زينون» وهو خطاب
من «أبولونيوس» الى زينون (٣) . يطلب اليه فيه أن يغرس على أقل تقدير
ثلاثمائة شجرة من شجر الصنوبر في كل البستان في «فيلادلفيا» ، وكذلك
حول كرم العنب ومزارع الزيتون ، ثم قال : « لان الشجرة (أى الصنوبر)
لها صورة تجذب النظر ، وستكون ذا فائدة للملك » . المقصود من عبارة
«فائدة للملك» هو ان هذه الشجرة كانت مفيدة بوصفها خشب يحتاج اليه في
مصر . هذا وكان في نفس البستان مزارع واسعة من الورود لم تكن قد
غرست لمجرد الزينة وحسب (٤) .

الافاويه وسيطرة الملك عليها

كان الملك في مصر يسيطر على تجارة الافاويه وهى المر والقرفة والقشء الهندي
وغيرها . وهذه الاشياء كانت تعرف عند الاغريق بالعطريات . وكان معظمها
يرد الى مصر من بلاد العرب وشرقى «افريقيا» وبلاد «الهند» . وكان الاستهلاك
P.S.I. 428, 85 & 433; Cf. Lond. Inv. 2097, 14 ff. (١) راجع
Diphilus of Siphnos, Contemporary of King Lysimachus (٢) راجع
in Athen. IX. 9. P. 369.

P. Cairo-Zen. 59157.

P. Cairo-Zen. 59269, 59735 & 59736, 23.

(٣) راجع

(٤) راجع

المحلى من هذه الافاويه بوصفها موادغفل أو مصنوعة من روائح عطرية، وكذلك تصدير جزء منها ان لم يكن كلها بمقادير عظيمة بمراقبة الادارة الملكية . والظاهر ان تجارة التجرة كانت اثمانها محدودة ؛ ومن ثم يظهر من المؤكد ان الملك خلافا للمراقبة الشديدة التى كان يفرضها على الزراعة التى كانت تدر عليه دخلا كبير من المأكولات والمواد الغفل وعلى المعادن والمحاجر وصيد الاسماك والصيد الخ ، كانت له مراقبة أخرى تامة وأحيانا جزئية على فروع كثيرة من النشاط الاقتصادى . وبهذه الطريقة كان انتاج المواد الأساسية وبيعها فى يدى الملك . وكانت تدار على حسب نظام قويم .

وانه لمن المستحيل أن نذكر بالضبط عدد فروع الانتاج التى كانت تدار بالطريقة التى وصفناها . ولكن من المهم ان نلاحظ هنا ان البيانات الضئيلة التى فى متناولنا لم تظهر لنا أى فرع من فروع الانتاج سواء أكان زراعى أم صناعيا لم يكن منظما ويدار الى حد كبير بطريقة أو أخرى بإشراف من للحكومة . وهذا النظام بعينه كان ينطبق على كل فروع الانتاج الاخرى التى حفظت لنا الصدف بعض معلومات عنها . والواقع ان التجار الذين نصادفهم فى الوثائق كانوا كلهم ملتزمين للحكومة . وهم رجال كانوا يتسلمون رخصا أو تصاريح مقابل دفع أجرة عنها ، ومن ثم كان لهم الحق فى الاتجار فى مؤن خاصة . فنسمع من وقت لآخر عن ملتزمى بيع الزيت والجبن والخبز واللحم والسمك المحفوظ وحتى العدس المطبوخ ولب القرع الملح والنباتات . وكان بعض المواد ثمنها محلدا وبعضها الآخر لم يحدد ثمنه . ولكن كانت كل فروع التجارة تحت رقابة الحكومة . هذا ولدينا فقرة فى بردية من «تبتيس»^(١) ، تقدم لنا معلومات غاية فى الأهمية عن السلع والتصرف فيها . فقد ذكر فيها الوزير التعليمات التى يجب ان يسير على مقتضاها السكرتير المالى فاستمع الى ما جاء فيها : « اتبه كذلك حتى لاتباع السلع المعروضة للبيع بأسعار أعلى مما هو

محدد لها . وقم بفحص دقيق لهذه السلع التى لم يحدد ثمنها ، وهى التى يمكن
التجار ان يضعوا لها ائمانا على حسب أهوائهم . وبعد ان تضع زيادة معقولة
على السلع التى تباع اعمل ... التصرف فيها »
وسائل النقل

تحدثنا فيما سبق عن ادارة الانتاج والبيع فى داخل البلاد ، وذكرنا أنها
كانت منظمة لصالح الملك قبل كل شئ . هذا وكانت وسائل نقل المنتجات
منظمة على نفس المبادئ العامة التى تسير على مقتضاها السياسة البطلمية .
حقا لم تكن وسائل النقل المحلى منظمة بدقة وقوة ، وذلك على الرغم من انه
كانت تحصل ضرائب معينة على دواب الحمل وبخاصة الحير ، كما كانت
تجبى ضرائب خاصة على أولئك الذين يشتغلون فى أعمال النقل . وهذا النظام
كان ينطبق كذلك على طرق النقل النهرية بسفن ذات شحنات مختلفة . ولم
تكن قاصرة على الملك ، فقد جاء فى وثائق كثيرة ذكر سفن يملكها أشخاص
احرار ، وكذلك ذكرت دواب حمل لافراد من الشعب فنجد مثلا ان
«ابولونيوس» وزير الملك «بطليموس الثانى» كان يملك طرقا كثيرة للنقل
برا وبحرا استعملها لنفسه ولموظفيه لتنقل السلع التى كانت تنتجها ضيعته
فى الفيوم . وكان له قائد بحرى خاص يشرف على أسطوله الخاص ، غير أن حالة
«ابولونيوس» يمكن ان تكون فردية استثنائية . والواقع اننا لا نعلم اذا
كانت هذه السفن التى كانت تحت تصرفه يملكها «بطليموس الثانى»
بوصف ان «ابولونيوس» وزيره أو كانت تابعة لضيعة . ولا شك
فى ان موضوع النقل كان مسألة هامة فى نظام الاقتصاد البطلمى ،
ولا أدل على ذلك من ان لوازم الجيش فى وقت السلم والحرب وفى
اسفار الملك العديدة ، وكذلك فى اسفار رجال حاشيته وموظفيه الآخرين
وتنقلات البريد وبخاصة نقل كميات ضخمة من الحبوب والمواد الأخرى من
المكان الذى كانت تنتج فيه الى المخازن الملكية فى الاسكندرية وفى الارياف

كل هذه الاشياء كانت تحتاج الى الآلاف من دواب الحمل وسائقها ، وكذلك الى المئات بل الالوف من السفن الصغيرة والكبيرة مع نواتيها . وكان الملك كغيره من اصحاب البيوت يملك تحت تصرفه لخدمته الخاصة طرق نقله ، فكان له جياده وجماله وحميره وبغاله وعربات الخ ، هذا من جهة كما كان من جهة أخرى يملك سفنا متنوعة مجهزة بنواتيها . ومما يؤسف له أن معلوماتنا عن هذه الادارة الخاصة ببيت الملك ضئيلة جدا الا ادارة البريد فلدينا عنها بعض المعلومات . والظاهر ان السائقين والمجدفين كانوا على ما يظن من المصريين الذين كانوا يعملون بمقتضى عقود ، ولكنهم عند الضرورة كانوا يسخرون ؛ ولا غرابة في ذلك لأن الاغريق كانوا الأسياد والمصريين هم العبيد فمقومون بالاعمال الحقيمة .

وفي زمن الحرب على أية حال نجد أن حركات الجنود في داخل البلاد أو الأسفار الطويلة التي كان يقوم بها الملك للتفتيش كل سنة في فصل الحصاد ؛ وعندما كانت آلاف الآلاف من مكابيل الجيوب ومن المنتجات الأخرى تنقل بالطرق البرية والنهرية والترع ، كانت طرق النقل التي يملكها الملك غير كافية . وفي هذه الأحوال كانت الحكومة البطلمية تحشد كل ما لها من حقوق ثالثة لهذه الأغراض من رجال ودواب حمل وسفن . وفي الأوقات العادية كان استخدام الطرق الخاصة بالنقل تنفذ بمقتضى عقود تبرم مع أصحابها ، فكانت العقود تبرم بوجه خاص مع الحمارية المحترفين وكذلك مع البحارة المحترفين . وفي حالة الطوارئ كان البطالمة يلجأون لنظام السخرة القديم ؛ فكانوا يسخرون لخدمة الحكومة دواب الحمل والرجال والسفن . وهذه السخرة كان المصريون يخشون حدوثها لأنها كانت تنفذ فيهم لا في غيرهم . وهذا ما كان متبعاً في عهد اسماعيل وعهد الاحتلال قبل استقلال مصر .

التموين

وكان التموين بطبيعة الحال له علاقة وثيقة بنظام النقل وبخاصة المواد

الغذائية والتوريدات الأخرى اللازمة للملك والجيش وكبار الموظفين عندما يكونوا على سفر . وهذا التمويل كان يطلق عليه لفظ «هبات» غير أننا لا نعرف الى أى حد كانت تستعمل هذه الهبات لتغذية فرق الجنود في سيرهم أو في مكثهم في البلاد وبخاصة في عهد بطليموس الأول (١) . ومن المحتمل جدا أن ثمن هذا التمويل كان على حساب السعر الذى حددته الحكومة ، وقد كانت هذه هي الحالة مثلا في شراء الحبوب على يدى الحكومة . وكانت تعد صورة من صور التمويل .

الضرائب

وفضلا عن الأعباء الفادحة العديدة التى كان يرزح تحت وطأتها السكان، وهى التى وصفناها فيما سبق كانت هناك ضريبة أخرى منظمة . وقد ذكرنا ضرائب عدة من قبل كالضرائب التى كان يدفعها المزارعون وأصحاب الأملاك على أنواع مختلفة من المحاصيل ، والتى كان يدفعها الصناع والعامة جميعا (وهى ضريبة الرؤوس الخاصة بالاحتكارات) . وخلافا لذلك وجدت أنواع كثيرة من الضرائب .

ويمكن القول أنه لم تظهر ضريبة رؤوس شخصية فرضت على المصريين في عهد بطليموس الأول ، ولكن من جهة أخرى كانت هناك ضريبة أخرى منظمة على الملكية مثال ذلك ضريبة على البيوت وضريبة على العبيد وعلى العقود القانونية الخاصة بالملكية كسجل الوثائق الخاصة والبيع والمزادات والوراثة وعلى التجارة الخارجية للصادرات والواردات وعلى التجارة الداخلية وبخاصة فيما يتعلق بتبادل السلع بين الوجه القبلى والوجه البحرى وعلى استعمال المين والمراسى والطرق الخ . وعلى أية حال كانت الضرائب متنوعة كثيرا وفادحة (٢) .

(١) راجع P. Ryl. Zen. 9 (251 b.c.); & Tebt. 729 (2nd cent. b.c.)

(٢) راجع U. Wilcken, Ostraca I, PP. 199; and Grundzuge. PP.

169 ff.; Cf. Alexander & C., Schmollers Jahrb. XIV (1920). PP

81 (385) ff.

وستحدث عن هذه الضرائب كما وردت في العقود الديموطيقية في فصل خاص .

الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في العهد البطلمي الأول

لا نزاع في أن النظام الاقتصادي كما لخصناه فيما سبق كان هدفه الوحيد تنظيم الانتاج وذلك بقصد الوصول الى جعل الدولة أو بعبارة أدق الملك صاحب ثروة وقوة وجاه . ومن أجل ذلك كانت كل قوة الشعب وجهوده مركزة في الوصول الى هذا الغرض الرئيسى . فكان على كل فرد من أفراد الرعية أن يعمل أولا وقبل كل شئ للملك على حسب تصميم رسمته الحكومة وأعدته الادارة ، وفرض تنفيذه بشدة وحزم بكل أنواع الاعتمادات اللازمة ، هذا الى أن المسئولية المادية وكذلك الشخصية كانتا متحدتين في انجاز هذا التصميم بحكمة ونفاذ رأى .

وكان الدور الذى يقوم به الموظفون المصريون أهل البلاد في تنفيذ هذا النظام الاقتصادي شاقا مرهقا . هذا بجانب أنه لم تتخذ أية مبادرة أو تعطى أية فرصة لتحسين حالة هؤلاء الاشقياء من حيث مصالحهم الخاصة بالنسبة لسائر السكان الذين وفدوا على البلاد من جهات شتى أجنبية .

وطبيعى أن مجال الفائدة الفردية لطائفة المواطنين المصريين كانت ضئيلة جدا ، بل الواقع أنهم لم يكونوا يجنون أية فائدة . فقد كانت تقع عليهم أعباء فادحة تفوق الوصف . ولا بد أن نذكر هنا أن السواد الأعظم من المصريين كانوا بطريقة أو بأخرى مرتبطين بالعمل للدولة سواء آكانوا مزارعى الملك أم كانوا ممن تتألف منهم الطوائف المختلفة الذين يدفعون الضرائب ، أم الرجال المتصلين بدخل البلاد ، وهم عمال المصانع وتجار التجزئة ، ورعاة الأغنام والماشية وصيادو الحيوان والأسماك المحترفون ، والغطاسون المحترفون والمجدفون ، والنواتى ، وعمال المناجم والمحاجر ، وهلم جرا . وبما زاد الطين بلة أنهم بالإضافة الى أعمالهم العادية كانوا عرضة لأعمال

السخرة بدرجة كبيرة فكانوا يعملون في اعمال كرى الترع ، واقامة السدود ، ثم العمل في المناجم والمحاجر من وقت لآخر ؛ كلما دعت الأحوال الى ذلك ويحتمل كذلك في صيد السمك ، والطراد ، وزرع الأشجار ، وأعمال النفل . وكثيرا ما كانت تعترض هذه السخرة أعمالهم اليومية العادية . ونحن لانعلم بالضبط الصيغ القانونية التي كانت تتخذ في تنفيذ هذه الأمور . والمظنون أنه في أغلب الأحيان كانت تبرم مع هؤلاء التعساء عقود في هذه المناسبات ، غير أن العقود التي كانت تبرم بين الحكومة والفلاحين الذين يعملون لها كانت ذات طابع خاص ، فقد كانت تلك العقود تحتوى بين موادها على مادة هامة ؛ وذلك أنه في حالة عدم دفع الديون كانت الأحكام تنفذ فيما يدعيه الملك ، أما في حالة وفاء دين على الحكومة فكان الأمر خلافا لذلك . ولدينا وثيقة كشف عنها حديثا تبرهن على أن هذه الصيغة تدل على حق الحكومة في الاستيلاء على ما هو مستحق للتاج بتنفيذ الحكم على المدين ، وهذا كان يقضى بالسجن أو بالرق ، وتشير الوثيقة التي تتحدث عنها الى الأحوال في سوريا وهي تعالج طبقة العمال فقط . فهل هذا يعنى أنهم وحدهم كانوا معرضين للاستعباد ؟ ومن المحتمل أن نفس هذه القاعدة كانت مطبقة على مصر نفسها . هذا وكان أكثر اعتماد الحكومة أو بمباراة أخرى الملك على هؤلاء المواطنين من المصريين الذين كانوا يرهقون بالعمل والمسئولية وبخاصة في حقول الزراعة . والواقع أن مسئوليتهم الشخصية والمادية كانت ثقيلة كما أن عملهم كريها لأنفسهم . ولا غرابة إذن أن نجدهم يسعون بكل ما لديهم من قوة الى الفرار من هذه السخرة . هذا وكانت المسئولية أكثر من الفائدة لأولئك الذين كانوا يشتغلون في وظائف صغيرة في الادارة الملكية . وهذه الوظائف الحقيرة كانت الوحيدة المفتوحة أمام المواطنين المصريين ، فكانوا يعملون رؤساء قرى وكتاب قرى . حقا كان هؤلاء يتمتعون بمكانة بارزة في القرى ، ولكن من جهة أخرى كانت أعمالهم شاقة معقدة كما كانت تنطوي

على مسئوليات مقيدة مرتبطة بعملهم ، ولكن القائمة الرئيسية كانت سخرة لا شرفا ، فقد كان الاستحواذ عليها يوقع صاحبها في خطر ومسئولية أكثر مما كان يتمتع به من سلطان وفائدة . ومما لا ريب فيه أن الفلاحين المصريين لم يكونوا أرقاء حرف يشترون ويبيعون مع الأرض التي يعملون فيها (هؤلاء كان يطلق عليهم لفظ التلمية) ، وذلك لسبب بسيط وهو أنه لم تكن في مصر أرض تباع في عهد بطليموس الثاني ، وعلى ذلك لا يمكن قرنهاهم ببطقة العمال الذين يعملون بشابة أرقاء في الممالك الشرقية والمعابد أو بأولئك الذين كانوا يعيشون وقتئذ في دنا الاغريق . والواقع أن العامل (القلاح) المصرى لم يكن مرتبطا بالأرض ارتباطا وثيقا بأملكه أو بمكان سكنه بل كان يتمتع بمقدار عظيم من الحرية الاقتصادية بوجه عام كما كان يتمتع بحرية التنقل بوجه خاص . وكانت علاقته العادية بالحكومة فيما يخص نشاطه الاقتصادي ترتبط بعقود . أما الخدمات الاجبارية التي كانت تفرض عليه فكان يتقاضى عليها أجرا ؛ غير أنه كان أجرا ضئيلا . وعلى أية حال لم يكن حرا تماما بل كان مرتبطا مع الحكومة ، ولم يكن في مقدوره أن يفلت من هذه الحالة التي كانت تشبه العبودية لأنه كان يتكل على الحكومة في كسب قوته . والحقيقة أن هذه العبودية لم تكن لا حقيقية ولا اسبة ، وذلك لأن الموظفين الملكيين وجباة الضرائب كانوا يتجسسون على الأمور المحلية الخاصة بأولئك الذين يعملون للحكومة ، فقد كان كل عمل يقوم به عمال الملك يمكن أن يؤثر على ايرادات التاج ، وهذا كان شيئا مقدسا في عيني الموظف ، وكذلك الهدف النهائي الذى كان يجب أن تنجه نحوه كل مجهوداته ، وهؤلاء العمال كانوا يلقنون جيدا أن الحكومة كانت مهتمة بوجودهم بوجه خاص لأن صيانة الدخل الملكى كان يتوقف على مجهوداتهم ، ومن ثم نجد أنه في شكاياتهم المتكررة لم يلجأوا لعدالة الملك وانصافه ، ولكن غالبا جدا ماكانوا يعلمون أن المعاملة السيئة التي يعاملون بها قد تمنعهم من اداء عمل الملك وان

ذلك تكون نتيجته النقص الفاحش في دخله . ولا عجب أن الفلاح المصرى كان تحت هذه الظروف لا يظهر حماسا كبيرا أو نشاطا منتجا في عمله ، وكثيرا ما كان يلجأ الى الهرب من عمله كما سنشرح ذلك فيما بعد هذا ولا يمكن أن نحدد نسبة عدد المواطنين المصريين الذين كانوا مرتبطين بالحكومة فقد كان الكهنة وموظفو التاج بما في ذلك عدد قليل من الطبقة العليا ، وكذلك ملاك الأراضي الحرة يعدون خارج نطاق دائرة الاستعباد ، يضاف الى ذلك أصحاب الحرف الأحرار - اذا كانت هناك طبقة من هذا الصنف في مصر - كانوا في نفس الموقف ، ويشك الانسان في وجود عدد كبير من الوطنيين الذين كانوا يكسبون عيشهم بوصفهم عمالاً مأجورين ليس لهم عمل آخر في الوقت نفسه غير ذلك . وكان النساء والأطفال بطبيعة الحال ليسوا مرتبطين بالحكومة بطريقة مباشرة (١) .

المبيد

ولم تكن تجارة الرقيق بالمعنى الحقيقي موجودة في مصر على ما يظهر عند دخول الاغريق مصر بصورة محسة ، ولكن باستيطان المقدونيين والاغريق الديار المصرية كانت تعد تجارة الرقيق مورد دخل لملوك البطالة . والواقع أن الوثائق الديموطيقية التي يرجع تاريخها الى القرن الاخير قبل الفتح الاسكندري يفهم منها أنه اذا كان الفلاحون وأصحاب الحرف في الوجه القبلى لا يزالون مرتبطين بصورة ما بالأرض أو بحرفهم فانهم لم يكونوا في الوقت نفسه عبيدا أرقاء . وعلى الرغم من الاجراءات التي أصدرها الملك «بوكوريس» خلال حكمه (٢) . فان أمر بيع الفرد نفسه ليكون عبدا لمن يشتريه وبعبارة أخرى تأجير نفسه طوال مدة حياته كما ورد ذكر ذلك في العقود المصرية القديمة في العهد الفارسي (٣) ، لدليل

(١) راجع Rost. Kolonat. PP. 62 ff; U. Wilken Grundzuge. P. 481 f.; P. 276 f.; U.P.Z.I. No. 110, P: 490; & J.E:A. Vol: VI PP. 166 ff.

Diod. 179.

(٢) راجع

(٣) راجع مصر القديمة الجزء ١٢ ص ٣٤٤ - ٣٤٢ والجزء ١٣ ص ١٣٤

على بقاء نظام اقتصادى فى كثير من العقود حيث كان النقد نادرا والثروة قليلة النشاط ؛ غير أنه ليس لدينا دليل على وجود رءوس مالية زراعية أو صناعية تشبه التى كانت سائدة فى «اتيككا» خلال القرن الرابع ق.م وهى التى كانت تستعمل اليد العاملة المستعبدة . ومن ثم يتجلى أمامنا السؤال التالى : هل جلب الاغريق معهم طرازهم الخاص من اليد العاملة فى الصناعة الى مصر ؟ وهل النشاط الذى أحدثوه فى الحياة الاقتصادية فى مصر قد تطور الى استخدام الرقيق كما كانت الحال فى بلادهم ؟ والواقع أن هذا السؤال قد اختلف الباحثون فى الاجابة عليه . فيقول المؤرخ «فلكن» (١) . ان الرق فى مصر كان محدودا لدرجة انه كان أمرا شاذا تقريبا فى الاستغلال المحلى ، وعلى العكس من ذلك يقول المؤرخ «روستوفتزف» ان الاغريق قد أسسوا مصانع كبيرة فى مصر حتى فى القرى حيث كان يعمل فيها عبيد (٢) .

ولكن نجد «فستزمان» من جهة أخرى يقول ان المتن الذى يرتكز عليه «روستوفتزف» فى استنباطه لا يؤدي الى هذه النتيجة (٣) .

والواقع أن هذا السؤال هام وذلك لأن ادخال الرق فى الانتاج الصناعى والزراعى يكون معناه صورة تدل على تأثر مصر بالحضارة الهيلانستىكية. والظاهر أنه للإجابة على هذا السؤال لابد أن نحذف أولا من حسابنا بالنسبة لالاسكندرية التى كانت مرتبطة اقتصاديا بمصر ، ولكنها مع ذلك كانت تختلف عنها ، وذلك لأنه من البدهى أن فى هذه البلد الجديد الاغريقى النزعة كانت توجد معامل حيث كان يشتغل فيها العبيد على غرار ما كان يحدث فى المدن الاغريقية . أما فى القرى فتدل شواهد الأحوال على أنه لم يوجد فى معامل الزيت ولا فى معامل النسيج ولا فى المناجم والمحاجر والمزارع الملكية

(١) راجع Wilcken, Griechische Ostrka I, 681-707; Grundzuge. PP. 27 & 260.

Rost. A Large Estate. PP. 116, 135.

Westermann Upon Slavery. PP. 54-57.

(٢) راجع

(٣) راجع

أى فرد رقيق ، ومع ذلك كان فى مصر أرقاء . وعلى أية حال لابد أن نميز بين العبيد المصريين والعبيد الاغريق فالنوع الأول كان نتيجة لبعض نوع من الاسترقاق وليس لدينا عنه الا معلومات ضئيلة جدا (١) فى عهد البطالمة . أما النوع الثانى فقد جلب الى مصر من بلاد الاغريق . وأحسن مصدر لدينا عن الاسترقاق المصرى هو ما نجد نمادجه فى المعابد المصرية . ولانزاع فى أنه كان الأساس الاقتصادى لنشاطهم ، وبلا شك كان حائلا دون جلب الرقيق من الخارج ، كما منع توغل الرق الاغريقى من اقتحام هذه المعابد ، وعلى أية حال يجب أن نفهم أن الرق لم يكن له أى مجال يذكر بأية حال من الاحوال فى حياة الشعب المصرى ، وذلك لأن الفلاح الملكى أو العامل فى أى من أنواع الاحتكارات الملكية لم يكن لديه من الثروة بحيث يصبح له عبدا مملوكا سواء أكان ذلك العبد مصرى أو أجنبى جلب من خارج البلاد . اذ الواقع أن كلا من الفلاح الملكى والعامل المصرى كان من الفقر بدرجة لا تمكنه من أن يشتري ما يكسبه من عمله الرخيص من يخدمه . ومن أجل ذلك نجد أن ازدياد عدد الأرقاء فى أى من الصنفين السابقين على نطاق واسع يكاد يكون معدوما .

وكانت الطائفة الوحيدة الثرية من السكان الذين كان فى استطاعتهم أن يملكوا عبيدا من الوطنيين أو من الأجانب هى الطائفة الجديدة التى حكمت البلاد وأصبحت مسيطرة على أرزاقها وأغنى بذلك الملك وبلاطه وحاشيته وكبار الموظفين والضباط وجنود الجيش الذين كثيرا ما شاهد منقوشا على صفائح قبورهم أسماءهم واسماء عبيدهم ، وكذلك بالمثل أعضاء الجالية الاغريقية الذين كانوا فى ازدياد مستمر ؛ يضاف الى ذلك أفراد الطبقة المتوسطة من الهيلانستيين ، كل أولئك كانوا قد اعتادوا استخدام العبيد فى أعمالهم ، والواقع ان الكثير منهم لم يكن فى استطاعتهم الاستغناء عن العبيد . وقد أخذ العبيد يظهرون فى مصر بوجه خاص أثناء الحرب العظمى التى شنها

«سوتر الأول» و «بطليموس الثانى» و بطليموس الثالث» و «ايرجيتيس» ؛ وكذلك بعد هذه الحروب وجدت العبيد ، ومن ثم كانت سوق العبيد تزخر بمادة انسانية كبيرة للبيع . وقد عرف هؤلاء الأغنياء كيف يمكنهم أن يحولوا بعض الأهالى الى عبيد من الذين كان لهم عليهم سلطان فى العمل . وكانوا يستعملون عبيدهم بوجه خاص فى الأعمال المنزلة ، ولكنهم على وجه التأكيد كانوا يستعملونهم فى الأعمال الحقة من الصناعة والتجارة وبخاصة فى الاسكندرية . وعلى أية حال لا ينبغى علينا أن نبالغ فى تقدير عدد العبيد الذين كانوا يعملون فى بيوت أسياد مصر وحكامها ؛ وذلك لأن موضوع السيادة لم يكن يلقى قبولا أو تشجيعا من قبل الملوك الذين فرضوا لها الغرض قيودا عدة على نشر نوع الاسترقاق الاغريقى ، وذلك بمصادرة بيع الرقيق المصرى وبتحديد عدد العبيد المصدر والمستورد منهم . وبضرب ضرائب فادحة على الاتجار فى العبيد فى داخل البلاد . وبالاختصار لم تكن تجارة الرقيق من السلع الهامة فى مصر كانت فى الممالك الهيلانستىكية الاخرى . وما يطيب ذكره هنا أنه كان للآلهة عبيدا خاصون بهم ، فلم يكونوا تابعين لأية طبقة من الكهنة بل كانوا يكسحون فى فلاحه الأرض المقدسة التى كان يملكها الآلهة ؛ وكذلك كانوا يعملون فى مصانهم ويحرسون قطعان معايدهم ويقومون بالأعمال اليدوية - (رجالا واناثا) - المتعلقة بإدارة المباني والمعبد والشعائر الدينية المتنوعة ، ولانزاع فى أن اعتبار هذه الطاقة الكادحة عبيدا فى نظر الاغريق يعد أمرا مضملا . ونحن فى الواقع فى حاجة الى ايضاحات أكثر فى هذا الصدد . وهذا ما نتظره من الوثائق الديموطيقية التى لم تنشر بعد . ويتساءل الانسان هل كان مزارعو المعابد فئة من الفلاحين الملكيين ؟ وهل كان أصحاب الحرف والصناعات الذين يعملون فى المعبد يحسبون مع العمال المتصلين بالخل الملكى ؟ والجواب على هذين السؤالين لا يمكن الادلاء به الآن (١) . وكل ما يمكن قوله هو أذ هؤلاء كما يقول

Rost. Social & Econ. Hist. III. (P. 1383 note 90). (١) راجع

المؤرخ «ريخ»^(١) الذى اقتبس بيانات وافية من المصادر الديموطيقية والاغريقية عن حرف هؤلاء العبيد ، انهم كانوا فلاحين ورعاة وسماكين وملاحظى أشغال على الترع . أما عن مركزهم المدنى فيقول أنهم كانوا يملكون عقارا ويبيعون ويشتررون ويقرضون ويقرضون^(٢) .

ومما سبق نجد أن المواطنين المصريين باستثناء موظفى الحكومة وقله من ملاك الأراضى ، ومن المحتمل الكهنة وبعض أصحاب الحرف كان لديهم فرصة صغيرة فى أن يصبحوا أغنياء عن طريق الاقتصاد والنشاط والقدرة والمهارة الحرفية . ولكن من جهة أخرى نجد أن طائفة أخرى مميزة وأغنى بذلك الأجانب المهاجرين الذين استوطنوا مصر وأصبحوا رعايا البطالة المفضلين قد أصابهم حظ أسعد من حظ أهل البلاد الأصليين .

وقد تحدثنا فيما سبق عن الحالة السياسية والقانونية فيما يخص الأجانب فى العهد البطلمى المبكر وذلك على الرغم مما فيها من أقوال متباينة وعلى أية حال ليس لدينا أى شك فى أنه يمكننا أن نتحدث عن الأجانب الذين تدفقوا على البلاد بالآلاف من مختلف الرتب والطبقات المتباينة والوظائف المختلفة فى خلال القرن الثالث ق.م. بوصفهم جزءا منفصلا عن السكان وقد انزول هؤلاء الوافدون عن عامة الشعب انزالا بينا واتقسموا فيما بينهم طوائف مختلفة وبخاصة من الوجهة القومية . هذا وكان انتقال فرد من جماعة الأهالى الى الأجانب أو بالعكس ، أو انتقال فرد من قسم صغير من الأجانب الى آخر دون أمر الملك يعد من الأمور المحرمة . وعلى الرغم من أن الأجانب كانوا يؤلفون طائفة منفصلة فانهم مع ذلك كانوا يعدون من وجهة نظر الملوك والحكومات من رعايا الملك قانونا ، كما كانت الحال مع المصريين ، مع الفارق أنهم كانوا يتمتعون بميزات خاصة منحت لهم بإرادة الملك وقرار منه ، وأولئك الذين من بينهم لم يكونوا زوارا مؤقتين أو غابرى سبيل — وهذه كانت حالة

J. Reich Mizriam II (1936). P. 36.

(١) راجع

Sethe. Dem. Urk. Z. Ag. Burgschaft. P. 36, 830; U. راجع (٢)

Wilcken, U.P.Z., I. PP. 46, 571, Notes 3 & 5.

معظم السكان الأجانب في مصر في العهد الأول من الحكم البطلمي - ولكن كانوا مستوطنين دائما في البلاد وكانوا معرضين مثل الأهالي لدفع الضرائب التي كانت مفروضة عليهم ، ولم يكونوا مضمون من الاحتكارات ، وكان عليهم أن يتحملوا نصيبهم من الأعباء المالية الخارقة حد المألوف المفروضة على الأهالي ، كما كان ينتظر منهم أن يؤديوا أى عمل تكلفهم به الحكومة . وعلى أية حال فانهم مع ذلك كانت لهم بعض خاصيات تبرزهم في نظام حياتهم وفي حقيقة موقعهم بصورة واضحة عن المواطنين المصريين . ويمكن أن نعد هذه الخاصيات بأنها امتيازات ، وكانت أكبر جماعة بينهم وأحسنها نظاما هو الجيش البطلمي فقد كان يعيش عيشته الخاصة بماله من امتيازات ، ويسير على حسب تقاليد ثابتة الأصول وعلى حسب لوائح وضعها الملك لضباطه ورجاله . ويأتى بعد الجيش من بين هذه الجماعات الأجنبية في الأهمية السكان الاغريق القدامى الذين آوتهم البلاد قبل فتح الاسكندر المصر وهؤلاء هم الاغريق الذين كانت تتألف منهم بلدة تفراس القديمة (كوم جيف الحالية) وكذلك سكان مدينة «باراتونيوم» (مرسى مطروح) والاسكندرية ثم مدينة بطليميس (المنشاء الحالية القريبة من جرجا) . وسكان هذه المدن كان لهم بعض حقوق دستورية من حيث الحكم الذاتي ، وكان نظامها من هذه الوجهة الدستورية لا يختلف كثيرا عن نظام الحكم في المدن الاغريقية الحرة بوجه عام ، وقد تحدثنا عن هذه المدن فيما سبق .

وتدل المصادر التي في أيدينا على أن معظم السكان الاغريق الذين كانوا يقطنون قرى مصر لم يكونوا يتمتعون كما هو ظاهر بحكم ذاتي معترف به من قبل الحكومة ، ولكن لهم مؤسسات تعليمية خاصة بهم تدعى الجمنازيا ، وهذه المؤسسات كانت تتمتع ببعض الامتيازات مثل حق ملكية أطيان وتسلم دخلها . وهؤلاء الاغريق كانوا يؤلفون جمعيات ذات صبغة دنية أو قومية أو اجتماعية ، وأكبر هذه الجمعيات فائدة وأهمها على الرغم من أنها غير معروفة الى حد بعيد هي الجمعيات الوطنية التي تدعى « بوليتيماتا »

(Politeumata) ومعظمها متصلة بالجيش . وكان من الممكن أن كل بوليتيماتا تمنح بعض حقوق وامتيازات . ولدينا مثال حى فى بوليتيماتا اليهود بالاسكندرية ، فقد كان لها بيتها الخاص للعبادة . ومن المحتمل كذلك نظامها القانونى الخاص بها وسنتحدث عن ذلك فيما بعد . ويأتى بمد «البوليتيماتا» فى الأهمية جميعيات «ألومنى» (Alumni) وهى التى كان على ما يظن تتصل بها . وكانت جميعيات «ألومنى» الخاصة بالجنازيا وهى التى كانت تعيش بمساعدتها ، وتدارب هذه المؤسسات التى كانت تعتمد عليها الحياة الاغريقية فى مصر .

وهذه جميعيات كانت مرتبطة تمام الارتباط بالجيش البطلمى أيضا . هذا وكانت توجد محاكم خاصة منظمة للأجانب . ولا نزاع فى أن الملك كان يعترف بصلاحيه القانون المدنى الاغريقى كما وضع فى تشريع القانون الاسكندرى ، ويحتمل كذلك لمدن اغريقية فى مصر ولبعض جميعيات الوطنية ، ومع ذلك فلا بد أن تؤكد هنا أنه كان لزاما على القضاة الاغريق الرجوع الى هذا القانون كما كان ذلك من واجب موظفى الملك الذين كانوا يقومون أحيانا بدور القضاة ؛ وكان ذلك ينحصر فقط فى القضايا المعروفة فى القوانين أو فى الأوامر الملكية المنوعة . ولكن لابد أن يلحظ هنا أن المواطنين المصريين كان موقفهم هنا مشابها لموقف الاغريق ، فقد أبقوا على محاكمهم الأهلية الخاصة (يحكم فيها قضاة مصريون) .

وكانت أحكامها على حسب القانون المدنى المصرى ، وذلك عند عدم وجود منشورات أو تعليمات خاصة تنافى ذلك . وأخيرا كان بعض رعايا الملك من غير المصريين كالمهاجرين أو من تناسل منهم معفون من السخرة ، يضاف الى ذلك بعض طوائف من بينهم ، وكذلك أفراد كانت لهم مميزات خاصة فيما يخص الضرائب . وكانت كل هذه الامتيازات والتميزات فى معاملة الأجانب هى بالضبط ما تعنيه كلمة « امتياز » وهى فى الواقع منح أو هبات من الملك لأفراد أو جماعات ، وهذه الهبات كان لا يمكن استردادها . والواقع

أنها ليست حقوق معترف بها من قبل الملك بوصفها حقوق. ولا ينبغي عن البتة أن جزءا كبيرا من سكان مصر الأجانب كانوا بطريقة أو بأخرى في خدمة الملك وقد تحدثنا فيما سبق عن الجيش ، وفيه نجد ان العلاقات كانت علاقات غير عادية ؛ ولكن لا بد ان تؤكد هنا مرة أخرى ان الجيش كان ملك الملك ، ولم يكن عليه مسئولية امام البلاد لانه لم يكن جيش مصر بل جيش بطليموس وحسب . أما من حيث الأجانب المدنيين فان الجزء الأعظم منهم أو على الأقل الذين نعرف عنهم شيئا كانوا تابعين لبيت الملك الخاص فكانوا خدمه الخصوصيين ، وكان لكل منهم بيته الخاص الذي كان بدوره فيه جماعة من اتباعه . فكان «ابولونيوس» وزير بطليموس الثاني مثلا يملك تحت تصرفه رجاله الخاصين؛ وكان مدير ضيعته في «فيلادلفيا» المسمى «زينون» له بدوره بيته الخاص (Oikos) ؛ ومن ثم كان له اتباعه . والواقع أنه من الصعب اذا استثنينا المدن الاغريقية وجود اجانب في غير المدن اى في القرى ، لم يكونوا تابعين لبيت من البيوتات بل كانوا دائما وتحت حماية رؤسائهم الذين يشتغلون لحسابهم. أما أولئك الذين لم يكونوا كذلك فكانوا ينساقون الى نفس دائرة البيوتات بالدور الذي كان محفوظا لهم في النظام الاقتصادى البطلمى . وسنتحدث عنهم . والواقع ان مراسلات «زينون» تعد منجما من المعلومات عن هذه النقطة . والحديث عن المسألة الهامة الخاصة بالعلاقات بين الذين يضعون انفسهم تحت حماية عظيم او حام «حماتهم» في العهد البطلمى الأول ليس هنا موضع التحدث عنه بالتفصيل بل سنتناوله فيما بعد في فصل خاص ولا نزاع في ان هؤلاء المحمين كانوا من ارث التراث القديم^(١) ومع ذلك يمكن أن تقتبس هنا وثيقة من وثائق زينون^(٢) حيث نجد أن عظيما يدعى كريتون (Criton) قد حمى شخصا يدعى «ديموكراتيس» امام آخر يدعى موشيون (Moschion) . ويحتمل ان الأخير كان موظفا ذا مكانة عالية . ولدينا حالات عدة تشير معظمها الى علاقات بين اغريق من طبقة عالية

وآخرين من طبقة دنيا . ويطيب أن نذكر رحما آخر من أوجه الرعاية ، مما نشاهده من الحماية التى كان يمنحها موظفون مختلفون من حيث المكانة ، لرجال كانوا يشتغلون لهم أو كانوا مرتبطين بهم بصورة أخرى مثال ذلك الخطاب الشهير المنسوب الى «أبولونيوس» (١) وفيه يحمى مزارعيه من محصلى الضرائب على الملح ، أو شكوى «مطمعو القلط» وهم عبيد مقدسون فى مدينة «بواباسطة» (٢) وقد احتجوا فى هذا الخطاب على أعمال السخرة التى فرضت عليهم ، بسبب أن أولئك الذين كانوا عليهم تأديتها كانوا فى حماية موظف (٣) وفضلا عن ذلك نجد أن حقيقة موقف الأجانب اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا كان مختلفا تماما عن موقف المواطنين المصريين . فقد كان حال الاجانب احسن بكثير الى درجة عظيمة .

فكان كل الموظفين المدنيين أصحاب المراتب العليا من الاجانب ومن بينهم ضباط الجيش وجنوده ، أضف الى ذلك ان مواطنى الاسكندرية وسكانها الاجانب كانوا يتمتعون بمكانة سياسية استثنائية كما كانت لديهم فرص عدة لتنمية ثروتهم . وكان لدى الاجانب فى الزراعة فرصة احسن مما لدى الأهالى اذ كان فى مقدورهم ان يصبحوا أصحاب املاك تنتج لهم دخلا كبيرا من الزراعة (٤) . وفى الصناعة كان الأجانب هم المتعهدين ، لا رجال الطبقة العاملة . وفى ادارة الضرائب كانوا هم المشرفين والكفلاء والوكلاء ، ولم يكونوا قط من صفار العمال . وكانت معظم المصارف الملكية والاهلية يديرها اغريق . وقصارى القول كان الاجانب على الرغم من انهم بحكم القانون من رعايا الملك مثل المواطنين المصريين ، فى الواقع شركاءه ومساعديه الذين يقتسمون معه حكمه للشعب المصرى . ويذكرنا نظام الحكم البطلمى الأول من هذه الوجهة الى حد ما هو جار فى المستعمرات الأوروبية وبخاصة

P. Cairo-Zen. 59130

P. Cairo-Zen. 59451.

P.Cairo-Zen. 59307; P. Hib. 35.8 & 95.9

A. Segré and C. Preaux, L'Ec. Lag. PP. 133 ff.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

في العصر المبكر للتطور الاستعماري ، فقد كانت العلاقات بين الاوربيين والاهالي في تلك الفترة علاقة التسلط لا علاقة الاشتراك في احوال البلاد ، فكان كل ما يرمى اليه المستعمر في واقع الأمر هو استغلال القطر المستعمر لفائدته الشخصية . وهكذا كانت حال البطالة وعملاتهم في مصر لحد كبير مع المصريين .

على انه يجب علينا الا نبالغ في قوة الأجانب مهما كانت حالهم . حقا كان كبار الموظفين بطبيعة الحال أصحاب نفوذ عظيم في شئون البلاد ، غير أنهم كانوا تابعين للملك كلية أو لرؤسائهم الذين يحمونهم ، وكانت مسئوليتهم من الوجهة المادية او الشخصية عظيمة . فقد كان الرجل الذي يعد نصف اله في ذلك العهد يمكن ان يغضب عليه الملك ويسجنه ثم ينفذ فيه حكم الاعدام في الغد ، كذلك كان يصادر الملك كل ما جمعه من ثروة ومال . وحتى مالدينا من سجلات ضئيلة يحتوى على أمثلة كثيرة من اصحاب المكانة الذين طوح بهم الملك من عليائهم وقضى عليهم قضاء نهائيا . ومثل هذا المصير كان من الممكن ان يصيب موظفين من الطبقة الثانية ، كما نجد ذلك مذكورا كثيرا في مراسلات «زينون» فقد كان هؤلاء الرجال من وكلاء الملك ، فاذا برهنوا على أنهم خونة او غير اكفاء ، فان الملك لم يتردد قط في ان ينتقم منهم بمصادرة املاكهم .

ضباط الجيش وجنوده

نتنقل بعد ذلك الى طائفة أخرى من الاغريق الذين كانوا يسمعون في جمع المال والغنى وأعنى بذلك ضباط الجيش وجنوده . فقد كان من الجائز ان حربا مظفرة قد تأتي بغنائم مادية لرجال الجيش . والواقع اننا لا نعلم كيف كان البطالة يتصرفون في غنائم الحرب ، وكل ما وصل إلينا في هذا الصدد هو أن الملك بطليموس «فيلوباتور» بعد انتصاره في موقعة «رفح» أعطى هبات سخية من غنائم الحرب لجنوده وقد تفاخر ضباط الملك «بطليموس

الثالث» «ايرجيتيس» بانهم تسلموا هبات من الذهب من الملك (١) وأخيرا نجد ان الجنود عندما استقر بهم المقام في البلاد وأصبح لهم مساحات من الأرض ملكا لهم ، كانت الفرصة سانحة امامهم لتنمية أرضهم وتحسين حالها بالعمل المتواصل ، وبإضافة أراض أخرى لها ، وبزراعة الكروم وشجر الزيتون وأشجار العاكمة . وكانت الضرائب التي يدفعها هؤلاء الجنود المرتزقون أصحاب الأراضي لم تكن عالية كالتي كان يدفعها مزارعو الملك . هذا وكانوا يدفعون بوساطة ضرمة خاصة عشر المحصول بدلا من السدس ، يضاف الى ذلك انهم كانوا يتمتعون بحرية اقتصادية أكثر من أهالي البلاد بدرجة عظيمة . وفلا نجد ان بعض الجنود المرتزقين قد أصابوا نجاحا بوصفهم ملاك أرض ، ولكن ليس في استطاعتنا ان نحصى عددهم . وعلى أية حال لم تكن النسبة بينهم قليلة . وكان اصحاب الاطيان هم من المقدونيين والاغريق والتراقين والسوريين والاناضوليين ، اى انهم كانوا ينتمون الى سلالات تنتج عمالا كادحين ورجالا أصحاب نشاط ومبادرة . ومع ذلك كانت تعترضهم عقبات في سبيل نجاحهم الاقتصادي . اذ الواقع ان الخدمة العسكرية في عهد الملك «ببليموس الثاني» لم تكن خدمة دعة وراحة بل كان الجنود دائما في ميدان القتال لكثرة الحروب في عصره وكانت أراضيهم تستردها الحكومة أحيانا أثناء غيابهم أو كان يدير شئونها أجانبا .

والواقع انهم لم يكونوا احرارا تماما في عملهم الزراعى ، فقد كانوا مراقبين بعناية ، وكانوا يعانون متاعب لا تكاد تقل عن متاعب الفلاحين المصريين من عدم كفاية الموظفين الذين يتعاملون معهم وخيانتهم ومن الصعوبات التي كانت تنجم عن نظام الاقتصاد الذى وضعه البطالمة . فقد

H. Gauthier and II. Sottas, Un Decret trilingue en Honneur de Ptolemée IV, (1925), and by W. Spiegelberg und Otto. Bay, S.B., 1925, 4; Cf. H. Sottas. Rev. de l'Eg. Anc. I: (1927) PP. 230 ff.; Bevan Hist. of Egypt. P. 388 ff.

كانوا أحيانا مجبرين على ان يبيعوا حتى حبوبهم لا في السوق الحرة بل للحكومة بالثمن الذى حددته .

ملك الاراضى والبيوت

ومما لا نزاع فيه أنه كان يوجد فى مصر فى عهد البطالمة طبقة من الملاك اصحاب يسار يملكون ارضا ويوتا ، هذا خلافا لطبقة الضباط وموظفى التاج وطبقة الجنود الذين كانوا يقطنون فى البلاد . ولا أدل على ذلك من البيانات التى ذكرناها من قبل ، وكذلك من المواد الخاصة التى نجدها فى نظام مصر الاقتصادى فى تلك الفترة . والمعلومات التى لدينا عن هذا الموضوع مستقاة من بعض وثائق هامة نخص بالذكر منها المقدمة التى صدر بها ما يسمى «قوانين الايرادات» التى وضعت فى عهد «بطليموس الثانى» وهى تحتوى على القواعد العامة الخاصة بتأجير الضرائب ، كذلك وثيقة مشابهة يرجع عهدا الى حكم الملك بطليموس الخامس «ايفانيس» (٢٠٥-١٨٠ ق.م) وتحتوى على مجموعه من اللوائح تبحث فى كل الضرائب التى كان يؤجرها متعهدون فى مقاطعة «البنسة» (١) . والمعلومات التى استنبطت من هاتين الوثيقتين قد استكملت بمعلومات استخلصت من وثائق أخرى عديدة لها علاقة بالموضوع .

وقد رأينا فيما سبق كيف نظمت الحياة الاقتصادية فى مصر . وذلك أن آلاف الآف من المنتجين والمستهلكين والممولين - وكان بعض رجال الفئة الأولى مرتبطين مع الحكومة بمقود - كانوا يضيفون الى ثروة الملك . وكان ما يوردونه لخزانة الملك ، ولمصارفه ومخازن غلاله يجمعه آلاف من الموظفين من درجات متنوعة تنتهى بأسفل درجة . وهؤلاء الموظفون كانوا مسئولين امام الملك عن اداء واجباتهم التى نص عليها فى العقود التى كانت تربط مزارعى الأرض والطبقات المختلفة بالملك .

ملتزمو الضرائب أو مؤجرو الضرائب

وقد أدخل البطالة في هذا النظام المتزن من حيث المولين من جهة ومن حيث الجباة من جهة أخرى عنصرا ثالثا من الرجال متصلين بجمع الإيرادات. وهؤلاء كانوا يعدون وسطاء أو مؤجري ضرائب ، وقد يكونوا أفرادا أو جمعيات ، وكان يوكل اليهم القيام بدور خاص في تحصيل ضرائب الإيرادات الملكية . ونلاحظ أنه في بلاد الاغريق كان هؤلاء الوسطاء هم المحصلون الفعليون للإيرادات فكانوا يدفعون مبلغا اجماليا للحكومة ضمانا وبذلك كانوا يعطون حق تحصيل مبلغ خاص من المولين . ولكن في مصر نجد أن الحالة كانت مختلفة ، فقد كان تحصيل الإيرادات الفعلي من واجب موظفي الحكومة الذين كانوا يوردون المبالغ والسلع التي يحصلونها الى المصارف الملكية والمخازن الحكومية . وكان الملتزم المصرى أو مؤجر الضرائب لا دخل له في التحصيل الفعلي الا بقدر ضئيل جدا ، ولكن كان له في تحصيله فائدة حيوية فكان يقوم بجزء فعال في مراقبة كل من منتج الإيرادات ومحصل الضرائب ، وذلك لأنه بمقتضى عقودهم التي أبرموها مع الملك قد تعهدوا وأمضوا له بتحصيل تام لأيراد خاص أى تحصيل مقدار معين من السلع أو مبلغ معين من النقود . وكانوا في حالة عجزهم عن دفع المطلوب منهم يقوم الشركاء بالاضافة الى الضمانات التي دفعوها بسد العجز . أما في حالة الافلاس فان الاملاك التي رهنها المتعهدون وكذلك الضمانات تأخذها الحكومة وتبيعها . ومن جهة أخرى اذا سار كل شيء وفق المطلوب ، وكان ما جمع زائدا عن المطلوب فان هذه الزيادة تكون هي المكسب ، وفوق ذلك كانت الحكومة تقدم لهم هبة أو مرتبا .

وهذا النظام البطلمى الخاص بتأجير الضرائب وهو الذى يرجع فى أساسه الى نظام اغريقى كان نظاما يدل على عبقرية اقتصادية ، وذلك لان البطالة بادخالهم وسطاء بينهم وبين المولين والجباة قد حافظوا على مصالحتهم

بحذق ومهارة . اذ الواقع أنه كانت توجد جماعتان وهما محصلو الضرائب والملتزمون ، وكانت كل جماعة منهما مسئلة امام التاج ، وكلاهما كاتبا تعملان في تحصيل الايرادات من الموليين . وكانت اهمية كلا الطرفين من هذه الوجهة موحدة كما كانت معاونة الواحدة الأخرى تجعل من المستحيل على الممول أن يحيد عن دفع ما عليه ، ومن جهة أخرى كان ارتكاب خيانة أو اظهار تراخ من جانب موظفى الملك لابد أن يلحق ضرر بصالح جماعة مؤجرى الضرائب . وعلى ذلك كان هؤلاء يعملون بمثابة مراجعين على اعمال الموظفين . اما الخاسرون في هذا النظام فهم الممولون . والواقع ان الموظفين ومؤجرى الضرائب كانوا مقيدين بدفع غرامات فادحة ان هم لم يحصلوا الايرادات كاملة . وسواء في نهاية العملية قد أصاب الممول الخراب أم لا ، فان ذلك لم يكن ذات أهمية لديهم . ولكن ذلك كان من جهة أخرى أمر يهم الملك كثيرا بطبيعة الحال . ومن أجل ذلك كان يشدد في ألا يعامل الممول معاملة سيئة فلا غش ولا نهب يصيبه . وعلى أية حال كانت القاعدة أنه اذا اتحد الموظفون ومؤجرو الضرائب معا فانهم يكونون اقوى من الملك اذ كان في امكانهم أن يختلسوا من الأموال كما يشاءون .

وعلى الرغم من أن مهنة تأجير الضرائب كانت تتعرض لأخطار فانها كانت على ما يظن بوجه عام مريحة فنجد في العهد الأول من عصر البطالمة انه كان يتقدم الى الدخول في غمارها طلاب كثيرون لامضاء عقود بصفقات ، وكانوا لا يحرمون ضمانات تساندهم . والظاهر ان عدد المتعهدين بتأجير الضرائب كان كبيرا نسبيا ، وذلك لأن الايرادات الملكيه المؤجرة كانت كثيرة ، وذلك على الرغم من أنه ليس في مقدورنا ذكر عدد المؤجرين . وعلى الرغم من وجود رجل من أصحاب الثروة هنا وهناك احيانا في انحاء البلاد يكون في مقدوره ان يمقد عدة صفقات ايجار في أن واحد وبذلك

يجمع جزءا عظيما من الاشغال فى يديه - كما يحتمل أن «زينون» قد فعل ذلك وبخاصة بعد اعتزاله أعمال الحكومة وأصبح حرا - فإن القاعدة المتبعة على ما يظن كانت توزيع عقود تأجير الضرائب على عدة افراد لا تجميعها فى يد فرد واحد . ولا بد أن نضع فى ذاكرتنا أن صفقات الاطيان وغيرها كانت تؤجر محليا ، وذلك لأن المراكز الصغيرة لم تكن قط اكبر من المقاطعة ، وانه كان لابد لكل مؤجر من معرفة تامة للأحوال المحلية . هذا اذا كان المؤجر أو الملتزم عليه أن يقدر المحصول بنجاح ، وذلك لأن عمله لم يكن من الاعمال المريحة بل كان يتطلب حضوره الشخصى فى عمليات لا حصر لها متعلقة بتقدير الأسعار الفردية وجمعها . ومن ثم كان معظم مؤجرى الضرائب محليين واعنى بذلك أنهم كانوا رجالا من أهل الجهة وعلى معرفة حقة بكل من الممول والمحصل . وكان كل المؤجرين من أهل اليسار ولهم علاقات واسعة بالاشغال ، كما كان من واجبهم أن يقدموا ضمانا كافيا تماما . وهذا الضمان كان فى العادة عقارا حقيقيا كبيوت أو كروم او حدائق أو أرض زراعية .

وعلى ذلك نرى انه بوجود نظام تأجير الضرائب والاحتكارات كان فى مصر فى عهد بطليموس الثانى طبقة عديدة من اصحاب اليسار معظمهم كانوا يملكون عقارا حقيقيا أى أنهم كانوا رجالا لهم مال مدخر ويرغبون فى استثماره فى اعمال تدر عليهم ارباحا وفيرة . وتدل شواهد الاحوال على أن السواد الأعظم منهم كانوا اغريقا . ومن ثم يمكننا أن نستبسط أنه فى عهد بطليموس الثانى قد نمت طبقة متوسطة من الاغريق لم تكن موحدة بطبقة الموظفين الذين كانوا فعلا فى خدمة التاج (لأن هؤلاء كان محرما عليهم أن يدخلوا فى تأجير الضرائب أو أن يشتركوا معهم أو يضمنوا مؤجرى الضرائب) أو بالجنود المرتزقين أصحاب الأراضى .

هذا وكانت توحيد طبقة اقل من الطبقة السالفة الذكر تحتوى على آلاف من تجار التجزئة الذين أجروا من الحكومة حق الاتجار فى انواع خاصة من السلع ، وكانوا هم المسؤولين عنها . وكان مثل هذا العمل يحتاج بطبيعة الحال الى بعض رأس المال . وما تجدر ملاحظته هنا ان هذه الطبقة من التجار لم تكن مؤلفة من اغريق فقط وذلك لان تجار التجزئة كان معظمهم من الوطنيين ، غير ان وجودهم يعد دليلا على وجود طبقة من صغار «الطبقة الوسطى» لهم علاقة وثيقة بالنظام المصرى الجديد .

والآن يتساءل المرء من هم اعضاء الطبقة الوسطى (البورجوازية) الاغريق كان بعضهم يمكن أن يكونوا من الموظفين والضباط أو الجنود المتقاعدين ونسلهم ، وبعضهم من نسل الاغريق الذين كانوا قد استوطنوا مصر قبل الفتح الاسكندرى ، غير ان عددا منهم لم يكن من أحد الصنفين السابقين . والمحتل جدا انهم كانوا مهاجرين من بلاد الاغريق وهم الذين وفدوا على أرض الكنانة لا بوصفهم جنودا وموظفين بل أفرادا يملكون بعض المال جاؤوا لتثمينه فيما يدر عليهم الثراء . وقد نوهنا فيما سبق عن اسباب صعوبة الحياة فى بلاد الاغريق فى عهد الاسكندر وما قبله ، ولا غرابة ان نرى مثل هؤلاء الافراد ينجذبون الى مصر حيث الطمأنينة ووفرة اسباب العيش والسيادة على اهل البلاد وعلى أية حال كان يتألف فى مصر وقتئذ طبقة من البرجوازيين . وكان ملوك البطالمة يعلمون هذا الأمر وقد فتحوا أبواب نظام اقتصادهم الجديد امام هذه الطبقة الجديدة من الاغريق . ومن الجائز ان مشاطرة الحكومة فى الربح كان مغريا جدا لهؤلاء الاغريق . وقد كان بعضهم من مهرة مؤجرى الضرائب فى بلادهم ، ومن ثم كان أملمهم أن يقوموا بزاولة هذه المهنة بنجاح فى مصر كما زاولوها فى بلاد الاغريق مسقط رأسهم . فضلا عن ذلك لم تكن فى مصر فرص عدة اخرى للنشاط

في الاعمال . وكانت فرص التجارة محددة : حقا كانت « الاسكندرية » مفتوحة أمامهم ولكن جزءا عظيما من التجارة الداخلية في البلاد كان معظمها في يد الحكومة ، وكانت الصناعة بعضها في يد الحكومة في حين ان جزءا عظيما كان في يد الاهالى وذلك باستثناء الصناعة في الاسكندرية كما هو المحتمل لانها كانت بلدة اغريقية لحد ما . ولم يبق امام الاغريق الا تشيير اموالهم في الارض والاسهام بصورة محسة في ادارة الايرادات الملكية . وخلافا للطبقة العليا من سكان مصر الأجانب ، كان يوجد دون اى شك عدد كبير من المهاجرين الذين كانوا يكسبون قوتهم بالعمل بجد في الزراعة والصناعة والتجارة بوصفهم عمالا وأصحاب مهن ، وكتبه وغير ذلك . ومن ثم يمكن أن نسلم مطمئنين بوجود مثل هذه الطبقة في الاسكندرية . ولكن لابد ان نلاحظ ان جماعات الرجال الذين من هذا الصنف كانوا منتشرين في كل قرى مصر . واذا القينا نظرة سطحية على قائمة الافراد الذين كانوا يعملون في مختلف الانواع الزراعية والصناعية والاعمال المنزلية (وهى الى جمعها المؤرخ «برمانز» (Peremans) ومعظمها من أوراق «زينون» ،) لرأينا عدد الاغريق الذين كانوا يشتغلون في الاعمال الاقتصادية المتنوعة في ضيعة «ابولونيوس» ببلدة «فيلادلفيا» كانوا يتنافسون في هذه الأعمال مع الاهالى . وبطبيعة الحال كان بعضهم يملك بعض الثروة بان كانوا متعهدين يباشرون تنفيذ بعض الاعمال ، أو كانوا افرادا قد ثمروا اموالهم في زراعة الكروم وزراعة القمح . وهؤلاء لابد ان نعتبرهم من طبقة البوارجوازية ولكن بعضهم كانوا مهنيين عاديين وعمالا (١) .

وانه لمن المهم أن نعرف عدد الأجانب الذين استوطنوا مصر وكانوا يعملون

(١) راجع Rost. Geschichte der Staatspacht, U. Wilcken, Ostraca I. PP 650; & Grundz., PP. 182 ff., G. McLean Harper Jr. Tax-Contractors and their relations to Tax-collectors in Ptolemaic Egypt. Aeg. XIV (1934), PP. 49 ff.

في مهن متنوعة . ولكن مما يؤسف له انه ليس لدينا مصادر يمكن الاعتماد عليها في هذا الصدد . وقد عملت محاولة حديثا قام بها المؤرخ «سجري» (Segré) . وذلك بعمل احصائية لعدد السكان الاغريق في مصر وقد اعتمد في احصائه هذا فقط على قاعدة ما هو معروف من عدد الجيوش التي حشدت في مصر على يد البطالة وبخاصة في عهد بطليموس «فيلوباتور» وهو موثوق به . والنتائج التي وصل اليها «سجري» هي ان مصر قد امتصت مائة وخمسين ألفا من الشبان الاغريق والمقدونيين ، وامتصت «سوريا» و «آسيا الصغرى» ضعف هذا العدد أى ما يعادل خمس سكان بلاد الاغريق . غير أن هذه الأعداد على أية حال لا تعد أساسا متينا بل فيه شك كبير ، وذلك أن «سجري» أخطأ في احصاء عدد الفرسان والمشاة في موقعة «رفع» ولم يأخذ في حسابه اغريق الاسكندرية ومن خارجها من الذين لم يكونوا سكانا عسكريين . وليس لدينا أية فكرة فيما اذا كان اى من هؤلاء الاغريق قد جنّدوا مع السكان العسكريين ، واذا كان الأمر كذلك فبأية نسبة جند منهم . فضلا عن ذلك فانه من المعتل جدا ان عدد الاغريق في مصر في عام ٢١٧ ق.م اى في عهد بطليموس «فيلوباتور» لم يكن يمثل العدد الأصلي للمهاجرين من بلاد الاغريق و«مقدونيا» ، يضاف الى ذلك انه حتى الاغريق الذين يسكنون مصر فانهم كانوا محصين تماما (١) . ولا غرابة في ذلك فانهم كانوا يعيشون في بجموحه من العيش وفي ايديهم كل مرافق الحياة في حين كان الشعب المصرى قسمة بوجه عام يقاسى آلام الفقر والحرمان وكانت تقع على عاتقه كل الأعمال التي تحتاج الى مجهود جسماني مضمّن جبار في حين أن ثمار كدحه كان يجنيه

(١) راجع A. Segré, Note Sull'economia dell'Egitto ellenistico nell'età Tolemaica; Bull. Soc. Arch. Alex. XXIX (1934). PP. 265 ff.

الملك أولا والاغريق والمقدونيون الذين احتلوا البلاد وسيطروا على أرزاقها. ولقد حاولنا فيما سبق ان نرمس بعض الخطوط العريضة التى وضعها البطلمة للإصلاحات الاقتصادية فى الديار المصرية بشئ من الدقة ، غير انه لا تزال هناك مسائل كثيرة غاية فى الأهمية ، موضع نقاش حاد . ومن اهم هذه المسائل وأظلمها العلاقات التى كانت بين الاغريق وأصحاب السيادة فى البلاد وبين الطبقة الدنيا من الشعب المصرى او بعبارة أخرى بين الاغلبية العظمى من المصريين لأنهم كانوا كلهم فقراء - وبين الاغريق الاغنياء الذين كانت فى أيديهم ادارة البلاد . ولحسن الحظ كشف اخيرا عن سجلات ضخمة يبلغ عددها حتى الآن حوالى ألفى وثيقة تكشف لنا عن نواح عدة من الحياة المصرية ومن بينها هذه الناحية التى تتساءل عنها . وهذه السجلات هى مجموعة المراسلات التى تركها لنا زينون وكيل الوزير ابولونيوس فى عهد بطليموس الثانى ، وسنحاول ان نكشف فى الفصل التالى عن علاقات الطبقة الدنيا من المصريين الكادحين مع طبقة الحكام والاغنياء من الاغريق الذين كان على رأسهم الملك .

الحياة الاجتماعية للطبقة الدنيا فى مصر وعلاقتها بطبقة الحكام الاغريق فى خلال القرن الثالث قبل الميلاد

تحدثنا فيما سبق عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى مصر من الوجهة الاغريقية او بعبارة أخرى من وجهة الطبقة الحاكمة التى كان بيدها كل شئ ولم تتعمق قط فى كيفية معاملاتهم واختلاطهم بصورة واضحة مع افراد الشعب المصرى الذين ينتمون الى الطبقة الدنيا وهى الطبقة الكادحة التى كانت تقوم بأعباء الأعمال الهامة كلها التى كانت العتاد الأساسى لحياة الاغريق أنفسهم والتى بها كانوا ينفذون سياستهم الداخلية والخارجية . والواقع أنه مما يؤسف له ان نرى المؤرخين الذين خصصوا أنفسهم فى تاريخ عصر البطلمة بل وفى تاريخ العالم الهيلنستىكى قد

تعمموا بوجه خاص في المسائل المتنوعة التي تتصل بحياة السكان الاغريق أو الذين صبغوا بالروح الهيلانستية في حين نرى أن اهتمامهم بالمجتمع المصرى وبخاصة الطبقة الدنيا التي لم تصبغ بالثقافة الاغريقية لم يكن الا لاما وبخطا وئيدة عرجاء لم تبلغ في سيرها نحو هدفها شوطا يذكر . والأسباب التي ساعدت على وجود هذه الحالة هي الصورة التي وجدنا عليها المصادر التي في متناول الباحثين في هذا الموضوع . وليس من شك في أن المصادر الاغريقية الهائلة العدد التي كشف عنها قد فرضت على المؤرخين والباحثين هذا الموقف أو هم فرضوه على أنفسهم . فقد أخذوا بالآداب والثقافة الاغريقية الاتباعية وبطرق الاقتصاد البطلمى الغريب حتى أعماهم كل ذلك عن رؤية العالم القديم الا بأعين الاغريق والرومان الذين من طبقات رفيعة بوجه خاص . ولا غرابة في ذلك فان الباحثين الأحداث يجدون بين أفراد هذه الطبقة الكتاب العظام الذين أخذوا من كتاباتهم ما دونوه لنا من معلومات عن مصر في هذا العصر . حقا يلحظ أن العلماء قد بدءوا حديثا يظهرون اهتمامهم بالبحث عن حياة الشعب المصرى نفسه ، غير ان هذا الاهتمام لم يراع الا عرضا خلال القيام بدراسات عامة أكثر منها خاصة تنحصر في العلاقات المتبادلة بين المصريين أهل البلاد الاصليين وبين الاغريق الأجانب . وعلى أية حال لم تؤلف كتب خاصة في هذا الموضوع حتى الآن، الا مقالا واحدا كتبه عالمة بولندية (١) حديثا قد يثير الطرق لبحوث أخرى في هذا الصدد .

ولا نزاع في أن تاريخ مصر ومصادره في العهد الهيلانستى كان معروفا أكثر من تاريخ كل الممالك المعاصرة المعروفة لدينا . ويرجع الفضل في ذلك الى تربة أرض الكنانة وما حفظته لنا بمناخها المدهش من أوراق بردية

وآثار منقطعة القرنين . ولذلك قد أصبح لزاما علينا أن نسير الى ذلك قبل كل شيء اذا اردنا أن نحاول رسم صورة للمجتمع المصرى الأصيل الذى كان يعيش فى احدى الدول التى قامت على أنقاض امبراطورية «الاسكندر الأكبر» ، على أنه يجب ألا يغيب عن أذهاننا أنه يوجد عقبات تقوم فى وجهنا خلال بحثنا هذا الموضوع . وأول هذه العقبات أنه لم يكن فى استطاعتنا أن نفرق بين مصر واغريقى الا فى القرن الثالث أى فى العهد الأول للسيطرة الاغريقية فى مصر ، وذلك لأن صبغة سكان أهل البلاد بالصبغة الهيلانستىكية وامتزاج الهيلانيين بهم قد خلق فيما بعد خليطا كبيرا من الناس لدرجة ان مجرد ذكر الاسم قد أصبح لا يدل على قومية الفرد . والعقبة الثانية هى أن الغالبية العظمى مما وصل إلينا من الاضمات البردية كان مثلها كمثل المصادر الأخرى التى وصلت إلينا من العصر الهيلانستىكى قد دون باللغة الاغريقية، يضاف الى ذلك أن الأوراق الديموطيقية التى نشرت حتى الآن لا تقدم لنا الا معلومات قليلة عن المجتمع المصرى . هذا فضلا عن أن معظم الأوراق البردية الديموطيقية التى وصلت إلينا لم يدرس بعد ولا يزال ينتظر الحل والتحص . وعلى أية حال فإن هاتين العقبتين السابقتين تفرضان على دراسة هذا الموضوع طرقا وحدودا لا مفر من اتباعها . ومن ثم يجب أن يكون اساس هذا البحث المصادر التى وصلت إلينا حتى الآن من القرن الثالث ق.م وهو موضوع بحثنا فى هذا الكتاب ، وفى الوقت نفسه يجب علينا أن نتعمق فى تحليل هذه المصادر قدر المستطاع لنخرج منها بصورة تكشف لنا الحجاب عن حالة المجتمع المصرى الذى ظل مجهولا لنا حتى الآن . والمصدر المنقطع القرن الذى سيكون عمادنا فى هذا البحث وهو سجلات «زينون» وقد انتفع به من قبل الباحثون بدرجة كبيرة فى دراساتهم للحياة الاقتصادية فى مصر البطلمية . وقد تحدث المؤرخ الكبير

«روستوفتريف» عن هذه السجلات في كتابه الخالد المسمى «ضيعة كبيرة» (١) هذا وقد ذكرت لنا الانسة بريو قائمة بمحتويات سجلات زينون (٢) وإلى سجلات «زينون» يرجع الفضل في درس هذا الموضوع بما تحويه من مادة غزيرة وما تشمله من معلومات متنوعة ما يفتح لنا الطريق وينيره حتى نرى البناء الداخلى للمجتمع المصرى الأصيل خلال القرن الأول من السيطرة الاغريقية وموقعها المادى ، فسرى فيه العداوة بين الحاكم والمحكوم ، والكراهية المتبادلة التى نبتت بسبب ما ارتكبه الحاكم من جور واضطهاد بينهما ، كما سئرى الروابط الأسرية وحياة الأسرة الخاصة وحالة السكان الأصليين بالنسبة للقائحين الاغريق ، وكذلك سيتضح لنا تضامن المصرى مع أخيه المصرى على الغاصب الأجنبى ، كما سنشاهد اقسام بعض الجماعات على بعضهم بعضا ، والتنافس الذى يقوم بين أصحاب الحرف والمهن . وكل هذه الأمور قد تسمح لنا أن نفهم بصورة أفضل سياسة البطالمة نحو رعاياهم غير الاغريق ، كما تسهل لنا بوجه عام التعمق فى معلوماتنا التاريخية للمؤسسات الهيلانستىكية ، كل هذه الموضوعات لم يكن درسها حتى الآن ما كشف من الاوراق الديموطيقية التى لا تزال فى مستودعات المتاحف والمكتبات لم تحل بعد !!

ومما يجب التنويه عنه هنا اولا ان المصريين الذين جاء ذكرهم فى رسائل سجلات زينون هم من الطبقة الدنيا والقليل منهم من الطبقة الوسطى . والشخصية الوحيدة التى تعتبر فى هذه السجلات من عليا القوم هو الكاهن الأكبر «بتوزريس» على ما يظن ، وهو الذى أمر «زينون» بتوصيل رسالة

(١) M. Rostovtzeff. A Large Estate in Egypt, in the Third Century.

(٢) C. Preaux, Les Grecs en Egypte d'après les Archives des Vliereck, Philadelphieia, Morgenland, Beiheft Zum Alten Orient XVI, C.C.; Edgar, Introduction to the Zenon Papyri in the University of Michigan Collection.

اليه كما جاء ذلك في وثيقة (١) .

وعلى الرغم من ذلك فإن هذا المجتمع الذى يصادفنا فى هذه السجلات لم يكن متجانسا . اذ نجد أن المصريين كانوا يمارسون عددا كبيرا من الحرف والمهن فكان جم غفير منهم يفلح الأرض ، فى حين نجد تقرا منهم كانوا يربون الخنازير ، كما وجدنا من بينهم نحالين وضاربى طوب وقاطعى أحجار وصناع فخار وبنائى سفن ، وصغار موظفين يعملون فى ادارات الحكومة أو الشرطة . هذا وكان آخرون يشتغلون فى ضيعة «ابوللونيوس» وزير «بطليموس الثانى» تحت ادارة «زينون» وكيله ، أو كانوا يعملون فى التجارة اما بوصفهم عملاء «زينون» او يعملون لحسابهم الخاص . وأحيانا نجد فى هذه السجلات ذكر كهنة وبخاصة من الطبقة الدنيا ، كما نجد فرقا محسا بين أفراد حرفة واحدة . وبصورة عامة يلحظ أن كل هؤلاء المصريين كانوا يحتلون مكانة اجتماعية أقل من التى كان يتمتع بها الاغريق المحتلون ، وذلك على الرغم من أنه يوجد بين الاغريق من ينتمى الى الطبقة السفلى من طبقات المجتمع المصرى .

والخاصية التى يتميز بها المجتمع المصرى كما يستنبط من سجلات «زينون» - عندما يتناول البحث ضيعة «أبوللونيوس» فى «الفيوم» وهى نفس الحالة تقريبا فى كل المتون - هى أن الاغلبية كانت مؤلفة من وافدين جدد : وهذا ينطبق على المصريين وعلى المهاجرين الاغريق على السواء وذلك لأن «فيلادلفيا» كانت مؤسسة جديدة . وكان معظم السكان الذين وفدوا عليها من القرى المجاورة ، ولكننا نرى بينهم كذلك رجالا وحتى

(١) Papiri greci e latini (Publicazioni della Società Italiana per la ricerca dei Papiri greci e latini in Egitto) by G. Vitelli, M. Norsa and others. Florence 1912, etc. P. 642. (The latest part is fasc. I, of Vol. XIII. (= PSI.).

موظفين هاجروا اليها من مقاطعات نائية (١) . هذا ونجد في أسفل درج هذا السلم الاجتماعى الطبقة المغمورة الذكر وهم الفقراء والمعوزون من أبناء الشعب المصرى ويؤلفون وحدة مميزة . ونعرف في معظم الاحيان اسماءهم وكذلك نعرف أن الجزء الأعظم منهم كانوا مصريين ، والكلمة الاغريقية «لاوس» (Laos) كما لاحظ احد العلماء لا تدل على الفريق المصرى من الطبقات الاجتماعية الدنيا ، ولكن تدل على مجموع الطبقة السفلى دون تمييز قومية (٢) .

ويندر في الواقع ان نجد في المتون ذكر قومية هذه الطبقة من السكان (= لاوى) ومع ذلك نصادف في منون سجلات «زينون» سورين وعربا وبدوا (٣) .

ومن المحتمل أنه كان من بينهم أسرى حرب قدامى جلبوا من الحروب الكثيرة التى شنها «بطليموس الثانى» وأخلافه من بعده «ايرجيتيس» (٤) وأفراد هذه الطبقة السفلى = (لاوى) كانوا قبل كل شئ مزارعين ملكيين (٥) حيث نجد أنه قد ميزت ثلاث طرق لاستغلال الأرض التى استعملت في ضيعة «أبولونيوس» . وهاك هذه الطرق : (أولا) كان «زينون» وكيل «أبولونيوس» يؤجر الارض الى ملتزمين بطريق المزايد العلنى . وهؤلاء الملتزمون كانوا في معظم الأحيان من الاغريق أو من المقدونيين ، كما كان يوجد من بينهم عدد قليل من المصريين . هؤلاء المؤجرون . أو الملتزمون من جهتهم

C. Preaux, Les Grecs. P. 68.

(١) راجع

(W. Peremans. V.E.) P. 266.

(٢) راجع

Ibid. P. 86; F. Heichelheim Auswärtige Bevölkerung in

(٣) راجع

Ptolemaerreich, P. 70.

Rostov, H.W. P. 203.

(٤) راجع

Rostov, (L.E. 72 ff.)

(٥) راجع

W.L. Westermann. A Lease from the Estate of Apollonios, Memoirs of the American Academy in Rome, Vol. VI. P. 13.

وكذلك راجع سترمان

في أغلب الأحيان بمجلس من الشيوخ (١) . وكذلك برجال يسمون رؤساء
العشرات (٢) ، وفي حالات قليلة جدا كان يمثلهم حاكم القرية (٣) .

وكانت الادارة الاغريقية تمد (صغار الفلاحين «لاوى») المزارعين بالبذور
والحيوان والآلات وحتى بالمساكن اللازمة لهم (٤) وكان الكادحون
يتسلمون أحيانا القمح لأجل أسرته في بعض الحالات (٥) . وكانت
الادارة أحيانا تحمي هؤلاء الكادحين من الأعباء المالية المرهقة . P.SI 483.
فكانت تقرضهم النقود لدفع ضرائبهم (٦) . ولما كان ايجار الأرض مرتفعا
فان المزارعين كانوا غالبا ما يصبحون عاجزين عن دفعها (٧) . كما كان من
الصعب أن يتفقوا مع الموظفين الاغريق . هذا وكان تغير أحوال العمل في
أرض الاقطاع التي كانت ملك الجنود المرتزقة يؤدي الى قيامهم باحتجاجات
شديدة بل والى اضرابهم ، كما يلحظ ذلك في حالات معينة مثال ذلك ما جاء
في وثيقة من سجلات زينون . P.C.Z. 59245. حيث نجد أن المزارعين قد
تركوا الأرض التي كانت ملكا لجنود مرتزقة اغريق ثم لجئوا الى المعبد .
يضاف الى ذلك أن مسألة السكن لم تكن دائما متفقا عليها بطريقة مرضية
كما نعلم ذلك من وثيقة سجلات « زينون » (٨) . غير أن هذه

(١) P.C.Z. 59699, 59520; PSI. 380, 627; P. Lond. Inv. 2090; راجع
Rostov. L.E. P. 73.

P.C.Z. 59294; PSI. 676, P. Mich. Z 98.

(٢) راجع

P. Lond. Inv. 2088; Rostov. L.E. 73 (?)

(٣) راجع

Preaux, Les Grecs, P. 50, No. 9. (+ PSI. 675; P. 51, nn.

(٤) راجع

1, 2, 3, P. C.Z. 59316.

P.C.Z 59294, USI. 498.

(٥) راجع

P. Lond. Inv. 2097; Rost. L.E. P 81.

(٦) راجع

Preaux L'Economie Royale des Lagides (Citée-ci après

(٧) راجع

C. Preaux E.R.) P. 131 ff.; C. Preaux, Les Grecs. P. 49 f:

Rostov. H.W. PP. 279, 1102; PSI 502; P.C.Z. 59640.

P.C.Z. 59410.

(٨) راجع

الوثيقة بكل أسف وجدت ممزقة . وفي بردية أخرى (١) . نجد أن قلة الماء قد سببت منافسات بين جماعة مختلفة من طبقة الكادحين في الأرض ، يضاف إلى ذلك أن حوادث السرقة العدة تنير لنا الطريق كثيرا عن أحوال معيشة الفلاح المصرى . فمن ذلك ما نقرأه في بردية (P.C.Z. 59368) أن الأهالى سرقوا دريسا ترك لمدة دون حراسة ؛ وفي وثيقة أخرى (٢) نقرأ أن المصرى «باوس» (Paues) وهو عامل بمرتب عند مصرى آخر يدعى فاييس (Phabis) قد هرب بحمار وحقائب ؛ هذا وقد كتب حاكم المقاطعة «داميس» (Damis) إلى «زينون» في موضوع مزارعين قد سرقا بقرة (PSI. 366) ، وكذلك تحدثنا ورقة من أوراق سجلات زينون المحفوظة في مشيجان (٣) أن سكان قرية عن بكرة أبيها قد وحدوا كلمتهم على ما يظهر للدفاع عن بقرتين وعجل قد شك في أنها قد سرت . ومن المحتمل أن موقف الفلاحين كان يزداد سوءا عندما كانت حريتهم في التنقل لم تكن تامة على الأقل لمدة فترة معينة (٤) .

ومما يجب ملاحظته هنا ان عبارة مزارعى الملك لا تعنى فقط الفلاحين الذين يؤجر لهم زينون الأرض بمقود جماعية بل هم كذلك مزارعون مستقلون لديهم عقود منفصلة ، وكانوا يشرون ، قطع أراضيهم على حسب رغبتهم تحت المراقبة الشديدة من قبل الحكومة أو من قبل ادارة الضيعة . ومساحة قطع الارض التى كان يزرعها المصريون كما وردت في وثائق «زينون» مختلفة

P. Lond. Inv. 2088 24.

P. Mich. Zen. 31 (?)

P. Col. Zen. 85 27.

P. Mich. Z. 98.

W. Peremans V.E. P. 109; Westermann, Agricultural

History I. P. 24 ff; C. Preaux Les Grecs. P. 19ff., Rostov. H. W. P. 320; Rostov. L.E. P. 71.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

جدا فأصغر قطعة مساحتها ثلاثة أرورات (١) ولكن نصادف بينها كذلك قطعة كبيرة جدا مثال ذلك قطعة مساحتها حوالى ٢٠٠ أرور فى نفس المجموعة (P. Col. Zen. 78) ونجد قطعة تبلغ مساحتها ٨٨٠ أرورا (٢) .

أما الجنود المرتزقون من الاغريق والمقدونيين الذين لا يريدون زراعة أرضهم بأنفسهم فانهم كانوا ينزلون عنها غالبا الى مؤاجرين مصريين مثل «جاميس» (Gampis) ورفاقه كما جاء فى ورقة من مجموعة أوراق كولولمبيا (٣) هامة كذلك من وجهة نظر أخرى ، اذ نرى فيها أربعة مزارعين من مقاطعة «هناسيا المدنية» وهم «جاميس» (Gampis) و «بوكاس» (Pokas) و «بتوباستيس» (Petobastis) وباسيس يمشون عقدا جماعيا من مالك أرض اغريقى من الجنود المرتزقين يدعى أسكليادس (Asklepiades) وهو مالك لقطعة أرض مساحتها مائة أرور ، هذا ونجد فى حالات أخرى كذلك شركاء يزرعون الأرض سويا كما هى الحال فى احدى وثائق مجموعة زينون .

وتدل شواهد الأحوال على أن حالة بعض هؤلاء المزارعين كانت لا بأس بها نسبيا . اذ نجد مزارعين مؤجرين لقطع أرض وفى الوقت نفسه يملكون قطع أرض صغيرة مثل الكهنة والموظفين (٤) . ونجد كذلك عددا كبيرا منهم كانوا رؤس «لزينون» و «الأبولونيوس» فى الوقت نفسه ويتقاضون

(١) راجع Business Papers of the third Century B.C. dealing with Palestine and Egypt, 2 vols. by W.L. Wiestermann and others New York, 1934-1940, P. 85 27 (= P. Col. Zenon).

P. Mich. Zen. 31 (?)

P. Col. Zen. 85 27.

W. Peremans V.E.P.O. 7.

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

أجورهم منهما . وكانت الادارة تقدم البذور ^(١) والآلات (Ibid. P. 51, والحيوان للمزارعين (PSI 422) وكانوا يقرضون القمح والتقود لمساعدتهم في وقت الأزمات الموسمية ^(٢) . وكانوا كذلك يتسلمون أربعة أوبولات مقدما عن كل أورور مقابل قطع الأشجار والأعشاب وحرق الأخشاب المضرة وفي احدى متون لندن (P. Lond. Inv. 2316 ³⁶. (Preaux Les Grecs, P. 17, No. 9) نجد أن «بأوييس» وهو مالك قطعة أرض في ضيعة «ابولونيوس» أقام لنفسه بيتا في «فيلادلفيا» . ونعلم كذلك من بردية في القاهرة ^(٣) أن مزارعا آخر كان عليه أن يقيم بيتا لنفسه ، وان «زينون» أقرضه مبلغ عشرين درخمة لهذا الغرض . والظاهر أن بعض المصريين كان يملك ممتلكات أخرى . فنسمع كلاما عن كرم «كليزيس» (Keleesis) و «فانيوس» (Phaneuis) و «حوروس» . (PSI. 393, 508).

فهل المقصود هنا من هذه الحالات أنها أرض اقطاع مؤقتة ؟ .. وكان المزارعون المصريون يستخدمون غالبا أعمالا بترتب ^(٤) ، ومع ذلك فان السواد الأعظم من الفلاحين كانت حالتهم لم تكن سهلة ميسورة . ناهيك عن الفرائب والايجارات التي كانت أحيانا فادحة حتى أصبح من الصعب دفعها ^(٥) . يضاف الى ذلك اعمال السخرة العديدة التي كانت غالبا تنتزع الفلاحين من أعمالهم العادية .

Preaux, Les Grecs, P. 51, n. I; P.C.Z. 59719.

(١) راجع

P. Mich. Zen. 119, P. Cairo-

(٢) راجع

Zen., 59113, 59114,

(٣) راجع

59173, 59176.

PSI 398; P. Lond. Inv. 2316; Rostov. L.E.P. 117.

(٤) راجع

Rostov. H.W. P. 279. P. 1102.

(٥) راجع

وعندما كانت الأزمات تشتد بدرجة لا تطاق كان المصري يلجأ أحيانا الى ملاذه الوحيد وهو الهرب والالتجاء في المعبد الذي كان دخوله محرما على الاغريق (١) . وفي كثير من الأحوال كانت ادارة الضيعة أو ادارة الحكومة سجن لفلاحين لذين لم يكن في مقدورهم دفع ديونهم (٢) .

وأهم مجموعة من السكان بعد الكادحين في الأرض في سجلات «زينون» تتألف من مربى الخنازير ويبلغ عدد ما ورد منهم في سجلات «زينون» حوالى اربعين ، نذكر بعضهم على سبيل المثال «أمنوس» (Amenneus) و «أبيوس» (Apeus) (٣) ، «ثوتيس» (٤) . Thoteus

ومما يجب ملاحظته في هذا الصدد ان الاغريق كانوا لا يمارسون هذه المهنة (٥) . وحراس الخنازير هم بوجه خاص كانوا مؤجرين ، وذلك لأن ادارة الضيعة هى التى كانت تكل اليهم أمر تربية الخنازير أو انهم كانوا يشتغلون بتعهد قطمان كانت ملكا خاصا لاغريق من سكان فيلادلفيا أو غيرها من القرى (٦) . ولا بد أنه كان يوجد مربون للخنازير بمرتب ، وذلك على الرغم من انه من الصعب تمييزهم في المتون التى فى متناولنا (٧) . ومع ذلك لدينا بعض وثائق نجد فيها أن مؤجرى الخنازير يدفعون اجرها وذلك

P.C.Z. 59329 1.14.

(١) راجع

P.C.Z. 59130, 59329, 59496; S.B. 7285.

(٢) راجع

P.C.Z. 59397)

(٣) راجع

P.C.Z. 59652.

P.C.Z. 5933, 59439

(٤) راجع

The Journal of Juristic Papyrology 1953-54. P. 237, Note 43.

W. Peremans V.E. 277 (135 ff.)

(٥) راجع

(Epharmostos)

(٦) راجع بوجه خاص زينون واخيه ابقلموستوس

P.C.Z. 59312, 59334, 59346, 59310.

C. Preaux, Les Grecs, P. 34.

(٧) راجع

بتوريد عدد محدد من الخنازير سنويا ، هذا ولدينا وثيقة (١) ، جاء فيها ذكر عقد برم مع مربى خنازير .

وكان يدير استثمار مزرعة خنازير فيلادلفيا مدير يدعى «هيراكليديس» (٢) ومع ذلك لابد ان نلاحظ ان اسم أخاه «بأبيس» وهو اسم مصرى يدل على اختلاط في الدم أى اغريقى مصرى (٣) . ولم يكن مربو الخنازير مرتاحين لمديرهم في كثير من الاحوال ولدينا شكاوى عدة موجهة لزيتون في هذا الصدد . وقد شكّا «هيراكليديس» مربى الخنازير نفسه كذلك من المتاعب التى كان يسببها له مرءوسوه . P.C.Z. 59439

ونجد أحيانا ان مربى الخنازير كانوا يقومون بتربية قطعان كبيرة أحيانا مثل بتوس (Petos) (٤) . فقد كان يرعى اربعمائة خنزيرا ملك «ارتيميدوس» (Artemidoros) وكذلك نجد مربين خنازير آخرين جاء ذكرهم في وثيقة (٥) كان كل واحد منهم يحرس قطيعا عدده سبعين حيوانا ، ومع ذلك فان حالتهم المادية لم تكن سهلة ميسورة . والظاهر أنه بين الذين كانوا يربون الخنازير التى كانت ملك الضعة كانوا يتسلمون لقطعانهم العلف الذى تورد له لهم ادارة الضيعة (٦) . ولكن لدينا شكاوى عدة من مربى خنازير يشكون فيها لزيتون

P.C.Z. 59228.

(١) راجع

PSI 384

(٢) راجع

C.Z. 59330, 59331, 59831

P.C.Z. 59310

(٣) راجع

P.C.Z. 5652.

(٤) راجع

(٥)

P.C.Z. 59439

(٦) راجع

بأنه لا يوصل اليهم ما هو حقهم ومن ثم يطلبون اليه يد المساعدة . وفي رسالة الى «زنيون» من «امنوس» (١). تقول ان «امنوس» حارس الخنازير قد امره «زنيون» ان يسمن خنازير لعيد «ارسنوى» . وقد فعل ذلك ورهن ملابسه ليحصل على النقود ، ولكن عندما أحضر الخنازير الى قرية معينة سرق منها اثنان ، وقد رفض الرجل الذى سرقهما ان يعترف بجريمته مدعيا ان الخنزيرين اللذين اختفيا قد أكلهما تمساح، وعلى ذلك رجا «زنيون» ان يكتب لأهل القرية وحاكم المقاطعة بالألا يسمح باتيان مثل هذه الاشياء، كما شكك كذلك ان رجالا بعينه قد شكاه من قبل لزنيون لم يسمح له برعى خنازيره . وفي متن آخر (٢) قرأ أن مربى خنازير (اللهم الا اذا كان مربى ماعز) وفد حديثا على «فيلادلفيا»، وهو يطلب حماية «زنيون» لأنه تعرضه عقبات فقال لقد مضى على اربعة أشهر فى أرض غريبة ونحن فى موقف حرج . وقد رفض حارس الباب ان يسمح له بالدخول على «زنيون» ، وربما كان ذلك هو السبب فى تقديم هذه الشكاية كتابة وفيها يشكو من سوء حاله ويقدم بعض المعاذير لنفسه على عدم قدرته على دفع ما عليه من دين . ومن أكبر الهموم التى كانت تقض مضجع مربى الخنازير هو اضطرابهم لتوريد عدد معين من الخنازير بمثابة ايجار لصاحب الخنازير فمن هؤلاء «بتوس» مربى الخنازير (٣) وهو الذى كان قد وكل اليه أربعمائة خنزير وعددا غير معروف من الخنازير الصغيرة وكان مدينا له بايجار قدره ٢١١ خنزيرا صغيرا . وقد هرب ولم يترك خلفه الا سبعة خنازير . ولدينا مربى خنازير آخر P.C.Z. 59279. رفض ان

يدفع ما عليه من ايجار وقد سجن من أجل ذلك ووكل أمر قطيعه الى آخر.
وفي رسالة أخرى كتبها «بتنوريس» (Peterouris) وآخر يدعى «سامويس»
(Samoy's) الى «زينون» وهما مربيّا خنازير وكانا قد سجنا لجرم ارتكباه وقد اعترفا
انهما قد ارتكبا خطأ ولكنهما مع ذلك يطلبان الرحمة من «زينون» خوفاً من
أن تموت قطعانهم لعدم عنايتهما بها شخصياً وهما كذلك يحتضران لعدم
حصولهما على ما يقيم أودهما . والظاهر ان «هيراكليديس» نفسه أو فرداً
آخر غيره (لان الاسم سقط) . وكان يشغل وظيفة أعلى من غيره بين مربي
الخنازير - كان قد قبض عليه قائد الجيش المحلي لبلدة القيوم (١) .

ولا بد أنه كانت توجد هناك أحياناً صعوبات أخرى من المستحيل علينا
فهمها تماماً وذلك لاننا لا نعرف الاحوال التي كانت تحيط بها مثال ذلك حالة
مربي الخنازير تموس (Thamoys) الذي جاء ذكره في بردية بالقاهرة (٢)
وكان يشكو من ان رجلاً يدعى «بزوستانو» (Psosnau) هاجمه هو وزوجه.
أما حراس الماعز والغنم فكان معظمهم من العرب (٣) . ومن الصعب أن
نميز قوميتهم وذلك لأنهم يحملون أسماء مصرية أو اغريقية . وكان «زينون»
بوصفه مدير ضيعة «أبوللونيوس» أو باسمه الخاص بوصفه مالكا حراً يؤجر
هذه القطعان الى أصحاب المراعى . هذا ويمكن أن نفهم من متن (٤) . أن
هؤلاء كان لهم مدير فقد كان «حرمياس» على ما يظهر يعمل بوصفه ممثلاً
لزينون ومن جهة أخرى نعلم أن «هرمياس» بوصفه مربي غنم (٥) . وقد عده
المؤرخ «روستوفتزف» عربياً
Rostov. L.E. P. 179 f.

P.C.Z. 59819

P.C.Z. 59443.

Rostov. L.E. P. 113, Preaux Les Grecs, P. 33.

PSI. 380

P.C.Z. 59328, 59340? 59429; P. Mich.Zen 67, S.B. 7984. راجع (٥)

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

(٥) راجع

وعلى الرغم من ان حراس الماعز كانوا تابعين الى الادارة الاغريقية والى شخص زينون ، فانهم في كثير من الاحيان كانوا في حالة بؤس ، ومن أجل ذلك فانهم أحيانا كانوا يلجأون الى طرق لكسب قوته لم تكن دائما شريفة، ومن ثم نجد صاحب مرعى (١) يتهم عند «زينون» رفيقه بأنه يبيع كلا المرعى لآخرين . ونجد أحيانا ان العقوبات التي تعترض هؤلاء التعاء تكون ذات صبغة أخرى ، فمثلا نجد في متن (٢) أن فردا من الطبقة الدنيا يهاجم رعاة غنم «زينون» . والظاهر أن سبب الشجار في هذه الحالة كان على المرعى. هذا ونجد في نهاية الأمر ان «هرمياس» الذي كتب هذه الرسالة الى «زينون» يذكر كذلك حارس ماعز اتهم بالتهب وانه حبس من أجل ذلك .. وعلى أية حال نلاحظ ان قليلا من المصريين كانوا يهتمون بتربية الخيل والبقرات (٣) ومع ذلك يصادقنا مصريا يربى عجوله يتحدث عن الخيل وغذائها (٤) ولكن نجد المصريين يهتمون في أغلب الأحيان بتربية الطيور . ففى متن C.Z. 59715, (1-22) نجد مربى أوز يتسلم قمحا لغذائها وفي متن آخر P.C.Z. 59498 نقرأ أن «يتوباستس» مربى حمام «زينون» كان يشكو من انه لم يتسلم مرتبه منذ اربعة أشهر ، وان الشعير الذى يقدم له لطعامه لا يؤكل ومن ثم يرجوه ان يتدبر الامر حتى يمكنه هو وأولاده ان يقوموا بواجباتهم .

المواصلات :

وكانت المواصلات برا مضمونة في أغلب الاحيان بوساطة الحمير وكانت ادارة الضيعة تورد القمح للحمارة (٥) هذا ونقرأ في رسالة هامة جدا (٦). أن

P.C.Z. 59628.

PSI. 380.

Rostov. L.E. P. 111

PSI 91; P.C.Z. 5936; 6. 18, 59659, 1. 139, PSI, 371, راجع (٤)

1. 18.

P.C.Z. 59176, 59292, 59715 (1.18).

(P. Col. Z. 21).

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

(٥) راجع

(٦) راجع

فردا يدعى «نيكون» (Nikon) يخبر «باناكستر» ان هناك حمارة ممن ينقلون الامتعة قد استهلكوا مكيالا من زيت الخروع (كوس) وانه يطلب اليه أن يجبرهم على اعادة الزيت أو أن يدفعوا ثمنه وهو أربعة درخمات . ومما يجدر ملاحظته هنا أن أربعة درخمات في هذا الوقت كانت تساوى مرتب حمار لمدة اربعة وعشرين يوما (١) .

وطريقة النقل هذه كانت في «فيلاذلفيا» تحت ادارة اغريقى . وهو «نيكياس» الذى يصادفنا كثيرا في «متون» سجلات «زينون» . فهو الذى كان ينظم عمل الحمارة أصحاب المرتبات في ضيعة «أبوللونيوس» ، هذا وكان هناك ملاك حمير مستقلون يؤجرون حميرهم (٢) .

يضاف الى ذلك أن «نيكياس» (Nikias) بوصفه مديرا كان مصدر مضايقات كثيرة للنحالين الوطنيين . فقد كانت الحمير أغلى ما يملكون اذ كانوا يستعملونها لنقل خلايا النحل الى المراعى الجديدة (٣) . ومن أجل ذلك طلبوا الى «زينون» ان يحميمهم من طلبات «نيكياس» المتكررة في اعماله (٤) . ففى المصدر الاخير نجد ان «زينون» كان قد أمر النحالين ان يرسلوا حميرهم الى «فيلاذلفيا» ليعملوا هناك مدة عشرة أيام ، ولكنهم شكوا من انه قد حجزها لمدة ثمانية عشر يوما وأنه ليس لديهم حمير لاعادة نقل خلاياهم من المراعى . وان مؤجرى الأطيان يندرونهم بأنهم سيطلقون الماء ويحرقون الحشيش ، وعلى ذلك فانه ان لم تأت الحمير فى الحال لنقل الخلايا فان خلايا

(١) راجع Fr. Heichelheim, Wirtschaftliche Schwankung en der zeit von Alexander bis Augustus. P. 123, Cf. Calculs de W.L., Westermann, Zenon Papyri, Vol. I. P. 70 (ad. P. Col. Z. 21).

(٢) راجع W.L. Westermann Zenon Papyri, Vol. I. P. 67 (Introd. P. Col. Zen. 20.)

(٣) راجع C. Preaux E.R.P. 233 ff.; Les Grecs. P. 36. f:

(٤) راجع P. Mich. Zen. 29; P.C. Z 59467.

تحلهم ستتلف ومن ثم سيخسر الملك كثيرا من دخله . وقد وعدوا ان يعودوا بالحمير بمجرد قتل خلاياهم .

هذا وكانت خلايا النحل في معظم الاحيان ملكضيعة «ابوللونيوس» (١) أو ملك اغريق مهاجرين (٢) وكذلك ملك معابد P.C.Z. 59520 وكانت تؤجرها الى مصريين . ونجد من بين النحالين رجالا لهم مكانة في المجتمع مثال ذلك «تيوس» (Teos) الذي جاء ذكره في بردية (٣) ، فقد كان يكتب الى «زينون» كأنه في مستواه ، ولكن لدينا كذلك امرأة تدعى «سنخسو» وهي أرملة فقيرة (٤) وقد كتبت الى زينون تشكو اليه «نيكاس» الذي أخذ منها أتاقتها الرحيدة وقد رجت «زينون» في ان يعيد اليها أتاقتها وقد وعدته مقابل ذلك أن تهديه وليد هذه الاثان .

وكان مربو النحل يثنون تحت أعباء عدة ضرائب (PSI 510) وكانوا تابعين للملاك من اغريق وكانوا يتصادمون بعقبات أحيانا لم يكونوا هم المسئولين عنها على ما يظن (٥) حيث نجد ان النحالين كانوا يملكون ألف خلية نحل أجروا بعضها لأهالي مختلفين في «اهناسية المدينة» وبعضها الآخر في مقاطعة «منف» . وقد نقلت الخلايا الأخيرة الى مقاطعة اهناسبا المدينة دون اذن منهم وعلى ذلك نجد ان «أمونيوس» السكرتير المالي سجن حراس النحل وبذلك أحدث ضررا كبيرا بالخلايا ، وان كان فيما بعد قد اطلق سراحهم .

الجمعة :

وكان المصريون الأكثر اقداما يشتغلون في صناعة الجمعة فكانوا يشترون

P.C Z. 59467, 59516

P.C.Z. 59368

P.C.Z. 59516.

P. Mich. Z. 29

P.C.Z. 59368.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

(٥) راجع

رخصا لبيعها ولما كانت طلبات الادارة من حيث الضرائب تكاد تكون اكثر مما يجب ، فقد أدى ذلك الى أن أصحاب الحانات كانوا يتقضون تمهدياتهم مع الادارة مما كان يؤدي الى متاعب كثيرة كانت تنتهى بالسجن (١) . وقد تحدثنا عن ذلك من قبل في مكانه .

وهناك من كان يؤجر الحمامات (٢) . وكذلك كان يجد مؤجرو الحمامات متاعب عدة (٣) . فقد شكوا «انارويس» (Inaroyss) من انه لا يمكنه ان يدفع ايجار الحمام . وقد كتب كذلك صاحب حمام يدعى «باثيوفيس» (Pathiophis) (٤) الى «زينون» يتضرع اليه في رسالة مؤثرة أن يطلق سراح زوجه المسجونة التى ينفطر قلبها شفقة ورحمة على أولادها كما أنه هو نفسه أصبح غير قادر على مواولة عمله ويسأله أن تأخذه الشفقة بهم هذه المرة واذا وجد انهما يأتیان مثل هذا الذنب مرة اخرى فانهما لن يسألانه الرحمة . والمفهوم من هذه الرسالة أن مؤجر الحمام وزوجه لا بد كانا قد أتيا مخالفة نكراء (٥) .

ونقرأ في بردية أخرى حالة مؤجر حمام آخر : وذلك ان «بايس» قد سجن كذلك بسبب حمامه وانه حتى بعد خروجه من السجن كان يعاني مصاعب مع السكرتير المالى ، وفضلا عن ذلك لم يكن فى حمامه ماء للمستحمين . ونصادف فى سجلات زينون أحيانا ذكر مصريين يمارسون تجارات صغيرة (٦) . وكانوا كذلك يمانون الم الفقر . ففى متن (٧) . نجد ان

P.C.Z. 59202, 59204, 59297, 59403; P. Mich. Z. 36;

(١) راجع

W.L. Westermann Zenon Papyri, Vol. I, P. 83 ff.

P.C.Z. 59453; PSI 355; P. Col. Zen. 57, 103; SB. 6800.

P.C.Z. 59453.

SB. 6800.

P.C.Z. 59482.

P.C.Z. 59490, Ibid. 59499 1.96; 59795 1.10; 59297,

59450, 59470, 59567 1.16; 59736, 59261 1.5.

PSI. 402

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

(٥) راجع

(٦) راجع

(٧) راجع

«حارتوتس» وهو تاجر «فول مدس» يطلب بكل خضوع تخفيض الضرائب المطلوبة منه ، كما كتب «ياسون» الى «زينون» عن صاحب حانوت من أهالي «تانيس»^(١) يستعطفه من أجله .

مهندسوالممارقوالعمال لما كانت قرية « فيلادلفيا » وكل ضيعة «أبولونيوس» تعتبر مؤسسة حديدة فلن يكون من المدهش أن يصل البنا من وثائق سجلات زينون صدى هذا النشاط الكبير في اقامة المباني في الفيوم خلال حكم بطليموس الثاني . فتحدثنا الوثائق عن مهندسى عمارة من الاغريق يديرون عدة أعمال هناك . وسرى في هذه الوثائق اسماء معروفة لنا تماما مثل «كليون» (Kleon) و «تيودوروس»^(٢) .

هذا وجاء ذكر اغريقى آخر يدعى «هيديلوس» (Hedyllos) كان يلاحظ بناء المدينة^(٣) .

وكان تحت ادارة هؤلاء مهندسو عمارة من المصريين أو كانوا حتى يشتغلون مستقلين عنهم مثل «كوموايس» (Komoapis)^(٤) وسلفه^(٥) «بتخنس» P.C.Z. 59172 وكذلك اثنان من مرءوسى زينون وهما «حوروس» و «بتوزريس»^(٦) .

وكان يعمل مع هؤلاء جم غفير من العمال الذين كانوا يقطعون الاحجار ويهذبونها من المصريين . وكانت ادارة الضيعة تيسلهم الآلات المصنوعة من

P.C.Z. 59450.

P.C.Z. 59499, 11.43 & 74, P. Col.

Zen. 104 1.1 (?); P. Lond.

Inv. 2311/ (?); Rostov L.E. P. 176 f; P. Petrie III 13, 5; 13,

11; P.C.Z. 59620 1.2 (Cf. Petrie III 43); P. Lond. Inv, 2089.

P.C.Z. 59302, 59531, 59666 1.5: 59762 1.5

P.C.Z. 59109

P.C.Z. 59291; 59176 1.80, 59592. P. Mich. Zen. 37;

P. Col. Zen. 36; Wester - Zen. 37, P. Zenon Papyri, Vol. I, P. 88.

(Introd. P. Col. Zen. 36.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

(٥) راجع

الحديد وتدفع مرتباتهم وتقدم لهم جراياتهم من القمح والجمعة (١) . وتقرأ في متن P.C.Z. 59499, 11, 26-43. ذكر مخالفات ارتكبتها نحات أحجار، وفي متن آخر (Ibid. 59664) تقرأ أن عاملا قد اتهم بأنه تسلم نقودا ولم يؤد مقابلها عملا . هذا ويحتمل ضاربو الطوب مكانة حقيرة بين كل أصحاب المهن ولا يتقاضون الا أجرا ضئيلا جدا حتى بالنسبة للعامل المصرى . والواقع أن مرتب الواحد منهم لم يصل الى نصف «أوبول» يوميا في حين أن متوسط أجر العامل الذى ليس له مؤهل هو «ابولا» واحدا يوميا ، كما نجد ذلك المذكورا في سجلات «زينون» (٢) .

وكان لا بد ان يحلف ضاربو الطوب اليمين على ان ينجزوا عملهم (٣) . الذى كان بوجه عام يعد من أعمال السخرة التى كانت تفرض على السكان المصريين (٤) .

وهناك مهنة أخرى كانت موقوفة بصورة عامة على المصريين وهى صناعة الفخار (٥) . ونحن نعرف الكثير من اسماء صناع الفخار . ويمكن ان نلاحظ بكل دقة علاقاتهم المتبادلة وموقفهم تجاه الادارة الاغريقية . والواقع أنه توجد فروق كبيرة بين أفرادها من حيث المركز . فنجد من بينهم صناعا مستقلين واثقين من مكاتهم المتأازة مثال ذلك « بتيكاميس » (Pettykamis) (٦) . الذى سمح لنفسه ان يفرض شروطه على «زينون» .

فقد كتب «بتيكاميس» «لزينون» يقول له : انه يعرف بالتجارب اذا كان يعتقد فيه انه رجل قدير فى عمله أم لا ، وانه اذا كان يريد استخدامه فانه

Preaux Les Grecs, P. 40, nn. 7, 8, 9.

(١) راجع

Heilchelheim Wirtschaftliche Schwankungen der zeit von Alexander bis Augustus, P. 123.

(٢) راجع

PSI. 1002; P.C.Z. 59133.

(٣) راجع

P.C.Z. 59230, 59451; P. Vierick Philadelphaia; C. Preaux Les Grecs. P. 40 ff.

(٤) راجع

W. Peremans V.E.P. P. 121

(٥) راجع

P.C.Z. 59500 83.

(٦) راجع

لا بد له من مساعدين يكونون قادرين على العمل معه . وقد اقترح مساعدا
اضافيا له يدعى باسيس (Paesis) وأولاده معه وذلك لانه يعتقد في
قدرتهم وأنهم على علم تام بالتربة . ولا بد أن يبدءوا في شهر توت حتى يتم
العمل في زمن مناسب وتكون نتيجته مفيدة . ثم يختم رسالته بطلب رؤية المكان
الذى سيعمل فيه . هذا ولدينا صانع فخار آخر يدعى «نيسيس» (Neesis)
وأحيانا يدعى «نيس» (Nees) يملك مصنع فخار في اهناسيا المدينة، ولكن في الوقت
نفسه كان يدير اعمالا في «فيلادلفيا» . وقد كتب الى زينون (١) انه سافر
الى اهناسيا ليدفع أجور العمال ، وكذلك أرسل الى فيلادلفيا أربعة مساعدين
وستة عمال . وأخيرا نجده يشكو من انه لم يتسلم الا ستين درخمة ، وذلك
على الرغم من ان «زينون» قد أمر «بتوباستس» أن يعطيه مائة درخمة
وعلى ذلك فانه ترك هذا المبلغ في «اهناسيا المدينة» حتى لا يتوقف العمل في
المصنع . هذا ويبدل عدد الرجال الذين ارسلوا الى فيلادلفيا وكذلك مبلغ
المائة والستين درخمة هذا ، بالاضافة الى أن «نيسيس» كان له مصالح في
المدينتين السابقتين ، على انه كان صانعا ميسور الحال نسيا (٢)
ولا بد أن هذه كانت كذلك حال «حوروس» النقراشي الذي كما نعلم (٣)
قد تعهد بتوريد كل الفخار اللازم للمركز لمدة سنة . ويتلخص هذا الموضوع
في ان «دماس» (Demeas) أحد اصدقاء «زينون» قد جعل نفسه ضامنا
لصانع الفخار «حوروس» الذي تعهد بتوريد الفخار خلال السنة الرابعة من
حكم الملك ايرجيتيس للمركز الذي كان ذات يوم يؤلف ضيعة «أبولونيوس»
ولما اخفق «حوروس» في الوفاء بما جاء في العقد أصبح «دماس» مسئولاً

(P. Col. Z. 52.

P.C.Z. 59271, 59427, 59471, 59742 11.8 & 26.

P.C.Z. 59366

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

عن دفع العجز الى بيون (Bion) وقد كان العجز ٢٧٠٠ جرة وقيمتها ٢٧٠ درخمة (هذا المتن يشير الى حكم الملك بطليموس الثالث) ومن الممكن ان نفرض ان «بائيس» الذى كان يشتغل وحده مع أولاده وهو الذى طلب اليه بتيكاميس (P.C.Z. 59500) ليكون مساعده يعتبر من طبقة أقل بين صناع القحار . ولكن هؤلاء هم الصناع الميسورون الذين نصادفهم فى كل المتون تقريبا . وليس فى ذلك ما يدعو الى الدهشة فهم الذين يكثر القول والذين يشكون كثيرا من زملائهم ونحن لا زلنا نشعر فى أيامنا بهذا الجو الملىء بالمنافسة والحسد الذى كان لا بد أن يسود فى المصانع (١) .

هذا ونصادف كذلك اصحاب حرف آخرين فى سجلات «زينون» ولكن بقله ، ويمكن ان يفرض الانسان انهم كانوا فى معظم الاحيان يعملون بمرتبات فى ضيعة «أبولونيوس» ، غير أننا لا نعلم عنهم شيئا على وجه التأكيد . وعلى ذلك سنكتفى هنا بالاشارة الى بعضهم فنجد من بينهم أموتس الصباغ (٢) وحوروس سائق العربة P.C.Z. 59176, 1, 352 ونختيوس النخال ، والخباز بتارموتيس P.C.Z. 59206 وتارس وصانع السجاجيد وصانع الحبال والتجار والنساج والمبيض الخ .. (٣) .

ولدينا مجموعة أخرى من أصحاب الحرف وبخاصة حرفة صيد السمك . فنقرأ فى بردية (٤) عن جماعة من صيادى السمك يظهر انهم كانوا ملاك قارب صيد ، وكانوا مشغولين بالصيد ويؤجرون انفسهم فى ضيعة «أبولونيوس» .

والواقع أن المصريين كانوا بوجه عام متعودين على الماء ، هذا اذا كنا

P.C.Z. 59481; PSI 420.

(١) راجع

P.C.Z. 59481, PSI 420.

(٢) راجع

P.C.Z. 59326 bis 1.22

(٣) راجع The journal of Juristic Papyrology, Vol. VII-VIII (1953-54)

P. 244.

P. Col. Zen. 71.

(٤) راجع

فهم بهذه العبارة النيل وترعه أما البحر فكان على الأرجح غريبا عليهم ، وهذه الحالة ينعكس ضوؤها في الأوراق البردية حيث نجد جما غفيرا من قواد السفن على النهر ، ولكن عندما يكون الموضوع خاصا بالملاحة البحرية فانهم كانوا مجرد بحارة معتادين فلا تحدث أحد عنهم (١) . وكان ضباط السفن في أغلب الاحيان يتقاضون مرتبات من «ابولونيوس» أو من «زينون» الذي كان يقود سفن الوزير وكان هناك ضباط آخرون مشغولون على ما يظهر بالأجر عند زينون هم وسفنتهم (٢) ووظيفة ربان السفينة كانت تحتاج الى رجال أذكاء يوثق فيهم ، اذ لم يكن يوكل اليهم أمر قيادة السفينة وحسب بل كذلك قيادة البحارة الذين يكونون تحت أمرتهم ، وعلى ذلك فانه ليس من المدهش ان نجدهم قد ذكروا في العقود بدرجة ملحوظة بوصفهم ضامين (٣) .

وهذه المسؤولية كانت توضع أحيانا قواد السفن في مراكز حرجة مثال ذلك ما حدث لرجل يدعى «فامونيس» (Phamounis) الذي شكى في رسالة بعث بها الى «زينون» (٤) فيقول له فيها أنه كان مضطرا لبيع قميصه ليدفع أجور العمال ، وذلك لأنه لم يكن قد تسلم النقود التي كان معروضا ان يرسلها اليه «زينون» . ومن الجائز ان المقصود هنا بالعمال هم الذين كانوا يشتغلون في بناء القوارب واصلاحها ، وهم الذين لم يكونوا على ما يظهر يتمتعون بسمعة حسنة (P.C.Z. 59270)

ومما يطيب ذكره هنا ان كل الحرف التي ذكرناها فيما سبق كان أصحابها تحت ادارة «زينون» أى مستخدمين عند «أبولونيوس» . ومن

Rostov. H.W. P. 262.

P.C.Z. 59449, 59649; C. Preaux Les Grecs, P. 47.

P.C.Z. 59172, 59745, 1.55, etc.

(P. Col. Z. 44.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

الجائز ان هذه كانت الحالة العامة فيما يخص المصريين الذين جاء ذكرهم في سجلات «زينون» . وعلى أية حال فانه من الصعب جدا في أحوال كثيرة بل من المستحيل ان تقرر هنا بصورة قاطعة اذا كان الفرد المعنى تابعا «لزينون» أو انه كان مجرد مزارع أو صانع . ومما لا ريب فيه ان الموقف يصبح أكثر تعقيدا عندما نريد ان نحدد بصورة قاطعة لا لبس فيها ولا ابهام العلاقات التى كانت بين بعض المؤاجرن وأصحاب الضيعة، أو اذا كانت هذه العلاقات لا تشمل في بعض الحالات التزامات أخرى خلافا لدفع الأجر . هذا ولدنيا عقبة أخرى وهى انه على الرغم من بحوث عدة علماء (١) ، فانه ليس في استطاعتنا ان نحدد بصورة جلية الموقف الرسمى الذى كان يقفه «زينون» من بلدة «فيلادلفيا» ، ومن ثم أصبح من المستحيل أحيانا ان تقرر بصورة قاطعة العلاقات التى كانت بين بعض المصريين وبين زينون . ومع ذلك فانه يمكن ان تفرق بين بعض طوائف العمال والموظفين في ضيعة «ابولونيوس» التى كان يديرها زينون : أولا يجب ان يلحظ وجود طائفة الفلاحين الكادحين وهم الذين كانوا يزرعون اقطاعاتهم الصغيرة من الأرض في ضيعة «ابولونيوس» ، وقد كانوا في الوقت نفسه مرءوسين وعملاء مزارعين «لزينون» على ما يظهر . ونذكر منهم «أموليس» أو اميليس (Amyles or Amoles) و «لابوس» أو ليوبس (Labos or Labois) و «أونوفريس» وابنه «حوروس» وبائس (٢) .

البستانيون

ويطيب لنا أن نذكر هنا على حدة العمال المصريين الذين كانوا يعملون في الحدائق والكروم في «فيلادلفيا» . ومما يلفت النظر ان الوظائف الهامة

هنا كان يشغلها أجنب فقد كانت الحاجة ماسة للاخصائين الذين لم يكن في
الاستطاعة الحصول عليهم من بين المواطنين المصريين (١) . فمن هؤلاء
البستانيون « ستوتوتيس » (Stotoetis) « نختوزيس » (Nechthosiris)
و « بتموتيس » (Potimouthes) الذي كان يشتغل
مع أولاده و « بتوريس » و « أنوفريس » ابن اقيوس (Ephtheus)
وهم الذين كان يطلق عليهم رراع كروم ، وأخيرا بايس (Paies)
الذي يحمل لقب رئيس البستانين . (P. Mich. Z. 45, 11, 21-22).
هذا وكان يشتغل في زراعة الكروم : أرانوس وعدد وفير من المصريين (٢).
وهناك مصريون آخرون من عمال « زيفون » كانوا يشتغلون بالمشاركة
ونذكر من بين هؤلاء أولا أمورتايس أو «امورتايوس» (Amortais)
الذي كان يعمل بالشرك في قطمان ماعز ويعتنى بتكاثرها ،
ونذكر كذلك «فامونيس» (Phamounis) الذي كان على ما يظهر
يشارك في تربية عجول وما أشبه اليوم بالبارحة (٣) ومع ذلك فانه كما سبق
ذكره كانت وظائف المديرين والمشرفين على الشرك يشغلها اغريق في معظم
الأحيان .

وقد ذكرنا عند التحدث عن أعمال البناء العامة التي قامت في « فيلادلفيا »
اسمى « بتوزريس » و « حوروس »؟ ويجب أن نعيد الكرة للتحدث عنها هنا
فقد كان « حوروس » على ما يظهر يدير أعمالا من قبل الضيعة ، وقد وقع

Peremans, V.E. P. 21.

The Journal of Juristic Papyrology, ibid. P. 248.

(١) راجع
(٢) راجع
(٣) لا تزال طريقة المشاركة في الاطيان وفي الحيوان سائدة في كل أنحاء القطر حتى يومنا هذا
P.C.Z. 59328, 59429, 59771 11.14; P.C.Z 59744

1.15, 59787 1.32; PSI 361, 368 1.15; P. Mich. Zen. 119 1.25.

خلاف بينه وبين المهندس الاغريقى «هديلوس» (Hedylus) بسبب ذلك (١). اما «بتزيريس» فكان فى أغلب الاحيان يقوم بأمر صرف مرتبات ضاربى الطوب وغيرهم من العمال الذين يقومون بنصيب فى هذه الأعمال. وفى متون أخرى نجد وكلاء لزينون مثل «بكيزيس» (Pekysis) و «سارانيس» (Saranis) وسيسنوكوس (Sisenkos) وهؤلاء لم يكن من المستطاع الوقوف على حقيقة وظائفهم من المتون التى جاء ذكرهم فيها (٢). هذا ولا نجد الا اغريقيا فى خدمة «ابوللونىوس» الشخصية وفى حاشية «زينون» المقربة اليه جدا والظاهر ان البائس «يتاكوس» الزمار (٣) الذى كان تتضرع لزينون ليطلق سراحه كان يعد أمرا شاذا على ما يظهر ، أو فى هذه الحالة هل نفهم أن هذا الرجل كان من الطبقة السفلى من خدام «زينون» وهى الطبقة التى لا يظهر مشلوها فى المتون التى نتحدث عنها ؟ والواقع أنه فى كل طبقة من مرءوسى «زينون» نجد اغريقين ومصريين جنباً لجنب، ولكن يلحظ أن الاغريق كانوا دائماً يشغلون أعلى الوظائف من بين أتباعه . وما يجب التنويه عنه هنا أن العمال الذين كانوا يعملون فى صيعة «أبوللونىوس» كانوا يتقاضون مرتبا اضافيا بمثابة بدل ملابس، وكان هذا المرتب يصل أحيانا الى أربعة عشر درخمة سنويا . وكان مجموع المرتب وفريضة القمح يختلفان على حسب مرتبة الموظف (٤) . غير أن هذا المرتب كان دائما على وجه التقريب يدفع متأخرا ، وقد كان ذلك هو الهم الدائم لكل أولئك

P.C.Z. 59531.

P.C.Z. 59218 1.16, 59315, 59316, PSI. 387 (?) 857.

PSI. 416.

Westermann Zen. Papyri, Vol. I, P. 80 (ad. P. Col.

Zen. 31).

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

العمال (١)

وكان بعض الموظفين في الضيقة يمنحون كذلك مساكن على حساب الادارة (٢) وفي بعض الحالات كان مرءوسو «زينون» يشغلون أعمال موظف الحكومة على ما يظهر ، وليس في هذا ما يدعو الى الدهشة اذا فكر الانسان في الدور والمكانة اللذان كان يشغلهما «زينون» في «فيلادلفيا» .

والموظفون المصريون الذين نصادفهم في أوراق سجلات زينون ليسوا كثيرين ؛ ونعرف من بينهم أربعة (٣) .

أما أحوال معيشة الموظف المصري فكانت دون شك متنوعة جدا ، فكان الكثير منهم يعملون مزارعين للملك أو عمالا في ضيعة «ابروليونوس» بوصفهم من مستخدمي «زينون» . وعلى الرغم من ذلك فقد كان البؤس حليفا لهم كما نشاهد ذلك في احدى الوثائق (٤) ، وذلك أنه من الصعب أن تتصور عمدة قرية لا يتورع عن سرقة خنزير الا اذا كان في حاجة ملحة من الفقر اللاذع دفعته الى ارتكاب مثل هذه الجريمة .

رجال الشرطة:

يوجد في الصنف السفلى من رجال الشرطة أعراب جنباً لجنب مع المصريين (٥) ، وهم الذين يقابلهم في أيامنا الخفراء وكانوا يعرفون باسم حملة العصي . وهؤلاء كانوا يعاملون باحتقار حتى من العبيد (٦) . ومن بين رجال الشرطة المصريين نذكر «حوروس» وكان يعمل في «فيلادلفيا»

(١) راجع P.C.Z. 59489; PSI 421, 488, 611, 638; P. Mich. Zen. 89.

(٢) راجع Westermann Ibid. Vol. II, P. 42, (introd. to P. Col. Zen. 75.

(٣) راجع The Journal of Juristic Papyrology, Ibid. P. 249.

(٤) راجع P.C.Z. 59379.

(٥) راجع P.C.Z. 59230, 59296, 59745.

(٦) راجع P.C.Z. 59080

في السنة السابعة من عهد « ايرجيتيس » بوصفه حارسا و « باتيس » (Patis) والظاهر أنه كان يشغل هذه الوظيفة قبل هذا التاريخ بخمسة عشر عاما (١). هذا ونعرف كذلك اسمى اثنين من القواد المحليين وهما «حوروس» وهو مواطن «فيومي» والآخر هو «حاريتريس» ويصادفنا في هذا الصدد متن غاية في الأهمية (٢) نقرأ فيه أن رجال الشرطة حراس السدود كانوا يهددون «زينون» بالتخلي عن العمل إذا لم يدفع لهم مرتباتهم، ومن جهة أخرى نقرأ عن مخالفات ارتكبتها موظفون نظاميون (٣). فقد شكى «باتيس» (Patymis) لزينون أنه حبس ظلما على يد «باتيس» ويحتمل أنه شرطى، وقد ذكر في شكواه الجاني الحقيقي فيقول ان «باتيس» قد حماهم لأنه اقتسم معهم الفدية. ولكن في هذه الحالة تتعذر معرفة المذنب الحقيقي كما يحدث في أحوال كثيرة.

وكان جنود ماشيموى (٤) الذين نجدهم مذكورين في سجلات زينون يقومون أحيانا بوظيفة الشرطى (P. Lille 58) فنعرف أنهم كانوا يتسلمون القمح والشوفان. وفي بردية من « الحية » (٥) يظهر أن طائفة هؤلاء الجنود كانوا يؤلقون فرقة كانت الادارة تستعملهم في زمن الحصاد ولكن في الواقع نجد أن الحديث في أغلب الأحيان يكون عن جنود الماشيموى على افراد. والواقع أن لدينا مثنين معروفين تماما (٦). وهما يقصان علينا قصة فرد يدعى «باريس» كان يسعى في الخلاص من التجنيد

P.C.Z. 59172, 1.23, 59491.

PSI 42

P.C.Z. 59491.

٤٩١ - ٤٨٢ ص

P. Hib. 44.

P. Mich. Z. 82. P.C.Z. 59590

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

والجزء ١٢ ص ٣٩٦ - ٢٩٧ .

(٥) راجع

(٦) راجع

وقد ساعده في محاولته هذه موظف اغريقى . وتدل الظواهر على أن مركز هذا الصنف من الجنود لم يكن مريحا في تلك الفترة، وذلك على الرغم من أن بعضهم كان له ملكيات صغيرة مثال ذلك «سوكوس» (Sokeus) ابن «فخايس» (Nechauis) (١) . فقد كان يملك بيتا في قرية «أوريس» (Aueris) (٢) .

الكهنة

كان الكهنة كما هو معروف يؤلفون طائفة منفصلة في المجتمع المصرى وقرأ عنهم كثيرا في سجلات «زينون» ، غير أننا لا نجد مذكورا فيها الا الكهنة الذين من الطبقة الدنيا وذلك باستثناء رئيس الكهنة «بتوزيرس» الذى جاء ذكره في متن واحد (٣) . والواقع أننا لا نعرف شيئا عنه الا رسالة أرسلها له «زينون» . أما عن كهنة الطبقة الدنيا في سجلات زينون فنقرأ مثلا أن «زينون» كتب لموظف آخر عن كاهن الآلهة «توريس» صاحبة «فيلادلفيا» وكان يستحق مرتبا قدره اثني عشر درخمة في السنة من كاهن «توريس» في مكان آخر لم يعين (٤) . وفي وثيقة أخرى (PSI. 539) قرأ أن فيمناس (Phemennas) كاهن الآلهة «سرايس» والآلهة «ازيس» يطلب مساعدة «زينون» ليعفيه من امتيلاء ظالم على نبيذه ، وكذلك قرأ في وثيقة أخرى (٥) عن موضوع خاص بكاهن الآلهة هركيل

P. Rylands 563

(١) راجع

(٢) راجع عن هذا الصنف من الجنود في عهد البطالة الاول

PSI. 642.

Wilcken Grudzige, P. 382.

(٣) راجع

P.C.Z. 59308

(٤) راجع

P. Hamb. 117

(٥) راجع

يسمى «تأس» (Taes) (١) . ثم نجد بعد ذلك جمهرة من الكهنة العاديين
خدام المعابد من مربى القطط وصغار الكهنة (٢)

ومما هو جدير بالذكر أن المتون الخاصة بالكهنة في سجلات زينون
تشير فقط الى الطبقة الدنيا من الكهنة المصريين ، ومن ثم لا يمكننا
أن نضع صورة كاملة عن مستوى معيشة الكاهن هنا . والواقع أنه كانت
توجد فروق هائلة ، ولكن وثائق سجلات زينون لا تحدثنا الا قليلا في هذا
الصدد . وعلى أية حال نجد فيها نداء لكرم زينون الذى طلب اليه التدخل
لصالح معبد الآلهة «عشتارت» ربة «منف» (٣) . هذا ونعلم من وثيقة
أخرى (٤) أن كاهنا يدعى «حوروس» قد تسلم من «أبولونيوس» قطعة
أرض مساحتها خمسة أرورات ، وفي أخرى (P. Hamb. 117) تقرأ أن
«تاس» كاهن «هركيل» تسلم جراية من القمح . ومما يؤسف له اننا لانجد
شيئا يذكر عن موضوع الدخل العادى للكهنة في سجلات «زينون» ، الا
ما جاء في وثيقة واحدة (P. Mich. Z. 9) حيث تقرأ أن مواطنا من بلدة
زيفيريون (Zephyrion) القريبة من «الاسكندرية» ويدعى
«اسكليادس» (Iades) (Asklep) قد اشترى وظيفة كاهن (خادم الاله)

بمبلغ خمسمائة درخمة في معبد «منيلايس» (Menelais) . وتحدثنا
بردية (٥) عن كاهن كان يبيع خشب الجميز الذى كان يؤتى به الى المعبد.
والظاهر أن علاقات «زينون» مع الكهنة المصريين وبخاصة كهنة الطبقة

(١) راجع عن موضوع الآلهة المصريين الذين تسموا بأسماء اغريقية
W. Otto, *Priester und Tempel im hellenistischen Aegypten*,
Vol. II. P. 167 ff; C. Preaux *Les Grecs*, P. 7 ff.
U. Wilcken *Grundzige*, P. 107 ff.

P.C.Z. 59270.

P. Col. Zen. 107.

P. Mich. Z. 31 (1.8)

P. Rylands. 569

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

(٥) راجع

«باتيميس» (Patymis) وهى التى كانت ملك «ازيس» و«أوزير» الدنيا كانت مريحة له فنعلم من وثيقة (١) . أن البقرات التى كان يملكها اسما قد استغلها فى الواقع «زينون» ، ولا غرابة فقد ساعد فى مقابل ذلك «باتيميس» فعلا عندما كان فى ضائقة . هذا وتجد فى نفس هذه الوثيقة السالفة الذكر أن «باتيميس» قد استعان من جديد «بزينون» طالبا المساعدة وقد وعده فى مقابل ذلك أن يهديه بقرة ان هو لم يتخل عن مساعدته .

وإذا كان «باتيميس» على الرغم من ذلك قد حبس، فإن «فيمناس» كاهن «سيراپيس» و «ازيس» قد تظلم كما سبق ذكره من مصاعب مالية ، وذلك لأن موظفا غيورا قد صادر نبيذه ومع ذلك فانه لم يسب له اية مضايقة مع أى انسان ، بل كان فى مقدوره أن يقدم القربان فى سلام لصحة الملك. هذا وكانت مخالفات موظف آخر موضع شكوى وجهت الى «زينون» من كهنة مربي القطط فى «بوسطة» (٢) . فقد شكوا من انهم يسخرون فى الحصاد ، وان الموظف الاغريقى يحمى ضرابى الطوب الاخصائين وذلك فى مقابل منفعة شخصية له ، ومن ثم نرى أن حالة صغار الكهنة لم تكن تختلف كثيرا عن حالة السواد الأعظم من السكان المصريين (٣) . وبوجه عام نلاحظ أن المصريين الذين نصادفهم فى سجلات «زينون» كانوا اما تابعين للإدارة الاغريقية للبلاد أو تابعين لإدارة الضيعة . ولم تكن هذه التبعية تفسر فقط رسميا بدفع ما يجب دفعه من ضرائب ، وسخرة وجمع المأكولات لصالح الملك وموظفيه ، وذلك بحجة أن كل المصريين كانوا مزارعين ملكيين ومن دافعى الضرائب ومن الذين تحت سيطرة الدخل الملكى .

P.C.Z. 59270.

P.C.Z. 59451.

W. Otto, *Priester und Tempel im hellenischen Aegypten*,
Vol. I. P. 7 ff;

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

ولكن كانت هناك فضلا عن ذلك تبعية اقتصادية لأولئك الذين كانوا من بينهم من يشتغلون لحسابهم الخاص على ما يظهر ، ويكفى أن نذكر هنا على منبيل المثال حالة مربى الخنازير والماعز في «فيلادلفيا» . فالواقع أن الاغريقى هو الذى كان يدفع المرتب والذى يسلف النقود أو الغلال لهؤلاء الانسان مصريين من أصحاب الملكيات الصغيرة فانه من المحتمل أنهم كانوا فى الوقت نفسه من فلاحي الملك أو كانوا بصورة أخرى تابعين للإدارة الاغريقية ، ومن المحتمل أن هذه أميز ظاهرة لهذا المجتمع المصرى كما تفهمه من بين سطور سجلات «زينون» ، وذلك لأننا لو وجدنا اغريقيا فى مثل هذا الوضع فانه يوجد الكثير من بينهم من هم من الوجهة الاقتصادية مستقلين. ويمكن أن نضع موازنة بين أحوال الحياة اليومية التى كان يعيشها الاغريق والتى كان يحياها المصرى فنجد بعد الدرس أن العامل الزراعى كان يتقاضى مرتبا قدره خمسة درخمت شهريا وأردبا واحدا من القمح ، وقد كان هذا هو المعدل العادى . وهذا المرتب يمكن أن يضمن تعيينا من القمح لسته أشخاص على الأقل وهذا قليل جدا . وعلى العكس من ذلك نجد الجندى المرتزق صاحب الاقطاع من الأرض الذى كانت تبلغ مساحة اقطاعه مائة أروور فقد كان عند تأجير اقطاعه يحصل منه على أربعة أو خمسة أراذب كل عام وهذا ما يعادل ما بين أربعمائة وخسماية درخمة وهذا ما يكفى لمعيشة ثلاثين شخصا على الأقل ، وبموازنة هاتين الحالتين يمكننا تقدير قوة الاغريق الذين منحوا اقطاعات من الأرض كما يمكننا من أن نقيس الفرق الذى يفصل فى الأرياف بين المصريين المعوزين وبين الاغريق الأغنياء أصحاب الاقطاع (١) . وهذا الفرق هو الظاهرة الثانية المميزة للمجتمع المصرى . وهاتان الظاهرتان اللتان يقسم بهما المجتمع المصرى

الأصل يمكن أن تفهمهما مما جاء في وثيقة من سجلات زينون محفوظة الآن في مشيجان (١) وهى موجهة الى «زينون» على ما يظن .

والواقع أنه عند تحليل وثائق سجلات «زينون» نرى من جهة أن السواد الأعظم من الشعب كان فقيرا ويتألم من شدة القاعة ، والأغلبية منهم كانوا مصريين ؛ ومن جهة أخرى نجد أن الموظفين والجنود المرتزقة ورجال البلاط والأفراد الاحرار أصحاب المشاريع الثابرين كانوا يجمعون الثراء بسرعة وكلهم على وجه التقريب من الاغريق . وحتى في وسط الطبقة المتوسطة التى نهدفها خليطاً من القوميات نلاحظ أن الاغريق بوجه عام هم الأكثر ثروة والأكثر استقلالاً . وعلى ذلك يمكن أن نوازن بين الاغريق والمصري لا من حيث القوميات المختلفة وحسب بل كذلك - وهذا على ما يحتمل بحق - من حيث الفنى والفقر ، بل وأفضل من ذلك من حيث الضعف والقوة ومع ذلك

وهذا تقييد لا بد ان نضعه نصب أعيننا - اذا كان الاغريق بوجه عام هم الأكثر ثراء من المصريين ، واذا كانت حالتهم في معظم الأحوال أحسن ، فاننا مع ذلك نصادف أحيانا من منهم في أسفل درك من السلم الاجتماعى . واليك مثال لذلك ففى وثيقة (P.C.Z. 59477) تقرأ أن «نيكولاس» رجا « زينون » أن يقرضه أربعة عشر درخمة حتى لا يصبح خاوى الوقاض بادرى الاتقاص وفى وثيقة أخرى (٢) . تقرأ أن « نيكياس » الذى يحتمل أن يكون مواطنا من نفس بلدة «زينون» قد استحلقه بصحة والده وابنه الصغير «أفارموسستوس» (Epharmostos) أن يمد اليه يد المساعدة . ومن هذه الوثيقة مهشم ، غير أن نهايته تعبر تعبيرا صادقا عن حالة الرجل اذ يقول سيؤل أمرى الى الدمار لأنى أصبحت عاريا كالهارب وكذلك تقرأ أن فردا يدعى « بيرون » (PSI. 418) قد تضرع

P. Mich. Zen. 90.

P.C.Z. 59474

(١) راجع

(٢) راجع

« زينون » في ان يخلع عليه عباءة قديمة او اذا كان يرى ان العبادة عالية أكثر من اللازم فليعطه شيئا آخر أقل قيمة . ولدينا رسالة كتبها « نيكون » راجع (١) أرسلها الى « زينون » يطلب فيها مساعدة مالية لأنه أصبح معوزا فيقول اذا لم تتسلم شيئا منك فانا سنتضور جوعا . وعلى أية حال قديكون من الحزم الا نأخذ ما جاء في هذه الشكاوى حرفيا ، وذلك لأنه يشتم فيها رائحة المبالغة المفتعلة . ومع ذلك فان عدد هذه الشكاوى من كل صنف معبر بنفسه . ولدينا رسالة من « زويلوس » (٢) . كتبها الى « زينون » يخبره بمرض فرد يدعى « فيليسكوس » (Philiskos) وبمتاعبه وقد رجا « زينون » أن يرسل اليه تقودا . في رسالة أخرى من فرد يدعى مناسيستراتوس (Mnasistratos) وكان مريضا وقد كتب يطلب مساعده « زينون » (٣) . وكتب اليه رسام يدعى « تيفيلوس » (Ticuphilos) يرجوه في أن يحصل له على عمل واذا لم يتيسر ذلك فيعطيه شيئا ليعود الى الاسكندرية عند اخيه . والظاهر مما سبق انه يمكننا ان نحكم بان نعمة التراجى التى كان يكتبها الفقراء الاغريق كانت بوجه عام أقل حطة وتذلا من التى كان يكتبها المصريون . ومع ذلك نجد في هذه التضرعات كذلك أحيانا جملا تدل على منتهى الملل والذلة كما جاء في التظلم الذى أرسله « ديونيوسوس » الى « زينون » اذ نجده يرمى نفسه بين يدى رحمة « زينون » معتبرا اياه بانه مشيل «ابولونيوس» وقد اعلن انه مستعد لقبول حكمه ، وذلك بعد ان احتج على القبض عليه بسبب انه غش في الكيل على ما يظن وكانت حرفته كيا لا (٤) . ويقول في ذلك حرفيا : « انى أرجوك واتوسل اليك وأستحلفك باسم ألهة وطنك وبصحبة ابولونيوس الا تتغاضى عنى والا تعاملنى معاملة سيئة »

P.C.Z. 59160
P.C.Z. 59435
P. Col. Z. 10
P.C.Z. 59421.

(١) راجع
(٢) راجع
(٣) راجع
(٤) راجع

هذا وقد رأينا فيما سبق ان مرتبات المصريين الذين كانوا في خدمة «ابوللونيوس» كانت في معظم الاحيان يؤخر دفعها . وقد كانت هذه هي الحال كذلك مع الموظفين الاغريق . ولدينا شكايات عدة وتظلمات في هذا الصدد . ونقرأ غالبا رسائل خاصة بمخالفات ارتكبتها الادارة في حق السكان الاغريق^(١) . وكذلك نجد شكايات ضد رجال الشرطة^(٢) .

وكان الجزء الاعظم من الطبقة السفلى من المجتمع المصرى مؤلفا من المصريين القح ، اما الاغريق فكانوا نسيبا قلة . هذا ونجد كثيرا من العرب والسوريين واليهود والبدو أيضا^(٣) . والظاهر أننا نجد بوجه عام كانت حالة الرجل الفقير سواء أكان مصريا أم اغريقيا أم سوريا أم عربيا أم من أى قومية كانت تقريبا واحدة ، كما لاحظ ذلك «برمانز» بقوله ان الأعمال كانت تحتل الصدارة ، وفي معظم الحالات كانت القومية قليلة الأهمية^(٤) . وعلى أية حال فانه عندما يكون الموضوع خاصا بهذه الطبقة من الناس نجد ان الرجال الذين من قوميات مختلفة يمارسون أحيانا نفس المهنة ويشغلون سويا جنبا لجنب . ففى وثيقة^(٥) . نجد ان كلا من «فاريتيس» (Phareitis) و «ديونيوسوس» يدفع بالاشتراك مع رفيقه ايجار مؤسسة حمام ، وفى وثيقة أخرى^(٦) . يدور الموضوع حول سائسين لفرد يدعى «هيجزىلاوس» (Hegesilaos) احدهما يدعى «حوروس» والآخر يدعى «ابوللونيوس» وهما يعملان سويا والاول مصرى والآخر اغريقى . ولدينا وثيقة^(٧) ذكر فيها خمسة مساعدى محاجر ، وكلهم يحملون أسماء اغريقية الا واحد كان يحمل اسما مصريا وهو «حوروس» . وفى نفس الوثيقة جاء ذكر حوزيين

P.C.Z. 59322, 59343; USI. 301, 591.

P. Rylands 570

Peremans V.E. P. 86 ff.

Peremans V.E. P. 158.

P. Col. 2, 57.

PSI. 371 (1.11)

P.C.Z. 59176 (II. 114-115.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

(٥) راجع

(٦) راجع

(٧) راجع

وهما حوريس وأمينتاس ، وفي وثيقة أخرى (١) . نجد أن تيوفيلوس وبنوريس يشتغلان معا في بستان وفي بردية بالقاهرة (P.C.Z. 59752) فصادف فردا يدعى ديديماركوس يشتغل في كرم بجانب كل من ميزيس وحوروس ، وفي بردية أخرى بالقاهرة كذلك (٢) نجد صناع فخار يعملون معا وأسمائهم هي «بأسيس» وتفوريتيس و«هريسوس» وليزيماكوس .

والظاهر أنه لأجل أن يرسم الانسان صورة للمجتمع المصرى على حسب ما جاء فى سجلات زينون لنصل منها الى حياته الخاصة وكذلك للوصول الى مدى تأثيره بالاغريق المقدونيين وادارتهم فكان لا بد أحيانا من أن يحسب حساب المتون التى تتحدث عن غير المصريين .

الاسرة المصرية : لم تقدم لنا سجلات «زينون» الا معلومات قليلة من حياة الأسرة المصرية . ومع ذلك يمكن أن نذكر على الرغم من كل شئ بعض ملاحظات لها قيمتها

والواقع انه من السهل ان نلاحظ انه غالبا ما يكون افراد الاسرة يعملون معا ، ويمارس أفرادها حرفة واحدة وهذه الحرفة قد تنتقل فى حالات كثيرة من الاب للابن (٣) . ففى احدى الوثائق (٤) نقرأ عن قاطمى احجار وهما «حوروس» بن «بأسيس» (Pasis) و «بأسيس» بن «حوروس» ومن المحتمل اذن انهما الاب والابن، وفي وثيقة أخرى (٥) . نجد ان «بأسيس» (Pasis) صانع الفخار يشتغل مع ابنه وفي ثالثة (٦) . ونعرف أن «بانيس» (Panis) وابنه كانا يعملان فى كرم ويتسلمان تقودا . وتحدثنا وثيقة رابعة (٧) . عن بساتين

PSI. 366

J. Kaerst, Geschichte des Hellenistischen Zeitalters, B. II, 1, (P.C.Z. 59481.

Halfte.

(P.C.Z. 59745.

P.C.Z. 59500

P.C.Z. 59827.

P. Mich. Z. 45.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

(٥) راجع

(٦) راجع

(٧) راجع

وهم « بتموتيس » وأولاده الذين كانوا يشتغلون على ما يظن في حديقتهم حيث كانوا يقومون بعملهم ، فيها وكذلك نجد ان « بتوباستيس » الذى كان يطلب مرتبه (١) يشتغل مع أولاده فى تربية الحمام . وفى وثيقة أخرى نقرأ ان « حوروس » وأولاده قد أجروا خلايا نحل ، كما نجد ان الأرملة « تامويس » (Thamoys) تمارس نفس المهنة السابقة ومن المحتمل انها قد ورثتها عن زوجها هى وأولادها (٢). وأحيانا نجد أن اخوة يشتغلون سويا كما هى الحال مع « اتفوس » (Etpheus) وأخويه (٣) . وهم الذين نقرأ انهم كانوا يتعاقدون مع « زينون » فى موضوع عزق أرض وعمارتها . أو كما نشاهد فى وثيقة أخرى رجلا يدعى « نيمسيس » (Neemsis) وأخاه « سامويس » (Samoys) وهما من قرية « كرك » (Kerke) يتسلمان شعيرا (٤) . ونعلم من وثيقة أخرى (PSI. 422) ان الاسرات التى نشاهد فيها ان اعضاءها من الاب لابن يمارسون حرفة واحدة يمكن ان يوجد فى اعضاءها طموحا واعتزازا بوراثة حرفتهم . وقد كتب « بزتائس » (Psentaes) الى زينون فى هذا الصدد (٥) فيقول ليس هناك شخصا يميل أحسن منى وبسرعة مثلى فى مقاطعة « سايس » والذى هو أول رجل بين كل الناس هناك .

وكانت الأبناء تعتنى بشيخوخة آبائهم وهم الذين من جانبهم كانوا

C.Z. 59498.

PSI. 532.

P.C.Z. 59182

P.C.Z. 59292, 11. 382-3).

(1.30 * fall.)

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

(٥) راجع

يعتمدون على مساعدة أولادهم فنقرأ في متن^(١) شكوى «باورس» (Paosis) والد «حوروس» أحد موظفى «أبوللونيوس» أنه يعيد الى ذاكرة «زينون» ان ابنه عند سفره قد وكل أمره اليه ، وهو الآن يطلب الى « زينون » مساعدته . وعلى العكس من ذلك نقرأ فى وثيقة أخرى^(٢) ان امرأة عجوزا كانت تعمل وكيلة فى محل بيع جعة ، وكانت تتكل فى كسب عيشها على ابنتها ، ولما رأت ان الأخيرة قد هجرتها بسبب اغراء رجل قد هجر بدوره زوجها وابنه^(٣) كتبت فى ذلك تتضرع لزينون فى ان يمد لها يد المساعدة : فتقول له انى اسألك أن تأتى لمساعدتى بسبب شيخوختى وترد الى ابنتى^(٤) والخلاصة انه فى كل المتون التى اقتبسناها عن الأسرة يمكن ان نلاحظ فيها شعور التضامن الذى تمتاز الأسرة المصرية به حتى ولو كان هذا الشعور ينحصر غالبا فى الفوائد المادية . وأحيانا نشاهد المرأة كذلك غالبا . بجانب زوجها فمن وثيقة بالقاهرة^(٥) نعلم أن « زينون » قد أمر بسجن زوجة رجل يدعى « باتيوفيس » (Pathiophis) وهو مؤجر حمام . وكان « باتيوفيس » يتحدث فى شكواه كأنه هو وزوجه مجرمان وهذا يعد دليلا على أنها على ما يظهر كانت تساعد فى عمله ، وذلك على الرغم من انه فى الجزء الأول من هذه الشكوى يظهر انه هو الذى كان يشتغل فى الحمام اثناء ان كانت هى ترعى شئون اطفالها فى البيت .

واذا كان « باتيوفيس » هو المسئول عن العمل . وهذا على ما يظهر ليس فيه شك - فكيف يفسر بقاءه حرا فى حين ان زوجته كانت فى غياهب السجن « ولدينا كذلك متن آخر^(٦) تدل شواهد الاحوال على انه يتحدث

C.Z. 59492

(P. Lond Inv. 2660)

Preaux (Chronique d'Egypte XIX, P. 288.

P. Lond. 2660.

P.C.Z. 59482

P.C.Z. 59209

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

(٥) راجع

(٦) راجع

عن سجن امرأة وأخوى المجرم ، ولكن ذلك لم يكن ليحدث الا في حالة
هرب المجرم ، والظاهر ان الادارة الاغريقية كانت تعامل الأسرة المصرية
بوصفها وحدة لا تتجزء وأن المسؤولية كانت تقع على كل اعضائها ، ولذلك
نجد انه في حالة « باتيوفيس » قد فضل زينون على ما يظن ان يسجن
المرأة ويغلى سراح الزوج الذى كان العمل يحتاج اليه . وقد كان مثل
هذه الحالة تحدث في عهد اسماعيل عند تقصير الاهلين في دفع الضرائب
وكذلك كانت تحدث عندما كان أحد افراد الأسرة يفر بسبب جريمة حتى
عهد قريب جدا . ونعرف فضلا عن ذلك بعض وثائق من سجلات « زينون »
ظهرت فيها المرأة المصرية . فمثلا نعلم ان « أوافروس (O Aphrous) ابنة
« افاروس » قد جاء ذكرها بوصفها معترضة (١) - ولا بد انها كانت امرأة
غنية حتى تؤمن على قرض قدره ٢٨٤ درخمة . ومن جهة أخرى نعرف
حالة الأرملة الفقيرة « سنخسو » والمرأة « تامويس » التى تعمل مع
أولادها وقد جاء ذكرهما فيما سبق . يضاف الى ذلك المرأة « أماموس (Amamos)
أمرأة « بيروس » : Pyrrho التى كانت تتسلم الشعر لها ولأبنتها
على سبيل الاحسان وهى من نفس الطبقة الدنيا (٢) وهذا المثل الأخير
هام لسبب آخر وذلك أن « أماموس » المصرية كانت امرأة « بيروس »
الاغريقى ويجب ان يلحظ هنا ان « بيروس » كان رجلا متواضعا وهو
ينتمى الى الطبقة السفلى من المجتمع الاغريقى وعلى ذلك فانه كان من
المفهوم جدا ان نرى القوميات المختلفة تمتزج بسرعة كبيرة في حياة الأسرة
التى تنتمى الى أسفل طبقة في المجتمع . والمتن الذى نحن بصدده يرجع
عهده الى عام ٢٥٦ ق.م وفي عام ٢٤٨-٢٤٧ ق.م. نجد فعلا ان أخين
أحدهما يسمى « هراكليدس » وهو اسم اغريقى والآخر يدعى « با أيس »

وهو اسم مصرى (١) ومن ثم يظهر ان الاختلاف فى جنسية الاسماء يدل على انهما ولدا من أبوين مختلفى الجنسية ، وهذا ما يبرهن على ان امثال هذا الزواج كان فعلا موجودا فى مصر فى السنين الأولى من العهد الهيلانستىكى (٢) . هذا ونجد فى حالة الأخرى (٣) ان فردا يدعى «تيون» (Theon) وهو اسم اغريقى ووالده هو كوللوتس (Kollouthos) وهو اسم مصرى . وكذلك فى وثيقة مؤرخة بعام ٢٤٦ ق.م (٤) نقرأ أن «سيسوخوس» (Sisouchos) المصرى يقدم لزينون ابنه «بطلمايوس» وهاتان الحالتان لهما أهمية مزدوجة ، وذلك لأنه لتفسير القوميات المختلفة لهذه الاسماء يجب ان نقرض ان مصريا قد تزوج من امرأة اغريقية وهذا ما يظهر غريبا جدا فى هذا العهد . ومن المحتمل اننا امام ظاهرة أخرى وهى صيغ الاسرات المصرية القحة بصبغة هيلانستىكية . وقد بدأت هذه النزعة بتسمية اولادهم باسماء اغريقية وبخاصة تلك الاسماء التى كانت عظيمة الانتشار مثل « ثيون » أو باسماء شهيرة جدا ومحترمة فى مصر مثل اسم « بطلمايوس » ويجب ان نضيف الى ذلك أن « سيسوخوس » كان أحد مرؤسى « زينون » أو « ابوللونيوس » وان علاقاته مع « زينون » كانت على ما يظهر علاقات ود وصفاء ، وهذا ما يدل على أنه كان يحتل مكانة اجتماعية رفيعة . وفى هذه الطائفة من المجتمع المصرى كانت الصبغة الهيلانستىكية تنتشر بسرعة كبيرة . هذا وقد لاحظنا فيما سبق ان المجتمع المصرى لم يكن بأية حال من الاحوال منسجما ، اذ كان يوجد فيه اختلافات كبيرة اجتماعية واسباب عديدة للمشاحنات والأحقاد . وعلى ذلك فانه ليس بمدهش ان نسمع عن خلافات خطيرة قد وقعت

حتى بين المصريين أنفسهم فمن ذلك أن « بزيموس » (Psenemos) قصص على « زينون » الشجار الذي وقع بين سكان « فيلادلفيا » وبين المؤجرين الذين على حدود ضيعة « أبولونيوس » . هؤلاء المؤجرون كانوا قد حفرُوا آباراً للحصول على الماء ، قد هاجمهم سكان « فيلادلفيا » .

ومن المعلوم ان الماء مادة ثمينة جداً في مصر ، ولذلك فانه ليس بالشئ الخارق لحد المألوف في ان يكون الحصول عليه سبب للنزاع . وهناك حوادث أخرى تتج عنها نزاع فنجد مثلاً ان سكان قرية قد دافعوا عن مراعيهم على ما يظهر من تعدى رعاة زينون عليها (١) . وحتى اذا كان هذا الخلاف قد انقلب الى شجار بين السكان المصريين والادارة الاغريقية فان الرعاة الذين هاجمهم سفلة القوم كانوا دون أى شك مصريين أو عرب ونجد كذلك ان المزارعين كانوا يشتكون من انهم قد اعطوا مساكن أقل جودة من التى أعطيت رفاقهم (٢) وفى هذه الحالة كذلك نجد أن نشكوى كانت موجهة أكثر ضد ادارة الضيعة ، وذلك لأنها هى التى توزع المساكن. والواقع انه حتى اذا صادفنا حالات تعد بين المصريين ، او اذا سمعنا عن عامل من اصحاب المرتب من المصريين قد هرب بعد ان سرق سيده المصرى (٣) فاننا فى معظم الحالات لا نجد فى حقيقة الأمر الا عراكاً قد وقع بين المواطنين الأصليين تدخلت فيه الادارة الاغريقية لتزيد فى خطر المنازعات التى كانت قد وقعت فعلاً . على ان ذلك كان لا يعنى ان هذه الادارة قد حرضت على هذه المنازعات بتدبير منها او عن قصد . هذا وقتل الاحوال على ان شكاوى المصريين من الموظفين المصريين انفسهم كانت عديدة والظاهر ان مسألة القومية كانت قليلة المفعول فى العلاقات مع

P. Lond. Inv. 2088, 150.

PSI. 380.

P.C.Z. 59410

P. Mich. Z. 98, PSI. 359.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

الادارة ، اذ نجد ان الموظفين المصريين كانوا يناهزون في معظم الأحيان الى جانب رؤسائهم الاغريق . ومع ذلك فلا يغيب عن ذهننا انه حتى من صيغة الوثائق التى نبجثها الآن نجد فيها بوجه خاص شكاوى واتهامات . وفى معظم الحالات نجد أن هذه الشكاوى الموجهة الى زينون تكون تظلمات من موظفى الشرطة ، وهذا يمكن تفسيره بسهولة (١) فنجد فى وثيقة (٢) أن « باتيميس » (Patymis) يدعى « باتيس » شرطيا فى « فيلادلفيا » ، وكذلك نقرأ فى وثيقة أخرى (٣) ان حارس خنازير يشكو من انه قد سيئت معاملته هو وزوجه على يد « بسوسناو » (Psosnau) . ومن المحتمل ان هذا الرجل هو الذى جاء ذكره فى مصدر آخر بوصفه حارس المحصول (٤) . والظاهر ان الموظفين الاداريين كانوا أحيانا يقومون بأعمال رجال الشرطة فمن ذلك « حوروس » (٥) الذى سجن « اخومنيس » (Achmneuis) أحد أتباع « زينون » بسبب ضريبة الملح . وفى وثيقة أخرى (٦) نجد أن ضرابى طوب وهما « هراميس » و « تيوس » (Teos) قد طلبا الى « زينون » حمايتهما من مساعدته « حوروس » الذى لم يعطهما حقهما وأنهما يخشيان بسبب ذلك الموت جوعا .

هذا ونجد كذلك فى وثائق سجلات « زينون » ما يثبت وقوع سوء تفاهم بين الموظفين المصريين انفسهم . نذكر من ذلك بوجه خاص المشاحات التى وقعت بين كل من « ستوتوتيس » (Stotoetis) و « فانسيس » (Phanesis) فقد اتهم الاخير الأول بالاهمال ، وذلك لانه شغل فضلا عن وظائفه

P.C.Z. 59491, P. Col. Z. 103.

P.C.Z. 59275.

P.C.Z. 59275.

P. Mich. Z. 73.

P.C.Z. 59275

P.C.Z. 59291

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

(٥) راجع

(٦) راجع

زميله في مخازن غلال «فيلادلفيا». والظاهر مع ذلك ان «انوسيس» الذى فى «فيلادلفيا» مع اثنين من الاغريق من وكلاء «زينون» وهما «كليتاركوس» (Kleitarchos) و «مارون» (Maron) قد نظروا الى الأمر من وجهة أخرى وذلك لانهم طردوا مساعدى «فانيسيس» واستخدموا من جديد مساعدى «ستوتوتيس». وقد حدثت هذه الفضيحة فى غياب «زينون» وهذا مما يجب الاشارة اليه. وانه لمن السهل ان فهم ان الاحقاد كان لا ينفجر بركانها بهذه السهولة تحت عيني «زينون» الساهرتين.

وعندما نحلل المجتمع المصرى كما يظهر امامنا فى سجلات «زينون» فانا لا نجد فيه أى شعور بالوحدة القومية وذلك لأن هذا المجتمع لم يكن فيه انسجام من الوجهة الاقتصادية اذ قد مزقته الأحقاد والمشاحنات التى كان غالبا سببها أن هذا الحزب أو ذاك من المتخاصمين يلقى بنفسه فى أحضان الاغريق اسياى البلاد وهذا بالضبط ما كان يحدث فى عهد الاحتلال البريطانى البغيض قبل قيام ثورة عام ١٩٥٢ ميلادية ومن قبلها فى عهد الحكم التركى.

موقف المصريين من الادارة الاغريقية

والآن يتساءل المرء : ما هو موقف المصريين ازاء الادارة الاغريقية ؟ ولحسن الحظ نجد ان سجلات زينون مليئة بالمعلومات عن هذا الموضوع، وهذه على أية حال نتيجة حتمية مما ينطوى عليه المضمون العام لهذه السجلات فما تجدر الاشارة اليه أولا ان «ابوللوينيوس» كان يحتل فى نظر المصريين مكانة فريدة تشبه مكانة الملك. فقد كان المصريون لا يعرفونه الا بالاسم، ومن ثم لم يكنوا له أية ضغينة. واذا كان هناك ظلم يقع عليهم فانه كان من جانب اتباعه الذين كانوا يظلمون الناس او يقسون عليهم ولم يكونوا فى الوقت نفسه اكفاء فى عملهم. وعلى ذلك فانهم اذا دعوا

« أبولونيوس » فانهم كانوا على يقين بان كل ما حاق بهم من ظلم او جور سيقضى عليه اذا امكنهم رؤيته شخصيا وبث شكواهم اليه (١) والواقع ان « أبولونيوس » من ناحيته كان يجيبهم بكل رزانة وبشاشة على رسائلهم وكان يعتذر اليهم حتى من أن يفحص بنفسه شكواهم كما نجد ذلك في وثيقة بالقاهرة (٢) . ففى هذه الوثيقة وهى رسالة من أبولونيوس الى زينون ، نجد أن أبولونيوس يقول أنه قد أرسل صورة من هذه الرسالة التى كتبها للفلاحين المصريين فى « هفايستياس » (Hephaistias) يأمرهم فيها بالحضور الى « فيلادلفيا » عند طلوع النهار وألا يتأخر « بتون » المحصل للثروة ، ومع هذه النسخة رسالة جاء فيها : انه يخبر الفلاحين أنه مثقل بالأعمال فلا يمكنه ان يسمع القضية بنفسه ولكنه أرسل « بتون » بدلا عنه الخ . وعلى أية حال فان العلاقات التى كان يرجو السكان ان تكون بينهم وبين أبولونيوس لم تكن الا علاقات خيالية ولم تكن توجد الا على البردى وحسب .

ومن جهة أخرى نجد ان علاقات المصريين تجاه الموظفين الاغريق الذين فى مرتبة أقل من مرتبة « أبولونيوس » كانت شيئا آخر بالمره . فلا شك اننا نسمع دائما عن وقوع مخالفات ومظالم . والواقع ان المصرى كان حذرا يسيء الظن وتملؤه الشكوك ولم يكن ذلك دون أسباب فالتجديدات التى أدخلها الاغريق على حياة الفلاح الهادئة لم تكن بطبيعة الحال موجهة لغير صالحه ، وذلك على الرغم من انه قد فهمها فى اغلب الأحيان بهذه الصورة ، ومع ذلك فانه مما لاشك فيه أن الموظفين الاغريق لم يكن لهم هم الا دخل الحكومة وفائدتهم الشخصية . ولم تكن احوال معيشة المصرى تهمة قط

ما دام يدفع الأخير ما عليه من ضرائب ويؤدى كل ما عليه من التزامات أخرى . ومن ثم كان المصريون يشعرون أحيانا بأنهم محتقرون وفي أغلب المواقف مهملون ، وليس لهم ثقة بهؤلاء الاجانب الذين أنسوا من بلاد نائية ثم اخذوا يغيرون نظام حياة بلادهم العريقة في القدم مدخلين طرقا جديدة في الزراعة ، ولم يفكروا الا في جمع الثروة لأنفسهم ويظهروا بانهم اكثر منهم علما وأعز جاها (١) . هذا ونجد في المتون الشهيرة المحفوظة بالمتحف البريطانى (٢) شكاوى فلاحين أتوا الى « فيلادلفيا » من مقاطعة « هليوبوليس » . وهذه الشكاوى المرسلة الى « زويلوس » (Zoelos) والى « أبوللونىوس » كانت موجهة بصورة خاصة ضد حاكم المقاطعة « داميس » ، وذلك لان أحد وكلاء « أبوللونىوس » لم يسمح لهم بالسكنى فى المدينة ، وفضلا عن ذلك سجن « داميس » رجالهم وأجبرهم على أن يتخلوا عن الأرض التى كانوا قد وعدوا بها ، على ما يظهر بمقتضى عقد سابق . وفى وثيقة بلندن (٣) نجد ان الفلاحين قد كتبوا للمرة الثالثة الى « زويلوس » وقالوا : ان داميس يهملنا ولا يعتبرنا ويمنعنا (ان نشغل فى) الخشب على هذه الأرض ، وهو الخشب الذى يجب أن نهمى به العمل ، والآن فان هناك خطرا فى ان تبقى الارض دون بذور ، وقد ختموا شكايتهم بطلب مثولهم أمام «أبوللونىوس» وذلك لأنهم كانوا يريدون أن يمرضوا عليه شيئا مفيدا . وفى وثيقة أخرى (٤) قرأ فيها نقدا موجها من الفلاحين المصريين لادارة ضيعة «أبوللونىوس» فاستمع اليه : « انه توجد عدة اخطاء فى عشرة الآلاف ارور (أى ضيعة أبوللونىوس) وذلك لأنه لا يوجد رجل مجرب فى الزراعة ومن ثم نلاحظ على ما يظن عدم ثقة الفلاح

(١) راجع عن موقف الفلاحين بالنسبة للادارة الاغريقية Rostov, L.E. P. 85

P. Lond. Inv. 2094. 2090, 160.

(٢) راجع .

P. Lond. 2094.

(٣) راجع

Inv. 2090. P. Lond.

(٤) راجع

المحافظ فى الاصلاحات الجديدة التى أدخلها الاغريق ، ولكن اذا نسب الانسان - وذلك بحق - هذا المتن الى العهد الذى كان يدير فيه « باناكستر » الضيعة فانه يتضح لنا ان « أبوللونىوس » كان متفقاً فى الرأى مع الفلاحين المصريين . وبوجه عام يشعر الانسان ان المصريين لم يكونوا يثقون الا قليلا فى علوم هؤلاء الاجانب وتجاربيهم . وهذا ما لم يكن منتظرا تماما اذا فكر الانسان فى أن « أبوللونىوس » قد عمل عن قصد على احضار اخصائيين اغريق وبخاصة لحدائقه وكرومه . ولكن كل اغريقى كان يعتقد انه بلا شك واحد من هؤلاء الاخصائيين دون ان تكون عنده المواهب التى تؤهله لذلك . ومن المحتمل ان هذا هو المعنى الذى ورد فى متن من متون زينون المحفوظة بالقاهرة (١) حيث تقرأ : « وعندما وصل « ديونيسودوروس » وأراد أن يقطع الأشجار فان باسيس (Pasis) بن « بايس » منعه من قطع الكرم (منعه عندما رأى انه عديم الخبرة) ، وقال له انه أعطى أندرونيكوس لأجل ألا يقطع الكرم ، أربعة درخمت ، وكذلك لأجل ألا يأخذ الورد ، وأعطاه أربعة درخمت ، ووعدته بثمانية درخمت عندما رأى انه سيحدث تلقا فى الكرم وأنه ليس بصاحب خبرة .

ومع ذلك نجد فى متن « لندن » ان الفلاحين لم يكتفوا بنقد الادارة الاغريقية بل اتهموا كذلك حاكم المقاطعة « داميس » بسوء النية ، وحتى على ما يظهر بالخيانة . يضاف الى ذلك أن شكوى سكان بلدة « هفايستاييس » الذين كانوا يتظلمون من فرد يدعى « سوباتروس » وهو احد مرءوسى « داميس » ، لابد كانت من نوع مماثل : ففى متن فى القاهرة (٢) نجد ان « أبوللونىوس » بعد ان أوضح انه ليس لديه الوقت

سماع شكواهم بمث اليهم انه ارسل « بتون » القاضى الى « فيلادلفيا » وهو الذى كان عليه ان ينظر فى شكواهم .

وينطوى عدم ثقة المصريين بالاغريق كذلك على الخوف من هو اقوى منهم بأسا وهذه الظاهرة كانت على الأرجح أبرز شئ فى متن هام لدينا (١) وهو عبارة عن رسالة طويلة أرسلها «هرمياس» الى «زينون» حارس قطع ماعز ضيعة « أبوللونىوس » (وهو عربى ؟) وذلك ان « هرمياس » كان يشكو من «مترودوروس» (Metrodoros) الذى كان قد قسّد اوامر « زينون » وكان عليه ان يحضرها له . ويضيف : وحتى اللحظة التى كان ينتظر وصولها ، ولكن كان له المكانة الأولى وذلك لانه كان هناك الخوف من أنه يحضر شيئا معه أكثر خطرا (11. 2-4) ولكن الموقف يتغير فى الحال عندما ذهب عنه الخوف : وذلك عندما وصل وعلم أنه لم يحمل شيئا . وقد هاجمنا الشعب وضربوا الرعاة ومنعواهم من الرعى فى الأحراش . وتدل شواهد الأحوال على أن الهجوم اليأس الذى قام به السكان كان ذا أثر فعال وبخاصة اذا حلت الكلمات الأخيرة من رسالة « هرمياس » . والواقع أن المسألة هنا ليست مسألة عصيان مصريين وقيامهم على الاغريق بل الواقع كان المهاجمون دون شك كذلك مصريين أو اعراب ، لكن كراهية القوم كانت موجهة ضدهم لأنهم كانوا يشلون فى هذه الحالة مصالح عليه القوم والأجانب الغزاة .

وفى وثيقة أخرى (٢) تهم من مغزاها أن السكان المصريين عندما شعروا بأنهم نهبوا على يد ادارة ضيعة « أبوللونىوس » أظهروا شعورهم بالظلم بصورة «محسة تماما» وهناك رعاة آخرون قد اختاروا طريقا أكثر مهادنة فقد شكوا حالتهم الى «زينون» من مرعوسه الذى لم يرع شروط عقودهم

بأن أعطاهم مراعى رديئة غير التى فى العقود ، وقد جابوب الموظف التهم «زينون» برسالة (١) جاء فيها انه راعى مواد العقد وان احتجاجات الرعاة خاطئة بل على العكس أعطاهم اكثر مما يستحقون . وليس فى مقدورنا الان أن نستخلص الحقيقة ونعرف من الذى على حق . ومع ذلك فانه اذا كان عدم ثقة الرعاة لم تكن فى موضعها فى هذه الحالة الخاصة ، فانها كانت دون أى شك صحيحة فى حالات أخرى عدة .. وبوجه عام يلحظ ان المصريين كانوا دائما على حذر متبهن الى الميول الجديدة للادارة الاغريقية ، التى كانت على أية حال عالمة بما تنطوى عليه نوايا الاهلين . فى مثل هذا الموقف . هذا وقرأ فى وثيقة أخرى (٢) أن «زينون» طلب الى «سوستراتوس» ان يرسل رجلا لخبثار له رجلا من أهل حرفته ، وكذلك يرسل اليه «ضاربى طوب» ، ولكن لفت نظره أن يكون حذرا ، وذلك لأن أصحاب المهن المعنيين يمكن أن يولوا الادبار اذا عرفوا مقاصده . والمحمل أن «زينون» كان ينتظر مقاومة من جانب هؤلاء الصناع وذلك لانه أضاف فى نهاية خطابه أن يرسل كذلك اعرايا «شرطيا» . والظاهر أن الموضوع المقصود كان سخرة ، هذا ويجدر بنا أن نؤكد هنا كذلك مرة أخرى وجود الجو الملىء بعدم الثقة والحذر اللذين يميزان موقف السكان المصريين تجاه الادارة الاغريقية . وهذا يقرؤه المرء بين السطور بوضوح فى المتن الذى نحن بصدده .

وعلى أية حال فان هذا الجو القاتم الملىء بالخاوف يسود معظم الوثائق التى من هذا الصنف فى سجلات «زينون» : فنجد مثلاً ان «ميوس» (Meieus) (٣) قد أرسل خطابا الى «زينون» يطلب اليه أن تنظر قضيته

مع «ستاخيس» (Stachys) في البلدة التي يسكن فيها . وقد أخبره «زينون» انها تنظر في البلد الذي يسكن فيها الاخير . والظاهر انها كانت القيوم . وقد عارضه «ميوس» في ذلك وطلب انه يجب ان تنظر في بلدة يكون فيها الفريقان غريبان عنها مثل «منفيس» أو اهناسيا المدينة وذلك لأجل أن يحاكم بمثابة غريب عنها مثلنا وقد أضاف أن «باسيس» عندما سمع ان القضية المرفوعة عليه من ستاخيس ستنظر في القيوم احتى خوفا في مذبح الملك (المعبد) .

هذا ولدينا وثيقة أخرى هامة (PSI. 422) تقرأ فيها ان مزارعا يدعى «بزئتائس» (Psentaes) بث شكواه الى زينون من «كركيون» الذي لم يعطه أولا الا اربعة ازواج من الثيران لحثرت الارض في حين ان «اونوفريس» قد ورد ثمانية ازواج الى «بزئوباستيس» (ولا يفوتنا ان ننتبه هنا الى ان «كركيون» و «اونوفريس» هما وكيلان زراعيان لزينون)، وعندما ألح «بزئتائس» أعطاه «كركيون» زوجا خامسا ، ثم زوجا سادسا ، ولكنه انتخب له أهزل الحيوانات . ومع ذلك فان أرض «بزئتائس» كان من الصعب حرثها ، ولكن كان يمكن بذرها كلها لأنها كانت مفرقة بالمياه تماما . ومن المحتمل أنه ليس من باب الصدفة ان يكون الوكيل المتهم بالاهمال أو حتى سوء النية من قبل المزارع المصرى كان يحمل الاسم الاغريقى «كركيون» ، وبخاصة اذا لاحظ الانسان ان الذى كان يقرن نفسه به في شكوى «بزئتائس» كان مصريا (١) .

وموضوع حراس خنازير فيلادلفيا يستحق التفاتا خاصا هنا ، وقد اشرنا اليه فيما سبق عندما ناقشنا نظامهم ومكاثتهم الاقتصادية . والشخص

الذى قال أشد السخط من بين حراس الخنازير هو على ما يظهر «هيراكليديس» مديرهم . وقد رأينا من قبل انه لا بد كان من دم مختلط: اغريقى مصرى وذلك لانه كان له أخ يدعى «بأيس» (Papias) ، وربما كان ذلك من الاسباب التى دعت لحقد رؤسائه المصريين عليه وقد كتب (فى ٣٠ يونية ٢٤٨ ق.م «بناس» وهو مربى خنازير معروف تماما (١) . الى «زينون» أن «هراكليديس» قد تفاهم مع «توتيس» على حساب مربى خنازير آخرين ، وانه يحفظ كل العقود عنده ولم يسمح له بمراجعة الحساب . وفى رسالة أخرى بنفس التاريخ واليوم (٢) نقرأ أن «بناس» (Pemenas) يوبخ «هراكليديس» بسبب انه لم يطلعه على الحسابات ، ومن المحتمل انه اتهمه أكثر مما ينبغى . ومن جهة أخرى نجد ان «توتيس» (Thoteus) لما اتهم بالاشتراك فى الجريمة مع «هراكليديس» كتب كتابا «لزينون» مؤرخا ١١ يوفية سنة ٢٤٨ ومتن هذا الخطاب (P.C.Z. 59830) وجد ممزقا جدا ، ولكن تفهم ما بقى أن «توتيس» قد هوجم من رعاة خنازير آخرين . وقد وجد اسم «هراكليديس» مذكورا بينهم . وأخيرا نجد فى متن آخر (٣) مذكرة مرسله الى «زينون» كالعادة . وفى هذا المتن نراه يشكو فيه من أنه قد اضطهده رعاة الخنازير فيقول : «انى مضطهد من حراس الخنازير هناك . ويلحظ ان بداية المذكرة يحيطها بعض الغموض والظاهر أنها منصبة على «توتيس» شريكه المزعوم فى الجريمة .

أما عن الاعتراف الذى أعطيته عن خنازير توتيسوس ، فانك تحسن لو أرسلت معى شخصا لأجل أن أعطيه إياه قبل أن يبيعه .

ومن القصص الشيقة قصة «بائيس» وان كان يحيطها بعض الغموض

وقد سماه «بتوزريس» المزارع المحرض على العصيان (١) . والمتن عبارة عن مسودة مذكرة كتبها «بتوزريس» الى «زينون» . والظاهر ان «بائيس» كان يسكن على أرض من املاك الملك وذلك على الرغم من انه كان لزاما عليه ان يبنى لنفسه بيتا . وقد اقرضه «زينون» المال لبناء البيت ولكن «بائيس» باع البيت كما باع معه قطعة أرض من أرض الملك أيضا . وقد جاء ذكر هذه القصة مرة أخرى في نفس البردية السابقة أى في مسودة الرسالة التى بعث بها «بتوزريس» الى «كليون» ، غير ان المتن هنا غامض المعنى .

وأحيانا نجد كذلك شكاوى من اغريق ضد مصريين ، بعضها يقدم لنا صورة رائعة عن حياة الريف المصرى التى يصحبها هذا الجو الملىء بالحذر والبغضاء المتبادلين اللذين لا بد كانا سائدين وقتئذ ، فمن ذلك (٢) أن «كريتون» شكى الى «زينون» ضارب الطوب الذى كان عليه أن يشتغل عنده مدة عشرين يوما ، ولكنه حتى نهاية المدة لم يقم بضرب طوبة واحدة ومع ذلك فان هذا ليس كل ما حدث فاستمع لكلماته : وعندما كنت نائما فى الحقل أثناء الليل طارد خنزيرة حاملا من فناء البيت كانت تضع حملها ثم نادى على زوجى وأخبرها انه سيقتلها ثم نادى على كذلك فلما منه اننى كنت موجودا فى البيت وعندما عدت من الحقل اخبرتنى زوجى بكل ما حدث ولكنى لم أبلغ أحدا بالحدث منتظرا الى ان ينتهى الوقت المحدد للعمل الذى يقوم به ، وفى الوقت نفسه أبقي كريتون الخنزير خارج الردهة . وبعد ذلك شكى الى زينون مستحلفا اياه باسم الالهين الأخوين والملك أن يفصل فى موضوعه والا يجعله يهان مرة أخرى . وقد اقسم باسم روح الملك و «برنيكى» أنه لم يتسلم منه حتى طوبة واحدة . وعلى أية حال اذا لم تكن هذه القصة

واضحة كل الوضوح فانها تظهر مع ذلك غريبة (١) حيث نجد اغريقيا يهاجمه مصرى (٢) .

ولا نزاع في ان عدم رضى الاهلين وعدم قتلهم بالاجانب سيؤل فيما بعد الى الاضطرابات والثورات (٣) ولكن لا نجد في سجلات «زينون» الا اضطرابات عابرة سببها عدم الصبر والمشاحات .

وعلى أية حال فانه عندما كانت الحال تشتد بالمصرى فانه لم يكن يفكر بعد في القيام بمقاومة شديدة بل كان كل ما في استطاعته هو اللجوء الى الهرب (٤) . ولدينا أمثلة على ذلك من سجلات زينون . والواقع ان الهرب لم يكن فقط من جانب المصريين بل كان يتعداهم الى غيرهم .. وقد كان في الحقيقة آخر وسيلة لكل رجل سواء أكان مصريا أم عربيا أم اغريقيا لأن القومية هنا لم تلعب دورا أصيلا - عندما تشتد وطأة الادارة عليه ، وعندما يتخلى عنه أصدقائه أو يخونونه ، وعندما كان يهدده خطر داهم من أى صنف قفى بردية (٥) نقرأ ان راعى خنازير لطبيب يدعى «ارتيميدوروس» قد هرب لعدم استطاعته الوفاء بما عليه من مسئوليات والواقع أنه وجد عددا من الخنازير قد اختفى من قطيعه . ومن ثم نجد ان «أرتيميدوروس» يرجو «زينون» أن يأمر بالبحث عن الهارب حتى لاتضيع علينا كل الخنازير . وفي وثيقة أخرى (٥) هراً ان «باتايكيون» أحد وكلاء «زينون» كتب له انه علم ان بعض رعاة الماعز قد هربوا وان احدهم وهو «ليمنايوس» (Limnaios) قد هرب

(PSI. 542)

(١) راجع
(٢) W. Peremans, Revue Belge de la Philologie et d'Histoire
XII. P. 1022; Preaux Chron. D'Egypt.

XI. P. 522.

Preaux E.R.P. 500 ff.; Rostov. H.W.P. 1548.

P.C.Z. 59310.

S.B. 7984

(٣) راجع

(٤) راجع

(٥) راجع

فعلا ، وان «ديمتريون» قد عزم على الهرب. وهذان الراعيان من العرب (١) وكذلك تقرأ في وثيقة محفوظة بلندن (٢) ان راعين آخرين هما «سكلييادس» (Asklepiades) و «ابوللونيوس» كانا يهددان بالهرب ان هما لم يتسلم مرتبهم . وفي وثيقة بالقاهرة (٣) نجد الحديث فيها عن هرب فرد يدعى «اتفيس» (Atpheus) وذلك تخلصا من دفع ضريبة أو غرامة خاصة بقطعه أرض مزروعة خضرا . وفي رسالة كتبها «نكتوزيريس» (Nektosiris) صانع جبال السفن الى «زينون» يطلب اليه فيها ان يكتب لكل من «هرمولائوس» (Hermolaos) و «بتوزيرس» كاتب الملك في «اطفيح» لاحضار شريكه لانهما مدينان له بأجر عمل ، وذلك لأنهما على أثر رحيل «زينون» هربا . وتدل شواهد الأحوال على انهما كانا قد أجبرا على هذا العمل . هذا ونجد مرة في متون القاهرة (٤) ان الحديث كان عن مصرى قد هرب تقاديا من انخراطه في سلك صفوف الجنود الوطنيين . وذلك ان مصريا يدعى «باريس» كان قد اختير لتأدية الخدمة العسكرية ، وكان الذى اختاره هو «اكرايس» (Axapis) الكاتب الملكى لمقاطعة «الهنسا» ، ولكنه هرب من الجندية وقد طلب الى «زينون» ان يكتب في هذا الصدد لاعادة الجندى الهارب .

وفي بردية أخرى (٥) تقرأ ان خادمة (Pedishi) قد طلبت مساعدة «زينون» وذلك لانها لم يعد عندها القوة على العمل ، ومع ذلك لم ترد الهرب كما يفعل الآخرون . هذا ونجد في خطاب غاية في الأهمية ولكنه بكل أسف ممزق (٦) ان «أبولاس» وهو نساج يشكو الى «زينون» من امة تعمل في

(P.C.Z. 59340)

P. Lond. Inv. 2095 176

P.C.Z. 59329.

P.C.Z. 5990 177.

PSI. 667.

P.C.Z. 59080.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

(٥) راجع

(٦) راجع

النسيج ، تدعى «بيا» كانت تعربد مع كل الناس (١) وقد عزمت على الهرب عند «زينون» ولكن «زنودوروس» حجزها حتى لا يتعطل العمل .

ومن اسباب الهرب كذلك العلاقات السيئة مع الزملاء أو انعدام التضامن فيما بينهم فمن ذلك قضية نختميس (Nechtembis) ، صانع السجاجيد (٢) وذلك ان «بايس» ناسج السجاد كان قد أرسل فعلا شكوى ضد زميله في العمل المسمى «نختميس» ، وهو الآن يضع امامه بعض البراهين الدالة على احتياله وغشه . فيقول ان السجادة التى وزنت البارحة قد غمست فى الماء لتصبح اقل وزنا من وزنها الحقيقى ، وقد عرف انها اقل من الوزن الحقيقى يضاف الى ذلك انه انتقص من طول السجاجيد وعرضها حتى اصبحت لا تصلح لفرش الارائك بسبب قصرها ، وعند وزنها وضعت بعض مواد اضافية فى كفة الميزان ومن أجل كل ذلك فانه يستحق على ذلك قطع يديه ، فضلا عن ذلك فانه اتلف اخلاق النساجين الآخرين . واذا سمح زينون بعمل تجربة فان «بايس» كان مستعدا ان يعمل بنفس المادة ست عشرة سجادة بدلا من الاربع عشرة التى نسجوها ، وعندما سمع «نختميس» بهذا الاتهام حاول الهرب ، ولكن «بايس» قبض عليه وارسله الى السجن . وقد كشف «لزينون» عن هذه الحقائق حتى لا يغش ثانية .

وفى حالة أخرى نجد ان الهرب كان سببه نظر قضية فى أحوال غير ملائمة. وذلك ان «بايس» (٣) قد احتسب فى مذبح الملك عندما سمع ان قضية خصامه مع «ستاخيس» ستنتظر فى محكمة مدينة الفيوم وقد اشرنا الى ذلك من قبل. ومع ذلك فان أهم حوادث الهرب ليست هى التى يكون فيها الهارب شخصا أو شخصين بل عندما يكون الهرب جماعيا ، والاسباب التى تدعو الى ذلك مماثلة لتى ذكرناها فيما سبق ، وهى طلبات الادارة الزائدة عن حد

P. Mich. Z. 16 & 19.

P.C.Z. 59484.

P.C.Z. 59466.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

المعتاد ، أو التأخر في دفع المرتبات الخ . وفي معظم الحالات يكون الهرب محاولة يائسة فيهرب المظلوم الى أى مكان ، وقد يكون غرضه البحث في مكان آخر عن عيشة أفضل . ولا نزاع في أن هرب العمال كان يشل حركة العمل ، ومن ثم نجد ان الهرب كان يعتبر تهديدا مستمرا للادارة الاغريقية مثال ذلك ان «زينون» (١) كان يخاف أن يهرب ضاربو الطوب ان هم فهموا ان المقصود هو أجبارهم على العمل . وكانت الطبقة الدنيا تعلم تماما أن الهرب يمكن ان يكون سلاحا في أيديهم لمحاربة الادارة ، وكانوا يستعملونه كسلاح مشهور . مثال ذلك ما قام به حراس الجسور من مناورة فقد هدوا «زينون» بالهرب اذا لم يتسلموا مرتباتهم وجراياتهم من القمح (٢) . ولكن نعرف كذلك حالات كان ينقلب فيها الهرب الى مقاومة سلبية ويكون المقصود منها معروفا وهو الحصول على امتيازات من الادارة الاغريقية . واشهر وثيقة يجب اقتباسها هنا هي (PSI. 502) وقد تناول الكثيرون فحوصها (٣) . وعلى ذلك لن نتحدث عنها هنا طويلا بل سنظهر هنا بعض نقاطها الاساسية وهي أولا ان الفلاحين كانوا لا يريدون ان يقبلوا شروط الایجار التي عرضها عليهم «باناكستر» وكيل «أبولونيوس» . ثانيا : انهم حسبوا أنفسهم في معبد وهددوا بترك حقولهم . ثالثا : نجد ان «باناكستر» بعد أن استنفد كل ما في جعبته من طرق لاقناعهم اضطر في نهاية الامر ان يقبل شروطهم . وهاك ما جاء في المتن : عندما عدنا الى فلادلفيا بعد ثلاثة أيام قررنا — بما أنه لم يسمح بعمل التقدير كما هو موجود في المذكرة ، وكذلك بما أننا لم نجن أى تقدم في مفاوضاتنا ، بأن نطلب اليهم ان يعطونا تهديراتهم كما يرى كل واحد أنه في صالحه . وفي متن آخر مماثل للسابق (٤) قرأ ان «كوللويس» كتب الى «زينون» يخبره ان الفلاحين الذين يزرعون ارض الجنود المرتزة قد

P.C.Z. 59230.

PSI. 421.

Restov, L.E. P. 78; C. Preaux, E.R. P. 442, etc. راجع بصفة خاصة

P.C.Z. 59245.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

هربوا واحتسرو في معبد «أزيون منف» وعلى ذلك كتب لحاكم المقاطعة المسمى «مايماخوس» (Maimachos) الذى كان عليه ان يضطر الفلاحين الى معادرة المعبد ويلوح ان سبب هذا الهرب هو اعطاء الارض للجند المرتزقين وان الفلاحين لم يكونوا مرتاحين من تغير أحوالهم هذه في عملهم ، ولكن مما يؤسف له ان هذا الموضوع لم يصل الينا حله

وقد وجدنا فيما سبق ان كل حالات الهرب الجماعية كان العامل فيها هم أفراد الطبقة الدنيا اذ كانوا يؤلفون كتلة متراصة متضامنة، وهذا التضامن وهو كما يلوح لنا من الوثائق ابرز ظاهرة في الهرب الذى من هذا الطراز . فتجده في أحوال المقاومة التى كان لها هدف ميت كما نشاهد ذلك في الوثيقة (PSI. 502) ولكن نجده كذلك حتى في الهرب الأعصى الذى كان يقوم به أصحاب الحرف المضطهدون (١) وليس بدهش كذلك ان يكون هذا الهرب الذى يقوم به الفلاحون هو الذى يتخذ في أغلب الاحيان صورة المقاومة المدبرة العارفة بقصدتها وفيه نجد أن التضامن قد أصبح من أقوى ما يكون ، ومن المستطاع ان يتطرف الانسان الى القول بان هذا التضامن كان أساسه نظاما قديما يرجع في أصوله على ما يظن الى العهود الفرعونية وأمثلة الهرب كثيرة في مصر القديمة في عهد الامبراطورية وهذا التضامن يظهر لنا بدرجة واضحة في صورة أخرى غير الهرب ففى موضوع حاكم المقاطعة «داميس» الذى استعرضناه فيما سبق وما حدث له مع فلاحى «هليوبوليس» وكذلك قضية «سوباتروس» مع سكان قرية «هفاياستياس» (Hephaistias) نجد ان رجال الطبقة الدنيا كانوا متضامين سويا على الادارة الاغريقية

ويتضح هذا التضامن هنا بصورة أعنف وذلك لأنه يظهر أن كل القرية كانت تهجم رعاة الماعز التعماء اتباع ابوللوئيوس كما اشرنا الى ذلك من PSI 498 P.C.Z. 59230.

قبل . هذا وقد اتخذت قرية بأكملها كذلك (١) لأجل أن تحمي مواطننا من اهلها قد اتهم بسرقة بقرات .

ومع ذلك نجد من جهة أخرى في سجلات «زينون» حالات قد حل فيها فرد عقدة هذا التضامن وذلك باعلان عدم كفاية زملائه للإدارة الاغريقية ، ثم حاول بعد ذلك أن يخدعهم لأجل أن ينال الخطوة ويتقرب من رئيسه الاغريقى . وانه لمن المهم جدا ان نلاحظ هنا أمرا يستحق الابانة فيه وهو اننا لا نقصد قط ان نتحدث عن فلاحين مزارعين من المصريين قد أقدمو على حل عقدة ما كان بينهم من تضامن بل ان اولئك الذين كانوا يرتكبون مثل هذا الجرم هم أصحاب الحرف والصناعات . فمن بين هؤلاء ضاربو الطوب وقاطعو الاحجار وفي حالة واحدة نهر من النحاتين ، ولكن المتون الاكثر تميزا في هذا الصدد قد كتبها لنا صناع فخار وصانع سجاد . وفي بعض حالات يكون سبب عدم التضامن خاصا بموظف أو رئيس لم يكن قد عمل الا ما يفرضه عليه واجبه نحو رئيسه الاغريقى ، وفي حالات أخرى نجد ان المبلغ الخائن لاخوانه يكون قد اضطرته لذلك الادارة الاغريقية . مثال ذلك الخطاب الذى أرسله «زينون» الى «سوستراتوس» وفيه يسأل «زينون» صديقه وشريكه «سوستراتوس» ان يرسل اليه أحد بنائيه ليختار له ضاربى الطوب والبنائين الآخرين معه ولكنه يطلب اليه ان يحذر هذا البناء بالا يكشف عن مهمته امامهم مخافة ان يفروا جميعا . وتدل شواهد الاحوال على ان هؤلاء المحترفين كانوا يخشون ان يؤدوا هذه الاعمال بصفة سخرة ويكون مثلهم في ذلك كمثل غيرهم الذين شكوا من انهم قد اضطروا الى ضرب طوب في حين ان ضاربى الطوب الحقيقيين لم يكلفوا بذلك (٢) . ومع ذلك نقرأ في وثيقة أخرى ما يترك في نفوسنا تأثيرا آخر (٣) وذلك ان مدير حانوت جعة قد حبس بأمر من «زينون» لأنه قد اتهم بصورة خطيرة «أمنوس» تاجر

الجمعة ، والظاهر أن التهمة كانت ذات صبغة سياسية أكثر منها مادية ، وذلك لأن «أبولونيوس» قد أضاف في آخر رسالته أن أمنوس سيسبق إذا كان قد قال حقا ما اتهمه به المدير. ويلوح أن هذا الرجل لم يتهم زميله دون سبب ، ومن المحتمل أنه كان يأمل بهذه الخدعة أن ينال حظوة «أبولونيوس» . وكذلك اتهم النحال «فاراتيس» (Pharates) أمام «زينون» من زميله لسبب خلاف بينهما (١) . فقد كتب شكوى الى «زينون» محتجا فيها بأنه برىء ، ويتضرع الى «زينون» ان يرد اليه حريته وذلك بقوله « ان بينى وبينه خصومة وقد سبقنى باتهامه لى أمامك يضاف الى ذلك اننا نصادف فى وثيقة أخرى (٢) قاطع أحجار يخون زملاءه فقد قيد لحسابه العمل الذى أنجزه غيره بل قبل أن يسجن زميل له بسبب دسائسه هو . ولدينا وثيقة أخرى لها نفس الصيغة (٣) . ولكن تقرأ فيها شكوى الطرف المهاجم وذلك أن «نكتوزيس» (Nektosiris) صانع الحبال شكا الى «زينون» من شركائه الذين هربوا وهم مدينون له بأجور عمل . وتقرأ كذلك فى وثيقة (P.C.Z. 59451) أن طاعين للقطط المقدسة فى خدمة معبد «بوسطه» فى قرية «سوفتيس» ، ذكر أن الملك وكذلك «أبولونيوس» قد أمرا أن يعفى الأفراد الذين من مهنتهم من الأعمال الاجبارية فى كل البلاد ولكن «ليوتسكوس» (Leontiskos) رئيس الشرطة قد أرسلهما للعمل فى الحصاد وقد فعلا ما أمرا به لأنهما لم يرغباً فى مضايقة «زينون» وقد أرسلهما الآن ثانية ليضربا طوبا فى حين أنه ترك ضاربى الطوب المحترفين دون تكليفهم بذلك لحاجة فى نفسه . وهذا المتن كذلك لم نشر فيه على أى أثر للتضامن القومى بين المصريين . والظاهر أنه فى حالات عدة تنتصر المصلحة الشخصية على الشعور

(P.C.Z. 59520)

P.C.Z. 59499. 11. 26-43.

P.C.Z. 59472.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

بالتضامن ، وتغرى الأفراد الى اتهام زملائهم والى تهالكهم على ارضاء الادارة
الاغريقية . ومن جهة أخرى نجد أن الادارة كانت تشجع الواشين بنحهم
أحيانا مكافآت مالية على خدماتهم (١) . والواقع أننا نقرأ فى وثيقة بمتحف
القاهرة فى هذا الصدد (P.C.Z. 59484) مذكرة غاية فى الأهمية قدمها
«بايس» (Pale) صانع السجاد الى «زينون» وقد اتهم فيها «بايس»
زميله «نختبس» بالخيانة والنش وانه يستحق قطع يديه ! وذلك أنه لم
يقتصر على عمل سجاجيد قصيرة جدا وخفيفة ، ولكنه فضلا عن ذلك
يفسد أخلاق رفاقه الآخرين . وعندما علم نختبس أنه أراد ان يوشى به
الى زينون حاول الهرب ولكن بايس قبض عليه وسجنه . ونهاية هذه
المذكرة غريبة فى بابها : لقد أخبرتك بهذه الأشياء لأجل الا يضرك انسان
ولأجل أن أحصل على الحظوة عندك .

وفى وثيقة أخرى بالقاهرة (راجع ٢) نقرأ أن «بازيس» صانع الفخار قد
وشى الى «زينون» أمر اهمال زملائه الذين يعملون فى تزفيت جدران أوانى
الفخار ، ولأجل أن يظهر اسرافهم اقترح أن يوكل اليه هو هذا العمل كله والى
ثلاثة آخرين من صناع الفخار يسمى أحدهم «ليزيماكس» وبعد ذلك شكوا
من بعض زملائه بأنهم يحملون له ضغنا ويقولون انه يكتب دائما ضدهم الى
«زينون» وهنا نجد المتن شيقا وهاك ما جاء فيه : « يجب عليك أن تعرف
أنى أغتاب بين صناع الفخار ، وذلك لأنهم يقولون ، أنى أكتب اليك دائما
أشياء سيئه عنهم، وهذا لا يهمنى قط ، ذلك لأنى اجتهد دائما أن أعرف بعض
أشياء مفيدة » ولكنه لم يعرهم التفاتة وصمم على أن يبلغ كل شئ ينبغى
أن يعرفه «زينون» . وقد ورد أخيرا الى «أنوسيس» (Anosis) الذى غطاء
جرة فى حين أن صناع الفخار الآخرين لم يوردوا شيئا ، ومن أجل ذلك فانهم

ينظرون اليه بعين الحسد . ومن ثم نرى أنه لم تكن هذه المرة هي الأولى التي أساء فيها «بايس» الى زملائه وانه مصمم على أن يكيل لهم بنفس الكيل في المستقبل . ولدينا متن آخر كتبه صانع فخار يشكو فيه من زملائه (١) . وكذلك نلاحظ في الموضوع رعاة الخنازير الذين سبق ذكرهم أنه لا يوجد تضامن بينهم وذلك عندما نرى أن «توتيس» قد أصبح شريكا في الجريمة مع هراكليس للاضرار بزملائه المصريين مثله .

ولأجل أن نلخص مسألة التضامن في المجتمع المصرى كما تظهر لنا في سجلات زينون لابد أن نضع سؤالا : كيف يجب علينا أن نتناول هذه الوشائيات والالتهامات ؟ والجواب على ذلك نجد بعضه في المقال الذى كتبه المؤرخ «برمانز» عن «بطليموس الثانى» «فيلادلف» والسكان المصريين (٢) . وذلك لأنه لم يناقشها الا من وجهة نظر الادارة الاغريقية . والواقع أنه من الممكن بل من المحتمل أن «نختمبس» صانع السجاد قد خان رؤساءه وان زملاء «بايس» كانوا مهملين فى أعمالهم ، ولكن يجب ألا يعيب عن بالنا الموقف الحرج الذى كان يحتله الصانع المصرى الذى كان مضطرا أن يغش الادارة التى كانت تبالغ فى طلباتها ، وذلك لأجل أن يكسب عيشه . فهل يمكننا أن نفرض أن «نختمبس» لم يكن يفكر الا فى أن يسرق ؟ أما الجزء الثانى من الاتهام - وهو الذى يتحدث عن افساده لاخلاق زملائه - فيظهر ان المقصود منه هو فائدته الشخصية وكذلك يفهم أن «بايس» لم يعامله بوصفه لصا منحطا وذلك لأنه يسميه محرضا على الثورة أو العصيان . وعلى ذلك فان الدور الذى لعبه الواشى لم يكن دور رجل شريف غضب للحق . ووصف زملاءه بعدم الاستقامة (وهذا هو التأثير الذى يمكن أن يستخلصه الناقد من قراءة رسالته وبذلك نجده قد فك عرى التضامن مع قومه وطبقته وانحاز الى الأجانب أسياده سواء كان ذلك قد حدث منه

بقصد أو جاء عفو خاطر وانه لمن المهم أن نلاحظ ماقد أشرنا اليه فيما سبق وهو أننا لم نصادف مثل هذه الحالة بين طبقة الفلاحين المصريين ، وذلك لأن شعورهم بالتضامن الذى كان على أيقال مؤسسا على نظام قديم كان غاية فى القوة . ولا نزاع فى أنه فى مصانع أصحاب الحرف حيث كان يسود - كما ذكرنا من قبل - جو التسابق والحسد ، نجد أن تفكير الانسان فى التضامن كان يقل عن تفكيره فى الربح العاجل وفى اكتساب حظوة اصحاب السلطان والجاه من الاغريق .

نظرة المصريين للاغريق : لقد تحدثنا حتى الآن عن وضع المصريين بالنسبة للإدارة الاغريقية . ومع ذلك فانه لما يستحق الاعتبار هنا أن تتساءل كذلك عن العلاقات الشخصية التى كانت توجد بين المصرى والاغريقى فى الحياة الحرة وهل سجلات زينون تسعفنا بالجواب على ذلك ؟ والواقع أن الجواب على هذا السؤال الأخير يحتل الاثبات والنفى فى آن واحد . وذلك أن كمية من الرسائل والشكاوى التى وجهت الى « زينون » فى هذه السجلات تهىء لنا أن نكون رأيا عن وضع المصريين بالنسبة « لزينون » نفسه وهذا هو كل مالدينا من المعلومات فى هذا الصدد تقريبا وحتى فيما يتعلق « بزينون » نفسه فانه يمكن أن يكون لدينا شكوك . وتفسير ذلك أنه حتى يومنا هذا لم نصل الى حالة تمكننا من أن نحدد بصورة دقيقة موضع زينون الرسمى . وعلى ذلك فانه من الصعب أن نعرف مايجب أن ينسب الى مركزه الحكومى . ومع ذلك فان الفرد الاغريقى الذى كان يمكن للمصرى أن يتصل به كان دائما على وجه التقريب موطئا ، وعلى أية حال كان رئيسه وفى أعين المصريين كان يجب أن يمتزج الرجل فى معظم الأحيان بمركزه الرسمى . ومن وجهة النظر هذه تهىء لنا الرسائل التى كانت توجه الى زينون أن نكون فكرة صحيحة لا بأس بها عن وضع المصرى بالنسبة للاغريقى الذى ينتمى الى طبقة أعلى . ففى كل الرسائل الموجهة الى « زينون » نقرأ

أن المصريين كانوا يرجونه أن يأخذ بناصرهم ، ويمنع عنهم الظلم الذى يثنون تحت عبئه ، وان يمد لهم يد المساعدة وان يكشف عنهم ضرهم .
والواقع أنه كان الرجل صاحب السلطان فى نظرهم وهو العماد الكلى لهم وفى مقدوره أن يزل كل صعب ، وكان ينتظر منه العدالة المنصفة (١) . ومع ذلك يتساءل الانسان هل كانت هذه الحالة عنده دائما تنطوى على الاخلاص،
وننتقل الآن الى استعراض أبرز هذه الشكاوى وأكثرها ميزة فى هذا الصدد لنرى مقدار اخلاصه فى معاملة المصريين الفقراء .

فمن ذلك التضرع المؤثر الذى وجهته امرأة عجوز الى «زينون» (٢) . وذلك أنها عندما هجرتها ابنتها التى تعولها كتبت الى زينون تقول : انى أسألك أن تأتى لمساعدتى رحمة بشيخوختى وان ترد الى ابنتى . وكتبت اليه امرأة أخرى وهى أرملة رجل يدعى «سنخسو» ترجوه فى أن يرد اليها أتانها التى كان كان قد اغتصبها « نيكياس (Nikias) » (٣) . فتقول: سأرسل اليك مولودها ، وانى أرجوك وأتوسل اليك ، ألا تهمل مسألتى فانى امرأة أرملة . وكتب اليه كذلك راعيا خنازير وهما «بتنوريس» و «سامويس» شكوى وكانا سجينين بسبب جرم ارتكبا (٤) . والطريف أنهما لم ينكرا جريمتها ولكنهما يلجآن الى رحمة وعطفه فى أن يطلق سراحهما خوفا من أن تهلك قطعا نهما لعدم العناية بها ، وهما نفسيهما يموتان جوعا لعدم وجود ما يسد رمقهما . وفى ذلك يقولان : أرجوك أن تأخذك الشفقة بنا ، فقد عوقبنا بسبب خطئنا ، وليس هناك فرد بغير خطيئة ، وعلى ذلك ينبغى لك أن تفحص موضوعنا ، اذا رأيت حسنا أن نحررنا ، لأنه ليس لنا سيد غيرك ، ومن ثم فانا نكتب اليك نطلب الرحمة .

هذا ويظهر «زينون» فى عدد كبير من سجلاته بأنه هو المحامى الوحيد

Chronique d'Egypte XIX. P. 288.

P. Lond. Inv. 2660.

P. Mich. Z. 29.

P.C.Z. 59495.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

للمظلومين . ولكن يجب أن نلاحظ هنا أن هذه الحالة الخاصة بالطبقة الدنيا من السكان كانت عامة وليست قاصرة على المصريين الأصليين وحسب وذلك لأنه لدينا متون مشابهة حررها اغريق في هذا الصدد (١) . هذا ولدينا رسالة من فرد يدعى « بمناسيوس » (Pemenasios) يشكو فيها من أن بواب « زينون » لم يسمح له برؤيته ليشكو اليه أمره . والظاهر أن كل هؤلاء التعماء كانوا يعتقدون أنهم سيصلون الى أغراضهم ان هم أمكنهم التحدث مع « زينون » شخصيا . وقد كان هذا الزعم هوراى « أوللاس » (Iollas) (٢) الذى أراد أن يهرب الى جوار « زينون » وكذلك كان هذا هو رأى المبدل (٣) الذى لم يرد أن يترك عمله كغيره من زملائه ولكنه طلب حكم المدالة فى أمره من « زينون » . فيقول : بما انى أعلم من أخلاقك أنك عدو السوء فانى لذلك لم آتته .

هذا ونجد أحيانا أن هذه الحماية التى كان يمنحها « زينون » لبعض المصريين كانت توضح بصورة بينة ويقول فى ذلك « روستوفتريف » (٤) . وهناك صورة أخرى للحماية وهى الحماية التى كان يعطيها موظفون من مرتبة عليا أو من مرتبة صفرى لرجال كانوا يعملون لهم أو كانوا مرتبططين بهم بصورة أخرى « هذا ونجد فى بعض الحالات مثل حالة « باتيميس » (Patymis) الذى جاء ذكره فى وثيقة أخرى (P. Rylands 569 208) ما يشعر الانسان أن « زينون » كان يحمى المصريين لمصلحته الشخصية فقد كرر « باتيميس » بقوة حمايته له فيقول مخاطبا له : لقد حميتنا منذ البداية وكذلك الآن وليس هناك أحد آخر سيحمينا ، وليس لدى ثقة الا فىك لحمايتنا .

والظاهر أن مستخدمى « زينون » كانوا هم الذين يفيدون فى معظم الأحيان

P.C.Z. 59421; P. Mich. Z. 107.

P.C.Z. 59080.

P.SI. 667.

Rostov. H.W. 1396.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

من حمايته أكثر من غيرهم . وأبرز متن في هذا الصدد (١) . وهو يحدثنا عن اعرابي كتب الى «زينون» رسالة طويلة شيقة يطلب فيها مساعدته . وذلك انه لما كان عليه أن يبقى في «سوريا» مع «كروتوس» (Krotos) فقد قضت الأحوال أن يقوم بخدمة الجبال ، غير أن الأخير لم يعطه مرتبه ، وقد انتظر بعض الوقت حتى يعود «زينون» ، ولكن الجوع في نهاية الأمر قد اضطره الى الهرب في داخل البلاد وهنا يضيف في خطابه الى زينون بقوله : « انى اكتب اليك لتعلم أن «كروتوس» هو المذنب » . وبعد ذلك أرسله «زينون» الى «فيلادلفيا» حيث كان يعمل تحت أوامر «ياسون» (Iason) ، ولكنه عومل هناك معاملة سيئة كأنه متوحش ، وعلى ذلك تضرع الى «زينون» أن يأتى لمساعدته . وعندما يقرأ المرء هذه الرسالة يشعر الى أى حد من التعية الشديدة كان يعيش كاتبها وفيها يقول يجب عليك أن تعرف انك قد تركتني في سوريا مع كرونوس ولم ارتكب خطأ في حقك ؛ وعندما أمرت أن أعطى المرتب الذى أمرت اعطاه فانه لم يعطينى شيئا . وعندما رجوته كثيرا أن يعطينى ما أمرت به فان كرونوس لم يعطينى شيئا . ولكنه أعطاني الأمر بالانصراف وقد صبرت بعض الوقت في انتظارك ... وقد كتبت اليك لأجل أن تعرف أن كروتوس هو المذنب . وعندما أرسلتني الى فيلادلفيا عند «ياسون» وعندما فعلت كل شيء أمرتني به .. انى أرجوك .. وانك على ذلك ستعمل عملا حسنا اذا اهتمت بى . وانى أنوسل لكل الآلهة وكل أرواح الملوك أن تكون في صحة جيدة، وأن تأتى بسرعة عندنا لأجل أن ترى أنت بنفسك بأنه لاغبار على وهذه الرسالة بتبدى بصيغة الصحة والسلامة مما لانجده في معظم الرسائل التى وجهت الى «زينون» من تابعة . يضاف الى ذلك أن تكرار ضمير المخاطب بقوة وبكثرة كان كذلك غريبا في هذه الرسالة . هذا ونجد أن موقف «كليسيس» (Kelusis) الذى يلوم كلا من «سوستراتوس» و «زينون»

يأنهما سافرا دون أن يعلماه ما الذى قاله «أمونيوس» عنه ، كان مماثلا لما جاء فى الرسالة السابقة (١) .

ولدينا رسالة «لزينون» من «باؤزيس» الذى كان تحت حمايته ، وتستحق ان تهمص فحفا خاصا فهمي تكشف لنا عن احدى مواقف «زينون» بالنسبة للمصريين وذلك أننا نفهم منها أن «زينون» كان أحيانا يمنح حمايته الى بعض أسر مستخدمى «ابوللوينيوس» . وخلاصة القصة ان «باؤزيس» (Paolis) كان قد وضعه ابنه «حوروس البحار» تحت حماية «زينون» وهو أحد بحارة «ابوللوينيوس» . وقد شكنا من ان «هراكليلس» رئيس ضيعة «فيلادلفيا» قد سجنه لاجل ان يبتز منه مائة درخمة غير ان «باؤزيس» لم يكن يملك الا حمارا وبعض اغنام قد تركها له ابنه «حوروس» لتكون تحت رعايته ، ومن أجل ذلك يرجو «زينون» ان يسرحه من السجن حتى يكون فى مقدوره الاتصال «بحوروس» الذى سيضع شكواه امام «ابوللوينيوس»

وقد كتب باؤزير لزينون يقول :

الى زينون السلام عليك من «باؤزيس» والد «حوروس» بحار أبوللوينيوس، وهو الذى أخذ يدي وأعطاه اياك وقال لك : اذا ارتكب معه أحد ذنبا قلّه الى .

هذا وقرأ فى بردية أخرى قصة عكس ذلك فاستمع اليها (٢) . وذلك ان الوالد «سيخوس» فى هذه الوثيقة هو الذى وكل أمر ابنه «بطليموس» الى زينون السلام عليك من «باؤزيس» والد «حوروس» بحاراً أبوللوينيوس (Hermaphilis) والى «بيثون» (Python) صاحب المصرف والى غيرها كذلك بخصوص ضرورة تعيين ابنه . فى وظيفة كاتب . وقد ارسل «سيخوس» ابنه شخصيا ليرى «زينون» ويرجوه فى ان يكتب فى الحال

P.SI 410.

P.C.Z. 59342.

(١) راجع

(٢) راجع

أمرا بتعيينه في وظيفة برتب حسن .

والواقع ان خطاب التوصية السالف الذكر يعد من الرسائل النادرة التي كتبها مصري في هذا الصدد ، هذا وفي سجلات «زينون» رسائل كثيرة من هذا النوع كتبها اغريق لا مصريون (١) .

هذا ولدينا بعض رسائل موجهة الى «زينون» من مصريين عليها مسحة الألفه وذلك على الرغم من ان القارئ يحس ان كاتبها يوجهونها الى مدير ادارة «ابوللونىوس» القوى بوصفه صديقا لهم يحتل وظيفة عالية ويشغل مكانة تمكنه من مساعدتهم . وهذا هو التأثير الذى تركته رسالة «فانزيس» (Phaneis) كيال الحبوب (٢) . فقد كتب الى « زينون » أنه سجين فى الاسكندرية بأمر من «ديونيسودوروس» (Dyonysodoros) والظاهر مع ذلك أنه لم يكن يفكر فى هم الغد، وهو يرجو فى رسالته «زينون» فى أن يرسل اليه فقط خادما لانه ليس لديه بجواره احد فى المدينة ، وكذلك طلب اليه ان يرسل اليه عباءة وما تيسر من النقود . هذا ولدينا رسالة أخرى (٣) . تذكرنا كذلك بالرسائل التى كتبت الى «زينون» من اصدقاءه الاغريق . وقد سأل فى هذه الرسالة «حارمايس» (Harmais) ان يتدخل فى صالحه امام «أبوللونىوس» وقد أرفق بخطابه صورة من الشكوى التى ويجب ان تفحص على حدة موقف الكهنة المصريين تجاه «زينون» ، قدمها (٤) . وذلك على الرغم من أن الوثائق لم تحدثنا فى سجلات « زينون » الا عن الكهنة الذين يشغلون وظائف صغيرة . والواقع انه فى كل المتوز المحفوظة لدينا يظهر فيها «زينون» بأنه الحامى والمحسن لرجال الكهانة . فلدينا مثلا متن (٥) . خاص بمصالح «كوللونيس» كاهن الالهة «توريس»

(١) راجع W. Keyes American Journal of Philology LVI. P. 28 ff.

P.C.Z. 59519

PSI. 488.

PSI. 502.

P.C.Z. 59308

(٢) راجع الرسالة التى كتبها «بانا كستر» الى «زينون»

(٣) راجع

(ربة الولادة) في «فيلادلفيا» وفي متن آخر (PSI. 531) تقرأ ان كهنة «عشتارت» صاحبة منف يلجئون الى كرمه وسخائه ، كما نجد كاهن «ازيس» (٥) . يطلب مساعدته وحمايته من تعدى موظف . وفي أحد متون القاهرة (١) . تقرأ ان مربيى القطط فى بوسطه يتضرعان اليه ان يخلصها من سخرة فرضت عليهما بغيا وظلما . هذا وقد رأينا من قبل أنه منح حمايته الى كاهن صغير (Isionomos) (٢) . وذلك على الرغم انه كان يعمل ذلك على مايحتمل لوجه الله . وقد كان كذلك على علاقة مع كاهن اكبر ولكن المتن المختصر الذى جاء فيه ذلك (٣) لا يسمح لنا أن نتنبأ بما يقصد منه والخلاصة يظهر انه لأجل ان يميز الانسان وضع المصريين بالنسبة للاغريق يجب ان نبرز النقاط التالية (أولا) تبعية المصريين الاقتصادية التى ينتج منها عدم ثقة المصريين وعدواتهم للاغريق (وذلك على الرغم من اننا نجد مصريين من الطبقة الراقية من هم على وداد ومصافاة مع الاغريق ، وانه فى طبقة أقل من السابقة نجد ان بعض اصحاب الصناعات ينقضون تضامن طبقتهم جريا وراء نيل حظوة الاغريق (أصحاب السلطان) ، (ثانيا) ومن جهة أخرى اعتقاد المصريين انه يجب عليهم ان يبحثوا عن التآزر والحماية اذا ما ارادوها فى كل مشكلات الحياة عند الاغريق اصحاب السلطان . والظاهر ان الشعوب الوطنى لم يكن له دور يقوم به فى هذه الحالة الا دورا ثانويا ، لا يكاد يذكر .

والآن نجد انه قد حان الوقت للإجابة على السؤال التالى : ما هو وضع الاغريق بالنسبة للسكان المصريين ؟ (كما نقهه فى وثائق سجلات زينون)

PSI. 539.

(P.C.Z. 59492)

P.C.Z. 59451.

P. Ryland 569

PSI. 641.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

(٥) راجع

والواقع ان هذه المسألة كانت موضع نقاش كبير . ولكن لنندع أولا الوثائق
تتكلم في هذا الصدد والواقع انه حتى لو كان موقف الاغريق غالبا كما
سنرى فيما يلى - معاديا أو بالاحرى موقف ازدراء ، فانه لدينا مع ذلك
أوراقا بردية اغريقية نعلم منها ان الاغريق كانوا يتدخلون لاجل صالح
المصريين . فرسائل التواصى التى كتبها زملاء زينون الاغريق له تعتبر غاية
في الأهمية من هذه الوجهة ففى وثيقة (١) . كتب «أمينتاس» أحد موظفى
«أبولونيوس» وزميل «زينون» الى الاخير يرجوه ان يصفح عن فرد
(Kiolourgos) قد التجأ اليه طالبا الحماية . والمتن شيق اذ يقول : ان
كولورجوس قد وصل عندنا وهو يطلب الحصول على صفحك عنه ، وألا
يعتبر مذنبا ، وعلى ذلك تكون قد أتيت عملا طيبا اذا أطلقت سراحه اذا
كان لم يأت ذنبا عظيما، وانه بعد أن يكون كما يجب فى المستقبل وقد وبخناه
هو نفسه بأنه متسكع ولا يقوم بعمل . وهو يطلب أن يطلق سراحه فى «منف»
وان يسمح له بالعمل . واذا لم يعط «أبولونيوس» أوامر مضادة فانك تعمل
حسنا اذا سرحته ومع ذلك فان اسم الراجى لم يذكر كما لم يعرف احد معنى الكلمة
الدالة على وظيفته . والناشر للمتن وهو «بتروبولوس» (Petropoulos) يظن
أنه صانع من صناع الفخار أو عامل يشتغل فى بناء السفن فاذا كان الامر كذلك،
فانه يمكن ان تفرض انه كان مصريا ورسالة «أمينتاس» لطيفة جدا، ومنها نفهم
ان الاغريق قد سلك فيها مسلكا محايدا . اذ قرأ بين السطور بسمة حلوة
تدل على السباحة : « آه من هذا الشيطان المسكين فى استطاعتك ان
تسامحه ! » ولكن هذه الرسالة تعد كذلك شيئا استثنائيا - ولدينا
رسالات توصية اخرى بعث بها الى «زينون» لصالح مصريين ، ولكن فى
بعضها يرى الانسان بجلاء ان الموضوع لا يتناول قط اغراضا انسانية وان
الاغريقى الذى يتدخل فيها لم يكن لمصلحة المصرى بل لمصلحته هو وحسب

ففى متن (١) نجد ان «كاساندروس» (Kassandros) وهو أحد جنود «أبولونيوس» يرجو «زينون» ان يخلص رجلا قد أرسل من مقاطعة «منف» الى «فيلادلفيا» للحصاد ، وذلك لأن هذا الرجل كان ضروريا له (١). وفى متن آخر (٢) . طلب الى «زينون» ان يفحص موضوع «بزيناتس» (Psinates) بن «باجاتس» (Pagates) وان يتكلم فى ذلك لموظفين آخرين . وفى بردية (٣) لم يبق لنا منها الا بداية رسالة كتبها الى «زينون» فرد يدعى «ديوكليس» يتشفع فيها لدى «زينون» لصالح «باريس» الذى هرب من مقاطعة «الهنسا» (٤) . هذا ونجد فى ورقة اخرى وهى (٥) . جزء من المسودة التى فيها جواب «زينون» على الرسالة السابقة جاء فيها ان ديوكليس أحد رجال الجيش المستعمرين فى «ارسنوى» وهو صديقى ويهمه كثيرا أمر مصرى اسمه باريس وعلى أية حال ليس لدينا أية فكرة يمكن ان تكون لجندى مرتزق اغريقى يطلب فيها حماية حارس هارب ومع ذلك فان المتن ممزق ولا يقدم لنا معلومات كافية فى هذا الصدد .

هذا ونلاحظ فى كثير من مجريات الاحوال مع ذلك الاحتقار والعداوة اللذان يظهرهما الاغريق نحو السكان الاصليين أو بعبارة ادق نحو ممثلى الطبقة الدنيا من المجتمع المصرى . ففى أوراق «ريلننيز» (٦) نقرا ان فردا يدعى «باتايكيون» (Pataikion) كتب الى «زينون» فى موضوع شرطى يدعى «سوكيس» (Sokeus) وكان قد أفسده ، انه قد سافر الى «ابولونيوس» ليعرض عليه غلامته ، ومن ثم رجا «باتايكيون» «زينون» ان يقيم العقبات فى وجه المصرى ، ثم يضيف فى خطابه انه قد كتب كذلك

P.C.Z. 59301.

Preaux(Chron. Eg. X. P. 112 f.

P.C.Z. 59303

P.C.Z. 59303.

P.C.Z. 59590

P. Mich. Z. 82.

P. Ryland 563.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

(٥) راجع

(٦) راجع

(٧) راجع

لترجم « أبوللونوس » لأجل أن يلعب معه دورا خسيسا اذا أمكنه .
فيقول له انك تفعل حسنا اذا وجدت فرصة وأمكنك ان تلنثت الى موضوع
هذا الرجل حتى لا تكون سخرية في أفواه الآخرين . وقد كتب كذلك
الى مترجم أبوللونوس في هذا الصدد بان يعمل على الاضرار به اذا امكنه
ويمكننا ان نؤكد مع ناشر هذا المتن ان المترجم لابد كان لديه الامكانيات
لمضايقة المصرى الذى كان يريد ان يتكلم الى الوزير صاحب القوة دون ان
يعرف لغته . ومن الاشياء الشيقة كذلك ان نلاحظ هنا ان « باتاكيون » كان
يعتبر طريقته عادية تماما ، وانه كان متأكدا ان « زينون » سيبحثها أيضا .
ومع ذلك لا يمكننا ان نعد هذا المتن بمثابة مظهر عداوة قومية ، وذلك
لانه ليس لدينا متن آخر مشابه لموضوعه خاص باغريقى . هذا وقرأ فى
متن آخر ان « أمينتاس » يرجو « زينون » ان يطلب الى « أبوللونوس » ان
يعير اذا صاغية الى شكوى النجار « كالياناكس » (Kallianax) الذى ذهب
الى الوزير يطلب حمايته . والظاهر اذا انه فى هذا المتن كما فى غيره لابد
أن نبحت عن منبع العداوة التى نلمحها هنا لا فى اختلاف القومية بل فى
ركن خاص بالموقف المادى والاجتماعى .

والواقع أنه لم يكن عند الاغريق بوجه عام ثقة فى العمال المصريين الذين
يشتغلون لحسابهم . وهذا الشعور يظهر جليا فى رسالة كتبها لزينون فرد
يدعى « سبونداثس » عن موضوع خشب الجميز الذى
كان ضروريا لبناء مركب . وقد طلب ان يرسل اليه « تيوبومب »
(Theopompe) الاغريقى ليقوم بشراء هذه الصفقة (١) . حتى يقضى
بذلك على اعتذارات العمال (الذين يبنون السفن) لانهم كسالى ويبحثون
عن معاذير . هذا ولدبنا رسالة تستحق الالتفات (٢) . وقد تحدثنا عنها

فيما سبق عندما كنا تفحص مسألة الحماية التي منحها «زينون» للاهلين ولكن لا بد ان نبرز نقاطا اخرى في هذا المتن الشيق . وذلك لانه هو الوحيد في سجلات «زينون» الذي نجد فيه ان كاتبه يشكو من سوء معاملته لانه ليس هيلاني المنبت فيقول انه لم يدفع له مرتبه ولم يعط نبذا بدلا من النيذ الحلو كما يعطى الاغريق قائلا : « حنى لا أموت من الجوع وذلك لانى لا اتكلم الاغريقية او بعبارة اخرى لانى لست مثل الاغريق ويقول : «ولكنهم يحتقرونى لانى لست «اغريقيا» . وقد طلب بعد ذلك الى « زينون » ان يأتى لغوثه وان يصدر الأمر باعطائه مرتبه . وكاتب هذه الرسالة عربى الأصل . ومما يستحق الاشارة اليه هنا انه المتن الوحيد في سجلات زينون الذى نسمع فيه كلاما صريحا عن التمييز العنصرى ولم يكن كاتبه مصريا ، وهذا امر يلفت النظر وله اهميته . على ان وجود هذا المتن لا يسمح لنا ان نستنبط أن السكان غير الاغريق في مصر كانوا يشعرون بأنهم صنف منحط عن الاغريق . وحتى الاغريق الذين من الطبقة الدنيا في مصر نجد انهم كانوا يشعرون دون شك انهم اكثر قربا من المصريين الى اسيا د البلاد ، وذلك لانهم كانوا يشتركون مع هؤلاء الاسيا د فى اللغة والتقاليد وقد كانوا فخورين بذلك . هذا ونعلم من أوراق البردى كذلك ان الاغريق كانوا يخافون أحيانا بأس المصريين الاصليين .

حقا لم يكن زمن الثورات على الحكم البطلمى قد اتى بعد . ومع ذلك يظهر ان الاجانب لم يكونوا يشعرون دائما بالامان فى الريف المصرى . هذا وقد كتب «كريتياس» الى «زينون» . (PSI. 345) يقول ان محصول الكروم يتبدى ، ويطلب اليه ارسال عشرة حراس على الاقل وبترحيل الموجودين عنده حتى لا يحدث ما لا تحمد عقباه . ولدينا جزء من رسالة عن طريق اغريق قد أرسلوا لحراسة الكروم وقد طلبوا مددا او ان يعفوا

من وظيفتهم . فقد قال لهم أحد الناس انه من خطئ الرأى استخدام شبان مصريين (١) . ونفهم من السطر السادس والعشرين وما بعده من وثيقة بالقاهرة (٢) . أنه فى العلاقات مع الادارة نجد أن الاغريق كانوا أحيانا حذرين من الموظفين المصريين . مثال ذلك «دمترويس» الذى اراد ان يتحاشى وقوع خلاف مع الكاتب الذى بيده حساب المؤسسة لانه كان فى مقدور الاخير أن يضايقه . هذا ونعرف كثيرا من الخلافات التى وقعت بين المصريين والاغريق ، ومع ذلك فان هذه الخلافات لم تكن مميزة ، وذلك لاننا نعرف الكثير منها . ومن المحتمل انها كانت تقع اكثر بين الاغريق وبين المصريين . واهم هذه الخلافات مسألة «اجاتون» و «شوباتيس» حيث اراد أجاتون بأية طريقة ان يتسلم من «زينون» ارضا مؤجرة الى «شوباستيس» (٣) .

وكانت الادارة الاغريقية لا تفكر من حيث العلاقات الرسمية او العلاقات غير الرسمية الا فى الفوائد التى يمكن أن تنتزعها من عمل السكان المواطنين . وقد كان موقفها معروفا جيدا ، وقد ظهر ذلك بالمثل فى سجلات «زينون» (٤) . فقد كانت الادارة لا تكثرث بأمر موظف مصرى أو عربى أو اغريقى فقير ، ولكن المهم لدينا هو دخل الحكومة ومصصلحة الحكام الشخصية ، حتى ولو حصلت على ذلك بطرق غير شريفة او بارتكاب مخالفات . ومع ذلك لابد أن نلاحظ هنا انه فى غالب الأحوال لم نسمع بمخالفات فى وثائق سجلات «زينون» . والمحتمل ان ذلك لم يكن من باب الصدفة . اذ المفهوم على ما يظهر انه خلال حكم «فيلادلف» كان الموظفون لا يزالون فى قبضة الحكومة ونقول هنا فى خلال مدة حكم «فيلادلف»

P.C.Z. 59361.

P.C.Z. 59610.

C Viereck, Philadelphiea. P. 44.

P.C.Z. 59130. 59209, 59275, 59310, 59329, 59496, etc.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

لانه لم يكن الا في هذا العهد قد احتل «زينون» وظيفة رسمية ، وبذلك كان في مقدوره ان يتسلم شكاوى خاصة بمخالفات الموظفين .

والظاهر مع ذلك انه في هذا العهد كانت تقوم في وجه الادارة الاغريقية عقبات للحصول من السكان المصريين على ما كانت تفرضه عليهم « فقد كانت أحيانا تلجأ الى الوعود والتفسيرات مثل الحالة التي سبق ذكرها عن الخلاف الذى حدث بين سكان «هيفايستياس» ومع وكيل حاكم المقاطعة «داميس» (١)

وغالبا ما كان ينبغى على الادارة ان تمنح امتيازات بعضها ينبع من السياسة الملكية - ويفكر الانسان بوجه خاص في هذه الحالات التي تعترف فيها الادارة انه من الطبيعي انها لا يمكنها ان تشغل العمال في أيام أعياد البلاد (٢) . أما الامتيازات الاخرى فانها كانت تقتصب منها وبخاصة عندما يكون الامر متعلقا بجعل الفلاحين يعودون الى الحقول التي هجروها ونحن نرى جيدا أن الموظفين كانوا يرتبكون أما م خطر هرب الفلاحين وترك أعمال الاغريق ، وكان السكرتير المالى «زويلوس يفضل عدم التدخل» في المشاكل التي يلاقيها «باناكستر» (٣) . وعلى الرغم من أن «كولوتس» الذى جاء ذكره في بردية بالقاهرة (٤) قد أراد أن يحضر حاكم المقاطعة «مايماخوس» أملا في انه سيكون في استطاعته ان يجعل الفلاحين يتركون المعبد الذى 'تموا فيه ، فان الموقف امام حاكم المقاطعة لم يكن على ما يظهر من السهل حله ومع ذلك فانه لمن المهم ان نلاحظ ان «كولوتيس» (Kollouthes) المصرى كان يعتقد أنه كان من السهل على موظف اغريقى أكثر منه ليجمع الفلاحين المصريين يخضعون ويعودون الى عملهم .. والواقع أن الهرب

P.C.Z. 59203.

P.C.Z. 59815, PSI. 374, Cf. Rostov. H.W. P. 290 f:

PSI. 502.

P.C.Z. 59245

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

كان سلاحا قويا في ايدي المصريين . حقا ليس لدينا الا المتون المتعلقة بالتهديد بالهرب الخاص بضاربى الطوب (١) ، ولكن يظن الانسان ان هذا التهديد هو الذى كان ينتزع من الادارة الاغريقية الجزء الاعظم من وعودها وتفسيراتها وحتى الامتيازات التى كانت تمنحها نتيجة لذلك

ومن ثم نرى ان الهيلانيين فى حين كانوا يلعبون أحيانا بكل سرور دور الحامى الكريم فانهم كانوا بوجه عام لا يفعلون ذلك الا لان اهل البلاد كانوا فى نظرهم قوة عاملة لا غنى عنها ، وانه يجب استغلالهم بقدر المستطاع بكل الطرق . ولا نزاع فى انهم فى معظم الاحيان كانوا يحتقرونهم ولكنهم كانوا كذلك يخافونهم مع شعورهم بالكراهية لهم . ومع ذلك فانهم كانوا لا يحتقرون الا القومية والعنصرية وذلك لأن الاغريق كانوا يتمتعون بعلاقات ودية مع المصريين من طبقة خاصة . وكل ما فى الامر انه كان احتقار الاغنياء والاقوياء للضعفاء والمعوزين . حقا انهم كانوا فخورين بأنهم اغريق ولكن تمسكهم بوطنيتهم لم يكن أمرا ثانويا وذلك لأن كون الفرد اغريقيا كان يعنى بوجه خاص عندهم هو المال والسلطان

والآن يتساءل الانسان ما هى السياسة الرسمية للادارة البطلمية تجاه السكان المصريين ؟

الواقع أن هذه المسألة قد نوقشت مرات عدة (٢)

ويعيب هذا المصدر الاخير على البطلمة انهم لم يهتموا بما فيه الكفاية برعاياهم المصريين (٣) . ولا بد أن نضع النقاط على الحروف فيما يخص

P.C.Z. 59230 230.

(١) راجع

P. Jouguet, I.C. P. 271 ff.; W.L. Westermann *Agricultural History*. Vol. I. P. 34 ff.; W.W. Tarn J.E.A. XIV. P. 246 ff.

(٢) راجع

C. Preaux, *Chronique d'Egypte* XI. P. 117.
Peremans *Chron. D'Eg.* XI. P. 156 ff.

(٣) راجع

العامل الاقتصادي في سياسة البطالة في لقرن الثالث ق.م. وان نقل من واقع الحال اهمية العامل القومي (١) . حيث يقول ان الهم الرئيسى لهؤلاء الملوك هو ان يحصلوا اقصى ما يمكن الحصول عليه من دخل البلاد في ميدان الاقتصاد ، ولكن أنظر نفس المصدر ص ٢٨٧ حيث يقول أن الفصل بين الاجانب والمصريين كان يظهر مباشرة في بعض المثون . والواقع انه في بعض الوثائق نشاهد الشعور القومي لا يلعب أى دور . ولكن في بعض متون نادرة جدا نجد على حسب بعضها ما يدل على عداة قومية ، اللهم الا اذا كان الموضوع متعلقا بمعارضة بين الفاتحين و المقيمين أو بين السيد والمسود (٢) .

(وفي هذا المصدر عن الاهتمام الأبوى بالبلاد) راجع كذلك (٣) حيث يقول ان كلا من بطليموس الأول وبطليموس الثانى قد فهم بوضوح انه كان من المستحيل ان يؤسس ملكه على طبقة السكان الاصليين الا بوصفهم كتلة بشرية كانت تكدر بالقوة الجبرية ، وعلى حسب نظام خاص ، وكانوا على حق كما ظهر من المحاولات التى قام بها اخلافهما في هذا الاتجاه . وذلك أن السكان المصريين لم ينسوا قط ان الاغريق وأسرة البطلة لم يكونوا الا اجانب ودخلاء على بلادهم (٤) . ويتحدث هذا المصدر عن العلاقات الاقتصادية أى علاقة الطبقات (٥) ببعضها بعضا .

كما يتحدث عن الاغريقى والمصرى والعبرى والرومانى في مصر وعلى حسب الرأى السائد فى الادب الحديث نجد ان الفائدة الاقتصادية قد لعبت هنا دورا حاسما وكذلك فى الحياة الخاصة . ومن تحليل سجلات

Peremans V.E. P. 272.

W.L. Westermann, The American Hist. Rev. XLIII. P. 285.

Rostov. H.W. P. 132.

A.B. Ranovie, Ellignim i jego istoriceskaya rol. P. 183.

S. Davis, Race-Relations in Ancient Egypt.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

(٥) راجع

«زينون» في استطاعتنا أن نلاحظ أن طرق الإدارة البطلمية وحتى التي من أول وهلة نرى أنها ناتجة عن سياسة قومية تظهر أثناء تحليل أكثر عمقا انها قد أملت بوساطة مصالح اقتصادية . وهذا على الاقل هو التأثير الذي جاء نتيجة دراسة هذه الوثائق التي نرى فيها أحيانا حب الافراد وبغضهم ولكن حيث لا يمكننا إن نتحسس توجيهها قوميا في سياسة الادارة الاغريقية نحو السكان الاصليين .

ومن المحتمل ان الوقت قد حان الآن لتساءل اذا كان في مقدور الانسان ان يعمم ملاحظاته التي عملت في الواقع من مادة غنية ولكنها محددة من حيث الزمان والمكان . فهل حياة الفيوم التي تعتبر اقليما جديدا لا يوجد فيها سمات لا توجد قط في أى اقليم مصرى حيث نجد أن السكان الاصليين قد استوطنوها منذ احيال مضت وحيث كان الاغريق فقط هم الوافدين الجدد ؟ وتدل الشواهد مع ذلك انه اذا اراد الانسان ان يؤكد ان صورة المجتمع المصرى التي رسمت في سجلات «زينون» ليست صحيحة الا بالنسبة لمنتصف القرن الثالث ق.م. فانه في الا مكان من جهة أخرى ان تفرض انه لم يكن هناك فروق رئيسية بين هذا المجتمع وبين الذي كان يعيش في الاقاليم الاخرى في مصر ، وذلك على الرغم من ان نشاط « بطليموس الثانى » الاستعماري قد ظهر فيه بوضوح . فعلى مكان آخر ربما كانت الحياة اكثر سلاما واقل حمية ، كما كانت نسبة الاغريق المثوية فيه اقل ايضا ، ولكن يظهر ان هذه الفروق كانت صحيحة من حيث الكمية لا من حيث النوع .

ولدينا سؤال آخر وهو : هل هذه الصورة التي رسمناها هنا للمجتمع المصرى في مصر في القرن الثالث ق.م . تعد كاملة في نظر المؤرخ ؟ والواقع ان الحالة المادية للبلاد واعتمادها على الاغريق ، وكذلك المدواة والبغضاء اللتان كانتا تمزقان هذا المجتمع في

الداخل ، وترميان أحيانا المصريين في أحضان الاجانب أسياد البلاد كانت تجعلانهم يوشون بزملائهم وطبقتهم ، ومن جهة أخرى نجد أن وحدة الأسرة وتضامن الشعب وبخاصة طبقة الفلاحين قد جعل المصريين يحاربون الادارة الاغريقية بكل ما لديهم من قوة وهذا التضامن القومى كان يتمثل بوضوح فى غالب الاحيان فى المقاومة السلبية التى كانت تتجلى فى افراد الشعب عن تدبير وروية . وأخيرا يتساءل المرء هل أخذ فى الاعتبار كل أوجه الحياة الاجتماعية عند المصريين بالنسبة للعلاقات بين اهل البلاد وبين الفاتحين الاغريق ؟ والجواب على ذلك بالنفى قطعاً . ولكن الصبغة العامة لمصادر هذا البحث وهو سجلات «زينون» مضافا اليها حقيقة ان كل المصادر المستقاة من أوراق البردى ليست الا قطعاً من كل غائب عنا ، وقد فرض علينا الا تتعدى هذه الحدود التى يستحيل علينا الآن ان نتعدها

المجتمع الاغريقى فى مصر خلال القرن الثالث ق . م مستخلصا مما جاء فى سجلات « زينون »

تحدثنا فى الفصل السابق عن علاقة الطبقة الدنيا برجال الادارة الاغريقية الذين كان فى يدهم مقاليد الأمور ومفاتيح الرزق بالنسبة لهذه الطبقة الكادحة الفقيرة من الشعب المصرى الاصيل والآن نرى لزاما علينا ان نبحث فى هذا الفصل عن علاقة الاغريقى بالاغريقى لتكون الموازنة كاملة والموقف بينا جليا . ولأجل أن نفهم هذا الموقف لابد أن نرجع قليلا لنرى باختصار الى أى مدى كان نفوذ الاغريقى فى مصر قبل احتلال البلاد على يد « الاسكندر » . وذلك على الرغم من اننا عالجنا هذا الموضوع فيما سبق .

ولا نزاع فى انه فى مدة عصر الانتقال التى تقع ما بين القرن الرابع والقرن الثالث ق.م قد ولد عالم جديد فى الجزء الشرقى من حوض البحر الابيض المتوسط . اذ بالواقع انه قد نمت بعض ممالك هيلانستيكيه بسرعة خاطفة لتصل الى قمة مجدها وغايتها فى خلال القرن الثالث ق.م.

وقد انتشر اغريق شبه جزيرة البلقان والمستعمرات الايطالية والصقلية وقبل كل شئ كل أهل المدن الاغريقية البحرية الممتدة كتله واحدة فى كل اقليم الدولة الفارسية القديمة ، وهى التى فتحت أبوابها أمامهم بحد سيف الاسكندر الاكبر . وقد خلق هذا التدفق الجارف من السكان الاغريق أمام الممالك الهيلانستيكية التى نشأت حديثا مشكلة حياة او موت لهم . ومن أجل ذلك عمل ملوك هذه الحكومات المستحيل لجذب المهاجرين الى بلادهم واستيطانهم فيها (١) . ونجد أثر ذلك فى الادب الاسكندرى ،

(١) Rostovtzeff, Social and Economic History of the Hellenistic
World, P. 1035 & 1070.

وذلك لان الكتاب الاغريق كانوا يعرفون ان تشجيع مواطنهم على التوطن في مصر ، يعتبر من الامور التي تروق في أعين الحماة الملكيين (١) . وقد كان ذلك بالضبط ما حدث في البلاد المصرية التي سنحت فيها الفرص بصورة رائعة للانسان أن يرى أمامه تكوين المجتمع الهيلانستيكي . ويرجع الفضل في ذلك الى المواد التاريخية الغزيرة التي تكشف عنها تربة أرض مصر بصورة منقطعة النظير في أيامنا .

وتتساءل مرة أخرى ما هي الدوافع التي جذبت الاغريق الى مصر ؟ والجواب على ذلك سهل ميسور . فقد أكد لنا المؤرخ «تارن» باختصار ذلك بقوله : ان الاغريق أتوا الى مصر ليصبحوا أغنياء (٢) . ولا غرابة في ذلك فان سجلات «زينون» تقدم لنا الجزء الاكبر من موادها الخاصة بمصر في خلال القرن الثالث ق.م. ما يوحى بذلك ، في كل وثيقة من وثائقها تقريبا . ولكن السؤال المهم هو ان نعرف بالضبط كيف أن الاغريق أغنوا أنفسهم في مصر ؟ وما هي مصادر الدخل التي هيأت لهم على شواطئ النيل جمع هذا الثراء ؟ وأخيرا ما هو العامل أو العوامل التي الفت من هذا الجمهورية المختلف الألوان المجتمع الهيلانستيكي في دولة البطالة .

والواقع انه ليس في استطاعتنا ان تقدم حلا شافيا لهذه المسألة بما لدينا من الاثار التي كشف عنها حتى الآن . وقد لا يكون الحل أقل ايضاحا اذا قصرنا جوابنا على ما لدينا من المعلومات التي نجدها في سجلات «زينون» فلماذا اذا تتوقف عن فحص هذا الموضوع من أوراق زينون ؟ والواقع أن سجلات زينون تمثل لنا في وحدة مؤلفة متجانسة الى حد كبير من الوثائق تهىء لنا أن ننفذ بعمق في مسائل كان يمكن أن يخطئها التفاتنا اذا فحصنا متونا خاصة لارابط بين الواحدة بالأخرى . وعلى ذلك يظهر انه اذا خلطنا

Theocrite XIV 59 ss.; Herondas I, 26 ff.

W.W. Tarn, The Hellenistic Civilisation. P. 201.

(١) راجع

(٢) راجع

الوثائق التى تتألف منها هذه السجلات فان ذلك يمكن أن يلقى ضوءا ساطعا على موضوع بحثنا

ولا بد لمعرفة مجتمع ما من ان يرجع الباحث الى اسسه الاقتصادية ، وعلى ذلك يجب علينا قبل كل شئ ان نجيب على السؤال الاول الذى سألناه هنا وهو : ما هى مصادر الدخل التى وجدها الاغريق فى مصر ؟ وماذا عساه أن يكون فى سجلات «زينون» خاصا بهذا الموضوع ؟ وتدل شواهد الاحوال على ان العلماء قد بحثوا هذه السجلات من وجهة واحدة يمكن أن نسميها بالوجهة «الرسمية» . وهى المسائل الخاصة بنشاط «أبولونيوس» بوصفه وزيرا ومديرا لضيخته بالقيوم ، وكانت السياسة الاجتماعية والاقتصادية للملك تحتل المكانة الاولى فى ذلك . ويعترف كل هؤلاء العلماء ان «زينون» وكذلك الاغريق الآخرين بما فى ذلك الوزير كان فى مقدورهم أن يهتموا بأحوالهم الشخصية وكذلك بماليتهم الخاصة ، ولكنهم مع ذلك كانوا يعملون تمام العلم ان هذه الوثائق كانت خاصة بأحوال زينون الشخصية . وعلى أية حال لا بد ان نلاحظ ان الصورة التى يقدمها لنا المجتمع مستخلصة من سجلات زينون صورة مكبرة جدا . هذا بغض النظر عن صورة المجتمع الوطنى الذى تحدثنا عنه فى الفصل السابق ، ومن ثم سنوجه كل عنايتنا هنا الى السكان المهاجرين من الاغريق والمقدونيين بوجه خاص قفى داخل المجتمع الاغريقى الحر فى مصر - كما نراه فى سجلات زينون يمكن أن تميز بصورة عامة ثلاث طبقات : أولا رجال البلاط الملكى ، نذكر من بينهم «ابولونيوس» ، وكبار الموظفين والاشراف العظام الذين يظهرون نادرا فى بريد زينون مثل « ليزيماكوس » و «تليستس» ومن المحتمل كذلك فيلينيوس (Philinos) وضيوف الاسكندرية الذين كانوا يأتون أحيانا لزيارة القيوم وهم الذين كانت

زيارتهم تحدث نشاطا عظيما بين السكان . (ثانيا) الطبقة الثانية وهى التى تمتاز بكثرة عددها ووفرة الافراد المعروفين لدينا منها ، ونخص بالذكر منهم «زيتون» نفسه ورجال حاشيته وهم رفاقه الذين فى خدمة «ابوللونىوس» وكانوا فى الواقع يؤلفون من رجال الادارة الهامين فى الحكومة، وكذلك كان منهم الجنود المرتزقون اصحاب الاقطاع (ثالثا) الطبقة الثالثة والاخيرة وتتألف من فقراء الاغريق والمعوزين وهم العمال الكادحون وكانوا فى العادة يتقاضون مرتبات من «ابوللونىوس» أو من الملك أو كانوا من صغار أصحاب المهن أو الزراع . وتدل شواهد الأحوال على ان الاغريق الذين كانوا فى فقر مدقع قد فقدوا كل امتيازات بنى وطنهم وألقوا مع المصريين والسوريين والعرب تلك الكتلة البشرية المجهولة من الناس الذين كان يعتمد عليهم الملك وأشراف مصر الأغنياء فى انجاز أعمالهم الشاقة مقابل أجر زهيد (١) . ولكن هذه الاوساط الثلاثة التى ذكرناها تتصف بصفة واحدة مشتركة وهى تبعيتها لقوة اعظم منها سلطانا . فقد كان رجال الطبقة الثرية جدا يرجع ثراؤهم الى ما جباهم به الملك الذى كان يملك كل مصر من جاه ومال ، كما أن لطبقة التى أقل منهم غنا وكذلك الطبقة الممثلة فى الفقر كان افرادها تابعين للملك مباشرة (ونعنى بهؤلاء موظفى الادارة وكل الخاضعين للايرادات الملكية) أو لموظف كبير مثل «ابوللونىوس» (٢) . ونيس هناك شك فى ان هذه التبعية العامة كانت أساس الحياة فى مصر وبخاصة فيما يتعلق بالطبقتين الاخيرتين من طبقات المجتمع . ومع ذلك اذا اقمنا نظرة خاطفة أو حتى نظرة سطحية على ذلك لشاهدنا ان هذه التبعية لم تكن مصدر ثروة شخصية

ف نجد انه فيما يخص «ابوللونىوس» واشباهه كانت توجد لهم بطبيعة

الحال مصادر عديدة للدخل مثال ذلك الضياع التى كانوا يملكونها والمشروعات الصناعية التى كانوا يقومون بها كصناعة المنسوجات المنفية التى كان يملكها «أبولونيوس» وتجارة الفلال والمحاصيل الزراعية والتجارة الاجنبية ، أما أفقر طبقة فى المجتمع الاغريقى فانهم ان لم يكونوا يعيشون من اعمالهم التجارية ، فانهم كانوا يشتغلون بوجه خاص بالزراعة وتربية الحيوان والحرف اليدوية (وقد كان الاغريق بوجه خاص نساجين كما ان المصريين كانوا صناع فخار) وبتأجير الحمامات وحوانيت الجمعة (١). ولكن الجزء الاعظم من سجلات «زينون» خاص بالطبقة الوسطى ، وكان «زينون» الذى يعد من هذه الطبقة يضع فيها اقرب رفاقه اليه ويقول المؤرخ «رستوفتزهف» فى كتابه عن تاريخ العالم الهيلانستىكى الاجتماعى والاقتصادى ، عن «زينون» انه كان يؤلف طرازا لهذا المعهد الذى تكون فيه المجتمع الهيلانستىكى (٢) . فاستمع لقوله : « يعد زينون مدير بيت ابولونيوس طرازا من الناس فى ضيعة فلادلفيا » . وفى نهاية عمره يظهر لنا من مراسلاته انه لم يعد بعد فى خدمة «ابولونيوس» ، بل كان رجلا غنيا مشغولا باعمال اقتصادية متنوعة ، ومن أجل ذلك فان قصدا من هذا الفصل هو تحليل دقيق للاسس الاقتصادية لموقف «زينون» فى فيلادلفيا . وسنفحص رجال الحاشية المقربين منه جدا كلما سنحت الفرصة لابتداء ملحوظات اكيدة .

وأول وثائق فى هذا الصدد تلت النظر هى التى أرخت بعام ٢٦٠/٢٥٩ حيث نجد فيها ان «زينون» كان فعلا فى خدمة الوزير «ابولونيوس» وقد لقبه الاثرى «ادجار» فى هذه الفترة بانه المشرف الاول على اعمال ابولونيوس» الخاصة فى سوريا وفلسطين وفى المدن الواقعة فى اسيا

الصغرى (١) . وفي عام ٢٥٨ ق.م. أى فى بداية عام ٢٨ ، من حكم بطليموس قد أصبح فعلا كاتم سر أبوللونيوس ، ورجل ثقته فى الاسكندرية وفى عام ٢٥٦ ق.م نجد زينون دائما بجانب الوزير «ابوللونيوس» وقد قام معه بعدة رحلات طويلة فى انحاء مصر . بعد ذلك نجده قد عين فى نهاية شهر ابريل من عام ٢٥٦ ق.م مديرا لضيعة «ابوللونيوس» فى القيوم واتخذ فيلادلفيا محل اقامة دائمه (٢) . هذا ولا نعرف على وجه التاكيد عمر هذه الضيعة . وتدل المناقشات التى جرت حول هذا الموضوع على ان «أبوللونيوس» على ما يظهر قد أنهى مجال حياته الوزارى بصورة مقتضبة فى أوائل عهد بطليموس «ايرجيتيس» وان ضيعته فى فيلادلفيا قد صودرت . ومن المحتمل ان الوثيقة التى تحمل رقم ٥٩٨٣٢ فى سجلات «زينون» ربما توضح لنا بعض الشئ هذه المسألة ، غير انها بكل أسف وجدت ممزقة وغير مؤرخة . وقد كتب فيها دون شك طلبا للملك جاء فيه : كنت مشرفا على ضيعة فيلادلفيا التى كانت اعطيت ابوللونيوس الوزير السابق حتى عام ٣٨ (من حكم بطليموس الثانى). وكل ما يمكن ان يحقق فى هذه الوثيقة انه منذ السنة الأولى أو الثانية من عهد «ايرجيتيس» لم يعد بعد «زينون» مدير الضيعة ، وهذا اهم شئ فى الموضوع وعلى ذلك يمكننا القول انه فى عهد «ايرجيتيس» لم يكن «زينون» الا شخصا حرا . والمراحل الثلاث المعروفة فى حياة «زينون» هى : (١) حتى عام ٢٥٦ ق.م (٢) من ٢٥٦ حتى ٢٤٦ ق.م (٣) ومن اول ٢٤٦ ق.م. وهذه المراحل ليست ذات قيمة متساوية من حيث فحص مصادر دخله الخاص

(١) فالمرحلة الاولى وهى منذ العهد الذى بدأ عمله بجانب «ابوللونيوس» ليس لدينا فيها متون تقريبا لها علاقة بأحواله الشخصية .

(٢) المرحلة الثانية هى التى كان يعمل فيها مديرا للضيعة . وقد اختلطت

مصالحه الخاصة بأعمال الضيعة بدجة كبيرة وبأعمال «ابولونيوس» حتى انه لا يمكن الانسان ان يفصل الواحدة عن الاخرى الا نادرا »

اما المرحلة الثالثة فليس في مقدورنا ان نعرف اذا كان «زينون» يعمل باسمه لحساب نفسه بعد عام ٢٤٦ ق.م او لا ؟ وهذا هو السبب في ان هذه الفترة ينبغي أن نعتد عليها عندما نريد ان نفحص مصادره الخاصة .

وقبل ان نشرع في تحليل نشاط «زينون» الحر وكذلك نشاط الاغريق الذين كانوا في محيطه يجب علينا ان نفحص الاهمية الاقتصادية التي من اجلها شغل «زينون» وظيفته في خدمة الوزير «ابولونيوس» ولا بد ان نلاحظ هنا أولا ان وظيفة «زينون» الرسمية التي كانت كثيرا موضع جدل لم تكن محدودة بصورة اكيدة (١) . ولكن لا يهنا في هذا البحث الا نقطة واحدة وهي ما هو الدخل الذي كانت تضمنه له هذه الوظيفة ؟ والواقع انه ليس في استطاعتنا ان نحدد مقدار مكاسبه التي كان يجنيها من «ابولونيوس» . فقد ذكر اسمه مع اسماء اخرى من موظفي «ابولونيوس» في قائمة مرتباتهم من الغلال . ومع ذلك فان وظيفته كانت تهى له امكانيات كسب لا حصر لها . وقد صدق «ادجر» عندما قال : وفي استطاعة الانسان ان يخمن أن الميزة الرئيسية لمركز «زينون» كانت تنحصر في القرص التي هيئت له لجمع المال بمغامراته الحرة (٢) . والموضوع الهام لدينا في هذا البحث هو ان نعرف كيف استخدم هذه القرص وكذلك ما هي أهميتها وتحليل الوثائق الخاصة بذلك يجب لنا عن هذا السؤال .

فمن اهم مصادر ارزاق «زينون» الخاصة وابسطها تأجير الاطيان ، وبوجه خاص على ما يظهر في دائرة فيلادلفيا ، وبخاصة اقطاعات الجنود

المرتزقين وغيرهم من الاغريق الذين كان يمنحهم الملك اراضى والجزء الاعظم من الوثائق المؤرخة فى سجلات «زينون» يرجع الى عهد بطليموس الثانى ، ومع ذلك فان صبغتها تبرهن غالبا على ان «زينون» كان يشتغل لحسابه وفائدته هو وحسب . وقد وصف لنا «ادجر» هذا النشاط الذى قام به «زينون» فى الفصل الذى يحمل عنوان : «زينون» وعلاقته بالمستعمرين من الجنود المرتزقين (١) . ويظهر من رايه ان «زينون» لم تكن يؤجر اراضى الجنود المرتزقة غير ان تحليل المتون لا يظهر فى معظم الحالات اذا كان صاحب قطعة الارض التى كان يؤجرها «زينون» هو من الجنود المرتزقين ام لا . ومما لا شك فيه ان الطبيب «ارتيميدوروس» و «بلاتون» صديق «زينون» الاسكندرى لم يكونا من رجال الجيش (٢) ومن هنا تنشأ مسألة أخرى : وهى هل كانت علاقات «زينون» مع الجنود المرتزقين تختلف عن العلاقات التى كانت بينه وبين الملاك المدنيين ؟

ومما يلفت النظر ان كل المتون فى سجلات «زينون» المنسوبة بوجه التأكيد للجنود المرتزقين ترجع الى عهد بطليموس الثانى ، وعلى ذلك تكون فى المدة التى كان يسيطر فيها «ابولونيوس» على ضيعنا فى فيلادلفيا فنجده فى احدى أوراق «زينون» بالقاهرة رقم ٥٩٣٢٥ المؤرخة ٢٤٩ قائمة طويلة بأسماء الجنود المرتزقين وهم التابعون لمنف والتابعون لضواحي قرية اندروما خوص والتابعون لبلدة «باكخيلاس» وهم الذين كان لهم بقايا ايجار عام ٣٦ من عهد بطليموس الثانى . فهل معنى ذلك أنه يمكننا ان نفرض ان نشاط «زينون» الحر الذى كان وقتئذ مدير الضيعة كان له قيمة كبيرة ؟ واذا كان «ميس» (Mys) الذى جاء ذكره فى الوثيقة رقم ٥٩١٣٣ من اوراق القاهرة قد استشار «زينون» فيما يجب ان يفعله

مع «سيمبوس» الذى كان فى نزاع مع (Bassilikos grammateus) على تقدير مساحة قطعة أرض فان ذلك اذا يعنى أنه كان يخاف من فقدان المحصول . هذا وكان «ميس» وكيلا معروفا تماما «ابولونيوس» (١) .

والاهمية التى نستخلصها من هذه الحالة وكذلك التجاؤه لزينون تسمح لنا أن نقترح أن مرءوسى «ابولونيوس» كانوا يشتغلون بزراعة أقطاعات من الارض كذلك باسم الوزير . والظاهر ان مثل هذه الحالة ما نجده فى ورقة «زينون» رقم ٥٩٣٨٩ بالقاهرة وهو عبارة عن دين كان قد دفع من قطعة ارض صغيرة فى ضواحي «منف» ملك فرد يدعى ياسون (Yason) وزرعها «ارتيميدوس» بن «سوخارس» (والاخير بدوره كان وكيل ابولونيوس فى «منف») وهو الذى كان لابد له من استيراد هذا المبلغ منه ومن المهم أن نشير هنا الى أن المتون على ما يظهر ترينا أن «منف» بوصفها مركزا لتأجير قطع أراضي ملك الجنود المرتزقين بواسطة عمال «ابولونيوس» ، ومن المحتمل ان ورقة زينون رقم ٥٩٧١٦ من القاهرة وهى التى يعالج موضوعها توريد حبوب بلا شك لارض الجنود المرتزقين لها علاقة بهذا النوع من الوثائق .

هذا ولدينا برهان على أن أراضي الجنود المرتزقين كانت تؤجر كذلك لحساب «أبولونيوس» ، وكما جاء فى وثيقة أخرى (٢) . وهى مؤرخة بلا شك بعام ٢٥١ ق.م ويمكن أن نقرأ فيها : تتبع الديون التى كانت مستحقة «لهرمولوس» من حسابه الخاص بواسطة سوكلس عام ٣٤ (من عهد بطليموس الثانى) واذا قبلنا ترجمة الناشر لهذا المتن وهو الأثرى اذجار فانه يجب علينا أن نفرض أن الموضوع يبحث هنا فى جزء حصاد نباتات دهنية ورد الى السكرتير المالى «هرمولوس» (Hermolaos) هو حساب

(١) راجع P.C.Z. 59132, 59135, 59136, 59141, 59147, 59245 ff.

P.C.Z. 59565.

(٢) راجع

عاص لزينون يختلف عن حساب «أبوللونيوس» ؟ ويمثل ذلك حصاد الأرض التى أجرها . على أن كون «سوكليس» (Socles) هذا الذى ذكر فى وثيقة زينون ٥٩٢٥٨ قد دفع الأجر الى الجندى المرتزق باسم «زينون» يعتبر أمرا يلفت النظر ، وأن من المؤكد أنه اذا كان دفع هذه الحسابات قد حتم وجود دفتر حسابات منفصل لزينون و «أبوللونيوس» فان الوزير نفسه لابد كان له فائدة ذاتية فى زراعة قطع الأرض هذه .

وعلى ذلك يمكننا أن نستنبط أن عمال ضيعة «أبوللونيوس» كانوا يزرعون بالجملة - كما تدل على ذلك الوثيقة رقم ٥٩٣٣٥ من أوراق القاهرة - أراضى الجنود المرتزقين لحساب أبوللونيوس ولقائده .

وبطبيعة الحال كان أصحاب النشاط والهمم بين هؤلاء الموظفين يربحون كذلك لحسابهم الخاص من هذه العملية المربحة . وتدل شواهد الأحوال على تأجير الأتليان على نطاق واسع من أراضى الجنود المرتزقة قد انتهى بانتهاى الضيعة التى كان يملكها أبوللونيوس . ويتتج من وظيفة «زينون» فى الضيعة أن علاقاته بأراضى الجنود المرتزقين كانت وثيقة ، غير أنه من الصعب تعيينها كماهى الحال فى الدورالسمى الذى كان يلعبه فى فيلادلفيا (١) وهذه العلاقات كانت تسمح له بإمكانيات كبيرة فى تأجير أراضى الجنود المرتزقة بصفة شخصية ، ومع ذلك يجب كذلك أن نواجه نقطة أخرى فى ميدان هذا العمل الذى يقوم به «زينون» . وذلك أن عددا من رؤوسى «أبوللونيوس» ويحتمل كذلك رجال أغنياء من سكان الاسكندرية ، وشخصيات من رجال بلاط الوزير كانوا يملكون أراضى فى ضواحي فيلادلفيا . فهل لا يكون من السهل عليهم عند عدم قدرتهم على زرعها أن يطلبوا الى زميلهم وصديقهم زينون أن يحل محطهم وبخاصة أنه الشخص الأول فى فيلادلفيا صاحب الجاه ؟ والظاهر أن زينون لم يفرق

بين أراضي الجنود المرتزقين المستعمرين وبين أراضي المستعمرين المدنيين .
والواقع أن الشيء الرئيسي هو المكسب الذي كان يحصل عليه . وهذا
هو السبب كذلك في أن كل تمييز هنا يظهر في غير محله . ولكن مما يؤسف له
أنه لا يمكن تحديد مدى هذه الإيرادات . والأدلة التي لدينا عن ذلك قليلة
جدا . ومع ذلك (١) نجد أن الإيجار المحدد في العقد هو أردبان من القمح
عن كل «أرور» . وإذا علمنا أن «بتوباستيس» كما جاء في متن (PSI. 400)
قد قدم لزينون عشرة أرداب من القمح عن كل أرور بشرط أن يتعهد الأخير
بدفع الضرائب ، فإن ذلك يعني أن نسبة ربح الإيجار للمؤجر على حسب
ما جاء في بردية لزينون بالمتحف المصري رقم ٥٩٧٢٤ لا يختلف كثيرا عن
الذي جاء في وثيقة القاهرة رقم ٥٩٢٤٣ هو أن «زينون» يجب أن يتسلم
 $\frac{2}{3}$ الأرورات من زيت الخروج والثلث الباقي يكون لصاحب الأرض .
هذا وتفهم من متون أخرى أنه يمكن أن تقترح على الأقل دخل الزراعة
من قطع الأرض لزينون ، ولكن لا يمكننا أن نحدد المبلغ الاجمالي للدخل .
هذا ولدينا في الواقع معلومات كثيرة جدا عن العلاقات التي كانت بين
«زينون» وطبيب «أبولونيوس» المسمى ارتييدروس وذلك أن
ارتيودوروس هذا كان يملك في « فيلادلفيا » أراض وبيتا وحيوانات
وكان «زينون» يقوم بأمر محصول أرضه كما كان يرعى في حالة غياب
صاحب الملك الحيوان وكذلك يباشر إقامة بيته في « فيلادلفيا » . وفي
بعض الأحيان كان يؤدي له أشياء مختلفة مثل شراء عسل (٢) .
ولدينا صديق آخر لزينون يدعى «بلاتون» يمتاز بلهجته الاتيكية
الأنيقة فقد طلب اليه على ما يظهر أن يراقب محصول أرضه في « الفيوم »
(P.C.Z. 59217 (254) ومن المحتمل كذلك كرومه (P.C.Z. 59839)

وكذلك قرأ في بردية أخرى ان «زينون» كان يقوم لكل من «نيكاندروس» (Nicanoros) وبيزليكيس (Pelsides) ببيع بيتها وكرمها هذا بالإضافة الى بيع دخلها من زراعة السمس (١). ونرى من الحالات السالفة الذكر ان «زينون» لم يتقيد بتأجير الارض وحسب . ويمكن الانسان ان يتساءل اذا كان المقصود هنا هو تأجير بالمعنى الحقيقي . ومن المحتمل ان «زينون» كان يؤدي فقط بعض الأشغال لأقاربه من أهل « فيلادلفيا » الذين لا يسكنون بصفة مستديمة في القيوم ، وكان يجب عليه في مقابل مبلغ من المال كما حدث مع «ارتيميدوروس» (٢) . كما يشير الى ذلك قول الأخير لزينون بالآلا يتردد في عمل كشف بالمصاريف الضرورية (٣) . ولا بد أن نشير هنا ان كل هذه المتون كانت من عهد ادارته للضيعة «ابوللونوس» وحتى منذ السنين الأولى من مكثه في فيلادلفيا . فهل لا يحق لنا ان نفكر والحالة هذه ان زينون قد وجد مع مرور الزمن مصادر دخل أضمن وأسهل ، ومن ثم ترك الاشغال بأعماله ؟ (ومن الجائر كذلك أن الانقطاع الطبيعي عن اتصالاته مع معارفه القاطنين خارج القيوم قد أدى لمثل هذه الحالة) .

وعلى أية حال فان بعض هذه المتون الخاصة بالايجار العادى لقطع الأرض — أى أرض الجنود المرتزقة على ما يظن في كثير من الأحوال — يرجع عهدها الى حكم «ايرجيتيس» وان كان العدد الأكبر فيها يرجع الى عهد بطليموس الثانى . وتفسير ذلك سهل ميسور : فقد كان لزينون بوصفه مدير الضيعة علاقات وطيدة رسمية مع الجنود المرتزقين أصحاب الأرض كما كان لديه تسهيلات أكثر للقيام بزراعة أراضيهم أكثر من زينون بوصفه رجلا

PSI. 375; P.C.Z. 59309 (250).

P.C.Z. 59251.

P.C.Z. 59251.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

حرا من فيلادلفيا بعد عام ٢٤٦ ق.م. وقد وصل اليها من عهد بلطيموس الثانى سلسلة من الوثائق مثل الوثيقة رقم ٥٩٢٤٣ من أوراق زينون بالقاهرة - وهى التى نقرأ فيها ان «حوروس» يقترح على «زينون» ان يؤجر قطعة أرض من أرض الجنود المرتزقين مهينة لتزرع شجر خروع (Kiki) (١) . هذا ونجد ان «دموفون» (Demophon) يعترف انه تسلم من «سوكليس» Socles اربعين أردبا من الشعير مستحقة لزينون عن ايجار عام ٣٤ . هذا ونجد ثانية اسم نفس «دموفون» فى وثيقة اخرى غير مؤرخة (P.C.Z. 59725) وهى بلا نزاع تحتوى على ملخص دونه أحد وكلاء زينون كان يزرع الأرض التى أجزت بعقد لهذا الأخير . هذا ويؤكد الجندى المرتزق صاحب قطعة أرض (٢) انه قد تسلم من زينون أربعة درخمات على ان تخصم قيمتها من الايجار الذى سيكون مستحقا له فى الفصل التالى بما يساويها غلة . يضاف الى ذلك أن افيمدون (Iphimedon) (٣) عندما كتب الى «زينون» فى موضوع تربية عجول (بالتأكيد ملك الضيعة) وبخصوص قطعة الأرض ماذا فعل فيها اذ يقول : لدينا قطعة أرض تقع تجاه الشمال وقد منحنا عشرين ارورا لزرعها باشجار زيت الخروع . وليأخذ زينون ثلثيها والثلث الآخر لصاحب الملك .

وأخيرا نجد فى وثيقة غير مؤرخة (P.C.Z. 59724) عنوانها الحساب مع فيلاس (Phileas) وذلك ان مالك أرض مساحتها مائة أروور (وهو من الجنود المرتزقة) قد أجر أرضه بسعر أرددين من القمح عن كل أروور وقد اعترف انه تسلم ١١٤ ١/٢ اردبا (قمحا وتقدا) . ويظن ناشر هذا المتن وهو الاثرى «ادجار» ان صاحب هذه الارض يجوز انه زينون نفسه وذلك على الرغم

P.C.Z. 59243.

P.C.Z. 59243.

P.C.Z. 59257.

P.C.Z. 59273.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

من انه ليس صاحب هذا المتن ، وقد يجوز مع ذلك انه من الاسهل ان تفرض ان زينون هو المستأجر الحقيقي وان فيلاس (Phileas) لم يكن الا مرءوسه وانه كان يقوم بدور مشابه للدور الذى كان يقوم به «سوكليس» فى المتن الذى ذكرناه فيما سبق وبذلك تفهم احسن لماذا قد وجدت هذه البردبة بين وثائق «زينون» . هذا ونلاحظ رسالة أخرى لم تورخ (PSI. 584) مع ان شواهد الاحوال تدل على انها وضعت قبل عام ٢٤٦ ق.م . ففى هذه الرسالة نجد ان اچيسيلوس (Agisilaos) قد كتب الى «زينون» فى موضوع ايجار حمام ويطلب اليه فى الوقت نفسه ان يرعى شئون شعيره وقمحه .

والتون التى من عهد «ايرجيتيس» أقل عددا عن التى من عهد بطليموس الثانى فلدينا وثيقة (١) وهى عبارة عن اتصال لفرد يدعى «توكليس» (Theucles) لأجل زينون وهيراكلييتيس» (Heracleites) خاص بقبضة ايجار ارضه للعام الخامس من حكم هذا الملك . وقد كتب «فيلون» خطابا من الاسكندرية (٢) يرجع عهده الى العام ٢٤٠ ق.م وكان موضوعه سجن فرد يدعى «هرموكراتيس» (Cf. P. SI 392) وتدل شواهد الاحوال بوضوح على ان فيلون كان له مصالح فى خطر وان زينون كان مهتما بها . وقد أعلن صاحب الخطاب انه سيحضر فى القريب العاجل ويختم رسالته بكلمات غير مفهومة كثيرا وما لا جدال فيه انه خلافا لزينون كان فى فيلادلفيا اغريق آخرون قد اهتموا كذلك بتأجير الارض . واذا فرضنا ان «ياسون» الذى نعرف أنه كان ساعد زينون الايمن قد عمل لحساب سيده ، فانه من الجائز جدا ان دماس (Demeas) كان يعمل لحساب نفسه عندما أجر ارض «اريسستس» (٣) (Aristeas)

PSI. 390.

P. Mich. Zen. 55.

P.C.Z. 59282 (250) 59326 (249). P. Col.

59, 74, P. Mich. 57 etc. J.J. P.P. 376, note 51.

(٢) راجع

(١) راجع

(٣) راجع

ويتساءل الانسان هل كان «زينون» يملك كذلك أرضا ؟ . والواقع انه وان لم يكن لدينا أى برهان فانه فى استطاعتنا ان نقرض مع «ادجار» ان زينون لم يملك أية أرض ، وذلك على الرغم من انه يجب ان نعترف مع «ادجار» انه توجد حالات يصعب معها ان يفهم الانسان ان الارض التى يدور الكلام حولها ليست ملكه ، ومن جهة أخرى نعلم تمام العلم ان زينون كان يملك كروما . ومعظم المتون الخاصة بذلك مؤرخة بعهد الملك «ايرجيتيس الاول» يضاف الى ذلك انه لابد من تأريخ عدد عظيم من المتون قبل عام ٢٤٦ ق.م وفى معظم الاحيان يكون الموضوع خاصا بكرم مساحته ستين ارورا يملكه كل من «زينون» و «سوستراتوس» (١) . وقد اجره يهوديان وهما ساموليس (Samoelis) و «الكزنندروس» (Alexandros) (٢) . هذا ولدينا متن آخر (P.C.Z. 59367) وهو تسويذة لخطاب أرسله زينون الى «سوستراتوس» حيث يوضح له خوفه من ان يراهما ينقضان العقد ويطلب اليه ان يفعل بالمثل . ولدينا وثيقة من نفس السنة (PSI 393) وهى عبارة عن بلاغ لهذين المؤجرين وفيها يبلغان رئيس شرطة فيلادلفيا عن سرقة ٣٠٠٠٠ عمود من الخشب . وقد جاء ذكر هذا الكرم الذى مساحته ستين ارورا ملك زينون فى وثيقة من وثائق زينون غير مؤرخة (٣) وكذلك كرم آخر مساحته ثلاثين ارورا . هذا ونعلم من وثيقة (٤) غير مؤرخة ان زينون قد أمر بزرع عنب على ارض أجرها ، وكذلك قرأ فى وثيقة PSI 624 خاصة بزراعة العنب فقد أعطى فيها تعليمات مكتوبة بخط يده عن زراعة شتله عنب . هذا ونعلم من وثيقة من نفس السجلات ان أخى زينون المسمى « افارموستوس » (Epharmostos) قد زرع كرما (٥) وذلك فى السنة

Rost. L.E. SV. Vingard; Preaux E.R. P. 165.

PSI 393; P.C.Z. 59368. Col. II.

P.C.Z. 59604, verso col. II.

P.C.Z. 59604

P.C.Z. 59352

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

(٥) راجع

الثانية من حكم الملك بطليموس الثالث «أريجيتيس» ، وكذلك نجد في وثيقة (١) غير مؤرخة ان مدير المصرف بيثون (Python) قد أعلن فيها رسميا زينون انه أقرض «أفارموس» مبلغ ٣٧٠٠ درخمة ، وقد رهن له المدين في مقابل ذلك كرمه الكائن في فيلادلفيا .

وان لمن الصعب في كثير من الاحيان ان نعرف اذا كانت الكروم التي نسمع الحديث يدور عنها تابعة لضيعة «ابولونيوس» أو اذا كان زينون له فيها مصلحة . والاشارة الاكيدة الوحيدة نجدها في وثيقة بكلوميا (٢) . وذلك ان «زينون» قد أجر كرمنا من الصيغة وكذلك نعرف ان «سوستراتوس» كان يهتم فعلا بالكروم التي كانت على ما يظهر خاصة بضيعة الوزير «ابولونيوس» (٣) . ومع ذلك اذا كانت ورقة ريلندز (P. Ryl. 564) المؤرخة بعام ٢٥٠ ق.م لا تحتوى الا على قائمة طويلة لجرار من النبيذ (عند سوستراتوس) فلا بد ان نلاحظ ان المقصود هنا هو مخزن خاص . ويفهم من البرديات انه في شركة زينون — سوستراتوس كان الاخير يقوم بوجه خاص باعمال مخازن النبيذ .

هذا وليس لدينا الا متن واحد يتحدث عن نبيذ ملك «زينون» . فقد بلغ في وثيقة (٤) رئيس شرطة فيلادلفيا أنه سرق منه في ليلة ١٩ جرة نبيذ . ومن المهم ان نعرف ان هذا المتن يرجع تاريخه الى عام ٢٤٠ ق.م أى من العهد الذى لم يكن فيه بعد «سوستراتوس» مشتركا مع زينون . هذا ونجد في خطابات مرسله لزينون ان اصدقاءه يطلبون اليه اكثر من مرة ان يرسل اليهم

نبيذا (١) . ولدينا متنان مؤرخان يرجع عهدهما الى عهد الملك ايريجيتيس (٢) .
اما البردية رقم ٥٩٥٢٧ من اوراق زينون بالقاهرة فهامة بوجه خاص
فقد طلب فيها فيلوكرنوس من زينون جرتين من بذر العنب وكمية من عصير
العنب حتى يكون لدى الافراد الذين يرسلهم نبيذ صابح ، وذلك بعد ان
بدأ خطابه بمداعبة لطيفة بقوله : اذا كانت صحتك جيدة ، واذا كنت تصنع
نبيذا كثيرا فهذا حسن . هذا ولا بد ان نلقت النظر هنا الى أنه اذا كان
« فيلوكرنوس » هو الذى نعرفه بوصفه مستخدما فى ضيعة ابوللونيوس (٣)
فان هذا المتن قد يثبت على الرغم من عدم وجود ادلة اخرى بأن زينون
كان مشغولا باتساج النبيذ بمقدار عظيم ومن ثم كذلك بزراعة الكروم
بوصفه انه كان لا يزال مديرا لضيعة «ابوللونيوس» هذا ونجد كثيرا فى
مراسلات زينون اشارات الى كروم خاصة (٤) .

والظاهر انه كانت تزرع غالبا شتلات على ارض بور ، ونعلم ان الجنود
المرتزقة اصحاب الاراضى كانوا يملكون كروما على اقطاعاتهم ففى وثيقة (٥)
تقرأ عن كرم مساحته مائة أروور وهو يعد اكبر كرم خاص جاء ذكره فى
سجلات «زينون» . وعلى أية حال فانه عند ما يكون الحديث فى أوراق
زينون عن تأجير كروم بكمية كبيرة فان ذلك يقصد به أراض من ضيعة
«ابوللونيوس» وعلى أية حال لا بد ان نفرض هنا ان «زينون» كان يستغل
بصورة ما كروم الجنود المرتزقة وكذلك كروم «ابوللونيوس» . فمثلا كان
يؤجر من باطنه اجزاء حيث كان يمكن زراعتها بالخضر (٦) .

P.C.Z. 59349 (244). P. Col.

(١) راجع

241; Lond. Inv. 2307, etc.

P.C.Z. 593495 & P. Col. Zen. 91.

(٢) راجع

P.C.Z. 59326 (202), 59333 (44,55) 59569 (59704

(٣) راجع

(36), 59787 (59).

P.SI. 554 (?), P.C.Z. 59309, 59352, 59737, 59742,

(٤) راجع

59626, 59828, etc.

(P.C.Z. 59300)

(٥) راجع

P.C.Z. 59300.

(٦) راجع

زينون وتربية الحيوانات : ومن جهة أخرى نعلم ان «زينون» والاغريق
المتنفين حوله كانوا يكسبون جزءا كبيرا من دخلهم من تربية الحيوان فقد
كانوا يربون دواب الحمل كالبقرات والثيران والبغال والحمير والجمال
والخيل هذا بالإضافة الى الحيوانات الخاصة بالذبح والضحايا مثل المجول
والخراف والماعز والخنازير والاوز ، وأخيرا الحيوانات التي تنتج الصوف
مثل الغنم والماعز (١) .

ولكن غالبا ما يكاد يكون من المستحيل علينا معرفة ما اذا كانت
الحيوانات التي يتناولها البحث في البرديات في عهد الضيعة ، كانت خاصة
بأبوللونيوس أو زينون . ولذلك نجد من باب التأكيد ان نبتدىء بتحليل
المتون التي من عهد «ايرجيتيس» ففي عهد هذا الملك غالبا ما تحدثنا البرديات
عن تربية الخنازير، وكان يشترك مع «زينون» في تربيتهما أخوه «افراموستاس» (٢)
وقد تحدثنا فيما سبق عن تربية الخنازير ، والمفهوم انها كانت واسعة
النطاق قبل عام ٢٤٦ ق.م في «فيلادلفيا» . وفي استطاعتنا ان نضع قائمة طويلة
باسماء مربى الخنازير من المصريين كما اشرنا الى ذلك من قبل، غير انه لا يمكن
معرفة من كان يملك هذه الحيوانات . ويظهر في حالات عدة انها كانت ملك
الضيعة . ومع ذلك ينبغي ان «زينون» وأخوه «افراموستاس» كانا فعلا
معروفين في عام ٢٥٠ ق.م بانهما من مربى الخنازير فقد كان «بارامونوس»
(Paramonos) يطلب الى زينون في بردية (P.C.Z. 59305) ان يرسل اليه
بمناسبة عيد خنزيرا صغيرا يليق بمكاته وبافراموستاس . ويمكن ان نقرر
كذلك بهذا المعنى طلبات أخرى عديدة خاصة بارسال خنزير بمثابة قربان في
عيد ما (٣) ولكن يجب ان نفهم انه في كثير من الاحوال ان مثل هذا الطلب

(١) راجع Rost. L.E. P. 107; Preaux E.R. P. 208 ff. & Rost: H.W. P. 293.

(٢) راجع P.C.Z. 59346, 59362,

(٣) راجع P.C.Z. 59217, 59298, 59452, 59501.

كان يقصد به تسهيل عملية النقل الى الاسكندرية . هذا ونعلم من وثيقة أخرى (١) مؤرخة بعام ٢٥٥ ق.م ان «زينون» كان يشتري خنازير لنفسه. ويضاف الى ذلك أنه وجد ان حسابا من حسابات هذه الحيوانات العديدة (٢) مؤرخ بعام ٢٤٨ ق.م كان على ما يظهر خاصا بحيوانات «زينون» لا حيوانات الضيعة . وصاحب هذا الحساب هو «هراكليدس» معروف لدينا ونجده يتكلم بوضوح عن هذه الخنازير كأنها ملك زينون (٣) وكانت هذه الحيوانات تؤجر لاشخاص مختلفين في أغلب الاحيان من المصريين ولكن باعداد قليلة (١٠ ، ٥٠ ، ٢٠٠ ، ٣٠٠ ، ٢٠٠) وهذا يحملنا على الظن بان «زينون» كان يستغل نظام الشيعة في مطلحته الشخصية . غير أنه ليس لدينا ما يدل على ان ذلك كان يجرى على غير ارادة «ابولونيوس» .

ونصل الى نفس النتائج عندما نحلل القسم الثانى وهو الاكثر انتاجا من تربية الحيوان وأعنى بذلك تربية الماعز والغنم . وهنا نجد ان الوثائق التى من عهد «ايرجيتس» أكثر عددا من التى وردت عن تربية الخنازير ، ويجد فيها الانسان كذلك مجاميع أكثر أهمية من الحيوانات ، ففى وثيقة محفوظة بلندن (٤) . نقرأ ان فانياس (Phanias) قد اشترى لزينون ٨١ خروفا وفى وثيقة أخرى فى مشيجان (٥) نقرأ عن حساب لرجل يدعى «مترودوروس» (Metrodoros) خاص بقطيع ماعز عددة ١٢٠ رأسا قد نزل عنه له زينون بمقتضى عقد . هذا ونجد فى ثلاث وثائق أخرى مؤرخة بعام ٢٤٦ ق.م ان مؤجرا آخر للماعز جاء اسمه فى عهد الملك بطليموس الثانى وهو «دمتريوس» ابن «ابولونيوس» مواطن اسبندوس (Aspendos) . وفى عام ٣٩ من حكم بطليموس الثانى نقرأ ان «ديمتريوس» هذا واخاه ليمائيس (Lemnaï)

P.C.Z. 59161.

P.C.Z. 59334

P.C.Z. 59334

P. Lond. Inv. 2308.

P. Mich. Zen. 67 7٥.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

قد تعاقدنا مع «ياسون» ممثل زينون على تأجير ١٤٤ رأس من الماعز لمدة عامين ^(١) بايجار سنوى قدره ٢١٦ من صفار الماعز . وفى السنة الثالثة من حكم الملك «ايرجيتيس» نجد «ديمثريوس» يشير الى هذا العقد ويقران لينمنايس (Limnaios) لا يزال مدينا له بمائة وثلاثة وخمسين رأسا من الماعز . والظاهر ان عقبات حالت بينه وبين الوفاء بدينه ، وذلك لاننا قرأ فى وثيقة أخرى (S.B. 7984) كتب بعد ذلك بسنة على الاكثر حررها باتاكيون (Pataikion) لزينون ويقول فيها ان رعاة الماعز يهربون فقد فر فعلا «لينمنايس» ويتأهب كذلك «ديمثريوس» للفرار أيضا . هذا ولدينا شخص يدعى «ديونييسيوس» فى بردية لم تؤرخ ^(٢) يقترح فيها على زينون ان يتسلم الماعز المؤجرة لديمثريوس و «منودوروس» ^(٣) وفى وثيقة بمشيجان ^(٤) غير مؤرخة كذلك قرأ ان كاليبوس (Kallippos) وهو معروف لنا من متون أخرى بانه مرءوس «زينون» قد رجاء أن يطلق سراحه من السجن خوفا من ان ماعز «ديمثريوس» يمكن ان تذبح فى الطريق الذى رسمه «ديمثريوس» لذهابها للمرعى . هذا وجاء فى بردية أخرى (S.B. 7984) ورد فيها فيما سبق ذكر «هرمياس» بين مربى الماعز . فقد كان هرمياس هذا يؤجر فعلا ماعز زينون فى عهد الملك بطليموس الثانى . هذا وتحدثنا ورقة أخرى ^(٥) مؤرخة بعام ٢٤٨ ق.م عن حساب نفهم منه انه يدفع اجاره تقدا وعينا وهو اربعة أوبولات وجديا عن كل معزة ، ويحدد فى نفس البردية انه كان لزاما عليه ان يدفع أجرة ١٦٢ رأسا من الماعز . هذا ونصادف «هرمياس» كذلك بوصفه مربى ماعز فى متون أخرى غير انه يظهر فيها مربى ماعز الضيعة .

P.C.Z. 59340.

P.C.Z. 59422.

P.C.Z. 59326, 59468, 59469.

P. Mich. Z. 87.

P.C.Z. 59328.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

(٥) راجع

ومن النادر ان نسمع كلاما عن خراف ملك «زينون» وبخاصة من عهد الملك بطليموس الثالث «ايرجيتيس» .

والنتيجة التى يمكن ان نستخلصها بعد هذا العرض عن «زينون» وتربيته للحيوان لنفسه هى انه خلال حكم كل من بطليموس الثانى وبطليموس الثالث - كان يملك قطعانا هامة من الماعز والخراف كان يؤجرها الى رعاة (فى معظم الاحيان من الاغريق) . ولا نزاع فى أن ذلك كان يؤلف رأس مال . ومن ثم لاحظت المؤرخة «بريو» بحق انه بصرف النظر عن الحيوانات الكبيرة أو الخيل فان الماعز والغنم كانت تؤلف ملكية استغلت بمثابة رأس مال (١) . فضلا عن ان ذلك كان رأس مال يأتى بربح عظيم كما يدل على ذلك حساب هذه المؤرخة ، فقد كان الربح يبلغ خمسين فى المائة. ولا نزاع فى ان هذه التجارة كانت فرعا مربحا يعود بثمرة كبيرة جدا من بين المشاريع الحرة المختلفة التى كان يمارسها «زينون» . وانه لمن المهم ان نذكر بأية طريقة كان يساعده فى هذا الميدان جهاز الضيعة الجبار لتسيير أعماله الخاصة . فحتى اذا لم يكن كل من «ديمتريوس» و «ليمنايس» يأخذ بعقد ماعز ملك «ابولونيوس» (وليس هناك ما يبرهن على ذلك) فانه من المؤكد ان «هرمياس» كان يرعى شئون قطعان الماعز ملك الضيعة (٢) ولدينا برهان آخر وهو «ياسون» الذى نعرفه جيدا أولا بوصفه مستخدما فى الضيعة والمساعد الايمن لزينون مدير فيلادلفيا ، وبعد عام ٢٤٦ ق.م كما كان كذلك المساعد الايمن لزينون بوصفه رجلا حرا . هذا ونجد واضحا من المتون التى تحدثنا عنها فيما سبق ان «زينون» كان يجذب حوله لمنفعة الشخصية مستخدمين اكفاء كان قد وقع عليهم نظره منذ توليه شئون الضيعة . وفى حالة كل من «ياسون» و «هرمياس» نعلم ان هذه المساعدة قد امتد أجلها

حتى الى ما بعد سقوط «ابوللونيوس» .
وهناك فروع أخرى لتربية الحيوان لم تحتل مكانة هامة في شئون زينون.
فقد كان اهتمامه بالخيول يفهم منه انه كان هواية وحسب ، وهذا أمر مفهوم
تماماً في مصر في هذا العهد (١) ولكن نجهل اذا كان قد جنى فائدة محسنة
تهمنا حتى في الماشية الكبيرة .

وتساءل بعد ذلك عما يمكن ان تقدمه فيما يخص تربية الحيوان عند
الاغريق الذين كانوا في محيط زينون؟ والواقع اننا نسمع في كثير من الاجبان
حديثاً في موضوع تسجيل الحيوانات التي في ضواحي «فيلادلفيا» ، فمن
ذلك قوائم الضرائب ، أو عندما كان أحد زملاء «زينون» يكل اليه مباشرة
اعماله في «الفيوم» مثال ذلك الطبيب «ارتميدوروس» (Artemodoros)
وهو الذي اراد ان يقترض أو يشتري حصاناً أسود للاتاج (٢) وانه مهتم
كذلك بحيواناته الخاصة بالنقل وبالأوز وبالخنازير (٣) وانه أجراها لرأى
حيوانات مصرى (P.C.Z. 59310) هذا وقد اعلن «سومتراتوس» (٤)
صديقه انه ارسل اليه ثلاثة خنازير صغيرة لتقدم قرباناً، والظاهر مع ذلك ان الماعز
وكذلك الغنم كانت قبل كل شيء هي مصدر الثروة لكل من زينون والاغريق
الذين كانوا في حاشيته . وأهم وثيقة لدينا في هذا الصدد محفوظة بالقاهرة (٥)
وهي التي نعلم منها انه في حين كان «زينون» يملك ١٨٦٣ خروفاً فان صديقه
وشريكه «سومتراتوس» بن «كليون» (Cléon) كان يملك ٧١٥ خروفاً
(1.16) و ١٦ رأساً من الماعز (1,17) ، وان فرداً يدعى نيكياس (Nikias)
كان يملك ١٣٦٧ خروفاً 1,12 ، وان جماعة من الفرسان كانوا يملكون

(Rost. L.E. P. 167).
P.C.Z. 59225
P.C.Z. 59251.
PSI. 431.
P.C.Z. 59394

(١) راجع
(٢) راجع
(٣) راجع
(٤) راجع
(٥) راجع

٣٠٢ خروفا 1.21 (١) . ومن ثم نرى انه لم يكن «زينون» هو الوحيد الذى كشف عن فائدة هذا الرأس مال الحى ، وذلك على الرغم من اننا نظن على حسب أوراق البردى التى فحصناها فيما سبق ان «زينون» كان يفوق فى غناه الاغريق الذين كانوا فى محيطه . وعلى أية حال فانه لم يكن هناك فرد لديه من الامكانيات أعظم من التى كانت بين يدى زينون الذى كان يسيطر على ضيعة مساحتها لا تقل عن عشرة آلاف ارور .

تربية النحل : كانت تربية النحل فى مصر تشغل مركزا خاصا واسع النطاق (٢) ونجد فى السجلات ان زينون قد فصل اكثر من مرة فى مسائل خاصة بالنحالين ، ولكن يظهر انه كان يعمل بوصفه مديرا للضيعة أو مؤجرا للايرادات الملكية وليس لدينا متن يحدثنا بانه كان يملك خلايا نحل عدة . وعلى العكس نقرأ فى متن (٣) يرجع عهده الى عام ٢٤٠ ق.م ان أخوين وهما «سومتراتوس» و «كليون» بن «ياسون» كانا يملكان الف خلية نحل قد أجراها مجموعات صغيرة الى نحالين مصريين . والظاهر ان هذه الخلايا كانت ملك الملك وان كلا من «سومتراتوس» و «كليون» ليس الا مؤجرا وحسب Preaux E.R. 224.

ومن أهم دوائر نشاط «زينون» الحرة التى يصعب الوصول الى فهمها ارباحه من التجارة . والواقع أنه ليس من السهل قط هنا ان نميز ماهو خاص بالضيعة وما هو خاص بمشاريع «زينون» الخاصة . وقد وصل الينا من عهد الملك «ايرجيتيس» ثلاثة متون مؤرخة وهى تتناول بكل تأكيد شئون زينون ففى المتن الاول (٤) المؤرخ بعام ٢٤٥ ق.م نقرأ ان أحد موظفى «زينون» يطلب اليه اذا كان القمح يجب ان ينقل الى «منف» أو يباع وفى

PSI. 626 verso.

Rost. H.W. P. 295.

P.C.Z. 59368.

P. Col. Zen. 82.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

الثانى (١) وهو مؤرخ بنفس السنة يتحدث عن بيع نبات (اركوس) بالسمر « الذى تباع به للآخرين » . وفى متن آخر (٢) مؤرخ بعام ٢٤٢ ق.م يطلب فيليينوس (Philinos) رسالة قمح ويخبر «زینون» بعدم ثبات الاسعار . وفى متن بالقاهرة كذلك (٣) مؤرخ بعام ٢٥١ ق.م وآخر بالقاهرة أيضا (P.C.Z. 59446) لم يؤرخ يتحدثان عن سعر القمح . هذا ونعلم من متنين آخرين (٤) مؤرخين بعام ٢٥١ ق.م ان زينون كان يبيع الخشخاش (ابو النوم) ويحتمل ألا يكون ذلك تابعا للضيعة) ، هذا وكان فى مقدوره اذا منحت الفرصة ان يسهل لاتباعه أربابا تجارية صغيرة. فقد طلب اليه أحدهم المسمى « بيرون » (Pyron) ان يساعده فى الحصول على مائة وخمسين أردبا من «الخشخاش» حتى يستطيع ان يبيعها ثانية مع خشخاش زينون . هذا ونجد غالبا الكلام يتناول تجارة العسل ، ولكن يظهر انه خاص على ما يظهر بالصل الذى ينتج فى الضيعة أو الذى يستورده «ابولونيوس» .

النبيذ : ولما كان زينون يملك كروما شاسعة فانه كان يبيع كذلك النبيذ ، غير انه ليس لدينا الا متن واحد فى هذا الصدد (٥) مؤرخ بعام ٢٤١ ق.م وهو يحدثنا مباشرة عن بيع عشرين جرة من النبيذ وعن ثمنها . ولدينا متون أخرى تحتوى على طلبات ارسال نبيذ . ويمكن الانسان ان يفسر ذلك بمثابة بيع ، وفى حالات خاصة تفسر بانها خدمات ودية . هذا وتدل المخازن الكبيرة التى يملكها «سوستراتوس» شريك «زینون» دون شك على انهما كانا يفكران فى هذه التجارة ومع ذلك لا بد ان تفكر ان تجارة الغلال كانت هى التجارة الرائجة والتى كانت تعود باعظم المكاسب من الوجهة القومية

PSI. 579.
P.C.Z. 59363.
(P.C.Z. 59269)
P. Mich. Z. 46 & PSI 571
P. Col. Z. 91.

(١) راجع
(٢) راجع
(٣) راجع
(٤) راجع
(٥) راجع

وكذلك من حيث الافراد . وقد دل البحث في هذا الصدد على انه حتى الشخصيات الراقية من رجال بلاط بطليموس الثانى لم يتورعوا عن مثل هذه المعاملات التى كانت تعد دخلا عظيما (١) . والظاهر ان تجارة الفلال هذه كانت كذلك من المصادر الرئيسية للايرادات (٢) . هذا وتقول «بريو» ان موقف مصر الاقتصادى مضافا اليه التقلبات العظيمة فى الاسعار قد مهدا لتحقيق مكاسب هامة (٣) .

وقد هيا لزينون مركزه فى خدمة أبوللونيوس فرصا عظيمة للكسب من التجارة وكذلك من الشئون الأخرى الخاصة التى كانت تسنع له . وقد كانت أهمية تسهيلات النقل هنا هائلة . ومن الجائز كذلك ان «زينون» كان يربح كثيرا من اسطول «أبوللونيوس» القوى الذى كان يمخر عباب النيل . ونعلم ان «باناكستر» سلف «زينون» فى ادارة الضيعة كان قد طلب الى «أبوللونيوس» ان يضع سفينة تحت تصرفه (٤) . وقد رفض طلبه فى حين ان «زينون» على العكس قد أمضى عدة عقود مع ربانة سفن نيلية . هذا ونجد فى كثير من الحالات انه كان قد أمضى هذه العقود بوصفه ممثل أبوللونيوس ، ومع ذلك نجد فى بعض المتون ان أجر هذه السفن لحسابه الخاص . وكان يقتسم الارباح مع مالك السفينة (٥) . هذا وبعلم ان «زينون» على أية حال كان يضع عن طيب خاطر امكانياته للنقل تحت تصرف اقاربه العديدين الذين كانوا يرجون منه فى مناسبات ارسال خنزير . الخ (٦) وقد وضعت بين يدي زينون كل مناطق النشاط التى تحدثنا عنها فيما سبق ، رأس مال هام فتح له بدوره امكانيات أخرى للكسب . وأعنى به تأجير

Preaux E.R. P. 138.

Preaux Grecs, P. 62

Preaux E.R. P. 138.

P.C.Z. 59107

Preaux, Les Grecs. P. 47.

P.C.Z. 59298, 59452, 59501.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

(٥) راجع

(٦) راجع

الضرائب في مصر . وهذه الوظيفة التي كانت تنطوي على مجازفة كما كانت في الوقت نفسه مربحة قد احييت بتحفظات شديدة من قبل الحكومة كما اشرنا الى ذلك من قبل، وقد تناول الكثيرون فحص موضوع مؤجر الضرائب وحالته الخاصة التي كانت تجعل المؤجر للضرائب يعمل بوصفه عاملا ثالثا منظما بين الممول وجابي الضرائب الذي كان دائما موظفا حكوميا (١) . وعلى الرغم من كل البحوث التي كتبت في هذا الموضوع فانه لا تزال هناك نقاط غير واضحة المعالم تحدد تعيين مركز «زينون» في هذه المسألة .

وعندما تصادفه في عام ٢٤٦ ق.م في فيلادلفيا مشغولا في حل المسائل المعقدة الخاصة بمؤسسة ضريبة السدس فان ذلك لا يدهشنا بحال من الأحوال ، اذ من ذا الذي كان يمكنه ان يتناول بسهولة اكثر منه هذه المسؤولية الخاصة بالحكومة ؟ والواقع انه لما كان زينون معروفا في كثير من المقاطعات ويعرف شخصا كل الجنود المرتزقين أصحاب الاطيان الذين في محيط فيلادلفيا ، فانه كان ذا اتصالات واسعة ، ويتصرف في رأس مال عظيم وفضلا عن ذلك كان وراءه عشر سنوات خبرة في ادارة الضيعة ، وبذلك قد اظهر نشاطه تماما واحساسه بالمسؤوليات التي كانت ملقاة على عاتقه . غير انه لم يظهر فيها وحده ، وهذا ما تقابله هنا بالضبط من صعوبات . وذلك لانه على الرغم من معرفتنا بشركات لتأجير الضرائب ، فانه ليس من السهل علينا ان نحدد الدور الذي كان يلعبه زينون والمشاركون الآخرون فيها . فنجد في وثبة (P.C.Z. 59834) ان السكرتير المالي «هرما فيلوس» يخاطب زينون ليطالب اليه ان يبدل مرتب كاتب بعشر مكايل ونصف من النيذ الناتج من ضريبة السدس في عام ٢٤١ ق.م . ولدينا قطعة من وثيقة (٢) تحدثنا عن بيع

(١) راجع Preaux E.R. P. 450 ff.; Rost. H.W. P. 328 ff; Tarn Hellenistic Civilisation. P. 195; Rost. L.E. P. 182; Edgar Introd.

Mich. P. 46; Preaux Les Grecs. P. 24.

PSI 650

(٢) راجع

نبيد قد حجز حتى صدور رأى «زينون». وفي وثيقة أخرى (١) مؤرخة بعام ٢٣٩ ق.م تقرأ ان «ارستون» أعلن «زينون» انه فى الثامن من شهر امشير بدأ بيع مؤسسات تأجير . وكانت كل الوظائف المرتبطة بمراقبة محصول الكروم وتحديد مقدار ضريبة السدس وكذلك نقله الى الجبابة يملؤها كل من «ديمثريوس» و «هيوكراتيس» (٢) وكانا تابعين بصورة ما لزينون الذى كان يتسلم ملخصا مفصلا عن ذلك من «ديمثريوس» مواطن مقاطعة ارسينويت (٣) المؤرخة عام ٢٤٣ ق.م ، وقد كتب «زينون» فى مسودة لشريكه «سوستراتوس» أولا بعنوان ديمثريوس، ولكنه غير ذلك بمجرد اعلان سفر ديمثريوس الى الاسكندرية. والرواية الأولى تبرهن على ان «زينون» كان يعده بمثابة تابع له (٤)، وكذلك نجد فى خطاب آخر كتبه «كليون» (Cleon) يدعوفيه زيوان « والد » (٥) . وقد كتب لزينون يخبره انه يرسل اليه خطابا من ديمثريوس وهيوكراتيس فى موضوع ضريبة وقد قلت لهذا فيه اذها الى زينون والذى .

هذا ونجد فى وثيقة (٦) ذكرت من قبل ان «زينون» جاهد فى ان يسد بما لديه من فائض العام الخامس من عهد «ايرجيتيس» العجز الذى وقع فى السنة السابعة ، وارسل «ديمثريوس» لترتيب هذه المسألة فى الاسكندرية (٧) ويتساءل الانسان بأى حق كان يعمل هنا زينون ، وقد كان «ديمثريوس» و «هيوكراتيس» مؤجران لضريبة السدس ، وكان «ديونيودوروس» الضامن مهددا ، ومن جهة أخرى نجد «زينون» قد طلب الى «سوستراتوس»

(P.C.Z. 59371)
P.C.Z. 59357, 59361, 59454, etc.
P.C.Z. 59357
P.C.Z. 59367
PSI. 528
(P.C.Z. 59367
Preaux E.R. P. 454.

(١) راجع
(٢) راجع
(٣) راجع
(٤) راجع
(٥) راجع
(٦) راجع
(٧) راجع

اثناء كان ديستريوس في الاسكندرية لترتيب هذه المسألة ، ان يحاول الوصول الى اتفاق مؤقت مع المحضر «كراتون» (وقد كتب بعد ذلك زينون الى «كراتون» (Craton) في هذا الصدد) . وكان يخاف ان يفقد ثلاثة آلاف درخمة (وهو مقدار الضمان الذي دفعه «ديونيسودوروس» (١٠١٠) هذا اذا حجز على املاك «ديونيسودوروس» قبل الميعاد (حتى لا يحدث ... اذا اخذت تقود ديونيسودوروس فنحن سنخسر ٣٠٠٠ درخمة) .

وعلى ذلك فان الخسارة كانت تمس كذلك «زينون» . هذا وقد وجد بين اوراقه (١) خطاب من «هيبوكراتيس» الى «نيكانور» (Nicanor) بشكو فيه مؤجر ضريبة السدس (ابامورا) من الطريقة غير القانونية التي استولى بها على الف درخمة . ويوضح بجلاء وجود هذا الخطاب في سجلات «زينون» ان هذه المسألة كانت تمس زينون ، هذا ونجد بالقرب من زينون وفي دور مشابه للورق مع «ديستريوس» فردا يدعى «كريتون» وهو الذي تسلم في عام ٢٤٢ ق.م صورة خطاب قد حدد فيه مقدار ضريبة السدس في مقاطعة «ارسنويت» (٢) .

وقد يكون من الجراءة بعض الشيء ان تفسر وظيفة زينون في مؤسسة تأجير الضرائب ، وبخاصة اذا لاحظ الانسان معلوماتنا الناقصة عن شركات التأجير بوجه عام ، وكذلك عن معلوماتنا القليلة عن مجال حياة زينون نفسه . ويمكن الانسان على الرغم من ذلك ان يقدم نظريتين .

الأولى : هي ان زينون كان يجمع بين يديه مؤسسات الايجار للضرائب المتنوعة لأجل ان يؤجرها هو من باطنه بعد ذلك قطعاً صغيرة . ولكن هذا الرأي يعارضه كما سنرى بعد ، ان تأجير ضرائب أخرى لم يبرهن عليه بصورة جلية . هذا وسيكون من الصعب علينا ان نحدد وظيفة اشخاص مثل «كريتون» أو «سوستراتوس» .

والثانية : ان زينون و«كريتون» وكذلك سوستراتوس كانوا يعملون شركاء وقد وضعوا ثروتهم تحت تصرف مؤجرين ، وبصورة أدق تحت تصرف ديمتريوس وهيبوكراتيس ، ومن ثم كانا يتحملان جزءا كبيرا من الاخطار ، ولكن كذلك كانا يجنيان جزءا كبيرا من الارباح (١) . وهذه النظرية يمكن ان تفسر دور «زينون» وظهور «كريتون» غير المنتظر بوصفه نائبه دون الرجوع دائما الى وسائل أخرى .

هذا ويلحظ ان كل المتون التي تدل بوضوح على اشتراك زينون في تأجير الضرائب ترجع الى عهد الملك «ايرجيتيس» والظاهر ان في الاستطاعة ان يعترف الانسان بصورة مؤكدة اذا كان استمر يشتغل في تأجير الضرائب عندما انقطع عن ادارة الضيعة . ولا بد انه كان من الصعب بالتأكيد ان يباشر في وقت واحد عمليتين يتطلبان منه الوقت والنشاط في آن واحد . وعلى أية حال يعترضنا هنا سؤال وهو: ألم يهيم زينون الذي يعد الساعد الايمن لأبولونيوس بطريقة ما الطريق لنفسه ليكون مؤجر ضرائب؟ ولا بد ان يفكر الانسان انه في هذا المحيط كما في غيره كان نشاطه في الضيعة يهيم له امكانيات عدة تمود عليه بالربح . ولدينا عدة نقاط ينقصها الوضوح . فقد كان لزينون فوائد في الكروم الخاصة والتي يملكها الجنود المرتزقون اصحاب الاطيان ، فقد كانت هناك ضرائب خاصة بجمع الجزية ، وتوزيع الضرائب (٢) وانه لمن الصعب ان نفهم اذا كان زينون يعمل لحسابه أو بوصفه ممثلا لأبولونيوس الذي كان عليه بسبب شغله وظيفه وزير ان يهتم بعقود تأجير الضرائب . هذا وتتعدد المسألة اكثر عندما يكون جمع الضرائب في داخل الضيعة يقع على كاهل مرعوس ابولونيوس (٣) .

Wilcken L.C. P. 544.

P.C.Z. 59236, 5900, 59607, PSI 508.

Edgar Commentary of P. Mich. Zen. 32.;

P.C.Z. 59206, 59297, 59394, 59384.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

هذا ونجد ان زينون عند هذه النقطة هو الشخصية الرئيسية في سجلاته وبصرف النظر عن ديمتريوس و هيبوكراتيس ، فانا لا نسمع كلاما عن مؤجرين للضرائب الا من الشكاوى التي تنجم عن مخالفات عدة (١) ، وقد وقع قبض غير عادل مرة واحدة على مساعد مؤجر ضرائب ويرجع عهدهما الى الزمن الذي كان يشتغل فيه زينون مع «ابولونيوس» (٢) . وذلك في عام ٢٥٧ ق.م.

والآن يتساءل الانسان هل لدينا تأكيدات عن ايجار الايرادات الملكية خلافا لعقود الضرائب ؟ والواقع ان شئون تربية النحل تتطلب تحليلا عميقا. وقد درست «بريو» وثيقتين (٣) . ووصلت الى النتيجة التالية وهى ان كلا من «سوستراتوس» و«كليون ليسا بالنسبة للاف خلية المؤجرين لها من الملك ، وان النحالين قد تسلموا هذه الخلايا بعقد من باطن هذين الشخصين. وقد بقيت لدينا مسألة تتطلب الحل وهى : ما الذى كان يفعله هنا زينون الذى ارسل اليه «سوستراتوس» و«كليون صورة خطاب «سوسيوس» (Sosibious) وهو بلا شك وزير ، وكذلك خطاب السكرتير وهما الخطابان اللذان قدماهها لسوسيبيوس ؟ ويمكن ان نلاحظ هنا بعض التشابه بين الموقف الذى يشاهد فى عقد ضريبة السدس وذلك الذى يظهر فيه شخص ثالث بوصفه مؤجرا بالمعنى الحقيقى، وذلك على الرغم من ان زينون يكون له فائدة فى هذه المسألة . والمتون الوحيدة التى تؤكد هذا النوع من نشاط زينون يرجع تاريخها الى عام ٢٤٠ ق.م وعلى ذلك يمكن ان تفرض ان زينون له فائدة فى هذه المسألة . والمتن الوحيدة التى تؤكد هذا النوع من نشاط

(١) راجع P.C.Z. 59326, 59275, 5375; PSI. 383, 384; Cf.

Preaux R.E. P. 221.

P.C.Z. 59041

P.C.Z. 59368 & PSI. 524.

(٢) راجع

(٣) راجع

ذلك العهد، ولكنه من المؤكد اذا استندنا على متون قليلة كهذه فانه لا يمكننا ان نقرر في هذا الصدد نظرية تركز على اساس متين .

هذا ولدينا دائرة أخرى نجد فيها زينون يقوم بدور المؤجر للارادات الملكية ، وتلك هي الحمامات . ولدينا متن واحد يحدثنا عن ذلك (١) ، فقد اخبر ريستون في هذه الوثيقة «زينون» ان هناك ييما قد حدث بشروط مجمعة . فيقول المتن : ان الحمامات التي كانت تعطى بمقد دون تخفيض الاجر . وكان زينون يملك كذلك حمامات خاصة في «ارسنويت (٢) وفي فيلادلفيا (٣) . وفي خلال عام ٢٤٠ ق.م أقام حمامات أخرى في كويتاي (Koitai) (٤) ، وقد اجر زينون هذه الحمامات وبالتأكيد الحمامات الملكية التي أخذها بعقود ايجار الى عملاء غالبا من المصريين (٥) . والظاهر انه كان يشتغل فعلا بتأجير الحمامات بوصفه مدير الضيعة فنعلم من قطعة من عقد (PSI 377a) بعض شروط عقدهذه الحمامات : فكان المالك يدفع للخزانة الملكية ضريبة كانت ترتفع في مثل هذه الحالة الى اربعمائة درخمة سنويا ، وكان يورد العربدة والحيوانات الضرورية للمؤجر الذي كان يأخذ على عاتقه المحافظة على الحيوانات وكذلك كان يسهر على انتاجها .

وأهم نشاط خاص لزينون وصف لنا بصورة واضحة نشاطه الخاص بالقروض . ومن ثم فانه لمن المهم ان نتناوله هنا . وقد ابرز المعلقون على ورقة «كورنل» الثانية ملخصا دقيقا مع ملاحظات قروض لزينون تكشف لنا عن مدة القروض واسعارها ولا بد ان نقرر من مختصر النتائج التي وصل اليها الباحثون اليها . (أولا) ان قروض النقد لم تكن هي المصدر الرئيسي أو أحد المصادر

P.C.Z. 59371

PSI. 584.

(Rost. L.E. P. 121)

(P.SI 395)

P. SI 355, 377a, 584; P.C.Z. 59453, 59667; P. Col. ٥) راجع

Zen. 103.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

الرئيسية لزينون بل كانت في الواقع نتيجة رأس المال الهام الذي كان يتصرف فيه . ثانيا : ان «زينون» لم يفرض اسعارا باهظة ، فقد كان ربح ٢٥٪ الذي يضاف الى قرض الخباز «فيلون» ^(١) يؤلف سعرا معتدلا للربح في مصر البطلمية ^(٢) . واذا كنا نجد في التعليق على ورقة «كورنل» الثانية سعرا ارتفع الى ١٠٠٪ ^(٣) فلا بد ان نذكر ان هذه كانت حالة خاصة تماما ، وان المقرض لم يطلب ذلك ولكن القارض ، هو الذي وعده عند عمل هذا القرض اذ قال: اعلم جيدا انك ستأخذ تقدمك مضاعفا (10-11.9) ويجب كذلك ان تتساءل اذا كان من الممكن فهم ذلك حرفيا (اذ الواقع ان هذه الرسالة كانت عبارة عن خطاب كتب لصديق يطلب فيه المساعدة) .

حقا ان الموضوع الذي نجده في سجلات زينون هو مسألة ربا ، ولكن «زينون» لم يكن المقرض . ونجد فيها المسألة الهامة والمركبة الخاصة بكل من «انتيباتروس» (Antipatros) و «نيكون» (Nicon) ^(٤) . وذلك ان امرأة « انتيباتروس » قد اقترضت من « نيكون » سبعين درخمة بربح ٦٪ شهريا (والسعر العادي هو ٢٪ شهريا أى ٢٥٪ سنويا) غير ان «نيكون» هذا لم يكتفبانه مراب بل كان لصا كذلك، اذ انه جذب «انتيباتروس» خارج البيت بحجة عمل اتفاق يعود عليه بالفلاح ، واغتضب منه زوجة وطفلة .

وكان «زينون» بوصفه مدير الضيعة يساعد غالبا اصداقاه ورفاقه في الحصول على قروض متأخرة لهم ^(٥) . ومع ذلك فانه في خلال حكم بظليموس الثانى أى في مدة خدمته «لابولونيوس» نجد ان العمليات المالية التى تذكر

(P.C.Z. 59355.

Preaux E.R. P. 282

PSI 392

P. Col. Z. 83; SB. 7762; P.C.Z. 59347

P.C.Z. 59808; P. Mich. Zen. 35.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

(٥) راجع

كثيرا ، هي قروض عن رهونات من القضية . وهذه القروض على ما يظهر كان يعقدها في أغلب الاحيان مرءوسى «ابوللونىوس» (١) ، وكانت ائنة القضية تودع عند وكلاء «ابوللونىوس» وهم الذين كانوا يدفعون النقد أو تودع في البنوك (٢) . وكان يحدث أحيانا وقوع تلاعبات خطيرة فيعاقب عليها «ابوللونىوس» بالحبس (٣) ويظهر لنا أحيانا ان «زينون» كان يقوم بدور المقرض (P.C.Z. 59327; Cf. Edgar Int. Mich. P. 45)

وعلى أية حال فانه كان يشرف بصورة ما على القروض . فهل يجوز لنا ان نستنبط انه في هذه الحالة كانت هناك عمليات منتشرة انتشارا عظيما لمصلحة الوزير نفسه ؟ هذا ونعلم ان الاغريق الذين كانوا في محيط زينون يظهرون فضلا عن ذلك بانهم من موظفى «ابوللونىوس» أو بوصفهم مقرضين يقرضون بأسعار مرتفعة (حتى ٤٪ شهريا) (٤) . ولا بد ان «زينون» نفسه بما له من مصالح واسعة النطاق كان غالبا في حاجة الى تقود . ومع ذلك فلم يكن في استطاعتنا ما لدينا من وثائق ان نراه يتعامل بالنقد . ولكن من جهة أخرى نجد ان أخاه «افارسوستوس» قد أقرض ٣٧٠ درخمة مقابل رهن كرم (٥) كانت مناطق نشاط زينون التى تحدثنا عنها حتى الآن مناطق أساسية وتتألف منها مصادر ايراداته الاصلية . أما سائر شئونه الاخرى وهى التى منتحدث عنها باختصار فليست بصفة عامة غير واضحة المعالم، وكانت تعمل عرضا . ولا بد ان «زينون» هذا كان رجل اعمال بسيط أكثر من اللازم لينتجز القرض التى كانت تسنح له في حينها للكسب .

والفائدة التى كان «زينون» يرغب فيها من تمرين الفتيان الذين كان يؤهلهم للالعاب الرياضية تنعكس صداها في سجلاتنا . وقد كان كثير من

P.C.Z. 59038, 59044, 59074, 59327.

P.C.Z. 59327, 59120.

P.C.Z. 59038, 59044.

P.C.Z. 59327.

P.C.Z. 59504.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

(٥) راجع

اصدقائه يميلون ميلا شديدا الى ذلك . والواقع اننا قرأنا على أقل تقدير عن شاين من هؤلاء الشبان الذين كان ينشئهم زينون في مكان التمرين الرياضي. أولهما هو «بيروس» (Pyorhos) وكان ممرنه هو «هيروكليوس» (Hierocles) (١) . وكان زينون يخاف من ان هذا التعليم والمصاريف التي بتطلبها تضع سدى ، ولكن «هيروكليوس» يؤكد له ان ظواهر الاحوال تبشر بالخير ويقول انه بمساعدة الاله أمل ان يتوج بالنصر بانتصار تلاميذه (٢) وكذلك قرأنا ان «زنودوروس» قد أخبر زينون بالنصر الذي أحرزه أخوه اثناء بطولمايا (Ptolemaia) ، ويؤكد في الوقت نفسه انه قد تسلم عباءة منه . هذا ونجد في خطابات عدة موجهة لزينون خاصة بشبان تفهم منها ان «زينون» كان يبحث عن شبان موهوبين ، وكذلك كان يفعل اصدقاؤه .

(PSI. 340; P. Mich. Zen. 77) ويعكس تاريخ «هيراكليوتس» (Heracleotes) الذي كان يعد نفسه في ملعب فيلادلفيا للمسابقة في الموسيقى ضوءا ساطعا على هذه المسائل . وقد وصى له معلمه «ديماس» (Demeas) عند ما حضرته الوفاة بألة موسيقية ومعاشا شهريا . غير انه لما كانت الآلة قد اختفت (لأنها كانت مرهونة كما سنرى بعد) ولم يدفع له المرتب في ميعاده فقد كتب «هيراكليوتس» الى «زينون» والى «نستور» (الذي لم يأت ذكره الا في هذا المتن) طالبا منهما ان يساعداه في ان يحصل على ما وصى به له في وصية المربي ، ثم يقول : واذا لم يكن هذا ممكنا فاني اتوسل اليكما ان تعطيناني مصاريفي في يدي حتى استطيع ان أقوم بأمرى بنفسى وأجد معلما اتمرن معه وبهذه الطريقة يمكنني ان اشترك في المباراة التي نظمها الملك وحتى لا أفقد بمكاتتي هنا عدم فوزي بالمرتبة الأولى هذا ويلحظ ان طلبات هيراكليوتس تلتفت النظر بكثرتها . وقد اعترف انه

قد تسلم فعلا ما يأتى :

لحمة قيمتها ثلاثة درخمت وأربعة أوبولات ونصف ، وتسلم لأجل الزيت مبلغا مجهولا (١) ، وثمن خضر ما قيمته درختين ونصف أوبول ، وتسلم نبذا سبعة خوصات ونصف . فيكون المجموع الكلى سبعة درخمت وثلاثة أوبولات وربع ، وسبعة خوصات ونصف من النبذ .

ويطلب بعد ذلك ، ثمن لحمة : سبعة درخمت وثلاثة أوبولات، وثمن زيت مبلغا مجهولا ، وخضر سبعة درخمت وثلاثة أوبولات ، وثمن نبذ ١٠١/٣ خوصات (مكايل) .

وإذا اعتبرنا أن عاملا فلاحا يكسب في المتوسط أربعة درخمت وأردبا من الشعير شهريا الارذب يساوى درخمة واحدة (٢) وان مساعد كاتب كان

لا يتطلب أكثر من ثلاثة درخمت ونصف أردب من الشعير فانه يجب علينا أن نقرر أن تعليمه ليصبح موسيقارا كان يتطلب مصاريف كبيرة بالنسبة للاحوال المصرية . ومع ذلك فلا بد أن نسلم ان ما كان تسلمه هذا

الموسيقار بمثابة معاش متوسط كان مبلغا مرتفعا بعض الشيء ، وذلك لأنه هو نفسه كان يفهم أنه يتطلب أكثر من اللازم ولذلك كان يطلب على الأقل مبلغا يكفى مصاريفه الشهرية وما يقوله في هذا الصدد له قيمته فاستمع اليه لأجل أن أجد ممرنا .

وانه لمن العسير أن نصرح من جهة زينون أنه كان يهتم كثيرا بهؤلاء الغلمان الذين كان تعليمهم يحتاج الى مصاريف كثيرة دون أن تتصور أنه كان له فيها فائدة مادية غير أنه من المستحيل علينا أن نقدر الفائدة التى كان يجنيها .

النسيج

ومن الصعب أن نفهم العلاقات التي كانت بين زينون وصغار النساجين الذين كانوا غالبا يشتغلون في بيوتهم فنعلم أن «ماياندريا» (Maiandria) زوج فيلون الذي كان بدوره يقترض النقود من زينون ، كانت تصنع للاخير ملابس (P.C.Z. 95263, 59355) ولكن يظهر ان هذه كانت عملية تجرى لدفع دين زوجها . وتحدثنا وثيقة أخرى عن عمل مماثل (١) هذا ويدور الحديث مرات عدة عن طلبيات أجريت بوساطة «زينون» (٢) ولكنه من الصعب أن نعلم اذا كانت غير متعلقة بأعمال الضيعة .

هذا ولدينا متنان من عهد الملك «ايرجيتيس» الأول مؤرخ بعام ٢٤٢ ق.م ونعلم منه أن زينون كان يتبقى عليه للطبيب نيون (Neon) حصر غطاءات وفي الثاني (٣) مؤرخ بعام ٢٤٤/٢٤٣ ق.م وهو مهشم بكل أسف ويبحث في موضوع نسيج . والظاهر أن كل الشواهد تدل على أن زينون كان له علاقات بصغار النساجين غير أنه من المستحيل تحديد تلك العلاقات

هذا ولدينا نقطة لا بد من ايضاحها وهي : هل كان زينون أميناً في كل القرص التي سنحت له للكسب؟ وهل لم يسمع قط بمخالفات ارتكبتها ؟ فمن جهة قروضه قد لاحظنا ما فرضه بعض العلماء من أنه كان يؤخر دفع مرتبات عماله عن قصد ليفيد منها في أعماله ، غير أن هذه النظرية لا تركز على أساس متين ؛ ولكن من جهة أخرى يمكن أن نعد موضوع «بيروس» مخالفة (٤) فقد كان مستحقاً على «زينون» أن يورد ٢٥٠ أردبا من القمح للمؤجر «بيروس» بوصفه مقرضاً لأجل أن يتجنب غضب «ابوللوويوس» ولكن

P.C.Z. 59146, 59831.

P.C.Z. 59456, PSI. 401.

(PSI. 387.

PSI. 417; P. Minch. Zen. 58, P.C.Z. 59831 Cf. Introd.

P. Mich. Zen. 58.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

لابد أن نوافق على أنه كان من صالح «زينون» أنه من بين الوثائق الكثيرة العدد جدا التي تحتويها سجلاته ، لم يصل إلينا شيء غير ذلك يتحدث عن مخالفاته هذا اذا استثنينا موضوعات الجمر الكافأضة بعض الشيء حيث نجد فيها «زينون» وكذلك رفاقه قد احتسوا وراء سلطان ابولونيوس ليتخلصوا من دفع عوائد فاحشة .

واذا ألقينا بعد هذا التحليل الذى سبق نظرة على مجموع نشاط زينون الخاص فانه يجب علينا أن نبرز الملاحظات التالية .

كان «زينون» يستغل بمقدار كبير الامكانيات التى تقدمها له وظيفته فى الضيعة ويتضح ذلك بوجه خاص فى تأجير الأفيان حيث كانت شؤنه الخاصة تلاقى تسهيلات بسبب أن مستخدمى «ابولونيوس» كانوا يشتغلون كذلك بزراعة قطع أرض الجنود المرتزقين أصحاب الأفيان . هذا مع مراعاة العلاقات الرسمية بين زينون وبين الجنود المرتزقين (هذا ولم يكن مركز زينون فى فيلادلفيا يسمح له فقط بأن يشتغل بزراعة قطع الأرض ، بل كذلك يشتغل بكل شئون رفاقه ومعارفه الذين كان لهم أملاك فى الفيوم ولا يسكنون فيها الا مؤقتا أو حتى لم يسكنوها أبدا . وكانت كروم «ابولونيوس» الكبيرة تجبر «زينون» أن يهتم بكل مسائل زرع العنب ، والاتصالات التى وضعها مع الاخصائيين قد هيات له انشاء كروم خاصة به . أما من جهة تربية الحيوان فان «زينون» كان يعطى حيوانه للعمال المدربين فى الضيعة . ولما كان يشتغل بالتجارة الحرة فى الحيوان وفى الفلة فانه أفاد من وسائل النقل الخاصة بأبولونيوس . وأخيرا كان يقدم عن طيب خاطر قروضا لمرءوسيه علما منه أنهم اذا لم يدفعوها فان مرتباتهم كانت ضامنا لذلك وكان «زينون» بوصفه مديرا للضيعة يهتم بوجه خاص بتأجير صفقات من الأرض من زملائه ومن الجنود المرتزقين كما كان يقوم لهم بتنظيم الكثير من شئونهم التى لم تكن مرتبطة مباشرة بزراعة الأرض وهذه كانت دائرة

نشاطه الوحيدة الخاصة حيث نجد واضحا أنه كان يتصرف فيها كثيرا خلال حكم بطليموس الثاني أكثر مما كان يفعل في أثناء السنين التي أتت بعد ذلك وتدل شواهد الأحوال على أن تربية الحيوان والتجارة وأخيرا القروض تستلزم التفات زينون بوصفه مدير الضيعة من جهة وبوصفه رجلا حرا من جهة أخرى . هذا يمكننا من أن نشير الى أن اهتمامه بكرومه كانت تحتل المكانة الأولى عنده بعد عام ٢٤٦ ق.م. ويلحظ نفس هذا الميل ولكن بمقدار أقل في استقلاله الحمامات . أما من جهة تأجير الضرائب فإن زينون لم يهتم بذلك الا في عهد «بطليموس الثالث ايرجيتيس» فقد كان وقتئذ غنيا بدرجة محسنة ومعروفا ، كما كان لديه الوقت أكثر مما كان في خلال ادارته للضيعة في عهد بطليموس الثاني .

ولم نجد في سجلات زينون أغريقا آخرين يمكن التحدث عنهم الابصورة عابرة في محيط زينون ولكن هنا كذلك يمكننا أن ندلى بنفس الملاحظات ؛ وذلك ان هؤلاء سواء أكانوا في خدمة الملك أم في خدمة ابوللونبوس أم حتى في خدمة زينون فانه لم يفتهم فرصة لتحقيق أى فائدة مهما كانت دائرتها : فكانوا ينتهزون الفرصة في تأجير قطع من الأرض وزراعة الكروم وتربية الماشية والتجارة أو تأجير الارادات الملكية . وكان هذا الوسط من الناس يتميز بنشاط حار ملىء بالحماس (١) . وفي هذا العهد نجد أن هؤلاء الاغريق كانوا يبنون ثرواتهم بأحسن المضاربات التي يغيب عنا بكل أسف الجزء الأعظم منها ، وذلك في وقت كان ا لثراء العقارى معدوما .

وهكذا نجد أن تحليل سجلات زينون يقدم لنا صورة كرهية لمجال حياة كان يأمل الوصول اليه الكثيرون من الاغريق الذين أتوا الى مصر في العهد الأول من عصر البطالمة . وقد جرت العادة في عصرنا الحالي أن نشاهد الهيلانستكية بوساطة الأدب الاسكندري ، ولكن على الرغم من أننا ننتعه

بالأدب الاسكندري فانه يجب ألا يتحدث الا باسم جزء صغير من المجتمع الهيلانستيكي ومكان كل محيط «زينون» وأعطى بذلك تلك الدنيا الصغيرة التي كانت تعج وتزخر بالحياة في فيلادلفيا باقامة المباني ويظهر أنها لا تهتم الا قليلا جدا بما كان يحدث في المزيون أو بمكثه في الاسكندرية . وقد كانت السياسة عندها كذلك تعتبر شيئا غريبا من أجل ذلك ومن ثم نجد أن رجل السياسة قد مات وعاش رجل الاقتصاد كما عبر عن ذلك المؤرخ روستوفتزن (١) والآخر هو الذي عمل مجال حياته في مصر . وعلى الرغم من أن مجال حياة «زينون» له سمات خاصة فاننا نؤكد من ملاحظتنا للاغريق الآخرين الذين في دائرته أنهم قد اتخذوا نفس الطريق الذي سلكه . وحتى مجال حياة المستعمر الحربى وكذلك الجنود المرتزقون ينبغي ألا يختلفوا في شئ عن سابقهم ، وذلك على الرغم من أنهم كانوا يشملون بعض عناصر كانت خاصة بهم (٢) . وقد كان التصميم العام يجب أن يكون على وجه التقريب كما يأتى : ففى خدمة الملك أو فى خدمة موظف كبير ملكى كان الاغريقى المجتهد والنشيط يحصل على مركز اجتماعى ويجد مصادر رزق خاصة تسمح له فيما بعد أن يحرر نفسه من ربق الوظيفة فكان يصل فى بعض الحالات الى هدفه تماما وفى حالات أخرى كان يصل الى بعض مايرمى اليه ومن ثم تكونت طبقة من هذا المجتمع الجديد ، وهى طبقة تشعر بعلوها على القوم الذين لا يعيشون الا من كد سواعدهم وعلى أصحاب المرتبات وصغار رجال الحرف وعلى كل أفراد الطبقة الدنيا «لاوس» . هذا فضلا عن أنها كانت طبقة تعرف تماما بتبعيتها لعلية القوم وثراته المبرزين . والأفراد الذين يؤلفون هذه الطبقة كانوا لا يحكمون مصر مباشرة ومن أموالهم كانت تتألف بوجه التأكيد الى درجة عظيمة حياة البلاد الاقتصادية .

اليهود في مصر في العهد البطلمي ٣٣٣ - ٢٠٠ ق . م

تحدثنا في الأجزاء السابقة من هذه الموسوعة عن بداية ظهور الاسرائيليين واليهود في مصر ، ولكن تدل النقوش الأثرية على أن قوم «عبرو» وهم العبرانيون فيما بعد كانوا يسكنون سوريا وفلسطين منذ عهد البرنزالمتأخر؛ وقد جاء ذكرهم للمرة الأولى على ما نعلم في عهد «امنحوتب الثاني» ، ثم جاء ذكرهم بعد ذلك في خطابات «تل العمارنة» (١) وتدل شواهد الأحوال على أن أول اتصال أكيد بين الشعبين المصرى والاسرائيلى كان في عهد «يوسف» أى حوالى عام ١٧٠٠ ق.م ؛ وقد تحدثنا عن قصة خروجهم من مصر وشرحناها شرحا وافيا في الجزء السابع من مصر القديمة أيضا (٢) . أما عن قصة هجرة اليهود من فلسطين الى مصر في العهد المتأخر فيمكن فحصها ودرسها منذ أول القرن السادس ق.م وما بعده . ومن الجائز أن الكارثة التى حلت بهؤلاء القوم في عهد الملك «نبوخذ نصر» عام ٥٩٦ ق.م ترجع الى غزو هذا العاهل بلادهم وتخریب «أورشليم» . وقد تحدثنا عن ذلك بالتفصيل في غير هذا المكان (٣) . وقد تحدث النبى «أرميا» عن أول موجة من اليهود الذين هاجروا الى مصر ، كما ذكرها «أريستاس» في كتابه المسمى «رسالة أريستاس» (Letters of Aristeas) هذا فضلا عما جاء في الأوراق البردية التى عثر عليها فى القنتين (٤) .

أما في العهد الهيلانستيكي فمن المحتمل أن هجرة اليهود الى مصر قد بدأت في

(١) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٦٦٦ .

(٢) راجع مصر القديمة ج ٧ ص ١٠٦ - ١٢٨ .

(٣) راجع مصر القديمة ج ١٢ ص ٢٣٧ - ٢٤٥ .

(٤) راجع أرميا الاصحاح ٤٤ سطرا ، الاصحاح ٤٦ سطر ١٤ وكذلك

Aristeas 13. cf. 35; Cowley Aramaic Papyri of the Fifth

Century B.C. 1923; E.G. Kraeling, The Brooklyn Museum Aramaic Papyri 1935; Cf. Aimé-Giron, Textes Aramaïcs d'Égypte, 1931, Nos. 1, 33, 78.

عهد «الاسكندر الأكبر» ، ومع ذلك فإن البراهين الهزيلة التي قدمها لنا «جوزيفس» تدعو الى الريبة ويرجع السبب في ذلك الى أنها مشربة — كما يظهر بداهة — بروح الميل الى اطراء اليهود والتمدح بأعمالهم . ومن أجل ذلك فانه قد يكون من الأسلم من الوجهة التاريخية أن نتركها جانبا (١) .

وتحدثنا المصادر التي وصلت إلينا من عهد «بطليموس الأول سوتر» عن مجيء اليهود الى مصر . فنعلم أن «بطليموس الأول» فتح فلسطين للمرة الأولى في عام ٣٣٠ ق.م. ثم فتحها ثانية في عام ٣١٢ ق.م. وفي ٣٠٢ ق.م. وأخيرا فتحها نهائيا في عام ٣٠١ ق.م. وعلى ذلك لن يكون من المدهش أنه في خلال تلك الغزوات العدة قد سيق الى مصر أسرى كثيرون ، من اليهود . كما حدثنا بذلك «أريستاس» (٢) . وقد ظلت فلسطين لمدة قرن من الزمان بعد آخر غزوة في يد مصر (٣٠١ — ١٩٨ ق.م.) وأعقب فتح فلسطين اتصالات عدة بينها وبين مصر . وتقدم لنا أوراق «زينون» التي لا يمكن تقدير أهميتها التاريخية لدرس بلاد سوريا البطلمية — صورة حية عن العلاقات التجارية بين مصر وفلسطين . وكانت من أهم سلع التجارة المتبادلة بينهما تجارة الرقيق (٣) . ومن الحقائق التي لا تقل أهمية عما سبق اشترك أهالي سوريا في الحاميات التي أسسها البطلمة عند النقاط الاستراتيجية في جنوب سوريا ، وكذلك استعمالهم في أعمال مختلفة لها اتصال بوجود عدد عظيم من الموظفين المصريين في مصر من تجار وقواد حربيين . ومن ثم نجد أنه قد وجدت علاقات سياسية واقتصادية بين السوريين وأسيادهم الجدد، ويمكن أن تفرض قيام هجرة كبيرة من «سوريا» الى مصر نتيجة لذلك .

Jos. bell. 2, 487; C. Ap. 2.35, Ib. 42.

(١) راجع

Arist. 12-14.

(٢) راجع

Tscherikower, Mizraim IV-V, 15 sqq.; G. McLean Harper. راجع (٣)

Am. Journ. Phil. XLIX, 1928, 1 Sq; Cf. Preaux, Les Grecs en Egypte. D'après les Archives.

de Zenon, 1947, 57 sqq.

وفي عام ١٩٨ ق.م فتح الملك «أنتيوكوس الثالث» فلسطين ، ومنذ هذا العام قضى على كل وحدة ادارية بين جنوب سوريا ومصر ؛ ومن المرجح كذلك أن كل علاقة تجارية قد انقطعت أو على أية حال أوقعت مؤقتا ، ومع ذلك فإن هجرة اليهود من بلادهم لم تتوقف ، بل على العكس نجد أنه بعد وقت قصير استمرت بنشاط مجدد . ويرجع السبب في هذا التيار الاضافي من المهاجرين من فلسطين الى الموقف السياسى الجديد في «يهودا» وهو الذى خلقته الثورة التى قام بها «جوداس ماكابايوس» (١) وتأسيس دولة الهسومنيين اليهودية . وقد غادرت فلسطين عناصر مختلفة بسبب هذه الثورة القومية وبحثوا عن بلاد جديدة يمكنهم أن يسكنوا فيها فى سلام ويبدأون حياة جديدة . وكان بعض هؤلاء المنفيين رجالا من أصل شريف مثل ذلك «أونياس» الرابع بن «أونياس الثالث» الكاهن الأعظم فى فلسطين . وأسرة «أونياس» هذه كانت قد احتلت مركز الكاهن الأول بالوراثة لمدة طويلة ثم نعتت عن هذه الوظيفة العالية باليهود الذين كانوا يميلون الى الهيلانية . فقد قتل «أونياس الثالث» ومن المحتمل أن ابنه عندما خاف أن يصيبه ما أصاب بوالده فر الى مصر ، والظاهر أنه لم يصل الى أرض الكنانة وحده على حسب قول «جيروم» بل صاحبه «أسراب لاتحصى من اليهود» (٢) ، وإذا أخذنا فى الاعتبار الميل العادى عند المؤلفين القدامى الى المبالغة فى الأرقام ، فإنه يمكننا من هذه العبارة القول بأن عدد المهاجرين الجدد كان بلا نزاع كبيرا . والدور الهام الذى لعبه «أونياس» فى مصر كما سنرى بعد ينسب كذلك أنه كان بصحبه جماعة من الأتباع لمعاضدته وشد أزره . هذا ولدينا رسالة من قنصل روماني (١٤٣ - ١٣٩ ق.م) موجهة الى بطليموس الثامن

(١) الاخوة السبعة الذين تحملوا الوان العذاب فى عهد «أنتيوكس» ايفان ، مع والدتهم ، وذلك بسبب أنهم رفضوا مخالفة قانون «موسى» الذى ينص على عدم اكل لحم الخنزير .
(٢) راجع Hieron in Daniel 11, 13-14 Pl. XXV. 56.

«ايرجيتيس الثانى» يذكر فيه من بين مسائل أخرى أن يسلم للكهان الأكبر «سيمون» مجرمين سياسيين كانوا قد فروا الى مصر . وفى هذا الحادث برهان عن مهاجرين سياسيين كانوا فى هذه المرة هارين من اضطهادات الهسمونيين فى فلسطين نفسها (١) . هذا وقد حفظ لنا التلمود كذلك قصة عن أحد قادة طائفة «الفاريسيين» (Pharisee) (وهى طائفة من اليهود يميز اتباعها أنفسهم بالصلاح الظاهرى فى حياتهم غير أنهم فى الخفاء غاية فى الخلاعة) الذين هربوا الى مصر من اضطهاد ملك « الصدوقيين » الذين كانوا أعداءهم الألداء . وهذه الطائفة الأخيرة تسير على حسب التفسير الحرفى للقانون الموسوى) . وليس لدينا برهان عن هجرة اليهود فى خلال المائة السنة الأخيرة من الحكم البطلمى ، غير أنه يمكننا أن نفرض أن هذه الهجرة قد استمرت على نفس المقياس السابق ، وذلك لأن الحياة السياسية والاقتصادية فى القرن الأول ق.م فى فلسطين كانت تتدهور بسرعة . وقد قدمت مصر التى كانت تعد أغنى مملكة متاخمة لفلسطين فرصا عدة لوافدين جدد ، ومن ثم جذبت اليها سكان فلسطين .

وكانت مهاجر اليهود مبعثرة فى كل أنحاء البلاد المصرية وقد جذبتهم اليها أولا الاسكندرية . وليس ثمة سبيل الى تحديد تاريخ وصولهم الى هذا البلد بدقة . حقا يؤكد المؤرخ «جوزيفس» أن «الاسكندر الأكبر» نفسه هو الذى أسكن اليهود فى الاسكندرية ، غير أنه لابد أن يأخذ الانسان مرة أخرى حذره مما ذكره «جوزيفس» . وذلك لأن أول برهان حقيقى عن وجود اليهود فى الاسكندرية قد قدمته لنا نقوش اغريقية وآرامية من جبانة «الابراهيمية» فى ضواحي المدينة ، ومن المحتمل أنها من عهد «بطيالموس

(١) راجع I. Macc. 15. 16 sqq., Bulletin de la Société Archéologique d'Alexandrie (1904, et.).

الأول» أو الثاني (١) . وقد أخذ عدد السكان اليهود في المدينة يزداد باضطراد حتى أنه في أول العهد الروماني كان هناك حيان من خمسة أحياء في المدينة يسكنها يهود (٢) . وقد ثبت وجود اليهود في أماكن مختلفة في الوجه البحرى من نقوش تدل على ذلك . ويمكن أن نضيف هنا بعض أماكن أخرى كان يسكنها اليهود من عهد مبكر قبل العهد الهيلانستيكي مثل «المجلد» و «دقنى» . هذا ونعلم أن مستعمرة حرية يهودية قد أقامها «أونياس الرابع» في «ليوتوبوليس» (تل المقدام الحالية بمركز ميت غمر) . وتدل النقوش على أن هذه المستعمرة كانت لا تزال قائمة حتى بداية العهد الروماني في مصر . ولدينا أوراق بردية عدة من منتصف القرن الثالث ق.م وما بعده ، تدل على وجود سكان يهود في قرى مختلفة ومدن صغيرة في القيوم ، ويثبت ما جاء على الاستراكا عن وجود يهود في الوجه القبلى وبخاصة في «طيبة» في خلال القرن الثانى ق.م. والخلاصة انه في خلال العهد البطلمى أسس اليهود بيوتهم في كل أنحاء مصر قاطبة من البحر الأبيض شمالا حتى الفنتين جنوبا أو كما قال المؤرخ فيلو (Flacc. 43) من منحدر لوبيا حتى حدود «أثيوبيا» .

وليس في الامكان تحديد عدداليهود الذين كانوا يسكنون مصر . فقد تحدث «أريستاس» (Arist. 12-14) عن مائة ألف يهودى أحضروا من فلسطين الى مصر أسرى حرب في عهد «بطليموس الأول» ، أما «فيلو» (Flacc. 43) فيذكر رقم مليون لليهود الذين يسكنون مصر في عهده . ولا نزاع في أن الرقم الأول مبالغ فيه جدا ، وذلك لأن سكان «يهودا» من اليهود في نهاية القرن الرابع لم يكونوا من الكثافة بحيث أن مائة ألف نسمة منهم يهاجرون منها دون أن يؤثر ذلك في حياة البلاد تأثيرا

خطيرا ، وفي مثل هذه الحالة كان من المنتظر أن نجد أثارا في المصادر التي في أيدينا تشبه رد الفعل الذي حدث عند طرد اليهود ونفيهم الى «بابل» في عام ٥٨٦ ق.م كما أشرنا الى ذلك من قبل . أما عن الرقم الذي ذكره «فيلو» فليس من سبيل الى تحقيقه ، غير أنه ليس من المرجح أن اليهود كانوا يؤلفون تقريبا سبع سكان كل مصر وقتئذ ولا بد أن نذكر هنا أنه لم يعمل احصاء خاص لليهود حتى عام ٧١ - ٧٢ بعد الميلاد ، وذلك عندما ادخل نظام الضرائب على اليهود في العهد الروماني ، ومن ثم لم يكن في مقدور «فيلو» أن يحصل على رقم صحيح لعدد اليهود في مصر (١) . ولا شك ان قصد «فيلو» من ذكر هذا الرقم الضخم التأثير على قرائه بمثل هذا العدد ، وعلى ذلك اذا نظرنا اليه من الوجهة التاريخية فلا بد أن نكون على حذر . وهذه الملاحظة تنطبق كذلك على الأرقام التي أعطيت عن عدد سكان الاسكندرية من اليهود . اذ ليس لدينا برهان كاف لاثبات أن عدد اليهود في الاسكندرية يؤلف خمس سكانها وذلك لأنهم كانوا يسكنون في حين من أحيائها الخمسة ، اذ الواقع أنه ليس لدينا معلومات ذات وزن عن هذه النقطة على ما يظهر .

والهجرة اليهودية الى مصر كانت جزءا كبيرا من هجرة السوريين . وذلك أنه توجد قرى سورية عديدة منتشرة في كل البلاد المصرية كما كانت توجد قرى تحمل أسماء سامية ، تدل على تعداد السوريين في مصر في خلال العهد البطلمي . هذا وتكثر أسماء الأعلام السورية أى الآرامية في الأوراق البردية ، كما ثبت وجود عبادات لآلهة سورية في القرنين الثالث والثاني ق.م (٢) .

Segré, BSAA, XXXIII 1933, 143.

(١) راجع

Henne Actes du 5e Congrès 151; P. Ent. 13 (= O. راجع

Guerand ENTEYEEIS, Cairo 1931-2; F. Preisigke and F. Bilabel Sammelbuch Griechischer Urkunden aus Agypten 7351.

وكان السوريون في مصر يشتغلون في أنواع مختلفة من التجارة كما كانوا ينتسبون لكل طبقات المجتمع المصرى فقد جاء ذكر الكثير من التجار والموظفين والفلاحين الكادحين والعيبد الخ في أوراق البردى . وعلى الرغم من أنهم يختلفون عن اليهود في دينهم الا أنهم كانوا يتكلمون لغة مشتركة ، ومن المحتمل أنهم كانوا يشبهونهم في المنظر . ولا بد أن نضيف أن فلسطين في خلال القرن الثالث لم تكن تؤلف بفردا وحدة ادارية خاصة ، وان المديرية الواقعة جنوبى سوريا وهى فيقيا وفلسطين وشرقى الأردن كانت تسمى رسميا « سوريا وفنقيا » كما كانت تدعى بصفة غير رسمية « سوريا » وحسب (١) . ولا غرابة اذا كان السكان المصريون قد خلطوا كل الاقوام الوافدين من سوريا وسموهم كلهم « سوريين » . هذا ونجد أن اللغة العبرية كانت أحيانا تؤخذ خطأ على انها اللغة السورية اى الآرامية (٢) .

ولما لم تكن لدينا وسيلة للتمييز بين اليهود والسوريين في الوثائق التى فى أيدينا ، فانه لا جدوى فى السعى الى تحديد القوة العددية لليهود المصريين من المصادر المأخوذة عن الوثائق التى فى متناولنا اللهم الا اذا كانت هناك دلائل قوية تدل على اصلها الوطنى .

وكان اليهود فى مصر كاخوانهم فى كل مكان فى مهجرهم يعيشون فى مجتمعات أى فى منظمات منفصلة نصف سياسية ، لهم قوانينهم وعاداتهم ومبانيهم ومؤسساتهم ، وقادتهم وموظفهم ، هذا الى انهم لم يكونوا مجبرين على ان يعيشوا فى « مجتمع » ، ولكن بطبيعة الحال كان بعضهم مرتبطا بالبعض الآخر . وكان كل مهاجر قد اضطر الى بناء موطن جديد بعيد عن مسقط رأسه يرغب فى أن

S.B. 8008.
Corpus Papyrorum Judai. Carum. Vol. I, document 126.
P. 227-230.

(١) راجع

(٢) راجع

ينشئ حوله جوا يشبه جو وطنه الأصلي. وحتى في إيامنا نجد ان المدن الكبيرة المختلطة السكان قسمت أحياء يسكنها كلها أو معظمها افراد من «قومية» واحدة. ونجد نفس هذه الصورة في مصر القديمة فتوجد أمثلة كثيرة في الاوراق البردية تدل على احياء قومية منفصلة في كثير من المدن المصرية (١) وفي «أرسنوى» كانت هناك احياء يسكنها كليكون ومقدونيون

وبيتيون وليكيون وعرب وتراقيون وسوريون كل على حدة (٢) وعلى ذلك فلا يدهشنا ان اليهود كانوا كذلك يتبعون هذه الطريقة المشتركة نفسها وفضلوا السكن سويا. وعلى الرغم من ان الاحياء اليهودية قد سجلت في العهد الروماني فليس ثمة شك في أن هذه الاحياء كانت موجودة في العهد البطلمي ايضا. ومع ذلك فانه لم تكن توجد مساكن يهودية في مصر خاصة باليهود وحسب. والواقع ان اليهود لم يكونوا منحصرين في أحيائهم، ويؤكد «فيلو» بوضوح ان في الاسكندرية قد سكن يهود كثيرون بعيدون عن أحيائهم (٣)، وان المعابد اليهودية كانت منتشرة في كل أنحاء المدينة. ومما يجب ذكره هنا كذلك: ان «المجتمع اليهودي» ليس مرادفا للحى اليهودي. فالمجتمع اليهودي كان عبارة عن وحدة قضائية، ولكن لم يكن من الضروري انها كانت مرتبطة بمساحة معينة من الأرض. فقد يكون من الممكن وجود عدة مجتمعات في بلدة واحدة (كما كانت الحال في رومه)، ومن جهة أخرى كان من الممكن ان يتحد سكان عدد من الأماكن في مجتمع واحد. وكذلك كان من المستطاع أن يهودا من بلدة قاطنين مؤقتا أو باستمرار في بلدة أخرى ينون مجتمعا خاصا بهم كما يحتمل انه حدث مع يهود من اقليم طيبة، قد سكنوا في العهد (١) راجع Rink, Strassen-und Viertelnamen von Oxyrhynchos 1924, 25-26.

(٢) راجع Corpus.Ibid. P. 5. No. 14, Cf. Aegyptische Urkunden aus dem Staatlichen Museen zu Berlin : Geschichte Urkunden. P. 1087.

Flacc. 55.

(٣) راجع

الرومانى فى «ارسنوى» (١) . اما من حيث القواعد القانونية الخاصة بالمجتمعات اليهودية فى مصر فلم تكن هناك حاجة ماسة لان تسن الحكومة البطلمية مواد جديدة للتشريع ، وذلك لانه كانت توجد جماعات اخرى وطنية لها مكانة قانونية ماثلة .

وكان العالم الهيلانستىكى معتادا على نظام مؤسسة سياسية تدعى «بوليتوما» (Politeuma) وهذا التعبير له معان عدة ولكن المعنى الاكثر استعمالا كان « المجتمع السلالى » الذى اتى من الخارج وكان يتمتع بحقوق معينة وله مسكنه فى داخل المدينة أو الملكة التى يقطن فيها (٢) . ولدينا عدة أمثلة من «البوليتوما» من جماعات وطنية متنوعة فى مصر (٣) .

ولم يشذ اليهود عن هذه القاعدة . ويسمى المجتمع اليهودى فى الاسكندرية فى رسالة اريستاس بوليتوما ، وكذلك كان يسمى فى برنيكى من اعمال « سيرينى » (٤) . وهكذا نجد انه لم يكن هناك فرق من حيث المبدأ بين مجتمع يهودى و«بوليتوما» من الأدوميين أو اللىكيين: ومن ثم نجد ان قوم اليهود كانوا موضوعين بصورة ممتازة فى اطار القانون السياسى الهيلانستىكى، وبطبيعة الحال لم يمنح اليهود حكما ذاتيا سياسيا كاملا والواقع انه فى حكم ملك مستبد كانت مسألة الحرية السياسية ليس لها مكان ، وحتى المدن الاغريقية فى مصر البطلمية لم تكن لها حكومات حرة بالمعنى الحديث بل كانت هناك «مدن» أى مجتمعات يتمتعون بحكم

Ibid. (No. 423)

Ruppel. Politeuma (Philologus LXXXII, 1927, 309.

W. Dittenberger Orientis Graeci Inscriptiones Selectae Lipsiae 1903-5. P. 737, 658; P. Tebt, 32; S.B. 6025; SEG VIII, 359; S.B. 7270 & 6664; Schurer III. 72, note 4.

A. Boeckh et al.; Corpus Inscriptionum Graecarum, Berlin (٤) راجع
1828-77, P. 5361;

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

ذاتي ، ولهذا السبب لم يكن في مقدور السكان اليهود كلهم في مصر ان يتحدوا في نظام قومي واحد . على ان وحدة قومية بمثل هذا الحجم كانت كبيرة على تأليف « بوليتوما » ، ومن ثم تكون خطرا على الدولة . ومن الجائز جدا انه كان هناك اتصال مستمر بين المجتمعات اليهودية وان المجتمع اليهودي الاسكندري كان له تأثير عظيم على المجتمعات الأخرى . غير انه مما لا يمكن التسليم به تماما السماح لهم بان يعقدوا اجتماعات منظمة ويتناقشوا في مصالحهم المشتركة بصفة رسمية .

وكان الملك البطلمي مصدر القانون في البلاد كما كان الفرعون من قبله ، ومن ثم فان كل قانون آخر غير الذي سنه بطليموس مثل قانون المدن الاغريقية أو قانون السكان المهاجرين الاغريق في البلاد أو حتى القانون القديم للسكان الاصليين كان لا يمكن الاعتراف به الا بإرادة الملك وتصريح منه . وبدهى ان اليهود لم يشذوا عن هذه القاعدة فكان عليهم ان يتسلموا تصريحاً من الملك لتأليف مجتمع لهم يمكنهم ان يتمتعوا فيه بحقوق معلومة . ولكن مما يؤسف له انه لم تحفظ لنا مثل هذه الامتيازات ، على ان وجودها كان ممكنا ويستخلص ذلك من قصة قصها « هيكاتايوس » (Hekataeus)

ونقلها عنه « جوزيفس » (١) ويمكن ان نخمن بسهولة الحق الاساسي الذي منحه الملك المجتمعات اليهودية . ولا شك انه كان حق المعيشة على حسب قانون الأجداد . وهذه الصيغة مع خلاف قليل تكرر باستمرار في المنشورات الرومانية التي كانت تصدر في صالح اليهود ، وكان قد استعملها كذلك الملك « اتيوكوس الثالث » ملك سوريا في مناسبة فتحه « اورشليم » في عام ١٩٨ ق.م (٢) .

وقد استعمل الصيغة نفسها غالبا الرومان عند الاشارة الى المدن المستقلة

Josephus (C. Ap. I, 187 sqq.

(١) راجع

Bekerman. La Charte Seleucide de Jérusalem. Revue des

Etudes Juives c. 1935, 4 sqq.

(٢) راجع

في الشرق في نهاية الجمهورية الرومانية وبداية حكم « اغسطس » . (١)
ولما كان الرومان قد أخذوا عادة المؤسسات القانونية للممالك المفتوحة دون
اجرا أى تغيير أساسى ، فانه من المستطاع ان تقترح انهم في هذه الحالة
كذلك قد اتبعوا نهج اسلافهم ، اى ملوك البطالمة والسليوكيين . ومع ذلك
فان « قوانين الاجداد » فيما يخص اليهود كان لا يمكن ان يكون لها
الا معنى واحد ، وهو نظام حكم ذاتى يهودى مؤسس على قوانين « موسى » .
ومن ثم نفهم ان التوراة كانت القانون الاساسى لكل المجتمعات اليهودية في
مصر . وهذه الحقيقة كانت ذات أهمية كبيرة جدا للتطور الثقافى لليهودية
المصرية .

ولا يوجد في الاوراق البردية ولا في النقوش أى برهان على وجود
مجتمعات يهودية في العصر البطلمى أما في العهد الرومانى ، فان الذكر
الوحيد لوجود مجتمع يهودى كان في البهنسا (٢) . ويمكن ان نستعمل هنا
على أية حال مصدرا آخر في هذا الصدد ، وذلك انه لما كانت المعابد في
خلال عهد الهجرة تلعب دورا عظيما بوصفها مراكز للحياة السياسية والثقافية
اليهودية فانه من المستطاع ان نسلم بأن أية اشارة لمعبد تدل على وجود
مجتمع يهودى منظم . وعلى الرغم من أن المعبد اليهودى كان مؤسسة قامت
بعد التوراة ، فان وجوده كان أهم صفة اساسية لقوانين الاجداد . فقد كان
المعبد موضع مقابلات وتديرات عند اليهود كما كان للعبادة ودرس التوراة ،
بل لقد كان أحيانا يعتبر مضيعة ، وذلك لأنه كان متصلا به حجات خاصة
لاضافة الغرباء (٣) . هذا وكان المعبد في البلدان الصغيرة والقرى على ما
يظهر يحوى كل المؤسسات العامة للمجتمع مثل المحكمة وادارة التسجيل .

(١) راجع Abbot and Johnson, *Municipal Administration in the Roman Empire*, No. 15 c.

Schurer III. 74 sq.

Clermont-Ganneau, *Syria I*, 1920, 190 sqq.

(٢) راجع

(٣) راجع

وكان المعبد في مصر يدعى مكان العبادة . ولدينا نقش (١) يدل على ان ملوك البطالمة قد منحوا بعض المعابد نفس حقوق الحماية كالتى كانت تمنح للمعابد المصرية . ولا بد ان أعمالا خيرية مثل هذه قد كسبت عواطف اليهود ، ولدينا أمثلة عديدة تشهد بتقديم اليهود معابدهم للملك وأسرته . مبرهنين بذلك على شعورهم الموالى للحكومة ورئيسها . وكانت المعابد أحيانا يقيمها كل المجتمع اليهودى ، وكان المجتمع فى مثل هذه الحالات يسمى نفسه « يهود مكان كذا » . وكان يقيمها أحيانا المجتمع بمساعدة فرد حر وأحيانا كان يقيمها فرد حر بمفرده . وتدل المصادر التى فى متناولنا على وجود معابد فى عشرة أماكن (فى بلدان وقرى) . ولا بد ان عددها كان أكثر من ذلك بكثير فى القنطرة .

والقائمة التالية تبين الأماكن التى أقيمت فيها المعابد المعروفة التى جاء ذكرها فى الوثائق حتى الآن .

- (١) الاسكندرية : كان فى الاسكندرية عدة معابد منتشرة فى كل انحاء المدينة (٢) والمبنى الجميل للمعبد الرئيسى جاء ذكره فى التلمود .
- (٢) معبد شديا (Schedia) بالقرب من الاسكندرية (٣) .
- (٣) معبد «كزنفيريس» (Xenephyris) بالوجه البحرى (٤) .
- (٤) معبد «اترييس» (بنها الحالية) (٥) .
- (٥) معبد نتريا (Nitriai) (= وادى النظرون) بالوجه البحرى (٦) .
- (٦) معبد «كروكوديلوبوليس - ارسنوى» بالقيوم (٧) .
- (٧) معبد الكسندرونوس (Alexandron-Nesos) بالقيوم (٨) .

OGIS. 129.

Philo. leg. 132.

OGIS 726 (3rd. Cent. B.C.)

SB. 5862 (2nd. Cent. B.C.).

OGIS 96 & 101 (3rd. or 2nd. Cent. B.C.)

SB. 7454 (2nd. Cent. B.C.)

SB. 8939 (3rd. Cent. B.C.).

Ibid. (3rd. Cent. B.C.)

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

(٥) راجع

(٦) راجع

(٧) راجع

(٨) راجع

وهناك معابد أخرى لم تعرف مواقعها (١)

وكانت هناك قرى ومستعمرات حربية يسكنها يهود ، غير انه ليس لدينا وسائل لتقرير ما اذا كان هؤلاء السكان كثيرين بما فيه الكفاية لتكوين مجتمعات يهودية . والأرجح انه لم تكن في المستعمرات الحربية مجتمعات ، ومع ذلك يمكننا ان نسلم انه كانت توجد مجتمعات يهودية منظمة في بعض قرى « الفيوم » . ولا أدل على ذلك بصفة مباشرة من وجود معبد في بلدة (الكسندرونسوس) (٢) . ويمكن ان يسلم بمثل ذلك في « بسنيريس » (Psenyris) حيث نجد ان كل السكان كانوا مقيمين اغريق ويهودا (٣) وكانت البلاد الصغيرة مثل « فيلادلفيا » وكذلك القرى الكبيرة التي كان يقطنها عدد كبير من الشرقيين مثل « ساريا » (Samareia) والمجدل (Magdola) (كلاهما في الفيوم) يحتمل انه كان لهما مجتمعات يهودية خاصة بها مكونة مراكز لليهود الذين يسكنون على مقربة منها . والمجتمع الوحيد الذي يعرف تاريخه بصورة ما هو مجتمع الاسكندرية . فقد سجل لنا هنا « البوليتوما » اليهودية (أريستاس) (Arist. 310) ، وقد ذكر لنا نفس المؤلف « قادة السكان اليهود » . ويتساءل الانسان اذا كان هؤلاء القادة قد نظموا أنفسهم فعلا في مجلس شيوخ (Gerousia) في منتصف القرن الثاني ق.م عندما كتبت « رسائل اريستاس » ، كما كانوا قد نظموا انفسهم فيما بعد في العهد الروماني . والواقع ان الجواب على ذلك يتوقف على فهم متن (اريستاس) الذي لم يكن واضحا عند هذه النقطة . ويمكننا ان نسأل فضلا عن ذلك اذا كان القادة ينتخبهم كل السكان اليهود على حسب المبادئ الديمقراطية للمدنية الاغريقية او كانوا يمينون انفسهم من بين أغنى رجال المجتمع اليهودي ، واعظمهم سلطانا . والواقع ان الطريقة الأخيرة كانت

Corpus P. 8.

Corpus No. 129

Corpus No. 33

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

تتفق كثيرا مع الاخلاق الارستقراطية للمجتمعات اليهودية في العالم الهيلانستيكي الروماني . ونرى انه في نهاية العهد البطلمي وبداية العصر الروماني كانت شخصية الاثنارك (الحاكم) القوية تغطي على كل القادة الآخرين . ويتحدث المؤرخ « استرابون » الذي زار الاسكندرية في عهد « اغسطس » عن الاثنارك انه رجل يحكم المجتمع اليهودي كانه حاكم دولة مستقلة . وكانت اختصاصاته على حسب ما جاء في استرابون هي ادارة شئون الناس ورأسة محكمة العدل والمحافظة على الوثائق العامة للقانون (١) ، ومن ثم نفهم انه كان رئيس الادارة والمحكمة وادارة العقود . ومع ذلك فانه ليس لدينا من الاسباب ما يكفي بان نقول ان هذا النوع من الحكم كان استبداديا وحل محله آخر ارستقراطيا . والواقع ان سلطة « الاثنارك » لم تتعارض مع نفوذ الاسرات العظيمة التي كانت الاساس الاجتماعي للحكم الارستقراطي في المجتمع اليهودي ، ويرجع السبب في ذلك الى ان « الاثنارك » نفسه كان متاكدا من انه عمو من اعضاء هذه الأسر . ومن المحتمل ان ايجاد قوة مركزية في الادارة يدل على ما يظهر على الحكمة السياسية للارستقراطية اليهودية في الاسكندرية وهي التي فضلت ان تترك جانبا المشاحات الصغيرة التي كانت تقوم بين الأسر من أجل انشاء حكم قوى للطبقة المتأزعة على كل المجتمع . ولا نزاع في ان هذا النوع من الحكم كانت الحاجة ماسة اليه ليقف في وجه الطبقات الدنيا الجامعة من السكان اليهود في الاسكندرية . هذا ونذكر من بين المؤسسات المختلفة والموظفين في المجتمع في عهد البطالمة « خزان » (Neokoras) المعبد (وهو موظف كبير) . وقد كان للمجتمع اليهودي الاسكندري الهام ادارة عقود ومحكمة . وكان من بين الموظفين الذين لعبوا دورا رئيسيا في كل المجتمعات اليهودية للامبراطورية الرومانية « الاركون » (الحكام الرئيسيون) وهؤلاء الحكام لم يذكروا الا مرة واحدة في الوثائق المصرية : حكام اليهود من اقليم « تيباس » (Tebias) (١) راجع

(في الفيوم) في مجتمع « ارسنوى » . وخلافا لهؤلاء الحكام قد ذكر بعض موظفين آخرين . وهذه هي كل المادة التي امكن جمعها عن المصادر الخاصة بالموظفين والمؤسسات الخاصة بالمجتمعات اليهودية في مصر .

حالة اليهود الاجتماعية

الواقع ان معلوماتنا عن الاحوال الاقتصادية الخاصة بحياة اليهود المصريين في المجتمعات اليهودية في عهد البطلمة تعد معلومات حسنة ، فقد قدمت لنا الأوراق البردية في هذا الصدد مادة تستحق التنويه عنها بوجه خاص فقد كان العلماء المبكرون يستقون كل معلوماتهم عن المصادر الأدبية بوجه عام ، ولذلك كانوا يبنون براهينهم على مادة قليلة محايطة : يضاف الى ذلك انه كان من السهل جدا التأثير عليهم حتى صوروا في كتاباتهم اليهود بانهم تجار مرابون . وهذه الصورة مؤلفة لدينا مما هو معروف عن حياة اليهود في القرون الوسطى وفي الأزمان الحديثة . وقد طبقت هذه الصورة دون ادخال أى تغيير على التاريخ القديم أيضا . غير أن هناك شكاً كبيراً فيما اذا كانت هذه الصورة يمكن تطبيقها بحق على الأزمان المتأخرة . والواقع أن تطبيقها على التاريخ القديم لليهود يعتبر أمراً مبالغاً فيه دون ريب . وذلك لانه من المعلوم تماما ان يهود فلسطين قد وصلوا الى البحر الأبيض المتوسط في زمن دولة المسمونيين ، على انهم لم يفلحوا وقتئذ في مزاوله التجارة ، وذلك لانهم لم يسجلوا قط بانهم قوم تجار بحار ، وحتى في فلسطين نفسها لم تكن التجارة البرية في أيدي اليهود بل كانت احتكارا للعرب ومواطني المدن الاغريقية (١) والواقع انه لم يذكر في مؤلف من الذين كانوا يكرهون اليهود في الأزمان القديمة انهم اتهموا بانهم احتكروا التجارة أو قيل عنهم انهم كانوا مرايين . والسبب المعروف عن كره اليهود

هو فقرهم لا غناهم . اما عن يهود مصر فقد ذكر حقا « جوزيفس » بعض اغنياء منهم في الاسكندرية كانوا يشتغلون على ما يحتمل بالتجارة والربا ، غير ان هذا الدليل لا يمكن ان ينطبق على كل يهود مصر ، وذلك لأن « جوزيفس » كان مهتما باشخاص منغمسين في السياسة الدولية والشؤون المالية ، وهؤلاء كانوا اصحاب نفوذ و ثراء . وعلى أية حال لا يمكن نكران وجود يهود اغنياء في الاسكندرية بوجه خاص ، ومستاح لنا فرص أخرى للتحدث عنهم هنا . ومع كل فان الاغلبية العظمى من اليهود في مصر لم يكونوا اغنياء كما لم تكن لهم أية صلة بالتجارة او بالربا . ونحن مدينون لمعلوماتنا في هذا الصدد للاوراق البردية التي تقدم لنا مادة غزيرة عن الحياة الاقتصادية الخاصة باليهود المصريين في القرى الى الارياف خارج الاسكندرية وعلى الرغم من كل ذلك فانهم قد نشئوا وفي دمهم الربا الفاحش .

الجنود اليهود في عهد البطالمة

وستحدث اولا هنا عن الجنود اليهود في مصر . والمعلومات الجديدة التي تقدمها لنا الاوراق البردية لها أهمية عظمى في هذا الصدد . فقد كان المعروف دائما من المصادر الأدبية ان اليهود كانوا يخدمون في جيش كل من البطالمة والسليوكيين ، غير ان هذا البيان لم يكن يركز على اسانيد تاريخية قوية . وذلك لانه لم يكن من المعقول ان يخدم اليهود بمثابة جنود نظاميين في حين ان كتاب التوراة كان يحرم عليهم العمل في يوم السبت (١) ، وهذا الرأي قد كذبه ما ورد في الأوراق البردية وعلى ضوء هذه الحقيقة الجديدة نجد ان المعلومات القديمة المستقاة من المصادر الأدبية قد زيد في أهميتها ، وعلى ذلك لم يعد لدينا من الآن اى سبب يدعو الى عدم قبول البيان الذى

ذكره (اريستاس) في رسالته (١) عن وجود أسرى حرب من اليهود مقيمين في معاقل « بطليموس الأول » ، (وبطبيعة الحال يجب علينا الا نقبل العدد ٣٠٠٠٠ الذي ذكره الا مع التحفظ) . هذا وقد برهنت الأوراق البردية الآرامية المعروفة على انه في العصر الفارسي بل وقبله كانت توجد حاميات يهودية في معاقل الحدود المصرية (٢) . وعلى ذلك فان وضع بطليموس الأول معاقله في أيدي اليهود لم يكن أمرا جديدا بل كان يسير على خطط اسلافه وعلى أية حال فان وجود بعض اليهود بوصفهم أسرى لم يكن عقبة في عدم قيامهم بالخدمة العسكرية على الحدود المصرية . والواقع ان امثال هؤلاء لأسرى الذين كانوا يعملون في الجيش البطلمي النظامي قد ذكروا كثيرا في الأوراق البردية (٣) . هذا ولا ينبغي علينا ان نعتبر انخراط اليهود في سلك الجندية في الجيش البطلمي امتيازاً خاصاً قد منحوه كما يستنبط ذلك من بعض جمل جاءت في كلام المؤرخ « جوزيفس » (٤) .

وعلى أية حال فان عامة الجيش البطلمي تقريبا كان مؤلفا من جنود مرتزقين، وفدوا الى مصر من ممالك مختلفة من العالم الهيلانستيكي ، وبخاصة عندما نعلم ان البطالة كانوا لا يثقون بالجنود الذين من أصل مصري قح كما اثبتت التجارب صدق ذلك ، فقد انخرط المصريون الوطنيون في سلك خدمة الجيش النظامي بعدد كبير ، وذلك عندما دعت الحاجة لاشتراكهم في الحرب العظمى التي وقعت بين « انتيوكوس الثالث » (٢١٧ ق.م) وملك مصر . وكانت الغلبة للمصريين ، ومنذ ذلك النصر اخذتهم العزة القومية وشعروا بقوتهم فتكبروا وثاروا مطالبين بحقوقهم . ومنذ ذلك العهد أصبح لزاما على البطالة ان يؤلفوا لانفسهم جيشا قوميا خاليا من العنصر المصري،

(Arist. 13).

(١) راجع

(٢) راجع مصر القديمة ج ١٢ ص ٤٠ - حيث تجد بحثا مستفيضا في هذا

الموضوع

(٣) راجع، W. Chr. 334; P. Tebt. 793, Col. VI; Cf. P. Tebt, 883, introd. 1001, 1003.

Jos. Anti II, 318; 12.8.

(٤) راجع

توصلوا الى حل هذه المشكلة باسكان جنود أجنبية في ارض الكنانة ،
وبذلك انشؤا جيشا محليا جديدا منحت له كل ميزات الجنود المرتزقين ،
ولكنه لم يكن مع ذلك متوقفا على الأحوال غير المؤكدة فيما يخص التجنيد
من الخارج . وكان هذا الجيش الجديد يضم جنودا نظاميين وجنودا
مستحفظة مشاة وفرسانا وكذلك ادارات خاصة به . وكانت فرقة الفرسان
هى أعلى طبقة ارستقراطية فى الجيش وكان الجنود الفرسان مقسمين
فصائل تدعى بالارقام الأولى والثانية الخ او باسماء اقوام منوعين . وكان
الجنود المشاة مقسمين فصائل تسمى كل منها باسم رئيسها . ومن بين
فصائل الفرسان نذكر فصيلة « التراقيين » وفصيلة « التساليين » و « الميزيين »
وفرقة الفرس . وكل هذه الاقسام كانت قد نظمت منذ القرن الثالث . وكان
أمر استيطان الجنود الأجانب فى أرض مصر يقوم بتنفيذه موظفون خاصون،
كان من واجبهم ان يقسموا الأرض التى تمنح لهم قطعاً توزع على
المستعمرين من هؤلاء الجنود . فكان الضباط من الفرسان يحصل كل منهم
على أكبر القطع التى كانت تتراوح الواحدة منها ما بين ٨٠ و ١٠٠ ارور
وكانت تمنح قطعاً مساحة الواحدة منها ما بين ٢٤ و ٦٠ ارورا لأفراد الجيش
الذين كانوا أقل اهمية من الفرسان . ويلحظ ان الجنود الذين كانوا
يستوطنون فى اقطاعاتهم (كلوركى كما كانت تسمى فى القرن الثانى)
يتزوجون من المصريات ، ومن ثم نشأ جيل صغير له تقليده الحربى منذ
ولادته نما وترعرع فى تلك المستعمرة فى ظل الجندية . وهذا الجيل الصغير
كان يدعى باليونانية ايبيجون (Epigone) ولما كان الايبيجون قد استعملوا
بشابة مورد للتجنيد الجديد فان هذه الكلمة قد اكتسبت معنى « جيش
المستحفظ » وكان على كل جندى عندما يعطى اسمه لأى غرض رسمى ان
يسجل اصله (مقدونى ، تراقى الخ) ثم يبين اذا كان جنديا نظاميا (مع ذكر
فرقته مثل فرقة الفرسان أو غيرها) أو اذا كان من جيش المستحفظ. وهكذا كان

النظام الكبير المركب للجيش المصرى الذى أوجده البطالمة (وبخاصة بطليموس الثانى) فى القرن الثالث ق.م (١)

وبدهى انه كان هناك متسع فى هذا الجيش لليهود ايضا . حقا لم يعرف اليهود فى العالم الهيلانستى بانهم ذوو كفاءة حرية خاصة كالمقدونيين والتراقيين ، ومن ثم لم يؤلفوا وحدة منفصلة . وعلى أية حال فان ذلك لم يحدث فى القرن الثالث ، ومع ذلك فانهم كانوا قادرين على ان يخدموا بوصفهم جنودا وضباطا فى الجيش النظامى العامل، وكانوا أعضاء فى الجيش المستحفظ ونتيجة لخدمتهم هذه كان لهم الحق فى ان يمسكروا فى حاميات ويستعمروا اقطاعات حرية وكانوا أحيانا يصلون الى مراكز حرية عالية ونذكر من بين هؤلاء توبياس (Toubias) رئيس الاقطاعات الحربية فى شرق الاردن فى القرن الثالث (٢) والكاهن الأكبر « أونياس الرابع » وابنه فى القرن الثانى كما سيأتى بعد . هذا ولدنا بيانات قيمة عن حياة الجنود اليهود فى الفيوم الذين خدموا فى وحدات متنوعة ، وكانوا من الجيش المستحفظ (٣) .

ذكرنا فيما سبق ان جزءا من الجيش البطلمى قد نظم الى وحدات سلالية منفصلا بعضها عن بعض مثل فصيلتى فرسان تراقيا وتساليا وغيرهما . وكانت هذه الوحدات السلالية كما تدل عليها اسمائها - عندما كان الجيش البطلمى لا يزال فى طور التكوين مؤلفة من أفراد ينتمون كلهم الى أمة بعينها ، ولكن على مر الايام نجد أفرادا من أصول مختلفة قد قبلوا فى هذه الوحدات السلالية ، وعلى ذلك قد أصبح اسم فصيلة التراقيين أو فصيلة التساليين وغيرهما لا يدل على اشخاص من أصل معين بل كانت هذه

(١) J. Lesquier, Les Institutions Militaires de l'Egypte sous les راجع
Lagides, 1911; Bouché-Leclecq, Hist. IV. P. 1, Bevan 165 sqq.

Corpus No. 1, 2, 4, 5.

Corpus Papyrorum Judaicarum. P. 147-178.

(٢) راجع

(٣) راجع

المسيات تطلق على جنود تابعين لوحدة حربية معينة بالاشارة الى أصل تكوينها القومى فى بادىء الأمر وحسب . هذا ولدينا أمثلة كثيرة مستقاة من الأوراق البردية تدل على تغيير التسمية القومية للجندى بسبب نقله من وحدة الى وحدة أخرى (١) . ولم يشذ الجنود اليهود عن هذه القاعدة ، فقد كانوا يسمون أنفسهم فرسانا مقدونيين عندما كانوا يخدمون فى وحدات تحمل هذا الاسم . ويلحظ انهم كانوا أحيانا يخدمون بلقبهم العادى اى « يهود » وعلى ذلك لم يكن لدينا وسيلة لمعرفة انهم يهود الا من اسمائهم او من مناسبة أخرى . هذا ونجد انهم فى حالات أخرى كانوا يحافظون على اسمائهم السابقة ويلقبون انفسهم بالاسين . ومما يؤسف له ان ليس لدينا امثلة من هذا القبيل الا مثال واحد فقط وهو لفارس يهودى من الجيش المستحفظ معروف لنا من ورقة بردية (٢) ومن ثم لا يمكن ان نتخذ هذا المثل اساسا لوضع قاعدة عامة ، وذلك لأن فرسان الجيش المستحفظ وبخاصة فى العهد الرومانى لا يمكن أن يعتبروا جنودا

هذا وقد يساعدنا وجود اليهود فى خدمة وحدات مختلفة قومية على حل صعوبة قامت فى وجهنا بسبب ما ذكره المؤرخ « جوزيفس » ثلاث مرات من ان يهود الاسكندرية كان مصرحا لهم ان يلقبوا انفسهم مقدونيين (٣) . وقد وضعت نظريات بعيدة المدى عند التعليق على هذا القول فقد اقترح ان المقدونيين كانوا هم الذين يمثلون الارستقراطية العظيمة فى المجتمع الاسكندرى ، وقد اتخذ ما ذكره « جوزيفس » ليكون برهانا على ان يهود

P. Fay. 11, 12.

Corpus No. 417.

Bell. 2. 487 sq.; C. AP. 2, 35 sq.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

الاسكندرية كانوا من بين مواطنى الاسكندرية الذين كانوا يتمتعون بحقوق كاملة وامتيازات . غير ان الأوراق البردية تبرهن غير ذلك (١) .

الفلاحون اليهود

دلت البحوث على وجود فلاحين يهود في العهد البطلمى والرومانى فنجد فى العهد البطلمى يهودا يعملون فى الأرض بوصفهم مستعمرين أى اجنادا يطلبون عند الحاجة وذلك لانه كان مقررا ان كل جندى أجنبى يخدم فى جيش البطالمة لابد ان يتسلم قطعة أرض ذات مساحة عظيمة تصل أحيانا الى ما بين ثمانين ومائة أرور . وهذه الاقطاعات من الأرض كانت فى الأصل بمثابة ملكيات كان قد منحها الملك لهؤلاء الجنود ، غير انها كانت دائما قابلة ان تسحب منهم وتصبح ملك الملك ثانية . ولكن على مر السنين والايام نجد ان هذه الاقطاعات الصغيرة قد ازداد عددها اكثر فاكثر واصبحت ملكا للمسؤولين عليها هم وأسرهم . وفى النهاية وجدنا ان هؤلاء الملاك أخذوا يورثونها لأبنائهم من بعدهم وهكذا (٢) .

وعلى الرغم من ملكية الافراد للأرض المصرية الا انها كانت تتعارض مع مبادئ الملكية المطلقة للا اضى المصرية فى عهد البطالمة ومن قبلهم فراعنة مصر الى حد ما ، فان الحكومة لم يكن فى مقدورها ان تقف فى وجه رغبات الجند الذين كانوا يريدون ان يعتبروا قطع الأرض التى يستمرونها ملكا خاصا لهم ، وانهم هم المسيطرون عليها ، والواقع ان الحكومة كانت تحابى المستعمرين من الجنود من جهة دفع الضرائب . ففى حين كان مزارع الملك

(١) راجع Fuchs 88; Engers in Klio XVIII, 89; Wilcken, Grundzüge 63.

(٢) راجع Wilcken Grundzüge 282 sq.; W. Chr. 334, 335; P. Tebt. 956; Rostovtzeff Studien zur Gesch. des römisch, Kolonats, 1910, 11 sq.; Kiessling Actes du 5e Congrès, 216 sqq.

يدفع ايجارا بمعدل أربعة أو خمسة أراذب^(١) عن كل أرور من الارض نجد من جهة أخرى ان الجندي المستعمر كان لا يدفع الا اردبا أو اردبين فقط ، يضاف الى ذلك ان الجنود أصحاب الاقطاعات كانوا غير مجبرين على زرع الارض ، وذلك انهم كانوا قد اعتادوا على تأجير اقطاعاتهم للفلاحين المصريين لزراعها وبخاصة مدة غيابهم في الحروب ، وقد كان غرض الحكومة من ذلك الا تنشئ طبقة جديدة من زراع الأرض ، بل كانت ترمى الى امداد اعضاء جنود الجيش بدخل ثابت ، ولا غرابة اذا في أن نجد ان المستعمرين الحريين قد عدوا انفسهم ملاكا لقطع ارض لا فلاحين يعملون بأيديهم في التربة الخصبة . ولم يشذ عن هذه القاعدة اليهود . ولدينا امثلة كثيرة يكفي ان نذكر من بينها عضوين كانا في فرقة الفرسان وقد جاء ذكرهما في وثيقة من عهد بطليموس « ايفانيس » وهى تعد أحسن برهان على الاشتراك الفعلى لليهود في الجيش البطلمى^(٢) وقد كان كل من هذين الجنديين يملك ثمانين أرورا اى ان كلا منهما كان يعتبر رجلا ثريا ذا نفوذ . هذا ولدينا وثائق عدة عن مستعمرين حريين من اليهود^(٣) ويمكن ان نستخلص من درس هذه الوثائق ان هؤلاء المستعمرين الحريين اليهود كانوا أغنياء ميسورين لدرجة انه كان فى استطاعتهم ان يشتغلوا فى شئون لا علاقة لها بأموال الحرب أو الزراعة . وليس لدينا معلومات مفصلة عن موقف الزراع اليهود الآخرين الذين ذكروا فى الوثائق من حيث حالتهم الاجتماعية فمن هم يا ترى فلاحو الوجه القبلى الذين يحملون اسماء عبرية واسماء أخرى سامية . وهؤلاء نجدهم مذكورين فى الكتابات التى على الامتراكا . هل كانوا من الأغنياء ملاك الاراضى أو مزارعين فقراء يكسحون فى اراضى الملك ؟ على انه قد يحتمل ان هذه الفئة كانت تشمل اشخاصا من كلا الطبقتين . يضاف الى

Corpus. Vol. I. P. 164.

Ibid. P. 147 ff.

(١) راجع مصر القديمة ج ٧ عن قيمة الضريبة عن الأرور فى ٧٤٧ عهد رمسيس الخامس

(٢) راجع

(٣) راجع

ذلك ان اسماء يهودية تظهر في قوائم مختلفة عن الحسابات والتعداد والاعلانات الملكية وغير ذلك (١) وكل هؤلاء اليهود كانوا من سكان الريف، ولكن لا يمكننا ان نقرر في كل الحالات شيئا عن مركزهم الاجتماعى بالضبط ، وقد جاء ذكر عمال حقول بالأجرة في إحدى الوثائق (٢) على انه يحتمل وجود يهود أكثر من هذا النوع بين السورين يشتغلون في الحقول (٣) وقد جاء ذكر عاصرى الخمر مرة واحدة ، كما جاء ذكر الرعاة اليهود كثيرا في الأوراق البردية (٤) .

وكان الرعاة في مصر في أغلب الأحيان ملاك اغنام وتجار صوف . وكانت التجارة التي يزاولونها تقودهم أحيانا الى أعمال مريبة (٥) . مثال ذلك شكوى فرد يدعى حارميس تاجر أصواف رفعها للملك على راعى غنم يهودى يدعى «سيوس» وذلك أن «حارميس» اشترى من «سيوس» مقدارا من الصوف قبل جز الغنم ودفع له جزءا من الثمن مقدما وتعهده أن يدفع الباقي بعد جز الغنم غير أن «سيوس» جز غنمه وأخذ الصوف ورفض أن يعطيه «حارميس» عندما طلب اليه تسليمه وعلى ذلك كان تاجر الصوف مجبرا أن يضع الأمر أمام أولى الأمر . ومما تجدر ملاحظته هنا أن الرعاة اليهود كانوا غالبا يسمعون بأسماء مصرية بحتة (٦) .

هذا ولم نجد في الأوراق البردية براهين تثبت وجود تجار او مربين من اليهود في مصر الهيلانستىكى، وترجع هذه الظاهرة الى سببين الأول هو انه

Ibid. P. 179.

(١) راجع

Ibid. P. 188 sqq.

(٢) راجع

Edgar. Cat. Gen. des Antiq. 59292.

(٣) راجع

Corpus etc. P. 134, No. 9, P. 185, No. 38; P. 187, No. 39, etc.

(٤) راجع

39, etc.

Ibid. No. 38; P. Ent. 3.

(٥) راجع

Ibid. Nos. 9, 38.

(٦) راجع

ليس لدينا أوراق بردية من عهد البطالمة من الاسكندرية . وواضح مما كتبه «فيلو» و «جوزيفس» ان اغنياء اليهود كان موطنهم الرئيسى هو عاصمة الملك . والسبب الثانى هو ان مبادئ الحكومة البطلمية لم تكن مشجعة للمشروعات الخاصة أو التجارة ، وعلى ذلك كانت مصر فى العهد البطلمى لا يوجد فيها الا عدد صغير من التجار حتى بين الاغريق انفسهم . أما من حيث الربا فان المصارف البطلمية كانت احتكارا للحكومة ، وكان رؤساء البنوك من موظفى الدولة . وفى هذه البنوك نجد كذلك ان المشاريع الخاصة لم تلق قبولا ، على أن ذلك لم يكن يعنى انه لا يوجد رجال معاملات بين اليهود فى العهد البطلمى . فقد وجدنا ان «أريون» (Arion) كان الممثل الأول لشراء جمع الضرائب (ملتزم) غير اننا لا نعرف عنه ولا عن غيره شيئا يستحق الذكر فى هذا الصدد . على ان كل معلوماتنا عن اليهود الذين كانوا مشغولين بالتجارة والربى مستقاة من العهد الرومانى .

ومعلوماتنا عن الصناعات اليهود فى العهد البطلمى ليست باحسن من معلوماتنا عن رجال التجارة والمرايين ، اذ لم يأت ذكر الصناعات فى الاوراق البردية فى العهد البطلمى ، وكذلك فى العهد الرومانى ، وليس لدينا أسباب كافية تفسر لنا هذا الصمت المطلق . غير انه قد جاء فى التلمود انه كانت توجد منظمات حرفية قوية تشمل صناعات يهود الاسكندرية ، ومن المعلوم جيدا أن الحاخامات اليهود فى فلسطين كان لهم ميل خاص للفنون والصناعات (١) وقد أكد «فيلو» وجود صناعات من اليهود فى الاسكندرية (٢) ولا ريب فى ان نظام الحكم البطلمى من جهة المراقبة لم يؤثر على العمل الحر

للصناع سواء أكانوا يهودا أو غير يهود . وربما كانت قلعة المخطوطات البريدية في هذا الموضوع من باب الصدفة .

وهاك مالدينا من معلومات هزيلة في هذا الصدد: فلدينا وثيقة عن أسرة صناع فخار من اليهود في قرية سورية (١) وكذلك صادفنا نساج يهودي من أهل الوجه القبلي في خلال القرن الثاني ق.م (٢) . كما جاء ذكر لاعب قيثاري يحتل انه موسيقار كان يعيش في مستعمرة حرية ببلدة «سماريا» عاش في القرن الثاني ق.م (٣) .

أما عن اليهود الذين كانوا في خدمة الملك فلدينا معلومات كثيرة وهؤلاء يضمون امامنا صورة متنوعة ذات ألوان عدة . وهذه الصورة تبتدىء بالشخصيات اصحاب النفوذ في البلاط وكبار رجال الادارة وتنتهى بصغار الموظفين ورجال الشرطة في القرى . وقد ذكرت لنا الاضمات البريدية مثالين من رجال البلاط اليهودي وكبار الموظفين أولهما «دوسيثيوس» (Dositheos) ابن «درميلوس» (Drimylos) وكان يشغل وظيفة كاهن أكبر لقبر الاسكندر وللبطالة المؤلهين في عام ٢٢٢ ق.م. وقد ذكر اسمه مؤلف الكتاب الثالث للماكابين (٤) ، و «أونياس» الذي يحتل انه كان حاكم مقاطعة ، ويجوز ان تكون «هليوبوليس» . ويمكن توحيد « بأونياس » الكاهن الأكبر وباني معبد « ليوتوبونيس » (تل المقدام الحالية مركز ميت غمر) (٥) . ولدينا شخصية ثالثة معروفة لنا من نقش وهو هلكياس (Helkias) ، وكان على ما يظهر حاكم مركز «هليوبوليس» . وعلى أية حال لدينا معلومات كثيرة عن

Ibid. P. 190, No. 46.

Ibid. P. 218, No. 95.

Ibid. P. 171, No. 28.

Ibid. 230, Nos. 127.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) وهذا الكتاب يقص علينا قصة محاولة قتل «بطليموس الرابع» ، فيلوتاتور في مساء واقعة رفح ، ومن هذه القصة نعلم أن الملك قد نجأ على يدي يهودي مرتد ، وهو دوسيقيوس بن ريمياوس ، وقد قيل عنه ، انه وضع رجلا آخر في السرايق الملكي قبل محاولة قتل الملك .

Ibid. P. 244, No. 132.

راجع

حياة يهود الاسكندرية ، ويمكن ان تقدم أمثلة أخرى عن بعضهم .
أما في القرى فكان يوجد يهود يشغلون وظائف متنوعة في الشرطة والادارة
وبخاصة جباة يجمعون الضرائب . هذا وقد جاء ذكر رئيس شرطة يهودى في
بلدة «اتريب» (بنها الحالية) في نقش يتضمن اهداء معبد (بيعة) للاله الأعظم
بالاشتراك مع المجتمع اليهودى المحلى ولا بد ان تفرق في الوثائق بين رجل
الشرطة (١) وبين الحارس (٢) وذلك لأن الأول كان موظفا حكوميا والآخر
موظفا أهليا . هذا وكان يرحب بانخراط اليهود فى سلك رجال الشرطة لنفس
الاسباب التى كان يرحب بها عند انخراطهم فى سلك الجيش ، وذلك لأن
حكومة البطالمة كانت لا تثق بالمصريين الوطنيين وكانت تعمل جاهدة على
ابعادهم عن الجيش والشرطة ، وهذا هو السبب فى أن الاجانب (وبخاصة
العرب) كانوا يوجدون بكثرة فى طائفة رجال الشرطة (ويلحظ انه فى خلال
القرن الثالث ق.م كان رجال الشرطة من العرب عديدين لدرجة ان التعبير
«عربى» كان يستعمل أحيانا للدلالة على الشرطى) .

اما اليهود الذين كانوا يعملون فى الادارة المحلية فليس لدينا الا مثال
واحد فى الاضماتات البردية التى بين ايدينا وهو لامين سر يهودى يحتمل
انه كان يعمل فى مقاطعة «هيراكليوبوليس» (٣) . هذا ولدينا بعض أمثلة من
اليهود الذين كانوا يعملون فى الادارة المالية بوصفهم مدبرين للمصارف
الملكية أو موظفين فى مخازن التبن (العلف) (٤) .

ومن أهم المعلومات التى وصلت الينا عن اشتراك اليهود فى جمع الضرائب
ما جاء على استراكا عشر عليها فى الوجه القبلى وهذه الاستراكا هى مصدرنا
الرئيسى عن جمع الضرائب فى الوجه القبلى كما أن الاوراق البردية التى

Ibid. P. 167, Nos. 25.

Ibid. P. 138, Nos. 12.

Ibid. P. 251, Nos. 137.

Ibid. P. 208, Nos. 65, P. 210, No. 69, P. 219, No. 97.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

عشر عليها في الفيوم هي مصدرنا الرئيسي عن الفيوم^(١)، وسبحث هنا بعض المسائل العامة عن جمع الضرائب ويتساءل المرء لأول وهلة من هم هؤلاء اليهود جباة الضرائب في الوجه القبلي؟ ويميز العلماء بين جامعي الضرائب ومؤجري الضرائب أو مشترى جمع الضرائب وتفسير ذلك أن جمع الدخل الفعلي كما يقول العالم «رستوفتزهف» كان واجب موظفي الدولة الذين كان عليهم أن يوردوا المبالغ أو السلع المتحصلة الى المصارف أو المخازن الملكية. أما مؤجرو الضرائب في مصر فكان تدخلهم في جمع الضرائب الفعلي قليلا جدا، ولكن كانت لهم فائدة حيوية فيها، وقد أخذوا دورا ايجابيا في مراقبة كل من منتج الدخل وجباة الضرائب، وذلك لانهم بمقتضى العقود التي أمضوها للملك ضمنوا له بتوقيعاتهم الجمع التام لدخل خاص ... واذا حدث عجز في ذلك كان عليهم وعلى شركائهم بالضمانات التي أعطوها أن يسدوا هذا العجز^(٢). وهذا التعريف العام الذي قدمه لنا هذا العالم قد ناقشناه غير أنه من المشكوك فيه اذا كان هذا التمييز الدقيق في هاتين الحالتين يمكن ان ينطبق على حالتنا الخاصة هنا فيما يتعلق باليهود ويظهر انه من المؤكد ان اليهود في هذه المسألة كانوا محصلي ضرائب، وذلك لأن الضرائب كانت تورد للمصارف عن طريقهم ويتسلمون في مقابل ذلك ايصالات بالتوريد، ومن جهة أخرى نجد أن واحدا منهم كان يدعى «مؤجر الضرائب» (حيث كان يقصد تأجير ضريبة خاصة واحدة). وكانت رسائلهم لدافعي الضرائب بتبديء بصيغة خاصة فنية لا تستعمل الا للمؤجرى الضرائب وكان لهم شركاء من مؤجري ضرائب كما كانت العادة^(٣). ومن ثم يظهر أن التمييز الذي وضعه «رستوفتزهف» وغيره من العلماء لا يمكن تطبيقه على محصلي

Ibid. P. 194 sqq.

(١) راجع

Rostovtzeff eff. Social and Economic History of the Hellenistic World I, 328 ; Cf. Harper Aegyptus XIV, 1934, 49 sqq., 269 sqq.

(Ibid. P. 203, No. 48)

(٢) راجع

(٣) راجع

الضرائب اليهود في الوجه القبلى وهم الذين كانوا فى الوقت نفسه مؤجرين للضرائب ومحصلين . وهذه الطريقة الأخيرة كانت متبعة فى «اثنينا» وعند اليونان عامة . ومن جهة أخرى نجد أن العلاقة بين هؤلاء اليهود المحصلين للضرائب بالنسبة للحكومة غير واضحة بعض الشيء . والظاهر ان بعضهم كانوا اشخاصا غير موظفين لهم دخل ثابت (وكان واحد منهم من كبار الملاك) (١) . وقد قرر لسبب ما أن يعمل هذا الثرى محصل ضرائب أيضا والآن يتساءل الانسان لماذا كان اليهود متهمين بالقيام بدور كهذا فيما يخص الادارة والمالية فى حين انه من المعلوم جيدا ان محصلى الضرائب كانوا مكروهين من السكان لدرجة ان المؤلف «فيلو» قد مثلهم بأشخاص من طبقة منحطة ، وقبح غلاظ القلوب يحولون المدن والقرى الى صحارى (٢) . والجواب البسيط على ذلك هو ان وظيفة محصل الضرائب كانت مربحة ومع ذلك فانه من المشكوك فيه ان الارباح التى كان يجنيها المحصل كانت كبيرة القية . وذلك لأن البناء العام للحكومة البطلمية لم يكن يساعد موظفى الحكومة أو غير الموظفين على ان يصبحوا أغنياء بوسائل قانونية ، فى حين ان الوسائل الخارجة عن نطاق القانون كانت غاية فى الخطورة ليقظة الحكومة وشدة مراقبتها من هذه الناحية (٣) .

حقا نجد أن شخصا مثل «جوزيف» بن «توبياس» قد جمع ثروة طائلة من شراء تحصيل الضرائب ولكن سبب هذه الثروة كان راجعا الى انه اشترى ضرائب (أجرها) من كل بلاد سوريا و «فنيقيا» فى حين ان مؤجرى الضرائب فى الوجه القبلى كان الواحد منهم يؤجر ضريبة واحدة خاصة وفى الوقت نفسه محلية ، ومن ثم لم يكن ينتظر منها فوائد كبيرة . والمرجح ان اليهود قد اختاروا هذا العمل الكريه لا لأجل ان يكون لهم دخل اضافى وحسب ، بل كذلك لان الوظيفة الحكومية كانت تعتبر عنوان شرف وجاء

Ibid. P. 217, No. 90.

Ibid. P. 8, note 49.

Schubart, Einführung in die Papyrskunde 1918, 253.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

وبخاصة في القرى . وبطبيعة الحال كانت الوظائف الادارية الأخرى مثل رئيس سكرتارية مركز من مراكز المقاطعة - هذا فضلا عن أن وظيفة حاكم المقاطعة ، كانت أهم بكثير من وظيفة مؤجر الضرائب (ملتزم) ، وعلى أية حال فإن كل هذه الوظائف المرغوب فيها كانت منذ زمن بعيد قد احتلها اغريق ، ولم يكن اليهود من القوة بحيث ينافسونهم فيها ، في حين ان عمل مؤجر الضرائب الكريه كان مباحا أمام كل واحد كان عنده من المال ما يكفي ليضمن بثروته التنفيذ النظامى للعمل الذى وكلت اليه الحكومة أمره .

ويمكن ان نلخص فيما يلى المادة المنوعة التى لها علاقة بالاحوال الاقتصادية لليهود المصريين : فالصورة التى تفهمها من كل ما سبق ليست بأية حال من الاحوال منحصرة في المصالح الضئيلة الخاصة بحياة حى يهودى . بل الواقع أن اليهود كانوا يخدمون ويعملون في كل مكان وفي كل فرع من فروع الحياة الاقتصادية للبلاد ، فكانوا يعملون جنودا ورجال شرطة ومؤجرى ضرائب وموظفى حكومة وكادحين في الأرض وأصحاب حرف وتجارا . وبطبيعة الحال كان هناك يهود أغنياء في الاسكندرية ، وكذلك في القرى ولكن التأثير العام الذى نستخلصه من دراسة الوثائق هو أنهم قوم مجدون يكسبون قوتهم بعمل ينطوى على المثابرة والصبر والخداع معا . على أن حدود هذا النشاط كان لا يمينه اليهود انفسهم بل تحدده الاحوال العامة للحكومة البطلمية وأغنى بذلك النظام الموحد كلية المناهض لكل مبادرة جديدة في عمل حر . فقد كان السكان الوطنيون الذين كان عددهم كبيرا هم الذين كان في قبضتهم منذ أقدم العهود الموارد الاقتصادية الرئيسية للبلاد كالزراعة والفنون والحرف ، في حين انه كان يوجد في البلاد عنصر نشط آخر صاحب نفوذ ، وهو عنصر المهاجرين الاغريق الذين كانوا يشغلون الوظائف الرئيسية في الجيش والادارة والحياة المدنية . ولا نزاع في انه في ظل هذه الصورة المعقدة كان من الصعب فعلا على اليهود ان يجاروا سكان البلاد هؤلاء ويحفظوا مكائهم بينهم . وعلى الرغم من ان الصعوبات التى

كانت تقوم في وجههم لم تحس في البداية على ما يظهر ، الا أنها على مر الايام قد أخذت تظهر وتزداد قوة من يوم لآخر .
موقف اليهود السياسى فى مصر :

ونظرنا العامة عن النشاط الاقتصادى ليهود مصر تحمل فى طياتها عدة مسائل خارجة عن نطاق الحياة الاقتصادية . والآن يتساءل الانسان عما اذا كانت حكومة البطالة قد تعرفت على قيمة العمل الذى كلن يؤديه اليهود أم لا ؟ وهل شجعت أو وقفت فى طريقه ؟ ثم ماذا كان موقف السكان الوطنيين والاغريق بالنسبة لليهود ؟ كل هذه الاسئلة تنقلنا من المسألة الاقتصادية الى السؤال الكبير الواسع الخاص بالتطور السياسى اليهودى فى عهد البطالة ان تاريخ اليهود السياسى فى مصر فى عهد البطالة ينقسم بوضوح الى عصرين . ويعد حكم بطليموس السادس فيلومتور (١٨١ - ١٤٥ ق.م) الخط الفاصل بين هذين العصرين . ومعلوماتنا عن العصر الأول لا تكاد تذكر . وقد رأينا أن أول المهاجرين من اليهود الى مصر كانوا أسرى حرب، وان عددا منهم وضعوا فى حاميات مصرية . والظاهر ان اسرى الحرب هؤلاء حتى بعد اطلاق سراحهم فى عهد بطليموس الثانى ، كان فى استطاعتهم ان يقوموا بنشاط ملحوظ فى حياة البلاد السياسية ، ويعد العهد الذى يقع بين حكم بطليموس الأول وبطليموس السادس بالنسبة لليهود عهد استقرار فى مكان جديد . اذ الواقع انهم انتشروا فى كل انحاء البلاد ووطدوا انفسهم فى اعمال متنوعة وأسسوا مجتمعاتهم الخاصة بهم . وقد انقضى أكثر من قرن من الزمان على هذه العملية وهى تسير فى طريقها دون ان يشعر بها أحد . وفى عهد «بطليموس السادس» (فيلومتور) بدأ عهد جديد فى تاريخ لليهود كان الدافع له علتين مميزتين وقعتا فى وقت واحد : العلة الاولى ميل الملك للساميين ، والثانية تدفق نهر جديد من المهاجرين اليهود الى مصر وفدوا من فلسطين . وقد أخبرنا «جوزيفس» (١) ان «فيلومتور» وزوجه «كليوبترا»

قد وكلا أمر مملكتهما ليهود ، بل ووضعا كل الجيش المصرى تحت قيادة «أونياس» و «دوسيئوس» ولا شك في أن ما رواه «جوزيفس» يعد ضربا من المبالغة ، لا تقل في كذبها عما أكده مؤلف يهودى آخر من ان فيلسوفا يهوديا يدعى اريستو بولوس (Aristoboulos) (١) كان معلم « فيلومتور » ومع ذلك فانه كانت توجد أمور تدل صراحة على ميل « فيلومتور » لليهود الى حد ما ، فقد انشئت وحدة حرية يهودية ووضعت تحت قيادة قائد يهودى يدعى «أونياس» وقد صرح لأونياس ان يصكر بجنوده على أرض مصر وان يبنى معبدا لاله اليهود وكذلك وكل هذا الملك لليهود ان يعملوا في ادارة البلاد المالية بمثابة مؤجرين للضرائب وموظفين ، وكان ذلك على أية حال في الوجه القبلى . يضاف الى ذلك ان مثلى اليهود من الطبقة الراقية المتعلمة مثل الفيلسوف «اريستبولوس» قد سمح لهم بالدخول في بلاط الملك كما سمح لهم ان يعرفوا الملك عن أمور لها علاقة بالدين اليهودى ، فقد قيل ان الفيلسوف اليهودى «اريستبولوس» أهدى كتابه الذى وضعه عن التوراة الى «بطليموس فيلومتور» وألقى بعض فقرات منه أمام الملك (٢) واذا أمكن أن نصدق ما رواه « جوزيفس » (٣) فان اليهود والسامريين كانوا يناقشون مسائل دينية في حضرة الملك . وان « فيلومتور » قد أعلن ميله لليهود . وانه لمن الخطأ ان نسلم ان الملك القتى قد حابى اليهود بسبب دينهم ، بل كانت هناك أسباب أخرى مادية دعت الى ميله الى حب السامية. والواقع ان عهد « فيلومتور » على أية حال كان عهد استقرار وسلام ، وذلك لأنه عندما مات والده كان لا يزال طفلا في الخامسة أو السادسة من عمره، وعندما أعلن ملكا رسميا على البلاد كان في الخامسة عشرة . وقد ظلت ادارة البلاد بسبب ذلك مدة طويلة في أيدي رجال البلاط الذين كانوا من أصول وضيعة وأصحاب شهرة سيئة . يضاف الى ذلك أنه قد نشأت عداوة وبغضاء

2, Macc. 1. 10.

Euseb. Praep. Evang. VIII. 9. 38; 10.1; IX, 6.6.
Ant. 13. 74 sqq.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

بين «فيلومتور» وأخيه الصغير وهو الذى أصبح فيما بعد «إبرجيتيس الثانى» وقد كان من نتائج هذه العداوة انفجار ثورات علنية أحيانا أضرت بالبلاد جميعها ، وأخيرا غزا «اتيكوس الرابع» ملك سوريا البلاد المصرية مرتين، وكان من نتائج هذا الغزو انه فتح البلاد المصرية كلها وأعلن نفسه ملكا على المصريين (١) ، ولم ينج مصر من «اتيكوس» الا تدخل روما التى أمرته أن يغادر البلاد المصرية فوراً ، وبذلك نجت دولة البطالمة فى مصر من السقوط النهائى . وكان على الملك الفتى فى هذه الاوقات العصية ان يبحث عن حلفاء أقوياء يركن اليهم . وفى هذه اللحظة نجد أنه لم يكن فى استطاعة أهل الاسكندريين من الاغريق ولا فى استطاعة سكان مصر الأصليين أن يعطفوا على رغبات الملك بتقديم يد العون له، وذلك لأن أهالى الاسكندرية كانوا منقسمين فيما بينهم فى حروبهم الداخلية التى وقعت بين الاغريق والمقدونيين ، أما الوطنيون المصريون فكانوا يظهرون العداء صراحة لكل الأجانب من الاغريق والمقدونيين على السواء . وكان اليهود فى تلك الفترة هم العنصر الثالث فى البلاد ، غير أنهم كانوا ضعفاء اذا ما قرنوا بالاغريق والمصريين ، وكانوا يرغبون بطبيعة الحال فى قيام حكومة مركزية قوية . وفى هذا الوقت بالذات قوى العنصر اليهودى ، وذلك بتدفق عدد عظيم من المهاجرين اليهود ومن بينهم «أونياس» وأتباعه . وكان اليهود الجدد صالحين بوجه خاص لتأليف جماعة من الاشخاص المخلصين للملك لانهم كانوا غرباء ، وبذلك لم يكونوا تابعين لأى حزب فى داخل المملكة البطلمية . والواقع ان هؤلاء كانوا يبحثون عن مكان يأويهم ويكون حماية لهم ، ومن أجل ذلك كانوا متكئين على قوة الملك كلية . ومن المرجح أن «أونياس» كان قائدا صاحب قدرة عظيمة مما جعل لرايه بعض الأثر على قرارات الملك . ومن ثم عقد بين «فيلومتور» واليهود ما يشبه المحالفة . وكانت الوحدة الحربية التى سمح بها «أونياس» تحتوى على أشخاص كانوا قد صاحبوه من يهودا الى مصر . ومن المحتمل

أنه قد زيد في عددها من يهود مصر . وقد استولى «أونياس» على بعض الأراضى فى مقاطعة «هليوبوليس» ليمسك فيها جيشه الجديد من اليهود وقد سميت هذه القطعة التى استولى عليها «ارض أونياس» وقد بقيت مدة أجيال فى حوزة اليهود . وكان «أونياس» من جهة مستعدا ليقود جنوده الى حومة الوغى لحماية الملك من أعدائه . والظاهر ان الحاجة لم تدع لظهوره على رأس جيشه مدة حياة فيلومتور ، ولكن بعد موته ظهر «أونياس» على رأس جيشه فى العاصمة، وذلك عندما اشتبكت «كليوبترا» أرملة «فيلومتور» فى حرب خطيرة مع أهالى الاسكندرية الذين كان يعاضدهم أخوة «إرجيتيس الثانى» ، ومن المحتمل ان سكان «ارض أونياس» كانوا يعاضدون قضية الملكة كليوبترا . وتدل شواهد الأحوال على أن هذه المساعدة لم تكن تديرا سياسيا بل كانت من باب الولاء ، وقد انتهت هذه الحرب بنتائج لم تكن فى صالح يهود الاسكندرية المكروهين من الأهالى عامة . وهذا شأنهم فى كل مكان حلوا فيه والواقع انه ليس لدينا تفاصيل تدل على ميول «فيلومتور» نحو اليهود ، ولكن يمكن القول بأن عواطفه نحوهم كشفت عنها فى مناسبات مختلفة . فقد ذكرنا فيما سبق ان بعض اليهود كانوا يلقبون أنفسهم مقدونيين أى أنهم كانوا قد أدمجوا فى الحامية المقدونية التابعة للاسكندرية . والآن يتساءل الانسان عن أى وقت مناسب بصورة حسنة لهذا الاجراء الحربى أكثر من عهد «فيلومتور» عند ما نظم جيشا يهوديا بقيادة قواد يهود ؟ وقد ذكر لنا جوزيفس اسم دوسيثيوس (Dositheos) وهو قائد يهودى آخر من عهد فيلومتور (١) فهل كان من المحتمل انه كان رئيس «اليهود المقدونيين» الذين كونوا ما يشبه حرسا للملك ، مثل المان «هرود» و «كاليجولا» (Caligula) ؟ ومثل هذا الفرض يمكن ان يفسر المبالغة المجدبة التى ذكرها «جوزيفس» عندما قال «كل البلاد قد وكل أمرها «فيلومتور» لليهود» . على أن ظهور الملك أمام الشعب يتعين

حرسه من اليهود يمكن أن يمثل بسهولة ما يشبه سيطرة اليهود على مصر ولا غرابة في ذلك فإن دسائسهم كانت لا تنفذ وقد كان صدى رد الفعل لذلك لا محالة واقع . وذلك أن الملك الجديد المنتصر «ايرجيتيس» الثانى «فيسكون» (Physcon) لم يكن فى مقدوره أن يغفر تدخل اليهود الحربى غير المنتظر فى شئون دولته ، ولذلك فإن أول اضطهاد فى مصر الهيلانستىكية الرومانية كان له علاقة باسمه. فقد حدثنا «جوزيفس» (C. AP. 2, 53-55) أن «ايرجيتيس» عندما كان يتأهب لمهاجمة «أونياس» أمر أن يلقى كل اليهود الاسكندرئين ومعهم ازواجهم واطفالهم أمام فيلة كانت قد اسكرت من قبل لهذا الغرض ، ومع ذلك فإن الفيلة لم تهاجم اليهود ولكنها هاجمت أصحا «ايرجيتيس» . وعلى ذلك فإن الكثير منهم قد ديسوا حتى الموت . ولكن لما كان «ايرجيتيس» قد تأثر بهذا المنظر فانه استسلم لتوسلات حظيته اتاكا (Ithaka) أو إيرين (Eirene) وأوقف الاضطهاد وقد حفظ يهود الاسكندرية ذكرى هذا اليوم فكان يعتبر عيداً سنوياً . ولا جدال فى ان قصة «جوزيفس» ليست الا حديث خرافة الفت على طريقة الانتاجات الادبية للعصر الهيلانستىكى وقد نسبت نفس القصة ، مبالغاً فيها، الى عهد بطليموس الرابع . وقد أعيدت فى الكتاب الثالث للمكابين وستنسخ لنا الفرصة للتحديث عن هذه المقالة الغريبة التى يكنفها بعض الغموض . ومع ذلك فإن هذا العيد الذى يحتفل به يهود الاسكندرية سنوياً فى يوم محدد ، يظهر بجلاء أن هناك حقيقة تاريخية تركز عليها هذه القصة الخرافية ، هذا ونجد أن اسمى «ايرجيتيس الثانى» وأونياس يوافقان بصورة ممتازة الموقف التاريخى لهذه الحقيقة . والظاهر أن بعض الاحاديث التاريخية قد حفظت فى هذه القصة حتى فى صورتها المبالغ فيها فى كتاب المكابين الثالث . وهناك فقرات أخرى فى نفس الكتاب تفهم منها ان العراك الذى قام بين «ايرجيتيس» الثانى واليهود كان فى الواقع تصادماً بين المقدونيين والجيش اليهودى . ومن المرجح أن ذلك قد وقع بسبب التدخل الحربى الذى قام به «اونياس» كما

أشرفنا الى ذلك من قبل . أما عدم تنفيذ هذا الاضطهاد وإيقافه فجأة فيمكن ان يستنتج من ان هذا العيد قد احتفل به سنويا لحدوث معجزة لم تكن في الحسبان . ويمكن ان تقترح ترتيب حوادث هذه القصة على الوجه الآتى : وذلك ان « ايرجيتيس الثانى » بعد ان دخل العاصمة ظافرا استعد لمعاينة اليهود على مساعدتهم «كليوبترا» . وتدل الظواهر على ان بعض اليهود قد قبض عليهم كما يحتمل أنه قد نفذ فيهم حكم الاعدام ، ومن المحتمل كذلك أن جيش «اونياس» قد غادر العاصمة قبل أن يدخلها الملك ، وارتد الى «أرض أونياس» واستعد لمواجهة انتقام الملك . وكان يهود مصر وقتئذ فى حزن فزعين من قيام الملك باضطهاد طويل الأمد . غير أنه حدث على حين غفلة شيء لم يكن منتظرا ، وذلك أن الملك أمر باطلاق سراح اليهودالمقبوض عليهم فى الاسكندرية ، هذا فضلا عن أنه لم يوقع أى عقاب على جنود «أونياس» وحتى جماعة المقدونيين من الجنود اليهود فى الاسكندرية فانهم لم يشتتوا ، غير أنهم على ما يظن قد حرموا من امتيازاتهم ، اذا كانت لهم أية امتيازات . والسبب فى هذا التحول المفاجيء فى سير الامور ليس من الصعب معرفته . وآية ذلك ان «ايرجيتيس الثانى» بعد ان فتح الاسكندرية بزمن قصير عقد صلحا مع «كليوبترا» وتزوج منها . وعلى ذلك فانه اذا كان الملك قد امكنه ان يصلح ما بينه وبين الملكة بالزواج وكانت عدوه الأولى فلماذا يقوم باضطهاد أعوانها الذين لم يصبحوا بخطرنا عليه ؟ . ومن المحتمل ان الملك فى يوم حفل الزواج منح عفوا عاما لكل حلفاء كليوبترا السابقين . والواقع ان مثل هذا العفو وما تبعه من تغير لم يكن منتظرا فى مصير اليهود ، وكان من الممكن ان يوجد تأثيرا فى نفوس اليهود كأنه معجزة . فقد تلخل آلهم نفسه وحمى شعبه من كارثة لم يكن من المستطاع تهاديبها .

ومما سبق نفهم ان العهد الجديد (١٤٥ - ١١٦ ق.م) على الرغم من المراك الخطير مع الجيش اليهودى فى بدايته لم يكن من الضرورى معاديا

اليهود ، بل على العكس نجد ان هناك بعض حقائق يمكن ان تفسر بأنها فال حسن وذلك للمشاعر الحسنة بينهم وبين الملك (١) .

والواقع ان الحالة العامة في عهد «ايرجيتيس الثاني» قد عادت ثانية في جانب اليهود . وذلك لأن البلاد كانت تزرع كثيرا تحت عبء ثورات عدة قام بها المصريون وكان الدافع اليها الشعور القومي في حين ان السكان الاغريق في الاسكندرية لم يكونوا بحالة ما موالين للملك وكانت الخطوط الرئيسية التي تسير عليها سياسة «ايرجيتيس الثاني» هي : القضاء بقسوة على أية مظاهرة ذات صبغة ثورية في الاسكندرية ، والسعى ببعض الطرق لمهادنة المصريين ومصالحتهم (٢) . وكان اليهود ثانية بوصفهم العنصر الثالث المحايد من سكان البلاد يمكن ان يرحب بهم الملك كحلفاء وبخاصة في عراكة مع اغريق مدينة الاسكندرية . والواقع ان اليهود والاغريق في مصر لم يكونوا قط اصدقاء الملك ومن ثم نجد ان الكره الفطيع الذي كان باديا بين الأمتين في العهد الروماني لا بد ان بدايته التاريخية كانت في عهد البطالمة . ومن المحتمل اذا ان السياسة القوية القاسية التي سلكها «أيرجيتيس» نحو اغريق الاسكندرية كان لها أثر حسن على يهود الاسكندرية . ومن الجائز كذلك ان هذا الملك قد منح اليهود حقوقا مدنية كثيرة في الاسكندرية لأجل ان يضيف العنصر الاغريقي في هذه المدينة .

ومن ذلك نرى ان مستوى اليهود المصريين العالي لم يكن قد انخفض بآية حال في عهد «ايرجيتيس الثاني» ، . وبعد موت هذا العاهل بقليل نسمع ثانية بالدور الهام الذي لعبه اليهود في تطور الحوادث السياسية في مصر . وآية ذلك ان أرملة «ايرجيتيس الثاني» وهي كليوبترا الثالثة (١١٦ - ١٠١ ق.م) قد اشتبكت في معركة طويلة الأمد مع ابنها «بطليموس التاسع» «لاثيروس» (Lathyros) فعلى حسب البيان الهام جدا الذي ذكره لنا «استرابون» واقتبسه

(١) راجع Wilbrich, Juden und Griechen. P. 150; SB. 5862, 7454.
(٢) راجع Bouché-Lecleq II, 55 sqq.

عنه «جوزيفس» فهم ان الجزء الاعظم من جنود الملكة الذين أرسلوا لمحاربة «لاثيروس» خانوها وانضموا الى ابنها ، وعلى أية حال فان طائفة اليهود الذين كانوا من «أرض أونياس» قد بقوا موالين للملكة وسبب ذلك ان قائديهما «هلكياس» (Helkias) و«انانياس» (Ananias) كان لهم حظوة كبيرة لدى الملكة ويقول «جوزيفس» (Ant. 13, 285) ان هذين القائدين كانا ابني «أونياس» وكانت الملكة من وقت لآخر تركز اليهما في القيام بعمليات حربية هامة . ومن المرجح ان اشتراك القائدين «هلكياس» و«أناانياس» في الحرب مع «بطليموس التاسع» كان هاما ، وان كان المؤرخ «جوزيفس» قد بالغ ثانية عندما قال ان «كليوبترا الثالثة» قد وضعت هذين القائدين على رأس الجيش^(١) . هذا ونعلم ان أحدهما وهو «هلكياس» قد لقي حتفه عندما كان يطارد العدو في (سوريا الجوفاء) ، أما الثاني وهو «أناانياس» فقد سنحت لها الفرصة ان يفرض نفوذه على مجرى الحرب في فلسطين ، هذا ولما أحس بعض أصدقاء الملكة بشيء من عدم الرضا لازدياد قوة طائفة الهسومنيين اليهودية نصحوا الملكة ان تستولى على ممتلكات الملك «اسكندر ينائ» (Jannai) في فلسطين وتسير الأمور فيها بنفسها . وقد عارض «أناانياس» هذا الاقتراح محذرا الملكة بقوله انه اذا حدث عدوان دون مبرر له على «اسكندر» فان كل يهود مصر سيصبحون أعداءها^(٢) . وقد كان لهذا التهديد أثره ، وعلى ذلك فانه بتدخل هذا القائد اليهودي الجسور ، نجد أن نصيحة رجال البلاط التي كان الغرض منها القضاء على دولة اليهود في فلسطين قد رفضت .

على أنه ليس من المعقول أن عظماء رجال الاغريق كانوا يقفون موقف الضعف والخنوع يرقبون اليهود وهم يمدون نفوذهم وسلطانهم حتى في

Ant. 13, 349

Ant. 13, 354.

(١) راجع

(٢) راجع

ميدان السياسة الدولية ، بل الواقع كانت هناك معارضة شديدة لليهود في البلاط والجيش وبين موظفي الحكومة . وأخيرا وليس آخرا كانت هناك معارضة المواطنين الاغريق الاسكندريين . وليس من باب الصدفة ان نجد في الترجمة الاغريقية لكتاب «أستر» أن هامان الوزير الذي بكره اليهود قد لقب بالمقدوني وان التصادم الذي وقع بينه وبين «موردكاي» (Mordecai) قد وصف بأنه عراك بين وزيرين احدهما يهودى والاخر مقدوني ، وذلك في موضوع ولائهما للدولة . ولم تكن كراهة الساميين ظاهرة جديدة في مصر ، وذلك أنه منذ عهد « بطليموس الثاني » كان نشر تاريخ مصر الذي كتبه كاهن مصرى يدعى «مانيتون» يعتبر أول تاريخ يحتوى للمرة الأولى على رواية مضادة لسفر الخروج وقد ذكرت هذه الرواية لتكون جوابا وتكذيبا للقصة التى وردت في التوراة عن هذه الرواية . وفي القرن الثانى ق.م احتفل بدخول هذا الانتاج الادبى فى الادب الاغريقى . وقد ذكر كتاب منوعون (مثل ليزيماكوس) مرات عدة قصة «مانيتون» و اضافوا اليها تفاصيل جديدة . يضاف الى ذلك أن كتابا آخرين مثل مناساس (Mnaseas) ، اخترعوا قصصا أخرى كان القصد منها تحقير اليهود وفضيحتهم . وليس هنا مكان بحث فى أصل كره الساميين وانتشارهم فى العالم القديم ، ويكفى أن نذكر هنا أنه يوجد لها عدة مراكز من بينها مصر ، وقد كانت هناك أسباب محلية مختلفة لظهورها مما حجبهم للبال ودسائسهم التى كانت لا تنقطع . (١) . وفى خلال العصر الهيلانىستى كره الساميين لا يتعدى ما وراء الحدود الأدبية المحضة . وفى مصر على أية حال نجد بعض تلميحات تظهر انها بدأت تطورا جديدا من صورتها الأدبية الى استفزاز قوى على ذى صبغة سياسية واجتماعية . وعلى ذلك لدينا بعض معلومات عن اضطهاد لليهود حوالى عام ٨٨ ق.م. وقد قام بهذا الاضطهاد الاسكندريون يعاضدهم أحد أولاد

(١) راجع Heiremann R.E., Supplemented V, S.V. Antisemitismus,

كليوباترا الثالثة وهو بطليموس التاسع «لايروس» (حمص) أو بطليموس العاشر الاسكندر . هذا ونجد في بعض الأوراق البردية المؤرخة بحوالى عام ٥٨ ق.م انه قد جاء ذكر اضطرابات محلية ، ويعتقد بعض العلماء ان هذه الحوادث تشبه في صبغتها الاضطرابات التى قامت مناهضة لليهود . ومن الأوراق الهامة جدا الورقة رقم ١٤١ (١) . ولكن مما يؤسف له أنها ممزقة تمزيقا سيئا وقد جاء فيها ان بعض أشخاص غير معروفين لنا ولكنهم ميزوا بأنهم « يمتنون اليهود » وهذه العبارة يمكن أن تستخدم بوصفها مقدمة للمهد الرومانى فعندما ظهر كره اليهود بثابة منهاج منظم ساما لطرد اليهود من كل المراكز التى وصلوا اليها فى عهد البطالمة سواء آكانت سياسية أو اجتماعية .

تطور ثقافة اليهودية المصرية :

لا نزاع فى ان تطور الثقافة اليهودية المصرية يعد موضوعا واسعا يصعب بحثه فى هذا المختص ، ومن ثم سنكتفى هنا بتتبع الخصائص الأساسية للنتيجة الرئيسية ، وتنحصر فى صبغتهم بالصبغة الهيلانستىكية وفى تقاليدهم . وأول ما يلحظ هو أنه فى القرن الثالث ق.م قد أصبحت حدود بلاد اليهود ضيقة جدا لتكاثر سكانها باستمرار مما أدى الى انتشار اليهود بأعداد كبيرة فى كل أنحاء فلسطين وشرق الأردن . وهذه البلاد بما فيها من مدن هيلانستىكية قد حتمت على اليهود ان يتعلموا اللغة الاغريقية وكذلك كان لزاما عليهم ان يعرفوا عوائد هؤلاء القوم . ومن جهة أخرى امتدت الهيلانستىكية الى جبال يهودا ، كما ان سكان «أورشليم» اليهود أنفسهم وبخاصة الدوائر العليا الاجتماعية فيها أصبح رجالها على أية حال هيلانى الصبغة جزئيا ، ومن ثم نجد أن الآراء والمعتقدات والعادات اليهودية قد تغيرت . ومن الأمور البارزة الغريبة عن الحياة اليهودية فى فلسطين فى خلال القرن الثالث أن البطل العظيم الذى يمثل هذا العصر كان رجلا وضع ترجمته

كاتب أعجب به وقد حفظت لنا هذه الترجمة فيما كتبه « جوزيفس »

Ant. 12, 160-195, 224. ومن المدهش أن هذا البطل لم يكن كاهنا

أعظم ولا نبيا ولا حكيما بل كان من رجال الاعمال وصاحب مواهب عظيمة

يمتاز بمهارته وفكره الثاقب . وقد كان في بعض الاحيان يقسو على غيره

بشدة بالغته . وهذا الرجل هو «يوسف» بن «توبياس» . وقبد عرفنا من

اضامات بردى أنه شيخ ثرى يعيش في شرقى الاردن ، ويشغل وظيفة رئيس

أصحاب اقطاع من الجنود المرتزقين في العهد البطلمى . والشئ الغريب الذى

يلفت النظر في أمر هذا الشيخ اليهودى انه استعمل في احدى خطاباته

للوزير المصرى «ابوللونىوس» الصيغة الاغريقية الدالة على الوثنية :

تحيات كثيرة للالهة (١) ، ولا غرابة اذن اذا رأينا ان ابنه «يوسف» قد فتح

ابوابه للهيلانستىكية والعالم الهيلانستىكى . وكثيرا ما كان يزور عاصمة

ملك مصر ويشارك في ولائها في البلاط ويأكل اطعمة حرمتها التوراة ، كما

كان يفاضل راقصات اغريقيات (٢) . ويقول «جوزيفس» انه اقتشل الشعب

اليهودى من وهدة الفقر وحالة الضعف التى كان فيها وهياً له فرصا ممتازة

للحياة الطيبة Ant. 12. 224. يضاف الى ذلك انه ادخل الفنون والعادات

الاغريقية في حياة الطبقات الرفيعة من المجتمع الاغريقى . وقد سار ابنه على مارسه

له والده بنشاط فاق نشاط والده ، حتى انه في عام ١٧٥ ق.م أى نحو خمس

وعشرين سنة بعد فتح فلسطين على يد «سليوكيس» ، أدخل اصلاحا

هيلانستىكيا في «أورشليم» . فقد أسس جمنازيوم ومكانا لتدريب الجنود

(افيون) عند حرم المعبد اليهودى نفسه ، ومن ثم اشترك كهنة صفار السن

في الألعاب الرياضية كما نظمت «أورشليم» على حسب الطراز الهيلانستىكى

وسميت من جديد «انطاكيا» على شرف ملك السليوكيين «انتيوخوس الرابع

ايفان» . وكان الكاهن الأكبر «جاسون» هو الذى بادر بالاصلاح والاشراف

Ant. 12, 188 sqq

Ibid. P. 125, No. 4.

(١) راجع

(٢) راجع

على تنفيذه (١) .

وقد كان تأثير ذلك سائدا لدرجة انه لم يقتصر على السكان الارستقراطيين والكهنة ورجال الأعمال وحسب ، بل تعدى الى بعض عناصر أهل الريف . واحسن مصدر لدينا يثبت انه عند ما بدأ «أتيوكوس» اضطهاد الدين اليهودي ، كانت هناك قرى على استعداد لعبادة آلهة الوثنيين (٢) . وقد يغفل لغير المطلع على حقائق الأمور ان كل ما بناه اليهود من عادات ودين كان على شفا جرف هار ، غير ان متانة القومية اليهودية وبخاصة في الارياف كانت تعمل فعلا بكل قوة وعناد لمقاومة التأثير الهيلانستيكي . وقد كان أول المهاجرين من الفلسطينيين الى مصر ليسوا تابعين في غالبيتهم للطبقة التي أصبحت هيلانستيكية الصيغة ، بل كانوا فلاحين بسطاء من بلاد يهودا أحضروا معهم عاداتهم ومعتقداتهم ، كما بنوا مجتمعات يهودية مؤسسة على قانون التوراة ، وكذلك أقاموا معابد عندما استقربهم المقام في وطنهم الجديد . ولا ريب أن هؤلاء الناس لم يكونوا يتمتعون بأرفع مستوى ثقافي، بل كانوا أسرى حرب وجنودا مرتزقين ، وكادحين في الأرض ورعاة . وكان الشيء الذي ينقصهم هو القيادة المنظمة وذلك لأن من كان مستواه منخفضا منهم لم يكن لديه القوة في معظم الاحيان لمقاومة التأثير الذي كان يحيط به، وبخاصة في الحالات التي تحتم عليهم فيها الاحوال الخارجية ان يمشوا في اتصال متين مع غير اليهود (٣) . وما يؤسف له ان مثل هذه القيادة كانت معدومة . هذا ونجد بطبيعة الحال انه منذ زمن .ازرا؟ وما بعده أن ماسمونهم كتاب (سوفريم) أخذوا في أيديهم زعامة الثقافة اليهودية في فلسطين . وعلقوا على تعاليم التوراة ثم فرضوا شيئا فشيئا على كل الشعب جميع نتائج دراساتهم العميقة فيما يخص القانون والدين . والواقع ان هؤلاء

(١) راجع Ed. Meyer, *Ursprung und Anfänge Christentums* II. 143 sqq., Beckermann *Gott. der Makkabaer* 1937, 59 sqq.

(I. Macc. 2, 16-23)

(٢) راجع Breccia. *BSAA* IX (1907) 38 sqq., 65 sqq., XXV, 1930, راجع (٣)

الكتاب كانوا طلائع طائفة الفريسيين (أى المحافظين على الشعائر الظاهرة) . وهؤلاء هم الآباء الروحانيون للتلمود اليهود . ومع ذلك نجد ان أتباع الثقافة الهيلانستكية قضوا على المكانة التى كان يحتلها سابقا هؤلاء الكتاب وحرموا تعاليم الكتاب المقدس من مكاتبتها الهامة دون ان يكون فى مقدورهم ان يحلوا محلها تعاليم أخرى تحمل معنى خلقيا . وهذا يفسر لنا عملية صبغ اليهود المصريين بالصبغة الهيلانستكية بسرعة . وهذه الظاهرة بدت علنا كما سيُشاهد بعد ، فى انتخاب اسماء الاعلام اليهودية عند ما استعمل اليهود اللغة الاغريقية بدلا من اللغة الارامية ، كما يلحظ ذلك فى اتخاذ مبادئ القانون الهيلانستيكى وفى أخرى كثيرة . ومن جهة أخرى كان يوجد فى الأزمان المتأخرة ميل قوى متزايد بين المهاجرين فى مصر للتخلي عن تقمص الهيلانستكية والرجوع الى التقاليد اليهودية . وسنضع هنا ملخصا مختصرا للبيانات الغريزة التى استقيت من الأوراق البردية والمصادر الأخرى لايضاح هذه الاعتبارات العامة . والواقع أن عملية صبغ اليهود المصريين بالصبغة الهيلانستكية عنها بدرس أسماء الاعلام واللغة والقانون .

ويمكن يفكر الانسان فى أن اختيار الاسم لطفل ولد حديثا يتوقف كلية على الرغبة التى يبيدها والداه ، ولكن فى الواقع لم يكن هناك بأية حالة اختيار حر اذ ان ذلك كان يتوقف على تقاليد الأسرة والمشاعر القومية والاستعمال الشائع والتقاليد . والواقع أن اختيار اسماء الاعلام عنداليهود خلال تاريخهم الطويل كان دائما متأثرا بميلين متضادين وهما الاخلاص للتقليد القومى ثم الرغبة فى موافقة عادات البيئة . والنظرة العقلية لأى عهد خاص من التاريخ اليهودى يمكن الانسان ان يقدرها بموازنة دقيقة لقوى التقليد وقوى التوافق مع الاستعمال الشائع فمن ناحية العهد الهيلانستيكى فى مصر فانتا لو نظرنا نظرة سطحية لقوائم الاسماء التى استعملها اليهود فى الأوراق البردية لوجدنا أنها تدل على ميل قوى بين اليهود نحو الهيلانستيكية ، هذا

وتوجد بعض الأسماء العبرية التي كانت كثيرة الاستعمال مثل «سبانيايوس» و «سيمون» و يوسف و صمويل . هذا ولدينا أسماء أخرى مثل «انانياس» و «يوداس» و «جوناثان» ، آيل ، وحجاي وحزقيا واسماعيل . ومن أسماء الأنث «سارا» و «يوحنا» و «ماريون» ؛ وهذه على الرغم من أنها ليست شائعة الاستعمال فانها توجد في الأوراق البردية، وفي الأستراكا وفي النقوش. وكذلك توجد بعض أسماء سامية مثل «أبدايوس» (Abdaios) و «آيتيس» (Abietes) كانت كذلك شائعة الاستعمال. وكل هذه الاسماء كانت قد أحضرها اليهود من فلسطين. واستعمالها في مصر يمكن تفسيره بقوة التقليد والعادة الطويلة الأمد. أما الدور الذي كانت تلعبه الاسماء الاغريقية فكان مختلفا تماما، فقد كانت اسماء جديدة وكان استعمالها يسير على حسب تصميم مرسوم، ويمكن توضيح حقوق الاسماء الاغريقية الهائل على الاسماء العبرية وبخاصة اسماء الجنود اليهود والمستعمرين الحريين في اليوم خلال القرنين الثالث والثاني ق.م. وهاك بعض الأمثلة . نجد في الوثيقة رقم ٢١ (١). أن كل الاسماء الخمسة التي تحتويها هذه البردية محفوظة وكلها اغريقية ؛ وفي الوثيقة رقم ٢٢ (٢) . نجد تسعة اشخاص من عشرة ، وفي الوثيقة ٢٣ نجد أربعة اشخاص كلها اسماء اغريقية الخ (٣) . هذا وبالاختصار نجد في الاسماء التي جاءت في الوثائق الخاصة بالجنود اليهود والمستعمرين الحريين في خلال القرنين الثالث والثاني ق.م ما لا يقل عن خمسة وعشرين بالمائة اسماء عبرية (٤) وهذه الأرقام تهدم مادة ثمينة عن مسألة اندماج الجنود اليهود في الجنود الاغريق. هذا وتدل البحوث على أن الحياة المشتركة في المعسكرات والمستعمرات الحرية ، وكذلك الخدمة في الوحدات المختلطة قد تتج عنها اعتناق سريع للاسماء والعادات الاغريقية . هذا ويلحظ أن الاسماء العبرية والسامية كانت أكثر استعمالا بين يهود

Corpus, P. 157, No 21.

Corpus, P. 158. No. 22

Ibid. 162, No. 23.

Corpus, PP. 147-178.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

الوجه القبلى فى خلال القرن الثانى (١) . وعلى آية حال لابد أن نذكر أن الاسماء العبرية تدل دائما على أصل يهودى للذين يحملونها ، فى حين أن اليهود الذين يسمون باسماء اغريقية لا يمكن التعرف عليهم الا اذا كانت أسماؤهم مميزة بأنها يهودية (٢) ومن ثم يمكننا ان نبسط أن نسبة اليهود فى الوجه القبلى الذين يحملون اسماء اغريقية الى كل اليهود الآخرين كانت أعظم بكثير كما لدينا من براهين عليها . والمجموعة الثالثة من اليهود الذين سموا بأسماء اغريقية هم أولئك الذين استعمروا «أرض أونياس» ، ولو أننا نجد هنا بالمقارنة باسماء رفاقهم فى حمل السلاح فى الفيوم أن الأسماء العبرية كانت أكثر شيوعا ؛ وهذا ليس بالأمر المدهش ، لأن الآخرين قد خدموا فى الوحدات المختلطة فى حين أن الأول كانوا مستقرين منذ البداية فى جيش يهودى منفصل .

ويتساءل المرء هل كان هناك نظام ثابت لاتخاذ اسماء اغريقية أو هل كان الاختيار قد جاء بوحى عن ميول متنوعة لأشخاص من عامة الناس ؟ الواقع ان الاعتبار الشخصى كان بطبيعة الحال من الممكن ان يكون له بعض التأثير ، ومع ذلك يمكن القول أنه فى الأصل أى منذ بداية هجرة اليهود الى مصر كانت هناك طريقة فى اختيار الاسماء . ومن المعلوم ان اليهود اجتهدوا فى أن يجعلوا اسماءهم الاغريقية الجديدة تكون مطابقة لاسمائهم السامية القديمة وذلك اما بالترجمة (أى على حسب معنى الاسم) أو بالمماثلة (على حسب الصوت) . ومن المحتمل أن بعض المهاجرين الأول كانوا يستعملون اسماء مزدوجة أى كان الواحد منهم يستعمل اسما عبرانيا وآخر اغريقيا . وكان المقصود من الاسم الاغريقى ان يعادل الاسم العبرى ، غير انه ليس لدينا أمثلة يمكن ان نستخلص منها العلاقة الداخلية بين الاسمين ، لا من العهد الهيلانستى ولا من العهد الرومانى وقد بقيت آثار مثل هذه المطابقة

في الاسماء فقط في اختيار مجموعة منفصلة من الاسماء الاغريقية تقابل بصورة مدهشة الاسماء العبرية التقليدية . وهذه الاسماء هي التي ركبت مم اسم اله وكانت مفضلة كثيرا عند المصريين واليهود . وبعض هذه الاسماء كانت كثيرة الاستعمال عند اليهود حتى أنها أصبحت في بعض الأحوال أسماء يهودية مثال ذلك اسم « دوسيثوس » (Dositheos) ، وأقل منه استعمالا اسم « تيوفيلوس » (Theophilos) (حبيب الله) . وليس لدينا شك كبير في ان كل الاسماء قد استعملت في الأصل معادلة للاسماء العبرية : « ماثاثياهو » (Mathathyah) « ناثانياهوى » (Nathanyahu) « يهوناثان » (Yehonathan) الخ . وكانت تختار لأجل ان تبرهن على الورع الخاص الذي كان يظهره اليهودي نحو الاله . ومع ذلك فانه يكون من الخطأ ان نصلق ان كل فرد يدعى « دوسيثوس » و « ثيودوتوس » كان يسمى في العبرية « ماثاثياهو » ، و « يهوناثان » . والواقع ان الاسماء المركبة مع اسماء الهية بمجرد استعمالها كانت تدرج في صفوف الاسماء الاغريقية المعتادة ولا تصبح بعد اجنبية وعلى ذلك لم يكن هناك حاجة لاسماء مزدوجة لتمييز هذا الاختيار . ومن ثم نشأ تقليد خاص يسمح بأن تستعمل اليهود الاسماء الاغريقية بحرية ، في حين ان ذلك لم يخلق أية حال تأثيرا يدل على أن هناك بعض عنصر اجنبى كان على وشك ان يفزو الحياة الأسرية اليهودية .

وبعد أن فازت الاسماء المركبة تركيبا مزجيا مع أسماء الاله وهي ترجمة تنكزية عن العبرية نجد أن المبدأ القومى قد طرح جانبا واستعملت اسماء اغريقية علنا ، ومن أجل ذلك لا يوجد مقابل عبرى لمثل الاسماء : الاسكندر ، بطليموس ، ارسنوى ، تريفون (Tryphon) ترفاينا (Tryphaina) واتيباتروس (Antipatros) . وهذه الاسماء كانت تستعمل في كل انحاء البلاد المصرية ، وذلك لأنها تشير الى اسماء الأسرة المالكة من جهة ومن جهة أخرى كانت شائعة الاستعمال في بلاد الاغريق ومقدونيا في العهد الكلاسيكى .

وفضلا عن ذلك نجد أن هذه الاسماء في الأوراق البردية كان يحملها يهود ،

ولدينا براهين على وجودها في النقوش أيضا (١) .

ومن الغريب ان اليهود لم يتورعوا عن تسمية أولادهم باسماء آلهة اغريق ومصريين . وعلى ذلك نجد بين اليهود المصريين من العهد الهيلانستيكي والعهد الروماني المبكر اشخاصا اشتقت اسماؤهم من «اثينا» و «آمون» و «ساراتيس» . ومن المستحيل أن تقرر هنا اذا كان يهودى كان يحمل واحدا من هذه الاسماء يعرف علاقة الاسم بالوثنية ، وأغلب الظن أنه كان يجهل ذلك . ومع ذلك فانه لدليل قوى على سرعة هضم يهود مصر الطباع والمبادئ الاغريقية التى تحيط بهم وذلك لأنهم كانوا مكروهين فى كل مكان أما عن اختيار الاسماء العبرية فى العهد البطلمى فلدينا ثلاثة من بينها كانت مفضلة عند اليهود وهى «سباتاي» و «سيمون» و «يوسف» . وأول هذه الاسماء كان فى العادة يطلق على الطفل الذى كان يولد يوم السبت ، وقد كان انتشار استعمال هذا الاسم على نطاق واحد فى كل البلاد التى شتتوا فيها دليلا على الأهمية الخاصة التى كان اليهود يظهرونها لتسمكهم بيوم السبت . أما اسم «سيمون» فانه ليس مجرد كتابة بالحروف الاغريقية لاسم شمون العبرى ، بل كان هناك اسم اغريقى : «سيمون» أيضا . وعلى ذلك فان اليهودى الذى يسمى «سيمون» يمكن ان يعد خطأ على انه أغريقى . ومن خصائص اغريق العهد الهيلانستيكي فى مصر وكذلك فى ممالك أخرى بما فى ذلك فلسطين ، ان اسم «سيمون» بالذات على الرغم ماينطوى عليه من ابهام فانه كان من أكثر الاسماء شيوعا . اما عن الاسم الثالث وهو «يوسف» فقد كان اليهود المصريون يستعملونه كثيرا اكراما واحتفاء بذكرى «يوسف» الذى جاء ذكره فى التوراة وكان موضع اكبار عظيم لدى اليهود أن يكون أحد اجدادهم قد زار فرعون مصر . وعمل فى بلاطه .
اللغة اليونانية واليهود :

ومن الموضوعات الهامة عن صبغ اليهود بالصبغة الهيلانستكية مسألة استعمال
(١) راجع S.B. 6160, ib. 2643; ib. 2103, ib. 723, ib. 6164, ib. 6167, ib. 6650, etc.

اللغة اليونانية بدلا من اللغة العبرية . والواقع اننا لا نعرف اذا كانت اللغة العبرية مستعملة في الحياة اليومية عند يهود مصر في العهد الفارسي أم لا ؟ . وعلى أية حال تبرهن بعض كلمات عبرية في المتن الآرامي الذى عثر عليه في الفنتين على أن هذه اللغة كانت لا تزال مستعملة بعض الشيء . وبدهى ان لغة العبادة كانت اللغة العبرية ، ومع ذلك فان اللغة الآرامية كانت اللغة الرئيسية بين المستعمرين الحريين من اليهود في الفنتين . وكانت كل وثائقهم تكتب بهذه اللغة . هذا وكانت اللغة الآرامية هى اللغة الرسمية لكل الجزء الغربى من الامبراطورية الفارسية . وكذلك كانت اللغة العامية في سوريا بما في ذلك فلسطين . هذا وكان المهاجرون من اليهود الى مصر في العصر الهيلانستىكى يستعملون اللغة الآرامية في حياتهم اليومية ، وذلك على الرغم من ان كثيرا منهم كانوا بطبيعة الحال يعرفون العبرية أيضا . وفى خلال القرن الثالث كله وكذلك النصف الأول من القرن الثانى ق.م على ما يظن استمر يهود مصر يتكلمون الآرامية كما يبرهن على ذلك ما جاء فى الأوراق البردية وقطع الاستراكا المكتوبة بهذه اللغة (١) . وقد انقطعت عنا بعد ذلك لمئة قرن الوثائق الآرامية فهل ياترى هذا يعنى مجرد صدفة ؟ قد يكون الأمر كذلك لأنه لا يمكننا ان نفرض اختفاء اللغة الآرامية من مصر اختفاء تاما ، وذلك لأنه كان يوجد هناك تيار مستمر من المهاجرين السوريين (بما في ذلك اليهود) فى خلال كل من العهدين الهيلانستىكى والرومانى . ومع ذلك فانه من المرجح أن اللغة الآرامية على الرغم من أنها كانت لا تزال يتحدث بها فى مصر فانها قد انقرضت بوصفها لغة أدب ، وعلى ذلك لم يكتب بها وثائق . وقد حل محل اللغة الآرامية بوصفها لغة تجارة اللغة الاغريقية بصورة تامة (٢) . هذا وقد أصبحت اللغة الاغريقية بسرعة لغة التعامل اليومية كذلك ، وبخاصة بين الطبقات الراقية من المجتمع اليهودى . هذا ولما كانت اللغة

(١) راجع Cowley, P. 119. Cf. Torczyner. The Lachish. Hebrew Edition, 16, note 1.

Blau, Papyri und Talmud, 10; Fuchs, 115.

(٢) راجع

الآرامية ليست لغة اليهود الوطنية كما أنها لم تكن لغة الكتب المقدسة ، فإن احلال اللغة الاغريقية مكانها لم يؤثر في الأسس القومية للحياة اليهودية ، وإن كان على الرغم من ذلك قد أثر في منظرها الخارجى وقلل من الفروقات طرق الحياة عند اليهود وطرق الحياة عند الاغريق . وقد كانت الضربة التي أصابت اللغة العبرية أعنف وأشد عندما ترجمت التوراة الى الاغريقية إذ نجد أن الحياة القومية قد تأثرت من أساسها . والواقع أن قراءة التوراة في البيع اليهودية (المعابد) والتعليق عليها كان من المميزات الرئيسية في حياة يهود مصر من حيث الدين والثقافة ، فقد كانت كل الحياة العامة والخاصة لليهود من دين وقانون وعادات متصلة بالتوراة وما يجدر ملاحظته أنه منذ اللحظة التي تمت فيها ترجمة التوراة أصبحت دراسة اللغة العبرية مهمة . ولما كانت هذه اللغة غير شائعة كاللغة الآرامية التي كانت تستعمل بوصفها لغة عامة يتحدث بها الناس يوميا ، فإنها اختفت كلية من الحياة اليهودية في مصر . ويلحظ أن العلماء الأحداث يفحصون بالتطويل مسألة ما اذا كان

«فيلو» (١) اليهودى الذى يعد أكبر مفكر في هذا العصر يعرف اللغة اليهودية أم لا ؟ (٢) .

والواقع أن كل العلماء لهم الحق في وضع مثل هذا السؤال . وذلك لأنه في زمن «فيلو» لم تكن اللغة العبرية معروفة في مصر على وجه التقريب . وعلى ذلك نجد ان اليهود قد تركوا جانبا وصة من أهم الوصايا الثقافية التي وصى بها بنو اسرائيل القدامى ، وأعنى بذلك التمسك بلغتهم القومية ويمكن تفسير السبب الذي دعا الى هذه القطيعة بسهولة وبسر ، وذلك أن اللغة الاغريقية وقتئذ كان يتحدث بها في كل مكان وكانت تعد لغة أعظم ثقافة في العالم . هذا الى جانب قيمتها الدولية العظيمة في حين أن اللغة اليهودية وهى لغة قديمة كان يتكلم بها قوم واحد فقط ، وكانت آخذة في

(١) عاش في القرن الاول الميلادى

(٢) راجع Ed. Stein die Allegorische, Exegese des Philo aus Ale 20 sqq.

الاختفاء باضطراد حتى كادت تصبح لغة أجنبية بين قومها . وإذا كان يهود الاسكندرية يرغبون حقا في المحافظة على التوراة ككتاب مقدس فإن الطريقة الوحيدة للوصول الى ذلك كانت ترجمته الى اللغة الاغريقية ، ومن أجل ذلك هجروا استعمال اللغة العبرية محافظة على تعاليم موسى .

ويمكن المرء أن يتساءل : اذا كان حقا مذهب موسى هو الذى حفظ في الترجمة الاغريقية للتوراة أم لا ؟ والواقع أن كل ترجمة عن لغة أجنبية حتى ولو تمت بمتى الدقة فانها لا تخرج عن كونها ترجمة ، وذلك لأن الكلمات المقابلة في اللغتين يختلف مضمون الواحدة عن الأخرى ، فالتوراة باللغة الاغريقية قد أصبح اغريقيا في فكرته ، وكذلك في لغته ، ويرجع ذلك الى ان كل التعابير الدينية والقانونية التى استعملها المترجم لم تصبح بعد التعميرات التقليدية لاسرائيل القديمة بل أصبحت تعابير اغريقية حديثة تستدعى ارتباطات عدة بالأدب الاغريقى الكلاسيكى وبالتعامل القانونى الهيلانستىكى. يضاف الى ذلك ان المترجمين الذين كانوا يعملون كل ما فى طاقتهم للمحافظة على معنى فقرات التوراة لم يوقفوا دائما لاختيار الالفاظ اليونانية التى تقابل الالفاظ العبرية ، وعلى ذلك فان الترجمة الاغريقية كانت بعيدة عن الأصل العبرى ، ومن ثم فان توراة موسى قد غيرت وحرفت كلماتها عن مواضعها وهذا أمر له أهمية سياسية فى كل التطور الثقافى ليهود مصر (١) .

وقد اتخذت الترجمة السبعينية من الوجهة الأدبية أساسا لرفعة الأدب الاسكندرى اليهودى وتطوره . وهذا الأدب أساسه الكلى يرتكز على التوراة الاغريقية فى لغته ، وكذلك فى مقاصده الأساسية من حيث الرواية وقد أرخ يهود الاسكندرية ترجمة التوراة بعهد «بطليموس الثانى» وهذا التاريخ يمكن اعتياده على أية حال بأنه بداية لترجمة التوراة ، وذلك لأن المؤرخ اليهودى «دمتريوس» الذى عاش فى نهاية القرن الثالث ق.م قد فرض

وجود متن سفر التكوين في هذه الفترة (١). وقد استمرت ترجمته في القرن الثاني ، وعلى ذلك فانه في نهاية الترجمة كان كل اسفار موسى الخمسة والأنبياء والهاجيوجرافيا (Hagiographia) (والأخير يشمل المزامير والأمثال وأيوب ونشيد الأناشيد وراعوت والمراثي و«استر» و«دنيال» ، «عزرا» ونحميا والأيام وبالاختصار فان هذا الاسم هو بالعبرية «كتوبيم» ويحتوى على كل الكتابات المقدسة العبرية وهى عبارة عن كل الكتب التى لا توجد تحت القانون والأنبياء). قد تمت ترجمتها فعلا الى الاغريقية . وقد كان يهود الاسكندرية مزهوين بانجاز هذه الترجمة . والاعتقاد السائد أن المبادرة الى ترجمة الكتاب المقدس الى الاغريقية قد نسبت الى العلماء الاغريق الذين كانوا فى بلاط «بطليموس الثانى» . ويقال أن الترجمة قام بها اثنان وسبعون عالما يهوديا وكانوا قد ندبوا لذلك خصيصا من فلسطين . وقد اعتبر يوم الانتهاء من هذه الترجمة عيدا قوميا (٢) .

القانون اليهودى

نتقل الآن الى التحدث عن القانون اليهودى الهيلانستىكى . فما لا نزاع فيه وجود قانون مستقل للجماعات اليهودية ؛ وقد رأينا فيما سبق أن مجرد وجود مجتمع يهودى (Politeuma) لابد كان مؤسسا على حق الانسان فى أن يعيش على حسب قوانين الأجداد . ويبرهن على هذه الحقيقة مصادر مختلفة . والواقع أنه من المسائل التى قام حولها جدل كثير مسألة ما اذا

كانت ترجمة «فيلو» لقوانين التوراة فى كتابه المسمى Despecialibus ligibus يعكس ضوء صورة للمعاملات القانونية للمحاكم اليهودية فى الاسكندرية أو أنه عبارة عن تفسير وضعه لهذا القانون . وعلى أية حال فان هذا الموضوع يحتاج الى بحث طويل . ولا نزاع فى أن الموضوع فى حد

(١) راجع Freudenthal, Alexander Polyhistor, 1875, 40 sq; Schurer, III, 473; Cf. Herrmann und Baumgartel, Beitrage zur Entstehungsgeschichte der Septuaginta, 1923, 48 sqq.

Philo. Vita Masis, 2. 41.

(٢) راجع

ذاته سليم ، وذلك لأنه في ذلك الوقت كان في الامكان وجود قضاء يقوم بمثابة مرشد للقضاة اليهود في الاسكندرية ؛ ولكن لما كانت الأوراق البردية تقدم لنا نماذج كثيرة من هذه الوثائق القانونية خاصة بقضايا ليهود لهم بها صلة ، فانه من الطبعي أن يبقى علينا أن ننتظر بعض براهين تلقى ضوءا جديدا على هذا السؤال . ولكن مما يؤسف له أن الأوراق البردية في هذا الصدد مخفية للأمل ولم يذكر لنا الا مرة واحدة ادارة محرر عقود يهودي في الاسكندرية (١) . وفي وثيقة أخرى جاءت اشارة غامضة لعبارة « قانون سياسى وذلك على وجه التخمين (٢) . ومن جهة أخرى نجد في أوراق البردى براهين قيمة ليهود كانوا يستعملون بحرية القانون الهيلانستيكي المشترك ؛ وقد استنبط من الفصل الثالث من مجموعة الوثائق الخاصة باليهود (٣) الصورة الآتية :

١ - كتبت الوثائق الخاصة باليهود بالطريقة العادية المتبعة في الوثائق الهيلانستكية أى بمثابة وثائق شهد فيها ستة أشخاص أو صكوك تنازل Corpus, P. 148, No. 18 وما يجب التأكد منه أنه حتى الفقرة التي كانت تحتوى على ألقاب الملوك المؤلهين لم تحذف قط (٤) .

٢ - وعندما كانت الوثيقة تحرر في ادارة فانها لا تكون ادارة مجتمع يهودى (حتى لو كان المتعاقدان يهوديين) ، بل كانت تحرر في ادارة سجل حكومى ، وكان موظف الحكومة (Agoranomos) يوقع بخطه (٥)

٣ - وعندما كان يوجد لدى اليهود مخصصات للبت فيها فانهم كانوا يرفعون ادعاءاتهم أمام أصحاب الشأن من رجال الحكومة بالطريقة المعتادة وذلك بتقديم طلب موجه للملك ، وكانت المحكمة التي تفصل بين اليهود

Corpus, No. 143.

Corpus, P. 236, No. 128.

Corpus, P. 146-178.

Corpus, P. 148, No. 18, 22-24.

Ibid. P. 162, No. 23; P. 162, No. 26.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

(٥) راجع

محكمة اغريقية (١) .

٤ - وكانت القوانين واللوائح التى تؤلف الأساس القانونى لأعمال الحياة اليهودية هى القوانين العامة للاغريق فى مصر أى القوانين واللوائح التى أصدرها الملك أو القوانين المؤسسة على التشريع المتوع للبدن الاغريقية (وهو ما يسمى بالقانون المدنى) . ونجد فى المتن رقم ١٩ (٢) . محكمة العشرة الاغريقية وهى التى تبحث فى شقاق وقع بين يهودى ويهودية . وينص المتن بوجه خاص على لوائح الملك والقانون المدنى بوصفه الأساس القائم للحكم . وفى الوثيقة رقم ٢٣ (٣) قد أشير الى القانون الملك وعلى حسبه قد فصل فى نزاع خاص بين يهوديين .

ومن كل هذه المواد يظهر أن اليهود كانوا يستعملون القانون الهيلانستىكى استعمالا كبيرا . هذا ولما كانت الأمثلة التى ذكرناها فيما سبق تشير الى جنود يهود ومستعمرين حربيين فى «القيوم» فى خلال القرنين الثالث والثانى ق.م. فانه يمكن أن نفرض أنه لم تكن توجد مجتمعات حسنة التنظيم فى المعسكرات ؛ وعلى ذلك فان الجنود اليهود كانوا أعظم عنصر مصبوغ بالصبغة الهيلانستىكية بين اليهود فى مصر .

وعلى أية حال لدينا براهين أخرى يمكن تطبيقها بصورة أعم . فلدينا مجموعة من البردى الاسكندرى جمعت فى فصل خاص وتكشف لنا عن نفس الحالة كالتى فى مجموعة الوثائق التى فى الفقرة الثالثة من مجموعة الوثائق الخاصة بالجنود اليهود (٤) . والواقع أنه اذا كانت توجد أية محكمة مستقلة فى أى مكان فى مصر تصدر أحكاما على حسب مبادئ القانون اليهودى فلا بد أن يكون مقرها الاسكندرية . وقد رأينا أن مثل هذه المحكمة كان موجودا فعلا ؛ ومع ذلك فان الأوراق البردية فى هذا الصدد

Corpus, P. 151, No. 19.

Corpus, P. 151, No. 19.

Corpus, P. 162, No. 23.

Corpus, P. 147 ff.

(١) راجع

(٢) راجع

(٣) راجع

(٤) راجع

مخبية للأمل . وقد كان اليهود يضعون قضاياهم وشئون أعمالهم أمام رئيس إدارة تحرير الوثائق ، وهو الذى كان يقوم فى الوقت نفسه بأعمال محكمة العدل .

وهذه كانت إدارة اغريقية عادية لا يديرها يهود . وكانت الوثائق التى تصدر عنها تحمل اسما خاصا . وهذه كانت على ما يظهر النموذج الأصلى للعقد الاسكندرى . ومن بين العقود الخاصة بيهود وثيقة طلاق (Corpus, 44) واتفاقان مع مرضعتين . وبعض عقود سلفيات . وكل هذه العقود كتبت بالاغريقية وحررها موظفون اغريق بنفس الطريقة التى تحرر بها وثائق الشعب الاغريقى ، ومن ثم تفهم أن حياة اليهود الاسكندريين الأسرية من حيث زواجهم وطلاقهم كانت تنظم بعقود على حسب القانون الهيلانستيسى^(١) وهذه المسألة فى الواقع من الأهمية بمكان . والواقع أن الاطار القانونى يعكس صورة أحوال الحياة التى من أجلها أنشئ . فإذا كان العقد والادارة والمحكمة كلها اغريقية فإن القوانين واللوائح كانت كذلك اغريقية . وعلى ذلك فأننا نواجه احتمال أن اليهود المصريين كانوا لا يعيشون على حسب تعاليم التوراة بل على حسب القانون الهيلانستيسى العام . والآن يتساءل الانسان: هل المصادر التى فى متناولنا تقدم لنا أى برهان على ذلك ؟

ولابد للجواب على ذلك من أن نؤكد حقيقتين تبرهنان على التأثير القوى للقانون الهيلانستيسى على اليهود فإن الحقيقة الأولى هى التى تحدثنا عن مركز المرأة فى المجتمع . فمن المعلوم أنه لم تظهر امرأة اغريقية فى أية محكمة دون أن يكون معها حارس أى رجل يمثلها ويقوم بدلا منها بالدور المطلوب منها أمام السلطات القضائية . وكان أمثال هؤلاء الحراس بوجه عام من ذوى القربى أى الزوج أو الولد أو الابن وهذه العادة تعتبر نتيجة منطقية لانحطاط مركز

(١) راجع Schubart Arch. V. 47 sqq., Miteis, Grundz, 65 seq.

المرأة الاغريقية في الأزمان الكلاسيكية (١) .

أما المرأة اليهودية فكانت على العكس من أختها الاغريقية لم تكن قط تحت سيطرة الرجل أو تابعة له ، وعلى ذلك فانها لم تحتاج قط لحارس يثملها ومع ذلك فان الأوراق البردية الهيلانستية والرومانية على السواء تقدم لنا أمثلة عدة عن نساء يهوديات قد مثلن حراس (٢) . وواضح من هذه الأمثلة ان العادة الاغريقية قد نقلها عنهم اليهود ، هذا ويعزز البراهين التي أخذت عن الأوراق البردية مصادر أخرى أدبية . من ذلك ما حدثنا به «فيلو» عن زواج المرأة عند اليهود فهو يؤكد أن العريس يطلب عروسه من والدها ، واذا كان الوالد ليس على قيد الحياة كان عليه أن يطلبها من اخوتها أو القائم عليها أو من حراس آخرين (٣) . وهذا البيان الذي قدمه لنا «فيلو» لا يتفق مع قانون التلمود الذي لا يعرف الا فيلما واحدا على المرأة وهو والدها الذي يحفظ لنفسه هذا الحق على ابنته الى أن تبلغ الثانية عشرة يوما واحدا من عمرها . هذا وقد صور لنا «فيلو» في مكان آخر من كتابه (٤) أحوال الحياة العامة للمرأة المستقيمة السيرة . فيقول أنه كان عليها أن تصرف الشطر الأعظم من يومها في البيت ، ولا تختلط بالناس في الأسواق ، وأن تختار اهدأ ساعة في اليوم لتذهب فيها لأداء الصلاة في المعبد . هذا وعندما كان «فيلو» يتحدث عن حادث تفتيش عن سلاح أصدر به الحاكم «فلاكوس» أمرا على أن ينفذ في بيوتات يهود اسكندريين ، وصف لنا غضب النساء اليهود عندما اقتحم رجال الحاكم خدورهن (٥) . ومن ثم يجوز لنا أن نفهم

(١) Erdmann, Die Ehe in Alten Griechenland 1934, 33 sq. راجع
For Hellenistic Egypt. Cf. P. Meyer, Jur. Pap. P. 31; Egon
Weiss, Arch. IV. 78.

Corpus, P. 151, No. 19; Ibid. P. 168, No. 26, etc. راجع (٢)

De spec. leg. 367. راجع (٣)

De Spec. leg. 3, 169-71. راجع (٤)

Flacc. 89. راجع (٥)

أن مركز المرأة اليهودية في الأسرة وفي المجتمع الاسكندري كان يشبه مركز جاراتها الاغريقية الى درجة كبيرة أكثر من مركز أختها اليهودية في فلسطين. والحقيقة الثانية لها صلة بشئون المعاملات . فمن المعروف لنا أن التوراة تحرم قرض تقود بالربى ليهودى (١) . وأنظمة التلمود كانت أشد صرامة في هذا الصدد ؛ اذ لا تحرم الربا في صورته العامة وحسب بل تحرم حتى أى زيادة في رأس المال يشبه الربا (٢) . ومع ذلك فإن الأوراق البريدية تبرهن على أن اليهود كانوا يقرضون تقودا ليهود مثلهم بفائدة منتظمة قدرها ٢٤٪ (٣) . ولدينا حالة واحدة عن قرض بدون فائدة (٤) خاص بيهود فيما بينهم . ولما كانت مثل هذه القروض قد أشير الى ابرامها بين اغريق ومصريين كذلك ، فإن بعض العلماء قد وضع نظرية تدل على تأثير يهودى على القانون الهيلانستيكي (٥) ، ولكن السلفيات التى كانت بدون فائدة وبخاصة القمح كانت أقدم من قانون التوراة ، ومن المرجح أن مثل هذه السلفيات كان يعقدها كثير من الأقوام المزارعين في الشرق القديم (٦) . ومن ثم أصبح من المعقول أن نسلم أن مثل هذه القروض الخالية من الفائدة كما جاء في الأوراق البريدية ليست الا بقايا بعض عادة من الشرق القديم . وما تجدر ملاحظته هنا أن القروض الخالية من الفائدة كانت أحيانا أشد وطأة على المدين من القروض العادية ؛ وذلك لأن مثل هذه القروض كانت في العادة تقرض لمدة قصيرة من الزمن وكان على المدين اذا تأخر في السداد في الوقت المحدد أن يدفع غرامة فادحة . ومن ثم يمكن أن نستنتج أن اليهود المصريين كانوا يسيرون في أمور

Exod. 22, 24; Deut. 23, 20.

(١) راجع

M. Baba Mezia, 5, 1; 5, 7; 5, 9.

(٢) راجع

Corpus, P. 156, No. 20; Ibid. P. 164, No. 24.

(٣) راجع

Corpus, P. 162, No. 23.

(٤) راجع

The Adler Papyri, Introduction, P. 5.

(٥) راجع

Lutz, Legal and Economic Documents from Ashjaly (1931), 20th Century Assyria.

(٦) راجع

راجع عن قروض بدون فائدة في آشور وبابل في خلال الالف الثاني والاول ق

معاملاتهم على حسب المعاملات القانونية المتبعة في حكومة البطلمة ؛ وذلك باتفاق تام مع مبادئ قانون التلمود المعروفة وهي التي وضعت في صيغتها النهائية في القرن الثالث بعد الميلاد بمقتضى القول البابلي كما صاغه مارسمويل وهو : ان قانون الحكومة الحاكمة هو القانون (١) .

على أنه ليس القصد هنا انكار تأثير قانون اليهود المستقل في المجتمعات اليهودية في مصر فقد كانت توجد محاكم يهودية في مصر وعلى أية حال في الاسكندرية . وكان كتاب التوراة هو الأساس القانوني الرسمي للمجتمعات اليهودية ، ولكن واجبنا هنا هو التعليق على ما جاء في الأوراق البردية . ولا جدال في ان هذه الاوراق ، بصرف النظر عن ادارة تحرير العقود اليهودية التي جاء ذكرها في وثيقة (٢) . وبصرف النظر عن احتمال وجود اشارة لبعض قانون سياسى جاء في الوثيقة رقم ١٢٨ ، فانه لم يشر قط صراحة الى وجود قانون يهودى . ولما كان القانون اليهودى يظهر جنباً لجنب مع قانون آخر غير اليهودى فانه لا يجب علينا ان نعتبر وجود هذه الظاهرة في مصر بالأمر الغريب (وأبرز مثال لذلك هو وجود القانون الربانى والقانون المسمى القانون الفلسطينى في بلاد فلسطين في عهد الوصاية البريطانية واستمراره في اسرائيل الحالية) بل ينبغي علينا أن نتقبله على أنه نتيجة منطقية لرأين مضادين في اليهودية لمصرية وكان تغيير ذلك سببه هو الرغبة في اتباع التقليد القومى الدينى القديم ومن جهة أخرى الرغبة الملحة في الاشتراك في كل مظاهر الحياة الهيلانستىكية . وفي استطاعتنا أن نسلم هنا انه عندما كان المجتمع اليهودى يتأثر بوجه عام فان رأى الذى يميل الى التقليد القديم كان هو رأى المتفوق . ولكن الأفراد اليهود عندما كانوا

(١) راجع Is Herzog, The Muin Institution of the Jewish Law, 1, 1936, 24 sqq.

Corpus, No. 143.

(٢) راجع

يواجهون بمسائل الحياة اليومية التي لا تحصى فانهم كانوا اكثر تحولا الى
الرأى الثانى أى الرغبة فى الاشتراك بقوة فى أوجه الحياة الهيلانستىكية وقوانينها
ولسنا فى حاجة الى القول أن مدينة الاسكندرية التى كانت مركز الهيلانستىكية
العظيم قد ظلت أعظم مدينة فى العالم الهيلانستىكى فى البحر الأبيض المتوسط الى
أن غطت عليها روما ، هذا فضلا عن انها كانت مركز اعمال وإدارة وثقافة
ممتازة فقد اجتذبت اليها أناسا من بلاد عدة وبخاصة من مدن بلاد الاغريق
وكانت تقام فى هذه المدينة أعياد بهجة على شرف الآلهة الاغريق وملوك
البطالة والمؤلهين ، وكانت تمتاز بوجود الميوزيون فيها وهو ما يمكن التعبير
عنه حديثا على وجه التقريب بأكاديمية العلوم والفنون والآداب ، والمكتبة
العظيمة التى تزرع بكنوز كثيرة من كتب الأدب الكلاسيكى . وقد خضع
اليهود بطبيعة الحال لسلطان الحياة الاغريقية والفكر الهيلانستىكى الذى كان
سائدا فى تلك المدينة الفذة . ومنذ القرن الثالث ق.م. نسمع عن فرد يهودى
هجر المجتمع اليهودى وتخلّى عن دين موسى ، واتخذ لنفسه سبيلا ناجحة
فى بلاط البطالة وهذا اليهودى هو «دوسيثيوس» (Dositheos) الذى
أعلن ارتداده عن يهوديته كما ذكر لنا مؤلف الكتاب الثالث للمكابى (١)
وقد عرف تاريخ حياة هذا الرجل فى البلاط البطلمى من وثيقة معروفة لدينا (٢)
ولا نعرف كم من اليهود قد حذوا حذوه فى هذه الطريق . غير أننا نعلم أن
الارتداد عن اليهودية فى هذه الفترة لم يكن أمرا شائعا بين يهود الاسكندرية.
وعلى اية حال لم يكن الارتداد شائعا فى تاريخ اليهودية قط . والواقع ان
اليهودى كانت لديه فرص أخرى لاطهار ميله الى الهيلانستىكية ومباهاجها. فقد
كان فى مقدوره أن يفعل ذلك بالتكلم باللغة اليونانية وكان فى استطاعته ان
يفعل اكثر من ذلك فكان فى مقدوره أن يصل الى ذلك بالنمق فى الثقافة

الاغريقية وكان في مقدوره ان يساعد الاغريق في انشاء قيم ثقافيه جديدة في اللغة الاغريقية . ولا نزاع في أن الترجمة السبعينية قد وضعت الأسس لاقامة أدب هيلانستيكي كتبه يهود وبخاصة بأقلام يهود اسكندريين. ففي القرن الثالث وضع يهودى يدعى «ديمترىوس» مؤلفا يشبه تاريخ الأجداد لقوم اليهود . هذا وتنسب كتابات كل من «أريستاس» و «ارتابانوس» و «فيلو» الشاعر وحزقيال الروائى المسرحى وغيرهم ، الى القرن الثانى والنصف الأول من القرن الأول ق.م. يضاف الى ذلك الفيلسوف اليهودى «اريسطوبولوس» الذى سبق ذكره ، وهو الذى عاش في عهد بطليموس السادس «فيلومتور» فقد أهدي هذا الفيلسوف مؤلفه للملك . على ان هذه البدايات في الادب اليهودى الهيلانستيكي بعيدة عن أن تكون وافية ، بل نجد أنها مخيبة للامل الذى كان يرجى منها . وذلك لأنه باستثناء « رسالة أريستاس » لا نجد أنه قد وضع مؤلف ذات قيمة أدبية عظيمة . وعلى أية حال فان ما يهنا هنا ليس ما وصل اليه اليهود الاسكندريون من مستوى أدبى بل يهنا مقدار ما وصلوا اليه من صبح أنفسهم بالصبغة الهيلانستىكية، ومن وجهة النظر هذه نجد ان اتاجهم الأدبى يستحق الاعتبار . فقد كتب «فيلو» الشاعر ملحمته عن «أورشليم» بشعر سداسى الوزن وقد كان يقصد بذلك بدهاءة أن يصبح «هومر» اليهود ، غير انه لم يفلح فى محاولته، وكتاب «حزقيال» عن خروج بنى اسرائيل لا يخرج عن كونه من تقليد الروائى الاغريقى ايريسيدز (Euripides) ، هذا وقد كان المفروض ان «اريسطوبولوس» يعتبر فيلسوفا مشاء من اتباع مدرسة ارسطوطل . هذا ونجد أن الاسلوب الهيلانى الذى اتبع في الترجمة السبعينية كان ميطرا فى مثل هذه المؤلفات التاريخية مثل كتابى المكابى الثانى والثالث . هذا ويلحظ ان اكثر من ثلث رسالة «أريستاس» قد خصصت لوصف مجلس شراب ومنادمة وهو صورة ادبية كان يفضلها الكتاب الاغريق منذ عهد أفلاطون واكرتوفون وما بعدها.

والحقيقة اننا نجد التأثير الاغريقى مسيطرا فى كل فروع الادب اليهودى الهيلانستىكى وبخاصة فى الشكل والى حدما فى المحتويات (١) . ولا نزاع فى أن الادب الاغريقى والفلسفة الاغريقية كان يدرسهما بعناية يهود الاسكندرية. على ان مثل هذا الدرس لم يكن من المستطاع الحصول عليه دون معرفة متينة للعناصر الاساسية للثقافة الاغريقية ، ومن ثم يظهر أمامنا السؤال التالى : ما هو نوع الثقافة التى كان يلقيها يهود الاسكندرية لأولادهم ؟ وهذا السؤال ليس عديم الفائدة وذلك أنه فى بداية العهد الرومانى فى مصر كان حق اليهود فى اعطاء أبنائهم تعليما منتظما فى معاهد تربية اغريقية من المسائل التى احتدمت المعارضة فيها من جانب السكان الاغريق واتتهى الأمر بان حرمت السلطات الرومانية ذلك على اليهود . والمهم هنا ان ندرس أصل هذا التحريم . فالتعليم الاغريقى كان مركزه الجمنازيم حيث يدرّب الأولاد الاغريق على الالعب الرياضية كما كانوا يتعلمون المعلومات الضرورية من الأدب والثقافة الاغريقين . ويتساءل الانسان هنا : هل كان مصرحا لليهود فى عهد البطالمة أن يرسلوا أبنائهم الى الجمنازيم ؟. والواقع أنه ليس لدينا برهان مباشر على انهم كانوا يفعلون ذلك ، ولكن يمكن الاجابة على هذا السؤال بفحص بعض أدلة لها علاقة غير مباشرة بالموضوع . فنجد أولا فى بداية الحكم الرومانى فى مصر ان اغريق الاسكندرية كانوا يعارضون أشد المعارضة كل محاولات غير الاغريق (اى من مصريين ويهود) فى ان يجندوا اولادهم بين «الافيون» . وقد وافق «كلوديوس» على هذه الدعاية فحرم على اليهود الاشتراك فى ألعاب الجمنازيم أى أنه طردهم منها : واذا ناقشنا موضوعنا من هذا البيان فانه فى استطاعتنا ان نستنبط أنه فى العصر السابق العصر الرومانى كان اليهود يدخلون الجمنازيم دون كبير عناء . وثانيا نجد فى العهد البطلمى أن الجمنازيم كانت فى أيد حرة ، وبقدر ما يمكن أن

نستخلص من الوثائق التي في أيدينا أنه لم تكن هناك مؤهلات خاصة يحتاج إليها للدخول في الجنازيوم (١) . فضلا عن ذلك كان اليهود انقسمهم مهتمين في تعليم الجنازيوم وذلك لأن أولئك الذين كانوا يتعلمون فيها هم الذين كان في مقدورهم ان يحصلوا على حقوق مدنية في مدينة مثل الاسكندرية ، يضاف الى ذلك أن مثل هذا التعليم كان يمهّد الطريق للدخول في المجتمع الاغريقي . حقا ان التقليد اليهودي لم يجذب المصارعات الجنازية وبخاصة عندما نعلم أن تعليم الجنازيوم كان له اتصال وثيق بالديانة والموائد الاغريقية ، غير أن مبادئ التقاليد الجامدة لم تكن بحالة من الاحوال صاحبة الخطوة في الاسكندرية ، ومن الحقائق الثابتة أن يهود الهجرة لم يمتقوا تعليم الجنازيوم أو المصارعات أو الالعب العامة كما يدل على ذلك أمثلة عدة . هذا ولا ينبغي لنا أن ننسى أنه في عام ١٧٥ق.م. قد أقيم جنازيوم و «افيسيون» في اورشليم في قلب اليهودية التقليدية وأخيرا يمكن بالبرهنة على مثل هذا التعمق في صور الفكر الاغريقي ومحتوياته كالذي وصل اليه «فيلو» الفيلسوف مثلا كان مستحيلا دون أن يكون قد أفعم بالروح الاغريقية الكلاسيكية ، وهذه الروح كان لا يمكن تربيتها دون الاشتراك لمدة بعض أجيال من الأسر اليهودية في التربية الجنازية .

هذا وتقودنا مسألة التربية الجنازية الى سؤال آخر أوسع حالا وهو : هل كان مسموحا لليهود ان يصبحوا مواطنين اسكندريين ؟ وهذا السؤال قد نوقش كثيرا في البحوث الحديثة . فالعلماء الذين يقولون ان يهود الاسكندرية كان لهم حقوق المواطن الاغريقي هم شورر وغيره : (١)

P. Ent. 8 .

(١) راجع Schurer III, 122 sqq.; Jüster II, 1 sqq.; De Scañtis, Rev. راجع (٢)
d. Filol. 111, 1924, 473 sqq.; Cf. also Momigliano, Claudius, 1934, 96, No. 25;

أما الذين يعارضون هذه الفكرة وهي التي أصبحت الرأي المقبول هم (١) .
والواقع انه فيما يخص اليهود في هذه الناحية في عهد البطالمة فيمكن أن
نستعرض بعض اعتبارات عامة في هذا الصدد . فمن البدهى أن ما يخص
المجتمع اليهودي الاسكندري لا يدخل فيما يتعلق بالاسكندرية التي تعد
مدينة اغريقية ، وذلك لأن كلا من المجتمع والمدينة كان يعتبر من الوجهة
القانونية وحدة سياسية قائمة بذاتها مميزة عن الأخرى . ويمكن أن تفرض
أن كل مهاجر يهودي وصل الى الاسكندرية من فلسطين او من القرى المصرية
يصبح ان عاجلا أو آجلا عضوا في المجتمع اليهودي الاسكندري ، ولكن
قد يكون من باب السخف أن تفرض أن يهوديا كهذا يمكنه أن يدخل تلقائيا
في صفوف مواطني اغريق الاسكندرية . ولما كانت الهجرة اليهودية من
فلسطين الى مصر وبخاصة الى الاسكندرية لم ينقطع تيارها طوال العهد
الهيلانستيكي ولما كانت الاسكندرية - كما يمكن أن تفرض - كذلك قد
اجتذبت كثيرا من اليهود من القرى المصرية ، فانه في الاستطاعة أن نستنبط
أن الأغلبية العظمى من السكان اليهود الاسكندريين لم يكونوا متمتعين
في الواقع بالحقوق المدنية . ومع ذلك فان وجود مواطنين يهود في الاسكندرية
لا يمكن انكاره ، وانه من المهم أن نعرف كيف يتسنى ليهودي أن يصبح
مواطن اسكندريا والواقع أن الحصول على حقوق مدنية في مدينة اغريقية
كان دائما اجراء معقدا ، وبوجه عام كانت الحقوق المدنية تمنح لأفراد بقرار
خاص من المجلس ومن الجمعية العمومية كمكافأة على خدمة قدمت
للمدينة . هذا وكان منح حقوق مدنية لجماعات كاملة نادرا جدا (٢) . غير

(١) Willrich Caligula, Klio III, 1903, 403 sqq.; Bludau, Juden راجع
und Judenverfolg. 17; Fuchs, 79 sqq.; Schubart. Arch. V. 108
sqq.; Wilken, Antis. 786 sqq; Engers, 2 Klio XVIII, 83 sqq
Christians, 12 sqq.

Turn Hellenistic Civilisation, 3rd Ed. P. 79 sqq

(٢) راجع

أن الموقف في الاسكندرية على أية حال كان في بعض الأحوال شاذاً ، وذلك انه على الرغم من أن الاسكندرية كانت نظرياً مدينة اغريقية حرة مستقلة ، الا أنها لم تكن في الواقع لا حرة ولا مستقلة ، وذلك لأنها كانت عاصمة مصر ومقراً للملك وبلاطه . فكانت حكومة البطالة تراقب هذه المدينة بعناية . ومن ثم لا نكاد نتصور أن أمراً هاماً كزيادة عدد المواطنين الإسكندريين يغيب عن بقلطة الحكومة فلا يجعلها تتخذ اجراءات لمراقبة تلك الزيادة في عدد المواطنين الذين يتمتعون بكل حقوق المواطن الكاملة .

هذا ونعرف أنه في العهد الروماني كان الامبراطور يراقب دخول الافسيوى الاسكندريين في صفوف المواطنين . وعلى ذلك فإنه من المعقول التسليم بأن الملك البطلمي الذي كان مهتماً اهتماماً كبيراً بأحوال الاسكندريين أكثر من الامبراطور الروماني ، لا بد أن يستخدم نفس الحق . فضلاً عن ذلك رأينا فيما سبق أن بطليموس الثامن «ايرجيتيس الثاني» قد منح حقوقاً مدنية في الاسكندرية لأجانب . وعلى ذلك يمكن الإنسان أن يتساءل هل كان اليهود من بين هؤلاء الأجانب ؟ وإذا كان الرد ايجابياً فتساءل من جديد اذا كان الملك «بطليموس فيلومتور» الذي كان هواء مع الساميين يمكن أن يكون قد فعل بالمثل ؟ وأخيراً يمكن أن نميد الى الذاكرة أن أولاد المواطنين قد تلقوا تعليمهم في الجنازيم وأن التعليم الجنازي كان طبيعياً اجراء لا بد أن يسبق الحصول على حق المواطنة (أى يكون الفرد مواطناً) ولا ريب في أن كثيراً من اليهود كانوا شغوفين بأن يعلموا الأودهم تعليمًا اغريقياً لأجل أن يكون في استطاعتهم الحصول على الحقوق المدنية . هذا ويلحظ أن القرن الأخير من حكم البطالة كان مرتبكاً كثيراً وبخاصة في الاسكندرية ، ومن المحتمل أن العداوة الطويلة الأمد التي كانت بين حكومة البطالة والاسكندرية قد تمحضت عن فوضى ادارية كانت صالحة جداً لأولئك الذين كانت رغباتهم لم يمكن تحقيقها في ظل قانون حازم . والخلاصة هي انه كان

في استطاعة يهود الاسكندرية أن يحصلوا على حقوق وطنية بثلاث طرق وهي منح حقوق لأفراد بوساطة المدنية ، والتعيين بوساطة الملك ، والدخول (سواء أكان ذلك قانونيا أو غير قانوني) في صفوف المواطنين عن طريق الجنازيم .

هذا وكان الحصول في العهد الروماني على الحقوق المدنية من الأمور البالغة الأهمية ولكن في العهد البطلمي لم تكن هناك حقوق أو امتيازات هامة تصحب الرعية الاسكندرية ، وذلك أن الرعية الاسكندرية كان لها شروط خاصة بها في كتاب قانون خاص بهم على غرار القوانين الآثينية . فلم يكن المواطن يجلد عند ارتكاب جريمة ، ولكن كان يضرب بطريقة صورية لا تؤثر فيه ، ولم يكن من الممكن اجباره على تأدية أعمال عامة أو تأدية عمل شاق كالذي يطلب من الفلاح المصري (١) . اما عن اليهود الذين كانوا يتمتعون بتشريعهم الخاص فان معظم هذه الامتيازات السابق ذكرها لم تكن ذات أهمية بالنسبة لهم وعلى أية حال نجد انه على مر الأيام كانت تمنح بعض الامتيازات التي كان يتمتع بها الاسكندريون اليهود ايضا وذلك بموافقة صامته من الحكومة مثال ذلك امتياز عدم الضرب بالسياط بل بقراب النصال (٢) . وقد كانت مسألة حصول الفرد على لقب مواطن اسكندري لا يسمى اليها الفرد بوجه خاص للفخر والمظنة اكثر منها لطلب المادة . فقد كان اليهودي عندما يحصل على لقب مواطن يشعر بالكبرياء لأنه على مستوى واحد مع افريق الاسكندرية ولأن أولاده سيتعلمون في الجنازيوم ، ولأنه سيحضر الولائم والألعاب الاغريقية ولأنه سيتكلم ويكتب اللغة الاغريقية والواقع أن كسب حقوق مدنية كان يعتبر بمثابة تعبير لميل يهودي نحو التحرير (اذا جاز لنا ان نستعمل تعبير القرن التاسع عشر) وهذا الميل

(١) راجع OGIS. 669, II. 32 seq. Cf. Wilcken Grundzüge, 331, 340.

Flacc. 79.

(٢) راجع

يرهن عليه بجلاء المحصول الأدبي الذي أتتجه يهود الاسكندرية في القرن الثاني ق.م. والهدف الهام لهذا الادب كان الاقتراب اكثر فأكثر الى الاغريق وكذلك انشاء ألفة بين الهيلانستىكية واليهودية للبرهنة على أن اليهودية تشمل في جوفها فلسفة حقيقية مفتوحة الأبواب لليهود والاغريق على السواء . وقد قامت الترجمة السبعينية نفسها بالخطوة الأولى نحو التآخى مع الاغريق بما جاء في سفر الخروج (١) . « لا تسب الآلهة » هذا وقد أكدت صيغة الجمع العبرية في كلمة ايلوهيم (= الآلهة) فكأنما قصد بذلك الإشارة الى الآلهة الوثنيين . ولما كان كتاب التوراة يقرؤه يهود مصر بالآغريقية فقط ، فانه كان من المحتمل ان المعنى الحقيقى لهذه الآية لم يكن معروفا لهم ، وانهم اعتقدوا باخلاص في تسامح موسى نحو الآلهة الوثنيين . هذا وقد اتخذ مؤلف « رسالة اريستاس » خطوة أخرى الى الأمام في هذا الصدد باعلانه أن الاغريق واليهود عبدوا الها واحدا بعينه وان الفرق بين الالهين هو الاسم . يضاف الى ذلك خطوة أخرى اتخذها «أرتابانوس» الذى نسب الى موسى تأسيس عبادات وثنية في مصر بما في ذلك عبادة الحيوانات المقدسة (٢) .

هذا ويمكن استخدام « رسالة أريستاس » في أنها احسن برهان كذلك على الميل للتقريب بين اليهودية والهيلانستىكية بصفة محسة ، اذ يمكن اعتبار هذه الرسالة انها اعلان لجماعة المحيين للاغريق في المجتمع اليهودى الاسكندرى . والمقصود هنا ان الملك وحاشيته قد ظهوروا انهم اصدقاء حقيقيين لليهود ، ومن كبار المحترمين للتوراة ، ومن جهة أخرى نعلم أن الاثنيين وسبعين شيخا يهوديا الذين ترجموا التوراة (السبعينية) ، لم يكونوا

Exod. 22-27.

(١) راجع

Freudenthal, Alexander Polyhistor, 143 sqq., 231 sqq.; راجع

Schurer III. 477 sqq.

متفقهين في الادب اليهودي وحسب بل تلقوا تعليما اغريقيا حسنا أيضا (Arist. 121) وقد أكد «أريستاس» أنهم خلصوا أنفسهم من السمات الخسنة التي تتصف بها أخلاق أولئك الاشخاص الذين حرموا من التربية الاغريقية . هذا وكان الملك يقيم لشيخوخ اليهود ولائم سر ، وكانت المحادثات التي تدور فيها تكشف عن حكمة اليهود العميقة التي كانت تسمو كثيرا عن حكمة الفلاسفة اليونان (Arist. 235) ومهما يكن من أمر فانه مما يستحق الذكر أن حكمة الشيوخ اليهود كما ذكرها «أريستاس» لم تكن تخرج عن آراء عادية أخذت عن ملخص من نظام أخلاق اليونان وسياستهم مع بعض إضافات من اعتقاد اليهود في آله واحد لا اله غيره . والواقع ان الفكرة الاساسية التي يبرزها لنا «أريستاس» هي الفكرة المدهشة (الى حد ما) التي تكشف لنا عن أن اليهودية لا تخرج عن كونها الهلانية الحقيقية مزودة بوحداية الله . والمفتاح لفهم رأى «أريستاس» نمر عليه في تصوره للتوراة وترجمته للاغريقية . حقا كان «أريستاس» من كبار المعجبين بالتوراة ، ولكن من المهم جدا ان تؤكد انها التوراة الاغريقية التي اعجب بها ، وذلك ان «أريستاس» في كتابته يبرهن على كمال الترجمة التي وضعها الاثنان وسبعون شيخا ، بكل ما لديه من براهين ممكنة وتنحصر في موافقة الملك وتصاديق المجتمع اليهودي الاسكندري وحتى حماية الله الخاصة (Arist. 311) وقد أعلن صراحة «أريستاس» أن الترجمة صحيحة تماما بل نجدها في بعض المعاني أكثر صحة من الاصل العبري (Arist. 30) . وهذا الابتهاج الذي أظهره اريستاس بالنسبة للتوراة وترجمته قد شاركه فيه كل المجتمع الاسكندري ، فقد رأينا فيما سبق أن اليوم المزعوم الذي تمت فيه الترجمة الى الاغريقية كان يحتفل به سنويا في الاسكندرية . فما هو السبب يا ترى لابتهاج عظيم كهذا ؟ والواقع أنها ليست الا ترجمة عادية ونحن متعودون أن تفكر في أنه ليس هناك قيم روحية

جديدة تخلق بالتراجيم . ومع ذلك فانه من البدهى لم تكن فى نظر «اريستاس» وفى نظر كل اليهود الذين على شاكلته مجرد ترجمة بل كانت بمعنى تعد خلقا جديدا للتوراة ويمكن ان تتحسس لذلك سببا : وذلك أننا قد رأينا فيما سبق ان التوراة قد مرت بتغير عندما ترجمت الى الاغريقية . والواقع انه لم تكن هناك توراة بالاغريقية بل كان اغريقيا فى فكره وتعبيره . فكان فى استطاعة كل فرد أن يقرأ التوراة الاغريقية وفى استطاعة كل انسان أن يقنع نفسه بعمق وصدق الآراء الدينية والخلقية التى أتى بها موسى مانح القانون اليهودى ، وكذلك بأهمية القوم الذين كانوا قد منحوا مثل هذه التعاليم . والواقع ان مركب النقص الذى كان يضرب بأعراقه فى روح كل يهودى محرر من المهاجرين الذين كانوا على اتصال مع اقوام لهم ثقافة عالية ، قد أزيل بدرجة كبيرة بسبب ان التوراة لم يعد بعد كتابا متوحشا مختوما بسبعة أختام بل قد صار مفتوحا لكل العالم المتمدنين ومن ثم اصبح يهود الاسكندرية فى مقدورهم ان يدخلوا بكبرياء العالم الاغريقى بوصفهم رجالا أصحاب مكانة عالية لا بوصفهم سفلة من البرابرة المقهورين . وهذا هو السبب الذى من أجله اكد بشدة ريستاس لليهود ضرورة بقائهم مخلصين لتعاليم التوراة (١) . وذلك لأن الطريق للتحرير الثقافى لليهود كانت ترشد اليه التوراة الاغريقية ، وذلك بمطالعة والتعليق عليه لا عن اهمال تعاليمه . وسواء أكان الاغريق يميلون الى الترحيب باليهود أم لا فهذا أمر آخر (وسنرى بعد انهم لم يكونوا على استعداد للترحيب بهم) ، غير ان اليهود من جهتهم قد عملوا كل الاستعدادات الضرورية ليضمنوا لكل من الأمتين ان يتقابلوا على اساس المصادقة . وهذا يفسر القصد العميق لمجهود « اريستاس » ليرهن على أن الاغريق كانوا مهتمين بترجمة التوراة ، وأن فكرة الترجمة باكملها ترجع الى علماء بلاط

بطليموس الثانى والى الملك نفسه . ومن ثم فهم أن التوراة لم تصبح حلقة اتصال بين العالمين المختلفين اليهودى والاغريقى الا بموافقة الاغريق . هذا هو الملخص النهائى لدعاية « اريستاس » وقد ظلت طبقة عليا القوم من سكان يهود الاسكندرية مخلصه لمنهاجه الى ان انفجر بركان الكراهية التى كان يكتنحها شعب الاسكندرية فى قوسهم لليهود وأخذوا يهزأون بهم .

والحديث عن حالة حياة اليهود فى الاسكندرية يقودنا الى أن تتساءل فيما اذا كان تحرر اليهود فى جهات أخرى فى مصر كان يتبع نفس الخطوط الرئيسية أم لا ؟ والجواب على هذا السؤال هو بالنفى : وذلك لأن اليهود فى القرى كانوا يسلكون مسلكا مختلفا . وتفسير ذلك ان يهود الاسكندرية فقط ومن بينهم بوجه خاص الطبقة الراقية هم الذين كانوا فى حاجة الى تبرير منطائى كالذى قدمه لنا « اريستاس » لوضعهم بالنسبة للاغريق . ولا نزاع فى ان مستوى سكان الريف من اليهود من الوجهة الاجتماعية والعقلية كان صراحة أحمق من مستوى اليهود الاسكندريين .

وقدم لنا الأوراق البردية براهين على عملية امتصاص مختلفة وأعنى بذلك امتزاج القرويين اليهود بالسكان المصريين . والواقع ان الثقافة الاغريقية لم تكن قوية على نطاق واحد فى كل مكان من البلاد المصرية ، وذلك أنها بعد كل شئ لم تكن الا نباتا أجنبيا فى حين ان الثقافة المصرية على العكس كانت متأصلة فى حياة التربة المصرية ، ونجد فى النهاية ان السكان الاغريق قد تأثروا الى درجة ما ببيتهم المصرية . ومن ثم نجد يهودا سموا أنفسهم بأسماء مصرية فى الأوراق البردية . وهؤلاء اليهود كانوا رعاة وفلاحين وصناعا يسكنون فى قرى ملاصقة لجيرانهم المصريين ولدينا وثائق عدة وبخاصة من اقليم « طيبة » تكشف لنا عن جهل المواطنين القرويين ، وكثير منهم لا يستطيع كتابة اسمه بالاغريقية ، ولا غرابة اذا أن كان هناك يهود

لا يمكنهم ان يكتبوا اسماءهم بالاغريقية ايضا .

Corpus, P. 190, No. 46; Ibid. P. 222, No. 107.

فهل كانوا يعرفون أية لغة أخرى؟ وعلى أية حال كانوا لا يعرفون العبرية ذلك لأن اللغة العبرية لم تكن الحاجة ماسة إليها . بسبب ان التوراة الاغريقية كان يقرأ في الأرياف كما كان يقرأ في الاسكندرية على حد سواء (١). (Yazaros)

وليس من المرجح ان اللغة الأصلية لأفراد من اليهود مثل سيمون بن باعز (٢). صانعى الفخار في القرية السورية التي جاء ذكرها في المتن رقم ٤٦ (٣) . كانت لغة آرامية ، وذلك لأنه في خلال القرنين الثاني والأول ق.م. كانت اللغة الآرامية على ما يظهر يستعملها فقط المهاجرون الذين وفدوا حديثا على مصر . وعلى ذلك فانه من المحتمل جدا ان لغتهم كانت المصرية كما كانت اللغة العامة لكل الأرياف التي حولهم . (وما يجدر ملاحظته في هذا الصدد ان الاغريق واليهود كانوا متأثرين ببيئتهم المصرية فقد سمو انفسهم بأسماء مصرية وتكلموا المصرية وعبدوا آلهة مصرية (٤) . يضاف الى ذلك أنه حتى بعض الكاهنات من اليهود الخاصات بملكات مصر المؤلهات ، اللائى قد اخترن من أشد الأسرات تمسكا بالارستقراطية كن يسموز بأسماء مصرية خالصة (٥) . وعلى ذلك فان اليهود الذين كانوا من هذا النوع لم يكن في مقدورهم تجنب تأثير البيئة الشامل . اما أولئك الذين حاولوا البقاء على يهوديتهم فكان في مقدورهم عمل ذلك فقط بسبب اخلاصهم الراسخ لأصلهم القومي وديانتهم . فكانوا يراعون تعاليم التوراة لمجرد انها مكتوبة في التوراة . وكانت المحافظة على العطلة يوم السبت على ما يظهر هامة لهم .

Ryl. 458 (= C.H. Roberts, Two Biblical Papyri in the راجع (١)
John Rylands Library 1936.

Corpus, P. 222, No. 107.

راجع (٢)

Corpus, P. 192, No. 46.

راجع (٣)

W. Chr. 50, 51, 136.

راجع (٤)

Wilcken. Arch. XIII. 136.

راجع (٥)

فنفراً في الوثيقة رقم ١٠ (١) . أن رجلاً من ضيعة ابولونيوس في قرية فيلادلفيا يحتمل أنه مدير أعمال مبان لم يعمل في يوم السبت ، ويجب علينا لتقدير تمسك اليهود بعطلة يوم السبت أن نعيد الى الذاكرة مقدار العمل العظيم الذي كان ينجز على يد المستعمرين الجدد وسرعة العمل وشدة نظار الأعمال مثل «ابولونيوس» و «زينون»

وبطبيعة الحال كان الشعور القومى عند يهود مصر موجها نحو فلسطين وقد اظهرنا من قبل ان تأثير فلسطين في السنين الأولى من عهد البطلمة لم يكن بحال من الأحوال «قومية» وقد بقيت نفس الروح متبعة في عهد «بطليموس فيلومتور» الرابع. هذا ولم يكن أونياس الرابع بن الكاهن الأكبر، الذى فر الى مصر مع حشد من أتباعه من اتباع يهودا مكابايوس ، فقد كان عليه بدلا من مغادرة مسقط رأسه باحثا عن ملجأ فى الخارج ، ان ينضم الى حركة المقاومة . والظاهر أنه لم يكن عدوا للاغريق ، بل من الممكن أنه كان يميل الى الهيلانية ، ولو انه كان بطبيعة الحال معارضا بدوره لقواد الحزب الهيلانى فى اورشليم الذين كانوا أجرموا فى حقه بقتل والده ، وهذا يمكن ان يفسر بالعمل الرئيسى الذى احرزه فى حياته وهو بناء معبد يهودى فى ليوتوبوليس (تل المقدام الحالى) . والواقع أن بناء مركز دينى كهذا كان يعد مخالفة صريحة لتعليم كتاب التوراة الذى يقول ان الله لا ينبغي ان يعبد الا فى مكان واحد يختاره الله نفسه ، كما كان لا يمكن انجازها الا على يديهودى لم يكن يشعر بأنه مجبر على أن يحافظ بالتفصيل على تعاليم التوراة . وقد اقترح العلماء الأحداث ان عمل أونياس هذا يرجع الى سببين . الأول رغبته فى أن يمد يهود مصر بمركز دينى خاص بهم ، والآخر هو اقامة معبد حقيقى بدلا من معبد اورشليم ، الذى دنسه أصحاب الميول الهيلانستىكية. فالسبب الأول لا يفسر اقامة معبد «ليوتوبوليس» وذلك لأن

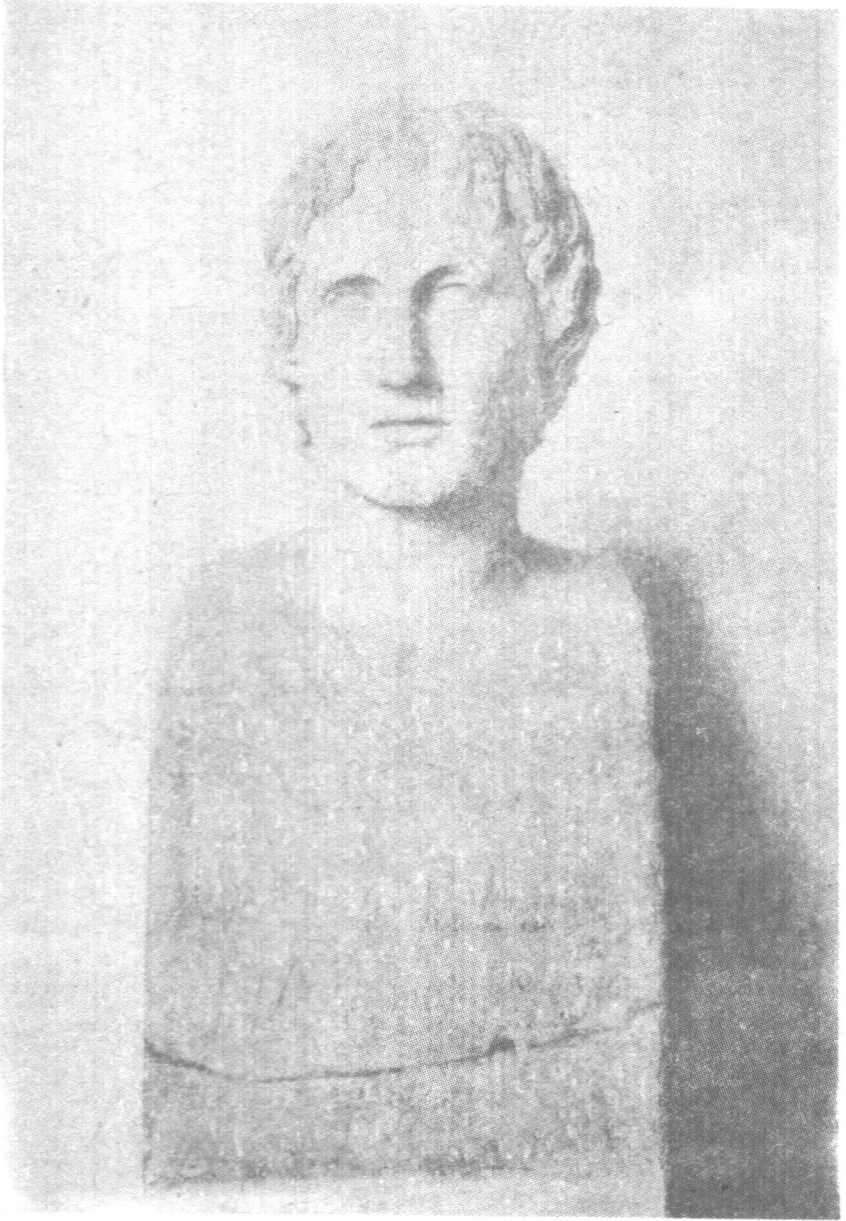
مركز اليهودية المصرية كان الاسكندرية لا في مكان غير معروف في ريف مصر وخلافا لذلك فان أونياس كان يمكن ان يقيم معبدا ليهود مصر اذا كان هؤلاء اليهود قد رغبوا في ان يقيم لهم مثل هذا البناء . وسنرى أن يهود مصر لم تمر معبد «أونياس» التفاتا أما السبب الثاني فانه يكون صحيحا اذا فرضنا أن المعبد كان قد أقيم قبل عام ١٦٤ ق.م ؛ وذلك لأنه بعد هذا التاريخ لم يكن من الممكن أن يعتبر مدنا نجسا . ونحن لانعرف السنة التي أقيم فيها معبد «أونياس» ولكن المرجح أنه قد أقيم بالقرب من نهاية مجال حياته لا في بدايته والسبب الحقيقي لاقامة هذا المعبد يحتمل أن يكون لرأى سياسى من جانب حكومة البطالمة هذا بالإضافة الى غرور «أونياس» المخاطر الذى كان يرغب في الظهور بلباس الكاهن الأكبر المقدس مستعرضا نفسه للناس . والواقع أن «أونياس» لم يكن في مقدوره أن ينسى قط وظيفة الكاهن الأكبر أى ان القيادة السياسية لقوم اليهود كانت حقه ، لا حق المختصين لها في اورشليم . وهذه المطامع التى كانت تقس «أونياس» تصبو اليها لم تجد ترحيا الا من الحكومة البطلمية التى كان في مقدورها أن تستعمل اقامة معبد ليوتوبوليس كوسيلة ضد دعاية السلوكيين بين يهود فلسطين . ونحن هنا لا نتحدث عن السياسة البطلمية ، ولكن بحثنا في اليهودية المصرية . ومن الحقائق الثابتة أنه لا يوجد في كل الأدب الاسكندري أى ذكر لمعبد «أونياس» . أما معبد «أورشليم» من جهة أخرى فكان دائما في منزلة عالية من جانب اليهود المصريين وحتى من جانب اليهود المصبوغين . بالصيغة الهيلانستكية مما برهن مؤلف «رسالة اريستاس» على اعجابهم العميق واحترامهم لمعبد «أورشليم» . وهذا يدل على الحجج الى «أورشليم» وجمع المال للمعبد هناك كما شوهد ذلك غالبا في العهد الرومانى المبكر ، على ان شعائره كانت تؤدى في عهود البطالمة . ومن ثم يمكننا أن نعتبر اقامة معبد «أونياس» لم تكن بمثابة مظاهرات من جانب يهود مصر تدل على أحاسيس معادية لأورشليم بل كان عمل رجل مخاطر

وأنة عمل ليس له أهمية دينية أو قومية .

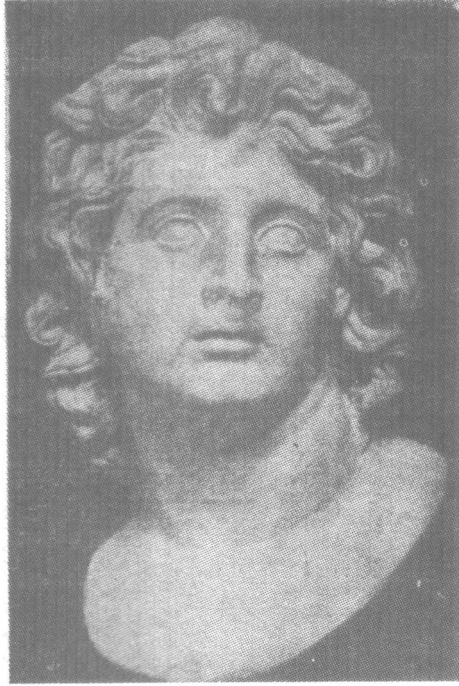
هذا وكانت خيبة «أونياس» في أن يؤثر على يهود مصر منتظرة وذلك لأن عواطفهم بالميل الى دولة اليهود المسمونية الجديدة تظهر بوضوح احساسهم . وعلى الرغم من أن المهاجرين الوافدين من فلسطين الى مصر كانوا في العادة أعداء للحكام الجدد فان تأثيرهم كان مهملًا . وقد رأينا فيما سبق أن مثل هذه الميول العاطفية كان لها رد فعل سياسى كما يظهر ذلك من الدور الذى لعبه القائد اليهودى مع كليوبترا الثالثة أثناء حربها في فلسطين كما سبق ذكره ومن الطبعى لدى الحكومة المسمونية أن تشجع على انماء هذه العواطف . وقد حول مرتين على اغراء اليهود المصريين للاحتفال بالعيد الجديد الذى افتتحه المسمونين «هانوكاه» .

ومن المرجح أن الاحتفال «باليروم» في مصر كان كذلك جزءا من دعاية المسمونين السياسية . على أن الأدب العبرى الجديد حتى ولو كان غير مختص بالمسمونين فانه أضاف كذلك الى حب فلسطين واعزازها بين اليهود المصريين مثال ذلك كتاب «يسوع سيراخ» الذى أظهر فيه معارضة للوثنية، وكان دائما على استعداد لتعليم تلاميذه كيف يحاربونها (١) . أو قصة يوديث (Judith) المقصية بالعاطفة القومية ، وحتى نجد المعارضين الجدد للمسمونين وهم القارسيون الذين هربوا الى مصر من اضطهاد ملوك الصدوقيين كانوا عاملا كبيرا في زيادة التأثير الدال على أن فلسطين قد أصبحت مشهدا لحياء القوى . وتأثير فلسطين هذا كان له رد فعله على الأدب الاسكندرى أيضا ، ولم يكن لكتاب مثل « اريستاس » هوى مع المسمونين .

ومن المحتمل جدا كذلك أنه كان في ذهنه هذا الطراز من اليهود الفلسطينيين عندما كان يتكلم عن السمات البربرية الخشنة في أخلاق اليهود. ومع ذلك فانه في الوقت نفسه الذي كانت تدعو فيه مقال أريستاس الى التفاهم القلبي بين الاغريق واليهود ، كان هناك كاتب يهودى آخر من المشردين يدعى « باسون السيرينى » الذى كتب تاريخا في خمسة أجزاء عن الحركة الوطنية في فلسطين ومدح بحرارة زعيمها «يهودا مكابايوس» ، ووصف الاغريق وأتباعهم من اليهود بأنهم مستبدون قساة وخونة أشرارا . وقد لخص تاريخ «باسون» يهودى مصر وهذا الملخص معروف بالكتاب الثانى للمكابين . وقد كان نفس الكره يملأ قلب كاتب اسكندرى غير معروف . حشر قطعا من عنده في الرواية الاغريقية لسفر « استر » ، وبذلك نقل القصة من موضعها الفارسى الى بيئات بلاط هيلانستيكي ودمغ «هامان» بأنه مقدونى ، وقد كان ذلك بداية اتجاه جديد في الأدب الاسكندرى وهو اتجاه مضاد من أساسه لوجهة نظر «أريستاس» المحب للهيلانستىكية ومن شابهه من الكتاب . وبعد مضى زمن قصير أى في باكورة الحكم الرومانى في مصر بلغ هذا الاتجاه قمته في الانتاج الأدبى مثل كتاب المكابين الثالث أو حكم سليمان . وقد تصادم هذا الكره للاغريق الذى زيد في حدته بانبعاث الروح القومية في فلسطين ، بما يقابله من كره الاغريق لليهود ، وقد استمد هذا المراك قوته من الأحوال السياسية في دولة كانت تتدهور بسرعة وكذلك من حماس الاسكندريين الوطنى . والظاهر أن الأمل كان ضعيفا في أن العصر المقبل سيقدم سلاما وأمانا لليهود في مصر فقد كان مكرهم وخداعهم ودسائسهم مدعاة الى تألب الرومان عليهم والتنكيل بهم الى أقصى حد .



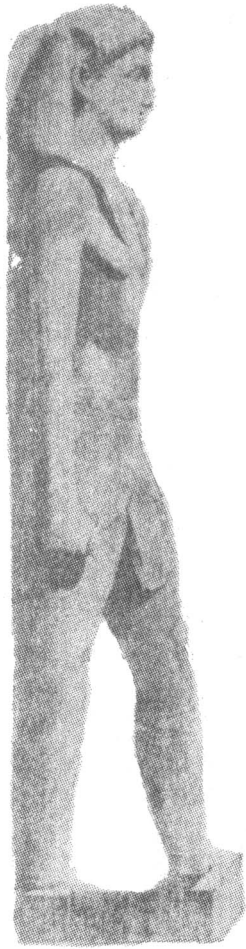
(شكل ١) تمثال نصفى لالاسكندر الاكبر (متحف اللوفر)



(شكل ٢) تمثال نصفي لالاسكندر الاكبر بمتحف روما



(شكل ٣) صورة الاسكندر الاكبر وهو يحارب ماخوذة عن
صورة تابوب صينا)



(شكل ٤) نقد سك عليه صورة
للاسكندر الاكبر ممثل بقرنين

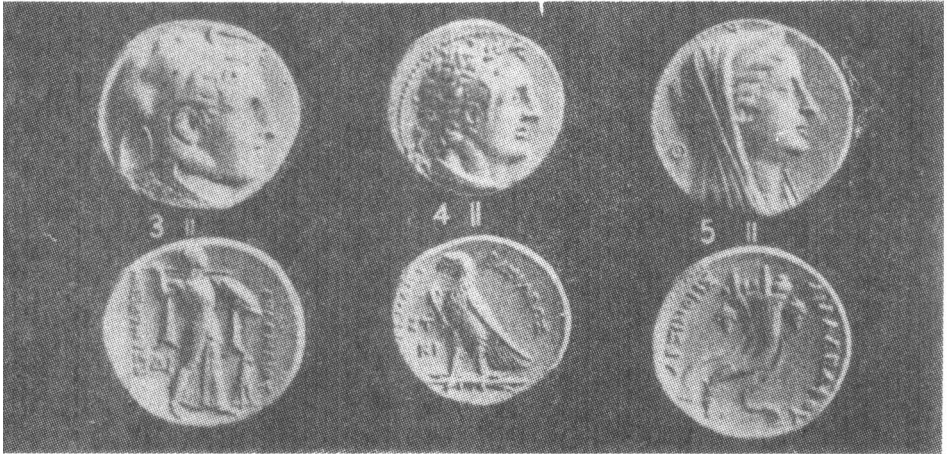
(شكل ٥) تمثال الاسكندر
الثانى فرعون مصر (متحف القاهرة)



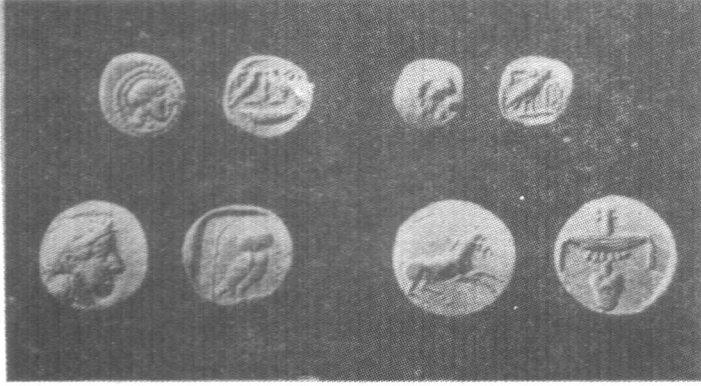
(شكل ٧ ب) عملة بطليموس
الثانى وزوجته أرسنوى



(شكل ٧ أ) عملة عليها صورة رأس
بطليموس الاول سوتر



(شكل ٨) قطعة نقد تساوى أربعة درخمت من الفضة من
عهد بطليموس الاول وعلى ظهر النقد رأس الاسكندر بمسلاخ
فيل (٤) قطعة نقد من عهد بطليموس الاول وعلى وجهها
مثل بطليموس الاول وعلى رأسه اكليل ودرع لحمايته وعلى
ظهرها مثل نسر . (٥) قطعة نقد تساوى ثمانية درخمت
باسم أرسنوى (ضربها بطليموس الثانى بعد موتها) ومثل
على وجه هذه القطعة رأس أرسنوى الثانية وصور على ظهرها
قرن الكثرة .

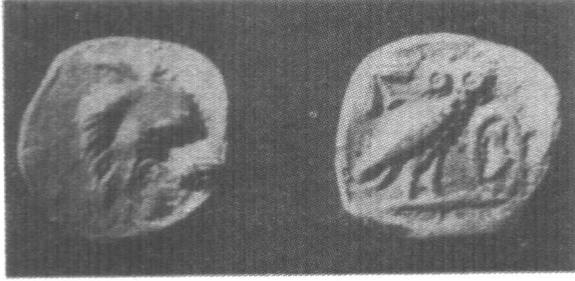


(٢)

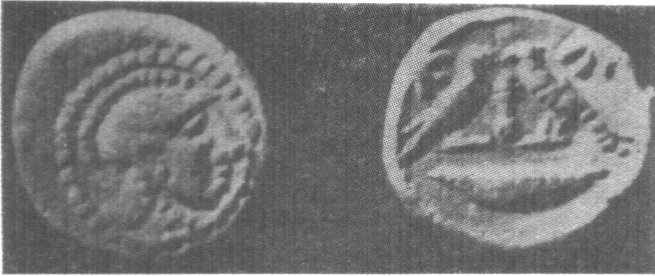
(٣)

(٤)

(٥)



نفس العملة مكبره (٢)

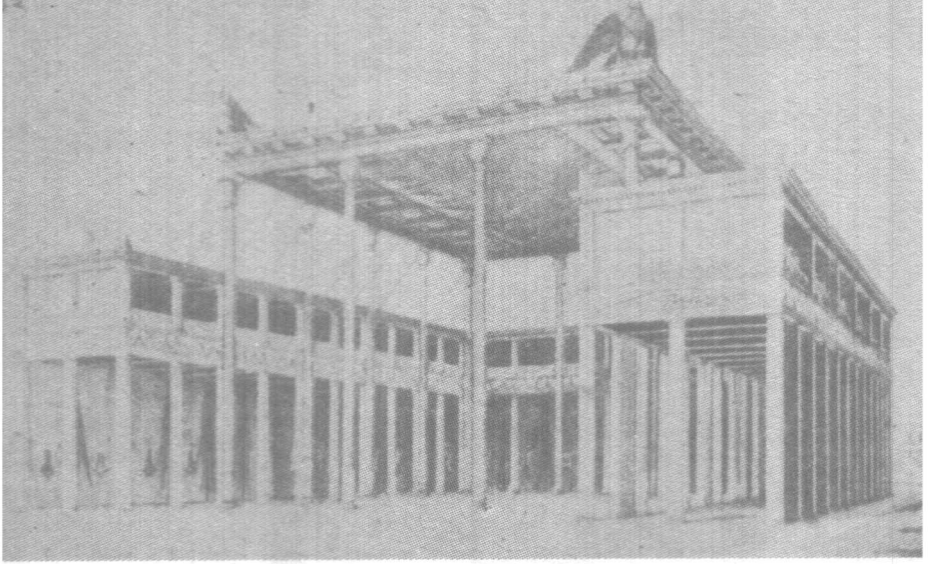


نفس العملة مكبره (٤)

(شكل ٩) نقود مصرية ضربت في عهد الاسرة الثلاثين
رقم ٢ من عهد نقتانب الاول ورقم ٣ ، ٤ من عهد الملك
تيوس ورقم ٥ من عهد الملك نقتانب الثانى



(شكل ١٠) تمثال نصفى لبعلليموس الثانى



(شكل ١١) ابوان ولائم بطليموس الثانى



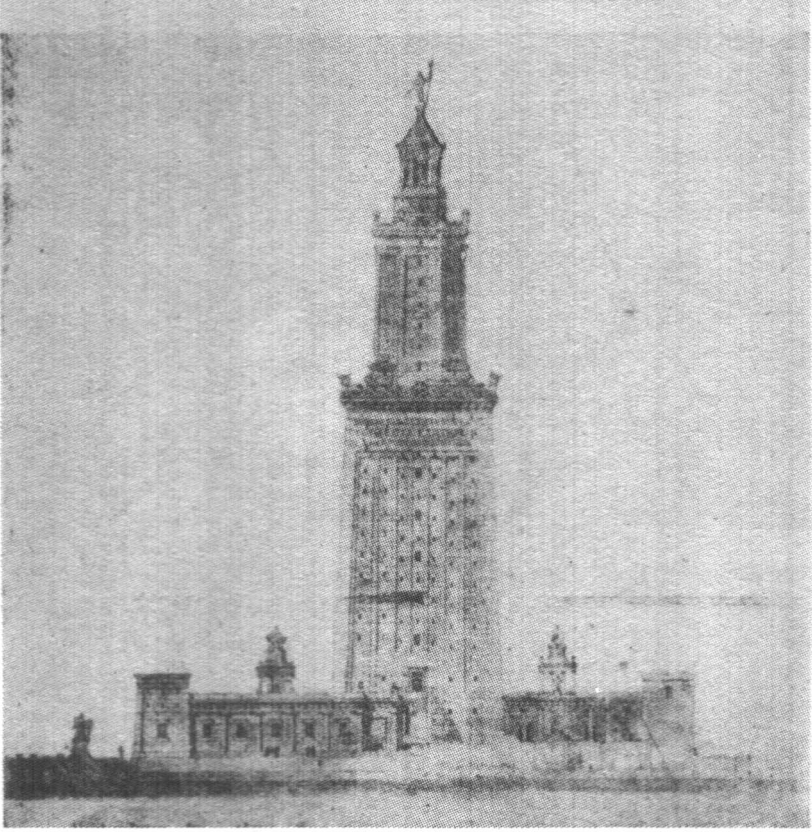
(شكل ١١) رأس من الرخام تمثل الملكة أرسنوى الثانية زوج
بطليموس الثانى (متحف الاسكندرية)



(شكل ١٣) رأس نصفى للاله
« سيرايس » (المتحف المصرى)



(شكل ١٤) تمثال الاله
« سيرايس » (متحف الاسكندرية)



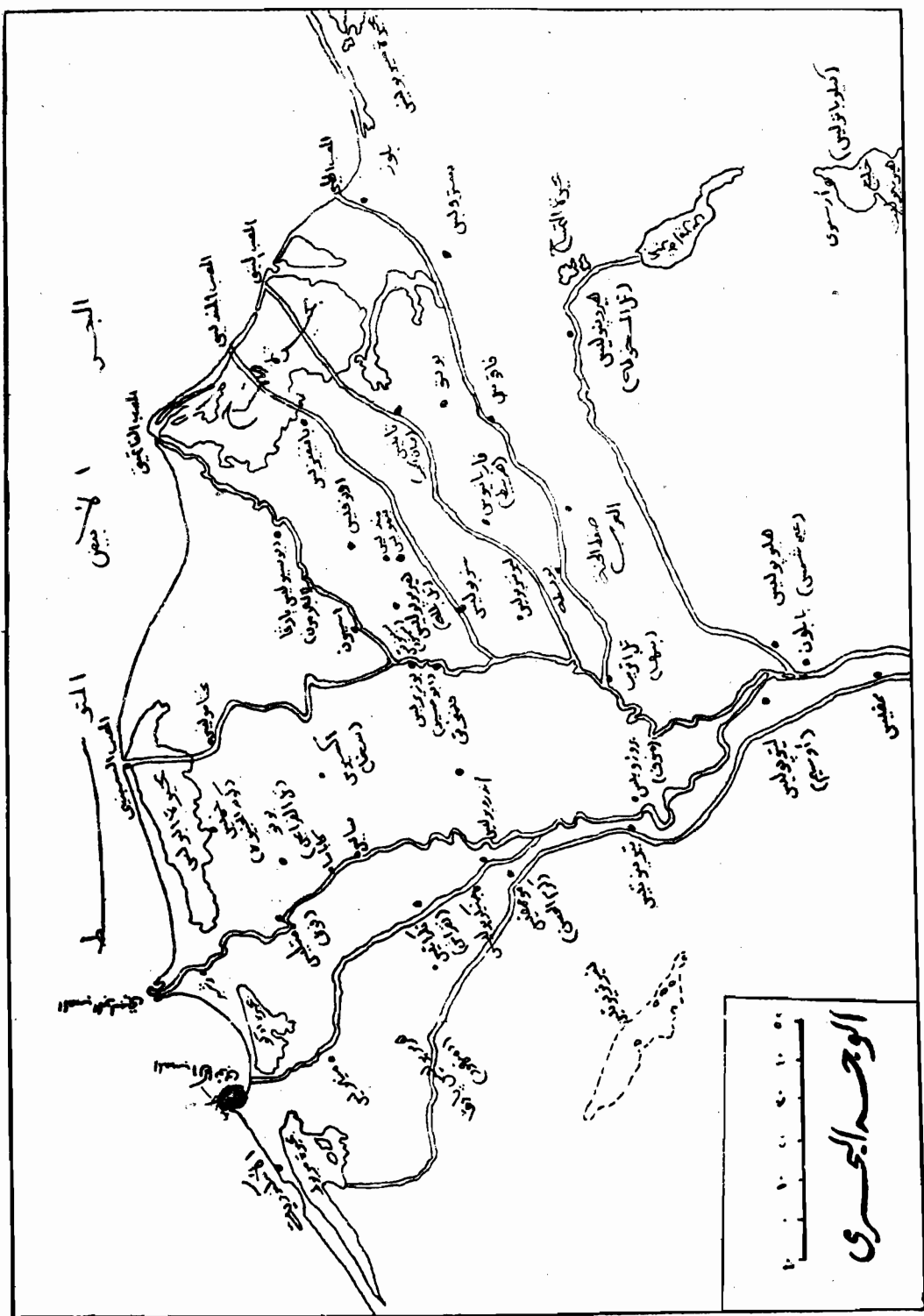
(شكل ١٥) منارة الاسكندرية

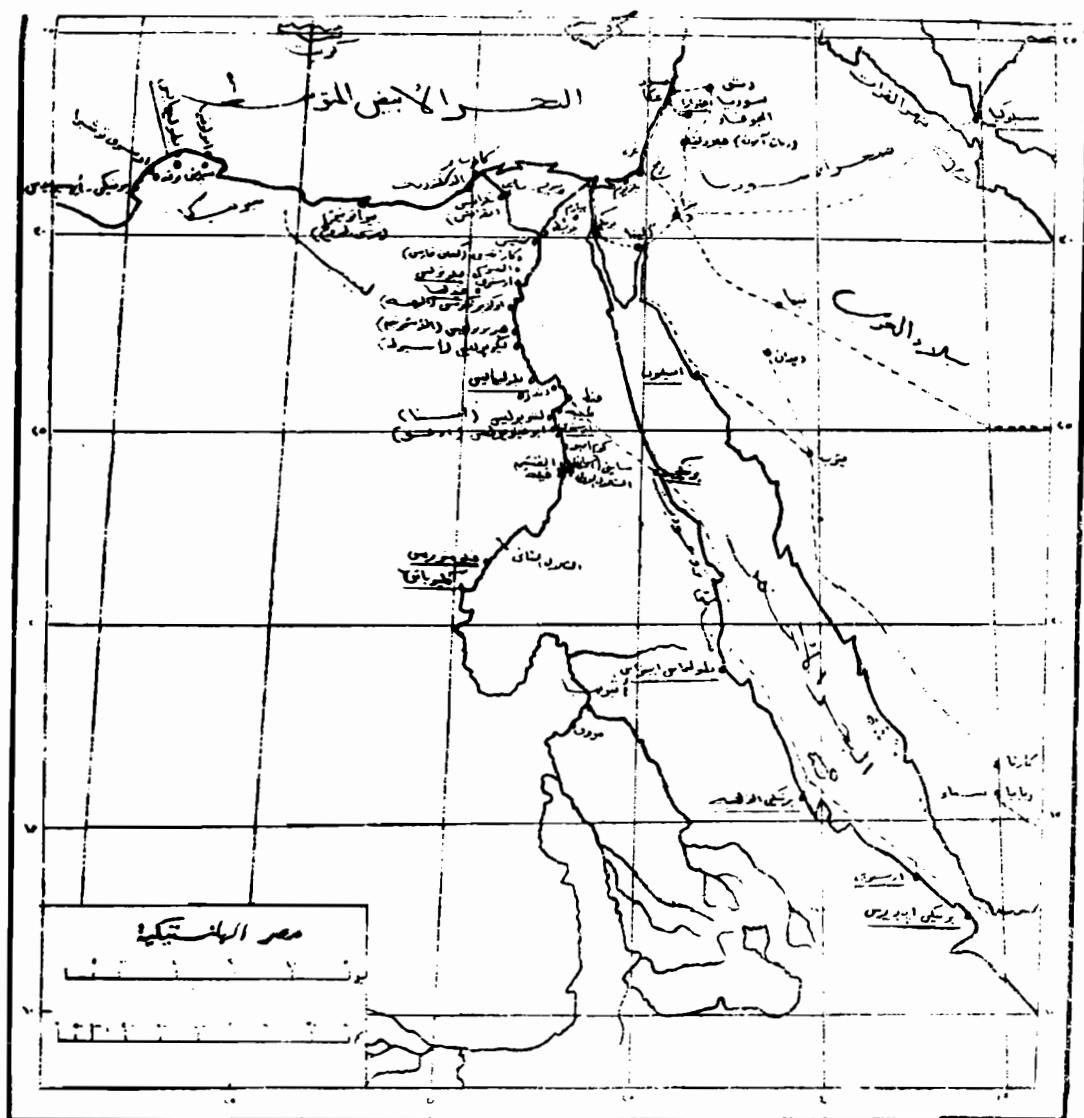


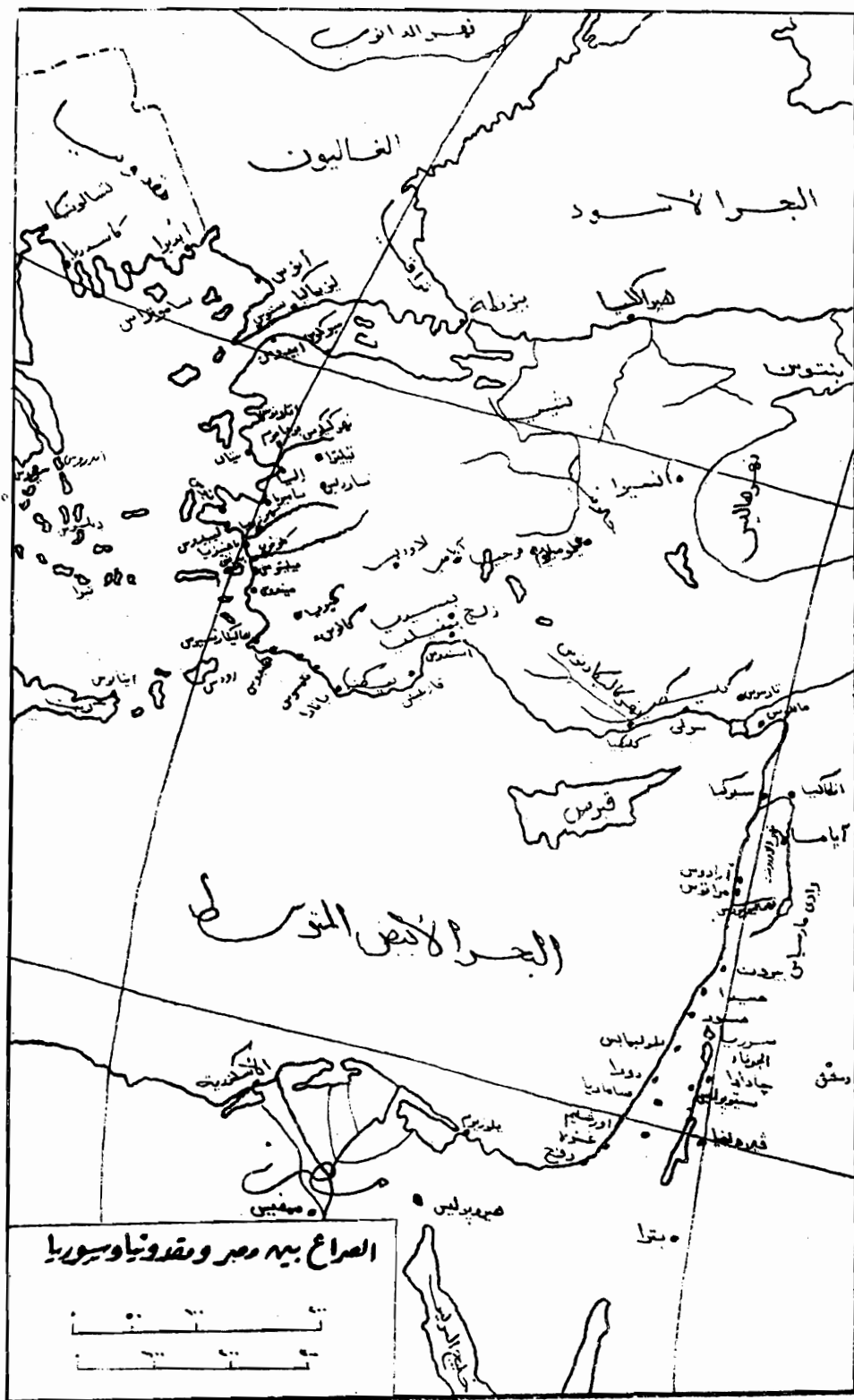
(شكل ١٦) تمثال نصفى يمثل مدينة الاسكندرية



(شكل ١٧) صورة تمثل الغصب والكثرة في مصر البطلمية









مقیاس خطی
۱:۱۰۰۰۰۰
۰ ۱۰ ۲۰ ۳۰ ۴۰ ۵۰ ۶۰ ۷۰ ۸۰ ۹۰ ۱۰۰

قائمة بتواريخ ملوك مصر من عهد الفتح الاسكندري

- (١) الاسكندر الأكبر خريف عام ٣٣٢ (؟) الى ١٣ يونية ٣٢٣ قم
(٢) فليب اريداوس ١٣ يونية ٢٢٣ الى ١٠ ابريل ٣١٦ قم
(٣) الاسكندر الرابع ١٠ ابريل ٣١٦ الى ٦ يناير ٣٠٤ قم
(٤) بطليموس الأول ٦ يناير ٣٠٤ الى أول نوفمبر ٢٨٤ قم
(٥) بطليموس الثاني ٢ نوفمبر ٢٨٥ الى ٢٧ يناير ٢٤٦ قم
(٦) بطليموس الثالث (إريجيئيس) ٢٧ يناير ٢٤٦ الى ١٦ فبراير ٢٢١ قم
(٧) بطليموس الرابع فيلوباتور ٢١ فبراير ٢٢١ الى ٢٨ نوفمبر ٢٠٥ قم
(٨) بطليموس الخامس إيفانس ٢٨ نوفمبر ٢٠٥ الى ٢٠ مايو ١٨٠ قم
(٩) بطليموس السادس فيلومتور ٢٠ مايو ١٨٠ الى ١٢ نوفمبر ١٧٠ قم
(١٠) بطليموس السادس فيلومتور
وبطليموس الثامن إريجيئيس الثاني ١٢ نوفمبر ١٧٠ الى ١٣ أكتوبر ١٦٤ قم
وكليوباترا الثانية
(١١) بطليموس الثامن (إريجيئيس الثاني) وحده مباشرة في أكتوبر ١٦٤ قم
مايين أول أبريل و ٢٩ أو ٢٤ مايو سنة ١٦٣ قم
(١٢) بطليموس السادس وكليوباترا الثانية يستردان الملك
مايين أول ابريل (؟) أو ٢٤ مايو ١٦٣ حتى ٢٧ سبتمبر ١٤٥ قم
(١٣) بطليموس السابع نيوس فيلوباتور حوالى ٢١ أغسطس ١٤٥ قم
(١٣) بطليموس الثامن ٢١ أغسطس ١٤٥ الى ٢٨ يونية ١١٦ قم
(١٤) كليوباترا الثالثة وبطليموس التاسع
سوتر الثاني (سوتر لا تيروس) ٢٨ يونية الى ٣٠ أكتوبر ١٠٧ قم

- (١٥) كليوبترا الثالثة وبطليموس } من ٣٠ أكتوبر ١٠٧ إلى ٢٦ أكتوبر ١٠١ ق م
المائرا الاسكندر الأول
- (١٦) بطليموس المائرا الاسكندر } ٢٦ أكتوبر ١٠١ إلى ٤ أكتوبر ٨٨ ق م
الأول وكليوبترا برنيكي
- (١٧) بطليموس التاسع سوتر } ٤ أكتوبر ٨٨ إلى ٢ ديسمبر ٨٨ ق م
الثاني لانيروس أعيد للملك
- (١٨) كليوبترا برنيكي بعد ذلك } من (؟) ديسمبر سنة ٨١ إلى فبراير سنة ٨٠ ق م
مع بطليموس الحادي عشر
الاسكندر الثاني } أو من (؟) يولييه إلى سبتمبر سنة ٨٠ ق م
- (١٩) بطليموس الثاني عشر تيوس ديونيسوس من سبتمبر سنة ٨٠ إلى ١١ يولييه ٥٨ ق م
(الزمار)
- (٢٠) برنيكي الرابعة أولا مع } ١١ يولييه إلى سنة ٥٨ إلى ٦ إبريل سنة ٥٦ ق م
كليوبترا تريفانا
- (٢١) برنيكي الرابعة وارخلوس ٧ مارس سنة ٥٦ إلى ٢٢ إبريل سنة ٥٥ ق م
- (٢٢) بطليموس الثاني عشر نيوس ديونيسوس ٢٢ إبريل سنة ٥٥ إلى ٢٢ مارس ٥١ ق م
الزمار (أعيد للملك)
- (٢٣) كليوبترا السابعة فيلوباتور من ٢٢ مارس سنة ٥١ إلى ٣٠ أغسطس سنة ٣٠ ق م
- (٢٤) القيصر أوكتاف أغسطس من ٣١ أغسطس سنة ٣٠ ق م

فهرس الموضوعات

تاريخ مصر فى عهد الاسكندر الأكبر وبداية عهد البطالة

صفء	
١	الاسكندر الأكبر فى مصر
٢	الحالة الدولية فى العالم عند تولى الاسكندر
٤	مملكة مقدونيا ، وبلاد الافريق
١٢	متاعب الاسكندر الاسرية
١٥	تأسيس مدينة الاسكندرية
٢٩	زيارة الاسكندر واحة سيوة
٥٤	اثر الحضارة المصرية القديمة فى الحضارة الافريقية
٥٥	١ - تاليس
٥٦	٢ - أناكزيماندر
٥٧	٣ - أناكزيمين
٥٧	٤ - فيثاغور
٥٨	٥ - هيراكليتوس
٥٨	٦ - أكرنوفون الكلوفونى
٥٩	٧ - اميدوكليز
٥٩	٨ - اناجراجوراس
٦٠	٩ - لوسبى وديموكريتوس
٦٣	عودة الاسكندر من واحة سيوة
٦٦	حكومة مصر فى عهد الاسكندر
٧١	الخلاف على تولى الملك بعد موت الاسكندر
٧٩	الاثار التى خلفها الاسكندر الأكبر فى مصر
٨٠ - ٩٠	اهم آثار الاسكندر الممهورة باسمه
٩٠	فرعون مصر فليب أريدايوس ، والاسكندر الثانى
٩٠	بطليموس بن لاجوس
٩٨	حرب لاميا والحملة على مصر
١٠٥	بطليموس وانتيجونوس
١٠٥	تاريخ العلاقات البحرية بين مصر وسوريا
١١٤	من أقدم المهود حتى عهد البطالة
١١٥	موت «انتيباتر» وتولية «بوليرشون» وصيا على الامبراطورية
١٢٠	التزاع بين بوليرشون وكاسندر
١٢٧	بطليموس وأخلاء سوريا
١٤٣	غزو سوريا
١٤٩	الاثار التى خلفها الملك «فليب أريداوس»
١٥٠	اسرة الفرعون «فليب أريداوس»
	أثر الملك الاسكندر الرابع

١٦٨	الفرعون بطليموس الأول سوتر
١٧٤	حالة البلاد المصرية عند تولى بطليموس
١٨١	النزاع بين بطليموس الأول و أنتيجونوس
١٨٨	بطليموس وسوريا بعد موقعة اسوس
١٩٤	نهاية عهد بطليموس الأول
١٩٨	المدنية في عهد بطليموس الأول
٢٠٤	التوفيق بين الأفريق والمصريين من
	الوجهة الدينية في عهد بطليموس الأول
٢٠٥	عبادة سيرايس وازيس وانتشارها
	في العالم
٢٢٢	الاسكندرية في عهد بطليموس الأول
٢٣٦	الدور الذي قامت به الاسكندرية في
	الأدب والعلوم خلال حكم البطالة
٢٣٨	تأسيس المكتبة والموزيون في الاسكندرية
٢٣٩	المكتبات في أقدم عهود التاريخ
٢٦١	كتاب الأدب الأفريق في الاسكندرية
٢٦٢	المؤلفات النثرية
٢٦٩	الجغرافيا
٢٧١	أراتوستينس
٢٧٢	الشعر في الاسكندرية
٢٧٦	الطب في الاسكندرية
٢٨٢	الفلك
٢٨٣	الرياضيات
٢٨٤	الفن
٢٨٦	سرة بطليموس الأول
٢٨٨	آثار بطليموس الأول
٢٩٨	المصادر الديموطيقية التي من عهد
	بطليموس الأول
٣٠٣	أوراق البردى في المتحف البريطاني
٣١٤	أوراق سجل فيلادلفيا المحفوظة
	بمتحف بنسلفانيا
٣١٨	عقد بيع من عهد بطليموس سوتر الأول
٣٢٤	خلاصة سياسة بطليموس الأول ونتائجها
٣٤٥	عصر بطليموس الثاني
٣٤٨	تولى بطليموس الثاني الملك
٣٥١	طراز الحكم الذي سار على نهجه بطليموس الثاني
٣٥٥	النضال بين بطليموس الثاني وأخوته
٣٦٠	الحرب السورية الأولى
٣٧٦	حرب كرىمونيديس

٢٨٨	الحرب السورية الثانية
٢٩٤	بداية الحرب السورية الثالثة
٢٩٩	حالة أملاك بطليموس الثاني عند وفاته
٤٠٣	الفيوم وفيلادفيا
٤٠٩	بطليموس الثاني والنهضة العلمية التي قامت في عهده
٤١٠	نظام الحكم في عهد بطليموس الثاني
٤١٨	الأسطول
٤٢٩	اقسام مصر الجغرافية في عهد البطالة الأول
٤٣١	مقاطعات مصر في العهد البطلمي
٤٣٧	١ - مقاطعة لوبيا
٤٣٩	٢ - مقاطعة منيلايت
٤٤١	٣ - مقاطعة الدلتا
٤٤٢	قوائم المقاطعات في المعابد البطلمية
٤٤٣	اوراق موريس
٤٤٥	قوائم المعابد
٤٤٧	المراكز الاضافية في الوجه القبلى
٤٤٩	المركز الثاني والعشرون
٤٥١	المركز الثالث والعشرون
٤٥٢	المركز الرابع والعشرون
٤٥٣	المركز الخامس والعشرون والسادس والعشرون
٤٥٤	المركز السابع والعشرون
٤٥٤	المركز الثامن والعشرون
٤٥٥	المركز التاسع والعشرون
٤٥٥	المركزان الثلاثون والحادى والثلاثون
٤٥٦	المركز الثانى والثلاثون والثالث والثلاثون
٤٥٧-٤٦٤	المراكز الاضافية للوجه البحرى
٤٦٥	المركز الخامس والثلاثون الى الثامن والاربعين نظام الحكم في المقاطعات
٤٧٠	الادارة في الممتلكات المصرية خارج مصر
٤٧١	نظام الحكم في قبرص في عهد البطالة الاول
٤٧٢	نظام الحكم في قرنيقا
٤٧٩	القضاء
٤٨١	القانون المصرى
٤٨٢	النظام الاقتصادى في عهد بطليموس
٤٩	احتكر الزيت
٥٠٢	تجلىر الزيت
٥٠٨	الضرائب على الزيت - نتائج احتكار الزيت

٥١١	احتكار ورق البردى
٥١٦	احتكار الثروة المعدنية
٥٢٢	الحديد
٥٣٣	احتكار النقد والمصارف في عهد البطالة الاول
٥٣٤	النقود في مصر القديمة
٥٤٢	النقد المصرى في العهد الهيلانىسيكى
٥٥٣	المصارف وأعمالها في عهد بطليموس الثانى
٥٦٨	موارد الضرائب الاخرى التى لم يشدد عليها الاحتكار الخناق
٥٧١	صناعة النسيج - صناعة لصوف
٥٧٦	صناعة الجعة
٥٨٢	زراعة الزيتون والنباتات الاخرى التى غرست في عهد بطليموس الثانى
٥٨٥	الفاكهة والخضر
٥٨٦	الافاويه وسيطرة الملك عليها
٥٨٧	وسائل النقل
٥٨٩	التموين
٥٩٠	الضرائب
٥٩٠	الاحوال الاقتصادية والاجتماعية في العهد البطلمى الاول
٥٩٤	المعبد
٦٠٣	ضباط الجيش وجنوده
٦٠٥	ملاك الاراضى والبيوت
٦٠٦	ملتزمو الضرائب أو مؤجروا الضرائب
٦١٢	الحياة الاجتماعية للطبقة الدنيا في مصر وعلاقتها بالحكام الاغريق
٦٢٦	المواصلات
٦٢٨	الجعة
٦٣٠	مهندسو العمارة والعمال
٦٣٥	البستانيون
٦٣٨	رجال الشرطة
٦٥٢	موقف المصريين من الادارة الاغريقية
٧٢٩	اليهود في مصر في العهد البطلمى
٧٤٣	حالة اليهود الاجتماعية
٧٤٤	الجنود اليهود في مصر في عهد البطالة
٧٤٩	الفلاحون اليهود
٧٥٨	موقف اليهود السياسى في مصر
٧٦٧	تطور الثقافة اليهودية المصرية
٧٧١	اللغة اليونانية واليهود
٧٧٨	القانون اليهودى

المصادر الأفريقية

وتحتوى على مختصر اهم اسماء الدوريات والأوراق البردية الديموطيقية
والاغريقية والمؤلفات الحديثة التى كتبت عنها وقد ذكر فى صلب الكتاب
مصادر أخرى هامة كل فى مكانه

A.F.O. = Archiv. fur Orientforschung, Berlin.

A.S. = Annales du Service des Antiquités de l'Egypte, Le Caire.

A.Z. =

Zeitschrift fur Aegyptische sprache und Altertumkunde
Leipzig.

Adler Papyri = E.N. Adler, J.G. Tait, F.M.

Heichelheim, The Adler Papyri; the Greek Texts, 1939.

P. Alexandrin, - Mahaffy, in B.C.H. XVIII, 1894, PP. 145-54.

OGIS = W. Dittenberger, Orientis Graeci Inscriptiones Selectae,
Lipsiae, 1903-5.

O. Strassb = P. Viereck, Griechische und Griechische-demotesche
Ostraka der Universitats — und Landesbibliothek zu Strassburg,
Berlin 1923.

P. Amh. = B.P. Grenfell and A.S. Hunt, The Amherst Papyri,
London, 1900, 1901

P. Col. Zen. = W.L. Westermann, E.S. Hasenoechl.

C.W. Keyes, and H. Liebesny, Zenon Papyri. New York, 1934-40.

P. Bad. Fr. Bilabel. Griechische Papyri, Veroffentlicht aus den
badischen Paprussammlungen. II, IV. Heidelberg, 1923-4.

P.C.Z. = P. Cairo zen. C.C. Edgar. zenon Papyri, I, II, Catal, Gén.
des Ant. Eg. du Musée du Caire. Cairofi 1925, 1927.

C.F.C.C. Edgar, Selected Papyri from the Archives of Zenon, Ann.
Serv. 18-24 (Nos. I-III) The Papyri of the correspondence of
Zeno have been published also in P.S.I., Vols. IV-VII, in P.
Corn. and by Fr. Bilabel, in F. Preisigke, Sammelbuch, III, Nos.
6707-6820. Scattered Papyri of the Zenon correspondence
which came to light after the publication of Bilabel : H.I. Bell,
Raccolta Lumbroso, P. 13; Symbolae Osloenses, 1927, P. 14.
W.L. Westermann, Mem. Amer. Acad. Rome, VI, 1927, P.
147.

- P. Cornell = W.L. Westermann and C.J. Kraemer, Jr. : Greek Papyri in the Library of Cornell University. New York, 1926.
- P. Eleph. = O. Rubensohn, Elephantine Papyri. Berlin, 1907.
- P. Eleph = Elephantine - Papyri, bearbeitet von Rubensohn, mit Beiträgen von Schubart und Spiegelberg. Berlin, 1907. (Special volume of B.G.U.).
- P. Fay. B.P. Grenfell, A.S. Hunt and D.G. Hogarth, Fayûm Towns and their Papyri. Oxford, 1900.
- P. Frankf. II. H. Lewald. Aus der Frankfurter Papyrus Sammlung, Z. d. Sav. Stift. XLII, 1921, P. 115.
- P. Freib. 12-38. J. Partsch and U. Wilcken.
- Mitteilungen aus der Freiburger Papyrussammlung, 3. Juristische Urkunden der Ptolemaerzeit. Abh. der Heid. Ak. d. Wiss. Phil.-hist. Kl. 7, Heidelberg, 1927.
- P. Giss. Griechische Papyri im Museum des Oberhessischen Geschichtsvereins zu Giessen, im Verein mit O. Eger herausg. und erkl. Von E. Kornemann und P.M. Meyer. I. Leipzig, 1910-12.
- P. Gradenwitz = G. Plaumann, Sitzungsber. der Heidelberger Akademie des Wissenschaften, Phil.-hist. Kl. 1914, Abh. 15.
- P. Grenf. = B.P. Grenfell, an Alexandrian Erotic Fragment, etc. Oxford, 1896. B.P. Grenfell and A.S. Hunt, New Classical Fragments, Oxford, 1897.
- Gradenwitz, O., Preisigke, F. and Spiegelberg, W. Ein Erbstreit aus dem Ptolemaischen Aegypten. Strassburg, 1912.
- P. Gurob = J.G. Smyly, Greek Papyri from Gurob. Dublin, 1921.
- P. Hamb. = P.M. Meyer, Griechische Papyrusurkunden der Hamburger Staats- und Universitätsbibliothek. Leipzig - Berlin, 1911-24.
- P. Hib. The Hibeh Papyri. Ed. by B.P. Grenfell and A. Hunt. I, London, 1906.
- P. Kairo dem. W. Spiegelberg, Die demotischen Papyrus. Catal. gén. des Ant. tg. du Musée du Caire. Cairo, 1908.
- Glanville: Catalogue of Demotic Papyri in the British Museum, Vol. I. A Theban Archive of the Reign of Ptolemy I, Soter.
- P. Leyd. G. Leemans, Papyri Gracci Musei, Antiquarii, I. Leyden, 1843.
- P. Lille, Papyrus Grecs publiés sous la direction de P. Fouquet avec la collaboration de P. Collart, F. Lesquier, M. Xoual. I, II. Paris, 1907-27.
- P. Lille dem. H. Sottas, Papyrus démotiques de Lille. Paris. 1921.

- P. Lille = P. Jouguet (éd.), *Papyrus grecs*, (Institut Papyrologique de l'Université de Lille). 1907-28.
- P. Lips. = Lt. Mitteis, *Griechische Urkunden der Papyrussammlung zu Leipzig*, I. Leipzig, 1906.
- P. Lond. *Greek Papyri in the British Museum. Catalogue with Texts*. I, 1893 and II, 1898, ed. by F.G. Kenyon; III, 1907, ed. by H.I. Bell and F.G. Kenyon.
- P. Magd. See P. Lille, II. Cf. P. Jouguet, *Raccolta Ramorino*, Milan, 1927, P. 381.
- P. Lond. = F.G. Kenyon and H.I. Bell, *Greek Papyri in the British Museum*. London, 1893-1917.
- P. Magd. = P. Lille II. (Papyri from Magdola).
- P. Mich. = *Michigan Papyri*. Ann Arbor, 1931.
- P. Mich. Zen. = Edgar,
Zenon Papyri in the University of Michigan
Collection. Ann Arbor, 1931.
- P. Oxy. = *The Oxyrhynchus Papyri*. London, 1898.
- P. Petr. = J.P. Mahaffy and J.G. Smyly, *The Flinders Petrie Papyri*, i-iii. Dublin, 1891-1905.
- P. Rein. Th. Reinach. *Papyrus grecs et démotiques*. Paris, 1905.
- R.L. or Rev. Laws. *Revenue Laws of Ptolemy Philadelphus*. Ed. by B.P. Grenfell. Oxford, 1896.
- P. Ryl. = *Catalogue of the Greek Papyri in the John Rylands Library*, Manchester. Manchester, 1911.
- PSI = G. Vitelli and others, *Publicazioni della società italiana per la Ricerca dei Papiri Greci e Latini*. Firenze, 1912.
- P. Strassb. = F. Preisigke, *Griechische Papyrus der Kaiserlichen Universitäts und Landesbibliothek zu Strassburg*. 1906-20.
- P. Tebt. = *The Tebtunis Papyri*. London, 1902-38.
- Rev. Laws = B.P. Grenfell, *Revenue Laws of Ptolemy Philadelphus*. Oxford, 1896.
- Bevan = E. Bevan, *A History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty*, 1927.
- Bouché-Leclercq = Bouché-Leclercq, *Histoire des Lagides*, i-iv, 1903-7.
- Cowley = Cowley, *Aramaic Papyri of the Fifth Century B.C.*, 1923.
- BCH = *Bulletin de Correspondance Hellénique*. Paris, 1877.
- Berl. Phil. Woch. = *Berliner Philologische Wochenschrift*. Leipzig. 1881-1920.
- B.G.U. *Aegyptische Urkunden aus den Museen zu Berlin. Griechische Urkunden*, I-V, 1895-1919 ; VI, 1922 ; VII, 1926.

- B.I.F.A.O.** = Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie Orientale, Le Caire.
- Chr. d'Eg.** = Chronique d'Egypte. Brussels, 1925.
- JEA** = Journal of Egyptian Archaeology. London, 1914.
- J. Jur. Pap.** = Journal of Juristic Papyrology. New York, 1946 ; Warsaw, 1947.
- J.H.S.** = Journal of Hellenic Studies. London.
- Theodore Cressy Skeat** : The Reigns of The Ptolemies Munchen 1954.
- Demotic Ostraca, From Medinet Habu**, by Miriam Lichtheim, (1957).
- Dikaionmata**. Dikaionmata, Auszüge aus Alexandrinischen Gesetzen herausgegeben von der Graeca Halensis. Berlin, 1913.
- Jouguet, P.** l'Impérialisme Macédonien et l'Hellénisation de l'Orient. (Evolution de l'Humanité). Paris, 1926.
- Kaerst, J.** Geschichte des Hellenismus. II, 2. Leipzig, 1926.
- Lumbroso, G.** L'Egitto dei Greci e dei Romani. Ed. 2. Rome, 1896.
- L.D.** = Lepsius, C.R. Denkmaler aus Aegypten und Aethiopien. Berlin 1894.
- Kornemann, E.** Die Geschwisterehe im Altertum. Mitt, der Schlesischen Gesellschaft für Volkskunde, XXIV, 1923, P. 17.
- CF. Klio**, XIX, 1925, P. 355 and **F. Cumont** in C.R. Ac. Inscr. 1924, P. 53, and in Doura-Europos, 1926, P. 377.
- Launey = M. Launey**, Recherches sur les Armées Hellénistiques, i-ii, 1949-50.
- NB** = Preisigke, Namenbuch enthaltend alle Menschennamen, Soweit sie in Griechischen Urkunden Agyptens sich vor Finden, 1922.
- Le Febvre, G.** Le Tombeau de Pétoisir. Cairo, 1924.
- Luys, E.** Vie de Pétoisir, grand prêtre de Thot à Hermupolis-La-Grande. Brussels, 1927.
- Mallet, D.** Les premiers établissements des Grecs en Egypte. Paris. 1893.
- Phil. (I, II, etc.)** = Demotic Papyri from Diraa Abu'l Naga in the University Museum at Philadelphia, listed by N.J. Reich, Mizraim VII. PP. ff.
- Pfeiffer, R.** Arsinoe Philadelphos in der Dichtung. Die Antike, 11, 1926, P. 161.
- Glötz, G.** Les Fêtes d'Adonis sous Ptolémée II. Rev. Eg. XXXIII, 1920, P. 169.
- UPZ** = U. Wilcken, Urkunden der Ptolemaerzeit, Berlin und Leipzig, 1922.
- W. Chr.** = L. Mitteis and U. Wilcken, Grundzüge und Chrestomathie der Papyruskunde, 1 - 2. Leipzig - Berlin, Teubner, 1912.

Preaux. *L'Economie Royale des Lagides.*

PG = *Patrologia Graeca.*

RE = *Pauly-Wissowa, Real - Encyklopädie der Classischen Altertumswissenschaft, 1894.*

Rostovtzeff, SEHHW = *M. Rostovtzeff, Social and Economic History of the Hellenistic World, I-III, 1941.*

Proc. Soc. Bibl. = *Proceedings of the Society of Biblical Archaeology. London, 1879.*

Rev. Arch. = *Revue Archéologique. Paris, 1844.*

Sav. Ztschr. =

Zeitschrift der Savigny-Stiftung für Rechtsgeschichte. Weimar, 1880.

Rostovtzeff S.E.H.E. = *M. Rostovtzeff, Social and Economic History of the Roman Empire, 1926.*

Roth = *J.M. Roth, Greek Papyri Lights on Jewish History 1924.*

Schurer = *E. Schurer, Geschichte des Jüdischen Volkes im Zeitalter Jesu Christi, i-iii, 1901-9.*

Die Satrapenpolitik des ersten Lagiden. *Raccolta Lumbroso, Milan, 1925, P. 225.*

Otto, W. *Zum Hofzeremoniell des Hellenismus, Epitumvion H. Swoboda dargebracht, Reichenberg, 1927, P. 194.*

S.B. = *F. Preisigke and F. Bilabel, Sammelbuch Griechischer urkunden aus Ägypten.*

Vols. 1-2 : *Strassburg - Berlin, 1913-22;*

Vol. 3 : *Berlin, 1926-7; Vols. 4-5; Heidelberg, 1931-8.*

Schubart, Pap. Graec. Berol. = *W. Schubart, Papyri Graecae Berolinenses. Bonn, 1911.*

Schubart, W. *Einführung in die Papyrskunde. Berlin, 1918.*

— *Ägypten, von Alexander dem Grossen bis auf Mohammed. Berlin, 1922.*

— *Von der Flugelsonne zum Halbmond. Leipzig, 1926.*

S.E.G. = *Supplementum Epigraphicum Graecum. Leyden, 1923.*

Syll. = *W. Dittenberger, Sylloge Inscriptionum Graecarum, editio Tertia, Leipzig, 1915-27.*

Tarn, W.W. *Hellenistic Civilisation. London, 1927.*

Ehrenberg, V. *Alexander und Ägypten. Beihefte zum Alten Orient, VII, Leipzig, 1926.*

Taubenschlag = *R. Taubenschlag, The Law of Greco-Roman Egypt in the Light of the Papyri, 1944.*

Wallace = *Wallace, Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian, 1938.*

- Victor A. Tcherikover = *Corpus Papyrorum Judaicarum*, Volume I. St Tracy, III Maccabees and Pseudo-Aristeas. A Study. Yale Class. Studies, 1928.
- W.B. = F. Preisigke und E. Yiessling, *Wörterbuch der griechischen Papyrusurkunden*. 1925.
- W. Grundz. = U. Wilcken, *Grundzüge und Chrestomathie der Papyruskunde*, I. I. (Historischer Teil, Grundzüge), 1912.
- Wilcken, Ant. = U. Wilcken, zum Alexandrinischen Antisemitismus. *Abh. d. Sachs. Ges. d. Wiss.* 27, 1909. PP. 788 Sqq.
- Wilcken, Ostr. = U. Wilcken, *Griechische Ostraka aus Ägypten und Nubien*, v. i., 1899.
- Witkowski, *Epist. Priv. Graecae* = S. Witkowski, *Epistulae privatae Graecae quae in Papyris aetatis Lagidarum servantur*, editio Altera. Leipzig, 1911.
- Wo = U. Wilcken, *Griechische Ostraka aus Ägypten und Nubien* Vol. ii. Leipzig-Berlin, 1899.

كتب المؤلف

بالعربية :

- (١) مصر القديمة : الجزء الاول في عصر ما قبل التاريخ الى نهاية العهد الاهناسي
- (٢) مصر القديمة : الجزء الثاني في مدينة مصر وثقافتها في الدولة القديمة والعهد الاهناسي .
- (٣) مصر القديمة : الجزء الثالث في العصر الذهبي في تاريخ الدولة الوسطى ومدنيتها وعلاقتها بالسودن والاقطار الآسيوية ولوبيا .
- (٤) مصر القديمة : الجزء الرابع في عهد الكهوس وتأسيس الامبراطورية .
- (٥) مصر القديمة : الجزء الخامس في السيادة العالمية والتوحيد ويبحث في علاقات مصر مع ممالك آسيا وسيادة مصر عليها وأول عقيدة للتوحيد بالله .
- (٦) مصر القديمة : الجزء السادس في عصر رعمسيس الثاني وقيام الامبراطورية الثانية .
- (٧) مصر القديمة : الجزء السابع في مرنبتاح ورعمسيس الثالث .
- (٨) مصر القديمة : الجزء الثامن في نهاية عصر الرعامسة وقيام دولة الكهنة في طيبة في عهد الاسرة الواحدة والعشرين .
- (٩) مصر القديمة : الجزء التاسع في نهاية الاسرة الواحدة والعشرين وحكم دولة اللوبيين لمصر حتى بداية العهد الاثيوبي ولمحة في تاريخ المصريين .
- (١٠) مصر القديمة : الجزء العاشر في تاريخ السودان المقلون الى اوائل عهديمنخي
- (١١) مصر القديمة : الجزء الحادي عشر تاريخ مصر والسودان من أول عهد يمينخي الى نهاية الاسرة الخامسة والعشرين ولمحة في تاريخ آشور .
- (١٢) مصر القديمة : الجزء الثاني عشر في عهد النهضة المصرية ولمحة في تاريخ الاغريق .
- (١٣) مصر القديمة : من عهد الفرس الى دخول الاسكندر الاكبر ولمحة في تاريخ السودان في ذلك العهد ونبذة في تاريخ الفرس وقناة السويس قديما .
- (١٤) جغرافية مصر القديمة : (محلاة باحدى واربعين خريطة) .
- (١٥) الادب المصري القديم أو أدب الفراعنة : الجزء الاول في القصص والحكم والتأملات والرسائل .
- (١٦) الادب المصري القديم أو ادب الفراعنة : الجزء الثاني في الدراما والشعر وفنونه .

بالفرنسية :

1. Hymnes Religieuses du Moyen Empire : 199 Pages, 1923, Le Caire).
2. Le Poème dit le Pantaour et le Rapport Officiel sur la bataille de Qadesh, 162 plates. Université Egyptienne. Faculté des Lettres, (1929, Le Caire).
3. Le Sphinx a la Lumière des Fouilles Récentes.

بالإنجليزية :

1. « *Excavations at Giza* », Vol. I, (1929-1930); 119 pages, 81 Plates, 187 Illustrations in the Text Plan (Oxford 1932).
2. " " " Vol. II, (1930-1931); 225 pages, 83 Plates, 251 Illustrations in the Text 2 Plans (Cairo 1936).
3. " " " Vol. III, (1931-1932) 229 pages, 71 Plates, 227 Illustrations in the Text, 2 Plans, (Cairo, 1941).
4. " " " Vol. IV, (1932-1933); 218 pages, 62 Plates, 159 Illustrations in the Text, 3 Plans, (Fourth Pyramid), (Cairo 1943).
5. " " " Vol. V, (1933-1934), 325 Pages, 79 Plates, (3 coloured), 169 Illustrations in the Text, 2 Plans, (Cairo, 1944).
6. " " " Vol. VI. Part I. « The Solar Boats », (1934-1935). Cairo, 1947).
7. " " " Vol. VI, Part II, « The Offering-List in the Old Kingdom », 504 pages, 174 Plates, and numerous illustrations in the Text, (Cairo 1948).
8. " " " Vol. VI, Part III, a Description of the Mastabas and their Contents (1936-1939).
9. " " " Vol. VII, (1935-1936).
10. " " " Vol. VIII, « The Great Sphinx and its Secrets » (1936-1937), (Cairo, 1954).
11. " " " Vol. IX, (In Print).
12. " " " Vol. X, (In Print).
13. " " " Saqqara. Vol. I, (In Print).
14. " " " Vol. II, (In Print).
15. " " " Vol. III, (In Print).
16. « The Sphinx. Its History in the light of Recent Excavations. »

فهرس الأشكال والمصورات الجغرافية

- ١ - تمثال نصفى لاسكندر الأكبر (متحف اللوفر)
- ٢ - تمثال نصفى لاسكندر الأكبر (بمتحف روما)
- ٣ - صورة لاسكندر الأكبر وهو يحارب (عن صورة تابوت صيدا
- ٤ - نقد سك عليه صورة الاسكندر الأكبر ممثلا بقرنين .
- ٥ - تمثال اسكندر الثانى فرعون مصر (متحف القاهرة) .
- ٦ - قناع رأس بطليموس الأول .
- ١٧ - عملة عليها صورة رأس « بطليموس الاول سوتر » .
- ٧ ب - بطليموس الثانى وزوجه أرسنوى .
- ٨ - قطع نقود من عهد بطليموس الأول ، وبطليموس الثانى ، وعليها صورة أرسنوى الثانية .
- ٩ - نقود مصرية ضربت فى عهد الأسرة الثلاثين الفرعونية .
- ١٠ - تمثال نصفى لبطليموس الثانى .
- ١١ - ايوان ولأثم بطليموس الثانى .
- ١٢ - رأس من الرخام لأرسنوى الثانية .
- ١٣ - رأس نصفى للاله سيرايس بالمتحف المصرى .
- ١٤ - تمثال الاله سيرايس (متحف الاسكندرية) .
- ١٥ - منشرة الاسكندرية .
- ١٦ - تمثال نصفى يمثل مدينة الاسكندرية .
- ١٧ - صورة تمثل الخصب والكثرة لمصر البطلمية .

خرائط جغرافية

- ١٨ - الممالك الهيلانستىكية .
- ١٩ - الصراع بين مصر ومقدونيا وسوريا .
- ٢٠ - مصر الهيلانستىكية .
- ٢١ - الوجه البحرى فى عهد البطالة .
- ٢٢ - الوجه القبلى فى عهد البطالة .

٢٠٠٠/١٠٥٨٥

I.S.B.N. 977-01-6785-1



تم طباعة الموسوعة بالتعاون مع
شركة نهضة مصر للطباعة والنشر